إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب

(معجم الأدباء)

ياقوت الحموي

To PDF: www.al-mostafa.com

الجزء الأول

خطبة الكتاب

الفصل الأول

في فضل الأدب وأهله، وذم الجهل وحمله

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كفى بالعلم شرفاً أنه يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله، وكفى بالجهل خمولاً، أنه يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه.

فنظم بعض المحدثين ذلك، فقال:

كَفَى شَرَفاً لِلْعِلْمِ دَعْوَاهُ جَاهِلٌ ... وَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى إِلَيهِ وَيُنْسَبُ

وَيَكْفِي خمُولاً بِالْجَهالَةِ أَنَّنِي ... أُرَاعُ مَتَى أُنْسَبْ إِلَيْهَا وَأَغْضَبُ

وقال رضي الله عنه: قيمة كل إنسان ما يحسن، فنظمه شاعر وقال:

لاَ يَكُونُ الْفَصِيحُ مِثْلَ الْعَيَيِّ ... لاَ وَلاَ ذُو الذَّكَاءِ مِثْلَ الْغَبِيِّ

قِيمَةُ الْمَرْءِ قَدْرُ مَا يُحْسِنُ الْمَرْ ... ءُ قَضَاءٌ مِنَ الإمَامِ عَلِيِّ

وقال كرم الله وجهه: كل شيء يعز إذا نزر، ما خلا العلم، فإنه يعز إذا غزر.

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يسيئون الرمي، فقرعهم، فقالوا: إنا قوم "متعلمين"، فأعرض مغضباً، وقال: والله لخطؤكم في لسانكم، أشد علي من خطئكم في رميكم.

سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "رحم الله امرأ أصلح من لسانه".

وروي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ: "ونادوا يا مال ليقض علينا ربك أنكر عليه ابن عباس. فقال علي: هذا من الترخيم في النداء فقال. ابن عباس: ما أشغل أهل النار في النار عن الترخيم في النداء؟ فقال علي: صدقت.

فهذا يدل على تحقق الصحابة من النحو، وعلمهم به.

استأذن رجل على إبراهيم النخعي فقال: "أبا" عمران في الدار، فلم يجبه. فقال: أبي عمران في الدار، فناداه: قل الثالثة وادخل.

وكان الحسن بن أبي الحسن يعثر لسانه بشيء من اللحن فيقول: استغفر الله. فقيل له فيه: فقال: من أخطأ

فيها فقد كذب على العرب، ومن كذب فقد عمل سوءاً، وقال الله تعالى: "ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً".

وذكر أبو حيان في كتاب محاضرات العلماء: حدثنا القاضي أبو حامد أحمد بن بشر قال: كان الفراء يوماً عند محمد ابن الحسن، فتذاكرا في الفقه والنحو، ففضل الفراء النحو على الفقه، وفضل محمد بن الحسن الفقه على النحو، حتى قال الفراء: قل رجل أنعم النظر في العربية، وأراد علماً غيره، إلا سهل عليه، فقال محمد بن الحسن: يا أبا زكريا، قد أنعمت النظر في العربية، وأسألك عن باب من الفقه. فقال: هات على بركة الله تعالى، فقال له: ما تقول في رجل صلى فسها في صلاته، وسجد سجدتي السهو، فسها فيهما، فتفكر الفراء ساعة، ثم قال: لا شيء عليه. فقال له محمد: لِمَ؟ قال: لأن التصغير عندنا ليس له تصغير، وإنما سجدتا السهو تمام الصلاة، وليس للتمام تمام. فقال محمد بن الحسن: ما ظننت أن آدمياً يلد مثلك.

وحكي عن بعض الفقهاء أنه كان يقول: حب من الناس حب من الله، وما صلح دين إلا بحياء، ولا حياء إلا بعقل، وما صلح حياء، ولا دين، ولا عقل، إلا بأدب.

وأنشد أبو الفضل الرياشي:

طَلَبْتُ يَوْماً مَثَلاً سَائِراً ... فَكُنْتُ فِي الشِّعْرِ لَهُ نَاظِمَا

لاَ خَيْرَ فِي الْمَرْءِ إِذَا مَا غَدَا ... لا طالب العلم ولا عالما

وفي الخبر: "ارحموا ثلاثة، عزيز قوم ذل. وغني قوم افتقر، وعالماً يلعب الجهال بعلمه".

فنظمه شاعر فقال:

إِنِّي مِنَ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ حَقُّهُمْ ... أَنْ يُرْحَمُوا لِحَوَادِثِ الأَزْمَانِ

مثرٍ أقل وعالم مستجهل، وعزيز قوم ذل للحدثان.

ويقال: فقدان الأديب الطبع، كفقدان ذي النجدة السلاح، ولا محصول لأحدهما دون الآخر. وقال:

نِعْمَ عَوْنُ الْفَتَى إِذَا طَلَبَ الْعِلْ ... مَ وَرَامَ الآدَابَ صِحَّةُ طَبْعِ

فَإِذا الطَّبْعُ فَاتَهُ بَطَلَ السَّعْ ... يُ وَصَارَ الْعَنَاءُ فِي غَيْرِ نَفْعِ

ومما يقارب ذلك قول بعضهم:

مَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ يَكُ ذَا غِنىً ... يَكُونُ كَذِي رِجْلٍ وَلَيْسَ لَهُ نَعْلُ

مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَلَمْ يَكُ ذَا حِجىً ... يَكُونُ كَذِي نَعْلٍ وَلَيْسَ لَهُ رِجْلُ

وقال آخر:

أَرَى الْعِلْمَ نُوراً وَالتَّأَدُّبَ حِلْيَةً فَخُذْ مِنْهُمَا فِي رَغْبَةٍ بِنَصِيبِ

وَلَيْسَ يَتِمُّ الْعِلْمُ فِي النَّاسِ لِلْفَتَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِهِ بِأَدِيبِ

وأنشد أبو حاتم سهل بن يحيى السجستاني:

إِنَّ الْجَوَاهِرَ دُرَّهَا وَنُضَارَهَا هُنَّ الْفِدَاءُ لِجَوْهَرِ الآدَابِ

فَإِذَا اكْتَنَزْتَ أَوِ ادَّخَرْتَ ذَخِيرَةً تَسْمُو بِزِينَتِهَا عَلَى الأَصْحَابِ

فَعَلَيْكَ بِالأَدَبِ الْمُزَيِّنِ أَهْلَهُ كَيْمَا تَفُوزَ بِبَهْجَةٍ وَثَوَابِ

فَلَرُبَّ ذِي مَالٍ تَرَاهُ مُبَعَّداً كَالْكَلْبِ يَنْبَحُ مِن وَرَاءِ حِجَابِ

وَتَرَى الأَدِيبَ وَإِنْ دَهَتْهُ خَصَاصَةٌ لاَ يُسْتَخَفُّ بِهِ لَدَى الأَتْرَابِ

وَقَالَ آخَرُ:

مَا وَهَبَ اللهُ لامْرِئٍ هِبَةً أَحْسَنَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

هُمَا جَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَفَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَجْمَلُ بِهْ

وحدث أبو صالح الهروي قال: كان عبد الله بن المبارك يقول: أنفقت في الحديث أربعين ألفاً، وفي الأدب ستين ألفاً، وليت ما أنفقته في الحديث أنفقته في الأدب، قيل له: كيف؟ قال: لأن النصارى كفروا بتشديدة واحدة خففوها، قال تعالى: يا عيسى إني ولَّدتك من عذراء بتول. فقالت النصارى: ولدتك.

شاعر:

ولَمْ أَرَ عَقْلاً صَحَّ إلاَّ بِشِيمَةٍ وَلَمْ أَرَ عِلْماً صَحَّ إلاَّ عَلَى أَدَبْ

وقال آخر:

لِكُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ زِينَةٌ وَزِينَةُ الْعَالِمِ حُسْنُ الأَدَبْ

قَدْ يَشْرُفُ الْمَرءُ بِآدَابِهِ فِينَا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ النَّسَبْ

وقال آخر:

مَنْ كَانَ مُفْتَخِراً بِالْمَالِ وَالنَّسَبِ فَإِنَّمَا فَخْرُنَا بِالْعِلْمِ وَالأَدَبِ

لاَ خَيْرَ فِي رَجُلٍ حُرٍّ بِلاَ أَدَبٍ لاَ، لاَ، وَإِنْ كَانَ مَنْسُوباً إِلَى العَرَبِ

قالوا: والفرق بين الأديب والعالم، أن الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه. والعالم من يقصد بفن من العلم فيعتمله. ولذلك قال علي كرم الله وجهه: العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه. شاعر:

ذَخَائِرُ الْمَالِ لاَ تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ ... الْعِلْمُ تَذْخَرُهُ يَبْقَى عَلَى الأَبَدِ
وَالْمَرْءُ يَبْلُغُ بِالآدَابِ مَنْزِلَةً ... يَذِلُّ فِيهَا لَهُ ذُو الْمَالِ وَالْعُقَدِ

وحدث سفيان قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: إذا أردت أن تعلم العلم لنفسك، فاجمع من كل شيء شيئاً، وإذا أردت أن تكون رأساً في العلم، فعليك بطريق واحد، ولذلك قال الشعبي: ما غلبني إلا ذو فن.

شاعر:

لاَ فَقْرَ أَكْبَرُ مِنْ فَقْرٍ بِلاَ أَدَبٍ ... لَيْسَ الْيَسَارُ بِجَمْعِ الْمَالِ وَالنَّشَبِ
مَا الْمَالُ إِلاَّ جُزَازَاتٌ مُلَفَّقَةٌ ... فِيهَا عُيُونٌ مِنَ الأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ

ويقال: من أراد السيادة، فعليه بأربع: العلم، والأدب، والعفة، والأمانة.

شاعر:

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِيعِ الْقَدْرِ لَيْسَ لَهُ ... فِي الْعِزِّ أَصْلٌ وَلاَ يُنْمَى إِلى حَسَبِ
قد صار بالأدب المحمود ذا شرف ... عال وذا حسب محض وذا نسب

وقال بزرجمهر: من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعاً، وبعد صوته وإن كان خاملاً، وساد وإن كان غريباً، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيراً.

ويقال: عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الحضر، وجليس في الوحدة، وجمال في المحافل، وسبب إلى طلب الحاجة.

ويقال: مروءتان ظاهرتان: الفصاحة والرياش.

وكلم شبيب بن شيبة رجلاً من قريش، فلم يحمد أدبه، فقال له يا ابن أخي: الأدب الصالح خير لك من الشرف المضاعف، وقال:

وكم من ماجد أضحى عديماً ... له حسن، وليس له بيان
وما حسن الرجال لهم بزين ... إذا لم يسعد الحسن اللسان

وقال أبو نواس: ما استكثر أحد من شيء إلا مله وثقل عليه، إلا الأدب، فإنه كلما استكثر منه، كان أشهى له، وأخف عليه.

وقال: الشره في الطعام دناءة، وفي الأدب مروءة.

ويقال: الأديب نسيب الأديب: قال أبو تمام:

إن يكد مطرف الإخاء فإننا ... نسري ونغدو في إخاء تالد

أو نفترق نسباً يؤلف بيننا — أدب أقمناه مقام الوالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا — عذب تحدر من غمام واحد

وقال ابن السكيت: خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب، وتشتهيه الآذان وخذ من النحو ما تقيم به الكلام، ودع الغوامض، وخذ من الشعر ما يشتمل على لطيف المعاني، واستكثر من أخبار الناس، وأقاويلهم وأحاديثهم، ولا تولعن بالغث منها.

وقال أبو عمرو بن العلاء: قيل لمنذر بن واصل: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: أسمع بالحرف منه لم أسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم مثل ما تنعمت الأذان، قيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها، وليس لها غيره، قيل: وكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال.

قال الأصمعي: قال لي أعرابي: ما حرفتك؟ قلت: الأدب، قال: نعم الشيء، فعليك به، فإنه يترل المملوك في حد الملوك.

وقال أرسطاطاليس: ليت شعري: أي شيء فات من أدرك الأدب، وأي شيء أدرك من فاته الأدب؟؟.

وقال البحتري:

رأيت القعود على الاقتصاد — قنوعاً به ذلة في العباد

وعز بذي أدب أن يضيق — بعيشته وسع هذي البلاد

إذا ما الأديب ارتضى بالخمول — فما الحظ في الأدب المستفاد

وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا العربية، فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة.

وقال عبد الملك: ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم، التي بها يتحاورون الكلام، ويتهادون الحكم، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها، ويجمعون ما تفرق منها، إن الكلام قاض يجمع بين الخصوم، وضياء يجلو الظلام، وحاجة الناس إلى مواده، كحاجتهم إلى مواد الأغذية.

وقال الزهري: ما أحدث الناس مروءة أحب إلي من تعلم النحو.

وقال شاعر يصف النحو:

اقتبس النحو فنعم المقتبس — والنحو زين وجمال ملتمس

صاحبه مكرم حيث جلس — من فاته فقد تعمى وانتكس

كأن ما فيه من العي خرس — شتان ما بين الحمار والفرس

وقال آخر:

لولا كم كان يلفى كل ذي خطل — للنحو مدعياً بين النحارير

لم لا أشد على من لا يقوم بها　　من وقعة السمر والبيض المآثير

قرع رجل على الحسن البصري الباب وقال: يا أبو سعيد، فلم يجبه، فقال: أبي سعيد، فقال الحسن: قل الثالثة وادخل. "وقد مر مثل هذا" وحدث النضر بن شميل، قال: أخبرنا الخليل ابن أحمد، قال: سمعت أيوب السجستاني يحدث بحديث فلحن فيه، فقال: أستغفر الله: يعني أنه عد اللحن ذنباً.

وكا ابن سيرين يسمع الحديث ملحوناً، فيحدث به على لحنه، وبلغ ذلك الأعمش، فقال: إن كان ابن سيرين يلحن فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، فقومه. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب أولاده على اللحن، ولا يضربهم على الخطأ. ووجد في كتاب عامل له لحناً، فأحضره وضربه درة واحدة. ودخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال: العجب، يلحنون ويربحون؟؟ وكان معاوية بن بجير عامل البصرة لا يلحن، فمات بجير بالبصرة، ومعاوية بفارس خليفة أبيه، فقال الفيج الذي جاء بنعيه: مات بجيراً، فقال له: لحنت لا أم لك. فقال أخوه عبد الله بن بجير:

ألم تر أن خير بني بجير　　معاوية المحقق ما ظننتنا

أتاه مخبر ينعى بجيراً　　علانية فقال له لحنتا

وقال الجاحظ: عيوب المنطق التصحيف، وسوء التأويل، والخطأ في الترجمة، فالتصحيف يكون من وجوه من التخفيف، والتثقيل، ومن قبل الإعراب، ومن تشابه صور الحروف. وسوء التأويل: من الأسماء المتواطئة أي أنك تجد اسماً لمعان، فتتأول على غير المراد. وكذلك سوء الترجمة.

واعلم أن مذاكرة العلم عون على أدائه، وزيادة في الفهم، ولابد للعالم من جهل، أي أن يجهل كثيراً مما يسأل عنه، إما لأنه ما سمعه أو نسيه. وقد قال بعض الفرس: ليس يحسن الأشياء كلها إنسان، ولكن يحسن كل إنسان شيئاً. ومن الأدب قول القائل:

إذا ما روى الراوي حديثاً فلا تقل　　سمعنا بهذا قبل أن يتمما

ولكن تسمع للحديث موهماً　　بأنك لم تسمعه فيما تقدما

وقال الأصمعي: من حق من يقبسك علماً أن ترويه عنه.

قال أبو عمرو بن العلاء: إنما سمي النحوي نحوياً، لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب.

واللحن مخالفة الإعراب، واللحن على جهة أخرى أن يكلم الرجل صاحبه بالكلام يعرفانه بينهما، ولا يعرفه سواهما، وأنشد ابن الكلبي لمالك ابن أسماء:

منطق صائب، وتلحن أحيا　　ناً وخير الحديث ما كان لحناً

أمغط مني على بصرى بالسحب أم أنت أكمل الناس حسنا

وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا

وقد روى أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان لحناً أي فطناً، وفي حديث أبي الزناد أن رجلاً قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرشدوا صاحبكم.

وحدث أبو العيناء عن وهب ابن جرير أنه قال لفتى من باهلة يا بني: اطلب النحو فإنك لن تعلم منه باباً إلا تدرعت من الجمال سربالاً، وفي حديث سعيد بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن". وعن ابن شهاب أنه قال: ما أحدث الناس مروءة أعجب إلي من تعلم الفصاحة. وحدث يحيى بن عتيق قال سألت الحسن: فقلت يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته، قال حسن: يا بني فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها. وعن سعيد بن سلم قال: دخلت على الرشيد فبهرني هيبة وجمالاً فلما لحن خف في عيني، وعن الشعبي، قال حلي الرجال العربية، وحلي النساء الشحم.

وحدث التاريخي بإسناد رفعه إلى سلمة بن قتيبة قال: كنت عند ابن هبيرة الأكبر، قال: فجرى الحديث حتى ذكر العربية فقال: والله ما استوى رجلان دينهما واحد، وحسبهما واحد، ومروءتهما واحدة، أحدهما يلحن والآخر لا يلحن إن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن. قال: فقلت أصلح الله الأمير، هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته، أرأيت الآخرة ما باله فضل فيها، قال: إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزله الله، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه، ويخرج منه ما هو فيه، قال: قلت صدق الأمير وبر.

وحدّث عن أبي ثوابة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه، قال: تكلم أبو جعفر المنصور في مجلس فيه أعرابي فلحن فصر الأعرابي أذنيه، فلحن مرة أخرى أعظم من الأولى، فقال الأعرابي: أف لهذا، ما هذا؟. ثم تكلم فلحن الثالثة، فقال الأعرابي: أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر، وحدث بإسناد رفعه إلى الواقدي قال: صلى رجل من آل الزبير، خلف أبي جعفر المنصور وقرأ، "ألهاكم التكاثر". فلحن في موضعين قال: فلما سلم التفت الزبيري إلى رجل كان إلى جانبه فقال: ما كان أهون هذا القرشي على أهله. وقال بعض الشعراء:

النحو يبسط من لسان الألكن والمرء نعظمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها عندي مقيم الألسن

وقال آخر:

إما تريني وأثوابي مقاربة نيست بخز ولا من حر كتان

فإن في المجد هماتي وفي لغتي علوية ولساني غير لحان

وحدث قال: قدم طاهر بن الحسين، والعباس بن محمد ابن موسى على الكوفة، فزاره طساسيج من سوادها. فوجه العباس كاتبه إليه، فلما دخل على طاهر. قال له: أخيك أبي موسى يقرأ عليك السلام، قال. وما أنت منه؟ قال كاتبه الذي يطعمه الخبز قال نعم، علي بعيسى بن عبد الرحمن، قال. فجاء، وكان عيسى كاتب طاهر، فقال. اكتب وأنت قائم بصرف العباس بن محمد بن موسى عن الكوفة، إذ لم يتخذ كاتباً يحسن الأداء عنه.

وحدث فيما أسنده إلى الضحاك بن زمل السكسكي، وكان من أصحاب المنصور قال: كنا مع سليمان بن عبد الملك بدابق، إذ قام إليه السحاح الأزدي الموصلي، فقال يا أمير المؤمنين: إن أبينا هلك وترك مال كثير، فوثب أخانا على مال أبانا فأخذه، فقال سليمان: فلا رحم الله أباك ولا نيح عظام أخيك، ولا بارك الله لك فيما ورثت، أخرجوا هذا اللحان عني. فأخذ بيده بعض الشاكرية وقال: قم فقد آذيت أمير المؤمنين، فقال: وهذا العاض بظر أمه اسحبوا برجله. وحدث قال: قال رجل للحسن يا أبا سعيد: ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن ترك أباه وأخاه!! فقال له فما لأباه وأخاه.؟ فقال له الحسن إنما هو فما لأبيه وأخيه قال: يقول الرجل للحسن يا أبا سعيد. ما أشد خلافك علي، قال: أنت أشد خلافاً علي، أدعوك إلى الصواب، وتدعوني إلى الخطأ؟ وحدث فيما رفعه إلى عبد الله بن المبارك قال: بعث الحجاج إلى والي البصرة أن اختر لي عشرة ممن عندك، فاختار رجالاً منهم كثير بن أبي كثير، قال: وكان رجلاً عربياً، قال كثير: فقلت في نفسي لا أفلت من الحجاج إلا باللحن، قال: فلما أدخلنا عليه، دعاني فقال: ما اسمك؟ قلت كثير، قال ابن من؟ فقلت إن قلتها بالواو، لم آمن أن يتجاوزها، قال: أنا ابن أبا كثير فقال: عليك لعنة الله، وعلى من بعث بك، جيئوا في قفاه، قال فأخرجت. وحدث فيما أسنده إلى الأصمعي، قال: سمعت مولى لعمر بن الخطاب يقول: أخذ عبد الملك ابن مروان رجلاً كان يرى رأي الخوارج رأي شبيب، فقال له: ألست القائل؟:

ومنا سويد والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

قال: إنما قلت أمير المؤمنين، أي يا أمير المؤمنين، فأمر بتخلية سبيله. قال التاريخي: حدثنا أبو بكر الدولابي، حدثنا أبو مسهر قال: سألت سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن الحديث إذا سمعته ملحوناً، فقال: اللحن يفسد الحديث، وذلك أنه يغير معناه، و لم يلق أحد من العلماء إلا مقوم اللسان، قال: وقد

كان عمر بن عبد العزيز أشد الناس في اللحن على ولده وخاصته ورعيته، وربما أدب عليه. قال: وقال نافع مولى ابن عمر: كان ابن عمر يضرب ولده على اللحن، كما يضربهم على تعليم القرآن. وحدث فيما أسنده إلى شريك عن جابر قال: قلت للشعبي. أسمع الحديث بغير إعراب فأعربه؟ قال نعم، لا بأس به، قال: قال حماد ابن سلمة: مثل الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو، مثل الحمار عليه مخلاته ولا شعير فيها. وروى عن الشعبي أنه قال: لأن أقرأ وأسقط أحب إلي من أقرأ وألحن، وقال محمد بن الليث: النحو في الأدب، كالملح في الطعام، فكما لا يطيب الطعام إلا بالملح، لا يصلح الأدب إلا بالنحو، وروي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: تعلموا العلم شهراً، والأدب شهرين. وقال رجل لبنيه: يا بني أصلحوا من ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة، يحتاج أن يتجمل فيها، فيستعير من أخيه دابة ومن صديقه ثوباً، ولا يجد من يعيره لساناً: لما قال الفرزدق.

إن الذي سمك السماء بنى لنا   بيتاً دعائمه أعز وأطول

قال بعض الحاضرين: أعز وأطول من ماذا؟ فتفكر الفرزدق، فوافق ذلك قول المؤذن في الآذان، الله أكبر، فرفع الفرزدق رأسه فقال: يا فلان أكبر من ماذا؟ وقال الخطفي جد جرير:

عجبت لإزراء العيي بنفسه   وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للعيي وإنما   صحيفة لب المرء أن يتكلما

وحدث عن الأصمعي أنه قال: أخوف ما أخاف على طالب العلم، إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" لأنه لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه، ولحنت فقد كذبت عليه.

فصل ثان

في فضيلة علم الأخبار

قال أبو الحسن علي بن الحسين قالوا: لولا تقييد العلماء خواطرهم بالأخبار، وكتبهم للآثار، لبطل أول العلم، وضاع آخره، إذ كان كل علم من الأخبار يستخرج، وكل حكمة منها تستنبط، والفقر منها تشتار، والفصاحة منها تستفاد، وأصحاب القياس عليها يبنون، وأهل المقالات بها يحتجون، ومعرفة الناس منها تؤخذ، وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق ومعاليها منها تقتبس، وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس، فكل غريبة بها تعرف، وكل عجيبة منها تستطرف، وهو علم يستمتع بسماعه

العالم، ويستعذب موقعه الأحمق، والعاقل يأنس مكانه، ويترع إليه الخاصي والعامي، ويميل إلى روايته العربي والعجمي، "وبعد" فإنه يوصل به إلى كلام، ويتزين به في كل مقام، ويتجمل به في كل مشهد ويحتاج إليه في كل محفل، ففضيلة علم الأخبار تتيه على كل علم، وشرف مترلته صحيحة في كل فهم، فلا يصبر على علمه، ويتقن ما فيه من إيراده وإصداره، إلا إنسان قد تجرد للعلم وفهم معناه، وذاق ثمرته، واستشعر من عزه، ونال من سروره. وقديماً قيل: إن علم النسب والأخبار من علوم الملوك، وذوي الأخطار، ولا تسمو إليه إلا النفوس الشريفة، ولا يأباه إلا العقول السخيفة، وقد قالت الحكماء: الكتاب نعم الجليس والذخر، إن شئت ألهتك بوادره، وأضحكتك نوادره، وإن شئت أشجتك مواعظه، وإن شئت تعجبت من غرائب فوائده، وهو يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والغائب والحاضر، والشكل وخلافه، والجنس وضده، وهو ميت ينطق عن الموتى، ويترجم عن الأحياء، وهو مؤنس ينشط بنشاطك، وينام بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، ولا يعلم جار ولا خليط أنصف، ولا رفيق أطوع، ولا معلم أخضع، ولا صاحب أظهر كفاية، ولا أقل جناية، ولا أبدأ نفعاً، ولا أحمد أخلاقاً، ولا أدوم سروراً، ولا أسلم غيبة، ولا أحسن مواتاة، ولا أعجل مكافأة، ولا أخف مؤة منه، إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وأكثر علمك، وتعرف منه في شهر، ما لا تعرف من أفواه الرجال في دهر، يغنيك عن كد الطالب، وعن الخضوع إلى من أنت أثبت منه أصلاً، وأرسخ منه فرعاً، وهو المعلم الذي لا يجفوك، وإن قطعت عنه المادة، لم يقطع عنك الفائدة، وكان عبيد الله ابن محمد ابن عائشة القرشي يقول: الأخبار تصلح للدين والدنيا. قلنا: الدنيا قد عرفنا فما للآخرة؟ قال: فيها العبر، يعتبرها الرجل. وقال الله تعالى مخبراً عن قصة يوسف وإخوته. "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب". وقال تعالى: "ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين". وقال عز وجل: "كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق". ولذلك قال بعضهم لولده: عليك بالأخبار، فإنها لا تعدم كلمة على هدى، وأخرى تنهى عن ردى، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أجموا هذه القلوب والتمسوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان. وكان أبو زيد الأنصاري لا يعدو النحو، فقال له خلف الأحمر. قد ألحت على النحو لم تعده، ولقلما ينبل متفرد به، فعليك بالأخبار والأشعار. وقال ابن المقفع في كتابه في الأدب، "ثم انظر الأخبار الرائعة فتحفظ منها، فإن من شأن الإنسان الحرص على الأخبار، ولاسيما ما يرتاح له الناس، وأكثر الناس من يحدث بما يسمع، ولا يبالي ممن سمع، وذلك مفسدة للصدق، ومزراة بالرأي، فإن استطعت ألا تخبر بشيء إلا وأنت به مصدق، وألا يكون تصديقك إلا ببرهان فافعل".

قال الأخفش علي بن سليمان: أنشدني أبو سعيد السكري:

وذكرني حلو الزمان وطيبه   مجالس قوم يملئون المجالسا
حديثاً وأشعاراً وفقهاً وحكمة   وبراً ومعروفاً وإلفاً مؤانسا

وقال ابن عتاب: يكون الرجل نحوياً عروضياً حسن الكتاب، جيد الحساب، حافظاً للقرآن راوية للشعر، وهو راض بأن يعلم أولادنا بستين درهماً. ولو أن رجلاً كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم. لأن النحوي ليس عنده إمتاع كالنجار الذي يدعى ليغلق باباً، فلو كان أحذق الناس، ثم فرغ من تغليق ذلك الباب، قيل له انصرف، وصاحب الإمتاع يراد في الحالات كلها. وقال معاوية: ليس ينبغي "للقرشي وللرجل" أن يستغرق شيئاً من العلم إلا علم الأخبار، فأما غير ذلك فالنتف والشذر. وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج، انظر لي رجلاً عالماً بالحلال والحرام، عارفاً بأشعار العرب وأخبارها، أستأنس به وأصيب عنده معرفة، فوجهه إلى من قبلك. فوجه إليه الشعبي، وكان أجمع أهل زمانه، قال الشعبي: فلم ألق والياً ولا سوقة إلا وهو يحتاج إلي، ولا أحتاج إليه ما خلا عبد الملك، ما أنشدته شعراً، ولا حدثته حديثاً، إلا وهو يزيدني فيه، وكنت ربما حدثته وفي يده اللقمة فأمسكها، فأقول: يا أمير المؤمنين أسغ طعامك، فإن الحديث من ورائه، فيقول: ما تحدثني به أوقع بقلبي من كل لذة، وأحلى من كل فائدة. وكتب عبد الملك إلى الحجاج: أت عندي كقدح ابن مقبل، فلم يدر الحجاج ما عنى، فسأل قتيبة بن مسلم، وكان راوية عالماً عن ذلك، فقال: قد مدحك، فإن ابن مقبل نعت قدحه فقال:

مفدى مؤدى باليدين ملعن   خليع قداح فائز متمنح
خروج من الغمى إذا صك صكة   بدا والعيون المستكفة تلمح

قال: فكانت في نفس الحجاج حتى ولاه خراسان، وقال محمد بن عبد الملك الزيات في رجل خلو من الأدب:

يا أيها العائبي ولم تر بي   عيباً ألا تنتهي وتزدجر؟
هل لك وتر لدي تطلبه   أم لست مما أتيت تعتذر؟
إن كان قسم الإله فضلني   وأنت صلد ما فيك معتصر
فالحمد والشكر والثناء له   وللحسود التراب والحجر
اقرأ لنا سورة تخوفنا   فإن خير المواعظ السور

أو ارو فقهاً تحيي القلوب به جاء به عن نبينا أثر
أو هات ما الحكم في فرائضنا؟ ما يستحق الإناث والذكر؟
أو ارو عن فارس لنا مثلاً فإن أمثال فارس عبر
أو من أحاديث جاهليتنا فإنها عبرة ومعتبر
أو هات كيف الإعراب في الرفع والخفض وكيف التصريف والصدر؟
أو ارو شعراً أو صف لا عرضاً يتلى صحيح منه ومنكسر
إذا جهلت الآداب مرتقياً عنها وخلت العمى هو البصر
ولم تعوض من ذاك ميسرة عليك منها لبهجة أثر
فغن صوتاً تلهي الفؤاد به وكل ما قد جهلت مغتفر
تعيش فينا ولا تلائمنا فاذهب ودعنا حتام تنتظر؟
تغلي علينا الأشعار أنى؟ وما عندك نفع يرجى ولا ضرر
همك في مرتع ومغتبق كما يعيش الحمير والبقر

باب الألف

آدم بن أحمد بن أسد الهروي

أبو سعد النحوي اللغوي، حاذق مناظر، ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني، فقال: هو من أهل هراة سكن بلخ، كان أديباً فاضلاً عالماً بأصول اللغة صائباً، حسن السيرة، قدم بغداد حاجاً سنة عشرين وخمسمائة، ومات في الخامس والعشرين من شوال من سنة ست وثلاثين وخمسمائة، ولما ورد بغداد اجتمع إليه أهل العلم، وقرءوا عليه الحديث والأدب، وجرى بينه وبين الشيخ أبي منصور موهوب ابن أحمد بن الخضر الجواليقي ببغداد مناظرة في شيء اختلفا فيه، فقال له الهروي: أنت لا تحسن أن تنسب نفسك فإن الجواليقي نسبة إلى الجمع، والنسبة إلى الجمع بلفظه لا تصح قال: وهذا الذي ذكره الهروي نوع مغالطة، فإن لفظ الجمع إذا سمي به جاز أن ينسب إليه بلفظه، كمدائني ومعافري وأنماري وما أشبه ذلك.

قال مؤلف هذا الكتاب: وهذا الاعتذار ليس بالقوي، لأن الجواليق ليس باسم رجل فيصح ما ذكره، وإنما هو نسبة إلى بائع ذلك والله أعلم. فإن كان اسم رجل أو قبيلة أو موضع نسب إليه صح ما ذكره. وقال الحافظ الإمام السمعاني: سمعت أبا القاسم الطريفي يقول: سمعت أبا سعد الهروي المؤدب يقول: سئل سفيان الثوري عن التقوى فأنشد:

إني وجدت فلا تظنوا غيره ... هذا التورع عند ذاك الدرهم
فإذا قدرت عليه ثم تركته ... فاعلم بأن هناك تقوى المسلم

وكان الرشيد محمد بن عبد الجليل الملقب بالوطواط كاتب الإنشاء لخوارزم شاه من تلاميذ الشيخ أبي سعد آدم بن أحمد الهروي، وانتقل الرشيد من بلخ إلى خوارزم، وأقام بها في خدمة خوارزم شاه أشهراً، وكان يكاتب الشيخ أبا سعد ويخضع له، ويقر بفضله..فمما كتب إليه، رسالة نسختها.

كتابي وفي الأحشاء وجد على وجد ... إلى الصدر مولانا الأجل أبي سعد
أشم طويل الباع أصبح رافعاً ... إلى قمة الأفلاك ألوية المجد
سراة بني الإسلام عقد جواهر ... وفيهم أبو سعد كواسطة العقد

سقى الله أيامنا بالعقيق ودهورنا باللوى، وأعوامنا بالخليصاء، وشهورنا بالحمى، فإن هذه المغاني لألفاظ المسرات كالمعاني، فيها أثمار أطايب الأماني، من أشجار وصال الغواني لا بل سقى مواقفنا ببلخ في المدرسة النظامية واجتماعنا في المجالس الأجلية الإمامية

مجالس مولانا أبي سعد الذي به سعد الأيام والدين والدنيا
همام حوى يوم الفخار بنانه على رغم آناف العدا قصب العليا

الإمام أبو سعد، وما أدراك ما الإمام أبو سعد، سعد كله، خير قوله وفعله، صاحب جيوش الفصاحة، ومالك رقاب البلاغة، وناظم عقد المحامد، وجامع شمل المكارم، وناشر أردية الفضل والكرم، وعامر أبنية الأدب والحكم:

لله در إمام كله أدب بفضله يتحلى العجم والعرب

الله يعلم أني وإن شط المزار، وشحطت الديار، لا أقطع أكثر أوقاتي، ولا أزجي أغلب ساعاتي، إلا في مدح معاليه، وشرح أياديه لو أنفقت جميع عمري في ذلك وسلكت طول دهري تلك المسالك:

لما كنت أقضي بعض واجب حقه ولا كنت أحصي من صنائعه عشراً

وكيف لا أبالغ في ثنائه، ولا أواظب على دعائه، وهو الذي رفع قدري، وشرح للآداب صدري، وسقاني كؤوس العلم وأحشائي صادية، وكساني حلل الفضل وعوراتي بادية، اغترفت من بحاره واقتطفت ما اقتطفت من ثماره:

وأنت الذي عرفتني طرق العلا وأنت الذي هديتني كل مقصد
وأنت الذي بلغتني كل رتبة مشيت إليها فوق أعناق حسدي

عبد مجلسه الشريف أخي عمر أيده الله ورد من خراسان ذاكراً لما يجري على لسانه الكريم في المجالس والمحافل، بين أيدي الأكابر والأماثل، من مدحي وثنائي، وتقريظي وإطرائي، فما استبدعت ذلك من خصائص كرمه، ولا استغربته من لطائف شيمه، وكانت كلماته حاملة إياي على هذا التصديع، لمجلسه الرفيع، ورأيه في سحب ذيل العفو على هذا التجاسر وتبليغ تحيتي إلى القارئين عليه، والمختلفين إليه من أبناء جنسي، وشركاء درسي يقتضي الشرف والسلام.

أبان بن تغلب بن رياح الجريري

أبو سعيد البكري، مولى بني جرير بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي. في مصنفي الإمامية، ومات أبان في سنة إحدى وأربعين ومائة.

قال أبو جعفر: هو ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي أبا محمد علي بن الحسين، وأبا جعفر، وأبا عبد الله عليهم السلام، وروى عنهم، وكانت له عندهم حظوة وقدم، قال له أبو جعفر: اجلس في

مسجد المدينة وأفت الناس، فإني أحب أن أرى في شيعتي مثلك. وقال أبو عبد الله لما أتاه نعيه: أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان.

قال: وكان قارئاً فقيهاً لغوياً نبيهاً ثبتاً وسمع من العرب وحكى عنهم، وصنف كتاب الغريب في القرآن، وذكر شواهده من الشعر، فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي، فجمع من كتاب أبان ومحمد بن السائب الكلبي وابن روق عطية بن الحارث فجعله كتاباً، فيما اختلفوا فيه وما اتفقوا عليه، فتارةً يجيء كتاب أبان مفرداً، وتارة يجيء مشتركاً، على ما عمله عبد الرحمن، ولأبان أيضاً كتاب الفضائل.

.أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا

اللؤلؤي يعرف بالأحمر البجلي، أبو عبد الله مولاهم ذكره أبو جعفر الطوسي في كتاب أخبار مصنفي الإمامية، وقال أصله الكوفة، وكان يسكنها تارة، والبصرة أخرى، وقد أخذ عنه من أهل البصرة أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبد الله محمد بن المثنى، وأبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام: روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن موسى بن جعفر، وما عرف من مصنفاته إلا كتاب جمع فيه المبدأ والمبعث، والمغازي، والوفاة، والسقيفة والردة.

إبراهيم بن أحمد بن محمد توزون

الطبري النحوي، أحد أهل الفضل والأدب، سكن بغداد، وصحب أبا عمرو الزاهد، وكتب عنه كتاب الياقوتة، وعلى النسخة التي بخطه الاعتماد من كتاب أبي عمرو كما ذكرناه في ترجمة أبي عمرو، ولقي أكابر العلماء من هذه الطبقة، وكان صحيح النقل، جيد الخط والضبط.
ذكر أبو القاسم بن الثلاج: أنه حدثه عن إبراهيم بن عبد الوهاب الأبزاري الطبري صاحب أبي حاتم السجستاني: لا أعرف له تصنيفاً غير جمعه لشعر أبي نواس، فإنها رواية مشهورة بأيدي الناس.
وقال أبو القاسم التنوخي: حدثني أبو الحسن الطبري، غلام الزاهد غلام ثعلب، وكان منقطعاً إلى بني حمدان، وقرأت بخطه قصيدة شبل بن عروة الضبعي، وقد قرأها على أبي عمر الزاهد، وتناولها من أبي محمد عبد الله بن جعفر ابن درستويه. وقد قرأ عليه إلى: "سيباً من حر سئل"، ثم قال: بلغت بقراءتي إلى ههنا، وقال لي ابن درستويه: قد دفعت إليك كتابي بخطي، من يدي إلى يدك، وقد أجزت لك القصيدة فاروها عني، فإن هذا ينوب عن السماع والقراءة، فقبلت ذلك منه.

وكتب إبراهيم بن محمد الطبري الروياني بخطه: والاعتماد عليه أولى، ولكن الخطيب قال: إبراهيم بن أحمد ابن محمد المعروف ببيروز، فإن كان نسب نفسه إلى جده فذاك، والله أعلم.

إبراهيم بن أحمد بن الليث

الأزدي اللغوي الكاتب، لا أعرف من حاله إلا ما قاله السلفي. أنشدني أبو القاسم الحسن بن الفتح الهمذاني قال: أبو المظفر إبراهيم بن أحمد ابن الليث الأزدي اللغوي الكاتب قدم علينا همذان، وقد حضر مجلسه الأدباء والنحاة لمحله من الأدب:

وقد أغدو وصاحبتي محوص — على عذراء ناء بها الرهيص

كأن ثني النحوص على ذراها — حوائم ما لها عنه محيص

إبراهيم بن إسحاق الحربي

نقلت من كتاب أبي بكر الخطيب قال: إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله بن ديسم، أبو إسحاق الحربي، ولد سنة ثمان وتسعين ومائة، ومات ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين في ذي الحجة، ودفن في بيته في شارع باب الأنبار، وكان الجمع كثيراً جداً.

وكان قد سمع أبا نعيم الفضل بن دكين، وعفان ابن مسلم، وعبيد الله بن محمد بن عائشة، وأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وعبيد الله القواريري، وخلقاً من أمثالهم، روى عنه موسى بن هرون الحافظ، ويحيى بن صاعد، وأبو بكر بن أبي داود والحسين المحاملي، ومحمد بن مخلد، وأبو بكر الأنباري النحوي، وأبو عمر الزاهد صاحبه، وخلق كثير غيرهم. وكان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام حافظاً للحديث، مميزاً لعلله، قيماً بالأدب، جماعاً للغة، وصنف كتباً كثيرة، منها: كتاب غريب الحديث.

وأصله من مرو، وكان يقول: أمي تغلبية، وأخوالي نصارى أكثرهم. وقيل: لم سميت إبراهيم الحربي؟ فقال: صحبت قوماً من الحربية فسموني الحربي بذلك. وحدث أحمد بن عبد الله بن خالد بن ماهان المعروف بابن أسد، قال: سمعت إبراهيم الحربي يقول: أجمع عقلاء الأمة أنه من لم يجر مع القدر، لم يهنأ بعيشه، كان يكون قميصي أنظف قميص، وإزاري أوسخ إزار، ما حدثت نفسي أنهما يستويان قط، وفرد عقبي مقطوع، وفرد عقبي الآخر صحيح، أمشي بهما، وأدور بغداد كلها، هذا الجانب، وذاك الجانب، لا أحدث نفسي أني أصلحهما، وما شكوت إلى أمي، ولا إلى أختي، ولا إلى امرأتي، ولا إلى

بناتي قط حمى وجدتها. الرجل هو الذي يدخل غمه على نفسه، ولا يغم عياله.

كان بي شقيقة خمساً وأربعين سنة، ما أخبرت بها أحداً قط، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين، ما أخبرت به أحداً، وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيف في اليوم والليلة، إن جاءتني امرأتي أو إحدى بناتي أكلته، وإلا بقيت جائعاً عطشان إلى الليلة الأخرى، والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة إن كان برنياً، أو نيفاً وعشرين إن كان دقلاً، ومرضت ابنتي فمضت امرأتي فأقامت عندها شهراً، فقام إفطاري في هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف، ودخلت الحمام واشتريت لهم صابوناً بدانقين، فقام بقية شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانيق ونصف، ولا تزوجت ولا زوجت قط، ولا أكلت من شيء واحد في يوم مرتين.

وحدث أحمد بن سليمان القطيعي قال: أضقت إضاقة شديدة، فمضيت إلى إبراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه، فقال لي: لا يضق صدرك، فإن الله من وراء المعونة، وإني أضقت مرة حتى انتهى أمري في الإضاقة إلى عدم عيالي القوت، فقالت لي الزوجة: هب أني وإياك نصبر، فكيف تصنع بهاتين الصبيتين؟ فهات شيئاً من كتبك نبيعه أو نرهنه، فضنت بذلك وقلت: اقترضي لهما شيئاً، وأنظريني بقية اليوم والليلة، وكان لي بيت في دهليز داري فيه كتبي فكنت أجلس فيه للنسخ والنظر، فلما كان في تلك الليلة، إذا داق يدق الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: رجل من الجيران، فقلت ادخل فقال أطف السراج حتى أدخل، فكببت على السراج شيئاً وقلت ادخل فدخل وترك إلى جانبي شيئاً وانصرف فكشفت عن السراج، فنظرت فإذا منديل له قيمة، وفيه أنواع من الطعام، وكاغد فيه خمسمائة درهم، فدعوت الزوجة وقلت: نبهي الصبيا حتى يأكلوا، ولما كان من الغد قضينا ديناً كان عليا من تلك الدراهم.

وكان مجيء الحاج من خراسان، فجلست على بابي من غد تلك الليلة، وإذا جمال يقود جملين عليهما حملان ورقاً، وهو يسأل عن مترل إبراهيم الحربي، فانتهى إلي فقلت: أنا إبراهيم الحربي، فحط الحملين وقال: هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان، فقلت من هو؟ فقال قد استحلفني ألا أقول لك من هو؟.

وحدث أبو عثمان الرازي قال: جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله عن أمير المؤمنين أن يفرق ذلك، فرده وانصرف الرسول، ثم عاد فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك، فقال له: عافاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه، فلا نشغلها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا، وإلا تحولنا من جوارك.

وحدث أبو القاسم الجيلي قال: اعتل إبراهيم بن إسحاق الحربي علة حتى أشرف على الموت، فدخلت عليه يوماً فقال: يا أبا القاسم، أنا في أمر عظيم مع ابنتي، ثم قال لها قومي واخرجي إلى عمك، فخرجت

وألقت على وجهها خمارها، فقال إبراهيم: هذا عمك كلميه، فقالت لي يا عم: نحن في أمر عظيم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهر والدهر ما لنا طعام إلا كسر يابسة وملح، وربما عدمنا الملح، وبالأمس قد وجه إلينا المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها، ووجه إليه فلان وفلان، فلم يأخذ منها شيئاً وهو عليل، فالتفت الحربي إليها وتبسم وقال: يا بنية، خفت الفقر؟ فقالت نعم، فقال لها: انظري إلى تلك الراوية، فنظرت فإذا كتب، فقال لها: هناك اثنا عشر ألف جزء، لغة وغريب، كتبته بخطي، إذا مت فوجهي في كل يوم بجزء تبيعينه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقيراً.

وحدث أبو عمر الزاهد وابن المنادى: سمعت ثعلباً يقول: ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة.

وحدث أبو بكر الشافعي قال: قال إبراهيم الحربي: ما أخذت على علم قط أجراً إلا مرة واحدة، فإني وقفت على بقال فوزنت له قيراطاً إلا فلساً، فسألني عن مسألة فأجبته، فقال للغلام: أعط بقيراط ولا تنقصه شيئاً فزادني فلساً. وحدث إبراهيم الحربي، وقد سألوه عن حديث عباس البقال فقال: خرجت إلى الكبش ووزنت لعباس البقال دانقاً إلا فلساً فقال لي يا أبا إسحاق: حدثني حديثاً في السخاء، فلعل الله يشرح صدري فأعمل شيئاً، قال قلت له نعم: روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة، فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة، ويطعم الكلب لقمة، إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته؟ فلم تغابنه فيه بشيء، فقال: استحت عيناي من عينيه أن أغابنه، فقال له الحسن: أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك، فمر فاشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام فقال: يا غلام، قد اشتريتك، فقام قائماً، فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي، قال: وقد اشتريت الحائط، وأنت حر لوجه الله تعالى، والحائط هبة مني إليك، فقال الغلام: يا مولاي، قد وهبت الحائط للذي وهبتني له: قال إبراهيم: فقال عباس البقال: حسن والله يا أبا إسحاق. يا غلام: لأبي إسحاق دانق إلا فلساً، أعطه بدانق ما يريد ولا تقصه شيئاً فقلت: والله لا أخذت إلا بدانق إلا فلساً.

وحدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كان أبي يقول لي: امض إلى إبراهيم الحربي يلق عليك الفرائض، قال: ولما مات سعد بن أحمد بن حنبل، جاء إبراهيم الحربي إلى عبد الله، فقام إليه عبد الله، فقال: تقوم إلي؟ فقال: لم لا أقوم إليك؟ والله لو رآك أبي لقام إليك، قال والله لو رأى ابن عيينة أباك لقام إليه، وقال إبراهيم الحربي: إن في كتاب غريب الحديث الذي صنفه أبو عبيد ثلاثة وخمسين حديثاً ليس لها أصل، وقد أعلمت علتها في كتاب الشروي، منها: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم وفي يدها مناجذ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبس السراويلات المخرفجة، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قاهة،

وقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أمرت بهذا البيت فسفروا، عن النبي أنه قال للنساء: إذا جعتن خجلتن، وإذا شبعتن دقعتن. وحدث أبو العباس بن مسروق قال: قال لي إبراهيم الحربي: لا تحدث فتسخن عينك، كما سخنت عيني، قلت له فما أعمل؟ قال تطأطيء رأسك وتسكت، قلت له فأنت لم تحدث؟ قال: ليس وجهي من خشب. وحدث محمد بن عبد الله الكاتب قال: كنت يوماً عند المبرد فأنشدنا:

جسمي معي غير أن الروح عندكم   فالجسم في غربة والروح في وطن

فليعجب الناس مني أن لي بدناً   لا روح فيه ولي روح بلا بدن

ثم قال: ما أظن أن الشعراء قالوا أحسن من هذا. قلت: ولا قول الأخرق؟ قال هيه قلت الذي يقول:

فارقتكم وحييت بعدكم   ما هكذا كان الذي يجب

فالآن ألقى الناس معتذراً   من أن أعيش وأنتم غيب

قال ولا هذا: قلت ولا قول خالد الكاتب؟

روحان لي روح تضمنها   بلد وأخرى حازها بلد

وأظن غائبتي كشاهدتي   بمكانها تجد الذي أجد

قال ولا هذا. قلت: أنت إذا هويت شيئاً ملت إليه و لم تعدل إلى غيره، قال: لا ولكنه الحق، فأتيت ثعلباً فأخبرته فقال ثعلب: ألا أنشدته:

غابوا فصار الجسم من بعدهم   ما تنظر العين له فيا

بأي وجه أتلقاهم   إذا رأوني بعدهم حياً؟

يا خجلتي منهم ومن قولهم   ما ضرك الفقد لنا شيا

قال: وأتيت إبراهيم الحربي فأخبرته فقال: ألا أنشدته:

يا حيائي ممن أحب إذا ما   قلت بعد الفراق إني حييت

لو صدقت الهوى حبيباً على الصح   ة لما نأى لكنت أموت

قال: فرجعت إلى المبرد فقال: أستغفر الله إلا هذي البيتين، يعني بيتي إبراهيم.

قال: وأنشد رجل إبراهيم قول الشاعر:

أنكرت ذلي فأي شيء   أحسن من ذلة المحب

أليس شوقي وفيض دمعي   وضعف جسمي شهود حبي؟

فقال إبراهيم: هؤلاء شهود ثقات. قال: وأنشد بعضهم لإبراهيم الحربي:

إثنان إذا عدا فخير لهما الموت

فقير ما له زهد وأعمى ما له صوت

وروى عن إبراهيم الحربي أنه قال: ما أنشدت شيئاً من الشعر قط إلا قرأت بعده "قل هو الله أحد، ثلاث مرات".

وحدث الطوماري قال: دخلت على إبراهيم الحربي وهو مريض، وقد كان يحمل ماؤه إلى الطبيب، وكان يجيء إليه ويعالجه، وردت الجارية الماء وقالت: مات الطبيب، فقال:

إذا مات المعالج من سقام فيوشك للمعالج أن يموتا

ودخل عليه قوم يعودونه فقالوا: كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال أجدني كما قال:

دب في السقام سفلاً وعلواً وأراني أذوب عضواً فعضوا

بليت جدتي بطاعة نفسي وتذكرت طاعة الله نضوا

قال أبو الحسن الدار قطني: إبراهيم الحربي ثقة، وكان إماماً يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه، وهو إمام مصنف عالم بكل شيء، بارع في كل علم صدوق، وذكر وفاته كما تقدم، هذا آخر ما نقلته من تاريخ الخطيب. نقلت من خط الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن وهبان صديقنا ومفيدنا، قال: نقلت من خط أبي بكر محمد بن منصور السمعاني، سمعت أبا المعالي ثابت بن بندار البقال يقول: حكى لنا البرقاني "رحمه الله" قال: كان إسماعيل بن إسحاق القاضي يشتهي رؤية إبراهيم الحربي، وكان إبراهيم لا يدخل عليه، يقول: لا أدخل داراً عليها بواب، فأخبر إسماعيل بذلك، فقال: أنا أدع بابي كباب الجامع فجاء إبراهيم إليه، فلما دخل عليه خلع نعليه، فأخذ أبو عمر محمد بن يوسف القاضي نعليه ولفهما في منديل دبيقي وجعله في كمه وجرى بينهما علم كثير، فلما قام إبراهيم التمس نعليه فأخرج أبو عمر النعل من كمه، فقال له إبراهيم: غفر الله لك كما أكرمت العلم، فلما مات أبو عمر القاضي رئي في المنام، فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال أجيبت في دعوة إبراهيم الحربي، رحمه الله.

وحدثني صديقنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمود بن النجار حرسه الله قال: حدثني أبو بكر أحمد ابن سعيد بن أحمد الصباغ الأصبهاني بها قال:

حدثنا أحمد بن عمر بن الفضل الحافظ الأصبهاني، ويعرف بجنك إملاء، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد المقري، يعني أبا علي الحداد قال: أظنه عن أبي نعيم، أنه كان يحضر في مجلس إبراهيم الحربي جماعة من

الشبان للقراءة عليه، ففقد أحدهم أياماً، فسأل عنه من حضر، فقالوا: هو مشغول، فسكت، ثم سألهم مرة أخرى في يوم آخر، فأجابوه بمثل ذلك، وكان الشاب قد ابتلي بمحبة شخص شغله عن حضور مجلسه، وعظموا إبراهيم الحربي أن يخبروه بجلية الحال، فلما تكرر السؤال عنه، وهم لا يزيدونه على أنه مشغول، قال لهم: يا قوم، إن كان مريضاً فقوموا بنا لعيادته، أو مديوناً اجتهدنا في مساعدته، أو محبوساً سعينا في خلاصه، فخبروني عن جلية حاله، فقالوا: نجلك عن ذلك، فقال لابد أن تخبروني، فقالوا إنه قد ابتلي بعشق صبي، فوجم إبراهيم ساعة ثم قال: هذا الصبي الذي ابتلي بعشقه مليح أو قبيح؟ فعجب القوم من سؤاله عن مثل ذلك مع جلالته في أنفسهم، وقالوا: أيها الشيخ، مثلك يسأل عن مثل هذا؟ فقال: إنه بلغني أن الإنسان إذا ابتلي بمحبة صورة قبيحة كان بلاء يجب الاستعاذة من مثله، وإن كان مليحاً كان ابتلاء يجب الصبر عليه، واحتمال المشقة فيه، قال فعجبنا مما أتى به، قلت: هذه الحكاية مع الإسناد، حدثنيه مفاوضة بحلب، و لم يكن أصله معه فكتبته بالمعنى، واللفظ يزيد وينقص. ومن مصنفات إبراهيم الحربي. كتاب سجود القرآن، كتاب مناسك الحج، كتاب الهدايا والسنة فيها، كتاب الحمام وآدابه.

والذي خرج من تفسيره لغريب الحديث، مسند أبي بكر رضي الله عنه، مسند عمر رضي الله عنه، مسند عثمان رضي الله عنه، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مسند الزبير رضي الله عنه مسند طلحة رضي الله عنه مسند سعد ابن أبي وقاص، مسند عبد الرحمن بن عوف، مسند العباس رضي الله عنه مسند شيبة بن عثمان رضي الله عنه مسند عبد الله بن جعفر مسند المسور بن مخرمة رضي الله عنه، مسند المطلب ابن ربيعة، مسند السائب، مسند خالد ابن الوليد، مسند أبي عبيدة بن الجراح، مسند ما روى عن معاوية، مسند ما روي عن عاصم بن عمر، مسند صفوان بن أمية، مسند جبلة بن هبيرة، مسند عمرو ابن العاص، مسند عمران بن الحصين، مسند حكيم بن حزام، مسند عبد الله بن زمعة، مسند عبد الرحمن بن سمرة، مسند عبد الله بن عمرو، مسند عبد الله بن عمر.

إبراهيم بن إسحاق الأديب

اللغوي أبو إسحاق الضرير البارع، سمع الحديث بالبصرة والأهواز وببغداد، بعد الأربعين والثلاثمائة، وكان من الشعراء المجودين، طاف بعض الدنيا، ثم استوطن نيسابور، إلى أن مات بها في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، "وكان من الشعراء المجودين"، وممن تعلم الفقه والكلام قال ذلك كله الحاكم. ولقيه وروى عنه شيئاً.

إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله

الطرابلسي، يعرف بابن الأجدابي، وأجدابية من نواحي أفريقية. له أدب، وحفظ، ولغة، وتصانيف، ومن مشاهيرها: كتاب كفاية المتحفظ، صغير الحجم، كثير النفع، وكتاب الأنواء.

إبراهيم بن السري بن سهل

أبو إسحاق النحوي قال الخطيب: كان من أهل الدين والفضل، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب، مات في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.
وحكى ابن مهذب في تاريخه. حدثني الشيخ أبو العلاء المعري أنه سمع عنه ببغداد، أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنه، فعقد لهم سبعين، وآخر ما سمع منه: اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل: وأبو إسحاق هو أستاذ أبي علي الفارسي.

قال الخطيب بإسناده، قال أبو محمد عبد الله بن درستويه النحوي: حدثني الزجاج قال: كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو، فلزمت المبردلتعلمه، وكان لا يعلم مجاناً ولا يعلم بأجرة إلا على قدرها، فقال لي: أي شيء صناعتك؟ قلت: أخرط الزجاج، وكسبي في كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف، وأريد أن تبالغ في تعليمي، وأنا أعطيك كل يوم درهماً، وأشرط لك أن أعطيك إياه أبداً، إلى أن يفرق الموت بيننا، استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه، قال: فلزمته، وكنت أخدمه في أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم، فينصحني في العلم، حتى استقللت، فجاء كتاب بعض بني مارقة من الصراة يلتمسون معلماً نحوياً لأولادهم، فقلت له أسمني لهم، فأسماني، فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ إليه في كل شهر ثلاثين درهماً، وأزيده بعد ذلك بما أقدر عليه، ومضت مدة على ذلك، فطلب منه عبيد الله بن سليمان مؤدباً لابنه القاسم، فقال له: لا أعرف لك إلا رجلاً بالصراة مع بني مارقة، قال: فكتب إليهم عبيد الله فاستنزلهم عني، فنزلوا له، فأحضرني وأسلم القاسم إلي، فكان ذلك سبب غنائي، وكنت أعطي المبرد ذلك الدرهم في كل يوم إلى أن مات، ولا أخليه من التفقد بحسب طاقتي، قال فكنت أقول للقاسم بن عبيد الله: إن بلغك الله مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي؟ فيقول: ماذا أحببت؟ فأقول له: تعطيني عشرين ألف دينار، وكانت غاية أمنيتي، فما مضت سنون حتى ولي القاسم الوزارة، وأنا على ملازمتي له، وصرت نديمه، فدعتني نفسي إلى إذكاره بالوعد، ثم هبته، فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق، لم أرك أذكرتني بالنذر، فقلت: عولت على رعاية الوزير أيده الله، وأنه لا يحتاج إلى إذكار بنذر عليه في أمر خادم واجب الحق، فقال لي: إنه المعتضد، ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك إليك في مكان واحد، ولكني أخاف أن يصير لي معه حديث، فاسمح بأخذه متفرقاً، فقلت يا سيدي أفعل، فقال: اجلس للناس

وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستجعل عليها، ولا تمتنع عن مسألتي شيئاً تخاطب فيه، صحيحاً كان أو محالاً، إلى أن يحصل لك مال النذر، قال: ففعلت ذلك، وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً، فيوقع لي فيها، وربما قال لي: كم ضمن لك على هذا؟ فأقول كذا وكذا، فيقول لي غبنت، هذا يساوي كذا وكذا إرجع فاستزد، فأراجع القوم، فلا أزال أماكسهم ويزيدوني، حتى أبلغ الحد الذي رسمه، قال وعرضت عليه شيئاً عظيماً، فحصلت عندي عشرون ألف دينار، وأكثر منها في مديدة، فقال لي بعد شهور يا أبا إسحاق، حصل مال النذر؟ فقلت لا، فسكت، وكنت أعرض عليه فيسألني في كل شهر ونحوه حصل المال؟ فأقول لا، خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل لي ضعف ذلك المال.

وسألني يوماً فاستحييت من الكذب المتصل، فقلت قد حصل ذلك ببركة الوزير، فقال فرجت والله عني، فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك، قال ثم أخذ الدواة فوقع إلى خزانه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذها، وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً، و لم أدر كيف أقع منه؟ فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمي فأومأ إلى أن هات ما معك، يستدعي مني الرقاع على الرسم، فقلت ما أخذت من أحد رقعة، لأن النذر وقع الوفاء به، و لم أدر كيف أقع من الوزير؟ فقال يا سبحان الله! أتراني أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة؟ وعلم به الناس، وصارت لك به منزلة عندهم وجاه، وغدو ورواح إلى بابك، ولا يعلم سبب انقطاعه، فيظن ذلك لضعف جاهك عندي، أو تغير رتبتك عندي، اعرض علي رسمك، وخذ بلا حساب، فقبلت يده، وباكرته من غد بالرقاع، فكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأثلت حالي هذه.

وحدث أبو علي الفارسي النحوي قال: دخلت مع شيخنا أبي إسحاق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير، فورد عليه خادم وساره بشيء استبشر له، ثم تقدم إلى شيخنا أبي إسحاق بالمكوث إلى أن يعود، ثم نهض فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم، فسأله شيخنا عن ذلك، لأنس كان بينه وبينه، فقال له: كانت تختلف إلينا جارية لإحدى المغنيات، فسمتها أن تبيعني إياها فامتنعت من ذلك، ثم أشار عليها أحد من ينصحها أن تهديها إلي، رجاء أن أضاعف لها ثمنها، فلما وردت أعلمني الخادم بذلك، فنهضت مستبشراً لأفتضها، فوجدتها قد حاضت، فكان مني ما ترى، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه وكتب:

فارس ماض بحربته	حاذق بالطعن في الظلم
رام أن يدمي فريسته	فاتقته من دم بدم

قال: وجرى بين الزجاج وبين المعروف بمسيند، وكان من أهل العلم تنمر، فاتصل ونسجه إبليس وألحمه، حتى خرج إبراهيم بن السري إلى حد الشتم، فكتب إليه مسيند:

أبي الزجاج إلا شتم عرضي ... لينفعه فأثمه وضره
وأقسم صادقاً ما كان حر ... ليطلق لفظة في شتم حره
ولو أني كررت لفر مني ... ولكن للمنون علي كره
فأصبح قد وقاه الله شري ... ليوم لا وقاه الله شره

فلما اتصل هذا الشعر بالزجاج قصده راجلاً حتى اعتذر إليه وسأله الصفح. كل هذا من تاريخ الخطيب إبراهيم.

أنبأنا يزيد بن الحسن الكندي عن أبي منصور الجواليقي عن المبارك الصيرفي، عن علي بن أحمد بن الدهان، عن عبد السلام بن حسن البصري، قال: كتب إلينا أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي من الموصل قال: قال أبو إسحاق بن السري الزجاج رحمه الله، دخلت على أبي العباس ثعلب رحمه الله، في أيام أبي العبلس محمد بن يزيد المبرد وقد أملى شيئاً من المقتضب، فسلمت عليه وعنده أبو موسى الحامض، وكان يحسدني شديداً، ويجاهرني بالعداوة، وكنت ألين له وأحتمله لموضع الشيخوخة، فقال لي أبو العباس: قد حمل إلي بعض ما أملاه هذا الخلدي، فرأيته لا يطوع لسانه بعبارة، فقلت له إنه لا يشك في حسن عبارته اثنان، ولكن سوء رأيك فيه يعيبه عندك، فقال: ما رأيته إلا ألكن متغلقاً، فقال أبو موسى: والله إن صاحبكم ألكن يعني سيبويه، فأحفظني ذلك، ثم قال: بلغني عن الفراء أنه قال: دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه، فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدراية وحسن الفطنة، فأتيته فإذا هو أعجم لا يفصح، سمعته يقول لجارية له: هات ذيك الماء من ذاك الجرة، فخرجت من عنده و لم أعد إليه، فقلت له: هذا لا يصح عن الفراء، وأنت غير مأمون في هذه الحكاية، ولا يعرف أصحاب سيبويه من هذا شيئاً، وكيف تقول هذا لمن يقول في أول كتابه: هذا باب علم ما الكلم من العربية؟ وهذا يعجز عن إدراك فهمه كثير من الفصحاء، فضلاً عن النطق به: فقال ثعلب: قد وجدت في كتابه نحواً من هذا، قلت: ما هو؟ قال يقول في كتابه في غير نسخة: حاشا حرف يخفض ما بعده كما تخفض حتى، وفيها معنى الاستثناء، فقلت له: هذا كذا في كتابه، وهو صحيح، ذهب في التذكير إلى الحرف، وفي التأنيث إلى الكلمة، قال: والأجود أن يحمل الكلام على وجه واحد، قلت: كل جيد، قال الله تعالى: "ومن يقنت منكن لله ورسوله ويعمل صالحاً". وقرئ وتعمل صالحاً. وقال عز وجل: "ومنهم من يستمعون إليك" ذهب إلى المعنى، ثم قال: "ومنهم من ينظر إليك" ذهب إلى اللفظ، وليس لقائل أن يقول: لو حمل الكلام على وجه واحد في

الاثنين كان أجود، لأن كلا جيد، فأما نحن فلا نذكر حدود الفراء، لأن صوابه فيه أكثر من أن يعد، ولكن هذا أنت: عملت كتاب الفصيح للمبتدئ المتعلم، وهو عشرون ورقة، أخطأت في عشرة مواضع منه قال لي اذكرها، قلت له نعم، قلت وهو عرق النسا، ولا يقال عرق النسا، كما لا يقال عرق الأبهر، ولا عرق الأكحل.

قال امرؤ القيس:

فأنشب أظفاره في النسا فقلت هبلت ألا تنتصر

وقلت: حلمت في النوم أحلم حلماً، ليس بمصدر، وإنما هو اسم، قال الله تعالى: "والذين لم يبلغوا الحلم منكم" وإذا كان للشيء مصدر واسم، لم يوضع الاسم موضع المصدر، ألا ترى أنك تقول: حسبت الشيء أحسبه حسباً وحساباً، والحسب المصدر، والحساب الاسم، ولو قلت ما بلغ الحسب إليك ورفعت الحسب إليك لم يجز، وأنت تريد ورفعت الحساب إليك، وقلت: رجل عزب، وامرأة عزبة، وهذا خطأ، إنما يقال رجل عزب، وامرأة عزب، لأنه مصدر وصف به فلا يجمع ولا يثنى، ولا يؤنث، كما يقال رجل خصم وامرأة خصم، وقد أتيت بباب من هذا النوع في الكتاب، وأفردت هذا منه، قال الشاعر:

يا من يدل عزباً على عزب

وقالت كسرى بكسر الكاف وهذا خطأ، إنما هو كسرى، والدليل على ذلك أنا وإياكم لا نختلف في النسب إلى كسرى، يقال كسروي بفتح الكاف، وليس هذا مما يغير بالنسب لبعده منها، ألاترى أنك لو نسبت إلى معزى لقلت معزوي، وإلى درهم قلت درهمي ولا يقال معزوي ولا درهمي، وقلت: وعدت الرجل خيراً وشراً، فإذا لم تذكر الشر قلت أوعدته بكذا، نقضاً لما أصلت، لأنك قلت بكذا، وقولك بكذا كناية عن الشر، والصواب أن تقول إذا لم تذكر الشر قلت أوعدته، وقلت: وهم المطوعة، وإنما هم المطوعة، بتشديد الطاء كما قال الله تعالى: "يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات" فقال ما قلت إلا المطوعة، فقلت: هكذا قرأته عليك، وقرأه غيري وأنا حاضر أسمع مراراً. وقلت هو لرشدة وزنية، كما هو لغية، والباب فيها واحد، لأنه إنما يريد المرة الواحدة، ومصادر الثلاثي إذا أردت المرة الواحدة لم تختلف، تقول ضربته ضربة، وجلست جلسة وركبت ركبة، لا اختلاف في ذلك بين أحد من النحويين، وإنما تكسر من ذلك ما كان هيئة حال، فتصفها بالحسن والقبح وغيرهما، فتقول: هو حسن الجلسة والسيرة والركبة، وليس هذا من ذلك. وقلت: أسنمة للبلدة، ورواه الأصمعي بضم الهمزة أسنمة، فقال: ما روى ابن الأعرابي وأصحابنا إلا أسنمة، فقلت قد علمت أنت أن الأصمعي أضبط لما يحكى، وأوثق

فيما يروى، وقلت: إذا عز أخوك فهن، والكلام فهن، وهو من هان يهين إذا لان، ومنه قيل هين لين، لأن هن من هان يهون من الهوان، والعرب لا تأمر بذلك، ولا معنى لهذا الكلام يصح لو قالته العرب، ومعنى عز ليس من العزة التي هي المنعة والقدرة، وإنما هو من قولك عز الشيء إذا اشتد، ومعنى الكلام: إذا صعب أخوك واشتد فذل من الذل له، ولا معنى للذل ههنا، كما تقول إذا صعب أخوك فلن له، قال فما قرئ عليه كتاب الفصيح بعد ذلك علمي، ثم بلغني أنه سئم ذلك، فأنكر كتاب الفصيح أن يكون له.

قال المؤلف: وهذه المآخذ التي أخذها الزجاج على ثعلب لم يسلم إليه العلماء باللغة فيها، وقد ألفوا تآليف في الانتصار لثعلب يضيق هذا المختصر عن ذكرها.

وحدث الزجاج قال: أنشدنا أبو العباس المبرد:

في انقباض وحشمة فإذا ... رأيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها ... وجئت ما جئت غير محتشم

قال عبيد الله الفقير: وهذان البيتان يرويان لمحمد بن كناسة، وقد رواهما آخرون لأبي نواس، قال الزجاج: فقلت له: أليس يقول الأصمعي الحشمة الغضب؟ والحشمة الاستحياء، لأن الغضب والاستحياء جميعاً نقصان في النفس، وانحطاط عن الكمال، فلذلك كان مخرجهما واحداً، قال: فقلت له: أليس الحياء محموداً، والغضب مذموماً؟؟ وقد روي أن الحياء شعبة من الإيمان، وقد قيل: إذا لم تستح فافعل ما تشاء، فقال: الحياء محمود في الدين، وفي اجتناب المحارم، وفي الإفضال، وأما في ترك الحقوق، والنكوص عن الخصوم عند الحجاج، فهو نقصان في النفس.

قال أبو العباس: وسمعت المازني يقول: معنى قولهم إذا لم تستح فاصنع ما شئت أي إذا صنعت ما لا تستحي من مثله فاصنع ما شئت، وليس على ما يذهب إليه العوام، وهذا تأويل حسن.

قال حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب الموازنة: كان الزجاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإن نقص حروف إحداهما عن حروف الأخرى فإن إحداهما مشتقة من الأخرى، فيقول الرجل مشتق من الرجل، والثور إنما يسمى ثوراً لأنه يثير الأرض، والثوب إنما سمي ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً، حسيبه الله، كذا قال، قال: وزعم أن القرنان إنما سمى قرناناً لأنه مطيق لفجور امرأته، كالثور القرنان أي المطيق لحمل قرنه، وفي القرآن "وما كنا له مقرنين" أي مطيقين قال: وحكى يحيى بن علي بن يحيى المنجم، أنه سأله بحضرة عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم، من أي شيء اشتق الجرجير؟ قال لأن الريح تجرجره، قال وما معنى تجرجره؟ قال تجرره، قال ومن هذا قيل للحبل الجرير، لأنه يجر على الأرض،

قال: والجرة لم سميت جرة؟ قال: لأنها تجر على الأرض، فقال لو جرت على الأرض لانكسرت، قال: فالمجرة لم سميت مجرة؟ قال لأن الله جرها في السماء جراً، قال: فالجرجور الذي هو اسم المائة من الإبل لم سميت به؟ قال: لأنها تجر بالأزمة وتقاد، قال: فالفصيل المجر، الذي يشق طرف لسانه، لئلا يرتضع أمه، ما قولك فيه؟ قال لأنهم جروا لسانه حتى قطعوه، قال فإن جروا أذنيه فقطعوه تسميه مجراً؟ قال لا يجوز ذلك، فقال يحيى بن علي: قد نقضت العلة التي أتيت بها على نفسك، ومن لم يدر أن هذا مناقضة فلا حس له، قال حمزة: وشهدت ابن العلاف الشاعر وعنده من يحكي عن كتاب الزجاج أشياء من شنيع الاشتقاق الذي فيه، ثم قال إني حضرته وقد سئل عن اشتقاق القصة، قال لأنها تقصع الجوع أي تكسره، قال ابن العلاف يلزمه أن يقول: الخضض مشتق من الخضيض. والعصفر مشتق من العصفور، والدب مشتق من الدب، والعذب من الشراب مشتق من العذاب، والخريف من الخروف، والعقل مشتق من العاقول، والحلم مشتق من الحلمة، والإقليم مشتق من القلم، والخنفساء من الفساء، والخنثى من الأنثى، والمخنث من المؤنث، ضرط إبليس على ذا من أدب.

وقال ابن بشران: كان أبو إسحاق الزجاج يترل بالجانب الغربي من بغداد، في الموضع المعروف بالدويرة، وأنشدت له:

قعودي لا يرد الرزق عني	ولا يدنيه إن لم يقض شي
قعدت فقد أتاني في قعودي	وسرت فعافني والسير لي
فلما أن رأيت القصد أدنى	إلى رشدي وأن الحرص غي
تركت لمدلج دلج الليالي	ولي ظل أعيش به وفي

حدث أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي البصري قال: لما مات أبو العباس أحمد بن يحيى بكى أبو إسحاق الزجاج، فقلت ما بكاؤك؟ فقال لي: أين يذهب بك؟ أليس كان يقال: أحمد بن يحيى جالس وإبراهيم الزجاج اليوم؟ فقال الزجاج ونفطويه وابن الأنباري: مات الناقد، ونفقت البهارج.

وحدث المرزباني في كتاب المقتبس، و لم يذكر من خبره غير هذه القصة، وذكرها ابن النديم في فهرسته، قالا جميعاً: كان السبب في اتصال أبي إسحاق الزجاج بالمعتضد، أن بعض الندماء وصف للمعتضد كتاب جامع النطق الذي عمله مجبرة النديم، قال محمد بن إسحاق خاصة، واسم مجبرة محمد بن يحيى بن أبي عباد، ويكنى أبا جعفر، واسم أبي عباد جابر بن زيد بن الصباح العسكري، وكان حسن الأدب، ونادم المعتضد، وجعل كتابه جداول، رجع الكلام إلى اتفاقهما، فأمر المعتضد القاسم بن عبيد الله أن يطلب من

يفسر تلك الجداول، فبعث إلى ثعلب وعرضه عليه فلم يتوجه إلى حساب الجداول، وقال لست أعرف هذا، وإن أردتم كتاب العين فموجود، ولا رواية له فكتب ابن عبيد الله إلى المبرد أن يفسرها، فأجابهم: إنه كتاب طويل، يحتاج إلى تعب وشغل، وإنه قد كبر وضعف عن ذلك، وإن دفعتموه إلى صاحبي إبراهيم بن السري رجوت أن يفي بذلك، فتغافل القاسم عن مذاكرة المعتضد بالزجاج حتى ألح عليه المعتضد، فأخبره بقول ثعلب والمبرد وأنه أحال على الزجاج، فتقدم إليه بالتقدم إلى الزجاج بذلك، ففعل القاسم، فقال الزجاج: أنا أعمل ذلك على غير نسخة، ولا نظر في جدول، فأمره بعمل الثنائي، فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب والسكري وغيرهما، لأنه كان ضعيف العلم باللغة، ففسر الثنائي كله، وكتبه بخط الترمذي الصغير أبي الحسن، وجلده، وحمله إلى الوزير، وحمله الوزير إلى المعتضد، واستحسنه وأمر له بثلاثمائة دينار، وتقدم إليه بتفسيره كله، و لم يخرج مما عمله الزجاج نسخة إلى أحد، إلا إلى خزانة المعتضد ووزيره.

وقال ابن النديم: ثم ظهر في كتاب السلطان هذا التفسير منقطعاً، ورأيناه في طلحي لطيف، وصار للزجاج بهذا السبب مترلة عظيمة، وجعل له رزق في الندماء، ورزق في الفقهاء، ورزق في العلماء، نحو ثلاثمائة دينار، قال ابن النديم: وللزجاج من الكتب: كتاب ما فسره من جامع النطق، كتاب معاني القرآن، "قرأت على ظهر كتاب المعاني: ابتدأ أبو إسحاق بإملاء كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين وأتمه في شهر ربيع الأول، سنة إحدى وثلثمائة"، كتاب الاشتقاق، كتاب القوافي، كتاب العروض، كتاب الفرق، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب مختصر النحو، كتاب فعلت وأفعلت، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، كتاب شرح أبيات سيبويه، كتاب النوادر.

إبراهيم بن سعدان بن حمزة

الشيباني المؤدب، ذكره المرزباني في كتابه وقال: كان أبو الحسن العتري كثير الرواية عنه، يروى عنه الأخبار، ومستحسن الأشعار. وكان لسعدان بن المبارك النحوي ابن يسمى إبراهيم، روى عن أبيه النقائض، ورواها عنه أبو سعيد السكري، ولست أعلم أهو الذي نسبه العتري إليه أم غيره؟ لأن العتري نسبه إلى سعدان بن حمزة الشيباني، والله أعلم. كل هذا كلام المرزباني.

وكان إبراهيم بن سعدان النحوي فيما رواه أحمد بن أبي طاهر، يؤدب المؤيد، وكان ذا مترلة عنده.

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى أبي إسحاق الطلي أحمد بن محمد بن حسان في جمال إبراهيم بن سعدان:

ألا أيها العير المصرف لونه بلونين في قر الشتاء وفي الصيف

هلم وقاك الله من كل آفة إلى مجد مولاك الشفيق على الضيف

وحدث المرزباني عن عبد الله بن يحيى العسكري، عن أبي إسحاق الطلي قال: أخبرنا إبراهيم بن سعدان، قال: حرفان فيهما أربع وعشرون نقطة لا يعرف مثلهما حكاهما أبو الحسن الجبائي، تتقتقت أي صعدت في الجبل، وتبشبشت من البشاشة، وحرف في القرآن هجاؤه عشرة أحرف متصلة، ليس في القرآن مثله في سورة النور: "ليستخلفنهم في الأرض".

وحدث المرزباني عن الصولي عن أبي العيناء قال: قال لي المتوكل: بلغني أنك رافضي، فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة، ومنشئي مسجد جامعها، وأستاذي الأصمعي، وجيراني باهلة؟ وليس يخلو الناس من طلب دين أو دنيا، فإن أرادوا ديناً فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخروا، وتأخير من قدموا، وإن أرادوا دنيا فأنت وآباؤك أمراء المؤمنين، لا دين إلا بك، ولا دنيا إلا معك، أبوك مستنزل الغيث، وفي يديك خزائن الأرض، وأنا مولاك، فقال: إن ابن سعدان زعم ذلك فيك، فقلت: ومن ابن سعدان؟ والله ما يفرق ذلك بي الإمام والمأموم، والتابع والمتبوع، إنما ذاك حامل درة، ومعلم صبية، وآخذ على كتاب الله أجرة، فقال: لا تفعل، لأنه مؤدب المؤيد، فقلت يا أمير المؤمنين: إنه لم يؤدبه حسبة، وإنما أدبه بأجرة، فإذا أعطيته حقه فقد قضيت ذمامه، فقام ابن سعدان فقال: يا أبا العيناء، لا والله ما صدق أمير المؤمنين في شيء مما حكاه عني، ثم أقبل على المتوكل فقال: أي شيء أسهل عليك يا أمير المؤمنين من أن ينقضي مجلسك على ما تحب، ثم يخرج هذا فتقطعني؟ قال: فضحك المتوكل:

إبراهيم بن سعيد بن الطيب

أبو إسحاق الرفاعي، قال أبو طاهر السلفي: وسألته يعني أبا الكرم الجوزي عن الرفاعي فقال: هو من عبيد السبي، وكان ضريراً، قدم صبياً ذا فاقة إلى واسط، فدخل الجامع إلى حلقة عبد الغفار الحصيني، فتلقن القرآن فكان معاشه من أهل الحلقة، ثم أصعد إلى بغداد، فصحب أبا سعيد السيرافي، وقرأ عليه كتاب شرح سيبويه، وسمع منه كتب اللغة والدواوين، وعاد إلى واسط وقد مات عبد الغفار، فجلس صدراً يقرئ الناس في الجامع، ونزل الزيدية من واسط، وهناك تكون الرافضة والعلويون، فنسب إلى مذهبهم، ومقت على ذلك، وجفاه الناس، وكان شاعراً حسن الشعر جيده، وحدث في كتاب أبي غالب محمد بن أحمد بن سهل النحوي، أنشدني أبو إسحاق الرفاعي لنفسه.

وأحبة ما كنت أحسب أنني أبلى ببينتهم فبنت وبانوا

نأت المسافة فالتذكر حظهم منى وحظي منهم النسيان

ومات سنة إحدى عشرة وأربعمائة سمعت أبا نعيم أحمد بن علي بن أخي سدة المقرئ الإمام يقول: رأيت جنازة أبي إسحاق الرفاعي مع غروب الشمس تخرج إلى الجبانة وخلفها رجلان، فحدثت بها شيخنا أبا الفتح بن المختار النحوي فقال: سمى لك الرجلين؟ فقلت لا، فقال كنت أنا أحدهما، وأبو غالب ابن بشران الآخر، وما صدقنا أنا نسلم خوفاً أن نقتل.

ومن عجائب ما اتفق أن هذا الرجل توفي وكان على هذا الوصف من الفضل فكانت هذه حاله، وتوفي في غد يوم وفاته رجل من حشو العامة، يعرف بدناءة كان سوادياً، فأغلق البلد لأجله، وصلى عليه الناس كافة، ولم يوصل إلى جنازته من كثرة الزحام: آخر كلام الجوزي. وذكر لي أبو عبد الله محمد بن سعيد الذهبي، وذكره في أخبار النحوين الواسطيين أنه توفي في سنة اثنتي وعشرين وأربعمائة، فذاكرته بما قاله الجوزي فقال: الرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل، الذي ذكره الجوزي هو الحق، أنا وهم.

وحدث أبو غالب بن بشران قال: أنشدنا أبو إسحاق الرفاعي وما رأيت قط أعلم منه قال أنشدنا عبد الغفار ابن عبد الله، قال أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد نفطويه:

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً إن بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من أرضاك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا

إبراهيم بن سفيان الزيادي

هو إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه، كان نحوياً لغوياً راوية، قرأ كتاب سيبويه على سيبويه ولم يتمه، وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة ونظرائهما، وكان شاعراً، مات سنة تسع وأربعين ومائتين، ومن شعره الذي رواه المرزباني في حجر النار الهاشمي،

دفع الرحمن عنكا م إن ذاك الدفع عني

وأتى فيك بمن يع ذلني قارع سن

إن تكن برزت في الحس ن فقد برز حزني

حدث المرزباني عن المبرد عن الزيادي قال: كان في جواري حق قد دعيت إليه فحضرت، وجيء بنبيذ وطنبور، فغنى مغنيهم:

قولا لمن يتعرى ومن يبدد شرا

تركت فتيان صدق يجبلون في الحسن درا

وصرت إلف خسيس يعيد خيرك شرا

هيهات فاتك والله من يغرك غرا

فقلت لمن هذا الشعر، أصلحك الله؟ قال: لي يا سيدي، وأنا جوان بن دست الباهلي سيدي، قلت ليس جوان ودست عافاك الله من أسماء العرب، قال: أي شيء عليك من ذا سيدي؟، قلت فردد الصوت، قال تريد تقمشه؟ كنك عقاب، أو كنى ما أعرفك، ما تركت على كبد ابن عمي الأصمعي الماء، وقد جئت إلي طارت فراخ برجك طارت. قال: فوثبت مما حل بي فلم أعد إليهم. وحدث قال: كان الزيادي يشبه بالأصمعي في معرفته للشعر ومعايبه، وكان فيه دعابة ومزاح، فمن شعره في ذلك:

قد خرج الهجر على الوصل وانقطع الحبل من الحبل

ودبق الهجر جناح الهوى وانفلت الوصل من البخل

فليت ذا الهجر قبيل الهوى فيسلم الوصل من القتل

وقال الجماز يهجو الريادي:

ليس بكذاب ولا آثم من قال إبراهيم ملعون

حكم رسول الله في جده ما ناله إلا الملاعين وبعد هذا كله إنه يعجبه القثاء والتين وللزيادي من التصانيف: كتاب النقط والشكل، كتاب الأمثال، كتاب تنميق الأخبار، كتاب أسماء السحاب والرياح والأمطار، كتاب شرح نكت كتاب سيبويه. وقال إبراهيم الزيادي في جارية سوداء كان يحبها:

ألا حبذا حبذا حبذا حبيب تحملت فيه الأذى

ويا حبذا برد أنيابه إذا الليل أظلم واجلوذا

إبراهيم بن سليمان بن عبد الله

ابن حبان النهمي بظن من همدان، الخزار الكوفي أبو إسحاق، أخباري، ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب مصنفي الإمامية، وقال: هو ثقة في الحديث، سكن الكوفة في بني تميم، فربما قيل التميمي، قال: ثم سكن في بني هلال، فربما قيل الهلالي ونسبه في نهم.

له من الكتب: كتاب النوادر، كتاب الخطب، كتاب الدعاء، كتاب المناسك، كتاب أخبار ذي القرنين، كتاب إرم ذات العماد، كتاب قبض روح المؤمن والكافر، كتاب الدفائن، كتاب خلق السموات، كتاب أخبار جرهم.

إبراهيم بن صالح الوراق

أبو إسحاق، تلميذ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ذكره الباخرزي في كتاب دمية القصر فقال أنشدني له الأديب يعقوب بن أحمد، وهو أحسن ما قيل في معنى دود القز:

وبنات جيب ما انتفعت بعيشها ... ووأدتها فنفعني بقبور

ثم انبعثن عواطلاً فإذا لها ... قرن الكباش إلى جناح طيور

قال: ومن المعاني المثارة من دود القز قول أبي الفتح البستي:

ألم تر أن المرء طول حياته ... معنى بأمر لا يزال يعالجه؟

تراه كدود القز ينسج دائباً ... ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه

ولأبي إسحاق يهجو ابن زكريا المتكلم الأصبهاني:

أبا أحمد يا أشبه الناس كلهم ... خلافاً وخلقاً بالرخال النواسح

لعمرك ما طالت بتلك اللحى لكم ... حياة ولكن بالعقول الكواسج

إبراهيم بن أبي عباد اليمني

وهو ابن أخي الحسن بن إسحاق، بن أبي عباد النحوي، ذكر في موضعه، وإبراهيم هذا من أعيان النحويين باليمن، وله تصنيفان في النحو مختصران، سمي أحدهما التلقين، والآخر يعرف بمختصر إبراهيم، وكان متأخراً بعد الخمسمائة.

إبراهيم بن العباس الصولي

أبو إسحاق الكاتب، هو إبراهيم بن العباس بن محمد ابن صول، مولى يزيد ابن المهلب، كنيته أبو إسحاق مات في شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين بسامراً، وهو يتولى ديوان النفقات والضياع، مولده سنة ست وسبعين ومائة، وقيل سنة سبع وستين، وكان صول رجلاً تركياً، وكان هو وأخوه فيروز ملكي جرجان، وتمجسا بعد التركية، وتشبها بالفرس، فلما حضر يزيد بن المهلب بن أبي صفرة جرجان أمنهما، فأسلم صول على يده، ولم يزل معه حتى قتل يزيد يوم العقر.

وكان يزيد بن المهلب لما دعا إلى نفسه لحق به صول وغيره، فصادفه قد قتل. وذكر الصولي أن صولاً جده شهد الحرب مع يزيد بن المهلب، وأن يزيد وجد مقتولاً بلا طعنة ولا ضربة، انسدت أذناه

ومنخراه، وامتلأ فمه بغبار العسكر فمات، فلا يعرف مثله قتيل غبار، قال: ومعه قتل صول وجماعة من أصحابه وغلمانه، وقيل بل انحاز إلى العباس بن الوليد في جماعة من غلمانه، فأعطاه العباس أماناً وبعض أولاد المهلب معه، فلما حصلا في يده غدر بهم، وقتلهم جميعاً، وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيوش بني أمية، ويكتب على سهامه: صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فاغتاظ، وجعل يقول: ويلي على ابن الغلفاء، ماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه؟ ولعله لا يفقه صلاته.

وكان محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها، وكان يكنى أبا عمارة، وقتله عبد الله بن علي، لما خالف مع مقاتل بن حكيم العكي، وكان بعض أهليهم ادعوا أنهم عرب، وأن العباس بن الأحنف الشاعر خالهم.

وكان إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله من وجوه الكتاب، وكان عبد الله أسنهما، وأشدهما تقدماً، وكان إبراهيم آدبهما، وأحسنهما، شعراً، وكان إذا قال شعراً اختاره، وأسقط رذله، وأثبت نخبته، فمن ذلك قوله:

ولكن الجواد أبا هشام ... وفي العهد مأمون المغيب
بطئ عندما استغنيت عنه ... وطلاع عليك مع الخطوب

وهذا من نادر الشعر وجيده، ومن ذلك قوله لأخيه عبد الله:

ولكن عبد الله لما حوى الغنى ... وصار له من بين إخوانه مال
رأى خلة منهم تسد بماله ... فساهمهم حتى استوت بهم الحال

وهذا الشعر يدل على أن قبله غيره، ولولا أن يكون قبله غيره لقال ألا إن الجواد أبا هشام، وألا إن عبد الله أو يكون قصد الإيهام بمدح قد تقدم، هذه الأبيات من جملته، والله أعلم، وكان إبراهيم كاتباً، حاذقاً، بليغاً، فصيحاً، منشئاً، وإبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذي الرياستين الفضل ابن سهل، اتصلا به فرفع منهما، وتنقل إبراهيم في الأعمال الجليلة، والدواوين، إلى أن مات وهو متول ديوان الضياع والنفقات بسر من رأى، سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان، وكان دعبل يقول: لو تكسب إبراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء، وتعجب من قوله:

إن امرأ ضن بمعروفه ... عني لمبذول له عذري
ما أنا بالراغب في خيره ... إن كان لا يرغب في شكري

وكان إبراهيم صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات، فولى محمد الوزارة وإبراهيم على الأهواز، فقصده ووجه إليه بأبي الجهم أحمد بن سيف وأمره بكشفه، فتحامل عليه تحاملاً شديداً، فكتب إبراهيم إلى محمد ابن عبد الملك:

وإني لأرجو بعد هذا محمداً ... لأفضل ما يرجى أخ ووزير

فأقام محمد على أمره، ولج أبو الجهم في التحامل عليه، فكتب إبراهيم إلى ابن الزيات، يشكو إليه أبا الجهم ويقول: هو كافر لا يبالي ما عمل، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت:

تركت عبيد بني طاهر ... وقد ملأوا الأرض عرضاً وطولا
وأقبلت تسعى إلى واحدي ... ضراراً كأن قد قتلت الرسولا
فسوف أدين بترك الصلا ... ة وأصطبح الخمر صرفاً شمولاً

فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول: ليس هذا الشعر لأبي الجهم، وإنما إبراهيم قاله ونسبه إلى أبي الجهم.

وكتب إبراهيم إلى ابن الزيات يستعطفه: كتبت وقد بلغت المدية المحز، وعدت الأيام علي بعد عدواي بك عليها، وكان أسوأ الظن وأكثر خوفي أن تسكن في وقت حركتها، وتكف عند أذاها، فصرت أضر علي منها، فكف الصديق عن نصرتي خوفاً منك، وبادر إلى العدو تقرباً إليك، وكتب تحت ذلك:

أخ بيني وبين الده ... ر صاحب أينا غلبا
صديقي ما استقام وإن ... نبا دهر علي نبا
وثبت على الزمان به ... فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا ... لعاد به أخاً حدبا

وكتب إليه: أما والله لو آمنت ودك لقلت، ولكني أخاف منك عتباً لا تنصفني فيه، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي، وما قدر فهو كائن، عن كل حادثة أحدوثة، وما استبدلت بحالة كنت فيها مغتبطاً حالاً أنا في مكروهها، ولكنها أشد علي من أني فزعت إلى ناصري عند ظلم لحقني، فوجدت من ظلمني أخف نية في ظلمي منه، وأحمد الله كثيراً، وكتب تحتها:

وكنت أخيب إخاء الزما ... ن فلما نبا صرت حرباً عوانا
وكنت أذم إليك الزما ... ن فأصبحت فيك أذم الزمانا

وكنت أعدك للنائبا ت فها أنا أطلب منك الأمانا

قال: ثم وقف الواثق على تحامله عليه، فرفع يده عنه، وأمره أن يقبل منه ما رفعه، ويرد إلى الحضرة مصوناً، فلما أحس إبراهيم بذلك، بسط لسانه في ابن الزيات، وهجاه هجاء كثيراً منه:

قدرت فلم تضرر عدواً بقدرة وسمت بها إخوانك الذل والرغما

وكنت ملياً بالتي قد يعافها من الناس من يأبى الدنية والذما

وقال أيضاً فيه:

أبا جعفر خف خفضة بعد رفعة وقصر قليلاً عن مدى غلوائكا

فإن كنت قد أوتيت عزاً ورفعة فإن رجائي في غد كرجائكا

وقال أيضاً فيه:

دعوتك في بلوى ألمت صروفها فأوقدت من ضغن علي سعيرها

وإني إذا أدعوك عند ملمة كداعية بين القبور نصيرها

ولما مات ابن الزيات قال إبراهيم: لما أتاني خبر الزيات

وأنه قد عد في الأموات أيقنت أن موته حياتي

ولما انحرف محمد بن عبد الملك عن إبراهيم تحاماه الناس إن تلقوه، وكان الحارث بن بشتخير الزريم المغني صديقاً له مصافياً، وهجره فيمن هجره من الإخوان، فكتب إليه:

تغير لي فيمن تغير حارث وكم من أخ قد غيرته الحوادث

أحارث إن شوركت فيك فطالما غنينا وما بيني وبينك ثالث

ومن مستحسن شعر إبراهيم بن العباس قوله:

خل النفاق لأهله وعليك فالتمس الطريقا

وارغب بنفسك أن ترى إلا عدواً أو صديقاً

ومنه:

أميل مع الصديق على ابن أمي وأقضي للصديق على الشقيق

وأفرق بين معروفي ومني وأجمع بين مالي والحقوق

فإن ألفيتني حراً مطاعاً فإنك واجدي عبد الصديق

وكان إبراهيم يهوى جارية لبعض المغنين بسر من رأى، يقال لها ساهر، شهر بها، وكان منزله لا يخلو منها، ثم دعيت في وليمة لبعض أهلها، فغابت عنه ثلاثة أيامن ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاها، وقالت له: قد أهديت صاحبتي إليك، عوضاً عن مغيبي عنك، فقال:

أقبلن يحففن مثل الشمس طالعة　　قد حسن الله أولاها وأخراها
ما كنت فيهن إلا كنت واسطة　　وكن دونك يمناها ويسراها

وجلس يوماً مع إخوانه للشرب، وبعث خلفها فأبطأت عليه، وتنغص عليه وعلى جلسائه يومه، وكان عندهم عدة من القيان، ثم وافت فسرى عنه، وطلبت نفسه، وشرب وطرب، وقال:

ألم ترنا يومنا إذ نأت　　ولم تأت من بين أترابها
وقد غمرتنا دواعي السرو　　ر بإشغالها وبإلهابها
ونحن فتور إلى أن بدت　　وبدر الدجى تحت أثوابها
ولما نأت كيف كنا بها　　ولما دنت كيف صرنا بها

فتغضبت فقالت: ما القصة كما ذكرت، وقد كنتم في قصفكم مع من حضر، وإنما تجملتم لي لما حضرت، فقال:

يا من حنيني إليه　　ومن فؤادي لديه
ومن إذا غاب من بي　　نهم أسفت عليه
إذا حضرت فمن بين　　هم أصب إليه
من غاب غيرك منهم　　فإذنه في يديه

فرضيت، فأقاموا يومهم على أحسن حال، ثم طال العهد بينهما فملها، وكانت شاعرة، وكانت تهواه أيضاً، فكتبت إليه تعاتبه:

بالله يا ناقض العهود بمن　　بعدك من أهل ودنا نثق؟
واسوأتا ما استحيت لي أبدا　　إن ذكر العاشقون من عشقوا
لا غرني كاتب له أدب　　ولا ظريف مهذب لبق

كنت بذاك اللسان نختلني　　دهراً ولم أدر أنه ملق

فاعتذر إليها وراجعها، فلم تر منه ما تكره حتى فرق الموت بينهما.

وحدث علي بن الحسين الإسكافي قال: كان لإبراهيم ابن قد يفع وترعرع، وكان به معجباً، فاعتل علة لم تطل حتى مات، فرثاه مراثي كثيرة، وجزع عليه جزعاً شديداً، فمن مراثيه فيه:

كنت السواد لمقلتي فبكى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

وقال أيضاً فيه:

ومازلت مذ لد أعطيته أدافع عنه حمام الأجل

أعوذه دائباً بالقرآ ن وأرمي بطرفي إلى حيث حل

فأضحت يدي قصدها واحد إلى حيث حل فلم يرتحل

ومر إبراهيم برجل يستثقله فسلم عليه فقال لبعض من معه: إنه جرمي، فقال له: ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد، فضحك إبراهيم وقال: إنما أردت قول الشاعر:

يسائل عن أخي جرم ثقيل والذي خلقه

وكتب إبراهيم شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه: فلان ممن يزكو شكره، ويعنيني أمره، والصنيعة عنده واجدة موضعها، وسالكة طريقها،

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجى إصابة شكر لم يضع معه أجر

ونظر إبراهيم إلى الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له:

عيناك قد حكتا مبي تك كيف كنت وكيف كانا

ولرب عين قد أرت ك مبيت صاحبها عيانا

وقال: ورفع أحمد بن المدبر على بعض عمال إبراهيم، فحضر إبراهيم دار المتوكل فرأى هلال الشهر على وجهه، ودعا له وضحك، وقال له: إن أحمد بن المدبر رفع على عاملك كذا وكذا فاصدقني عنه، قال إبراهيم: فضاقت علي الحجة، وخفت أن أحقق قوله إن اعترفت، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود على الغرم، فعدلت عن الحجة إلى الحيلة، فقلت: أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك:

رد قولي وصدق الأقوالا وأطاع الوشاة والعذالا

أتراه يكون شهر صدود وعلى وجهه رأيت الهلالا؟

فقال لا يكون ذلك، واللهلا يكون ذلك أبداً، والتفت إلى الوزير وقال له: كيف تقبل في المال قول صاحبه. وكان أحمد بن يحيى ثعلب يقول: إبراهيم ابن العباس أشعر المحدثين، وما روي شعر كاتب غيره، وكان يستجيد قوله:

لنا إبل كوم يضيق بها الفضا ويفتر عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن ننستذم دماؤها
حمىً وقرى فالموت دون مرامها وأيسر خطب يوم حق فناؤها

ويقول: والله لو أن هذا لبعض الأوائل لاستجيد له: وقال إبراهيم في قينة كان يهواها:

وعلمتني كيف الهوى وجهلته وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
وأعلم مالي عندكم فيردني هواي إلى جهلي فأرجع عن علمي

ومن أحسن ما قيل في قصر الليل، قول إبراهيم بن العباس:

وليلة من الليالي الزهر قابلت فيها بدرها ببدر
لم تك غير شفق وفجر حتى تولت وهي بكر الدهر

وقال أبو الغيث: كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقطت القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه، فعجبت فقال: لا تعجب، المال فرع، والقلم أصل، ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع، ثم فكر قليلاً وقال:

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ وأسلمه الوجود إلى العيان
ووشاه فنمنمه بيان فصيح في المقال بلا لسان
ترى حلل البيان منشرات تجلى بينها حلل المعاني

وقال إبراهيم في الفضل بن سهل:

يقضي الأمور على بديهته وتريه فكرته عواقبها
فيظل يصدرها ويوردها فيعم حاضرها وغائبها
وإذا ألمت صعبة عظمت فيها الرزيئة كان صاحبها
المستقل بها وقد رسبت ولوت على الأيام جانبها
وعدلتها بالعدل فاعتدلت ووسعت راغبها وراهبها
وإذا الحروب علت بعثت لها رأيا تفل به كتائبها

رأياً إذا نبت السيوف مضى عزم به فشفى مضاربها

أجرى إلى فئة بدولتها وأقام في أخرى نوادبها

وإذا الخطوب تأثلت ورست هدت فواضله نوائبها

وإذا جرت بضميره يده أبدت له الدنيا مناقبها

قال: واجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك بن الزيات وابن برد الخباز، في مجلس عبيد الله بن سليمان، فجعل هارون ينشد من شعر أبيه ومحاسنه، ويفضله ويقدمه، فقال له ابن برد الخباز: إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم ابن العباس الصولي:

أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثرى ولا يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

أو مثل قوله:

تلج السنون بيوتهم وترى لهم عن جار بيتهم ازورار مناكب

وتراهم بسيوفهم وشفارهم مستشرفين لراغب أو راهب

حامين أو قارين حيث لقيتهم نهب العفاة ونزهة للراغب

فاذكره وفاخر به، وإلا فأقلل، فخجل هارون.

قال: ودخل عليه أحمد بن المدبر بعد خلاصه من النكبة مهنئاً، وكان استعان به في أمر النكبة فقعد عنه، وبلغه أنه كان يسعى ويحرض عليه ابن الزيات، فقال:

وكنت أخي بالدهر حتى إذا نبا نبوت، فلما عاد عدت مع الدهر

فلا يوم إقبالي عددتك طائلاً ولا يوم إدباري عددتك من وتر

وما كنت إلا مثل أحلام نائم كلا حالتيك من وفاء ومن غدر

وله أيضاً فيه:

لو قيل لي خذ أماناً من أعظم الحدثان

لما أخذت أماناً إلا من الخلان

فأنا أستحسن قوله:

حتى متى أنا في حزن وفي غصص إذا تجدد حزن هون الماضي؟

وقد غضبت فما باليتم غضبي حتى رجعت بقلب ساخط راض

ومما كتب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات:

من رأى في المنام مثل أخ لي كان عوني على الزمان وخلي؟

رفعت حاله فحاول حطي وأبى أن يعز إلا بذلي

وكتب إليه يستعطفه:

فهبني مسيئاً مثل ما قلت ظالماً فعفواً جميلاً كي يكون لك الفضل

فإن لم أكن بالعفو منك لسوء ما جنيت به أهلاً فأنت له أهل

ومن منثور كلامه: أتاني فلان في وقت أستثقل فيه لحظة الفرح وحدث الصولي عن العباس بن محمد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس، في مجلسه في ديوان الضياع:

ربما تجزع النفوس من الأم ر له فرجة كحل العقال

ونكت بقلمه ثم قال:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

قال: فعجبنا من سرعة طبعه، وجودة قريحته.

وحدث الصولي عن أحمد بن يزيد المهلبي قال: حدثي أبي قال: لما قرأ إبراهيم بن العباس على المتوكل رسالته إلى أهل حمص.

أما بعد، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه بما قوم به من أود، وعدل به من زيغ، ولم به من منتشر، استعمال ثلاث يقدم بعضهن أمام بعض، أولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف، ثم التي لا يقع حسم الداء بغيرها:

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمه

عجب المتوكل من حسن ذلك، وأومأ إلى عبيد الله أما تسمع؟ فقال يا أمير المؤمنين: إن إبراهيم فضيلة خبأها الله لك، واحتبسها على أيامك، وهذا أول شعر نفذ في كتاب عن خلفاء بني العباس.

وحدث عن ميمون بن هارون عن أبيه قال: قلت لإبراهيم بن العباس: إن فلاناً يحب أن يكون لك ولياً فقال لي: أنا والله أحب أن تكون الناس جميعاً إخواني، ولكني لا آخذ منهم إلا من أطيق قضاء حقه، وإلا استحالوا أعداء، وما مثلهم إلا كمثل النار، قليلها مقنع، وكثيرها محرق.

وقال الحسين بن علي الباقطائي: شاورت أبا الصقر قبل وزارته في أمر لي فعرفني الصواب فيه، فقلت له: أنت أيدك الله كما قال إبراهيم بن العباس في هذا المعنى:

أتيتك شتى الرأي لابس حيرة ... فسددتني حتى رأيت العواقبا

على حين ألقى الرأي دوني حجابه ... فجبت الخطوب واعتسفت المذاهبا

فقال: لا تبرح والله حتى أكتب البيتين، فكتبتهما له بين يديه بخطي.

وحدث أبو ذكوان قال: لما توفي المعتصم بالله، وقام ابنه الواثق خليفة بعده، كتب إليه إبراهيم بن العباس يعزيه بأبيه ويهنئه بالخلافة: إن أحق الناس بالشكر من جاء به عن الله، وأولاهم بالصبر من كان سلفه رسول الله، وأمير المؤمنين أعزه الله وآباؤه نصرهم الله أولو الكتاب الناطق عن الله بالشكر، وعترة رسوله المخصوصون بالصبر، وفي كتاب الله أعظم الشفاء وفي رسوله أحسن العزاء، وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله، ما عفا على أوله آخره، وتلافت بدأته عاقبته، فحق الله في الأولى الصبر، وفرضه في الأخرى الشكر، فإن رأى أمير المؤمنين أن يستنجز ثواب الله بصبره، ويستدعي زيادته بشكره، فعل إن شاء الله تعالى وحده: ومن كلامه: ووجد أعداء الله زخرف باطلهم، وتمويه كذبهم سراباً "بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً" وكوميض برق عرض فأسرع، ولمع فأطمع، حتى انحسرت مغاربه، وتشعبت مولية مذاهبه، وأيقن راجيه وطالبه، ألا ملاذ ولا وزر، ولا مورد ولا صدر، ولا من الحرب مفر، هنالك ظهرت عواقب الحق منجية، وخواتم الباطل مردية، سنة الله فيما أزاله وأداله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولا عن قضائه تحويلاً، وحدثني الصولي قال: حدثني يحيى ابن البحتري قال: رأيت أبي يذاكر جماعة من شعراء الشام بمعان من الشعر، فمر فيها قلة نوم العاشق وما قيل في ذلك، فأنشدوا إنشادات فيها، فقال لهم أبي: فرغ من هذا كاتب العراق، إبراهيم بن العباس، فقال:

أحسب النوم حكاكا ... إذ رأى منك جفاكا

مني الصبر ومنك ال ... هجر فابلغ بي مداكا

كذبت همة عين ... طمعت في أن تراكا

أي ما حظ لعينٍ ... أن ترى من قد رآكا؟

ليت حظي منك أن تع ... لم ما بي من هواكا

ثم قال البحتري: تصرفت هذه الأبيات في معان من الشعر أحسن في جميعها، قال فكتبتها عنه أجمعها ومما روي له الصولي.

أولى البرية طرا أن تواسيه ... عند السرور، الذي واساك في الحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وروي له، وهو في الحماسة:

لا يمنعنك خفض العيش في دعةٍ ... نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حللت بها ... أرضاً بأرض وجيراناً بجيران

قال الصولي: حدثني جرير بن أحمد بن أبي دؤاد، قال: كان إبراهيم أصدق الناس لأبي، فعتب على ابنه أبي الوليد في شيء، فقال فيه أحسن قول ذمه فمدح أباه، وما أحسن هذا من جهة جرير:

عفت مساو تبدت منك واضحة ... على محاسن نقاها أبوك لكا
لئن تقدمت أبناء الكرام به ... فقد تقدم آباء الكرام بكا

وروي لإبراهيم في محمد بن عبد الملك:

إن كان رزقي عليك فارم به ... في ما صفا حبه على رصد
لو كنت حراً كما زعمت وقد ... كررتني بالمطال لم أعد
لكنني عدت ثم عدت فإن ... عدت إلى مثلها إذاً فعد
أعتقني سوء ما أتيت من ال ... رق فيا بردها على كبدي
فصرت عبداً للسوء فيك وما ... أحسن سوء قبلي إلى أحد

وله فيه:

وقائل لا أبداً ... إن جد أو إن هزلا
فهو إذا اضطر إلى ... قول نعم قال بلى
تعودوا منه لما ض ... من بالاً قول لا

ومما يستحسن من شعر إبراهيم ابن العباس:

إبتداء بالتجني ... وقضاء بالتظني
واشتفاء بتجني ... ك لأعدائك مني
بأبي قل لي كي أع ... لم لم أعرضت عني؟

قد تمنى ذاك أعدا ئي فقد نالوا التمني

وقال أبو زيد البلخي وذكر إبراهيم بن العباس فقال: كان من أبلغ الناس في الكتابة، حتى صار كلامه مثلاً. كتب كتاب فتح عجيباً أثنى على الله وحمده ثم قال في خلال ذلك: وقسم الله الفاسق أقساماً ثلاثة، روحاً معجلة إلى نار الله، وجثة منصوبة بفناء معقله وهامة منقولة إلى دار خلافته.

وحدث الجهشياري عن وهب بن سليمان بن وهب قال: كنت أكتب لإبراهيم بن العباس على ديوان الضياع، وكان رجلاً بليغاً، و لم يكن له في الخراج تقدم، وكان بينه وبين أحمد بن المدبر تباعد، وكان أحمد مقدماً في الكتابة، فقال أحمد بن المدبر للمتوكل: قلدت إبراهيم بن العباس ديوان الضياع وهو متخلف، آية من الآيات لا يحسن قليلاً ولا كثيراً، وطعن عليه طعناً قبيحاً، فقال المتوكل: في غد أجمع بينكما، واتصل الخبر بإبراهيم فأيقن بحاول المكروه، وعلم أنه لا يفي بأحمد بن المدبر في صناعته، وغدا إلى دار السلطان آيساً من نفسه ونعمته، وحضر أحمد فقال له المتوكل: قد حضر إبراهيم وحضرت، ومن أجلكم قعدت، فهات: اذكر ما كنت فيه أمس، فقال أحمد: أي شيء أذكر عنه؟ فإنه لا يعرف أسماء عماله في النواحي، ولا يعلم ما في دساترهم، من تقديراتهم، وكيولهم، وحمل من حمل منهم، ومن لم يحمل، ولا يعرف أسماء النواحي التي تقلدها، وقد اقتطع صاحبه بناحية كذا كذا ألفاً، واختلت ناحية كذا في العمارة، وأطال في ذكر هذه الأمور، فالتفت المتوكل إلى إبراهيم فقال: ما سكوتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، جوابي في بيتي شعر قلتهما! فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتهما، فقال هات: فأنشده البيتين المذكورين، رد قولي وصدق الأقوالا، فقال المتوكل زه زه أحسنت، إيتوني بمن يعمل في هذا لحناً، وهاتوا ما نأكل، وجيئوا بالنساء، ودعونا من فضول ابن المدبر، واخلعوا على إبراهيم بن العباس، فخلع عليه، وانصرف إلى منزله.

قال الحسن فمكث يومه مغموماً، فقلت له: هذا يوم سرور وجذل بما جدد الله لك من الانتصار على خصمك، فقال يا بني: الحق أولى بمثل وأشبه، إني لم أدفع أحمد بحجة ولا كذب في شيء مما ذكر، ولا أنا ممن يعشره في الخراج، كما أنه لا يعشرني في البلاغة وإنما فلجت برطازةٍ ومخرقةٍ، أفلا أبكي، فضلاً عن أن أغتم من زمان يدفع ذلك كله.

وقال الجهشياري: رأيت دفتراً بخط إبراهيم بن العباس الصولي فيه شعره، قال في حبس موسى بن عبد الملك، إياه يصف غليظ ما هو فيه من الحبس وثقل الحديد والقيد، ويذكر موسى في شعره، وكان يكنى بأبي الحسن، فكناه بأبي عمران، فقال في قصيدة طويلة:

كم ترى يبقى على ذابدني؟ قد بلي من طول همي وفني

أنا في أسر وأسباب ردي وحديد فادح يكلمني

وأبو عمران موسى حنق حاقد يطلبني بالإحن

ليس يشفيه سوى سفك دمي أو يراني مدرجاً في كفني

وقد كتب أحمد بن مدبر بخطه في ظهر هذا الدفتر:

أبا إسحاق إن تكن الليالي عطفن عليك بالخطب الجسيم

فلم أر صرف هذا الدهر يجري بمكروه على غير الكريم

ولإبراهيم بن العباس من التصانيف فيما ذكره محمد ابن إسحاق النديم، كتاب ديوان رسائله، كتاب ديوان شعره، كتاب الدولة كبير، كتاب الطبيخ كتاب العطر، ومات إبراهيم بن العباس الصولي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين في شعبان وهو يتولى ديوان الضياع والنفقات بسامراً.

إبراهيم بن عبد الله النجيرمي

أبو إسحاق النحوي اللغوي أخذ عنه أبو الحسين المهلبي، وجنادة اللغوي الهروي، وكثير من أهل العلم، وكان مقامه بمصر.

قال أبو سعد السمعاني: النجيرمي نسبة إلى نجيرم، ويقال نجارم، وهي محلة بالبصرة، قال المؤلف: لم يصب السمعاني في قوله، إلا أن يكون طائفة من أهل هذا الموضع أقاموا بموضع من محال البصرة فنسب إليهم، ونجيرم قرية كبيرة على ساحل بحر فارس، بينها وبين سيراف نحو خمسة عشر فرسخاً، رأيتها يسمونها أهلها والتجار نيرم، فيسقطون الجيم تخفيفاً، أو تخلفاً، وليس مثلها يحتمل أن يكون لأهلها محلة بالبصرة، وهم فرس من فرس الحال، أكثر أكلهم النبق والسمك حدثني بعض أهل مصر عند كوني بها في سنة اثنتي عشرة وستمائة قال: حدثت أن الفضل بن عباس دخل على كافور الأخشيدي فقال له: أدام الله أيام سيدنا الأستاذ، فخفض الأيام، فتبسم كافور إلى أبي إسحاق النجيرمي، فقال أبو إسحاق:

لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا وغص من هيبة بالريق والبهر

فمثل سيدنا حالت مهابته بين البليغ وبين القول بالحصر

فإن يكن خفض الأيام عن دهش من شدة الخوف لا من قلة البصر

فقد تفاءلت في هذا لسيدنا والفأل نأثره عن سيد البشر

بأن أيامه خفض بلا نصب وأن دولته صو بلا كدر

قال: فأمر له بثلاثمائة دينار، ولابن عباس بمثلها، هكذا أخبرني المصري في خبر هذا الشعر، وأنه لأبي إسحاق النجيرمي، ووجدت في أخبار رواها أبو الجوائز الواسطي قال: حدثني أبو الحسين بن أدين النحوي، وكان شيخاً قد نيف على الثمانين، في سنة أربعمائة قال: حضرت مع والدي وأنا طفل مجلس كافور الإخشيدي، وهو غاص بأهله، فدخل رجل غريب، فسلم ودعا له، وذكر القصة، و لم يذكر الفضل بن عباس، قال: فقام رجل فأنشد و لم يذكر النجيرمي، وأنشد الشعر بعينه، وجهل الرجلين.

قرأت في كتاب من إملاء النجيرمي قال كاتبها: أنشدني أبو إسحاق وهي له:

بدلني الدهر أميراً معوزاً بسيد كان خضماً كوثرا

إذا شممت كفة مؤملاً شممت منها غمراً مقترا

بما أشم مسكها والعنبرا يا بدلاً كان لقاءً أعورا

وأنشدهم أيضاً لنفسه:

وإني فتى ضبر على الأين والوجى إذا اعتصروا للوح ماء فظاظها

إذا ضربوها ساعة بدمائها وحل عن الكوماء عقد شظاظها

فإنك ضحاك إلى كل صاحب وأنطق من قس غداة عكاظها

إذا اشتغب المولى مشاغب مغشمٍ فعذره فيها آخذاً بكظاظها

إبراهيم بن عبد الله الغزال اللغوي

لا أعرف من حاله شيئاً، إلا أن السلفي قال: أنشدني أبو القاسم الحسن بن الفتح بن حمزة بن الفتح الهمذاني قال: أنشدني إبراهيم بن عبد الله الغزال اللغوي لنفسه، وكان يتبخبخ بهما:

والبرق في الديجور أهطل مزنة أبدت نباتاً أرضها كالزرنب

فوجدت بحراً فيه نار فوقه غيم يرى فيه بليلٍ غيهب

إبراهيم بن عبد الرحيم العروضي

حكى عنه أبو العباس أحمد بن محمد النامي في كتاب القوافي فهو من طبقة ابن درستويه وعلي بن سليمان الأخفش.

إبراهيم بن عثمان أبو القاسم بن الوزان

القيرواني النحوي كان فقيهاً على مذهب العراقي وإماماً في النحو واللغة والعربية والعروض غير مدافع مع قلة ادعاء وخفض جناح، وكان عبد الله بن محمد المكفوف يقر له بالفضل، وانتهى من العلم إلى ما لعله لم يبلغه أحد قبله وأما في زمانه فلا يشك فيه، مات سنة ست وأربعين وثلاثمائة وكان يحفظ كتاب العين للخليل ابن أحمد، وغريب المصنف لأبي عبيد، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وغيرها من كتب اللغة وحفظ قبل ذلك كتاب سيبويه، ثم كتب الفراء، وكان يميل إلى مذهب البصريين مع إتقانه معرفة مذاهب الكوفيين، وقال: ولو قال قائل إنه كان أعلم من المبرد وثعلب لصدقه من وقف على علمه ونفاذه، وكان مع ذلك مقصراً في صناعة الشعر وله تصانيف كثيرة في النحو واللغة

إبراهيم بن علي أبو إسحاق الفارسي

النحوي، من تلاميذ أبي علي الفارسي، وله كتاب شرح الجرمي معروف متداول بأيدي الناس، ذكره الثعالبي في البخاريين، وقال هو من الأعيان في علم اللغة والنحو، ورد بخارى في أيام السامانية، فأجل وبجل، ودرس عليه أبناء الرؤساء والكتاب بها، وأخذوا عنه، وولي التصفح في ديوان الرسائل، و لم يزل يليه إلى أن استأثر الله به، وله شعر لم يقع إلي منه إلا قوله في بعض الرؤساء بالحضرة يستهدي منه جبة خز بيضاء غير لبيس من قصيدة:

وأعن على برد الشتاء بجبة ... تذر الشتاء مقيداً مسجوناً
سوسية بيضاء يترك لونها ... ألوان حسادي شواحب جونا
عذراء لم تلبس فكفك في العلا ... تأنى عذاراها وتأبى العونا
تسبي ببهجتها عيوناً لم تزل ... تسبي قلوباً في الهوى وعيونا
مثل القلوب من العداة حرارة ... مثل الخدود من الكواعب لينا

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين وقد ذكر ابن العميد فقال: وقد اجتاز به أبو إسحاق الفارسي، وكان من غلمان أبي سعيد السيرافي، وكان قيماً بالكتاب وفريض الشعر، وصنف وأملى، وشرح وتكلم في العروض والقوافي، والمعاني، وناقض المتنبي، وحفظ العلم والرم فما زوده درهماً، ولا تفقده برغيف بعد أن أذن له، حتى حضره وسمع كلامه، وعرف فضله، واستبان سعيه.

إبراهيم بن عقيل بن جيش بن محمد

إبن سعيد أبو إسحاق القرشي، المعروف بابن المكبري النحوي الدمشقي، مات فيما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق في سنة أربع وسبعين وأربعمائة، ودفن بالباب الصغير.

وذكر أنه حدث عن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الشرابي النحوي، وروى عنه أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب وأبو محمد بن الأكفاني.

قال الخطيب وكان صدوقاً قال ابن عساكر وفي قوله نظر: قال وذكره الخطيب في كتابه الذي سماه تلخيص المتشابه، قيده كما كتبناه في أول الترجمة، قال ابن عساكر: وكان أبو إسحاق يذكر أن عنده تعليقة أبي الأسود الدؤلي، التي ألقاها إليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكان كثيراً ما يعد بها أصحابه، ولاسيما أصحاب الحديث، ولا يفي، إلى أن كتبها عنه بعض تلاميذه الذين يقرءون عليه، وإذا به قد ركب عليها إسناداً لا حقيقة له، اعتبر فوجد موضوعاً، مركباً بعض رجاله أقدم ممن روى عنه، و لم يكن الخطيب علم بذلك ولا وقف عليه، فلذلك وثقه، قال: وهذه التعليقة فهي في أمالي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي، نحواً من عشرة أسطر، فجعلها هذا الشيخ إبراهيم قريباً من عشرة أوراق، وله كتاب في النحو، رأيته قدر اللمع، وقد أجاز فيه.

إبراهيم بن الفضل الهاشمي اللغوي

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: أبو إسحاق الأديب اللغوي، أقام بنيسابور سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، وسمعته يذكر جماعة من أبي محمد بن صاعد وأقرانه، وسمعته يقول: سمعت أبا بكر بن دريد ينشد لنفسه:

ودعته حين لا تودعه　　　نفسي ولكنها تسير معه

ثم افترقنا وفي القلوب له　　　ضيق مكان وفي الدموع سعه

إبراهيم بن قطن المهري القيرواني

أخو أبي الوليد عبد الملك المذكور في بابه، ذكره الزبيدي في كتابه وقال: قرأ إبراهيم النحو قبل أخيه أبي الوليد، وكان سبب طلب أبي الوليد النحو أن أخاه إبراهيم رآه يوماً وقد مد يده إلى بعض كتبه يقلبها، فأخذ أبو الوليد كتاباً منها ينظر فيه فجذبه من يده وقال له: مالك ولهذا؟ وأسمعه كلاماً، فغضب أبو الوليد لما قابله به أخوه، وأخذ في طلب العلم حتى علا عليه، وعلى أهل زمانه كلهم، واشتهر ذكره، وسما قدره، فليس أحد يجهل أمره، ولا يعرف إبراهيم إلا القليل من الناس، وكان إبراهيم يرى رأي الخوارج الإباضية:

إبراهيم بن ماهويه الفارسي

رجل أديب، لا أعرف من حاله إلا ما ذكره المسعودي، فقال: له كتاب عارض فيه المبرد في كتابه الملقب بالكامل.

إبراهيم بن محمد بن أبي حصن

الحارث بن أسماء، بن خارجة، بن حصن، بن حذيفة، بن بدر، الفزاري أبو إسحاق، كوفي الأصل نزل ثغر المصيصة حتى مات به، في عدة روايات ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق، أصحها أنه مات سنة ثمان وثمانين، وقد روي أنه مات سنة ست، وقيل سنة خمس وثمانين، وكان خيِّراً، فاضلاً، ورعاً، صاحب سنة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وله فضائل جمة، يذكر منها في هذا الكتاب ما انتخبناه من كتاب دمشسسق، وكان أبو إسحاق مع ما اشتهر من فضله كثير الغلط، وله كتاب السيرة في الأخبار
والأحداث، رواه عنه أبو عمرو معوية بن عمرو الرومي، وتوفي أبو عمرو هذا ببغداد، سنة خمس عشرة وثلاثمائة. قال ابن عساكر: أبو إسحاق أحد أئمة المسلمين، وأعلام الدين، روى عن الأعمش، وسليمان البتي، وأبي إسحاق سليمان بن فيروز الشيباني، وعبد الملك بن عمير وعطاء بن السائب، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وموسى ابن عقبة، وهشام بن عروة، وحميد الطويل، وسفيان الثوري، وذكر خلقاً كثيراً، وروى عنه سفيان الثوري وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وهما أكبر منه، وذكر خلقاً رووا عنه، وحدث فيما رفعه إلى رباح ابن الفرج الدمشقي قال: سمعت أبا مسهر يقول: قدم علينا إبراهيم بن الفزاري، فاجتمع الناس يسمعون منه، فقال لي: اخرج إلى الناس فقل لهم: من يرى رأي القدرية فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يأتي السلطان فلا يحضر مجلسنا، قال: فخرجت فأخبرت الناس، قال.
وقال عبد الرحمن النسائي: أبو إسحاق الفزاري ثقة مأمون، أحد الأئمة، وكان يكون بالشام، روى عنه ابن المبارك، وحدث الأوزاعي بحديث، فقال رجل، من حدثك يا أبا عمرو؟ فقال: حدثني الصادق المصدق أبو إسحاق إبراهيم الفزاري، وحدث فيما رفعه إلى أبي صالح محبوب بن موسى الفراء، قال: سألت ابن عيينة قلت: حديث سمعت أبا إسحاق رواه عنك، أحببت أن أسمعه منك، فغضب علي فاهرين، وقال: لا يقنعك أن تسمعه من أبي إسحاق، والله ما رأيت أحداً أقدمه على أبي إسحاق، وقال أبو صالح أيضاً: ولقيت الفضل بن عياض فعزاني بأبي إسحاق، وقال لي: والله لربما اشتقت إلى المصيصة مالي فضل الرباط إلا لأرى أبا إسحاق.

حدث فيما رفعه إلى أبي مسلم صالح بن أحمد العجلي عن أبيه قال: أبو إسحاق الفزاري كوفي، إسمه إبراهيم بن محمد، نزل الثغر بالمصيصة، وكان ثقة، رجلاً صالحاً، صاحب سنة، وهو الذي أدب أهل الثغر، وعلمهم السنة، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه، وكان كثير الحديث، وكان له فقه، أمر سلطاناً يوماً ونهاه فضربه مائتي سوط، وتكلم فيه، وسئل عنه يحيى بن معين فقال: ثقة ثقة. قال أبو صالح الحسين بن محمد بن موسى الفراء: سمعت علي بن بكار يقول: لقيت الرجال الذين لقيهم أبو إسحاق بن عون وغيرهم، والله ما رأيت فيهم أفقه منه. قال أبو صالح: قال عطاء الخفاف: كنت عند الأوزاعي فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق، فقال للكاتب: اكتب إليه: وابدأ به، فإنه والله خير مني.

قال: وكنت عند الثوري، فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق، فقال للكاتب: اكتب إليه فابدأ به، فإنه والله خير مني.

وحدث فيما رفعه إلى إسماعيل بن إبراهيم، قال: أخذ الرشيد زنديقاً فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي يا أمير المؤمنين؟ قال: أريح الناس منك، قال: فأين أنت عن ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما فيها حرف نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، وعبد الله بن المبارك؟ ينخلانها نخلاً، فيخرجانها حرفاً حرفاً؟

وحدث فيما رفعه إلى عبد الرحمن بن مهدي قال، كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة، إذا رأيت الشامي يذكر الأوزاعي والفزاري فاطمئن إليه، كان هؤلاء الأئمة في السنة، وحدث أبو علي الروزباري: كان أربعة زمانهم واحد، كان أحدهم لا يقبل من السلطان ولا من الإخوان، يوسف بن أسباط، ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها شيئاً، وكان يعمل الخوص بيده، وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً، أبو إسحاق الفزاري، فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون والذي يأخذه من السلطان ينفقه في أهل طرسوس، والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان، وهو عبد الله بن المبارك، يأخذ من الإخوان ويكافيء عليه، والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان، وهو مخلد بن الحسين، كان يقول: السلطان لا يمن والإخوان يمنون.

وحدث ابن عساكر فيما رفعه إلى الأصمعي قال: كنت جالساً بين يدي هارون الرشيد، أنشده شعراً وأبو يوسف القاضي جالس على يساره، فدخل الفضل بن الربيع فقال: بالباب أبو إسحاق الفزاري، فقال: أدخله، فلما دخل قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له الرشيد: لا سلم الله عليك، ولا قرب دارك، ولا حيا مزارك، قال لم يا أمير المؤمنين؟ قال: أنت الذي تحرم السواد فقال يا أمير المؤمنين من أخبرك بهذا؟ لعل هذا أخبرك، وأشار إلى أبي يوسف، وذكر كلمة: والله يا أمير المؤمنين،

لقد خرج إبراهيم على جدك المنصور، فخرج أخي معه وعزمت على الغزو فأتيت أبا حنيفة فذكرت له ذلك، فقال لي: مخرج أخيك أحب إلي مما عزمت عليه من الغزو، ووالله ما حرمت السواد. فقال الرشيد: فسلم الله عليك وقرب دارك، وحيا مزارك، اجلس أبا إسحاق، يا مسرور ثلاثة آلاف دينار لأبي إسحاق، فأتى بها، فوضعت في يده وانصرف بها، فلقيه ابن المبارك فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من عند أمير المؤمنين، وقد أعطاني هذه الدنانير، وأنا عنها غني، قال فإن كان في نفسك منها شيء فتصدق بها، فما خرج من سوق الرافقة حتى تصدق بها كلها.

وفضائل أبي إسحاق كثيرة، اختصرت منها حسب ما شرطت من الإيجاز من تاريخ دمشق لابن عساكر.

إبراهيم بن محمد سعدان بن المبارك

النحوي، أحد من كتب وصحح ونظر وحقق، وروى وصدق، وقد صنف كتباً حسنة، منها كتاب الخيل لطيف، كتاب حروف القرآن، وأبوه محمد بن سعدان المكفوف أحد أعيان أهل العلم من القراء، وله باب يذكر فيه.

إبراهيم بن القاسم الكاتب

يعرف بالرقيق القيرواني، والرقيق لقب له، رجل فاضل، له تصانيف كثيرة في علم الأخبار، ومنها كتاب تاريخ إفريقية والمغرب، عدة مجلدات، وكتاب النساء كبير، وكتاب الراح والارتياح كتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك أربع مجلدات، وذكره ابن رشيق فقال: هو شاعر سهل الكلام محكمه لطيف الطبع قويه، تلوح الكتابة على ألفاظه، قليل صنعة الشعر، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار، وهو بذلك أحذق الناس، وكاتب الحضرة منذ نيف وعشرين سنة إلى الآن، ومن شعره جواباً عن أبيات كتبها إليه عمار بن جميل، وقد انقطع عن مجالس الشراب:

قريض كابتسام الرو ... ض جمشه نسيم صبا
كعقد من جمان الط ... ل منظوم وما ثقبا
ومنثور كنثر الد ... رِّ من أسلاكه انسربا
فأهدى نشر زهرته ... فتيت المسك منتهبا
إذا أثماره جنيت ... جنيت العلم والأدبا
بهزل حين ينشده ... كأنك منتش طربا

حباك به أخ يرعى | من العهد الذي وجبا
صديق مثل صفو الما | ء بالصهباء قد قطبا
كنزت مودة منه | كفت أن أكنز الذهبا
إذا عد امرؤ حسباً | فحسبي ذكره نسباً
ألذ من الحياة لد | يَّ لكن قلبه قلبا
فهان عليه ما ألقى | وظن تجلدي لعبا
جفوت الراح عن سبب | وكان لجفوتي سببا
فصرت لوحدتي كلاً | على الإخوان مجتنبا
وذاك لتوبة أمل | ت أن أقضي بها أربا
فها أنا نائب منها | فزرني تبصر العجبا

وكان قدم مصر في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بهدية من نصير الدولة باديس بن زيري إلى الحاكم، فقال قصيدة يذكر فيها المناهل، ثم قال:

إذا ما ابن شهر قد لبسنا شبابه | بدا آخر من جانب الأفق يطلع
إلى أن أقرت جيزة النيل أعيناً | كما قر عيناً ظاعن حين يرجع

يقول فيها بعد مدح كثير ووصف جميل:

هدية مأمون السريرة ناصح | أمين إذا خان الأمين المضيع
وما مثل باديس ظهير خلافة | إذا اختير يوماً للظهيرة موضع
نصير لها من دولة حاتمية | إذا ناب خطب أو تفاقم مطمع
حسام أمير المؤمنين وسهمه | وسم زعاف في أعاديه منقع

قال: ومن مليح كلامه قوله من قصيدةٍ:

إذا ارججنت بما تحوي مآزرها | وخف من فوقها خصر ومنتطق
ثنى الصبا غصناً قد غازلته صباً | على كثيب له من ديمة لثق
للشمس ما سترت عنا معاجرها | وللغزال احورار العين والعنق

مظلومة أن يقال البدر يشبهها البدر يكسف أحياناً وينمحق
يجلل المتن وحف من ذوائبها جبينها تحت داجي ليلة فلق
كأنها روضة زهراء حالية بنورها يرتعي في حسنها الحدق

قال ومن أعجب ما سمعت له قوله من قصيدة يمدح محمد بن أبي العرب:

أظالمة العينين يخلطها سحر وإظلم الخدان واهتضم الخصر
أعوذ ببرد من ثناياك قد ثنى إليك قلوباً حشو اثنائها جمر
لقد ضمنت أن ضمانتي ستبري عظامي بالنحول ولا تبرو
وما أم ساجي الطرف خفاقة الحشا أطاع لها الحوذان والسلم النضر
إذا ما رعاها نصت الجيد نحوه أغن قصير الخطو في لحظه فتر
بأملح منها ناظراً ومقلداً ولكن عداني عن تقنصها الهجر

يقول في مديحها:

تصباه أبكار العلا ليس أنها منعمة هيفاء أو غادة بكر
يخال بأن العرض غير موفر عن الذم إلا أن يدال له الوفر

يقول فيها يصف بلاغته وكتابته:

يوشح ديباج البلاغة أحرفا يكاد يرى روضاً يوشحه الزهر
ويفصح لفظاً خطها من فصاحة ويشرق من تحبير ألفاظها الحبر
يصيب عيون المشكلات بديهة وتبدى له أعقاب ما غيب الفكر

ثم ذكر الممدوح فقال:

وملمومة شهباء يسعى أمامها شهاب عزيم من طلائعه الذعر
يزجى بنات الأعوجية شزباً عليها بنو الهيجا دروعهم الصبر
أسود وغىً تحت العجاجة غابها سريجية بيض وخطية سمر
صبحت بها دهماء قوم أرتهم وجوه الردى حمراً خوافقها الصفر

قال: ومثل هذه القصيدة في الجودة قصيدة طويلة يتشوق فيها إخوانه بمصر وهي:

هل الريح إن سارت مشرقة تسري تؤدي تحياتي إلى ساكني مصر؟

فما خرطت إلا بكيت صبابة وحملتها ما ضاق عن حمله صدري

تراني إذا هبت قبولاً بنشرهم شممت نسيم المسك في ذلك النشر

وما أنس من شيء خلا العهد دونه فليس بخال من ضميري ولا فكري

ليال أنسناها على غرة الصبا فطابت لنا إذ وافقت غرة الدهر

لعمري لئن كانت قصاراً أعدها فلست بمعتد سواها من العمر

أخادع دهري أن يعود بفرصة فيفقد روح الوصل من راحة الهجر

وترجع أيام خلت بمعاهد من اللهو لا تنفك مني على ذكر

فكم لي بالأهرام أو دير نهية مصايد غزلان المكابد والقفر؟

إلى الجيزة الدنيا وما قد تضمنت جزيرتها ذات المواخير والجسر

وبالمقس فالبستان للعين منظر أنيق إلى شاطئ الخليج إلى القصر

وفي سردوس مستراد وملعب إلى دير مرحنا إلى ساحل البحر

وكم بين بستان الأمير وقصره إلى البركة الزهراء من زهر نضر؟

تراها كمرآة بدت في رفارف من السندس الموشى ينشر للتجر

وكم بت في دير القصير مواصلاً نهاري بليلي لا أفيق من السكر

تبادرني بالراح بكر غريرة إذا هتف الناقوس في غرة الفجر

مسيحية خوطية كلما انثنت تشكت أذى الزنار من دقة الخصر

وكم ليلة لي بالقرافة خلتها لما نلت من لذاتها ليلة القدر

سقى الله صوب القصر تلك مغانياً وإن غنيت بالنيل من سبل القطر

وله أيضاً في الغزل:

رئم إذا ما معاريض المنى خطرت أجله المتمنى عن أمانيه

يا إخوتي أأقاحي فيه أقبل لي؟ أم خط راءين من مسك على فيه؟

أم حس ذاك التراخي في تكلمه أم حسن ذاك التهادي في تثنيه؟؟

أم سخطه أم رضاه أم تجنبه؟؟؟ أم عطفه أم نواه أم تدانيه؟؟

نفسي فداؤك مالي عنك مصطبر | يا قاتلي كل معنى من معانيه

وقال يرثي:

أهون ما ألقى وليس بهين | بأن المنايا للفوس بمرصد
وإني وإن لم ألقك اليوم رائحاً | لصرف رزاياها لقيتك في غد
فلا يبعدنك الله ميتاً بقفرة | معفر خد في الثرى لم يوسد
تردى نجيعاً حين بزت ثيابه | كأن على أعطافه فضل مجسد
مضاء سنان في سنان مذلق | وفتك حسام في حسام مهند

إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر

أبو إسحاق الكاتب الأديب الفاضل، الشاعر الجواد المترسل، صاحب النظم الرائق، والنثر الفائق، تولى الولايات الجليلة، ثم وزر للمعتمد على الله، لما خرج من سر من رأى بريد مصر، ومات في سنة تسع وسبعين ومائتين وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضياع ببغداد.

وأصلهم من ستمسيان، وكان يدعي أنه من ضبة، وأخوه أحمد من جلة الكتاب وأفاضلهم وكرامهم، وحسدته الكتاب على مترلته من السلطان، فأغروه به، حتى أخرجه إلى دمشق متولياً عليها، وناظراً في تحصيل أموالها، وقبله ابن طولون في أمرٍ قد ذكرته في كتابي التاريخ.

وإبراهيم بن المدبر هو القائل في إبراهيم بن العباس الصولي يهجوه:

عز الطويل عن الأزمة | لا رده ربي بذمه
إن كان طال فإنه | من أقصر الثقلين همه
هب كنت صولاً نفسه | من كان صول ناك أمه

ومن شعره أيضاً:

يا كاشف الكرب بعد شدته | ومنزل الغيث بعد ما قنطوا
لا تبل قلبي بشحط بينهم | فالموت دان إذا هم شحطوا

من كتاب نظم الجمان للمنذري، قال العطوي الشاعر: أتيت إبراهيم بن المدبر، فاستأذنت عليه، فلم يأذن لي حاجبه، فأخذت ورقة وكتبت فيها:

أتيتك مشتاقاً فلم أرَ جالساً | ولا ناظراً إلا بوجه قطوب

كأني غريم مقتض أو كأنني نهوض حبيب أو حضور رقيب

فسألت الحاجب حتى أوصلها إليه، فلما قرأها قال: ويحك، أدخل علي هذا الرجل، فدخلت فأكرمني، وقضى حوائجي.

قال أبو علي: سمعت أبا محمد المهلبي يتحدث وهو وزير في مجلس أنس، أن رجلاً كان ينادم بعض الكتاب الظراف، وأحسبه قال: ابن المدبر قال: كنت عنده ذات يوم، فرجع غلام له أنفذه في شيء لا أدري ما هو، فقال له رب الدار ما صنعت؟ فقال ذهبت و لم يكن، فقام يجيء، فجاء، فلم يجيء، فجئت، قال فتبينت في رب الدار تغيراً وهماً، و لم يقل للغلام شيئاً، فعجبت من ذلك، ثم أخذ بيدي وقال: قد ضيق صدري ما جاء به هذا الغلام، فقم حتى تدور في البستان الذي في دارنا ونتفرج، فلعله يخف ما بي، فقلت: والله لقد توهمت أن صدرك قد ضاق بانقلاب كلام الغلام عليك، وقد فهمته وهو ظريف، فقال: إن هذا الغلام من أحصف وأظرف غلام يكون، وذاك أنني ممتحن بعشق غلام أمرد وهو ابن نجاد في جيراننا، والغلام يساعدني عليه، وأبوه يغار عليه، ويمنعه مني، فوجهت هذا الغلام، وقلت: إن لم يك أبوه هناك، فقل له يصير إلينا، فرجع، فلما رآك عندي، قدر أني لم أطلعك على الأمر فرد هذا الجواب الظريف الذي سمعته، فقلت: أعده علي أنت لأفهمه، فقال: إنه يقول: ذهبت إلى الغلام، و لم يكن أبوه هناك، فقام الغلام يجيء، فجاء أبوه، فلم يجيء الغلام فجئت أنا، فقلت له: هذا الغلام يجب أن يكون أخاً وصديقاً لا غلاماً، وقال مخلد بن علي الشامي الحوراني يهجو ابن المدبر:

على أبوابه من كل وجه قصدت له أخو مر بن أد

يعني ضبة بن أد، يعني أبوابه مضببة باللؤم أو محكمة عن الخير وكان ابن المدبر ينسب إلى ضبة:

أخو لخم أعارك منه ثوباً هنيئاً بالقميص لك الأجد

وأخو لخم يريد جذاماً.

أبوك أراد أمك حين زفت فلم توجد لأمك بنت سعد

بنت سعد يريد عذرة بن سعد بن هذيم القبيلة المعروفة.

وزبد في الهجاء بغير ذال أحب إليك من عسل بزبد

رأيتك لا تحب الود إلا إذا ما كان من عصب وجلد

أراني الله عرك في الجعبي وعينك عين بشار بن برد

العر: الجرب. والجعبي: الأست. وعين بشار: يعني أعمى لأن بشار بن برد كان أعمى.

إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال

ابن عاصم، بن سعد، بن مسعود، بعمرو، بن عمير، ابن عوف، بن عقدة، بن غبرة، بن عوف، بن ثقيف، الثقفي، أصله كوفي، وسعد بن مسعود، هو أخو عبيد بن مسعود، صاحب يوم الجسر، في أيام عمر بن الخطاب مع الفرس، وسعد هو عم المختار بن أبي عبيد الثقفي، ولاه علي كرم الله وجهه المدائن، وهو الذي لجأ إليه الحسن يوم ساباط، وكنية إبراهيم أبو إسحاق، وكان جباراً من مشهوري الإمامية، ذكره أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسي في مصنفي الإمامية، وذكر أنه مات في سنة ثلاث وثمانين ومائتين قال وانتقل من الكوفة إلى أصفهان، وأقام بها، وكان زيدياً أولاً، وانتقل إلى القول بالإمامية.

وله مصنفات كثيرة، منها: كتاب المغازي، كتاب السقيفة، كتاب الردة، كتاب مقتل عثمان، كتاب الشورى، كتاب بيعة أمير المؤمنين، كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب الحكمين، كتاب النهر، كتاب الغارات، كتاب مقتل أمير المؤمنين، كتاب رسائل أمير المؤمنين وأخباره وحروبه، غير ما تقدم، كتاب قيام الحسن بن علي رضي الله عنهما، كتاب مقتل الحسين، كتاب التوابين وعين الوردة، كتاب أخبار المختار، كتاب فدك: كتاب الحجة في فعل المكرمين، كتاب السرائر، كتاب المودة في ذوي القربى، كتاب المعرفة، كتاب الحوض والشفاعة، كتاب الجامع الكبير في الفقه، كتاب الجامع الصغير، كتاب ما نزل منن القرآن في أمير المؤمنين، كتاب فضل الكوفة، ومن نزلها من الصحابة، كتاب الإمامة كبير، كتاب الإمامة صغير، كتاب المتعتين، كتاب الجنائز، كتاب الوصية، كتاب المبتدإ كتاب أخبار عمر، كتاب أخبار عثمان، كتاب الدار، كتاب الأحداث، كتاب الحرورية، كتاب الاستيفاء والغارات، كتاب السير، كتاب يزيد، كتاب ابن الزبير، كتاب التعبير، كتاب التاريخ، كتاب الرؤيا، كتاب الأشربة الكبير والصغير، كتاب محمد وإبراهيم، كتاب من قتل من آل محمد، كتاب الخطب.

إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي عون

ابن هلال أبي النجم الكاتب أبو إسحاق، صاحب كتاب التشبهات لابن أبي عون، وكان من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني، المعروف بابن أبي العزاقر، وأحد ثقاته، وممن كان يغلو في أمره، ويدعي أنه إلهه، تعالى الله عن ذلك، وكان ابن أبي العزاقر من أهل قرية من قرى واسط، تعرف بشلغمان، وكان كاتباً ببغداد.

ذكر ثابت أن المحسن بن الفرات، كان له عناية به، فاستخلفه ببغداد لجماعة من العمال بنواحي السلطان،

وكانت صورته صورة الحلاج، وكان له قوم يدعون أنه إلههم، وأن روح الله عز وجل حل في آدم، ثم في شيث، ثم في واحد واحد من الأنبياء والأوصياء، والأئمة، حتى حل في الحسن بن علي العسكري، وأنه حل فيه، ووضع كتاباً سماه الحاسة السادسة، وأباح الزنا والفجور، فظفر به الراضي بالله، فقتله في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكان قد استغوى جماعة، منهم: ابن أبي عون صاحب كتاب التشبيهات، وكانوا يبيحونه حرمهم، وأموالهم يتحكم فيها، وكان يتعاطى الكمياء وله كتب معروفة ولما أخذ ابن أبي العزاقر، أخذ معه، فلما قتل ابن أبي العزاقر، عرض على إبراهيم بن أبي عون أن يشتمه، أو يبصق عليه، فأبى وأرعد وأظهر خوفاً من ذلك للحين، والشقاء، فقتل، وألحق بصاحبه، وكان من أهل الأدب، وتأليف الكتب، وكان ناقص العقل متهوراً.

قال ثابت: قيل إن أبا جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر ادعى الربوبية فقتل هو وإبراهيم ابن محمد بن أحمد بن أبي النجم، المعروف بابن أبي عون صاحبه، ضربا بالسوط، ثم ضربت أعناقهما وصلبا، ثم أحرقت جثتهما، وذلك يوم الثلاثاء، لليلة خلت من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، نقلته من خطه، وله من التصانيف كتاب النواحي والبلدان، كتاب الجوابات المسكتة، وكتاب التشبيهات، كتاب بيت مال السرور، كتاب الدواوين. كتاب الرسائل.

قال المرزباني: أبو عون أحمد بن أبي النجم الكاتب الأنباري، مولى لبني سليم، وأبو عون وعماه صالح وماجد ابنا أبي النجم شعراء كلهم، وماجد يكنى أبا الدميل، وأبو عون هو القائل في حاتم بن الفرج وكان أبو شبل البرجمي الشاعر في قدمته سر من رأى نزل عليه، وكان أبو شبل أهتم، فقال فيه أبو عون:

لحاتم في بخله فطنة ... أدق حساً من خطى النمل

قد جعل الهتمان ضيفانه ... فصار في أمنٍ من الأكل

ليس على خبز امرئ ضيعة ... آكله عصم أبو شبل

كم قدر ما كله كفه ... إلى فم من سنه عطل؟

فحاتم الجود أخو طيء ... كان وهذا حاتم البخل

وذكر أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني، وكان ابن أبي عون أحد القواد، ممن قربه إليه أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة، وأكسبه مالاً، فلما قبض على أبي الهيثم صار ابن أبي عون عوناً عليه مع أعدائه، وكان فيمن وكله بدار أبي الهيثم، و لم يحسن إليه أبو الهيثم إلا على بصيرة فيه بظلمه وفسقه، فسلطه الله عليه، كما كان هو يسلطه على الناس، قال ابن أبي عون: أظن أن أبا الهيثم كان يهودياً، قيل: وكيف ذلك؟ قال لأني أخذت غلاماً له ففسقت به في دبره وسكرت، وطلبت أم ولده لأفجر بها، و لم أقدر عليها، ولو

كان أبو الهيثم مسلماً لغضب الله له، وهذا قول متمرد على الله، مستغر بإمهال الله تعالى له، و لم يهمله الله عز وجل، ثم أخذه بسوء عمله، وكان ممن آمن بالحلاج وآمن بربوبيته، وأخذ مع من أخذ من أصحاب الحلاج، وقتل شر قتلة، كذا قال الحلاج، إنما هو ابن أبي العزاقر، وإن كانت علتهما واحدة.
وقرأت بمرو رسالة كتبت من بغداد عن أمير المؤمنين الراضي رضي الله عنه إلى أبي الحسين نصر بن أحمد الساماني والي خرسان بقتل العزاقري، لخصت ما يتعلق بابن أبي عون، قال فيها بعد أن ذكر أول من أبدع مذهباً في الإسلام من الرافضة وأهل الأهواء، وآخر من اضطر المقتدر بالله رحمه الله فانتقم منهم من المعروف بالحلاج، وخبره أرفع وأشهر من أن يوصف ويذكر، وأراق دمه وأزال تمويهه وحسمه.

ولما ورث أمير المؤمنين ميراث أوليائه، وأحله الله محل خلفائه، اقتدى بسنتهم، وجرى على شاكلتهم، في كل أمر قاد إلى مصلحة، ودفع ضرر، وعاد إلى الإسلام وأهله بمنفعة، وجعل الغرض الذي يرجو الإصابة بتيممه، والمثوبة بتعمده، أن يتتبع هذه الطبقة من الكفار، ويطهر الأرض من بقيتهم، الفجار، فبحث عن أخبارهم، وأمر بتقصص آثارهم، وأن ينهي إليه ما يصح من أمورهم، ويحصل له ما يظهر عليه من جمهورهم، فلم يعد أن أحضر أبو علي محمد وزير أمير المؤمنين رجلاً، يقال له محمد بن علي الشلغماني، ويعرف بابن أبي العزاقر، فأعلم أمير المؤمنين أنه من غمار الناس وصغارهم، ووجوه الكفار وكبارهم، وأنه قد استزل خلقاً من المسلمين، وأشرك طوائف من العمهين، وأن الطلب قد كان لحقه في الأيام الخالية فلم يدرك، وأودعت المحابس قوماً ممن ضل وأشرك، فلما رفع حكمه عنه، وأذن في استنقاذ العباد منه، واطلع من أبي عليّ على صفاء نية، ونقاء طوية، في ابتغاء الأجر، وطلابه رضا الله عز وجل واكتسابه، والامتعاض من أن ينازع في الإلهية، أو يضاهي في الربوبية، آنسه بناحيته فاسترسل، وحثه بالمصير إلى حضرته، فتعجل، ففحص أمير المؤمنين عنه، ووكل إليه همه ففتش أمره تفتيش الحائط للمملكة، المحامي عن الحوزة، القائم بما فوضه الله إليه من رعاية الأمة، ووقف أمير المؤمنين على أنه لم يزل يدخل على العقول من كل مدخل، ويتوصل إلى ما فيها من كل متوصل، ويعتزى إلى الملة وهو لا يعتقدها، وينتمي إلى الخلة وهو عار منها، ويدعي العلوم الإلهية وهو عمٍ عنها، ويحقق استخراج الحكم الغامضة وهو جاهل بها، ويتسم بالقدرة على المعجزات، وهو عاجز عن ممكن الأشياء ومتهيئها، وينتحل الثقة في دين آل محمد، وهو يضمر التبرؤ منها، ويشنؤه ويسبه صلى الله عليه وسلم ويعظمه، يرمق ظاهره العيون، فيصرف عنه الظنون، إلى أن دلته الحيلة والمكر والغيلة، على قوم من ذوي الجدة واليسار والثروة والاحتكار، قد أترفهم النعيم فبطروا، وألهاهم فأشروا، ولججهم في بحار اللذة وتولجوها على كل علة، والتمسوا في ذلك رخصة يجعلونها لأنفسهم عمدة وعصمة، وآخرين لا جدة عندهم ولا سعة، قد قويت

شهواتهم، وضعفت حالاتهم، فهم يطلبون أقواتهم بالحق والباطل، ويخوضون في مثلها مع الجاد والهازل، فأباحهم المحظورات، وأحل لهم المحرمات، وامتطى لهم مركب الغرور، وتهور بهم غايات الأمور، ولم يدع فناً من الفنون، ولا نوعاً من الأنواع المخزية إلا فسح لهم فيه، وشحذ عزائمهم عليه، حتى دان له واتبعه وأطاعه وشايعه خلق رين على قلوبهم، فهم لا يفقهون، وضرب على آذانهم، فهم لا يسمعون، وغطيَ على أعينهم، فهم لا يبصرون، وحيل بينهم وبي الرشد، فهم لا يرعوون وأنسوا التدبر والتفكر في خلق أنفسهم، والسماء التي تظللهم، والأرض التي تقلهم فأصفقوا بأجمعهم على أنه خالقهم، وربهم ورازقهم، ومحييهم، يحل فيما شاء من الصور، ويحدث ما شاء من الغير، ويفعل ما يريد، ولا يعجزه قريب ولا بعيد، وادعوا له الدعاوى الباطلة، وزعموا أنهم عاينوا منه الآيات المعضلة، واستظهر أمير المؤمنين، بأن تقدم إلى أبي عليٍّ بمواقفة هذا اللعين على تمويهاته، وقبائح تلبيساته، ليكون إقامة أمير المؤمنين حد الله عليه، بعد الإنعام في الاستبصار، وانكشاف الشبهة فيه عن القلوب والأبصار، فتجرد أبو علي في ذلك وتشمر، وبلغ منه وما قصر وانثال عليه كل من اطلع على الحقيقة، وتعرف جلية الصورة فوقف أبو علي على أن العزاقري يدعي أنه لحق الحق، وأنه إله الآلهة، الأول القديم، الظاهر، الباطن، الخالق، الرازق، التام، الموصى إليه بكل معنى، ويدعى بالمسيح، كما كانت بنو إسرائيل تسمي الله عز وجل المسيح، ويقول: إن الله جل وعلا، يحل في كل شيء، على قدر ما يحتمل، وأنه خلق الضد ليدل به على مضدوده، فمن ذلك أنه جلى في آدم لعيه السلام لما خلقه، وفي إبليس، وكلاهما لصاحبه يدل عليه لمضادته إياه في معناه، وأن الدليل على الحق أفضل من الحق، وأ الضد أقرب إلى الشيء من شبهه، وأن الله عز وجل إذا حل في هيكل جسد ناسوتي، أظهر من القدرة المعجزة ما يدل على أنه هو، وأنه لما غاب آدم عليه السلام، ظهر اللاهوت في خمسة ناسوتية، كلما غاب منهم واحد، ظهر مكانه غيره، وفي خمسة أبالسة أضداد لتلك الخمسة، ثم اجتمعت اللاهوتية في إدريس عليه السلام،

وإبليسه، وتفرقت بعدهما، كما تفرقت بعد آدم عليه السلام واجتمعت في نوح عليه السلام وإبليسه، وتفرقت عند غيبتهما، حسب ما تقدم ذكره، واجتمعت في صالح وإبليسه عاقر الناقة، وتفرقت بعدهما، واجتمعت في إبراهيم وإبليسه نمرود، وتفرقت بعدهما، واجتمعت في هارون وإبليسه فرعون، وتفرقت على الرسم بعدهما، واجتمعت في داود عليه السلام وإبليسه جالوت، وتفرقت لما غاب، واجتمعت في سليمان عليه السلام وإبليسه، وتفرقت كعادتها بعدهما، واجتمعت في عيسى عليه السلام وإبليسه، ولما غاب تفرقت في تلامذة عيسى كلهم عليهم السلام، والأبالسة معهم، واجتمعت في علي بن أبي طالب وإبليسه، وتفرقت بعدهما، إلى أن اجتمعت في ابن أبي العزاقر وإبليسه، ويصف أن الله عز وجل يظهر في كل شيء بكل معنى، وأنه في كل أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه، فيتصور له ما يغيب عنه كأنه يشاهده،

وأن الله اسم لمعنى، ومن احتاج إليه الناس فهو إلههم، ولهذا يستوجب كل كفيٍّ أن يسمى الله، وأن كل واحد من أشياعه لعنه الله يقول: إنه رب لمن هو دون درجته، وأن الرجل منهم يقول: إني رب فلان، وفلان رب فلان، حتى الانتهاء إلى ابن أبي العزاقر، لعنه الله، فيقول أنا رب الأرباب، وإله الآلهة، لا ربوبية لرب بعدي، وأنهم لا ينسبون الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، لأن من اجتمعت له اللاهوتية لم يكن له والد ولا ولد، وأنهم يسمون موسى ومحمداً صلى الله عليهما الخائنين، لأنهم يدعو أن هارون أرسل موسى عليهما السلام، وأن علياً رضي الله عنه، أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم فخاناهما، ويزعمون أن علياً أمهل النبي صلى الله عليه وسلم عدة أيام أصحاب الكهف سنين، فإذا انقضت هذه المدة وهي خمسون وثلاثمائة سنة تنقلب الشريعة، ويصفون أن الملائكة كل من ملك نفسه، وعرف الحق ورآه، وأن الحق حقهم، وأن الجنة معرفتهم، وانتحال نحلتهم، والنار الجهل بهم، والصدود عن مذهبهم، ويغتفرون ترك الصلاة والصيام والاغتسال، ويذكرون أن من نعم الله على العبد، أن يجمع له اللذتين، وأنهم لا يتناكحون بتزويج على السنة، ولا بحال تأول أو رخصة، ويبيحون الفروج ويقولون: إن محمداً عليه السلام بعث إلى كبراء قريش وجبابرة العرب، وقلوبهم قاسية، ونفوسهم آبية، فكان من الحكمة ما طالبهم به من السجود، وأن من الحكمة الآن أن يمتحن الناس في إباحة فروج حرمهم، وأن لا شيء عندهم في ملامسة الرجل نساء ذوي رحمه، وحرم صديقه وأبيه بعد أن يكون على مذهبه، ولا ينكرون أن يطلب أحدهم من صاحبه حرمته ويردها إليه، فيبعث بها طيبة نفسه، وأنه لابد للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النور فيه. وابن أبي العزاقر له في هذه الخصلة كتاب، سماه كتاب الحاسة السادسة، وقال: إنه متى أبى ذلك آب قلب في الكون الذي يجيء بعد هذا امرأة، إذ كان يحقق التناسخ وأنه ومن معه يرون البراءة من الطالبيين، كما يرونها من العباسيين، ويدعون إلى أنفسهم دون غيرهم، إذ كان الحق عندهم، ويظهر فيهم، ووجد كتاب من الحسين ابن القاسم، بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، قيل إنه إلى إبراهيم بن محمد، بن أحمد بن أبي النجم، المعروف بابن أبي عون، أحد وجوه العزاقرية، ترجمته:

إلى مولاي بشرى، من غلامه مرزوق الثلاج، المسكين الفقير، الذي بفضل الله يجمع الله بينه وبينه، في خير وعافية برحمته، يقول في فصل منه: على مولاي أعتمد، وهو حسبي، وفي فصل آخر: ومولاي أهل للتفضل علي، ورحمة ضعفي، وأرجو ألا يتأخر بفضله عني، وينجزني وعده، وعيني ممدودة إلى تفضل مولاي، وأسأله به إعانتي، فسئل ابن أبي العزاقر عن ذلك الكتاب، فكتب بيده؟ إنه بخط الحسين بن علي بن القاسم، إلى ابن أبي عون، ووافق ابن أبي عون على ذلك لأن الله أظفر به ومكن منه، ورداه رداء ما عمل، ووفاه غاية ما كتب له من المهل، واعترف بأنه كتاب الحسين ابن علي بن القاسم إليه، وأن ما

على عنوانه صحيح، وأنه هو بشرى، وأن مرزوقاً الثلاج هو الحسين بن القاسم، وكتب ذلك بخطه، وأشهد جماعة من العدول على ما اعترف به: ووجدت رقعة لابن أبي عون هذا بخطه، إلى بعض نظرائه، يخاطبه فيها كما يخاطب الإنسان ربه، تبارك وتعالى، ويقول في بعض فصولها: لك الحمد، وكل شيء، وما شئت كان، ربي، وفي فصل آخر منها: ولك الحمد على تشريفك وتقريبك، فوقف عليها، واعترف بها، وأشهد على نفسه عدة من العدول بصحتها.

ووجدت رقعة من المعروف بابن شيث الزيات، إلى ابن أبي عون هذا، يقول فيها: يا مولاي، عوائد مولاي عندي لطيفة، ورحمته وتفضله، وجميل إحسانه بامتنانه علي على كل حال، وائتناسي تفضل منه ورحمة، فأسأله بجوده، أن يتمم ما تفضل به، ولا يسلبني إياه، فإن نعمه عليّ ظاهرة وباطنة، قد ألبسني عافيته، وأصلح شأني، واصلح ولدي، ورزقني القناعة، وفي ذلك الغناء الأكبر، وأكبر منه تفضله عليّ بأمر عظيم، لا يجازى بشكر، ولا يسعه إلا تفضله، فإن مولاي الكبير، دعاني ابتداء فصرت إليه، فقربني وأدناني، ومنّ علي بحديثه، وسقاني بعد جهد بيده، وقربني غاية القرب، ومع هذه الحالة العظيمة، وإعطائه لي الملك الخفي، فقد صحا قلبي عن كل كسر كان فيه، وكل شدة جرت، وفعل بي ما لم يفعله بالثلاج، وأرجو أن يمن مولاي بإتمام صلاحي ديناً ودنيا، والمنة لمولاي، وأسأل مولاي الإحسان والتفضل، فإني فقير على كل حال، وأرجو منه توسعة في كل ضيق، وأمناً من كل خوف وأماناً من الشدائد، وما هو أولى به مما لا أعلمه وهو القادر عليه، والرحيم فيه، بمنه وجميل إحسانه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

واعترف ابن أبي عون أنها إليه، وأن المخاطبة فيها له، وأن ابن شيث أراد بقوله "مولاي الكبير"، ابن أبي العزاقر، وبقوله "الثلاج" الحسين بن القاسم، وأعطى بذلك خطه، وأشهد به، ووجد هذا الرجل مستبصراً في كفره، مستظهراً في أمره، مستقصياً في طريق غيه، ماضياً في عنان شركه وإفكه، حتى إنه كلف التبرؤ من ابن أبي العزاقر لعنه الله ونيله بإهانة يصغر بها قدره، فامتنع من ذلك وأبى، وحاد عنه واستعصى، إلى أن لم يجد محيصاً، فمد يده إلى لحيته، على سبيل توقير وتكريم، وإجلال وتعظيم، وصرف تعد، وإماطة الأذى، وقال معلناً غير مخافت، "مولاي مولاي" هذا إلى ما وجد بخطه، وخطوط نظرائه، من الكبائر التي لا تسوغ في الدين، ولا يحتملها ذو يقين، وإلى ما رسمته هذه الفرقة من الأدعية، التي موهت بها على أهل الوكالة، والغباوة، وإذا تأملها أولو الروية والرواية، وجدت مباينة لما ألف في الشريعة، مشوبة بالمكر والتدليس، مشحونة بالختل والتلبيس، محلة دم مبتدعها، والمتمسك بها، واستفتى أبو علي القضاة والفقهاء، في أمر ابن أبي العزاقر وصاحبه هذا الكافر، وسائر من على مذهبه، ممن وجدت له كتب ومخاطبة، ومن لم يوجد له ذلك، فأفتى من استفتى منهم بقتلهم، وأباحوا دماءهم، وكتبوا بذلك خطوطهم، فأمر أمير المؤمنين بإحضار ابن أبي العزاقر اللعين، وابن أبي عون صاحبه، وضربيه وتابعه، وأن يجلدا، ليراهما من سمع

بهما، ويتعظ بما نزل من العذاب بساحتهما، ويتبين من دان بربوبية ابن أبي العزاقر عجزه عن حراسة نفسه، وأنه لو كان قادراً، لدفع عن مهجته، ولو كان خالقاً دفع وكشف الضر عن جسده، ولو كان رباً لقبض الأيدي عن نكايته.

وجدد أمير المؤمنين الاستظهار، والحزم والروية فيما يمضيه عن العزم، وأحضر عمر بن محمد القاضي بمدينة السلام، والعدول بها، والفقهاء من أهل مجلسه، وسألهم عما عندهم، مما انكشف من أمر ابن أبي العزاقر، وأمور أهل دعوته، وغيه وضلالته، فأقامت الكافة على رأيها في قتله، وتطهير الأرض من رجسه، ورجس مثله، وزال الشك في ذلك عن أمير المؤمنين بالفتيا، وإجماع القاضي والفقهاء، وبما وضح من إزلال هذا الضلال المسلمين، وإفساد الدين، وذلك أعظم وأثقل وزراً من الإفساد في الأرض، والسعي فيها بغير الحق، وقد استحق من جرى هذا المجرى القتل، فأوعز أمير المؤمنين بصلبه وصلب ابن أبي عون، بحيث يراهما المنكر والعارف، ويلحظهما المجتاز والواقف، فصلبا في أحد جانبي مدينة السلام، ونودي عليهما بما حاولاه من إبطال الشريعة. ورأياه من إفساد الديانة. ثم تقدم أمير المؤمنين بقتلهما، ونصب رؤوسهما، وإحراق أجسامهما، ففعل ذلك بمشهد من الخاصة والعامة، والنظارة والمارة.

إبراهيم بن محمد نفطويه

هو إبراهيم بن محمد، بن عرفة بن سليمان، بن المغيرة ابن حبيب بن المهلب، بن أبي صفرة، العتكي الأزدي من أهل واسط وكنيته أبو عبد الله.

قال الثعالبي: لقب نفطويه تشبيهاً إياه بالنفط، لدمامته وأدمته، وقدر اللقب على مثال سيبويه لأنه كان ينسب في النحو إليه، ويجري في طريقته، ويدرس شرح كتابه، وأنشدوا: لو أنزل النحو على نفطويه: قال وقد صيره ابن بسام نفطوية بضم الطاء وتسكين الواو وفتح الياء فقال:

رأيت في النوم أبي آدماً ... صلى عليه الله ذو الفضل
فقال أبلغ ولدي كلهم ... من كان في حزن وفي سهل
بأن حوا أمهم طالق ... إن كان نفطوية من نسلي

كان عالماً بالعربية، واللغة، والحديث، أخذ عن ثعلب، والمبرد، وغيرهما، روى عنه أبو عبيد الله المرزباني، وأبو الفرج الأصبهاني، وابن حيوية، وغيرهم، ذكره المرزباني في المقتبس، فقال: ولد في سنة أربع وأربعين ومائتين قال: ومات رحمه الله يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث

وعشرين وثلاثمائة وحضرت جنازته عشاء، ودفن في مقابر باب الكوفة، وصلى عليه البربهاري، وكان يخضب بالوسمة، قال: وكان من طهارة الأخلاق، وحسن المجالسة، والصدق فيما يرويه، على حلا ما شاهدت عليها أحداً ممن لقيناه.

وكان يقول: جلست إلى هذه الأسطوانة مذ خمسون، يعني محلته بجامع المدينة، وكان حسن الحفظ للقرآن، أول ما يبتدئ به في مجلسه بمسجد الأنباريين بالغدوات، إلى أن يقرئ القرآن، على قراءة عاصم، ثم الكتب بعده، وكان فقيهاً، عالماً بمذهب داود الإصبهاني، رأساً فيه، يسلم له ذلك جميع أصحابه، وكان مسنداً في الحديث من أهل طبقته، ثقة، صدوقاً، لا يتعلق عليه شيء من سائر ما رووه، وكان حسن المجالسة للخلفاء والوزراء، متقن الحفظ للسيرة، وأيام الناس، وتواريخ الزمان، ووفاة العلماء وكانت له مروءة، وفتوة وظرف.

ولقد هجم علينا يوماً ونحن في بستان كان له بالزبيدية في سنة عشرين، أو إحدى وعشرين وثلاثمائة، فرآنا على حال تبذل، فانقبضت: وذهبت أعتذر إليه: فقال: في التعاقل على التبذل سخف، ثم أنشدنا لنفسه:

لنا صديق غير عالي الهمم	يحصي على القوم سقاط الكلم
ما استمتع الناس بشيء كما	يستمتع الناس بحسم الحشم

قال المرزباني: وكان يقول من الشعر المقطعات، في الغزل، وما جرى مجراها: كما يقول المتأدبون، وسنورد من ذلك فيما بعد إن شاء الله حسب الكفاية.

وكان بين أبي عبد الله فطويه، وبين محمد بن الأصبهاني مودة أكيدة، وتصاف تام، وكان ابن داود يهوى أبا الحسين محمد بن جامع الصيدلاني، هوىً أفضى به إلى التلف. وقال ابن عرفة نفطويه، فدخلت عليه في مرضه الذي مات فيه، فقلت يا سيدي ما بك؟ فقال: حب من تعلم، أورثني ما ترى، فقلت: ما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: الاستمتاع نوعان: محظور، ومباح، أما المحظور، فمعاذ الله منه، وأما المباح فهو الذي صيرني إلى ما ترى، ثم قال: حدثني سويد بن سعيد الحدثاني، عن أبي يحيى القتات عن مجاهد، عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حب فعف وكتم، ثم مات، مات شهيداً" ثم غشي عليه ساعة، وأفاق، ففتح عينيه، فقلت له أرى قلبك قد سكن، وعرق جبينك قد انقطع، وهذا أمارة العافية، فأنشأ يقول:

أقول لصاحبي وسلياني	وغرهما سكون حمى جبيني

تسلوا بالتعزي عن أخيكم وخوضوا في الدعاء وودعوني

فلم ادع الأنين لضعف سقم ولكني ضعفت عن الأنين

ثم مات من ليلته، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين فيقال إن نفطويه تفجع عليه، وجزع جزعاً عظيماً، و لم يجلس للناس سنة كاملة، ثم ظهر بعد السنة فجلس، فقيل له في ذلك فقال: إن أبا بكر بن داود قال لي يوماً، وقد تجارينا حفظ عهود الأصدقاء، فقال: أقل ما يجب للصديق أن يتسلب على صديقه سنة كاملة، عملاً بقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فحزنا عليه سنة كما شرط.

قال المؤلف لهذا الكتاب: وأخبار أبي بكر بن داود كثيرة، مليحة رائقة، وقد أفردنا له باباً في هذا الكتاب، فقف عليه تطرب وتعجب، قال المرزباني: ومما أنشدنا لنفسه في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة:

غنج الفتور يجول في لحظاته والورد غض النبت في وجناته

وتكل ألسنة الورى عن وصفه أو أن تروم بلوغ بعض صفاته

لا يعرف الإسعاف إلا خطرة لك طول الصد من عزماته

لا يستطيع نعم و لا يعتادها بل لا يسوغ لعل في لهواته

قال وأنشدنا لنفسه:

تشكو الفراق وأنت تزمع رحلة هلا أقمت ولو على جمر الغضا

فالآن عذ بالصبر أو مت حسرة فعسى يرد لك النوى ما قد مضى

قال وأنشدنا لنفسه:

أتخالني من زلة أتعتب قلبي عليك أرق مما تحسب

قلبي وروحي في يديك وإنما أنت الحياة فأين منك المهرب

قال مؤلف الكتاب: و لم يورد أبو عبيد الله إلا هذين البيتين، وأنشدني بعض الأصدقاء، البيت الأول منها، وأتبعه بما لا أعلم، أهو من قول نفطويه أو غيره، وهو:

لا يوحشنك ما صنعت فتنثني متجنباً فهواك لا يتجنب

أنت البريء من الإساءة كلها ولك الرضى وأنا المسيء المذنب

وحياة وجهك وهو بدر طالع وسواد شعرك وهو ليل غيهب

ما أنت إلا مهجتي وهي التي ... أحيا بها أترى على من أغضب؟

قال المرزباني وأنشدني لنفسه:

كفى بالهوى بلوى وبالحب محنة ... وبالهم تعذيباً وبالعذل مغرما
أما والذي يقضي الأمور بأمره ... فما شاء أمضاه وما شاء أحكما
لقد حملتني صبوتي وصبابتي ... من الشوق ما أضنى الفؤاد وتيما

قال وأنشدنا لنفسه:

تجل بلواي عن البلوى ... ويذهل القلب عن الشكوى
يظلمني من لا أرى ظلمه ... وما عليه لي من عدوى
عذبي الحب ولكنني ... لا أطلب الراحة بالبلوى
سلط من أهوى علي الضنى ... لا آخذ الله الذي أهوى

قال: وله:

لك خد تذيبه الأبصار ... يخجل الورد منه والجلنار
لا تغيبي ع ناظري فإنني ... أنا من لحظتي عليك أغار

وكان بين نفطويه وابن دريد مماظة فقال فيه لما صنف كتاب الجمهرة:

إبن دريد بقره ... وفيه لؤم وشره
قد ادعى بجهله ... جمع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلا ... أنه قد غيره

فبلغ ذلك ابن دريد فقال يجيبه:

لو أنزل الوحي على نفطويه ... لكان ذاك الوحي سخطاً عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه ... مستأهل للصفع في أخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه ... وصير الباقي صراخاً عليه

وحدث ابن شاذان قال: بكر نفطويه إلى درب الرواسين، فلم يعرف الموضع، فتقدم إلى رجل يبيع البقل، فقال له: أيها الشيخ، كيف الطريق إلى درب الرواسين؟ قال فالتفت البقلي إلى جار له، فقال: يا فلان ألا

ترى إلى الغلام فعل الله به وصنع، قد احتبس علي، فقال وما الذي تريد منه؟ فقال عوق السلق علي، فما عندي ما أصفع به هذا العاض بظر أمه، فانسل ابن عرفة و لم يجبه، وأنشد الخطيب لنفطويه:

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعني | منه الحياء وخوف الله و الحذر
كم قد خلوت بمن أهوى فيقنعني | منه الفكاهة و التحديث و النظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم | وليس لي في سواه منهم وطر
كذلك الحب لا إتيان معصية | لا خير في لذة من بعدها سقر

ومنه:

أستغفر الله مما يعلم الله | إن الشقي لمن لم يرحم الله
هبه تجاوز لي عن كل مظلمة | واسوءتا من حياء يوم ألقاه

وذكره الزبيدي في كتابه، فقال: كان بخيلاً، ضيقاً في النحو، واسع العلم بالشعر.
قال أبو هلال في كتاب الأوائل: حدثني أبو أحمد، قال: كنا في مجلس نفطويه وهو يملي، فدخل غلام وضيء الوجه، وقال: قال رجل من أهل عصرنا:

كم خاس ميعادك يا مخلف | كم تخلف الوعد وكم تحلف؟؟
قد صرت لا أدعو على كاذب | ولا ظلوم الفعل لا ينصف

فما شك أحد ممن حضر، أن الغلام كان وعده وأخلفه، وأن الشعر له، وكان نفطويه مع كونه من أعيان العلماء، وعلماء الأعيان، غير مكترث بإصلاح نفسه، فكان يفرط به الصنان، فلا يغيره، فحضر يوماً مجلس حامد بن العباس، وزير المقتدر، فتأذى هو وجلساؤه بكثرة صنانه، فقال حامد: يا غلام، أحضرنا مرتكاً، فجاء به، فبدأ الوزير بنفسه فتمرتك، وأداره على الجلساء فتمرتكوا، وفطوا ما أراد بنفطويه، وأنه أراد من نفطويه أن يتمرتك، فيزول صنانه، من غير أن يجبهه بما يكره، فقال نفطويه لا حاجة بي إليه، فراجعه فأبى، فاحتد حامد واغتاظ، وقال له يا عاض كذا من أمه، إنما تمرتكنا جميعاً لتأذينا بصنانك، قم لا أقام الله لك وزناً، ثم قال: أخرجوه عني، أو أبعدوه إلى حيث لا أتأذى به، وقال ابن بشران أبو محمد عبيد الله في تاريخه.

ومن شعر نفطويه:

الجد أنفع من عقل وتأديب | إن الزمان ليأتي بالأعاجيب
كم من أديب يزال الدهر يقصده | بالنائبات ذوات الكره والحوب

وامرئ غير ذي دين ولا أدب　　معمر بين تأهيل وترحيب
ما الرزق من حيلة يحتالها فطن　　لكنه من عطاء غير محسوب

قال: وكان كثير النوادر، ومن نوادره، قيل لبهلول في كم يوسوس الإنسان، فقال: ذاك إلى صبيان المحلة، قال: وقيل لبعض الشيعة، معاوية خالك، فقال لا أدري، أمي نصرانية، والأمر إليه بخط الوزير المغربي قال نفطويه أما سائر العلوم فهاهنا من يشركنا فيها. وأما الشر: فإذا مت مات على الحقيقة، وقال: من أغرب عليّ ببيت لجرير لا أعرفه فأنا عبده، وقال ابن خالويه، وقال لي يوماً وقد حضرته الوفاة: قد جالستني فما رأيت منك إلا خيراً، فادع لي، ثم قال وضئوني، وقد كنت آخذ بيده، فمر بمسجد هشام بن خلف البزار فقال، هذا مسجد هشام مقرئ أهل بغداد، والله ما كان بأعلم مني، ولكنه أطاع الله فرفع، وعصيت الله فوضع مني.

قال الحسين بن أبي قيراط، انصرفت من عند أبي عبد الله نفطويه، وقد كتبت عنه شيئاً، فجئت إلى أبي إسحاق إبراهيم السري الزجاج، فقال لي: ما هذا الكتاب؟ فأريته إياه، وكان على ظهره مقطوعتان، أنشدنيهما نفطويه لنفسه.

فلما قرأهما الزجاج استحسنهما وكتبهما بخطه على ظهر كتاب غريب الحديث، وكان بحضرته:

تواصلنا على الأيام باق　　ولكن هجرنا مطر الربيع
يروعك صوته لكن تراه　　على روعاته داني النزوع

كذا العشاق هجرهم دلال　　ومرجع وصلهم حسن الرجوع
معاذ الله أن نلقى غضاباً　　سوى ذاك المطاع على المطيع

والأخرى:

وقالوا شانه الجدري فانظر　　إلى وجه به أثر الكلوم
فقلت ملاحة نثرت عليه　　وما حسن السماء بلا نجوم؟

وذكر الفرغاني أن نفطويه كان يقول بقول الحنابلة، إن الاسم هو المسمى، وجرت بينه وبين الزجاج مناظرة، أكر الزجاج عليه موافقته الحنابلة على ذلك.

قرأت في تاريخ خوارزم قال أبو سعد الحمدجي: سمعت نفطويه يقول: إذا سلمت على اليهودي والنصراني، فقلت له أطال الله بقاءك، وأدام سلامتك، وأتم نعمته عليك، فإنما أريد به الحكاية أي أن الله قد فعل بك إلى هذا الوقت، وأعتقد به الدعاء للمسلم، قال الحمدجي: وأنشدنا نفطويه لنفسه:

إذا ما الأرض جانبها الأعادي — وطاب الماء فيها والهواء
وساعد من تحب بها وتهوى — فتلك الأرض طاب بها النواء
يرى الأحباب ضنك العيش وسعاً — ولا يسع البغيضين الفضاء
وعقل المرء أحسن حليتيه — وزين المرء في الدنيا الحياء

قال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب. كتاب التاريخ، كتاب الاقتصارات، كتاب البارع، كتاب غريب القرآن، كتاب المقنع في النحو، كتاب الإستثناء والشرط في القراءة، كتاب الوزراء، كتاب الملح، كتاب الأمثال، كتاب الشهادات، كتاب المصادر كتاب القوافي كتاب أمثال القرآن، كتاب الرد على من يزعم أن العرب يشتق كلامها بعضه من بعض كتاب الرد على من قال بخلق القرآن، كتاب الرد على المفضل بن سلمة في نقضه على الخليل كتاب في أن العرب تتكلم طبعاً لا تعلماً، والله أعلم.
^

الجزء الثاني

إبراهيم بن محمد الكلابزي

أدرك المازني وأخذ عن المبرد ومات في سنة ست عشرة وثلاثمائة، قال الزبيدي: وإبراهيم بن محمد بن العلاء الكلابزي اللغوي، من أهل العراق، بصري المذهب. حكي عن ابن المبرد أنه قال: في تلاميذ أبي رجلا: أحدهما يسفل، والآخر يعلو، فقيل ومن هما؟ قال المبرمان يقرأ على أبي، ويأخذ عنه كتاب سيبويه، ثم يقول قال الزجاج، فهذا يسفل، والكلابزي يقرأ عليه، ثم يقول قال المازني، فهذا يعلو، وكان الكلابزي قد أدرك المازني، فقال ابن إبراهيم بن حميد الكلابزي مات بالبصرة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، وكان متقدماً في النحو واللغة، وقد ولي القضاء بالشام.

إبراهيم بن محمد بن زكريا

الزهري، الأندلسي، أبو القاسم، يعرف بابن الإفليلي، حدث عن أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي، بكتاب النوادر عن القالي، وكان متصدراً في العلم ببلده، يقرأ عليه الأدب، ويختلف إليه، وله كتاب شرح معاني شعر المتنبي، حسن جيد، قال الحميدي: وكان مع علمه بالنحو واللغة، يتكلم في معاني الشعر، وأقسام البلاغة، والنقد لها، روى عنه جماعة، وحكى عنه بإسناد له أنه قال: كان شيوخنا من أهل الأدب يتعالمون، أن الحرف إذا كتب عليه صح – بصاد وحاء – كان ذلك علامة لصحة الحرف، لئلا

يتوهم متوهم عليه خللاً أو نقصاً، فوضع حرف كامل على حرف صحيح، وإذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء، كان علامة أن الحرف سقيم، إذ وضع عليه حرف غير تام، ليدل نقص الحرف على اختلال الحرف، ويسمى ذلك الحرف أيضاً ضبة أي أن الحرف مقفل بها، لم يتجه لقراءة، كما أن الضبة مقفل بها.

قال المؤلف: وهذا كلام على طلاوة من غير فائدة تامة، وإنما قصدوا بكتبهم على الحرف صح، أنه كان شاكاً في صحة اللفظة، فلما صحت له بالبحث، خشي أن يعاوده الشك، فكتب عليها صح، ليزول شكه فيما بعد، ويعلم هو أنه لم يكتب عليها صح إلا وقد انقضى اجتهاده في تصحيحها، وأما الضبة التي صورتها "ص" فإنما هو نصف صح، كتبه على شيء فيه شك، ليبحث عنه فيما يستأنفه، فإذا صحت له أتمها بحاء، فيصير صح، ولو علم عليها بغير هذه العلامة، لتكلف الكشط، وإعادة كتبه صح مكانها.

قال أبو سروان بن حيان: كان أبو القاسم، المعروف بابن الإفليلي، فريد أهل زمانه بقرطبة، في علم اللسان العربي، والضبط لغريب اللغة، في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية، والمشاركة في بعض معانيها، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن، كثير الحسد فيه، راكباً رأسه في الخطأ البين إذا تقلده، أو نشب فيه، يجادل عنه، ولا يصرفه صارف عنه، وعدم علم العروض ومعرفته، مع احتياجه إليه، لإكمال صناعته به ولم يكن له شروع فيه، وكان لحق الفتنة اليزيدية بقرطبة، ومضى الناس بين حائر وطاعن، فازدلف إلى الأمراء المتداولين بقرطبة من آل حمود، ومن تلاهم، إلى أن نال الجاه. واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكفي، بعد ابن برد، فوقع كلامه جانباً من البلاغة، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين، فزهد فيه، وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة، إلا كتابه في شعر المتنبي لا غير، ولحقته تهمة في دينه، في أيام هشام المرواني، في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم، والسنابسي، والخمار، وغيرهم، وطلب ابن الإفليلي، وسجن بالمطبق، ثم انطلق.

وفيه يقول موسى بن الطائف، من قصيدة:

يا مبصراً عميت فواطن فهمه	عن كنه عرضي في البديع وطولي
ولو كنت تعقل ما جهلت مقاومي	من ضاق فرسخه بخطوة قيلي
ولئن ثلبت الشعر وهو أباطل	فلقد ثلبت حقائق التنزيل
وخلعت ربق الدين عنك منابذاً	ولبست ثوب الزيغ والتعطيل
فأقمت للجهال مثلك في العنا	علماً مشيت أمامه برعيل

ومن المغالط أن تكون مقلداً علماً ولو مقدار وزن فتيل
تعتل في الأمر الصحيح معانداً أبداً وفهمك علة المعلول
وتظن أنك من فنوني موسر وكثير شأنك لا يفي بقليلي
سيسيل روحك من خبيث قذارة تأثير هذا الصارم المصقول
وأحض سيف الدولة الملك الرضي ليعيد عقد رباطك المحلول
وأريك رأي العين أنك ذرة عبثت بها مني قوائم فيل

إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد

ابن علي، بن الحسين، بن علي، بن حمزة، بن يحيى ابن الحسين، بن زيد، بن علي، بن الحسين، بن علي بن أبي طالب، أبو علي، والد أبي البركات عمر النحوي، صاحب كتاب شرح اللمع، من أهل الكوفة، له معرفة حسنة بالنحو واللغة والأدب، وحظ من الشعر جيد، نذر مثله، مات – فيما ذكره السمعاني عن ابنه أبي البركات – في شوال سنة ست وستين وأربعمائة، ودفن بمسجد السهلة عن ست وستين سنة، وكان قد سافر إلى الشام ومصر، وأقام بها مدة، ونفق على الخلفاء بمصر، ثم رجع إلى وطنه الكوفة، إلى أن مات بها.

وجدت بخط أبي سعد السمعاني: سمعت أبا البركات عمر ابن إبراهيم: سمعت والدي يقول: كنت بمصر، وضاق صدري بها فقلت:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني تنكرت دهري والمعاهد والصبرا
وأصبحت في مصر كما لا يسرني بعيداً من الأوطان منتزحاً عزبا
وإني فيها كامرئ القيس مرة وصاحبه لما بكى ورأى الدربا
فإن أنج من بابي زويلا فتوبة إلى الله أن لا مس خفي لها تربا

قال السمعاني: قال لي الشريف، قال أبي، قلت هذه الأبيات بمصر، وما كنت ضيق اليد، وكان قد حصل لي من المستنصر خمسة آلاف دينار مصرية.

قال: وقال الشريف: مرض أبي إما بدمشق أو بحلب، فرأيته يبكي ويجزع، فقلت له يا سيدي ما هذا الجزع؟ فإن الموت لابد منه، قال أعرف، ولكني أشتهي أن أموت بالكوفة، وأدفن بها، حتى إذا أنشرت يوم القيامة أخرج رأسي من التراب، فأرى بني عمي، ووجوهاً أعرفها، قال الشريف: وبلغ ما أراد.

قال: وأنشدني أبو البركات لوالده:

أرخ لها زمامها والأنسعا ورم بها من العلا ما شسعا
واجل بها مغترباً عن العدا توطئك من أرض العدا متسعا
يا رائد الظعن بأكناف العدا بلغ سلامي إن وصلت لعلعا
وحي خدراً بأثيلات الغضا عهدت فيه قمراً مبرقعا

كان وقوعي في يديه ولعا وأول العشق يكون ولعا
ماذا عليها لو رثت لساهر لولا انتظار طيفها ما هجعا؟
تمنعت من وصله فكلما زاد غراماً زادها تمنعا
أنا ابن سادات قريش وابن من لم يبق في قوس الفخار منزعا
وابن علي والحسين وهما أبر من حج ولبى وسعى
نحن بنو زيد وما زاحمنا في المجد إلا من غدا مدفعا
الأكثرين في المساعي عددا والأطولين في الضراب أذرعا
من كل بسام المحيا لم يكن عند المعالي والعوالي ورعا
طابت أصول مجدنا في هاشم فطال فيها عودنا وفرعا

قال: وأنشدني لأبيه:

لما أرقت بجلق وأقض فيها مضجعي
نادمت بدر سمائها بنواظر لم تهجع
وسألته بتوجع وتخضع وتفجع
صف للأحبة ما ترى من فعل بينهم معي
واقرأ السلام على الحبي ب ومن بتلك الأربع

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النسوي

أبو إسحاق، الشيخ العميد، مات فجاءة في شهور سنة تسع عشرة وخمسمائة بنيسابور، رجل فاضل، شاعر كاتب، حسن المحاورة، كريم الصحبة، سمع الحديث الكثير في أسفاره، وصنف في غريب الحديث لأبي عبيد تصنيفاً مفيداً.

إبراهيم بن مسعود بن حسان

المعروف بالوجيه الصغير، ويعرف جده بالشاعر، وإنما سمى بالوجيه الصغير لأنه كان ببغداد حينئذ نحوي آخر يعرف بالوجيه الكبير، وهو شيخي رحمه الله، وقد ذكرته في باب المبارك بن المبارك، وكانا ضريرين معاً، وكان هذا من أهل الرصافة ببغداد، وكان عجباً في الذكاء وسرعة الحفظ، وكان قد حفظ كتاب سيويه، وقيل: بل حفظ أكثره، وكان يحفظ غير ذلك من كتب الأدب، وأخذ النحو عن مصدق بن شبيب، وكان أعلم منه، وأصفى ذهناً، واعتبط شاباً في جمادى الأولى سنة تسعين وخمسمائة، ولو قدر الله أن يعيش لكان آية من الآيات.

إبراهيم بن محمد بن حيدر بن علي أبو إسحاق

نظام الدين المؤذى، الخوارزمي، سألته عن مولده، فقال: كانت ولادتي في ذي الحجة، سنة تسع وخمسين وخمسمائة، وله من التصانيف: كتاب ديوان الأنبياء، كتاب شرح كليلة بالفارسية، كتاب الوسائل إلى الرسائل، من نثره، كتاب ديوان شعره بالفارسية، كتاب الخطب في دعوات ختم القرآن، سماها يتيمة اليتيمة، كتاب الطرفة في التحفة بالفارسية، رسائل، وكتاب أساس نامه، في المواعظ بالفارسية. كتاب تعريف شواهد التصريف، كتاب أنموذار نامه، يشتمل على أبيات غريبة من كليلة ودمنة، شرحها بالفارسية. كتاب كفتار نامه منطق، كتاب مرتع الوسائل ومربع الرسائل.

إبراهيم بن ممشاذ أبو إسحاق المتوكلي الأصبهاني

قال حمزة: ومن بلغاء إصبهان: أبو غسحاق المتوكلي، وكان من رستاق جي من قرية أسيجان، فخرج إلى العراق، وكتب للمتوكل، ثم صار من ندمائه، فسمي المتوكلي، و لم يكن بالعراق في أيامه أبلغ منه، وله رسالة طويلة في تقريظ المتوكل، والفتح بن خاقان، يتداولها كتاب العراق إلى الآن، وتسخط صحبة أولاد المتوكل، فتركهم ولحق بيعقوب ابن الليث. وقال حمزة أيضاً، فيما رواه عن عمارة بن حمزة: حضر المتوكلي مجلس المتوكل، وقد نثر على المحضر مال جليل، تناهبه الأمراء والقواد بين يديه، وإبراهيم لا يتحرك، فقال له المتوكل، و لم لا تنبسط فيه؟ فال: جلالة أمير المؤمنين تمنعني منه، ونعمته على أغنتني عنه، فأقطعه إقطاعات.

وكان أحد البلغاء في زمانه، حتى لم يتقدمه أحد، وأنفذ في أيام المعتمد رسولاً عنه، وعن الموفق إلى يعقوب بن الليث، فاحتبسه عنده، وقدمه على كل من ببابه، حتى حسده قواد يعقوب وحاشيته، فأخبروا يعقوب أنه يكاتب الموفق في السر، فقتله.

قلت: والأولى من هاتين الروايتين أوضح في أنه هو الذي لحق بيعقوب، يدل على ذلك أنه كتب من عند يعقوب إلى المعتمد:

أنا ابن الأكارم من نسل جم وحائز إرث ملوك العجم

ومحيي الذي باد من عزهم وعفى عليه طوال القدم

وطالب أوتارهم جهرة فمن نام عن حقهم لم أنم

يهم الأنام بلذاتهم ونفسي تهم بسوق الهمم

إلى كل أمر رفيع العماد طويل النجاد منيف العلم

وإني لآمل من ذي العلا بلوغ مرادي بخير النسم

معي علم الكائنات الذي به أرتجي أن أسود الأمم

فقل لبني هاشم أجمعين هلموا إلى الخلع قبل الندم

ملكناكم عنة بالرما ح طعناً وضرباً بسيف خذم

وأولاكم الملك آباؤنا فما إن وفيتم بشكر النعم

فعودوا إلى أرضكم بالحجاز لأكل الضباب ورعي الغنم

فإني سألعو سرير الملوك بحد الحسام وحرف القلم

وقال يرثي الفضل بن العباس بن مافروخ:

أخ لم تلدني أمه كان واحدي وأنسي وهمي في الفراغ وفي الشغل

مضى فرطاً لما استتم شبابه ومن قبل أن يحتل منزلة الكهل

فعلمني كيف البكاء من الجوى وكيف حزازات الفؤاد من الثكل

إذا ندب الأقوام إخوان دهرهم بكيت أخي، فضلاً أخا الجود والفضل

وقال يهجو إسحاق بن سعد القطربلي عامل إصبهان، وقد كان أساء معاملة إخوته بإصبهان:

أين الذين تقولوا ألا يروا ضدين مختلفين في ذا العالم

هذا ابن سعد قد أزال قياسكم وأباد حجتكم بغير تخاصم

أبدى لنا متحركاً في ساكن منه وأظهر قائماً في نائم

وإذا تذكر أصلعاً هشم استه ... يبكي يقول: فديت أصلع هاشم

بالله ما اتخذ الإمامة مذهباً ... إلا لكي يبكي لذكر القائم

قال حمزة: ومن هذا أخذ ابن الناصر قوله:

قل لمن كان إمام ... يا إلى كم تتردد؟

أله التمس ما في سراوي ... ل فتى الناصر أحمد

فهو القائم يا مغرو ... ر من آل محمد

إبراهيم بن موسى الواسطي الكاتب

له كتاب في أخبارالوزراء، عارض فيه كتاب محمد ابن داود الجراح في الوزراء، قاله المسعودي.

إبراهيم بن هلال بن زهرون

أبو إسحاق الحراني، أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل، والاشتمال على جهات الفضائل، مات يوم الخميس، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، عن إحدى وسبعين سنة، ومولده في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، كذا ذكره حفيده أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم في تاريخه.

وكان قد خدم الخلفاء والأمراء من بني بويه والوزراء، وتقلد أعمالاً جليلة، ومدحه الشعراء، وعرض عليه عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الوزارة إن أسلم، فامتنع.

وكان حسن العشرة للمسلمين، عفيفاً في مذهبه.

وكان ينوب أولاً عن الوزير أبي محمد المهلبي، في ديوان الإنشاء، وأمور الوزارة.

ولما ورد عضد الدولة إلى بغداد في سنة سبع وستين وثلاثمائة، نقم عليه أشياء من مكتوباته عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار، فحبسه، فسئل فيه وعرف بفضله، وقيل له: مثل مولانا لا ينقم على مثله ما كان منه، فإنه كان في خدمة قوم لا يمكنه إلا المبالغة في نصحهم، ولو أمره مولانا بمثل ذلك إذا استخدمه في أبيه، ما أمكنه المخالفة، فقال عضد الدولة: قد سوغته نفسه، فإن عمل كتاباً في مآثرنا وتاريخنا أطلقته، فشرع في محبسه في كتاب التاجي في أخبار بني بويه، وقيل إن بعض أصدقائه دخل عليه الحبس، وهو في تبييض وتسويد في هذا الكتاب، فسأله عما يعمله، فقال: أباطيل أنمقها، وأكاذيب ألفقها، فخرج الرجل، وأنهى ذلك إلى عضد الدولة، فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة، فأكب أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، ونصر بن هارون على الأرض يقبلانها، ويشفعون إليه في أمره، حتى أمر باستحيائه، وأخذ أمواله

واستصفائه، وتخليد السجن بدمائه، فبقي في السجن بضع سنين، إلى أن تخلص في أيام صمصام الدولة ابن عضد الدولة.

وكان بينه وبين الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد مراسلات ومواصلات ومتاحفات، وكذلك بينه وبين الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي: مودة ومكاتبات أذكر منها ما يليق باختصارنا هذا، مع اختلاف الملل، وتباين النحل، وإنما كان ينظمهم سلك الأدب، مع تبدد الدين والنسب.

وذكر أبو منصور الثعالبي في كتابه: أنه بلغ من العمر تسعين سنة والذي أوردته من تاريخ حفيده، وهو أعلم به.

فأما بلاغته، وحسن ألفاظه، فقد أغنتنا شهرتها عن صفتها، وذكرها الشعراء فقال بعضهم:

أصبحت مشتاقاً حليف صبابة ... برسائل الصابي أبي إسحاق

صوب البلاغة والحلاوة والحجى ... ذوب البراعة سلوة العشاق

طوراً كما رق النسم وتارة ... يحكي لنا الأطواق في الأعناق

لا يبلغ البلغاء شأو مبرز ... كتبت بدائعه على الأحداق

ولآخر فيه:

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم ... يهمى على حجب الفؤاد لا واجم

لولا تعلله بكأس مدامة ... ورسائل الصابي وشعر كشاجم

قال أبو منصور: وكان يصوم شهر رمضان، مساعدة وموافقة للمسلمين، وحسن عشرة منه لهم، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه، وبرهان ذلك في رسائله.

قال: وكان أبو إسحاق في عنفوان شبابه، أحسن حالاً منه في أيام اكتهاله، وفي ذلك يقول:

عجباً لحظي إذ أراه مصالحي ... عصر الشباب وفي المشيب مغاضبي؟

أمن الغواني كان حتى خانني ... شيخاً، وكان على صباي مصاحبي؟

أمع التضعضع ملني متجنباً ... ومع الترعرع كان غير مجانبي؟

يا ليت صبوته إلي تأخرت ... حتى تكون ذخيرة لعواقبي

من قصيدة، في فنها فريدة، كتبها إلى الصاحب يشكو فيها بثه وحزنه، ويستمطر سحبه ودرره، بعد أن كان يخاطبه بالكلف، ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء.

وكان المهلبي لا يرى إلا به الدنيا، ويحن إلى براعته، ويصطنعه لنفسه، ويستدعيه في أوقات أنسه، وتوفي المهلبي، وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل، والخلافة على ديوان الوزارة، لأن المهلبي مات بعمان، وكان قد مضى لافتتاحها، واستخلف أبا إسحاق على ديوان الوزارة، فاعتقل في جملة عمال المهلبي وأصحابه، فقال، وهو معتقل:

يا أيها الرؤساء دعوة خادم أربت رسائله على التعديد
أيجوز في حكم المروءة عندكم: حبسي وطول تهددي ووعيدي
قلدت ديوان الرسائل، فانظروا أعدلت في لفظي عن التسديد؟
أعلي رفع حساب ما أنشأته فأقيم فيه أدلتي وشهودي؟
أنسيتم كتباً شحنت فصولها بفصول در عندكم منضورد
ورسائلاً نفذت إلى أطرافكم عبد الحميد بهن غير حميد

قال: وكانت الرسالة التي ينقمها عليه عضد الدولة، كتاباً أنشأه عن الخليفة، في شأن عز الدولة بختيار، وهو: "وقد جدد له أمير المؤمنين، مع هذه المساعي السوابق، والمعالي السوامق، التي يلزم كل دان وقاص، وعام وخاص، أن يعرف له حق ما كرم به منها، ويتزحزح له عن رتبة المماثلة فيها" فإن عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد الإنكار، وأسرها في نفسه، إلى أن ملك لاعراق، فحبسه، كما تقدم ذكره.

وقال حفيده هلال بن المحسن في أخبار الوزراء: حدثني أبو إسحاق جدي، قال: لما توفي أبو الحسين هلال أبي، جاءني أبو محمد المهلبي معزياً به، فحين عرفت خبره في تقديمه مشرعة داري الشاطية بالزاهر، بادرت لتلقيه، واستعفيته من الصعود، فامتنع من الإجابة إلى ذلك، وصعد، وجلس ساعة يخاطبني فيها بكل ما يقوي النفس، ويشرح الصدر، ويصف والدي، ويقرظه لي بقوله: ما مات من كنت له خلفاً، ولا فقد من كنت منه عوضاً، ولقد قررت عين أبيك بك في حياته، وسكنت مضاجعه إلى مكانك بعد وفاته، فقبلت يده ورجله، وأكثرت من الثناء عليه، والدعاء له، وحضرتني في الحال ثلاثة أبيات، أنشدته إياها، وهي:

لو وثقنا بأن عمرك يمت د بأعمارنا قتلنا النفوسا
قد تركت الموت الزؤام مغيظاً يتلظى لجرحه، كيف يوسا
فغدت عندنا المصيبة نعمى بأياديك وهي من قبل بوسا

ثم نهض، وأقسم علينا ألا يتبعه أحد منا، وأنفذ إلي في بقية ذلك اليوم خمسة آلاف درهم، فقال: استعن

بهبذا على أمرك، و لم يبق أحد من أهل الدولة إلا جاءني بعده معزياً، ثم اجتاز بي من الغد في طيارة ووقف واستدعاني، وأمرني بالنزول معه، فبعد جهد ما تركني بقية اليوم.

وحدث أبو منصور، قال: حكى أبو إسحاق الصابيء، قال: طلب مني رسول سيف الدولة بن حمدان عند قدومه الحضرة شيئاً من شعري، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك، فدافعته أياماً، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات:

إن كنت خنتك في المودة ساعة ... فذممت سيف الدولة المحمودا

وزعمت أن له شريكاً في العلا ... وجحدته في فضله التوحيدا

قسماً لواني حالف بغمومها ... لغريم دين ما أراد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة، ودخلت عليه مسلماً، أخرج لي كيساً بختم سيف الدولة، مكتوباً عليه اسمي، وفيه ثلثمائة دينار.

ووجدت بخط أبي علي بن أبي إسحاق قال: لما غني ابن حمدان بهذا الشعر، سأله عن قائله، فعرفه، قال والدي رحمه الله: فأنفذ إلي في الوقت عشرة دنانير من دنانير الصلة، وزنها خمسمائة مثقال، وأضاف إلى ذلك رسماً كان ينفذه إلي في كل سنة، إلى أن مات رحمه الله.

قال: وأهدى أبو إسحاق الصابيء إلى عضد الدولة، في يوم مهرجان، إصطرلاباً بقدر الدرهم، محكم الصنعة، وكتب إليه "وفي كتاب الوزراء لحفيده: أنه أهدى الإصطرلاب إلى المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة وكتب إليه" بهذه الأبيات:

أهدي إليك بنو الحاجات واختلفوا ... في مهرجان عظيم أنت مبليه

لكن عبدك إبراهيم حين رأى ... علو قدرك لا شيء يساميه

لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد ... أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

ولقابوس أبيات تشبه هذه مذكورة في بابه: "ذكر القبض على أبي إسحاق الصابئ، والسبب فيه، وما جرى عليه من أمره إلى أن أطلق".

قال هلال بن المحسن: قبض عليه في يوم السبت لأربع بقين من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلاثمائة، وأفرج عنه يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، فكان مدة حبسه ثلاث سنين وسبعة أشهر وأربعة عشر يوماً.

قال: وكان السبب في القبض عليه، أنه كان قد خدم عضد الدولة عند كونه بفارس بالشعر والمكاتبة، والقيام بما يعرض من أموره بالحضرة، فقبله وأنفق عليه، وأرفده في أكثر نكباته بمال حمله إليه، وورد

عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلاثمائة، فزاد قربه منه، وخصوصه به، وتأكد حاله عنده، فلما أراد العود إلى فارس، عمل على الخروج معه، إشفاقاً من المقام بعده، ثم عليم أنه متى فعل ذلك أسلم أهله وولده، وتعجل منهم ما عسى الله أن يدفعه عنه، فاستظهر له عضد الدولة، بأن ذكره في الاتفاق الذي كتب بينه وبين عز الدولة، وعهد به إليه، واليمين التي حلفا بها، وشرط عليهما حراسته في نفسه وماله، وترك تتبعه في شيء من أحواله، وانحدر عضد الدولة، فلم يأمن على نفسه من عز الدولة، وأبي طاهر بن بقية وزيره، واستتر، وأقام على الاستتار مدة، ثم توسط أبو محمد بن معروف أمره معهما، وأخذ له العهد عليهما، والأمان منهما، واستوثق بغاية ما يستوثق به من مثلهما، وظهر، فتركاه مديدة، ثم قبضا عليه، وذلك بإغراء ابن السراج لهما به، وتجدد منه في العداوة له أمور تجنى فيها عليه، وجرت له في هذه التكبة خطوب أشفى فيها على ذهاب النفس، ثم كفاه الله بأن فسد أمر ابن السراج مع ابن بقية بما عامله بالعلة التي عرضت له فقبض عليه، ونقل القيد من رجل أبي إسحاق إلى رجله، وعاد إلى خدمة عز الدولة، وكتب عنه في أيام المباينة بينه وبين عضد الدولة الكتب التي تضمنت الوقيعة والاستهتار عليه، ومنها الكتاب عن الطائع لله بتقديم عز الدولة وإنزاله مترلة ركن الدولة، وهو أعظم ما نقمه عليه.

فلما ورد عضد الدولة إلى بغداد في الدفعة الثانية، وحصل بواسط، استظهر بأن خرج إلى أبي سعد بهرام بن أردشير، وهو يتردد في الرسائل بما يتخوفه من تشعب رأي عضد الدولة، وسأله إجراء ذكره، وإقامة عذره، والاحتياط له بأمان تسكن إليه نفسه، وكتب على يده كتاباً، عاد جوابه بما نسخته: "كتابنا – أيدك الله – من المعسكر بجيل يوم الجمعة لست ليال بقين من شهر ربيع الأول عن سلامة ونعمة، والحمد لله رب العالمين، ووصل كتابك – أيدك الله – وفهمنا وعرفنا ما يحمل، واستمعنا من أبي سعد بهرام بن أزدشير، – أعزه الله، – ما أورده عنك، ومن كانت به حاجة إلى إقامة معذرة، واستقالة من عثرة، أو الاستظهار في مثل هذه الأحوال بوثيقة، فأنت مستغن عن ذلك، بسابقتك في الخدمة، ومترلتك من الثقة، وموقعك لدينا من الخصوص والزلفة.

وذكر أبو سعد، – أعزه الله، – إلتماسك أماناً، فقد بذلناه لك على غناك عنه، وأنت آمن على نفسك، ودمك، وشعرك، وبشرك، وأهلك، وولدك، وسائر ما تحويه يدك، حال في كل حال بكنف الأثرة والخصوص والإحسان والقبول عندنا محروس في جاهك، وموقفك، وحالك، فاسكن إلى ذلك، واعتمده، ولك علينا الوفاء به عهد الله وميثاقه، وقد حملنا أبا سعد، – أعزه الله، – في هذا الباب ما يذكره لك، والله نستعين على النية فيك، وهو حسبنا.

والتوقيع بخط عضد الدولة: اعتمد ذلك واسكن إليه، وثق به، إن شاء الله تعالى.

ودخل عضد الدولة إلى بغداد، فأجراه على رسمه، ووقع بإقرار إقطاعه، وإمضاء تقريراته، فلما حصل بالموصل، كتب إلى أبي القاسم المطهر بالقبض عليه فحدثني أبو الحسن فقد بن عبد الله، وكان يكتب لأبي عمرو بن... عند نظره في الموصل، قال: أخرج في الموصل إلى الديوان، ما وجد في قلاع أبي تغلب من الحسابات، ليتأمل ويميز، وكان فيها الشيء الكثير من كتب عز الدولة إلى أبي تغلب بخط أبي إسحاق جدك، فكان أبو عمرو إذا رأى ما فيه ذكر عضد الدولة، لعداوة كانت بينه وبينه، فأظن ما وقف عليه، حرك ما كان في نفسه، حتى كتب من هناك بالقبض عليه.

قال: وحدثني جدي قال: كنت جالساً بحضرة أبي القاسم المطهر بن عبد الله، وزير عضد الدولة، في يوم القبض علي، إذ وردت النوبة، ففضت بين يديه، وبدأ منها بقراءة كتاب عضد الدولة، فلما انتهى إلى فصل منه، وجم وجوماً بان في وجهه، فقال لي أبو العلاء صاعد بن ثابت: أظن في هذا الكتاب ما ضاق صدراً به، وقمت من مجلسه لأنصرف، فتبعني بعض حجابه، وعدل بي إلى بيت من داره، ووكل بي، وأرسل يقول لي: لعلك قد عرفت مني الانزعاج عند الوقوف على الكتاب الوارد من الحضرة اليوم، وكان ذلك لما تضمن من القبض عليك، وأخذ مائة ألف درهم منك، وينبغي أن تكتب خطك بهذا المال، ولا تراجع فيه، فوالله لا تركت ممكناً في معونتك وتخليصك إلا بذلته، وقد جعلت اعتقالك في داري، ومقامك في ضيافتي، فطب نفساً بقولي، وثق بما يتبعه من فعلي. وقبض على ولديه أبي علي المحسن، والدي، وأبي سعيد سنان، عمي، فلما تقدم عضد الدولة إلى أبي القاسم المطهر بالانحدار لقتال صاحب البطيحة، سأل عضد الدولة إطلاقه والإذن له في استخلافه، بحضرته، فقال له: أما العفو، فقد شفعناك فيه، وينبغي أن تعرفه ذلك، وتقول له، إننا قد غفرنا لك عن ذنب، لم نعف عما دونه لأهلنا، – يعني: عز الدولة والديلم – ولأولاد بيتنا – يعني: أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الموسوي – ولكنا وهبنا إساءتك لخدمتك، وعلينا المحافظة فيك على الحفيظة منك، وأما استخلافك إياه بحضرتنا، فكيف يجوز أن ننقله من السخط والنكبة إلى النظر في الوزارة، ولنا في أمره تدبير. وبالعاجل، فتحمل إليه من عندك ثياباً ونفقة، وتطلق ولديه، وتقدم إليه عنا يعمل كتاب في مفاخرنا، فحمل إليه المطهر ثياباً ونفقة وأطلق ولديه، والدي وعمي، ورسم له تأليف الكتاب في الدولة الديلمية، وانحدر المطهر، وبقي أبة إسحاق في محبسه وعمل الكتاب، فكان إذا ارتفع جزء منه، حمل إلى الحضرة العضدية، حتى يقرأه ويتصفحه، ويزيد فيه، وينقص منه، فلما تكامل على ما أراده، حرر وحمل كلاماً محرراً، فيقال: إنه قرئ عليه في أسبوع، وتركه في الحبس بعد ذلك سنة، واتفق أن خرج إلى الزيارة وعاد، فعمل فيه قصيدة يهنئه فيها بمقدمه، ويذكره بأمره، منها:

أهلاً بأشرف أوبة وأجلها		لأجل ذي قام يلاذ بنعلها
شاهانشاه تاج ملته التي		ريدت به في قدرها ومحلها
يا خير من زهت المنابر باسمه		في دولة علقت يداه بحبلها
وأقمت فينا سيرة عضدية		هيهات لا تأتي الملوك بمثلها
يردى غوي فاجر في بأسها		ويعيش بر صالح في فضلها
مولاي عبدك حالف لك حلفة		تعيا مناكب يذبل عن حملها
لقد انتهى شوقي إليك إلى التي		لا أستطيع أقلها من ثقلها
طوبى لعين أبصرتك ومن لها		بغبار دارك جازياً عن كحلها؟
لو بعتني بجميع عمري لفظة		أو لحظة بالطرف لم أستغلها
أترى أمر بخطرة من بالها؟		أترى أعود إلى كثافة ظلها؟
لي ذمة محفوظة في ضمنها		ووثائق محروسة في كفلها
وإذا رأيت سحائباً لك ثرة		تروى النفوس الحائمات بهطلها
لا في الرجال الناقعين بوبلها		كلا ولا في القانعين بطلها
قابلت بالزفرات هبة ريحها		وحكيت بالعبرات درة سجلها
فلو أن عيني راهنت بدموعها		يمناك في السقيا لفزت بخصلها

قال: قد كان أبو إسحاق يكاتب عضد الدولة في الحبس بالأشعار، ويرققه، فما رققه شيء كقصيدته القافية، ومنها:

أجل في البنين الزهر طرفك إنهم		حووا كل مرأى للأحبة مؤنق
وتمت لك النعمى بقرب كبيرهم		فأهلاً به من طارق خير مطرق
موال لنا مثل النجوم مطيفة		بمولى موال منك كالبدر مشرق
وقد ضمهم شمل لديك مؤلف		فأرث لذي الشمل الشتيت المفرق
وإن كنت يوماً عنهم متصدقاً		فمن مثل ما خولت فيهم تصدق
فلي مقلة تقذى إذا ما مددتها		غلى حلة ممن أعول ودورق
إناث وذكران أبيت من أجلهم		على كمد بين الحجابين مقلق

رسائلهم تأتى بما يلدغ الحشا ويصدع قلب النازع المتشوق
فباكية ترثي أباها ولم يمت وبائنة من بعلها لم تطلق
زغب من الأطفال أبناء منزل شوارد عنه كالقطا المتمزق
إذا حرقوا قلبي بنجواهم انثنت عداك تناجيني فتطفي تحرقي
شهدت لئن أنكرت أنك صنتني ولم أرع ما أوليتني من ترفق
لقد ضيع المعروف عندي وأصبحت ودائعه مودوعة عند أحمق
وحبسك لي جاه عريض ورفعة وقيدك في ساقي تاج لمفرقي
وما موثق لم تطرحه بموثق ولا مطلق لم تصطنعه بمطلق
خلا أن أعواماً كملن ثلاثة تعرقت البقيا أشد تعرق
وقد ظمئت عيني التي أنت نورها إلى نظرة من وجهك المتألق
فيا فرحتي إن ألقه قبل ميتتي ويا حسرتي إن مت من قبل نلتقي
خدمتك مذ عشرون عاماً موفقاً فهب لي يوماً واحداً لم أوفق
فإن يك ذنب ضاق عندي عذره فعندك عفو واسع غير ضيق

قال: وسمعت أبا الريان، حامد بن محمد، الوزير، يقول لجدي، وهما في مجلس أنس، وأنا حاضر معهما: لما أنفذت القصيدة اللامية بالتهنئة، عن قدوم عضد الدولة من الزيارة، عرضتها عليه في وقت كان عبد العزيز بن يوسف غير حاضر فيه، فقرأها، ثم رفع رأسه إلي وإلى عبد الله بن سعدان، وكنت آمنه عليك، وأعلم أن اعتقاده يوافق اعتقادي فيك، فقال: قد طال حبس هذا المسكين ومحنته، فقبلت أنا وهو الأرض عند ذلك، فقال لنا: كأنكما تؤثران إطلاقه، قلنا: إن من أعظم حقوقه علينا، وذرائعه عندنا، أن عرفناه في خدمتك، وخالطناه في أيامك، قال: فإذا كان رأيكما فيه، فأنذا وأفرجا عنه، وتقدما إليه عنا بملازمة منزله، إلى أن يرسم له ما يليق بمثله:

قال أبو الريا، فخرجت مبادراً، وأنفذت لشكرستان صاحبي، وأنفذ بن سعدان محمدا لأواتيه، وانتظرت عودهما بما فعلاه، من صرفك إلى دارك، فأبطأا عليّ، وكنت أعرف من عادة عضد الدولة، أنه يتقدم بالأمر، ثم يسأل عنه، فإن كان قد فعل أمضاه، ولم يرجع، وإن تأخر، فربما بدا له رأي مستأنف في التوقف عنه، فدخلت إلى عضد الدولة في غرض ما، أطالعه به، فقلت له: سمع الله في مولانا ما دعي له، فقال: ما تجدد؟ قلت: شاهد الناس أبا إسحاق الصابئ، وقد أخرج من محبسه، ومضى إلى داره، فأكثروا

من الدعاء والشكر، فسكت، وشغلت عضد الدولة علته، وما أفضى إليه من منيته عن النظر في أمره، إلا أنه وصل إلى حضرته، فيما بين الإطلاق واشتداد العلة، في ايام متفرقة، فتفقده بثياب ونفقات، عدة دفعات.

وكان الصاحب ابن عباد يحبه أشد الحب، ويتعصب له، ويتعاهده على بعد الدار بالمنح، وكان الصابئ، منذ حبسه عضد الدولة، متعطلاً، إلى أن مات فكان يواصل حضرة الصاحب بالمدح.

قال أبو منصور: فقرأت له فصلاً من كتاب في ذكر صلة، وصلت منه إليه، استطرفته جداً، وهو: ورد، أطال الله بقاء سيدنا، أبو العباس أحمد بن الحسن، وأبو محمد جعفر بن شعيب، حاجين، فعرجا إلى ملمين، وعاجا إلى مسلمين، فحين عرفتهما، فقبل أن أرد السلام عليهما، مددت اليد إلى ما معهما، كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جبلة بن الأيهم، ثقة مني بصلته، وتشوقاً إلى تكرمته، واعتياداً لإحسانه، وإلفاً لموارد إنعامه، وتيقناً أن الخطرة مني على باله، مقرونة بالنصيب من ماله، وأن ذكراه لي، مشفوعة بجدواه علي، وقمت عند ذلك قائماً، وقبلت الأرض ساجداً، وكررت الدعاء والثناء مجتهداً، وسألت الله أن يطيل له البقاء، كطول يده بالعطاء، ويمد له في العمر، كامتداد ظله على الحر، وأن يحرس هذا البدد، القليل العدد، من مشيخة الكتاب، ومنتحلي الآداب، ما كنفهم به من ذراه، وأفاءه عليهم من نداه، وأسامهم فيه من مراتعه وأعذبه لهم من شرائعه، التي هم محلئون إلا منها، ومحرومون إلا عنها".

وكان الصاحب يتمنى انحياز أبي إسحاق إلى جنبته، وقدومه إلى حضرته، ويضمن له الرغائب على ذلك، إما تشوقاً، وإما تشرفاً.

وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخلة، وسوء أثر العطلة، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب، بعدكونه من نظرائه، وتحليه بالرياسة في أيامه.

قال: وأخبرني ثقات، منهم أبو القاسم علي بن محمد الكرخي، وكان شديد الاختصاص بالصاحب، أنه كثيراً ما كان يقول: كتاب الدنيا، وبلغاء العصر أربعة: الأستاذ ابن العميد، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو إسحاق الصابي، ولو شئت لذكرت الرابع يعني نفسه.

فأما الترجيح بين هذين الصدرين، أعني: الصاحب والصابئ، في الكتابة، فقد خاض فيه الخائضون، وأطنب المحصلون، ومن أشفى ما سمعته في ذلك: أن الصاحب كان يكتب كما يريد، وأبو إسحاق يكتب كما يؤمر، وبين الحالين بون بعيد، وكيف جرى الأمر، فهما هما، ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما؟ ومما يدل على إناخة كلكل الزمان عليه، وصرف صروفه، بعد النباهة إليه، فصل كتبه إلى صديق له يستميحه، وهو: ولما صارت صروف الدهر تتوغل بعد التطريف وتجحف بعد التحيف، وصادف ما تجدد علي في هذا الوقت منها أشلاء، مني منهوكة، وأعظماً مبرية، وحشاشة مشفية، وبقية مودية، جعلت أختار

الجهات، وأعتام الجنبات، لأنحو منها ما لا يعاب سائله إذا سأل، ولا يخيب آمله إذا أمل، وكان سيدي أولها إذا عددت، وأولاها إذا اعتمدت، وكتبت كتابي هذا، بيد يكاد وجهي يتظلم منها إذ تخطه، إشفاقاً على مائه مما يريقه، لولا الثقة بأنه يحقن مياه الوجوه ويحميها، ويجمها، ولا يقذيها.

فصل من كتاب إلى عضد الدولة في تهنئة بتحويل سنته:

أسأل الله مبتهلاً لديه، ماداً يدي إليه، أن يحيل على مولانا هذه السنة، وما يتلوها من أخواتها، بالصالحات الباقيات، والزيادات الغامرات، ليكون كل دهر يستقبله، وأمد يستأنفه، موفراً على المتقدم له، قاصراً عن المتأخر عنه، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده، ومن العيش أعذبه وأرغده، عزيزاً منصوراً، محمياً موفوراً، باسطاً يده، فلا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد، سامياً طرفه، فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد، مستريحة ركايه، فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك، فائزة قداحه، فلا يجيلها إلا لحيازة مال وملك، حتى ينال أقصى ما يتوجه إليه أمنيته جامحة، وتسمو له همته طامحة.

وحدث هلال بن المحسن: حدثني جدي أبو إسحاق: ثم وجدت هذا الخبر بخط المحسن بن إبراهيم قال: حدثني والدي أبو إسحاق، قال: كان والدي أبو الحسن يلزمني في الحداثة والصبي قراءة كتب الطب، والتحلي بصناعته، وينهاني عن التعرض لغير ذلك، فقويت فيها قوة شديدة، وجعل لي برسم الخدمة في البيمارستان عشرون ديناراً في كل شهر، وكنت أتردد إلى جماعة من الرؤساء، خلافة له، ونيابة عنه، وأنا مع ذلك كاره للطب، ومائل إلى قراءة كتب الأدب، كاللغة والشعر، والنحو والرسائل والأدب، وكان إذا أحس بهذا مني، يعاتبني عليه، وينهاني عنه، ويقول: يا بني، لا تعدل عن صناعة أسلافك، فلما كان في بعض الأيام، ورد عليه كتاب من بعض وزراء خراسان يتضمن أشياء كثيرة، كلفه إياها، ومسائل في الطب وغيره، سأله عنها، وكان الكتاب طويلاً بليغاً، قد تأنق منشئه، وتغارب، فأجاب عن تلك المسائل، وعمل جملاً لما يريده، وأنفذها على يدي إلى كاتب، لم يكن في ذلك العصر أبلغ منه، وسأله إنشاء الجواب عنه، قال: فمضيت، وأنشأت أنا الجواب، وأطلته وحررته، وجئت به إليه، فلما قرأه، قال: يا بني سبحان الله، ما أفضل هذا الرجل وأبلغه، فقلت له: هذا من إنشائي، فكاد يطير فرحاً، وضمني إليه، وقبل بين عيني، وقال: قد أذنت لك الآن، فامض، فكن كاتباً.

كان أبو إسحاق الصابئ واقفاً بين يدي عضد الدولة، وبين يديه كتب قد وردت عليه من ابن سمجور، صاحب خراسان، وعلى رأسه غلام تركي، حسن الوجه، جميل، الخليقة، وكان مائلاً إليه، ورأيت الشمس إذا وجبت عليه حجبه عنها، إلى أن استتم قراءة ما كان في يده، ثم التفت إليه، فقال له: هل قلت شيئاً يا إبراهيم؟ فقال:

وقفت لتحجبني عن الشمس ... نفس أعز علي من نفسي
ظلت تظللني ومن عجب ... شمس تقنعني عن الشمس

فسر بذلك، وطوى الكتب، وجعله مجلساً للقرب، وألقي على الجواري الستائر، فغنوا به في ذلك اليوم، وهو في الخامس من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

وكتب إلى بعض أصدقائه: ولو حملت نفسي على الاستشفاع والسؤال، لضاق علي فيه المرتكض والمجال، لأن الناس عندنا – ما خلا الأعيان الشواذ الذين أنت بحمد الله أولهم – طائفتان: مجاملة، ترى أنها قد وفتك خيرها، إذا كفتك شرها، وأجزلت لك رفدها، إذا أجنبتك كيدها. ومكاشفة، تنزو إلى القبيح، نزو الجنادب، أو تدب، دبيب العقارب، فإن عوتبوا، حسروا قناع الشقاق، وإن غولظوا، تلثموا بلثام النفاق. والفريقان في ذاك كما قلت منذ أيام:

أيارب، كل الناس أبناء علة ... أما تعثر الدنيا لنا بصديق
وجوه بها من مضمر الغل شاهد ... ذوات أديم في النفاق صفيق
إذا اعترضوا عند اللقاء فإنهم ... قذى لعيون أو شجاً لحلوق
وإن أظهروا برد الودود وظله ... أسروا من الشحناء حر حريق
أخو وحدة قد آنستني كأنني ... بها نازل في معشر ورفيق
فذلك خير للفتى من ثوائه ... بمسبعة من صاحب وصديق

ومن خط أبي علي المحسن، بن إبراهيم بن هلال: حدثني والدي رحمه الله، قال: وصفتع وأنا حدث، للوزير أبي محمد المهلبي، وهو يومئذ يخاطب بالأستاذ، فاستدعى عمي أبا الحسن، ثابت بن إبراهيم، وسأله عني والتمسني منه، ووعده في بكل جميل، فخاطبني عمي في ذلك، وأشار علي به، فامتنعت، لانقطاعي إلى النظر في العلوم، وكنت مع هذه الحال شديد الحاجة إلى التصرف، لقرب العهد بالنكبة من توزون، التي أتت على أموالنا، فلم يزل بي أبي، حتى حملني إليه، فلما رآني تقبلني، وأقبل علي، ورسم لي الملازمة، وبحضرته في ذلك الوقت جماعة من شيوخ الكتاب، فلما كان في بعض الأيام، وردت عليه عدة كتب من جهات مختلفة، فاستدعاني، وسلمها إلي، وذكر لي المعاني التي تتضمنها الأجوبة، وأطال القول، فمضيت، وأجبت عن جميعها، من غير أن أخل بشيء من المعاني التي ذكرها، فقرأها حتى أتى على آخرها، وتقدم إلي في الحال بإحضار دواتي، والجلوس بين يديه متقدماً على الجماعة، فلزم بعضهم منزله وجداً وغضباً، وأظهر بعضهم التعالل، فلم أزل أتلطف وأداري، وأغضي على قوارص تبلغني، حتى صارت الجماعة

إخواني وأصدقائي.

وقرأت بخطه أيضاً: وفي كتاب الوزراء لابنه، قال المحسن: حدثني والدي: وقال هلال: حدثني جدي: واللفظ والمعنى يزيد وينقص، والاعتماد على ما في كتاب هلال، لأنه أتم، قال أبو إسحاق: كنت في مجلس الوزير أبي محمد المهلبي، في بعض أيام الحداثة، جالساً في مجلس أنسه، وبين يديه أبو الفضل العباس بن الحسين، وأبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن، وأبو علي الحسين بن محمد الأنباري، وأبو الفرج بن أبي هشام، وغيرهم من خلفائه وكتابه، وقد أخذ الشراب من الجماعة، وزاد بهم على حد التشوه وكانت لي في ذلك مزية، لأنني شربت معه أرطالاً عدة، إذ حضر رسول الأمير معز الدولة، يذكر أن معه مهما، فقال أبو محمد: يدخل، فدخل، وقال: الأمير يقول: تكتب عني الساعة كتاباً إلى محمد بن إلياس، صاحب كرمان، تخطب فيه ابنته لبختيار، فقال الوزير: هذا كتاب يحتاج إلى تأمل وتثبت، وما في الكتاب من فيه، مع السكر، فضل له، ثم التفت إلى أبي علي الأنباري، فقال له: تتمكن يا أبا علي من كتبه؟ فقال: أما الليلة وعلى مثل هذه الحالة والصورة فلا، ورآني الوزير مصغياً إلى القول، متشوفاً لما يرسمه لي في ذلك، فقال: تكتبه يا أبا إسحاق؟ قلت: نعم: قال: افعل، فقمت إلى صفة يشاهدني فيها، واستدعيت دواتي، ودرجاً منصورياً، وكتبت كتاباً اقتضبته بغير روية، ولا نسخة، والوزير والحاضرون يلاحظوني، ويعجبون من إقدامي، ثم اقتضابي وإطالتي، فلما فرغت منه، أصلحته، وعنونته، وحملته إليه، فوقف عليه ووجهه متهلل، في أثناء القراءة والتأمل، ورمى به إلى أبي علي بن الأنباري، ثم قال للجماعة: هذا كتاب حسن، دال على الكفاية المبرزة، ولو كتبه صاحياً مروياً، لكان عجباً، فكيف إذ يكتبه منتشياً مقتضباً، ولكنه كاتبي وصنيعتي، قم يا أبا إسحاق من موضعك، واجلس ههنا، حيث أجلستك الكفاية، وأومأ إلى جانب أبي الغنائم ابنه، فقبلت يده ورجله، وشكرته، ودعوت له، وجلست بحيث أجلسني، وشرب لي ساراً، ثم استدعى حاجبه، وقال: تقدم دابته إلى حيث تقدم دواب خلفائي، ويوفى من الإكبار الإكرام ما يوفونه، فحسدني على ذلك كل من كان حاضراً، ووفوني من الغد حكم المساواة، في المخاطبة والمعاملة، واستشعروا عندها أسباب العداوة والمنافسة، ثم قلدني دواوين الرسائل، والمظالم، والمعاون تقليداً سلطانياً، كتب به: عن المطيع لله إلى أصحاب الأطراف.

وحدث هلال بن المحسن، قال: حدثني جدي أبو إسحاق، قال: كان أبو طاهر بن بقية واقفاً بين يدي عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلاثمائة التي ورد فيها للمعاونة على الأتراك، فقال لي عضد الدولة: لو عرضت علينا أبياتك إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف، التي هي، وأنشدها، وكانت:

يا راكب الجسرة العيرانة الأجد ... تدمى مناسمها في الحزن والجدد

أبلغ أبا قاسم نفسي الفداء له مقالة من أخ للحق معتمد
أنصفت فيها ولم أظلم، وما حسن بالمرء إلا مقال الحق والسدد
في كل يوم لكم فتح له خطر يشاد فيه بذكر السيد العضد

وما لنا مثله لكننا أبداً نجيبكم بجواب الحاسد الكمد
فأنت أكتب مني في الفتوح وما تجري مجيباً إلى شأوى ولا أمدي
إذ لست تعرفها تأتيك من أحد ولست أعرفها تمضي إلى أحد
وما ذممت ابتدائي إذ بدأتكم ولا جوابكم في القرب والبعد
وإنما رمت أن أثني على ملك مستطرد بدليل فيه مطرد

قال: فلما استتمها، قال لأبي طاهر: ما قصد أبو إسحاق في هذه الأبيات؟ وسمعها أبو طاهر صفحاً، وقد كان شرب أقداحاً، ولم يعلق بذكره من الأمر إلا ذكر المجلس، واشتهر خبرها عند كل أحد، مما عاد عضد الدولة إلى شيراز سألني أبو طاهر بن بقية عنها، وطالبني بإنشادها غياه، فلم يمكنني إنكارها، فغيرتها في الحال على هذا الوجه:

يا راكب الجسرة العيرانة الأجد تدمى مناسمها في الحزن والجدد
أبلغ أبا قاسم، نفسي الفداء له مقالة من أخ للود معتقد
أنصفت فيها ولم أظلم، ولا حسن بالمرء إلا مقال الحق والسدد
قد أعجبتك فتوح أنت كاتبها تردد السجع فيها غير متئد
خلا لك الجو إذ أصبحت منتشياً تشدو بها طرباً كالطائر الغرد
تروعني كل يوم منك رائعة تبغي الجواب لها من موجع كمد
فأنت أكتب مني في الفتوح وما تجري مجيباً إلى شأوي ولا أمدي
أعطيتني شر قسميها وفزت بما فيه الفوائد من قرب ومن بعد
فاشكر إلهك واعذرني فقد صديت قريحتي من زمان مقرف تلد

ثم سعي بأبي إسحاق إلى عز الدولة، حتى قبض عليه، بعد أن أعطانا أماناً، كتبه ابن بقية بيده، ولم يستقص ابن بقية عليه، لحق كان قد أوجبه عليه، أيام كون عضد الدولة بيع فكتب أبو إسحاق إلى ابن بقية من الحبس:

ألا يا نصير الدين والدولة الذي | رددت إليها العز، إذ فات رده
أيعجزك استخلاص عبدك بعد ما | تخلصت مولاك الذي أنت عبده؟

وكتب أبو إسحاق إلى المطهر بن عبد الله، وزير عضد الدولة، وقد عرضت له شكاة:

لو استطعت أخذت علة جسمه | فقرنتها مني بعلة حالي
وجعلت صحتي التي لم تصف لي | بدلاً له من صحة الإقبال
فتكون عندي العلتان كلاهما | والصحتان له بغير زوال

قرأت بخط أبي علي بن إبراهيم الصابئ، كتب والدي إلى بعض إخوانه: كانت رقعتك يا سيدي، وصلت إلي، مشتملة من لطيف تفضلك وبرك، وأنيق نظمك ونثرك، على ما شغلني الاستحسان له، والاستروح إليه، وتكرير الطرف في مبانيه، والفكرة في معانيه، عن الشروع في الإجابة عنه، ثم تعاطيتها، فوجدتني بين حالتين، إما أوجزت إيجازاً، يظن معه التقصير، أو أطلت إطالة، يظهر منها القصور، فرأيت أولى الأمرين، بذل الممكن، واستنفاد المجهود، بعد تقديم الإقرار لك، والاعتراف بفضلك.

فسبحان رب كريم حبا | ك بطول اللسان وطول البنان
ووفاك من فضل إنعامه | كمالاً تقصر عنه الأماني
فما كنت أحسب أن الزما | ن يزان بمثلك لولا عياني

ومن خطه: حدثني والدي أبو إسحاق قال: راسلت أبا الطيب المتنبي - رحمه الله - في أن يمدحني بقصيدتين، وأعطيه خمسة آلاف درهم، ووسطت بيني وبينه رجلاً من وجوه التجار، فقال له: قل له: والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك، ولا أوجب علي في هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت، وإن أنا مدحتك، تنكر لك الوزير، يعني - أبا محمد المهلبي، - وتغير عليك، لأنني لم أمدحه، فإن كنت لا تبالي هذه الحال، فأنا أجيبك إلى ما التمست، وما أريد منك منالاً، ولا عن شعري عوضاً، قال والدي: فتنبهت على موضع الغلط، وعلمت أنه قد نصح، فلم أعاوده.

ومن شعر أبي إسحاق، قوله:

جرت الجفون دماً، وكأسي في يدي | شوقاً إلى من لج في هجراني
فتخالف الفعلان، شارب قهوة | يبكي دماً، وتشاكل اللونان

فكأن ما في الجفن من كأسي جرى | وكأن ما في الكأس من أجفاني

وله أيضاً:

أيها اللائم المضيق صدري ... لا تلمني فكثرة اللوم تغري

قد أقام القوام حجة عشقي ... وأبان العذار في الحب عذري

وله أيضاً في غاية الجودة:

حذرت قلبي أن يعود إلى الهوى ... لما تبدل بالنزاع نزوعاً

فأجابني لا تخش مني بعد ما ... أفلت من شرك الغرام وقوعاً

حتى إذا داع دعاه إلى الهوى ... أصغى إليه سامعاً ومطيعا

كذبالة أخمدتها فكما دنا ... منها الضرام تعلقته سريعا

وله أيضاً:

مرضت من الهوى حتى إذا ما ... بدا ما بي لإخواني الحضور

تكنفني ذوو الإشفاق منهم ... ولاذوا بالدعاء وبالنذور

وقالوا للطبيب: أشر فإنا ... نعدك للعظيم من الأمور

فقال شفاؤه الرمان مما ... تضمنه حشاه من السعير

فقلت لهم: أصاب بغير قصد ... ولكن ذاك رمان الصدور

وله أيضاً:

إلى الله أشكو ما لقيت من الهوى ... بجارية أمسى بها القلب يلهج

إذا امتزجت أنفاسنا بالتزامنا ... توهمت أن الروح بالروح يمزج

كأني وقد قبلتها بعد هجعة ... ووجدي ما بين الجوانح يلعج

أضفت إلى النفس التي بين أضلعي ... بأنفاسها نفساً إلى الصدر تولج

فإن قيل لي اختر أيما شئت منهما ... فإني إلى النفس الجديدة أحوج

وله أيضاً:

أقول، وقد جردتها من ثيابها ... وعانقتها كالبدر في ليلة التم

وقد آلمت صدري لشدة ضمها ... لقد جبرت قلبي وإن أوهنت عظمي

وله أيضاً:

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد حفنا عليك به ظلماً وعدوانا

لأن أحسن ما نلقاه مكتسياً وأنت أحسن ما نلقاك عرياناً

وله أيضاً:

فديت من لاحظ طرفها من جيفة الناس بتسليمته

لما رأت بدر الدجى تائهاً وغاظها ذلك من شيمته

سرت له البرقع من وجهها فردت البدر إلى قيمته

وكتب أبو إسحاق إلى الوزير، أبي نصر سابور أبن أردشير جواباً عن كتاب إليه:

أتتني على بعد المدى منك نعمة تشاكل ما قدمت من نعم عندي

كتابك مطوياً على كل منه يمن بها المولى الكريم على العبد

فقبلت إجلالاً له الأرض ساجداً وعفرت، قدام الرسول به خدي

وقابلت ما فيه من الطول والندى بما في من شكر عليه ومن حمد

وعاليت نحو العرش طرفي باسطاً يدي بدعاء قد بذلت به جهدي

وكم لك عندي من يد قد حفظتها ولم ينسنيها ما تطاول من عهد

وقال في غلام له، اسمه رشد أسود:

قد قال رشد وهو أسود للذي ببياضه يعلو علو الحائن

ما فخر خدك بالبياض وهل ترى أن قد أفدت به مزيد محاسن؟؟

ولو أن مني فيه خالاً زانه ولو أن منه في خالاً شانني

وله فيه أيضاً:

لك وجه كأن يمناي خط ته بلفظ تمله آمالي

فيه معنى من البدور ولكن نفضت صبغها عليها الليالي

لم يشنك السواد بل زاد حسناً إنما يلبس السواد الموالي

وله في البق:

وليلة لم أذق من حرها وسناً كأن في جوها النيران تشتعل

أحاط بي عسكر للبق ذو لجب ما فيه إلا شجاع فاتك بطل

من كل شائكة الخرطوم طاعنة لا تحجب السجف مسراها ولا الكلل
طافوا علينا، وحر الشمس يطبخنا حتى إذا أنضجت أجسادنا أكلوا

وقال يذم البصرة، وكان قد خرج إليها لاستيفاء مال السلطان:

ليس يغنيك في التطهر بالبص رة إن حانت الصلاة اجتهاد
إن تطهرت فالمياه سلاح أو تيممت فالصعيد سماد

وقال عند رحيله عنها:

توليت عن أرض البصيرة راحلاً وأفئدة الفتيان حشو حقائبي
منازل تقري ضيفها كل ليلة بأمثال غزلان الصريم الربائب
أقمت بها سوق الصبا والندى معاً لعاشقة حيرى وحيران لاعب
فما تظهر الأشواق إلا صنائعي ولا تستر الجدران إلا حبائبي

وقال، وقد عتب على بعض ولده:

أرضى عن ابني إذا ما عقني حذراً عليه أن يغضب الرحمن من غضبي
ولست أدري لم استحققت من ولدي إقذاء عيني وقد أقررت عين أبي؟

وكتب إلى بعض الرؤساء، يلتمس منه إشغال بعض ولده وإجراء رزق عليه:

وما أنا إلا دوحة قد غرستها وسقيتها حتى تراخى بها المدى
فلما اقشعر العود منها وصوحت أتتك بأغصان لها تطلب الندى

وكتب إليه أبو علي المحسن ابنه، تسلية في إحدى نكباته:

لا تأس للمال إن غالته غائلة ففي حياتك من فقد اللهى عوض
إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جمعت يداك من طارف أو تالد عرض

وأجابه أبو إسحاق:

يا درة أنا من دون الورى صدف لها أقيها المنايا حين تعترض
قد قلت للدهر، قولاً كان مصدره عن نية لم يشب إخلاصها مرض:
دع المحسن يحيا، فهو جوهرة جواهير الأرض طرا عندها عرض
والنفس لي عوض عما أصبت به وإن أصبت بنفسي فهو لي عوض

أتركه لي وأخاه، ثم خذ سلبي ... ومهجتي، فهما مغزاي والغرض

وقال يمدح المهلبي:

وكم من يد بيضاء حازت جمالها ... يد لك لا تسود إلا من النقس

إذا رقشت بيض الصحائف خلتها ... تطرز بالظلماء أردية تشمس

وله فيه، وقد فصد من غير علة:

لهجت يمينك بالندى، فبنانها ... أبداً يفيض حتى العفاة عطاء

حتى فصدت، وما بجسمك علة ... كيما تسبب للطبيب حباء

ولقد أرقت دماً زكياً من يد ... حقنت، بيدي الأمور، دماء

يجري العلا في عرقه جري الندى ... في عوده، فهو اللباب صفاء

لو يقدر الأحرار حين أرقته ... جعلوا له حب القلوب وعاء

فانعم وعش في صحة وسلامة ... تحيي الولى وتكبت الأعداء

وله أيضاً فيه:

لا تحسب الملك الذي أوتيته ... يفضي، وإن طال الزمان، إلى مدى

كالدوح في أفق السماء فروعه ... وعروقه متولجات في الندى

في كل عام يستجد شبيبة ... فيعود ماء العود فيه كما بدا

حتى كأنك دائر في حلقة ... فلكية في منتهاها المبتدا

وله في ابن سعدان:

وما زلت من قبل الوزارة جابري ... فكن رائشي، إذ أنت ناه وآمر

أمنت بك المحذور، إذ كنت شافعاً ... فبلغني المأمول إذ أنت قادر

لعمري، لقد نلت المنى بك كلها ... وطرفي إلى نيل المنى بك ناظر

عكس قول المهلبي:

بلغت الذي قد كنت آمله بكم ... وإن كنت لم أبلغ لكم ما أؤمل

وله إلى الصاحب:

لما وضعت صحيفتي ... في بطن كف رسولها

قبلتها لتمسها يمناك عند وصولها

وتود عيني أنها اق ترنت ببعض فصولها

حتى ترى في وجهك ال ميمون غاية سؤلها

وقال لأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف:

أبو قاسم عبد العزيز بن يوسف عليه من العلياء عين تراقبه

روى ورعى لما روى قول قائل "وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه "

وله تهنئة بالعيد:

يا سيداً أضحى الزما ن بأسره منه ربيعا

أيام دهرك لم تزل للناس أعياداً جميعا

حتى لأوشك بينها عيد الحقيقة أن يضيعا

فاسلم لنا. ما أشرقت شمس على أفق طلوعا

واسعد بعيد ما يزا ل إليك معتقداً رجوعا

وله أيضاً، يهنئ عضد الدولة بالأضحى:

صل يا ذا العلا لربك وانحر كل ضد وشانئ لك أبتر

أنت أعلى من أن تكون أضاح يك قروماً من الجمالة تعقر

بل قروماً من الملوك ذوي السو دد تيجانها أمامك تنثر

كلما خر ساجداً لك رأس منهم، قال سيفك: الله أكبر

وله أيضاً:

ولما رأيت الله يهدي وخلقه تجاسرت واستفرغت جهد جهيد

فكان احتفالي في الهدية درهماً يطير على الأنفاس يوم ركود

وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبسي وتقييده بالشكل مثل قيودي

ألاطف مولانا، وكالماء طبعه تسلسل من عذب النطاف برود

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير، وقد أعيد إلى الوزارة:

قد كنت طلقت الوزارة بعد ما زلت بها قدم وساء صنيعها

فغدت بغيرك تستحل ضرورة		كيما يحل إلى ذراك رجوعها
والآن آلت ثم آلت حلفة		ألا يبيت سواك وهو ضجيعها

وله يهجو:

أيها النابح الذي يتصدى		بقبيح يقوله لجوابي
لا تؤمل أني أقول لك: اخسأ		لست أسخو بها لكل الكلاب

وله يهجو:

وراكب فوق طرف		كأنه فوق طرفي
له قذال متين		يجل عن كل وصف
يذوب شوقاً إليه		نعلي وخفي وكفي

وله يهجو:

يبدي اللواط مغالطاً، وعجانه		أبداً لأعراد الورى مستهدف
فكأنه ثعبان موسى إذ غدا		لحبالهم وعصيهم يتلقف

وله يصف الشعر:

لقد شان شأن الشعر قوم كلامهم		إذا نظموا شعراً من الثلج أبرد
فيا رب إن لم تهدهم لصوابه		فأضللهم عن وزن ما لم يجودوا

وله أيضاً:

إذا جمعت بين امرأين صناعة		فأحببت أن تدري الذي هو أحذق
فلا تتفقد منهما غير ما جرت		به لهما الأرزاق حين تفرق
فحيث يكون النقص، فالرزق واسع		وحيث يكون الفضل، فالرزق ضيق

وله أيضاً:

كل الورى من مسلم ومعاهد		للدين منه فيك أعدل شاهد
فإذا رآك المسلمون تيقنوا		حور الجنان لدى النعيم الخالد
وإذا رأى منك النصارى ظبية		تعطو ببدر فوق غصن مائد
أثنوا على تثليثهم واستشهدوا		بك إذ جمعت ثلاثة في واحد

وإذا اليهود رأوا جبينك لامعاً قالوا لدافع دينهم والجاحد
هذا سنا الرحمن حين أبانه لكليمه موسى النبي العابد
ويرى المجوس ضياء وجهك فوقه مسود فرع كالظلام الراكد
فتقوم بين ظلام ذاك ونور ذا حجج أعدوها لكل معاند
أصبت شمسهم، فكم لك فيهم من راكع عند الظلام وساجد
والصابئون يرون أنك فردة في الحسن إقراراً لفرد ماجد
كالزهرة الزهراء أنت لديهم مسعودة بالمشتري وعطارد
فعلى يديك جميعهم مستبصر في الدين من غاوي السبيل وراشد
أصلحتهم وقتلتني فتركتني من بينهم أسعى بدين فاسد

قرأت بخط أبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ، حدثني أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي الشاعر، قال: أعانني والدك أبو إسحاق إبراهيم ابن هلال في هجائي، خمرة المجنونة بالشيء الكثير، فمن ذلك:

لخمرة عندي حديث يطول رأتني أبول، فكادت تبول
وقالت: تقول بنا يا فتى فقلت، وأدليت: لم لا أقول؟
فلما نهضت أتتني رقاع وجاءت هدايا ووافي رسول

ومن ذلك أيضاً:

نام إيرى، وقد تولج فيها قائلاً فيه من هجير وحر
بيت خيش في برده ونداه سجفت دونه شريحة بظر
نعم مستبرد الغراميل لولا أنه منتن خبيث المقر

ومن ذلك أيضاً:

ألا هل قائل مني لخمره: فقدتك، كل شيء منك عبره
ألا كل النوى في البسر يخفى وقد أخفت نواتك كل بسره
إذا وردتك فيشة ذي جمام ترف نضارة وتروق حمره
تولت عنك صفراء النواحي عليها من ثياب حشاك صدره

فتدخل وهي فيشة جيسوان　　　وتخرج وهي كالبرني صفره

ومن خط أبي علي المحسن حدثني السري ابن أحمد الشاعر الرفاء قال أنشدني والدك لنفسه:

مازلت في سكري ألمع كفها　　　وذراعها بالقرص والآثار
حتى تركت أديمها وكأنما　　　غرس البنفسج منه في الجمار

وأخذت هذا المعنى فقلت:

أحبب إلي بفتية نادمتهم　　　بين المحلة والقباب البيض
من كل محض الجاهلية معرق　　　في الخرمية بالعدي عريض
وسموا الأكف بخضرة فكأنما　　　غرسوا بها الريحان في الإغريض

ومن خطه لأبي الحسن بن سكرة الهاشمي، من قصيدة إلى والدي وعمي أبي العلاء - رحمهما الله -:

آمنوا يا بني هلال جميعاً　　　نوب الدهر والزمان المعاند
وارتقوا كيف شئتم في المعالي　　　وأذلوا وأهبطوا كل حاسد
لكم في أبي العلاء علو　　　وصعود ببدره التم صاعد
زاد في عزكم ومازال منكم　　　كل يوم يزيد في الصيد واحد

وكتب من الحبس إلى ابنه المحسن، وقد أكثر من هذا في ترجمة أبيه:

كتبت أقيك السوء من مجلس صنك　　　وعين عدوي، رحمةً منه لي، تبكي
وقد ملكتني كف فظ مسلط　　　قليل التقى ضار على الفتك والإفك
صليت بنار الهم فازددت صفوة　　　كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

وكتب إلى صديق له من الحبس:

نفسي فداؤك غير معتد بها　　　إذ قد مللت حياتها وبقاءها
ولو أن لي مالاً سواها لم أكن　　　أرضى لنفسك أن تكون إزاءها
لكن صفرت فلم أجد إلا التي　　　قد آن لي أن أستطيل ذماءها
وإذا شكرت لمن فداك فإنني　　　لك شاكر أن قد قبلت فداءها
وكأنني المفدى حين أرحتني　　　من نائبات ما أطيق لقاءها

وقال في الحبس:

إذا لم يكن للمرء بد من الردى فأسهله ما جاء والعيش أنكد
وأصعبه ما جاءه وهو راتع تطيف به اللذات، والحظ مسعد
فإن أكُ شر العيشتين أعيشها فإني إلى خير المماتين أقصد
وسيان يوما شقوة وسعادة إذا كان غباً واحداً لهما الغد

وقال في الشيب:

يقول الناس لي: في الشيب عز يزيد به جلال المرء ضعفا
ولولا أنه ذلك وهون لما احتكم المزين فيه نتفا

أخذه من ابن الرومي:

كفاك من ذلتي للشيب حين أتى أني توليت نتفاً لحيتي بيدي

وله أيضاً:

وجع المفاصل وهو أي سر ما لقيت من الأذى
جعل الذي استحسنته والناس من حظي كذا
والعمر مثل الكأس ير سب في أواخرها القذى

حدث الرئيس أبو الحسن هلال، قال: قلت لجدي أبي إسحاق، تجاوز الله عنه وهو يشكو زمانه: يا سيدي، ما نحن بحمد الله تعالى إلا في خير وعافية، ونعمة كافية، فما معنى هذه الشكوى التي تواصلها، ويضيق صدرك بها، وينتغص عيشك معها؟ فضحك وقال: يا بني نحن كدود العسل، قد نقلنا منه إلى الخل، فهو ذا نحس بحموضته، ونأسى ونحزن على ما كنا فيه من العسل ولذته، وأنتم كدود الخل، ما ذقتم حلاوة غيره، ولا رأيتم طلاوة ضده.

ولأبي إسحاق من التصانيف: كتاب رسائله، وهو مشهور، نحو ألف ورقة، كتاب التاجي في أخبار أهله، كتاب اختيار شعر المهلبي، كتاب ديوان شعره.

إبراهيم بن علي الحصري القيرواني الأنصاري

قال ابن صهيب: مات بالمنصورة، من أرض القيروان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وقد جاوز الأشد.

قال: وكان شاعراً، نقاداً، عالماً بتتريل الكلام، وتفصيل النظام، يحب المجانسة والمطابقة، ويرغب في

الاستعارة، تشبهاً بأبي تمام في أشعاره، وتتبعاً لآثاره، وعنده من الطبع ما لو أرسله على سجيته، لجرى جري الماء، ورق رقة الهواء، كقوله في بعض مقطعاته:

يا هل بكيت كما بكت ورق الحمائم في الغصون

هتفت سحيراً والربى للقطر رافعة الجفون

فكأنها صاغت على شجوى شجي تلك اللحون

ذكرتني عهداً مضى للأنس منقطع القرين

فتصرمت أيمها وكأنها رجع الجفون

وله في الغزل:

كتمت هواك حتى عيل صبري وأدنتني مكاتمتي لرمسي

ولم أقدر على إخفاء حال يحول بها الأسى دون التأسي

وحبك مالك لحظي ولفظي وإظهاري وإضماري وحسي

فإن أنطق، ففيك جميع نطقي وإن أسكت ففيك حديث نفسي

وقوله أيضاً:

إني أحبك حباً ليس يبلغه همي ولا ينتهي فهمي إلى صفته

أقصى نهاية علمي فيه معرفتي بالعجز مني عن إدراك معرفته

وله تآليف جيدة في ملح الشعر والخبر.

قال ابن رشيق: وقد كان أخذ في عمل طبقات الشعراء على رتب الأسنان، وكنت أصغر القوم سنا، فصنعت:

رفقاً أبا إسحاق بالعالم حصلت في أضيق من خاتم

لو كان فضل السبق مندوحة فضل إبليس على آدم

فبلغه البيتان، فأمسك عنه، واعتذر منه، ومات، وقد سد عليه باب الفكرة فيه، ولم يصنع شيئاً.

والذي أعرف أنا من تصانيفه: كتاب زهرة الآداب، وكتاب النورين، اختصره منها، وهما يتضمنان أخباراً وأشعاراً حساناً، وكتاب المصون والدر المكنون، وله عندي: كتاب الجواهر، في الملح والنوادر، كتبه عبد القادر البغدادي.

إبراهيم بن يحيى بن المبارك بن المغيرة

اليزيدي، أبو إسحاق بن أبي محمد العدوي، قد ذكر السبب الذي من أجله سمي باليزيدي في خبر أبيه، وكان إبراهيم عالماً بالأدب شاعراً مجيداً، نادم الخلفاء، وقدم دمشق صحبة المأمون، كذا ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق، مات فيما ذكره أبو الفرج بن الجوزي في كتاب المنتظم، سنة خمس وعشرين ومائتين.

قال ابن عساكر: وكان قد سمع أباه أبا محمد اليزيدي وأبا زيد سعد بن أوس الأنصاري، والأصمعي.

روى عنه أخوه أبو علي إسماعيل بن يحيى ابن المبارك، وابنا أخيه أحمد وعبيد الله ابنا محمد بن أبي محمد.

قال الخطيب: وهو بصري، سكن بغداد، وكان ذا قدر وفضل، وحظ وافر من الأدب، وله كتاب مصنف، يفتخر به اليزيديون، وهو ما اتفق لفظه، واختلف معناه، نحو من سبعمائة ورقة، رواه عنه ابن أخيه عبيد الله ابن محمد بن أبي محمد، وذكر إبراهيم: أنه بدأ بعمله، وهو ابن سبع عشرة سنة، و لم يزل يعمله إلى أن أتت عليه ستونه سنة، وله كتاب مصادر القرآن، قال ابن النديم: يبلغ فيه إلى سورة الحديد، ومات، وكتاب في بناء الكعبة وأخبارها، وكتاب النقط والشكل، وله كتاب المقصور والممدود. حدث ابن عساكر في تاريخه، بإسناد رفعه إلى إبراهيم بن أبي أحمد عن أبيه، قال: كنت مع أبي عمرو بن العلاء في مجلس إبراهيم ابن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فسأل عن رجل من أصحابه فقده، فقال لبعض من حضره: اذهب فاسأل عنه، فرجع فقال: تركته يريد أن يموت، فقال: فضحك منه بعض القوم، قوال: في الدنيا إنسان يريد أن يموت؟ فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها عربية، إذ يريد هاهنا بمعنى يكاد، قال الله تعالى: "يريد أن ينقض"، قال: فقال أبو عمرو بن العلاء لا نزال بخير مادام فينا مثلك.

وحدث أيضاً قال: قال إبراهيم اليزيدي: كنت يوماً عند المأمون، وليس معنا إلا المعتصم، قال: فذكر كلاماً فلم أحتمله منه، يعني: من المعتصم، وأجبته قال: فأخفى ذلك المأمون و لم يظهر ذلك الإظهار، فلما صرت من غد إلى المأمون، كما كنت أصبر، قال لي الحاجب: أمرت ألا آذن لك، فدعوت بدواة وقرطاس، فكتبت:

أنا المذنب الخطاء، والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
سكرت فأبدت مني الكأس بعض ما ... كرهت، وما إن يستوي السكر والصحو

ولا سيما إذ كنت عند خليفة ... وفي مجلس ما إن يليق به اللغو
ولولا حميا الكأس كان احتمال ما ... بدهت به لا شك فيه هو السرو
تنصلت من ذنبي تنصل ضارع ... إلى من لديه يغفر العمد والسهو

فإن تعف عني تلف خطوي واسعاً　　　وإلا يكن عفو، فقد قصر الخطو

قال: فأدخلها الحاجب، ثم خرج إليّ، فأدخلني، فم المأمون باعيه، فأكببت على يديه فقبلتهما، فضمني إليه وأجلسني.

قال المرزباني: إن المأمون وقع على ظهر هذه الأبيات:

إنما مجلس الندامى بساط　　　للمودات بينهم وضعوه

فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا　　　من حديث ولذة رفعوه

وحدث أبو الفرج الإصبهاني في كتابه، ورفعه إلى إبراهيم بن اليزيدي، قال: كنت مع المأمون في بلد الروم، فبينا أنا أسير في ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح، وإلى جانبي قبة إذ برقت بارقة، فإذا في القبة عريب المغنية جارية المأمون، فقالت: إبراهيم بن اليزيدي؟ فقلت: لبيك، فقالت: قل في هذا البرق أبياتاً أغني فيها، فقلت:

ماذا بقلبي من أليم الخفق　　　إذا رأيت لمعان البرق

من قبل الأردن أو دمشق　　　لأن من أهوى بذاك الأفق

فارقته وهو أعز الخلق　　　عليّ، والزور خلاف الحق

ذاك الذي يملك مني رقي　　　ولست أبغي ما حييت عتقي

فتنفست نفساً ظننت أنه قد قطع حيازيمها، فقلت: ويحك، على من هذا؟ فضحكت، وقالت: على الوطن فقلت: هيهات، ليس هذا كله للوطن، فقالت: ويحك، أفتراك ظننت أنك تستفزني، والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس، فادعاها أكثر من ثلاثين رئيساً، والله ما علم أحد منهم لمن كانت إلى هذا الوقت.

ووجدت في بعض الكتب: أن إبراهيم اليزيدي، دخل يوماً على المأمون، وعنده يحيى بن أكثم القاضي، فأقبل يحيى على إبراهيم يمازحه، وهم على الشراب، فقال له فيما قال: ما بال المعلمين ينيكون الصبيان، فرفع إبراهيم رأسه، فإذا المأمون يحرض يحيى على العبث به، فغاظ ذلك إبراهيم، فقال: أمير المؤمنين أعلم خلق الله بهذا، فإن أبي أدبه، فقام المأمون من مجلسه مغضباً، ورفعت الملاهي، وكل ما كان بحضرته، فأقبل يحيى بن أكثم على إبراهيم، فقال له: أتدري ما خرج من رأسك؟ إني لأرى هذه الكلمة سبباً في انقراضكم يا آل اليزيدي، قال إبراهيم: فزال عني السكر، وسألت من أحضر لي دواة ورقعة، فأحضرهما، وكتبت معتذراً بقولي:

أنا المذنب الخطاء، والعفو واسع

الأبيات المتقدمة، فرضي وعفا عنه.

قال إبراهيم: وكنت يوماً بحضرة المأمون، فقالت لي عريب، على سبيل الولع: يا سلعوس، قال: وكان من يريد العبث بإبراهيم، لقبه سلعوس، قال إبراهيم: فقلت لها:

قل لعريب: لا تكوني سلعسه وكوني كنزيف، وكوني كمونسه

هذه أسماء جواري المأمون، قال: فقال المأمون على الفور:

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شك، أن ذلك وسوسه

فقال إبراهيم: كذا والله يا أمير المؤمنين قدرت، وإياه أردت، وعبت من فظنة المأمون وذهنه.

الأثرم الفابجاني الإصبهاني

ذكره في كتاب أصبهان، فقال: كان أحد علماء اللغة، وممن جاب بلدان العراق، يجمع اللغة والشعر، وتصحيحهما عن علمائهما.

أحمد بن إبراهيم الضبي

أبو العباس الملقب بالكافي الأوحد، الوزير بعد الصاحب أبي القاسم بن عباد، لفخر الدولة أبي الحسن علي ابن ركن الدولة بن بويه، مات في صفر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ببروجرد، من أعمال بدر بن حسنويه، على ما نذكره، ذكره الثعالبي فقال: هو جذوة من نار الصاحب أبي القاسم، ونهر من بحره، وخليفته النائب منابه في حياته، القائم مقامه بعد وفاته، وكان الصاحب استصحبه منذ الصبا، واجتمع فيه الرأي والهوى، فاصطنعه لنفسه، وأدبه بآدابه، وقدمه بفضل الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه، وخرج منه صدراً يملأ الصدور كمالاً، ويجري في طريقه ترسماً وترسلاً، وفي ذرا المعالي توقلاً، ويحقق قول أبي محمد فيه من قصيدة:

تزهى بأترابها كما زهيت ضبة بالماجد ابن ماجدها

سمائها شمسها غمامتها هلالها بدرها عطاردها

يروى كتاب الفخار أجمع عن كافي كفاة الورى وواحدها

وقد كانت بلاغة العصر بعد الصاحب والصابئ بقيت متماسكة بأبي العباس، فأشرفت على التهافت بموته، وكادت تشيب بعده لمم الأقلام، وتجف غدر محاسن الكلام، لولا أن الله سد ببقاء الأمير أبي الفضل

عبيد الله بن أحمد ثلم الآداب والكتابة، ثم وصفه بكلام كثير.

ومن شعر أبي العباس الضبي:

لا تركنن إلى الفرا ... ق فإنه مر المذاق

والشمس عند غروبها ... تصفر من ألم الفراق

وكتب إلى الصاحب كافي الكفاة:

أكافي كفاة الأرض ملكك خالد ... وعزك موصول فأعظم بها نعمى

نثرت على القرطاس دراً مبدداً ... وآخر نظماً قد فرعت به النجما

جواهر لو كانت جواهر نظمت ... ولكنها الأعراض لا تقبل النظما

وهذه رسالة من نثره كتبها إلى أبي سعيد الشيبي: وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين، فكان في الحسن روضة حزن، بل جنة عدن، وفي شرح النفس، وبسط الأنس، برد الأكباد والقلوب، وقميص يوسف في أجفان يعقوب، ومنها: – وبعد – فإن المنازعين للأمير حسام الدولة نسور قد اقتنصتها القصور، ودولته – حرسها الله – في إبان شباهِا واعتدالها، وريعان إقبالها واقتبالها، قد أسست على صلاح وسداد، وعمارة دنيا ومعاد، وهي مؤذنه بالدوام، في ظل السلامة والسلام.

وأما سبب هربه إلى بروجرد، فإن أم مجد الدولة اتهمته أن سم ابن أخيها، وطلبت منه مائتي ألف دينار، نفقة في مأتمه فلم يفعل، والتجأ إلى بروجرد، وهي من أعمال بدر بن حسنويه الكردي، ثم بدا له في الرجوع إلى الوزارة، فبذل مائتي ألف دينار ليعاد إلى وزارته لمجد الدولة، فلم يجب إلى ذلك، فلما مات احتوى ابنه أبو القاسم سعد على تركته، وكانت عظيمة، ومات بعده بشهور، فاحتوى أبو بكر محمد بن عبد العزيز بن رافع على المال، وورد تابوت أبي العباس إلى بغداد مع أحد حجابه.

وكتب ابنه إلى أبي بكر الخوارزمي، شيخ أصحاب أبي حنيفة، يعرفه أنه وصى بدفنه في مشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما، ويسأله القيام بأمره، وابتياع تربة له، فخاطب الشريف الطاهر أبا أحمد في ذلك، وسأله أن يبيعهم تربة بخمسمائة دينار، فقال: هذا رجل التجأ إلى جوار جدي، ولا آخذ لتربته ثمناً، وكتب نفسه الموضع الذي طلب منه، وأخرج التابوت إلى براثا، وخرج الطاهر أبو أحمد ومعه الأشراف والفقهاء وصلى عليه، وأصحب خمسين رجلاً من رجاله حتى أوصلوه ودفنوه هنالك.

وقد مدحه مهيار بقصائد منها:

أجيراننا بالغور والركب منهم ... أيعلم خال كيف بات المتيم؟؟

رحلتم وعمر الليل فينا وفيكم ... سواء ولكن ساهرون ونوم

فيا أنتم من ظاعنين وخلفوا قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم

يقون الوجوه الشمس والشمس فيهم ويسترشدون النجم والنجم منهم

أناشد نعمان الأخابير عنهم كفى خبرة مستفصح وهو أعجم

ولما جلا التوديع عمن أحبه ولم يبق إلا نظرة تتغنم

بكيت على الوادي وحرمت ماءه وكيف يحل الماء أكثره دم؟

ونفرت بالأنفاس عني حدوجهم كأن مطاياهم بهن توسم

وإن ملوكاً في "بروجرد" كرمت هم بذلوا الإنصاف فيما تكرموا

فميز من أعدائهم أولياؤهم إذا انتقموا يوم الجزاء وأنعموا

أسادتنا والجود صيرنا لكم عبيداً وعن قوم نعز ونكرم

إلام وكان البر منكم سجية تواصلنا يجفى وكم نتظلم؟

من اعتضتم عنا خطيباً لفضلكم وهل مثل شعري عن علاكم يترجم؟؟

وهل غير مدحي طبق الأرض فيكم وإن كان ملء الأرض ما قد مدحتم؟

ولما مات رثاه مهيار أيضاً بقصيدة منها:

أبكيك لي ولمن بلين بفرقه ال أيتام بعدك والنساء أرامل

ولمستجير والخطوب تنوشه متسطعم والدهر فيه آكل

ولمعشر طرق العلوم ذنوبهم في الناس وهي لهم إليك وسائل

قد كنت ملتحفاً بمدحك حلة فخراً تجر لها علي ذلاذل

فاليوم أشكرك الصنيع مراثياً خرس المشبب عندها والغازل

قال هلال: في عصر الجمعة لست بقين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، توفي الصاحب كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد بالري، ودفن من غد في داره، ونظر في الأمور بعده أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، المتلقب بالكافي الأوحد، ومنزلة الصاحب، وعلو قدره، وما شاع من ذكره، يغني عن الإطالة، في وصف أمره.

فحدثني القاضي أبو العباس أحمد بن محمد البارودي قال: اعتل الصاحب أبو القاسم، فكان أمراء الديلم، ووجوه الحواشي، وأكابر الناس يغادون بابه ويراوحون، ويخدمونه بالدعاء، وتقبيل الأرض وينصرفون،

وجاءه فخر الدولة عدة دفعات، فيقال إن الصاحب قال له وهو على يأس من نفسه: قد خدمتك أيها الأمير الخدمة التي استفرغت فيها الوسع، وسرت في دولتك وأيامك السيرة التي حصلت لك حسن الذكر بها، فإن أديت الأمور بعدي على رسومها علم أن ذلك منك، ونسب الجميل فيه إليك، واستمرت الأحدوثة الطيبة لك، ونسيت أنا في أثناء ما يثنى به عليك، وإن غيرت ذلك وعدلت عنه وسمعت أقوال من يحملك على خلافه، وتسلك به في طريقه، كنت المذكور بما تقدم والمشكور عليه، وقدح في دولتك ما يشيع أنفاً عنك، فقال له في جواب ذلك ما أراه به قبول رأيه. فلما كان وقد غروب الشمس من ليلة الجمعة المذكورة قضى نحبه.

وكان أبو محمد خازن الكتب ملازماً داره على سبيل الخدمة له، وهو عين لفخر الدولة في مراعاة الدار وما فيها، فأنفذ في الحال وعرفه الخبر، فأنفذ فخر الدولة خواصه وثقاته حتى أحاطوا على الدار والخزائن، ووجد له كيس فيه رقاع أقوام بمائة ألف وخمسين ألف دينار مودعة عندهم، فاستدعاهم وطالبهم بذلك، فأحضروه، وكان فيه ما هو بختم مؤيد الدولة، ورجمت الظنون فيه، فقيل: إنه أخذه من خيانة، وقيل إنه أودعه مؤيد الدولة عن وصية منه إليه، ونقل ما كان في الدار والخزائن إلى دار فخر الدولة، وجهز الصاحب وأخرج تابوته وسط الناس، وقد جلس أبو العباس الضبي لعزائه، فلما بدا على أيدي الحاملين له قامت الجماعة إعظاماً له وقبلوا الأرض، ثم وقفت الصلاة عليه، وعلق بالسلاسل في بيت كبير إلى أن نقل إلى تربته بإصبهان.

وكان القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، قد قال: لا أرى الرحمة عليه، لأنه مات عن غير توبة هرت منه، فطعن عليه بذلك، ونسب إلى قلة الرعاية فيه، وقبض فخر الدولة على القاضي عبد الجبار وأصحابه، وقرر أمرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم، فأدوا ذلك ورقاً وعيناً وقيمة عقار سلموه، وباع في جملة ما باع ألف طيلسان محشي، وألف ثوب مصري، وقلد القضاء بعده علي بن عبد العزيز، وطالب أبا العباس الضبي أن يحصل من الأعمال والمتصرفين فيها ثلاثين ألف ألف درهم، وقال له: إن الصاحب أضاع الأموال، وأهمل الحقوق، وينبغي أن يستدرك ما فات، ويتبع ما مضى، فامتنع من ذاك مع تردد القول فيه.

وكتب أبو علي الحسن بن أحمد بن حمولة وكان من أعلام الكتاب المتقدمين، الذين استخصهم الصاحب وأقر لهم بالفضل، وقد قاد الجيوش الكثيرة فهزمهم، فقامت له الهيبة التامة في قلوب العساكر، والملوك المجاورين، وكان عند موت الصاحب بجرجان، مقيماً مع الجيوش لمدافعة قابوس بن وشمكير، وجيوش خراسان، فكتب يخطب الوزارة ويضمن ثمانية آلاف ألف درهم عنها، فأجيب بالحضور، فلما قرب، قال فخر الدولة لأبي العباس الضبي: قد ورد أبو علي وعزمت على الخروج من غد لتلقيه، وأمرت الجماعة من قوادي وأصحابي بالنزول له، ولا بد من خروجك وفعلك مثل ذلك، فثقل هذا القول على أبي العباس،

وقال له خواصه وأصحابه: هذا ثمرة امتناعتك عليه، وتقاعدك عما دعاك له، وسيكون لهذه الحال ما بعدها، فراسل فخر الدولة وبذل له ستة آلاف ألف درهم على إقراره على الوزارة، وإعفائه من تلقي أبي علي، وخرج فخر الدولة وتلقاه، و لم يخرج أبو العباس.

ورأى فخر الدولة أن من الصلاح لأمره الإشراك بينهما في وزارته، فسامح أبا علي بألفي ألف درهم من جملة الثمانية التي بذلها، وسامح أبا العباس بألفي ألف درهم من جملة الستة التي ذكرناها، وقرر عليهما عشرة آلاف ألف درهم، وجمع بينهما في النظر، وخلع عليهما خلعتين متساويتين، ورتب أمرهما على أن يجلسا في دست واحد، ويكون التوقيع لهذا في يوم، والعلامة للآخر، ويجعل الكتب باسمهما، فقدم هذا على عنواناهما يوماً، ووقع التراضي بذلك، وجرت الحال عليه، ونظرا في الأعمال، وتحصيل الأموال، وقبضا على أصحاب الصاحب أبي القاسم ومن لحقته المسامحة في أيامه، وقررا عليهم المصادرات.

وذكر القاضي أبو العباس عن أبي العلاء بن المقرن أنه حدثه أهما استخرجا من إصبهان وحدها جملة وافرة، وجرت حال غيرها من النواحي إلى مصادرة أهلها على مثل هذه الصورة، وأنفذا أبا بكر بن رافع إلى إستراباذ ونواحيها لاستيفاء ما يستوفيه من المعاملين والتناء فيها، فقيل: إنه جمع الوجوه، وأرباب الأحوال، وأخر الإذن لهم حتى تعالى النهار، واشتد الحر، ثم أطعمهم طعاماً أكثر ملحه، ومنعهم الماء عليه وبعده، وقدم إليهم الدواة والكاغد وطالبهم بكتب خطوطهم بما يصححونه، و لم يزل يستام عليهم فيه وهم يتلهفون عطشاً، إلى أن ألزموا له عشرة آلاف ألف درهم، وتوقف العمال والمتصرفون عن الخروج إلى قزوين، لأن أهلها أهل امتناع وقوة، فبذل القارضي بن شيرمردي الخروج إليها، وذكر أنه يعرف وجوه أموال فيها، وخرج وحاول مطالبة أهلها، ومعاملتهم بمثل ما عومل به غيرهم، فاجتمعوا وهجموا عليه في داره وقتلوه.

واجتمع لفخر الدولة من الأموال في الخزائن والقلاع ما كثره المقللون ثم تمزق بعد وفاته، فلم تبق منه بقية في أسرع وقت، ثم مات فخر الدولة، وولي الأمر بعده ابنه مجد الدولة أبو طالب رستم، واستولت السيدة والدته على الأمر، وأجري أمر الوزيرين على حاله في أيام فخر الدولة من التشارك في تدبير المملكة، ومزقا أموال فخر الدولة، وبذراها غاية التبذير، ثم نجم قابوس، واستولى على رجحان، وضام جيوش خراسان، فدعت الضرورة إلى تجهيز جيش إليه، وأن يخرج معه أحد الوزيرين، فتقارعا على من يخرج منهما، فوقعت القرعة على الجليل أبي علي الحسن بن أحمد بن حمولة، فخرج ومعه العساكر الجمة، ووقعت بينه وبين قابوس وقائع استنفدت الأموال التي صحبته، واحتاج إلى الإمداد من الري، فتقاعد به أبو العباس الضبي، فرجع إلى الري مفلولاً، وأقاما على أمرهما من الاشتراك مدة، ثم سعت بينهما السعاة

وقالوا: فساد الأمر إنما هو من اشتراكهما، واختلاف آرائهما، والرأي أن يعزل أحدهما ويبقى الآخر، وكان ابن حمولة شديد الثقة بنفسه، معتقداً أن العساكر لا تختار غيره، ولا تريد سواه، فكان متغافلاً حتى دبر أبو العباس الضبي عليه، وقبض عليه بأمر السيدة، وحمله إلى قلعة استوناوند، ثم أنفذ إليه من قتله.

واستبد أبو العباس بالأمر، وجرت له خطوب، وعجز في آخرها ومات، فرأته السيدة، فاتهم أنه سقاه السم، فهرب حتى لحق بروجرد في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ملتجئاً إلى بدر بن حسنويه، فلم يزل عنده إلى أن مات في بروجرد في سنة سبع وتسعين أو ثمان وتسعين، وتبعه ابنه أبو القاسم سعد لاحقاً به، وكانت المدة قريبة بينهما.

وقيل: إن أبا بكر بن رافع، واطأ أحد غلمانه فسقاه سماً كان فيه حتفه، ونهض أبو بكر من همذان إلى بروجرد لاحتمال تركته، فذكر أنه حصل له ما زاد على ستمائة ألف دينار.

أحمد بن إبراهيم أبو رياش

وجدت بخط الحميدي، فيما رواه عن التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة قال: هو أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي، ووجدت بخط بعض أدباء مصر قال: أبو رياش، أحمد بن إبراهيم الشيباني، ولعل أبا هاشم كنية إبراهيم، مات فيما ذكره أبو غالب همام بن الفضل بن مهذب المغربي في تارلايخه في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

قال أبو علي المحسن بن علي التنوخي: ومن رواة الأدب الذين شاهدناهم أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي، وكان يقال: إنه يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة، وعشرين ألف بيت شعر، إلا أن أبا محمد المافروخي أبر عليه، لأنهما اجتمعا أول ما تشاهدا بالبصرة، فتذاكرا أشعار الجاهلية، وكان أبو محمد يذكر القصيدة فيأتي أبو رياش على عيونها، فيقول أبو محمد لا، إلا أن تهذها من أولها إلى آخرها، فينشد معه ويتناشدا إلى آخرها، ثم أتى أبو محمد بعده بقصائد لم يتمكن أبو رياش أن يأتي بها إلى آخرها، وفعل ذلك في أكثر من مائة قصيدة. حدثني بذلك من حضر ذلك المجلس معهما.

وحكى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، في كتابه المعروف بالرياش المصطنعي: أن أبا رياش كان طويل الشخص، جهير الصوت، يتكلم بكلام البادية، ويظهر أنه على مذهب الزيدية، ويتزوج كثيراً ويطلق، وكان يقول: ولدت بالبادية، ولعبت بالحضرمة، وتأدبت بالبصرة، والحضرمة بستان في ناحية اليمامة، له خاصية في عظم البصل، والريش والرياش حسن الهيئة والشارة.

وقال أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي في اليتيمة: كان أبو رياش باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها

وأشعارها، غاية بل آية في هذ دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان، ولكنه كان عديم المروءة، وسخ اللبسة، كثير التقشف، قليل التنظف، وفيه يقول أبو عثمان الخالدي:

كأنما قمل أبي رياش ... ما بين صئبان قفاه الفاشي

وذا وذا قد لج في انتعاش ... شهدانج بدد في خشخاشِ

وكان مع ذلك شرهاً على الطعام، رجيم شيطان المعدة، حوتي الالتقام، ثعباني الالتهام، سيء الأدب في المؤاكلة، دعاه أبو يوسف الزيدي والي البصرة إلى مائدته، فلما أخذ في الأكل، مد يده إلى بضعة لحم فانتهشها ثم ردها إلى القصعة، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيأ له طبق ليأكل عليه وحده. ودعاه يوماً المهلي الوزير إلى طعامه، فبينما هو يأكل، إذ امتخط في منديل الغمر وبصق فيه، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواتها فأصابت وجه الوزير، فتعجب من سوء أدبه، فاحتمله لفرط علمه، ففي شره أبي رياشٍ يقول ابن لنكك:

يطير إلى الطعام أبو رياشٍ ... مبادرة ولو واره قبر

أصابعه من الحلواء صفر ... ولكن الأخادع منه حمر

وله فيه:

أبو رياش بغي والبغي مصرعه ... فشدد الغين ترميه بآبدته

عبد ذليل هجا للحين سيده ... تصحيف كنيته في صدغ والدته

وله فيه وقد ولاه المافروخي عملاً بالبصرة:

قل للوضيع أبي رياش لا تبل ... ته كل تيهك بالولاية والعمل

ما ازددت حين وليت إلا خسة ... كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

ولابن لنكك فيه أشعار كثيرة: بعضها في أخبار ابن لنكك، من كتاب الشعراء. وجدت في موضع آخر من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي، كان أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي اليمامي رجلاً من حفاظ اللغة، وكان جندياً في أول أمره مع المسمعي برسم العرب، ثم انقطع إلى العلم والشعر وروايته لنا بالبصرة، وأنا حديث مع عمي حتى صرت رجلاً، وكتبت عنه وأخذت منه علماً صالحاً، وكان يتعصب على أبي تمام الطائي. وقال بعض الحاضرين لأبي: إن من عيون شعر أبي رياش قوله في أبيات عند ذكر امرأة شبب بها:

لها فخذ بختية تعلف النوى ... على شفة لمياء أحلى من التمر

فغضب أبو رياش ونهض، فأمر أبي بإجلاسه وقال للحاضر القائل: ولا كل ذا: وترضاه، ووهب له دراهم صالحة القدر.

قال: وأخبرني من حضر مجلس أبي محمد المافروخي عامل البصرة، وقد تنارا في شيء من اللغة اختلفا فيه، فقال أبو رياش: كذا أخبرتني عمتي أو جدتي في البادية عن العرب، ووجدتها تتكلم به. فقال له أبو الحسين محمد ابن محمد بن جعفر بن لنكك الشاعر وكان حاضراً: اللغة لا تؤخذ عن البغيات، فأمسك خجلاً، وكان أبو محمد المافروخي قد ولاه الرسم على المراكب بعبادان بحار سابع وأحسن إليه واختاره، عصبية منه للعلم والأدب، فقال ابن لنكك:

أبو رياش ولي الرسما	وكيف لا يصفع أو يعمى
يا رب جدي دق في خصره	ثم أتانا بقفا يذمى

قال وحدثني أبو رياش قال: مدحت الوزير المهلبي فتأخرت صلته، وطال ترددي إليه، فقلت:

وقائلة قد مدحت الوزي	ر وهو المؤمل والمستماح
فماذا أفادك ذاك المدي	ح وهذا الغدو وذاك الرواح؟
فقلت لها ليس يدري امرؤ	بأي الأمور يكون الصلاح؟
علي التقلب والإضطرا	ب جهدي وليس علي النجاح

قال المؤلف: وأما أبو محمد المافروخي الذي تقدم ذكره مكرراً، فهو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الفروخي فإنه كان يتقلد عمالة البصرة، وكان من العلم والجلالة على ما تقدم ذكره، وكان مع ذلك تمتاماً، يكرر الحرف في كلامه، وهو الذي تسميه العامة فأفاء، وكان مستغلقاً جداً، فحدث التنوخي أنه اعترض جملاً يسير في صحن الدار بحضرته، ووقف ليخاطب عليه فلم يرضه فقال أخرجوه عني، وكرر أخ أخ لأجل عقلة لسانه، فبرك الجمل، لأنه ظن أنه يقال له ذلك، كما يقال إذا أريد منه البروك، قال: وكان إذا أنشد الشعر أون قرأ القرآن، قرأه وأورده على أحسن ما يكون من حسن الأداء، وطيب الحنجرة، فقيل له: لو كان كلامك كله شعراً أو كقراءة القرآن، تخلصت من هذه الشدة، فقال يكون ذلك طتزاً، قال: وكان أحد خلفائه قد خرج إلى بعض الأعمال، واستخلف بحضرته ابناً له، كان مثل المافروخي في التمتمة، فخاطبه المافروخي أول ما دخل إليه في أمر شيء قال فيه و. و. و. مراراً، فأجابه ذلك الابن بمثل كلامه، فقال يا غلمان قفاه، كأنه يحكيني، فصفع صفعاً محكماً، حتى حضره أقوام وحلفوا له أن ذلك عادته، فأخذ يعتذر إليه، قال الذنب لأبيه، لما نزل في حضرتي مثله فهذا خبر المافروخي لتعرفه،

أحمد بن إبراهيم الأديبي

الخوارزمي أبو سعيد، من مشاهير فضلاء خوارم وأدبائها وشعرائها.
قال أبو محمد في تاريخ خوارزم: ذكره أبو الفضل الصفاري في كتابه، قرأت بخطه أنه كان كاتباً بارعاً، حسن التصرف في الترسل، وافر الحظ من حسن الكتابة، وفصاحة البلاغة، وكان خطه في الدرجة العليا من أقسام الحسن والجودة، فمن كلامه: الزيادة فوق الحد نقصان، والإساءة بلسان الحق إحسان.
قال: وكان إذا رأى كتابة متعقدة متكلفة قال: الكتابة تسكن سكن أخرى: وكتب إلى بعض الرؤساء في شكاية رجل ثقيل: قد منيت من هذا الكهل الرازي، صاحب الجبة الكهباء، واللحية الشهباء بالداهية الدهياء، والصيلم الصماء، جعل لسانه سنانه، وأشفار عينيه الصلبة شفاره، فإذا تكلم كلم بلسانه، أكثر مما يكلم بسنانه، وإذا لمح ببصره، جرح القلوب بلحظه، أشد مما جرح الآذان بلفظه، يظهر للناس في زي مظلوم، وإنه لظالم، ويشكو إليهم وجع السليم، وهو سالم.
وكتب إلى بعض الرؤساء وقد حجب عنه:

ومحجب بحجاب عز شامخ ... وشعاع نور جبينه لا يحجب
حاولته فرأيت بدراً طالعاً ... والبدر يبعد بالشعاع ويقرب
قبلت نور جبينه متعززاً ... باللحظ منه وقد زهاه الموكب
كالشمس في كبد السماء ونورها ... من جانبيه مشرق ومغرب
إن بان شخصي عن مجالس غيره ... فالنفس في ألطافه تتقلب
وإذا تقاربت النفوس وما انتأت ... أشخاصها فهو الجواد الأقرب

وكتب إلى واحد، وقد بعث إليه شاة: وصلت الشاة فكانت شاة الشياة، حسنة الحلي والشيات، ففرح الفراريج بمكانها، وملأوا منها حواصلهم، وثنوا بالدباء والدعاء أناملهم: وله: ساعدت الأيام بالمراد، ووفت بالميعاد، وجمعت لي بين طرفي الإصعاد والإسعاد، وله: حضرت موالياً الحضرة التي تضرب غليها أكباد الإبل، من كل فج عميق، وتمتد نحوها أعناق الأمل، من كل فوج وفريق، وله: أيام مولانا مشرقة، كأخلاقه، وأخباره عبقة، كأعراقه تزهى بجلال مكانه الرتب والمعارج، وتزين بكرم وجهه الأعياد والمهارج، وله: لا يليق خاتم العز والجلال إلا بخناصره، ولا يرجع الباطل إلى الحق إلا عند ناصره، وله: من لحظته عين إقباله، وسقته عين إفضاله، أقبلت سعوده بإشراق، وأذن عوده بإيراق، وله: إن كانت الوزارة دثرت رسومها وآثارها، ودرست أعلامها ومنارها، فلقد قيض الله لها مولانا فمد باعها، وعمر

رباعها، فأنست بتدابيره الثاقبة من وحشة نفارها، واستروحت من آرائه الصائبة إلى كنفها وقرارها، وله: كتابي وأنا في سلامة إلا من الشوق إلى طلعته المسعودة، والتراع إلى أخلاقه المشهودة، وملاحظة تلك الهمم العلية، ومطالعة تلك الحركات الشهية، ومجاري تلك الأنامل بالأقلام، فإنها إذا جرت نثرت الدرر، وأسالت على جباه الأنام الغرر، وسنت للبلغاء والكتاب، سنن الفقر والآداب.

أحمد بن إبراهيم بن محمد السجزي

أبو نصر، أحد الأدباء الفضلاء، قرأ على أبي بكر عبد القاهر، ثم قرأت بخط سلامة بن عياض الكفرطابي النحوي ما صورته: وجدت في آخر نسخة المعتضد، لعبد القاهر الجرجاني بالري مكتوباً، ما حكايته: قرأ علي الأخ الفقيه أبو نصر، أحمد بن إبراهيم بن محمد السجزي أيده الله، هذا الكتاب من أوله إلى آخره، قراءة ضبط وتحصيل، وكتبه عبد القاهر بن عبد الرحمن بخطه في شهر الله المبارك من شهور سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد

الطبيب يعرف بابن الجزار القيرواني، كان طبيباً حاذقاً دارساً، كتبه جامعة لمؤلفات الأوائل، فيه حسن الفهم لها، وله مصنفات فيه وفي غيره.

فمن أشهر كتبه في الطب، كتابه في علاج الأمراض، سماه زاد المسافر، وكتابه في الأدوية المفردة، المعروف بالاعتماد، وكتابه في الأدوية المركبة، المعروف بالبغية، ورسائله في النفس، وذكر اختلاف الأوائل فيها، وكان أيضاً له عناية بالتاريخ، ألف فيه كتاباً، رأيته في مجلدات تزيد على العشر، سماه التعريف بصحيح التاريخ، وذاك الذي أوجب ذكره في هذا الكتاب، وكان مع ذلك حسن المذهب بأصل السيرة، صائناً لنفسه، منقبضاً عن الملوك، ذا ثروة، و لم يكن يقصد أحداً إلى بيته، وكان له معروف، وأدوية يفرقها، وكان في أيام المعز لدين الله، في حدود سنة خمسين وثلاثمائة أو ما قاربها.

أحمد بن أحمد بن أخي الشافعي

هو رجل من أهل الأدب، رأيت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه، ورأيت خطه وليس بجيد المنظر، لكنه متقن الضبط، و لم أر أحداً ذكر شيئاً من خبره، لكني وجدت خطه في آخر كتاب، وقد قال فيه: كتبه أحمد بن أحمد المعروف بابن أخيٍ الشافعي وراق ابن عبدوس الجهشياري، والجهشباري هذا قد ذكر في بابه، وقد جمع ديوان البحتري وغيره.

أحمد بن إسحاق بن البهلول

ابن حسان بن سنان، أبو جعفر التنوخي أنباري الأصل، ولي القضاء بمدينة المنصور عشرين سنة، ومات لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر، سنة ثماني عشرة وثلاثمائة، ومولده بالأنبار سنة إحدى وثلاثين ومائتين، عن ثمان وثمانين سنة.

قال أبو بكر الخطيب: وحدث حديثاً كثيراً، وكان عنده عن أبي لهب محمد بن العلاء حديث واحد، وروى عنه الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين، والمخلص، وجماعة، وكان ثقة، قال: وذكر طلحة بن محمد بن جعفر في تسمية قضاة بغداد.

أحمد بن إسحاق بن البهلول، عظيم القدر، واسع الأدب، تام المروءة، حسن الفصاحة، حسن المعرفة بمذهب أهل العراق، ولكن غلب عليه الأدب، وكان لأبيه إسحاق مسند كبير حسن، وكان ثقة، وحمل الناس عن جماعة من أهل هذا البيت، منهم البهلول بن حسان، ثم ابنه إسحاق، ثم أولاد إسحاق.

و لم يزل أحمد بن إسحاق على عضاء المدينة من سنة ست وتسعين ومائتين، إلى شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلاثمائة، ثم صرف، وكان بيناً في الحديث، ثقة مأموناً، جيد الضبط لما حدث به، وكان مفتياً في علوم شتى، منها الفقه على مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وربما خالفهم في مسألات يسيرة، وكان تام العلم باللغة، حسن القيام بالنحو على مذهب الكوفيين، وله فيه كتاب ألفه، وكان تام الحفظ للشعر القديم والمحدث والأخبار الطوال والسير والتفسير، وكان شاعراً كثير الشعر جداً، خطيباً، حسن الخطابة والتفوه بالكلام، لسناً صالح الخط في الترسل والمكاتبة والبلاغة في المخاطبة، وكان ورعاً متخشناً في الحكم تقلد القضاء بالأنبار، وهيت، وطريق الفرات، من قبل الموفق بالله الناصر لدين الله، في سنة ست وسبعين ومائتين، ثم تقلد للناصر دفعة أخرى، ثم تقلد للمعتضد، ثم تقلد بعض كور الجبل للمكتفي، في سنة اثنتين وتسعين ومائتين، و لم يخرج إليها، ثم قلده المقتدر بالله في سنة ست وتسعين ومائتين بعد فتنة ابن المعتز القضاء بمدينة المنصور من مدينة السلام، وطسوج قطربل ومسكن، والأنبار، وهيت، وطريق الفرات، ثم أضاف له إلى ذلك بعد سنين القضاء بكور الأهواز مجموعة، لما مات قاضيها إذ ذاك محمد بن خلف، المعروف بوكيع، فمازال على هذه الأعمال إلى أن صرف عنها في سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

وحدث أبو نصر يوسف بن عمر ابن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف قال: كنت أحضر دار المقتدر بالله وأنا غلام حدث بالسواد مع أبي الحسين، وهو يومئذ قاضي القضاة، فكنت أرى في بعض المواكب القاضي أبا جعفر يحضر بالسواد، فإذا رآه أبي عدل إلى موضعه فجلس عنده، فيتذاكران الشعر والأدب

والعلم، حتى يجتمع عليهما من الخدم عدد كثير، كما يجتمع على القصاص استحساناً لما يجري بينهما، فسمعته يوماً وقد أنشد بيتاً لا أذكره الآن، فقال له أبي أيها القاضي: إني أحفظ هذا البيت بخلاف هذه الرواية، فصاح عليه صيحة عظيمة وقال: اسكت، ألي تقول هذا؟ أنا أحفظ لنفسي من شعري خمسة عشر ألف بيت، وأحفظ للناس أضعاف ذلك وأضعافه وأضعافه، يكررها مراراً.
وفي رواية ابن عبد الرحيم عن التنوخي قال: قال له هات: ألي تقول هذا؟ وأنا أحفظ من شعري نيفاً وعشرين ألف بيت، سوى ما أحفظه للناس، قال: فاستحيى أبي منه لسنه ومحله وسكت. قال: وحدثني القاضي أبو طالب محمد ابن القاضي أبي جعفر ابن البهلول قال: كنت مع أبي في جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه، وإلى جانبه في الحق جالس أبو جعفر الطبري، فأخذ أبي يعظ صاحب المصيبة ويسليه، وينشده أشعاراً، ويروي له أخباراً، فداخله الطبري في ذلك، وذئب معه، ثم اتسع الأمر بينهما في المذاكرة، وخرجا إلى فنون كثيرة من الأدب والعلم استحسنها الحاضرون، وعجبوا منها، وتعالى النهار وافترقنا، فلما جعلت أسير خلفه قال يا بني: هذا الشيخ الذي داخلنا اليوم في المذاكرة من هو؟ أترعفه؟ فقلت يا سيدي كأنك لم تعرفه؟ فقال لا: فقلت: هذا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، فقال: إنا لله، ما أحسنت عشرتي يا بني، فقلت: كيف يا سيدي؟ فقال: ألا قلت لي في الحال، فكنت أذاكره غير تلك المذاكرة، هذا رجل مشهور بالحفظ، والاتساع في صنوف من العلم، وما ذاكرته بحسبها، قال: ومضت على هذا مدة، فحضرنا في حق لآخر وجلسنا، وإذ بالطبري يدخل إلى الحق، فقلت له: قليلاً قليلاً أيها القاضي، هذا أبو جعفر الطبري قد جاء مقبلاً، قال: فأومأ إليه بالجلوس عنده، فعدل إليه، فأوسعت له حتى جلس إلى جنبه، وأخذ أبي يجاريه، فكلما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري منها أبياتاً، قال أبي هاتها يا أبا جعفر، فربما تلعثم، فيمر أبي في جميعه، حتى سبقه، قال: فما سكت أبي يومه ذاك إلى الظهر، وبان للحاضرين تقصير الطبري، ثم قمنا، فقال لي أبي: الآن شفيت صدري.

ولأبي جعفر هذا كتاب في النحو على مذهب الكوفيين، حدث أبو علي التنوخي، حدثني أبو الحسين علي بن هشام ابن عبد الله، المعروف بابن أبي قيراط، كاتب ابن الفرات، وأبو محمد عبد الله بن علي ذكويه، كاتب نصر القشوري، وأبو الطيب محمد بن أحمد الكلوذاني كاتب ابن الفرات، قالوا: كنا مع أبي الحسن بن الفرات، في دار المقتدر، في وزارته الثانية، في يوم الخميس لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة من سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقد استحضر ابن قليجة رسول علي بن عيسى إلى القرامطة في وزارته الأولى، فواجه علي بن عيسى في المجلس بحضرتنا بأنه وجه إلى القرامطة مبتدئاً، فكاتبوه يلتمسون منه المساحي والطلق وعدة حوائج، فأنفذ جميع ذلك إليهم، وأحضر ابن الفرات معه خطه، "أي ابن

عيسى" في نسخة أنشأها ابن ثوابة إلى القرامطة، جواباً عن كتابهم إليه، وقد أصلح علي بن عيسى فيها بخطه، و لم يقل إنكم خارجون عن ملة الإسلام بعصيانكم أمير المؤمنين، ومخالفتكم إجماع المسلمين، وشقكم العصا، ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والسداد، وداخلون في جملة أهل العناد والفساد، فهجن ابن الفرات علياً بذلك، وقال: ويحك تقول القرامطة مسلمون؟ والإجماع قد وقع على أنهم أهل ردة، لا يصلون ولا يصومون، وتوجه إليهم بالطلق وهو الذي إذا طلي به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار، قال: أردت بهذا المصلحة، واستعادتهم إلى الطاعة بالرفق وبغير حرب، فقال ابن الفرات لأبي عمر القاضي: ما عندك في هذا يا أبا عمر؟ اكتب به، فأفحم، وجعل مكان ذلك أن أقبل على علي بن عيسى فقال: يا هذا، لقد أقررت بما لو أقر به إمام لما وسع الناس طاعته، قال: فرأيت علي بن عيسى وقد حدق إليه تحديقاً شديداً، لعلمه بأن المقتدر في موضع يقرب منه، بحيث يسمع الكلام ولا يراه الحاضرون، فاجتهد ابن الفرات بأبي عمر أن يكتب بخطه شيئاً فلم يفعل، وقال: قد غلط غلطاً وما عندي غير ذلك، فأخذ خطه بالشهادة عليه بأن هذا كتابه، ثم أقبل على أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي، فقال: ما عندك يا أبا جعفر في هذا؟ فقال: إن أذن الوزير أن أقول ما عندي فيه على شرح قلته، قال افعل: قال: صح عندي أن هذا الرجل وأومأ إلى علي بن عيسى، افتدى بكتابين كتبهما إلى القرامطة في وزارته الأولى ابتداء وجواباً ثلاثة آلاف رجل من المسلمين، كانوا مستعبدين، وهم أهل نعم وأموال، فرجعوا إلى أوطانهم ونعمهم، فإذا فعل الإنسان مثل هذا الكتاب على جهة طلب الصلح، والمغالطة للعدو لم يجب عليه شيء، قال: فما عندك فيما أقر به أن القرامطة مسلمون؟ قال: إذا لم يصح عنده كفرهم وكاتبوه بالتسمية لله ثم الصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وانتسبوا إلى أنهم مسلمون، وإنما ينازعون في الإمامة فقط لم يطلق عليهم الكفر، قال فما عندك في الطلق ينفذ إلى أعداء الإمام؟ فإذا طلي به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار، وصاح بها كالمنكر على أبي جعفر، فأخبرني، فأقبل ابن البهلول على علي بن عيسى فقال له: أنفذت الطلق الذي هذه صفته إلى القرامطة؟ فقال علي بن عيسى لا، فقال ابن الفرات: هذا رسولك وثقتك ابن قليجة، قد أقر عليك بذلك، فلحق علي بن عيسى دهشة فلم يتكلم، فقال ابن الفرات لأبي جعفر بن البهلول، احفظ إقراره بابن قليجة ثقته ورسوله، وقد أقر عليه بذلك، فقال: أيها الوزير: لا يسمى هذا مقراً، هذا مدع، وعليه البينة، فقال ابن الفرات: فهو ثقته بإنفاذه إياه، قال: إنما وثقه في حمل كتاب، فلا يقبل قوله عليه في غيره، فقال ابن أبي جعفر: أنت وكيله، ومحتج عنه؟، لست إلا حاكماً، فقال: لا، ولكني أقول الحق في هذا الرجل، كما قلته في حق الوزير – أيده الله، – لما أراد حامد بن العباس في وزارته ومن ضامه الحيلة على الوزير – أعزه الله – بما هو أعظم من هذا الباب، فإن كنت لم أصب حينئذ فلست مصيباً في هذا الوقت، فسكت ابن الفرات، والتفت إلى علي بن عيسى

وقال: أقرمطي؟ فقال له علي بن عيسى: أيها الوزير، أنا قرمطي؟ أنا قرمطي؟ يعرض به، وذكر قصة طويلة، ليست من خبر ابن البهلول في شيء.

وحدث أبو الحسن علي بن هشام بن أبي قيراط قال: دخلت مع أبي إلى أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول عقيب عيد لنهنئه به، وتطاول الحديث، فقال له أبي:

قد كنت أكاتب الوزير – أيده الله – إلى محبسه، يعني ابن الفرات، لأنه هو كان الوزير إذ ذاك الوزارة الثالثة، وأعرفه ما عليه القاضي من موالاته من كذا وكذا، والآن: وهو على شكر القاضي والاعتداد به، قال: فلما سمع ذلك فرق الغلمان، ومن كان في مجلسه من أصحابه حتى خلا، وقال: ليس يخفى علي التغير في عين الوزير، وإن كان لم ينقصني من رتبة ولا عمل، وبالله أحلف، لقد لقيت حامد بن العباس بالمدائن لما جيء به للوزارة، فقام لي في حراقته قائماً، وقال لي: هذا الأمر لك ولولدك، وسيبين لك ما أفعله في زيادتك، من الأعمال والأرزاق، ثم لقيته يوم الخلع عليه بعد لبسه إياها فتطاول، فلما فعلت به في أمر الوزير – أيده الله – ما فعلته بحضرة أمير المؤمنين عاداني، وصار لا يعيرني طرفه، وتعرضت منه لكل بلية، فكنت خائفاً له حتى أراح الله منه بتفرد علي بن عيسى بالأمور، واشتغاله هو بالضمان، وسقوط حاجتنا إلى لقائه، ومالي إلى هذا الوزير – أيده الله – ذنب يوجب انقباضه، إلا أني أديت الوديعة التي كانت له عندي، وبالله لقد وريت عن ذكرها جهدي، ودافعت بما يدافع به مثلي، ممن لا يمكنه الكذب. فلما جاء ابن حماد كاتب موسى بن خلف وأقر بها، وأحضر الدليل بإحضار المرأة التي حملتها، لم أجد بداً عن أدائها، وقد فعل مثلي أبو عمر في الوديعة التي كانت له عنده، إلا أن أبا عمر فعل ما قد علمته من حيلة، بشراء فص بنصف درهم، نقش عليه علي بن محمد، ووضع مالاً من عنده في أكياس ختمها به، وقال للوزير: وديعتك عندي بحالها، وإنما غرمت ما أديت عنك من مالي، وأراد التقرب إليه ففعل هذا، وأنت تعلم فرق ما بيني وبين أبي عمر في كثرة المال، فأريد أن تحل سخيمته، وتستصلح لي نيته، وتذكره بحقي القديم عليه، ومقامي له بين يدي الخليفة، ذلك، وإن مثل ذلك لا ينسى بتجن لا يلزم. فقال له أبي: أنا أفعل ولا أقصر، وقد اختلفت الأخبار علينا فيما جرى ذلك اليوم، فإن رأى القاضي – أعزه الله – أن يشرحه لي، فعل. فقال أبو جعفر: كنت أنا، وأبو عمرو علي بن عيسى، وحامد بن العباس، بحضرة الخليفة مع جماعة من خواصه، وكلهم منحرف عن الوزير – أيده الله، – ومحب لمكروهه، إذ حضر حامد الرجل الجندي الذي ادعى أنه وجده راجعاً من أردبيل إلى قزوين، ثم إلى إصبهان ثم إلى البصرة، فإنه أقر له عفواً أنه رسول ابن الفرات إلى ابن أبي الساج، في عقد الإمامة لرجل من الطالبيين المقيمين بطبرستان، ليقويه ابن أبي الساج، ويسيره إلى بغداد، ويعاونه ابن الفرات بها، وأنه مخبر أنه تردد في ذلك دفعات، وخاطبه بحضرة الخليفة في أن يصدق عما عنده في ذلك، فذكر الرجل مثل ما أخبر به عنه حامد،

ووصف أن موسى بن خلف كان يتحير لابن الفرات، لأنه من الدعاة الذين يدعونه إلى الطالبيين، وأنه كان يمضي في وقت من الأوقات إلى ابن أبي الساج في شيء من هذا، فلما استتم الخليفة سماع هذا الكلام، اغتاظ غيظاً شديداً، وأقبل على ابن عمر وقال: ما عندك فيمن فعله هذا؟ فقال: لئن كان فعل ذلك، لقد أتى أمراً فظيعاً، وأقدم على أمر يضر بالمسلمين جميعاً، واستحق لذا كلمة عظيمة لا أحفظها، قال أبو جعفر: وتبينت في علي ابن عيسى كراهية لما جرى، والإنكار للدعوى، والطنر بما قيل فيها، فقويت بذلك نفسي، وأقبل الخليفة علي فقال: ما عندك يا أحمد فيمن فعل هذا؟ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني. فقال و لم؟ فقلت: لأن الجواب ربما أغضبت به من أنا محتاج إلى رضاه، أو خالف ما يوافقه من ذلك ويهواه، ويضر بي، فقال: لابد أن تجيب، فقلت: الجواب ما قال الله تعالى، "يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" ومثل هذا يا أمير المؤمنين لا يقبل فيه خبر واحد، والتمييز يمنع من قبول مثل هذا على ابن الفرات، أتراه يظن به أنه رضي أن يكون تابعاً لابن أبي الساج؟، ولعله ما كان يرضى وهو وزير أن يستحجبه، ثم أقبلت على الرجل فقلت له: صف لي أردبيل، عليها سور أم لا؟ فإنك على ما تدعيه من دخولها، لابد أن تكون عارفاً بها، واذكر لنا صفة باب دار الإمارة، هل هو حديد، أم خشب؟ فتلجلج، فقلت له: كاتب ابن أبي الساج بن محمود ما اسمه؟ وما كنيته؟ فلم يعرف ذلك، فقلت له فأين الكتب التي معك؟ فقال: لما أحسست بأني قد وقعت في أيديهم رميت بها،

خوفاً من أن توجد معي فأعاقب، قال: فأقبلت على الخليفة وقلت: يا أمير المؤمنين، هذا جاهل متكسب، مدسوس من قبل عدو غير محصل، فقال علي بن عيسى مؤيداً لي: قد قلت هذا للوزير فلم يقبل قولي، وليس يهدد هذا فضلاً عن أن يترل به مكروه إلا أقر بالصورة، فأقبل الخليفة على نذير الحرمي، وعدل عن أن يأمر نصراً الحاجب بذلك، لما يعرفه بينه وبين ابن الفرات. بحقنا عليك لما ضربته مائة مقرعة أشد الضرب، إلى أن يصدق عن الصورة، فعديَ بالرجل عن حضرة الخليفة ليبعد ويضرب، فقال: لا: إلا ههنا، فضرب بالقرب منه دون العشرة، فصاح: غدرت، وضمنت لي الضمانات، وكذبت، والله ما دخلت أردبيل قط، فطلب نزار بن محمد الضبي أبو معد، وكان صاحب الشرطة وقد انصرف، فقال الخليفة لعلي بن عيسى: وقع إليه بأن يضرب هذا مائة سوط، ويثقله بالحديد، ويحبس في المطبق، فوالله لقد رأيت حامداً وقد كاد يسقط انخذالاً وانكساراً ووجداً وإشفاقاً، وخرجنا وجلسنا في دار نصر الحاجب، وانصرف حامد، وأخذ علي ابن عيسى ينظر في الحوائج، وأخر أمر الرجل، فقال له حاجبه ابن عبدوس: قد وجه نذير بالمضروب المتكذب فقلت له: إنه وإن كان قد جهل، فقد غمني ما لحقه خوفاً من أن أكون سببه، فإن أمكنك أن تسقط عنه المكروه أو بعضه أجرت، فقال: ما في هذا – لعنه الله – أجر،

ولكن أقتصر على خمسين مقرعة، وأعفيه من السياط، ثم وقع بذلك إلى نزار وانصرفنا، فصار حامد من أعدى الناس لي.

وقال ابن عبد الرحيم: حدثني القاضي أبو القاسم التنوخي، وله بأمره الخبرة التامة، لما يجمعهما من النسب في الصناعة، قال: كان أبو عفر من جلة الناس وعظمائهم وعلمائهم، وتقلد قضاء الأنبار، وهيت، والرحبة، وطريق الفرات، في أيام المعتمد بعد كتبة الموفق أبي أحمد، سنة سبعين ومائتين، وأقام يليها إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة، وأضيف له غليها الأهواز وكورها السبع، وخلفه عليها جدي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي، في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقلده ماه الكوفة، وماه البصرة، مضافات إلى ما تقدم ذكره، ثم رد عليه مدينة المنصور وطسوج مسكن، وقطربل بعد فتنة ابن المعتز في سنة ست وتسعين ومائتين، ولم يزل على هذه الولايات إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة، وأسن وضعف، فتوصل أبو الحسين الأشناني إلى أن ولي قضاء المدينة، فكانت له أحاديث قبيحة. وقيل إن الناس سلموا عليه بالقباء إيماء إلى البغاه، وكان إليه الحسبة ببغداد، فصرف في اليوم الثالث، وأعيد العمل إلى أبي جعفر، فامتنع من قبوله، فرفع يده عن النظر في جميع ما كان إليه، وقال: أحب أن يكون بين الصرف والقبر فرجة، ولا أنزل من القلنسوة إلى الحفرة، وقال في ذلك.

تركت القضاء لأهل القضا ... ء وأقبلت أسمو إلى الآخرة

فإن يك فخراً جليل الثنا ... ء فقد نلت منه يداً فاخرة

وإن كان وزراً فأبعد به ... فلا خير في إمرة وازرة

فقيل له: فابذل شيئاً حتى يرد العمل إلى ابنك أبي طالب، فقال: ما كنت لأتحملها حياً وميتاً، وقد خدم ابني السلطان، وولاه الأعمال، فإن استوثق خدمته قلده، وإن لم يرتض مذاهبه صرفه، وهذا يفتضح ولا يخفى، وأنشدهم:

يقولون همت بنت لقمان مرة ... بسوء وقالت يا أبي ما الذي يخفى؟

فقال لها ما لا يكون، فأمسكت ... عليه ولم تمدد لمنكرة كفا

وما كل مستور يغلق دونه ... مصاريع أبواب، ولو بلغت ألفا

بمستتر، والصائن العرض سالم ... وربتما لم يعدم الذم والقذفا

على أن أثواب البرئ نقية ... ولا يلبث الزور المفكك أن يطفا

قال: ولست أعلم، هذا الشعر له أم تمثل به؟ قال التنوخي: وكان أبو جعفر يقول الشعر تأدباً وتطرباً، وما علمت أنه مدح أحداً بشيء منه، وله قصيدة طردية مزدوجة طويلة، وحمل الناس عنه علماً كثيراً، ومن شعره.

رأيت العيب يلصق بالمعالي ... لصوق الحبر في لفق الثياب

ويخفى في الدنئ فلا تراه ... كما يخفى السواد على الإهاب

وله في الوزير ابن الفرات:

قل لهذا الوزير قول محق ... بثه النصح أيما إبثاث

قد تقلدتها ثلاثاً ثلاثاً ... وطلاق البتات عند الثلاث

وكان الأمر على ما قاله، فإن ابن الفرات قتل بعد الوزارة الثالثة في محبسه: وله أيضاً:

أقبلت الدنيا وقد ولى العمر ... فما أذوق العيش إلا كالصبر

لله أيام الصبا إذ تعتكر ... لاقت لدينا لو تئوب ما يسر

وله أيضاً:

ويجزع من تسليمنا فيردنا ... مخافة أن تبغى يداه فيبخلا

وما ضره لو أن أجاب ببشره ... فنقنع بالبشر الجميل ونرحلا

وله أيضاً:

وحرقة أورثتها فرقة دنفاً ... حيران لا يهتدي إلا إلى الحزن

في جسمه شغل عن قلبه وله ... في قلبه شغل عن سائر البدن

وله أيضاً:

أبعد الثمانين أفنيتها ... وخمساً وسادسها قد نما

ترجى الحياة وتسعى لها؟ ... لقد كاد دينك أن يكلما

وله أيضاً:

إلى كم تخدم الدنيا ... وقد جزت الثمانينا؟

لئن لم تك مجنوناً ... فقد فقت المجانينا

وقد ذكر أبو عبيد الله ابن بشران في تاريخه قال: دخل على القاضي أحمد بن إسحاق بن البهلول أبو القاسم عمر بن شاذان الجوهري فقال له: ارتفع يا أبا حفص، فقال له بعض من حضر هو أبو القاسم، فأنشأ ابن البهلول يقول:

فإن ننسي الأيام كنية صاحب كريم فلم أنس الإخاء و لا الودا
ولكن رأيت الدهر ينسيك ما مضى إذا أنت لم تحدث إخاء و لا عهدا

أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد

بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل، قال أبو شجاع شيرويه بن شهردار في تاريخ همذان: إن أحمد بن الحسين ابن يحيى بن سعيد بن بشر أبا الفضل، الملقب ببديع الزمان، سكن هراة، روى عن أبي الحسين أحمد بن قارس بن زكريا، وعيسى بن هشام الأخباري، وكان أحد الفضلاء والفصحاء، متعصباً لأهل الحديث والسنة، ما أخرجت همذان بعده مثله، وكان من مفاخر بلدنا، روى عنه أخوه أبو سعد بن الصفار، والقاضي أبو محمد عبد الله بن الحسين النيسابوري، قال: وتوفي في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة: قال شيرويه ومحمد بن الحسين ابن يحيى بن سعيد بن بشر الصفار الفقيه أبو سعد أخو بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى لأبيه وأمه مفتي البلد، روى عن ابن لال، وابن تركان، وعبد الرحمن الإمام، وأبي بكر محمد بن الحسين الفراء، وابن جائحان، وذكر جماعة وافرة، قال: وأدركته، و لم يقض لي عنه السماع، وكان في الحديث ثقة، ويتهم بمذهب الأشعرية، ويقال: جن في آخر عمره إلى أن مات، وسمعت بعض أصحابنا يقول: كان يعرف الرجال، والمتون، ولد في ثالث عشر جمادى الآخرة، سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ومات و لم يذكره وذكره الثعالبي في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وكذا قال أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي في تاريخ هراة، قال المؤلف: وقد رأيت ذكر البديع في عدة تصانيف من كتب العلماء، فلم يستقص أحد خبره أحسن مما اقتصه الثعالبي، وكان قد لقيه وكتب عنه، فنقلت خبره من كتابه، ولخصته من بعض سجعه، قال:

بديع الزمان، ومعجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر، وغرة العصر، و لم نرَ نظيره في الذكاء، وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن، وقوة النفس، و لم ندرك نظيره في طرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته، وكان صاحب عجائب وبدائع، فمنها. أنه كان ينشد الشعر لم يسمعه قط، وهو أكثر من خمسين بيتاً إلا مرة واحدة، فيحفظها كلها، ويؤديها من أولها إلى آخرها، لا يخرم حرفاً،

وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق، من كتاب لم يعرفه و لم يره، نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه هذا، ويسردها سرداً، وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها، وكان يقترح عليه عمل قصيدة، وإنشاء رسالة، في معنى بديع، وباب غريب، فيفرغ منها في الوقت والساعة، وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه، فيبتدئ بآخره، ثم هلم جرا إلى أوله، ويخرجه كأحسن شيء وأملحه، ويوشح لقصيدة الفريدة من قوله، بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النظم النثر، ويروي من النثر النظم، ويعطى القوافي الكثيرة، فيصل بها الأبيات الرشيقة، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر، فيرجله أسرع من الطرف، على ريق لم يبلعه، ونفس لا يقطعه، وكلامه كله عفو الساعة، وفيض اليد، ومسارقة القلم، ومسابقة اليد للفم، وكان يترحم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية، المشتملة على المعاني الغريبة، بالأبيات العربية، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع، إلى عجائب كثيرة لا تحصى، ولطائف تطول أن تستقصى، وكان مع ذلك مقبول الصورة، حسن العشرة، وفارق همذان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو في مقتبل الشبيبة، غض الحداثة، وقد درس على أبي الحسن فارس، وأخذ عنه جميع ما عنده، واستنفد علمه، وورد حضرة الصاحب ابن عباد، فتزود من ثمارها، وحسن آثارها، ثم قدم جرجان، واقام بها مدة، على مداخلة الإسماعيلية، والتعيش في أكنافهم، واختص بالدهخداه أبي سعيد محمد بن منصور، ونفقت بضاعته لديه، وتوفر حظه من عادته المعروفة، في إسداء الإفضال على الأفاضل، ولما أراد ورود نيسابور أعانه بما سيره إليها، فوردها في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، ونشر بها بزه، وأظهر طرزه، وأملى أربعمائة مقامة، نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها، وضمنها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، ثم شجر بينه وبين الأستاذ أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني، وعلو أمره، إذ لم يكن في الحساب أن أحداً من العلماء ينبري لمساجلته، فلما تصدى الهمذاني لمباراته، وجرت بينهما مقامات، ومبادهات ومناظرات، وغلب قوم هذا، وغلب آخرون ذاك، طار ذكر الهمذاني في الآفاق، وشاع ذكره في الأفاق، ودرت له أخلاف الرزق، فلما مات الخوارزمي خلاله الجو، وتصرفت به أحوال جميلة، وأسفار كثيرة، و لم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها، وجنى ثمرها، ولا ملك ولا أمير ولا وزير إلا واستمطر بنوئه، وسرى في ضوئه، فحصلت له نعمة حسنة، وثروة جميلة، وألقى عصاه بهراة، فاتخذها دار قراره، وصاهر بها أبا علي الحسين بن محمد الخشنامي، وهو الفاضل الكريم الأصيل، وانتظمت أحواله بمصارهرته، واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة، ناداه الله فلباه، وفارق دنياه، في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.

وهذا أنموذج من رسائله فصل: من رقعة كتبها إلى الخوارزمي: وهذا أول ما كاتبه به: أنا لقرب الأستاذ، كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح للقائه، كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتزاج

بولائه، كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج بمزاره، كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب، "ومن رقعة إلى غيره": يعز عليّ أن ينوب – أيد الله الشيخ – في خدمته قلمي عن قدمي، ويسعد برؤيته رسولي، دون وصولي، ويرد مشرع الأنس به كتابي، قبل ركابي. ولكن ما الحيلة؟ والعوائق جمة،

وعليّ أن أسعى ولي ... س عليّ إدراك النجاح

وقد حضرت داره، وقبلت جداره، وما بي حب الحيطان، ولكن شغف بالقطان، ولا عشق الجدران، ولكن شوق إلى السكان.

وقال البديع، وأراد التحميض كما يقول أهل بغداد، ومعناه عندهم غير ذلك كقوله:

ولقد دخلت ديار فارس مرة ... أبتاع ما فيها من الأعراض

فإذا فسا فيها رجال سادة ... لهفي على ذاك الزمان الماضي

فالسامع يرى أنه أراد فسا مدينة بفارس، التي منها أبو علي الفسوي النحوي، وإنما أراد فسا من الفسو، والضمير في فيها يريد به اللحية.

وذكره أبو إسحاق الحصري في كتاب زهر الآداب، وقد ذكر أبا الفضل الهمذاني بديع الزمان فقال: وهذا اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، كلامه غض المكاسر، أنيق الجواهر، يكاد الهواء يسرقه لطفاً، والهوى يعشقه ظرفاً.

ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، وانتخبها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها إلى الأفكار والضمائر، في معارض حوشية، وألفاظ عنجهية فجاء أكثرها تنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجب الأسماع، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة، وضروب منصرفة، عارضه بأربعمائة مقامة في الكدية تذوب ظرفاً، وتقطر حسناً، لا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى، عطف مساجلتها، ووقف مناقلتها بين رجلين، سمى أحدهما عيسى بن هشام، والآخر أبا الفتح الإسكندري، وجعلهما يتهاديان الدر، ويتنافثان السحر، في معان تضحك الحزين، وتحرك الرصين، وتطالع منها كل طريفة، وتوقف منها على كل لطيفة، وربما أفرد بعضهما بالحكاية، وخص أحدهما بالرواية، وقد ذكره أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي في تاريخ هراة من تأليفه.

وأنشد للبديع:

خرج الأمير ومن وراء ركابه ... غيري وعز علي "أن" لم أخرج

أصبحت لا أدري أأدعو طغمشي ‏ ‏ أم يكتليني أم أصيح بنذغجي؟؟؟

وبقيت لا أدري أأركب أبرشي ‏ ‏ أم أدهمي أم أشهبي أم ديزجي؟؟؟

يا سيد الأمراء مالي خيمة ‏ ‏ إلا السماء إلى ذراها ألتجي

كنفي بعيري إن ظعنت ومفرشي ‏ ‏ كمى وجنح الليل مطرح هودجي

وكتب بديع الزمان إلى مستميح عاوده مراراً، وقال له: لم لا تديم الجود بالذهب، كما تديمه بالأدب؟ فكتب البديع: عافاك الله: مثل الإنسان في الإحسان، مثل الأشجار في الإثمار، وسبيل من ابتدأ بالحسنة، أن يرفه إلى السنة، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي، وهما فؤادي ويدي، أما اليد فتولع بالجود، وأما الفراد فيتعلق بالوفود، ولكن هذا الخلق النفيس، لا يساعده إلا الكيس، وهذا الخلق الكريم، لا يحتمله إلا الكريم، ولا قرابة بين الأدب والذهب، فلم جمعت بينهما؟ والأدب لا يمكن ثرده في قصعة، ولا صرفه في ثمن سلعة، قد جهدت جهدي بالطباخ، أن يطبخ لي من جيمية الشماخ لوناً فلم يفعل، وبالقصاب، أن يذبح أدب الكتاب فلم يقبل، وأنشدت في الحمام، ديوان أبي تمام، فلم ينجع، ودفعت إلى الحجام، مقطعات اللجام، فلم يأخذ، واحتيج في البيت، إلى شيء من الزيت، فأنشدت ألفاً ومائتي بيت، من شعر الكميت، فلم يغن، ودفعت أرجوزة العجاج، في توابل السكباج، فلم ينفع، وأنت لم نقنع، فما أصنع؟ فإن كنت تحسب اختلافك غلي، إفضالاً منك علي، فراحتي، ألا تطرق ساحتي، وفرجي، ألا تجي، وللسلام: وحدث أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي صاحب كتاب وشاح الدمية، وقد ذكر أبا بكر الخوارزمي وقد رمي بحجر البديع الهمذاني، في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وأعان البديع الهمذاني قوم من وجوه نيسابور، كانوا مستوحشين من أبي بكر، فجمع السيد نقيب السيادة بنيسابور أبو علي بينهما، وأراده على الزيارة، وداره بأعلى ملقاباذ فترفع، فبعث غليه السيد مركوبه، فحضر أبو بكر مع جماعة من تلامذته، فقال له البديع: إنما دعوناك لتملأ المجلس فوائد، وتذكر الأبيات الشوارد، والأمثال الفوارد، ونناجيك فنسعد بما عندك، وتسألنا فتسر بما عندنا، ونبدأ بالفن الذي ملكت زمامه، وطار به صيتك، وهو الحفظ إن شئت، والنظم إن أردت، والنثر إن اخترت، والبديهة إن نشطت، فهذه دعواك، التي تملأ منها فاك، فأحجم الخوارزمي عن الحفظ لكبر سنه، ولم يجل في النثر قداحاً، وقال أبادهك، فقال البديع: الأمر أمرك يا أستاذ، فقال له الخوارزمي: أقول لك ما قال موسى للسحرة: "قال بل ألقوا".

فقال البديع:

الشعر أصعب مذهباً ومصاعدا ‏ ‏ من أن يكون مطيعه في فكه

والنظم بحر والخواطر معبر ‏ ‏ فانظر إلى بحر القريض وفلكه

فمتى تراني في القريض مقصراً		عرضت أذن الإمتحان لعركه

قال: وهذه أبيات كثيرة، فيها مدح الشريف أبي علي والمفاخرة، وتهجين الخوارزمي، فقال الخوارزمي أيضاً أبياتاً: ولكن ما أبرزها من الغلاف.

فقال له البديع: أما تستحي أن يكون السنور أعقل منك، لأنه يجعر فيغطيه بالتراب. فقال لهما الشريف، انسجا على منوال المتنبي: أرق على أرق ومثلي يأرق فابتدأ أبو بكر وكان إلى الغايات سباقاً، وقال:

فإذا ابتدهت بديهة يا سيدي		فأراك عند بديهتي تتقلق

مالي أراك ولست مثلي في الورى		متموهاً بالترهات تمخرق

ونظم أبياتاً ثم اعتذر، فقال: هذا كما يجيء، لا كما يجب، فقال البديع: قبل الله عذرك، لكن رفقت بين قافات خشنة، كل قاف كجبل قاف، فخذ الآن جزاء عن قرضك، وأداء لفرضك:

مهلاً أبا بكر فزندك أضيق		واخرس فإن أخاك حي يرزق

يا أحمقا وكفاك تلك فضيحة		جربت نار معرتي هل تحرق؟

فقال له أبو بكر: يا أحمقا: لا يجوز فإنه لا ينصرف فقال البديع: لا نزال نصفعك حتى ينصرف وتنصرف معه، وللشاعر أن يرد ما لا ينصرف، وإن شئت قلت يا كودنا ثم قولك في البيت يا سيدي، ثم قلت تتقلق مدحت أم قدحت؟ فإن اللفظين لا يركضان في حلبة فقال لهما الشريف قولاً على منوال المتنبي: أهلاً بدار سباك أغيدها قال البديع:

يا نعمة لا تزال تجحدها		ومنة لا تزال تكندها

فقال أبو بكر: الكنود قلة الخير لا الكفران.

فكذبه الجمع وقالوا: ما قرأت قوله تعالى: "إن الإنسان لربه لكنود"؟ أي لكفور. فقال له أبو بكر: أنا اكتسبت بفضلي دية أهل همذان، فما الذي اكتسبت أنت بفضلك؟ فقال له البديع أنت في حرفة الكدية أحذق، وبالاستماحة أحرى وأخلق. فقطعه الكلام، ثم أنشد:

وشبهنا بنفسج عارضيه		بقايا اللطم في الخد الرقيق

فال الخوارزمي: أنا أحفظ هذه القصيدة، فقال البديع أخطأت: فإن البيت على غير هذه الصيغة وهي:

وشبهنا بنفسج عارضيه		بقايا الوشم في الوجه الصفيق

فقال له أبو بكر: والله لأصفعنك ولو بعد حين، فقال البديع: أنا أصفعك اليوم، وتضربني غداً، اليوم خمر، وغداً أمر. وأنشد قول ابن الرومي:

رأيت شيخاً سفيهاً ... يفوق كل سفيه

وقد أصاب شبيهاً ... له وفوق الشبيه

ثم أنشد البديع:

وأنزلني طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت أمرأً لا أشاكله

أخامقة حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

فأمال النعاس الرؤوس، وسكنت الألحان والنفوس، وسلب الرقاد الجلوس، فنام القوم كعادتهم في ضيافات نيسابور، وأصبحوا فتفرقوا، وبعض القوم يحكم بلغبة البديع، وبعضهم يحكم بغلبة الخوارزمي، وسعى الفضلاء بينهما بالصلح ودخل عليه البديع واعتذر، وتاب واستغفر مما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقال له البديع: بعد الكدر صفو، وبعد الغيم صحو، فعرض عليه الخوارزمي الإقامة عنده سحابة يومه، فأجابه البديع وأضافه الخوارزمي، وكان بعض الرؤساء مستوحشاً من الخوارزمي، وهيأ مجمعاً في دار الشيخ السيد أبي القاسم الوزير، وكان أبو القاسم فاضلاً ملء إهابه، وحضر أبو الطيب سهل الصعلوكي، والسيد أبو الحسين العالم، فاستمال البديع قلب السيد أبي الحسين بقصيدة قالها في مدائح أهل البيت أولها:

يا معشراً ضرب الزما ... ن على معرسهم خيامه

ثم حضر المجلس القاضي أبو عمر البسطامي، وأبو القاسم ابن حبيب، والقاضي أبو الهيثم، والشيخ أبو نصر بن المرزبان، ومع الإمام أبي الطيب الفقهاء والمتصوفة، وحضر أبو نصر الماسرجسي مع أصحابه، والشيخ أبو سعد الهمذاني، ودخل مع الخوارزمي جم غفير من أصحابه، فقيل لهما: أنشدا على منوال قول أبي الشيص:

أبقى الزمان به ندوب عضاض ... ورمى سواد قرونه ببياض

فابتدر الخوارزمي فقال:

يا قاضياً ما مثله من قاض ... أنا بالذي تقضي علينا راض

منها:

ولقد بليت بشاعر متهتك ... لا بل بليت بناب ذئب غاض

فقال البديع: ما معنى قولك: ذئب غاض. فقال أبو بكر: ما قلته. فشهد عليه الحاضرون أنه قاله، فقال أبو بكر: الذئب الغاضي: الذي يأكل الغضا، فقال البديع: استنوق الذئب صار الذئب جملاً يأكل الغضا، ثم دخل الرئيس أبو جعفر، والقاضي أبو بكر الحيري والشيخ أبو زكريا والشيخ أبو الرشيد المتكلم، فقال الرئيس: قولاً على هذا النمط:

برز الربيع لنا برونق مائه وانظر لمنظر أرضه وسمائه
والترب بين ممسك ومعنبر من نوره بل مائه وروائه

ثم أنشد الخوارزمي على هذا النمط، فلما فرغ من إنشاده قال البديع للوزير والرئيس: لو أن رجلاً حلف بالطلاق أني لا أقول شعراً، ثم نظم تلك الأبيات التي قالها الخوارزمي، لا يقال نظرت لكذا، ويقال نظرت إلى كذا، وأنت قلت فانظر لمنظر، وشبهت الطير بالمحصنات، وهذا تشبيه فاسد، ثم شبهتها بالمغنيات حين قلت:

والطير مثل المحصنات صوادح مثل المغني شادياً بغنائه

المحصنات كيف توصف بالغناء ثم قلت كالبحر في تزخاره، والغيث في إمطاره، والغيث هو المطر، فقال البديع: الغيث المطر والسحاب، وصدقه الحاضرون، وأنكروا على الخوارزمي، فقال الإمام أبو الطيب: علمنا أي الرجلين أفضل وأشعر؟ فقام البديع وقبل رأس الخوارزمي ويده وقال: اشهدوا أن الغلبة له، قال ذلك على سبيل الاستهزاء، وتفرق الناس واشتغلوا بتناول الطعام، وأبو بكر ينطق عن كبد حرى والوزير يقول للبديع: ملكت فأسجح، فلما قام أبو بكر أشار إلى البديع وقال: لأتركنك بين الميمات، فقال: ما معنى الميمات؟ فقال: بين مهدوم، مهزوم، مغموم، محموم، مرجوم، محروم، فقال البديع: لأتركنك بين الهيام والسقام والسام والبرسام والجذام والسرسام، وبين السينات، بين منحوس، ومنخوس، ومنكوس، ومعكوس، وبين الخاءات، من مطبوخ، ومسلوخ، ومشدوخ، ومفسوخ وممسوخ، وبين الباءات، بين مغلوب، ومسلوب، ومصلوب، ومنكوب، فخرج البديع وأصحاب الشافعي يعظمونه بالتقبيل والاستقبال، والإكرام والإجلال، وما خرج الخوارزمي حتى غابت الشمس، وعاد إلى بيته وانخذل انخذالاً شديداً، وانكسف باله وانخفض طرفه، ولم يحل عليه الحول حتى خانه عمره، وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. قال أبو الحسن البيهقي: وبديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين الحافظ، كان يحفظ خمسين بيتاً بسماع واحد، ويؤديها من أولها إلى آخرها، وينظر في كتاب نظراً خفيفاً، ويحفظ أوراقاً ويؤديها من أولها إلى آخرها، فارق همذان في سنة ثمانين وثلاثمائة، وكان قد اختلف إلى أحمد بن فارس

صاحب المجمل، وورد حضرة الصاحب، وتزود من ثمارهما، واختص بالدهخداه أبي سعد محمد بن منصور، ونفقت بضاعته لديه، ووافى نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، وبعد موت الخوارزمي خلاله الجو، وجرت بينه وبين أبي علي الحسين ابن محمد الخشنامي مصاهرة، وألقى عصا المقام بهراة، ثم فارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.

وحدث الثعالبي في أخبار أبي فراس قال: حكى أبو الفضل الهمذاني قال: قال الصاحب أبو القاسم يوماً لجلسائه وأنا فيهم - وقد جرى ذكر أبي فراس الحرث بن سعيد بن حمدان - لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعراً فقلت: من يقدر على ذلك؟ وهو الذي يقول:

رويدك لا تصل يدها بباعك ... ولا تعز السباع إلى رباعك

ولا تغر العدو على إني ... يمين إن قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب: صدقت: فقلت: - أيد الله مولانا - فقد فعلت. ويقال: إن السبب في مفارقة البديع الهمذاني حضرة الصاحب، أنه كان في مجلسه فخرجت منه ريح "فقال الصاحب" فقال البديع هذا صرير التخت، فقال الصاحب: أخشى أن يكون صرير النحت، فأورثه ذلك جلاً كان سبب مفارقته إياه وورده إلى خراسان، وكانت أول رقعة كتبها البديع إلى الخوارزمي عند وروده نيسابور: أنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاءه، كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح للقائه، كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتراج بولائه، كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج بمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب، فكيف ارتياح الأستاذ لصديق طوى إليه ما بين قصبتي العراق وخراسان، بل عتبتي الجبل ونيسابور؟ وكيف اهتزازه لضيف في بردة حمال وجلدة جمال.

رق الشمائل منهج الأثواب ... بكرت عليه مغيرة الأعراب

كمهلهل وربيعة بن مكدم ... وعبينة بن الحارث بن شهاب

وهو ولي إنعامه، بإنفاذ غلامه، إلى مستقري لأفضي إليه بما عندي إن شاء الله تعالى وحده. ثم اجتمع إليه فلم يحمد لقيه،فانصرف عنه، وكتب إليه: الأستاذ - والله يطيل بقاءه. ويديم تأييده ونعماءه - أزرى بضيفه أن وجده يضرب آباط القلة في أطمار الغربة، فأعمل في ترتيبه أنواع المصارفة، وفي الاهتزاز له أصناف المضايقة، من إيماء بنصف الطرف، وإشارة بشطر الكف، ودفع في صدر القيام عن التمام، ومضغ الكلام، وتكلفه لرد السلام، وقد قبلت هذا الترتيب صعراً، واحتملته وزراً، واحتضنته نكراً، وتأبطته شراً، و لم آله عذراً، فإن المرء بالمال وثياب الجمال، وأنا مع هذه الحال، وفي هذه الأسمال، أتقزز صف

النعال، ولو حاملته العتاب، وناقشته الحساب، وصدقته السماع، لقلت إن بوادينا ثاغية صباح، وراغية رواح، وقوماً يجرون المطارف، ولا يمنعون المعارف.

وفيهم مقامات حسان وجوههم — وأندية ينتابها القول والفعل

على مكثريهم حق من يعتريهم — وعند المقلين السماحة والبذل

ولو طوحت بالأستاذ أيدي الغربة إليهم، لوجد منال البشر قريباً، ومحط الرحل رحيباً، ووجه المضيف خصيباً، ورأيه – أيده الله – في أن يملأ من هذا الضيف أجفان عينه، ويوسع أعطاف ظنه ويجيبه بموقع هذا العتاب الذي معناه ود، والمر الذي يتلوه شهد موفق إن شاء الله تعالى.

"الجواب من الخوارزمي"

إنك إن كلفتني ما لم أطق — ساءك ما سرك مني من خلق

فهمت ما تناوله سيدي من حسن خطابه، ومؤلم عتبه وعتابه، وصرفت ذلك منه إلى الضجر الذي لا يخلو منه من نبا به دهر، ومسه من الأيام ضر، والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه، ومظنة مشتكى ما في نفسه، أما ما شكاه سيدي من مضايقتي إياه رغم في القيام، وتكلفي لرد السلام، فقد وفيته حقه، كلاماً، وسلاماً، وقياماً على قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه، ولم أرفع عليه غير السيد أبي القاسم، وما كنت لأرفع أحداً على من أبوه الرسول، وأمه البتول، وشاهداه التوراة والإنجيل، وناصراه التأويل والتنزيل، والبشير به جبرائيل وميكائيل، وأما عدم الجمال، ورثاثة الحال، فما يضعان عندي قدراً ولا يضران نجراً، وإنما اللباس جلدة، والزي حلية بل قشرة، وإنما يشتغل بالجل من لا يعرف قيمة الخيل، ونحن بحمد الله نعرف الخيل عارية من لالها، ونعرف الرجال بأقوالها وأفعالها، لا بآلاتها وأحوالها، وأما القوم الذين صدر سيدي عنهم، وانتمى إليهم، ففيهم لعمري فوق ما وصف حسن عشرة، وسداد طريقة، وجمال تفصيل وجملة، ولقد جاورتهم فنلت المراد، وأحمدت المراد.

فإن أكُ قد فارقت نجداً وأهله — فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للأحرار عامة، ولسيدي من بينهم خاصة، فإن أعانني على مرادى له، ونيتي فيه بحسن العشرة، بلغت له بعض ما في المنية، وجاوزت مسافة القدرة، وإن قطع على طريق عزمي بالمعارضة وسوء المؤاخذة، صرفت عناني عن طريق الاختيار، بيد الاضطرار.

فما النفس إلا نطفة بقرارة — إذ لم تكدر كان صفواً غديرها

وعلى هذا، فحبذا عتاب سيدي إذا صادف ذنباً، واستوجب عتباً، فأما أن يسلفنا العربدة، ويستكثر المعتبة والموجدة، فتلك حالة نصونه عنها، ونصون أنفسنا عن احتمال مثلها، فليرجع بنا إلى ما هو أشبه به

وأجمل له، ولست أسومه أن يقول "استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين" ولكن أسأله أن يقول: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين".

"رقعة البديع الثالثة إلى الخوارزمي".

أنا أرد من الأستاذ سيدي شرعة وده، وإن لم تصف، وألبس خلعة بره، وإن لم تضف وقصاراي أن أكيله صاعاً بصاع، ومداً عن مد، وإن كنت في الأدب دعي النسب، ضعيف السبب، ضيق المضطرب، سيء المنقلب، أمت إلى أهله بعشرة رشيقة، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة، ولكن بقي أن يكون الخليط منصفاً في الإخاء، عادلاً في الوداد، إذا زرت زار، وإن عدت عاد. والأستاذ سيدي – أيده الله – ضايقني في القبول أولاً، ونافشني في الإقبال ثانياً، فأما حديث الاستقبال وأمر الإنزال والأنزال فنطاق الطمع ضيق عنه، غير متسع لتوقعه منه. وبعد، فكلفة الفضل هينة، وفروض الود متعينة، وطرق المكارم بينة، وأرض العشرة لينة، فلم اختار قعود التعالي مركباً، وصعود التغالي مذهباً؟ وهلا ذاد الطير عن شجر العشرة، إذا كان ذاق الحلو من ثمرها، وقد علم الله أن شوقي إليه قد كد الفؤاد برحاً على برح، ونكأه قرحاً على قرح، فهو شوق داعيته محاسن الفضل، وجاذبته بواعث العلم ولكنها مرة مرة ونفس حرة، و لم تقد إلا بالإعظام، و لم تلق إلا بالإكرام، وإذا استعفاني سيدي الأستاذ من معاتبته، واستعادته ومؤاخذته إذا جفا واستزادته، وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها، فليس إلا غصص الشوق أتجرعها، وحلل الصبر أتدرعها، فلم أعره من نفسي، وأنا لو أعرت جناحي طائر لما رنقت إلا إليه ولا حلقت إلا عليه.

أحبك يا شمس النهار وبدره   وإن لامني فيك السها والفراقد
وذاك لأن الفضل عندك باهر   وليس لأن العيش عندك بارد

"جواب الخوارزمي عنها" شريعة ودي لسيدي – أدام الله عزه – إذا وردها صافية وثياب بري إذا قبلها ضافية، هذا ما لم يكدر الشريعة بتعنته وتعصبه، و لم تحترق الثياب بتجنبه وتسحبه، فأما الإنصاف في الإخاء فهو ضالتي عند الأصدقاء، ولا أقول:

وإني لمشتاق إلى ظل صاحب   يرق ويصفو إن كدرت عليه

فإن قائل هذا البيت قاله والزمان زمان، والإخوان إخوان، وحسن العشرة سلطان، ولكني أقول: وإني لمشتاق إلى ظل:

رجل يوازنك المودة جاهداً   يعطي ويأخذ منك بالميزان
فإذا رأى رجحان حبة خردل   مالت مودته مع الرجحان

وقد كان الناس يقترحون الفضل فأصبحنا نقترح العدل، وإلى الله المشتكى لا منه. ذكر الشيخ سيدي – أيده الله، – حديث الاستقبال، وكيف يستقبل من انقض علينا انقضاض العقاب الكاسر، ووقع بيننا وقوع السهم العائر، وتكليف المرء ما لا يطيق يجوز على مذهب الأشعري، وقد زاد سيدي على أستاذه الأشعري، فإن أستاذه كلف العاجز ما لا يطيق مع عجزه عنه، وسيدي كلف الجاهل علم الغيب مع الاستحالة منه، والمترل بما فيه قد عرضته عليه، ولو أطقت حمله لحملته إليه، والشوق الذي ذكره سيدي، فعندي منه الكثير الكبير، وعنده منه الصغير اليسير، وأكثرنا شوقاً أقلنا عتاباً، وألييننا خطاباً، ولو أراد سيدي أن أصدق دعواه في شوقه إلي، ليغض من حجم عتبه علي، فإنما اللفظ زائد، واللحظ وارد، فإذا رق اللفظ، دق اللحظ، وإذا صدق الحب ضاق العتاب والعتب.

فبالخير لا بالشر فارج مودتي   وأي امرئ يعتاد منه الترهب

عتاب سيدي قبيح، ولكنه حسن، وكلامه لين، ولكنه خشن، أما قبحه فلأنه عاتب بريئاً، ونسب إلى الإساءة ما لم يكن مسيئاً، وأما حسنه فلألفاظه الغرر ومعانيه التي هي كالدرر، فهي كالدنيا ظاهرها يغر، وباطنها يضر، وكالمرعلى على دمن الثرى، منظره بهي، ومخبره وبي، ولو شاء سيدي نظم الحسن والإحسان، وجمع بين صواب الفعل واللسان.

يا بديع القول حاشا   لك من هجو بديع
وبحسن القول عوذ   تك من سوء الصنيع
لا يعب بعضك بعضاً   كن مليحاً في الجميع

"رقعة أخرى للبديع إلى الخوارزمي"

أنا وإن كنت مقصراً في موجبات الفضل، من حضور مجلس الأستاذ سيد، فما أفري إلا جلدي. ولا أبري إلا قدحي ولا أبخس إلا حظي، وإن يكن ذاك جرماً فلقي هذا عقاباً، ومع ذاك فما أعمر أوقاتي إلا بمدحه، ولا أطرز ساعاتي إلا بذكره، ولا أركض إلا في حلبة وصفه، حرس الله فضله، نعم، وقد رددت كتاب الأوراق للصولي، وتطاولت لكتاب البيان والتبيين. للجاحظ، وللأستاذ سيدي في الفضل والتفضل به رأيه وقال البديع يمدح الصحابة ويهجو الخوارزمي ويجيبه عن قصيدة رويت له في الطعن عليهم:

وكلني بالهم والكآبة   طعانة لعانة سبابه
للسلف الصالح والصحابة   أساء سمعاً فأساء جابه
تأملوا يا كبراء الشيعة   لعشرة الإسلام والشريعة
أتستحل هذه الوقيعة   في تبع الكفر وأهل البيعة

فكيف من صدق بالرسالة وقام للدين بكل آله
وأحرز الله يد العقبى له ذلكم الصديق لا محالة
إمام من أجمع في السقيفة قطعاً عليه أنه الخليفة
ناهيك من أثاره الشريفة في رده كيد بني حنيفة
سل الجبال الشم والبحارا وسائل المنبر والمنارا
واستعلم الآفاق والأقطارا من أظهر الدين بها شعارا
ثم سل الفرس وبيت النار من الذي فل شبا الكفار
هل هذه البيض من الآثار إلا لثاني المصطفى في الغار
وسائل الإسلام من قواه وقال إذ لم تقل الأفواه
واستنجز الوعد فأومى الله من قام لما قعدوا إلا هو
ثاني النبي في سني الولادة ثانيه في الغارة بعد العادة
ثانيه في الدعوة والشهادة ثانيه في القبر بلا وساده
ثانيه في منزلة الزعامة نبوة أفضت إلى إمامه
أتأمل الجنة يا شتامه ليست بمأواك ولا كرامة
إن امرأً أثنى عليه المصطفى ثمت والاه الوصي المرتضى
واجتمعت على معاليه الورى واختاره خليفة رب العلا
واتبعته أمة الأمي وبايعته راحة الوصي
وباسمه استسقى حيا الوسمي ما ضره هجو الخوارزمي
سبحان من لم يلقم الصخر فمه ولم يعده حجراً ما أحلمه
يا نذل يا مأبون أفطرت فمه لشد ما اشتقات إليك الحطمه
إن أمير المؤمنين المرتضى وجعفر الصادق أو موسى الرضى
لو سمعوك بالخنا معرضا ما ادخروا عنك الحسام المنتضى
ويلك لم تنبح يا كلب القمر؟ مالك يا مأبون تغتاب عمر
سيد من صام وحج واعتمر صرح بإلحادك لا تمش الخمر

يا من هجا الصديق والفاروقا		كيما يقيم عند قوم سوقا
نفخت يا طبل علينا بوقاً		فما لك اليوم كذا موهوقا؟
إنك في الطعن على الشيخين		والقدح في السيد ذي النورين
لواهن الظهر سخين العين		معترض للحين بعد الحين
هلا شغلت باستك المغلومة		وهامة تحملها ميشومه
هلا نهتك الوجنة الموشومه		عن مستري الخلد ببئر رومه
كفى من الغيبة أدنى شمه		من استجاز القدح في الأئمه
ولم يعظم أمناء الأمه		فلا تلوموه ولوموا أمه
مالك يا نذل وللزكيه		عائشة الراضيه المرضيه؟
يا ساقد الغيرة والحميه		ألم تكن للمصطفى حظيه؟
من مبلغ عني الخوارزميا		يخبره أن ابنه عليا
قد اشترينا منه لحماً نيا		بشرط أن يفهمنا المعنيا

يا أسد الخلوة خنزير الملا		مالك في الجري تقود اعلجملا
يا ذا الذي يثلبني إذا خلا		وفي الخلا أطعمه ما في الخلا

وقلت لما احتفل المضمار واحتفت الأسماع والأبصار

سوف ترى إذا انجلى الغبار		أفرس تحتي أم حمار؟

وكتب البديع إلى معلمه جواباً: الشيخ الإمام يقول: فسد الزمان، أفلا يقول متى كان صالحاً؟ أفي دولة العباسية، وقد رأينا آخرها، وسمعنا بأولها، أم في المدة المروانية، وفي أخبارها ما لا تكسع الشول بأغبارها، إنك لا تدري من الناتج، أم السنين الحربية:

والسيف يغمد في الطلى		والرمح يركز في الكلى
ومبيت حجر بالفلا		والحدثان بكربلا

أم الأيام العدوية، فنقول، هل بعد البزول إلا النزول، أم الأيام التيمية، وتقول طوبى لمن مات في نأنأة الإسلام، أم على عهد الرسالة، وقيل اسكتي يا رحالة فقد ذهبت الأمانة، أم في الجاهلية، ولبيد يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم		وبقيت في خلف كجلد الأجرب

أم قبل ذلك، وأخو عاد يقول:

بلاد بها كنا وكنا نحبها إذا الأهل أهل والبلاد بلاد

أم قبل ذلك وقد قال آدم عليه السلام: تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح أم قبل ذلك، والملائكة تقول، "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" وإني على توبيخه لي لفقير إلى لقائه، شفيق على بقائه، ما نسبته ولا أنساه، وإن له بكل كلمة علمنا مناراً، ولكل حرف أخذته منه نارا، ولو عرفت لكلامي موقعاً من قلبه لاغتنمت خدمته به، ولكني خشيت أن تقول: "هذه بضاعتنا ردت إلينا" واثنان قلما يجتمعان، الخراسانية والإنسانية، وإني وإن لم أكن خراساني الطينة، فإني خراساني المدينة، والمرء من حيث يوجد، لا من حيث يولد، والإنسان من حيث يثبت، لا من حيث ينبت، فإذا انضاف إلى تربة خراسان ولادة همذان، ارتفع القلم، وسقط التكليف، والجرح جبار، والجاني حمار، فليحملني على هناتي، أليس صاحبنا يقول؟

لا تلمني على ركاكة عقلي إن تصورت أنني همذاني

أحمد بن الحسين بن عبيد الله

ابن إبراهيم بن عبد الله الأسدي الغضاري، كان من الأدباء، والفضلاء الأذكياء، وله خط يزري بخط ابن مقلة على طريقته،

أحمد بن أبان بن السيد اللغوي الأندلسي

أخذ عن أبي علي القالي وغيره من علماء بلاده: وكان عالماً حاذقاً أديباً، مات - فيما ذكره أبو القاسم خلف ابن عبد الملك بن بشكوال القرطبي في تاريخه - في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، وكان يعرف بصاحب الشرطة.

قال أبو نصر الحميدي: في آخر كتابه، في باب من يعرف بأحد آبائه: ابن سيد إمام في اللغة والعربية، وكان في أيام الحكم المستنصر، وهو مصنف كتاب العالم في اللغة في نحو مائة مجلد، مرتب على الأجناس، بدأ بالفلك، وختم بالذرة، وله في العربية: كتاب العالم والمعلم على المسألة والجواب، وكتاب شرح كتاب الأخفش، وله غير ذلك، ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه، ولم يسمه لنا، ولعله أحمد بن أبان بن سيد المذكور في بابه.

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل

ابن داود بن حمدون النديم أبو عبد الله، ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنفي الإمامية، وقال: هو شيخ أهل اللغة ووجههم، وأستاذ أبي العباس ثعلب، قرأ عليه قبل ابن الأعرابي، وتخرج من يده، وكان خصيصاً بأبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، وأبي الحسن قبله، وله معه مسائل وأخبار، وله كتب، منها: كتاب أسماء الجبال والمياه والأودية، كتاب بني مرة بن عوف، كتاب بني نمر بن قاسط، كتاب بني عقيل، كتاب بني عبد الله بن غطفان، كتاب طيء، كتاب شعغر العجير السلولي وصنعته، كتاب شعر ثابت ابن قطنة، الشابشتي: وكان خصيصاً بالمتوكل، ونديماً له، وأنكر منه المتوكل ما أوجب نفيه من بغداد، ثم قطع أذنه، وكان السبب في ذلك أن الفتح بن خاقان كان يعشق شلهيك خادم المتوكل، واشتهر الأمر فيه، حتى بلغه، وله فيه أشعار، ذكرت بعضها في ترجمة الفتح، وكان أبو عبد الله يسعى فيما يحبه الفتح، ونمى الخبر إلى المتوكل فاستدعى أبا عبد الله، وقال له: إنما أردتك لتنادمني، ليس لتقود على غلماني، فأنكر ذلك، وحلف يميناً حنث فيها، فطلق من كانت حرة من نسائه، وأعتق من كان مملوكاً، ولزمه حج ثلاثين سنة، فكان يحج في كل عام.

قال: فأمر المتوكل بنفيه إلى تكريت فأقام فيها أياماً، ثم جاءه زرافة في الليل على البريد، فبلغه ذلك، فظن أن المتوكل لما شرب بالليل وسكر أمر بقتله، فاستسلم لأمر الله، فلما دخل إليه، قال له: قد جئتك في شيء، ما كنت أحب أن أخرج في مثله، قال: وما هو؟ قال: أمير المؤمنين أمر بقطع أذنك، وقال: قل له: لست أعاملك إلا كما يعامل الفتيان، فرأى ذلك هيناً في جنب ما كان توهمه من إذهاب مهجته، فقطع غضروف أذنه من خارج، و لم يستقصه، وجدعله في كافور كان معه، وانصرف به.

وبقي منفياً مدة، ثم حدر إلى بغداد، فأقام بمترله مدة.

قال أبو عبد الله: فلقيت إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ثم لما كف بصره، فسألني عن أخبار الناس والسلطان، فأخبرته، ثم شكوت إليه غمي بقطع أذني، فجعل يسليني ويعزيني، ثم قال لي: من المتقدم اليوم عند أمير المؤمنين، الخاص من ندمائه؟ قلت: محمد بن عمر البازيار، قال: من هذا الرجل؟ وما مقدار علمه وأدبه؟ فقلت: أما أدبه فلا أدري، ولكني أخبرك بما سمعت منه منذ قريب، حضرنا الدار يوم عقد المتوكل لأولاده الثلاثة، فدخل مروان بن أبي الجنوب ابن أبي حفصة، فأنشده قصيدته، التي يقول فيها:

بيضاء في وجناتها ... ورد، فكيف لنا بشمه؟

فسر المتوكل بذلك سروراً كثيراً شديداً، وأمر، فنثر عليه بدرة دنانير، وأن تلقط وتطرح في حجره، وأمره بالجلوس، وعقد له على اليمامة والبحرين، فقال: يا أمير المؤمنين: ما رأيت كاليوم، ولا أرى، – أبقاك

الله – ما دامت السموات والأرض، فقال محمد بن عمر: هذا بعد طول إن شاء الله وقبل، قال له: فما تقول في أدبه؟ فقال: أأكثر من أن يقول للخليفة: – أبقاك الله – أيا أمير المؤمنين إلى يوم القيامة وبعد القيامة بشيء كثير؟ فقال إسحاق: ويلك، جزعت على أذنك، وغمك قطعها، حتى لا تسمع مثل هذا الكلام؟ ثم قال: لو أن لك مكوك آذان، إيش كان ينفعك مع هؤلاء؟ قال: ثم أعاده المتوكل إلى خدمته، وكان إذا دعاه قال له، يا عبيد، على جهة المزاح، وقال له يوماً هل لك في جارية أهبها لك؟ فأكبر ذلك وأنكره، فوهب له جارية، يقال لها، صاحب، من جواريه، حسنة كاملة، إلا أن بعض الخدم رد بيده على فمها، وقد أرادت أن تدميه، فصدع ثنيتها، فاسودت، فشانها ذلك عنده، وحمل كل ما كان لها، وكان شيئاً كثيراً عظيماً.

فلما مات أبو عبد الله، تزوجت "صاحب" بعض العلويين، قال علي بن يحيى بن المنجم: فرأيته في النوم وهو يقول:

أبا علي ما ترى العجائبا؟	أصبح جسمي في التراب غائباً

واستبدلت "صاحب" بعدي صاحبا ومن شعر أبي عبيد الله، يكاتب فيه علي بن يحيى:

من عذيري من أبي حسن	حين يجفوني ويصرمني
كان لي خلاً وكنت له	كامتزاج الروح بالبدن
فوشى واش، فغيره	وعليه كان يحسدني
إنما يزداد معرفة	بودادي حين يفقدني

قال: واتصل بنجاح بن سلمة، أن أبا عبد الله بن حمدون يذكره بحضرة المتوكل، يتنادر به، فلقيه نجاح يوماً فقال له: يا أبا عبد الله، قد بلغني ذكرك لي بغير الجميل في حضرة أمير المؤمنين، أتحب أن أنهي إليه قولك إذا خلوت؟.

"أتراني أحبه وقد فعل بي ما فعل؟" "والله ما وضعت يدي على أذني، إلا تجددت" "له عندي بغضة" فقال ابن حمدون: الطلاق لي لازم إن كنت قلت هذا قط، وامرأته طالق إن ذكره بغير ما يحبه أبداً.

وكان أبوه إبراهيم، وأظن أنه الملقب بحمدون، خادم المعتصم، ثم الواثق بعده، وكان يعاتب المتوكل في أيام أخيه الواثق، وجاءه مرة بحية وأخرج رأسها من كمه، تعريضاً بأنه شجاع، وكان ذلك يعجب الواثق.

ولما مات الواثق نادم حمدون المتوكل، فلما كان في بعض الأيام أمر المتوكل بإحضار فريدة جارية أخيه

الواثق، فأحضرت مكرهة، ودفع إليها عود، فغنت غناء كالندبة، فغضب المتوكل وأمرها أن تغني غناء، فغنت بتحزن وشجى، فزاد ذلك في طيب غنائها فوجم حمدون للرقة التي تداخلته، فغضب المتوكل، ورأى أنه فعل ذلك بسبب أخيه الواثق حزناً عليه، وكان يبغض كل من مال إليه، فأمر بنفيه إلى السند، وضربه ثلثمائة سوط، فسأل أن يكون الضرب من فوق الثياب لضعفه عن ذلك، فأجيب إلى ذلك، وأقام منفياً ثلاث سنين.

وتزوج المتوكل فريدة، بعد ذلك، فولدت له ابنه أبا الحسن.

وحدث حمدون بن إسماعيل، قال: دعاني المعتصم يوماً فدخلت إليه، وهو في بعض مجالسه، وإلى جنبه باب صغير، فحادثته ملياً إلى أن رأيت الباب قد حرك، وخرجت منه جارية بيضاء، مقدودة، حسنة الوجه، وبيدها رطل، وعلى عنقها منديل، فأخذ الرطل من يدها فشربه، ثم قال: أخرج يا حمدون، فخرجت، فكنت في دهليز الحجرة، فلم ألبث أن دعاني، فدخلت، وهو على حاله، فحادثته ملياً، ثم حرك ذلك الباب، فخرجت جارية، كأحسن ما يكون من النساء، سمراء رقيقة اللون، بيدها رطل، فأخذه وشربه، وقال: ارجع إلى مكانك، فخرجت، فلبثت ساعة هناك، ثم دعاني، فأتيته وحادثته ساعة، وحرك الباب، فخرجت أحسن الثلاث، بيدها رطل، ومعها منديل، فأخذ الرطل فشربه، وقال: ارجع إلى مكانك، فخرجت، فلبثت ساعة، ثم دعاني، فدخلت: فقال لي: أتعرف هؤلاء؟ قلت: معاذ الله أن أعرف أحداً ممن هو داخل دار أمير المؤمنين، فقال: إحداهن ابنة بابك الخرمي، والأخرى ابنة المازيار أو "المازيان"، والثالثة ابنة بطريق عمورية، افترعتهن الساعة، وهذا نهاية الملك يا حمدون.

وأما أبو محمد بن حمدون، فذكر جحظة أن مولده في سنة سبع وثلاثين ومائتين، وتوفي ببغداد في رمضان سنة تسع وثلاثمائة، ونادم المعتمد، وخص به، وكان من ثقاته المتقدمين عنده، وله معه أخبار.

وأما أبو العبيس بن أبي عبد الله بن حمدون، أحد المشهورين بجودة الغناء والصنعة فيه، وابنه إبراهيم بن أبي العبيس أيضاً من المجيدين في الغناء، وشجاء الصوت، فهؤلاء المعروفون بمنادمة الخلفاء من بني حمدون.

وحدث أحمد بن أبي طاهر: أن ابن حمدون النديم حدثه: أن الواثق بالله بسط جلاسه، وأمرهم ألا ينقبضوا في مجلسه، وأن يجروا النادرة على ما اتفقت عليه غير محتشمين، وإن اتفق وقوعها عليه احتمل، قال: فعبرنا على ذلك مدة، وكان على إحدى عيني الواثق نكتة بياض، فلما كان في بعض الأيام، أنشد الواثق أبيات أبي حية النميري:

نظرت كأني من وراء زجاجة ... إلى الدار من ماء الصبابة أنظر

فقلت: وإلى غير الدار يا أمير المؤمنين؟ فتبسم، ثم قال لوزيره: قد قابلني هذا الرجل بما لا أطيق أن أنظرإليه بعدها. فانظر كم مبلغ جاريه وجرايته، وأرزاقه وصلاته، فاجمعها، وأقطعه بها إقطاعاً بالأهواز، وأخرجه إليها ليبعد عن ناظري، ففعل، قال: وأخرجت إليها، وتبيغ بي الدم، فالتمست حجاماً كان في خدمتي، فقيل: لم يخرج في الصحبة لعلة لحقته، فقلت: التمسوا حجاماً نظيفاً حاذقاً، وتقدموا إليه بقلة الكلام، وترك الانبساط، فأتوني بشيخ حسن على غاية النظافة وطيب الريح، فجلس بين يدي، وأخذ الغلام المرآة، فلما أخذ في إصلاح وجهي، قلت له: اترك في هذا الموضع، واحذف في هذا الموضع، وعدل هذه الشعرات، وسرح هذا المكان، وأطلت الكلام وهو ساكت، فلما قعد للحجامة، قلت له: اشرط في الجانب الأيمن اثنتي عشرة شرطة، وفي الجانب الأيسر أربع عشرة شرطة، فإن الدم في الجانب الأيسر أقل منه في الأيمن، لأن الكبد في الأيمن، والحرارة هناك أوفر، والدم أغزر، فإذا زدت في شرط الأيمن، اعتدل خروج الدم من الجانبين، ففعل، وهو مع ذلك ساكت، فعجبت من صمته، وقلت للغلام: ادفع إليه ديناراً، فدفعه إليه، فرده، فقلت: استقله، ولعمري إن العيون إلى مثلي ممتدة، والظمع مستحكم في نديم الخليفة، وصاحب إقطاعه، أعطه ديناراً آخر، ففعل، فردهما وأبى أن يأخذهما، فاغتظت وقلت: – قبحك الله، – أنت حجام سواد، وأكثر من يجلس بين يديك يدفع لك نصف درهم، وأنت تستقل ما دفعت إليك؟ فقال: وحقك ما رددتها استقلالاً، ولكن نحن أهل صناعة واحدة، وأنت أحذق مني، وما كان الله ليراني وأنا آخذ من أهل صناعتي أجرة أبداً، فأخجلني وانصرف و لم يأخذ شيئاً.

فلما كان في العام القابل، خرجت لمثل ما خرجت إليه في العام الماضي، واحتجت إلى نقص الدم، فقلت لغلامي: اذهب فجئنا بذلك الحجام، فقد عرف الخدمة، وقد انصرف تلك الدفعة و لم يأخذ شيئاً، ولعله قد نسيها، فيقع برنا منه على حاجة منه إليه، قال: فلما جلس بين يدي، وأصلح وجهي الإصلاح الذي كنت أوقفته عليه، وحجمني أحسن حجامة، فلما فرغ، قلت: سبحان الله، أنت صانع سواد، فمن أين لك هذا الحذق بهذه الصنعة؟ فقال: وحقك ما كنت أحسن من هذا شيئاً، ولكن حجام الخليفة اجتاز بنا بهذا الموضع في العام الماضي، فتعلمت منه هذا، فضحكت منه، وأمرت له بثلاثين ديناراً، مع ما تم له من معاريض كلامه في الدفعتين جميعاً.

وأنشد جحظة في أماليه لنفسه، يرثي حمدون النديم، كذا قال، و لم يعينه:

أيعذب من بعد ابن حمدون مشرب ... لقد كدرت بعد الصفاء المشارب؟

أصبنا به فاستأسد الضبع بعده ... ودب إلينا من أناس عقارب

وقطب وجه الدهر بعد وفاته فمن أي وجه جئته فهو قاطب

بمن ألج الباب الشديد حجابه إذا ازدحمت يوماً عليه المواكب؟

بمن أبلغ الغايات، أم من بجاهه أنال وأحوي كل ما أنا طالب؟؟

فأصبحت حلف البيت، خلف جداره وبالأمر مني يستعيذ النجائب

وقال جحظة في أبي جعفر بن حمدون، ولا أعرفه إلا أنه كذا، أورده في أماليه:

أبا جعفر لا تنال العلا بتيهك في المجلس الحاشد

ولا بغلام كبدر التما م ركب في غصن مائد

ولا بازيار إذا ما أت اك يخطر بالذر والصائد

فكيف ومالك من شاكر وكيف ومالك من حامد؟؟

أتذكر إذ أنت تحت الزما ن وحيد بلا درهم واحد؟

وتحدث جحظة في أماليه قال: قال لي أبو عبد الله ابن حمدون: حسبت ما وصلني به المتوكل في مدة خلافته، وهي أربع عشرة سنة وشهور، فوجدته ستين ألفاً وثلاثمائة ألف دينار، ونظرت فيما وصلني به المستعين في مدة خلافته، وهي ثلاث سنين ونيف، وكان أكثر مما وصلني به المتوكل، ثم خلع المستعين، وحدر إلى واسط، ومنع من كل شيء إلا القوت، فاشتهى نبيذاً، فخرجت دايته إلى أهل واسط، فتشكت ذلك إليهم، فقال لها رجل من التجار: له عندي كل يوم خمسة أرطال نبيذ دوشاب، فكانت تمضي إليه في كل يوم فتجيئه به سراً، إلى أن حمل من واسط، فقتل بالقاطول:

أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم

اللؤلؤي، أبو بكر، قال الزبيدي: ومن نحاة القيروان ابن أبي عاصم، وكان من العلماء النقاد في العربية والغريب والنحو والحفظ والقيام بشرح أكثر دواوين العرب.

مات فيما ذكره الزبيدي، سنة ثماني عشرة وثلاثمائة وله ست وأربعون سنة، وكان كثير الملازمة لأبي محمد المكفوف النحوي، وعنه أخذ، وكان صادقاً في علمه وبيانه لما يسأل عنه، وله تأليف في الضاد والظاء حسن بين، وكان شاعراً مجيداً، وكان أبوه موسراً، فلم يكن يمدح أحداً بمجازاة، وترك الشعر في آخر عمره، وأقبل على طلب الحديث والفقه، وهو القائل:

أيا طلل الحي الذين تحملوا بوادي الغضا، كيف الأحبة والحال

وكيف قضيب البان والقمر الذي بوجنته ماء الملاحة سيال

كأن لم تدر ما بيننا ذهبية عبيرية الأنفاس عذراء سلسال

ولم أتوسد ناعماً بطن كفه ولم يحو جسمينا مع الليل سربال

فبانت به عني ولم أدر بغتة طوارق صرف البين، والبين مغيال

فلما استقلت ظعهم وحدوجهم دعوت، ودمع العين في الخد هطال

حرمت منايا منك، إن كان ذا الذي تقوله الواشون عني كما قالوا

وهذا البيت الأخير تضمين من أبيات لها قصة أنا ذاكرها.

ذكر أبو الفرج علي بن الحسين، في كتابه، قال: كان عبد الله بن محمد القاضي، المعروف بالخليجي، ابن أخت علوية المغني، وكان تياهاً صلفاً، فتقلد في خلافة الأمين قضاء الشرقية، وكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين الجامع، فيستند إليها بجميع بدنه ولا يتحرك، فإذا تقدم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده، وترك الاستناد، حتى يفصل بينهما، ثم يعود لحاله، وعمد بعض المجان إلى رقعة من الرقاع التي يكتب فيها الدعاوي، فألصقها في موضع دنيته بالدبق فلما جلس الخليجي إلى السارية، وتمكن منها، وتقدم إليه الخصوم، وأقبل إليهم بجميع جسده، كما كان يفعل، انكشف رأسه، وبقيت الدنية موضعها مصلوبة ملتصقة، فقام الخليجي مغضباً، وعلم أنها حيلة عليه وقعت، فغطى رأسه بطيلسانه وتركها مكانها، حتى جاء بعض أصحابه فأخذها، فقال بعض شعراء عصره:

إن الخليجي من تتايهه أثقل باد لنا بطلعته

ماتيه ذي نخوة مناسبة بين أخاوينه وقصعته

يصالح الخصم من يخاصمه خوفاً من الجور في قضيته

لو لم تديقه كف قانصه لطار فيها على رعيته

واشتهرت الأبيات والقصة ببغداد، وعمل لها علوية حكاية أعطاها الزفانين والمخنثين، فأخرجوه منها، وكان علوية يعاديه لمنازعة كانت بينهما ففضحه، واستعفى الخليجي من القضاء ببغداد، وسأل أن يولى بعض الكور البعيدة، فولي جند دمشق أو حمص، فلما ولي المأمون الخلافة، غناه علوية بشعر الخليجي، وهو:

برئت من الإسلام، إن كان ذا الذي تقوله الواشون عني كما قالوا

ولكنهم، لما رأوك غرية بهجري، تساعوا بالنميمة واحتالوا

فقد صرت أذناً للوشاة سميعة ينالون من عرضي، ولو شئت ما نالوا

فقال له المأمون: من يقول هذا الشعر؟ قال: قاضي دمشق، فأمر المأمون بإحضاره، فكتب إلى والي دمشق بإحضاره، فكتب فأشخص، وجلس المأمون للشرب، وأحضر علوية، ودعا بالقاضي؛ فقال له: أنشدني قولك:

برئت من الإسلام، إن كان ذا الذي تقوله الواشون عني، كما قالوا

فقال: يا أمير المؤمنين، هذا شيء قلته منذ سنة، وأنا صبي، والذي أكرمك بالخلافة، وورثك ميراث النبوة، ما قلت شعراً منذ أكثر من عشرين سنة إلا في زهد أو عتاب صديق، فقال له: إجلس، فجلس، فناوله قدحاً من نبيذ كان في يده، فقال: يا أمير المؤمنين ما غيرت الماء بشيء قط مما يختلف في تحليله، فقال: لعلك تريد نبيذ التمر أو الزبيب؟ فقال: لا، والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئاً منها، فأخذ القدح من يده، وقال: أما والله لو شربت هذا لضربت عنقك، ولقد ظننت أنك صادق في قولك كله، ولكن لا يتولى لي أبداً رجل بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام، انصرف إلى مترلك، وأمر علوية أن يغير ذلك ويقول: حرمت منايا منك إن كان ذا الذي

أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله

ابن الحسن الفارسي، أبو حامد المقرئ الأديب، نزيل نيسابور، جمع في القراءات مصنفات كثيرة.
قال الحاكم: وكان من العباد، أقام في مترل أبي إسحاق المزكي سنين، لتأديب أولاده، وحفظ سماعاهم عليهم، سمع في بلده من أصحاب أبي الأشعث وعمر بن شبة وأقراهم، مات بنيسابور سنة ست وأربعين وثلاثمائة.
قال الحاكم: حدثني أبو حامد الفارسي قال: حدثنا أبو الحسين زكريا قال: كنت عند أبي بكر محمد داود ابن علي الإصبهاني الفقيه، وهو يكتب إلى بعض إخوانه هذه الأبيات:

جعلت فداك، قد طال اشتياقي وليس تزيدني إلا مطالا
كتبت إليك أستدعي نوالاً فلم تكتب إلي نعم ولا لا
نصحت لكم حذاراً أن تعابوا فعاد علي نصحكم وبالا

أحمد بن إبراهيم بن معلى بن أسد العمي

أبو بشر، ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنفي الإمامية، قال: والعم هو مرة بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة، وهو ممن دخل في تنوخ بالحلف وسكنوا الأهواز وكان مستملي أبي أحمد الجلودي، وسمع كتبه كلها ورواها، وكان ثقة في حديثه، حسن التصنيف، وأكثر الرواية عن العامة والأخباريين، وكان جده المعلى ابن أسد من أصحاب صاحب الزنج، المختصين به، وروى عنه، وعن عمه أسد بن المعلى أخبار صاحب الزنج، وله تصانيف، منها: كتاب التاريخ الكبير، كتاب التاريخ الصغير، كتاب مناقب علي، كتاب أخبار صاحب الزنج، كتاب الفرق وهو كتاب حسن غريب كتاب أخبار السيد الحميري، كتاب عجائب العالم.

أحمد بن إسحاق، يعرف بالجفر

حميري النسب، مصري الدار، لم أجد له ذكراً إلا في كتاب أبي بكر الزبيدي، فإنه ذكره في نحاة مصر قال: ومات سنة ثلاثمائة وواحد.

أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب

نطاحة من أهل الأنبار، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وكان بليغاً مترسلاً، شاعراً أديباً، متقدماً في صناعة البلاغة، وكان في الأكثر يكتب عن نفسه إلى إخوانه، وبينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات عجيبة.

ذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: له من التصانيف: كتاب ديوان رسائله، نحو ألف ورقة، يحتوي على كل حسن من الرسائل. كتاب الطبيخ، كتاب طبقات الكتاب، كتاب أسماء المجموع المنقول من الرقاع، يشتمل على سماعاته من العلماء وما شاهد من أخبار الجلة كتاب صفة النفس، كتاب رسائله إلى إخوانه.

قال المرزباني في المعجم: وجده الخصيب بن عبد الحميد صاحب مصر، وأصلهم منالمزار، وهو القائل:

خير الكلام قليل ... على كثير دليل
والعي معنى قصير ... يحويه لفظ طويل
وفي الكلام عيون ... وفيه قال وقيل
وللبليغ فصول ... وللعيي فضول

وله أيضاً:

لا تجعلن بعد داري ... مخمساً لنصيبي

فرب شخص بعيد إلى الفؤاد قريب

ورب شخص قريب إليه غير حبيب

ما القرب والبعد إلا ما كان بين القلوب

وله يمدح كاتباً:

وإذا نمنمت بنانك خطاً معرباً عن إصابة وسداد

عجب الناس من بياض معان يجتنى من سواد ذاك المداد

وله أيضاً:

ماذا أقول لمن إن زرته حجبا وإن تخلفت عنه مكرها عتبا

وإن أردت خلاصاً من تعتبه ظلماً، فعاتبته في فعله غضباً

قال أحمد بن يحيى: كان أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكاتب، علامة شاعراً، أحسن المعرفة بالشعر، وكان من الظرفاء الخلعاء، قال لي مرة: يا أبا العباس، ما بنات مخر؟ فقلت: بنات "مخر" سحائب بيض يأتين قبل الصيف، تشبه النساء في بياضهن وحسنهن بها، لأن سحاب الصيف لا ماء فيه فيسود ويتغير، فقال لي: قلبك عربي.

وساتهدى من أحمد بن إسماعيل كتاب حدود الفراء، فأهداه وكتب على ظهره:

خذه فقد سوغت منه مشبهاً بالروض أو بالبرد في تفويفه

نظمت كما نظم السحاب سطوره وتأنق الفراء في تأليفه

وشكلته ونقطته فأمنت من تصحيفه ونجوت من تحريفه

بستان خط غير أن ثماره لا تجتنى إلا بشكل حروفه

أحمد بن أبي الأسود القيرواني

ذكر الزبيدي فقال: كان غاية في النحو واللغة، وهو من أصحاب عبد الملك المهدي، وله تصانيف في النحو والغريب، ومؤلفات حسان وكان شاعراً مجيداً:

أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمد الأخباري

المؤرخ، كان شيعياً، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف وله كتاب التاريخ إلى آخر أيام المقتدر، ابتدأه بأيام المأمون، ويوشك أن يكون ذيلاً على الأول، رأيت الكتابين.

وقال أبو الحسين بن أحمد السلامي البيهقي: أنشدني ابن أعثم الكوفي:

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً ... من التقصير عذر أخ مقر

فصنه عن جفائك وارض عنه ... فإن الصفح شيمة كل حر

أحمد بن بختيار بن علي بن محمد الماندائي

أبو العباس الواسطي، وكان له معرفة جيدة بالأدب والنحو واللغة، مات ببغداد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، ومولده في ذي الحجة سنة ست وسبعين وأربعمائة بأعمال واسط، وقد ولي القضاء بواسط، وكان فقيهاً فاضلاً، له معرفة تامة بالأدب واللغة، ويد باسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية، سمع أبا القاسم ابن بيان، وأبا علي بن نبهان، وغيرهما.

قال أبو الفرج بن الجوزي: وكان يسمع معنا علي بن الفضل بن ناصر.

صنف كتباً، منها: كتاب القضاة. كتاب تاريخ البطائح.

قرأت بخط حجة الإسلام، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب: أنشدني صديقنا الشيخ أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي بن محمد الماندائي لنفسه في ابن المرخم:

قد نلت بالجهل أسباباً لها خطر ... يضيق فيها على العقل المعاذير

مصيبة عمت الإسلام قاطبة ... لا يقتضي مثلها حزم وتدبير

إذا تجاري ذوو الألباب جملتها ... قالوا :جهول أعانته المقادير

أحمد بن أمية بن أبي أمية، أبو العباس الكاتب

ذكره المرزباني فقال: أهل بيت الكتابة، والغزل، والظرف، والأدب.

حدثنا أحمد بن القاسم النيسابوري: أنه لقيه بعد الخمسين والمائتين، أو حواليها، وأخذ عنه علماً كثيراً وأدباً.

قلت: وأمية، مولى لهشام بن عبد الملك، واتصل في دولة بني العباس بالربيع، حاجب المنصور، وكتب بين يديه، وله شعر حسن، وولده أهل بيت علم، منهم: أحمد هذا، وأخوه محمد، وقد ذكرته في أخبار

الشعراء.

قال المرزباني: وأحمد هو القائل:

خبرت عن تغير الأترابا ... ومشيبي، فقلن: بالله شابا

نظرت نظرة إلي، فصدت ... كصدود المخمور شم الشرابا

إن أدهى مصيبة نزلت بي ... أن تصدى، وقد عدمت الشبابا

وكان أبو هفان يقول: ليس في الدنيا هجاء أشرف ولا أظرف من قول أحمد بن أمية:

إذا ابن شاهك قد وليته عملاً ... أضحى وحقك عنه وهو مشغول

بسكة أحدثت، ليست بشارعة ... في وسطها عرصة في وسطها ميل

يرى فرانقها في الركض مندفعاً ... تهوى خريطته والبغل مشكول

أحمد بن بشر بن علي التجيبي

يعرف بابن الأغبس، ذكره الحميدي وقال: مات سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وكان فقيهاً على مذهب الشافعي، مائلاً إلى الحديث، عالماً بكتب القرآن، قد أتقن كل ما قيل فيها، من جهة العربية والتفسير واللغة والقراءة، وكان حافظاً للغة العربية، كثير الرواية، جيد الخط والضبط للكتب، وأخذ عن العجلي والخشني وابن الغازي.

أحمد بن بكران بن الحسين الزجاج

كتب عنه علي بن محمد الأزدي في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

أحمد بن بكر العبدي أبو طالب

صاحب كتاب شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، كان نحوياً لغوياً قيماً بالقياس والإفتنان في العلوم العربية، أخذ عن القاضي أبي سعيد السيرافي، وأبي الحسن الرماني، وأبي علي الفارسي، ومات في سنة ست وأربعمائة في خلافة القادر بالله، لم أجد له خبراً فأحكيه، إلا ما حكى هو عن نفسه في كتاب شرح الإيضاح: أنه تكلم مع أبي محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن السيرافي قال العبدي: ما كان ابن السيرافي مكيناً في هذا الشأن على شهرته عند الناس في اللغة في ياء تفعلين، فقال: هي علامة التأنيث، والفاعل

مضمر، فقلت له: ولو كانت بمترلة التاء في ضربت، علامة للتأنيث فقط، لثبتت مع ضمير الاثنين، وعلم أن فيها مع دلالتها على التأنيث، معنى الفاعل، فلما صار للاثنين، بطل ضمير الواحد الذي هو الياء، وجاءت الألف وحدها، فقال: هذا زنبيل الحوائج كذا وكذا، وانقطع الوقت بالضحك من ابن شيخنا، ومن قلة تصرفه.

وقرأت في فوائد، نقلت عن أبي القاسم المغربي الوزير: أن العبدي أصيب بعقله، واختل في آخر عمره، وله من التصانيف كتاب شرح الإيضاح، كتاب شرح الجرمي.

أحمد بن أبي بكر بن أبي محمد الخاوراني

النحوي، الأديب، أبو الفضل، يلقب بالمحدويه، لقيته بعرف سرين، وهو شاب فاضل بارع متفنن قيم بعلم النحو، محترق بالذكاء، حافظ للقرآن، كتب بخطه العلوم، وقرأها على مشايخه، ورأيته قد صنف كتابين صغيرين في النحو، وشرع في أشياء لم تمهله المنية ليتمها، منها – فيما ذكر لي – شرح المفصل للزمخشري، وكتب عني الكثير، وفارقته في سنة سبع عشرة وستمائة، ثم بلغني أنه اعتب، فمات في سنة عشرين وستمائة، وعمره نحو ثلاثين سنة، وله رسالة صالحة.

أحمد بن عفر الدينوري

ختن ثعلب على ابنته، يكنى: أبا علي، أحد النحاة المبرزين المصنفين في نحاة مصر، وقال: إنه مات بمصر سنة تسع وثمانين ومائتين، قال: وكان أبو علي الدينوري يخرج من مترل ثعلب، وهو جالس على باب داره، فيتخطى أصحابه، ومعه محبرته، فيقرأ كتاب سيبويه على أبي العباس المبرد، فيعاتبه ثعلب ويقول: إذا رآك الناس تمضي إلى هذا الرجل، وتقرأ عليه، وتتركني، يقولون ماذا؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله، قال: وكان أبو علي هذا حسن المعرفة، قال: قال المصعبي: فسألت أبا علي: كيف صار المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب؟ فقال: المبرد قرأه على العلماء وثعلب قرأه على نفسه.

قال الزبيدي: وأصله من الدينور، وقدم البصرة، وأخذ عن المازني، وحمل عنه كتاب سيبويه، ثم دخل بغداد، فقرأ على المبرد، ثم قدم مصر، وألف كتاب المهذب في النحو، وكتب في صدره اختلاف البصريين والكوفيين، وعزا كل مسألة إلى صاحبها، و لم يعتل لكل واحد منهم، ولا احتج لمقالته، فلما أمعن في الكتاب ترك الاختلاف، ونقل مذهب البصريين، وعول في ذلك على كتاب الأخفش سعيد بن مسعدة، وله كتاب مختصر في ضمائر القرآن، استخرجه من كتاب المعاني للفراء، ولما قدم علي بن سليمان

الأخفش إلى مصر، خرج أبو علي منها، فلما رجع الأخفش إلى بغداد، عاد أبو علي إلى مصر، فأقام بها حتى مات في السنة المقدم ذكرها، وله كتاب إصلاح المنطق.

أحمد بن جعفر جحظة

هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم، قال أبو عبد الله الحسن ابن علي بن مقلة: سألت جحظة عمن لقبه بهذا اللقب، فقال: ابن المعتز لقيني يوماً فقال لي: ما حيوان إذا قلب صار آلة للبحرية؟؟ فقلت: علق، إذا عكس صار قلعاً فقال: أحسنت يا جحظة، فلزمني هذا اللقب، وهو من في عينيه نتو جداً، وكان قبيح المنظر، وكان له لقب آخر، يلقبه به المعتمد، وهو خنياكر، وما أدري أي شيء معناه؟ كان حسن الأدب، كثير الرواية للأخبار، متصرفاً في فنون من العلم، كالنحو واللغة والنجوم، مليح الشعر، مقبول الألفاظ، حاضر النادرة وكان طنبورياً حاذقاً فيه فائقاً، مات في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بجيل، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال: ولجحظة من التصانيف: كتاب الطبيخ – لطيف، – كتاب الطنبوريين، كتاب فضائل السكباج، كتاب الترنم، كتاب المشاهدات، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله، كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام، كتاب ديوان شعره.

قال: كان جحظة وسخاً قذراً دني النفس، في دينه قلة، وهو القائل:

إذا ما ظمئت إلى ريقه ... جعلت المدامة منه بديلا

وأين المدامة من ريقه؟ ... ولكن أعلل قلباً غليلا

ومن سائر شعره قوله:

لي صديق مغري بقربي وشدوي ... وله عند ذاك وجه صفيق

قوله إن شدوت أحسنت، زدنيوبأحسنت لا يباع الدقيق

حدث الخطيب قال: قال جحظة: أنشدت عبيد الله ابن طاهر قولي:

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمع

كم واثق بالعمر واثقته ... وجامع بددت ما يجمع

فقال لي: ذنبك إلى الزمان الكمال.

ومن شعر جحظة:

أقول لها والصبح قد لاح ضوءه كما لاح ضوء البارق المتألق

شبيهك قد وافى ولاح افتراقنا فهل لك في صوت وكأس مروق؟

فقالت شفائي في الذي قد ذكرته وإن كنت قد نغصته بالتفرق

قال جحظة: صك لي بعض الملوك بصك فدافعني الجهبذ به، حتى ضجرت، فكتبت إليه:

إذا كانت صلاتكم رقاعاً تخطط بالأنامل والأكف

فها خطي، خذوه بألف ألف ولم تكن الرقاع تجر نفعاً

وأنشد جحظة في أماليه:

طرقنا بزوغي حين أينع زهرها وفيها، لعمر الله، للعين منظر

وكم من بهار يبهر العين حسنه ومن جدول بالبارد العذب يزخر

ومن مستحث بالمدام كأنه، وإن كان ذمياً، أمير مؤمر

وفي كفه اليمنى شراب، مورد وفي كفه اليسرى بنان معصفر

شقائق تندى بالندى فكأنها خدود عليهن المدامع تقطر

وكم ساقط سكراً يلوك لسانه وكم قائل هجراً وما كان يهجر

وكم منشد بيتاً وفيه بقية من العقل إلا أنه متحير

"فكان مجني دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر "

وكم من حسان جس أوتار عوده فألهب ناراً في الحشا تتسعر

يغني وأسباب الصواب تمده بصوت جليل ذكره حين يذكر

أحن حنين الواله الطرب الذي ثنى شجوه بعد الغداء التذكر

أجحظة إن تجزع على فقد معشر فقدت بهم من كان للكسر يجبر

وأصبحت في قوم كأن عظامهم إذا جئتهم في حاجة تتكسر

فصبراً جميلاً، إن في الصبر مقنعاً على ما جناه الدهر، والله أكبر

وأنشد أيضاً لنفسه:

يا من بعدت عن الكرى ببعاده الصبر مذ غيبت عني غائب

أصبحت أجحد أنني لك عاشق والعين مخبرة بأني كاذب

وأنشد أيضاً لنفسه:

قد قلل الإدمان أكلي فما | أطعم زاداً قيس إبهام
فالحمد لله وشكراً له | قد صرت من بائد أقوام
قوم ترى أولادهم بينهم | للجوع في حلية أيتام

وأنشد لنفسه:

أرى الأيام تضمن لي بخير | ولكن بعد أيام طوال
فمن ذا ضامن لدوام عمري | إلى دهر يغير سوء حالي
هي التسعون قد عطفت قناتي | ونفرت الغواني عن وصالي
وفيها لو عرفت الحق شغل | عن الأمر الذي اضحى اشتغالي
كأني بالنوادب قائلات، | وجسمي فوق أعناق الرجال

ألا سقيا لجسمك كيف يبلى وذكرك في المجالس غير بالي وأنشد أيضاً لنفسه:

أنفق ولا تخش إقلالاً، فقد قسمت | بين العباد مع الآجال أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية | ولا يضر مع الإقبال إنفاق

وأنشد أيضاً لنفسه:

تعجبت إذ رأتني فوق مكسور | من الحمير عقير الظهر مضرور
من بعد كل أمين الرسغ معترض | في السير تحسبه إحدى التصاوير
فقلت لا تعجبي مني ومن زمن | أنحنى علي بتضييق وتقتير
بل فاعجبي من كلاب قد خدمتهم | تسعين عاماً بأشعاري وطنبوري؟
ولم يكن في تناهي حالهم بهم | حر يعود لعى حالي بتغيير

وقيل لجحظة: كيف حالك؟ فقال: كما قال الشاعر:

أي شيء رأيت أعجب من ذا | إن تفكرت ساعة في الزمان؟
كل شيء من السرور بوزن | والبلايا تكال بالقفزان

وأنشد جحظة لنفسه:

الحمد لله ليس لي كاتب | ولا على باب منزلي حاجب

ولا حمار إذا عزمت على ركوبه، قيل: جحظة راكب
ولا قميص يكون لي بدلاً مخافة من قميصي الذاهب
وأجرة البيت فهي مقرحة أجفان عيني بالوابل الساكب
إن زارني صاحب عزمت على بيع كتاب لشبعة الصاحب
أصبحت في معشر تشمتهم فرض من الله لازب واجب
فيهم صديق في عرسه عجب إذا تأملت، أمرها عاجب
تحسبها حرة وحافرها أرق من شعر خالد الكاتب

وأنشد لنفسه:

ألحمد لله لم أقل قط: يا بد ر ويا منصفاً ويا كافور
لا، ولا قلت: أين أين الشوا هين ووزاننا وأين البذور
لا ولا قيل: قد أتاك من الضي عة بر موفر وشعير
وأتاك العطاء بالند لما قيل لي إن في الخزين بخور
أنا خلو من المماليك والأم لاك جلد على البلا وصبور
ليس إلا كيسرة وقديح وخليق أتت عليه الدهور

قال جحظة: ومررت بوقاد يوقد في التنور ويغني:

أنا أهواك نور الل ه فافعل ما بدا لك
إن تكن تمنعني شخ صك فابذل لي خيالك
قد أخذت الدن والطن بور والكلب فمالك؟
قل لمن جنبك القم موث من دسك والك

وله أيضاً:

ولي صاحب زرته للسلا م فقابلني بالحجاب الصراح
وقالوا تغيب عن داره لخوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائباً لأدخلني أهله للنكاح

وقال يستزير بعض إخوانه:

لنا يا أخي زلة وافره وقدر معجلة حاضره
وراح تزيل إذا صفقت سنا البرق في الليلة الماطره
ومسمعة لم يخنها الصوا ب وزامرة أيما زامره
وما شئت من خبر نادر ونادرة بعدها نادره
فآت ولو كنت يا ابن الكرام و في الآخره حاشاك من ذاك

وأنشد لنفسه أيضاً:

ما زارني في الحبس من نادمته كأسين: كأس مودة ومدام
بخلوا علي وقد طلبت سلامهم فكأنني طالبتهم بطعام

وأنشد أيضاً لنفسه:

وذي جدة طلبت إليه براً من الجلساء مذموم الخلائق
فأقسم أنه رجل فقير أرانيه المهيمن وهو صادق
كأني بالمنازل عن قليل خلون من المطرزة النمارق
وقد ظفر النساء بما تركتم فصار لماهر بالنيك حاذق

وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه:

وقائل قال لي: من أنت؟ قلت له، مقال ذي حكمة واتت له الحكم
لست الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
أنا الذي دينه إسعاف سائله والضر يعرفه والبؤس والعدم
أنا الذي حب أهل البيت أفقره فالعدل مستعبر والجور مبتسم

وله أيضاً:

ولي كبد لا يصلح الطب سقمها من الوجد لا تنفك دامية حرى
فيا ليت شعري والظنون كثيرة أيشعر بي من بت أرعى له الشعرى

وله أيضاً:

شكري لإحسانك شكر امرئ يستوهب الإحسان من واهبه
وكيف لا أشكر من لا أرى في منزلي إلا الذي جاد به

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه.

حسبي ضجرت من الأدب ورأيته سبب العطب

وهجرت إعراب الكلام وما حفظت من الخطب

ورهنت ديوان النقا ئض واسترحت من التعب

وله أيضاً:

لا تعجبي يا هند من حالي فما فيها عجب

إن الزمان بمن تقد م في النباهة منقلب

فالجهل يضطهد الحجى والرأس يعلوه الذنب

حدث غرس النعمة في كتاب الهفوات قال: كان جحظة لما أسن يفسو في مجالسه، فيلقى من يعاشره منه جهداً. قال الحسين بن العباس: وكنت أحب غناءه، والكتابة عنه، لما عنده من الآداب، وكان يستطيب عشرتي، وكنت إذا جلست عنده أخذته غلبة الريح، فجئته يوماً في مجلس الأدب، والناس عنده، وهو يملي، فلما خفوا، قال لي ولآخر كان معي: اجلسا عندي حتى أقعدكما على أسود، وأطعمكما طباهجة بكبود، وأسقيكما من معتقة اليهود، وأبحركما بعنبر وعود، أطيب من الندود، وأغنيكما غناء المشدود، فقلت: هذا موضع السجود، وجلسنا، وصديقي لا يعرف خلقه في الفساء، وأنا قد أخذت الريح فوقي، فوفى لنا بجميع ما ذكره، وقال لنا، وقد غنى وشربنا: نحن بالغداة علماء وبالعشي في صورة المخنكرين، فلما أخذ النبيذ منه، أخذ يفسو، وصديقي يغمزني ويتعجب، فأقول له: إن ذلك عادته وخلقه، وإن سبيله أن يحتمل، إلى أن غني صوتاً من الشعر، والصنعة له فيه، وكان يجيده:

إن بالحيرة قسا قد مجن فتن الرهبان فيها وافتتن

ترك الإنجيل حيناً للصبا ورأى الدنيا مجوناً فركن

قال: فطرب عليه صديقي طرباً شديداً، واستحسنه كثيراً، وأراد أن يقول له: أحسنت والله يا أبا الحسن. فقال له ما في نفسه يتردد من أمر الفساء: أفس علي يا أبا الحسن كيف شئت، فخجل جحظة، وخجل الفتى، وانصرفنا.

وحدث الخطيب، عن أبي الفرج الإصبهاني، قال: حدثني جحظة قال: اتصلت علي إضاقة، أنفقت فيها كل ما أملكه، حتى بقيت ليس في داري سوى البواري، فأصبحت يوماً، وأنا أفلس من طنبور بلا وتر، كما في المثل، ففكرت كيف أعمل، فوقع لي أن أكتب إلى محبرة بن أبي عباد الكاتب، وكنت أجاوره،

وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنتين، وحالفه النقرس، فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولاً على الأيدي أو في محفة، وكان مع ذلك على غاية الظرف، وكبر النفس، وعظم الهمة، ومواصلة الشرب والقصف، فأردت أن أتطايب عليه ليدعوني، فآخذ منه ما أنفقه مدة، فكتبت إليه:

ماذا ترى في جدي وفي عقار بوارد
وقهوة ذات لون يحكى خدود الخزائد
ومسمع يتغنى من آل يحيى بن خالد
إن المضيع لهذا نزر المروءة بارد

فما شعرت إلا بمحفة محبرة يحملها غلمانه إلى داري، وأنا جالس على بابي، فقلت له: لم جئت؟ ومن دعاك؟ فقال: أنت، فقلت: إنما قلت لك: ماذا ترى في هذا؟ وعنيت في بيتك، وما قلت لك: إنه في بيتي، وبيتي والله أفرغ من فؤاد أم موسى، فقال: الآن قد جئت ولا أرجع، ولكن أدخل إليك، وأستدعي من داري ما أريد، قلت: ذاك إليك، فدخل، فلم ير في بيتي إلا بارية، فقال: يا أبا الحسن، هذا والله فقر مطيح، هذا ضر مدقع، ما هذا؟ قلت: هو والله ما ترى، فأنفذ إلى داره، فاستدعى فرشاً وآلة وقماشاً وغلماناً، وجاء فراشوه ففرشوا ذلك، وجاء وافر الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه، وجاء طباخه بما كان في مطبخه، وهو شيء كثير، بآلات ذلك، وجاء شرابيه بالأواني والمخروط والفاكهة وآلة التبخير والبخور وألوان الأنبذة، وجلس يومه ذلك وليلته عندي، يشرب على غنائي وغناء مغنية أحضرها، كنت ألقنها، فلما كان من الغد سلم إلى غلامه كيساً فيه ألف درهم، ورزمة ثياب صحاح، ومقطوعة من فاخر الثياب، واستدعى محفة فجلس فيها، وشيعته، فلما بلغ آخر الصحن،قال: مكانك يا أبا الحسن، احفظ بابك، فكل ما في دارك لك، فلا تدع أحداً يحمل منه شيئاً، وقال للغلمان: اخرجوا، فخرجوا بين يديه، وأغلقت الباب على قماش بألفو كثيرة.

وأنشد السلامي لجحظة في سعد الحاجب:

يا سعد إنك قد خدمت ثلاثة كل عليه منك وسم لائح
وأراك تخدم رابعاً لتميته رفقاً به فالشيخ شيخ صالح
يا خادم الوزراء إنك عندهم سعد ولكن أنت سعد الذابح

وحدث جحظة قال: دخلت، وأنا في بقايا علة، على كاتب، قال ابن بشران، على هارون ابن عريب الخالي، فقدم إلينا مضيرة عصبان، فأمعنت منها، فقال: - جعلت فداك - أنت عليل، وبدنك نحيل،

والعصب ثقيل، واللبن يستحيل، فثقلت له: والعظيم اعلجليل، المفضل المنيل، لا تركت منها كثيراً ولا قليلاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فغضب علي فضربني عشرين مقرعة، فقلت:

ولي صاحب لا قدس الله روحه ... وكان من الخيرات غير قريب

أكلت عصيداً عنده في مضيرة ... فيالك من يوم علي عصيب

قال: ودخلت إليه يوماً آخر، فقدم إلي لوزينجاً لها أيام وقد حمضت، فأخذت أمعن في أكلها، فقال لي: إن اللوزينج إذا كان بالجوز أبشم وإذا كان باللوز أتخم، فقلت: نعم يا سيدي إذا كانت لوزينجاً، وأما إذا كانت مصوصاً فلا! وحدث عبد الله بن المعتز، قال: عربد ابن أبي العلاء على جحظة بحضرتي، فأمرت بتنحية جحظة إلى أن رضي أحمد، فكتب إلي جحة:

أليس من العجائب أن مثلي ... يقام لأحمد بن أبي العلاء

ولي نفس أبت إلا ارتفاعاً ... فأضحت كالسماء على السماء

لقد غضب الزمان على أناس ... فأبلاهم بأولاد الزناء

في تاريخ دمشق قال جحظة: سلمت على بعض الرساء وكان مبخلاً، فلما أردت الانصراف قال لي. يا أبا الحسن، إيش يقول في قطائف تأتيه؟ و لم يكن له بذلك عادة؟ فقلت: ما آبى ذلك، فأحضر لي جاماً فيه قطائف، قد خمت فأرجفت فيها، وصادفت مني سغبة، وهو ينظر إلي شزراً، فقال لي: يا أبا الحسن، إن القطائف إذا كانت بجوز أتخمتك، وإذا كانت بلوز أبشمتك، قال: فقلت: هذا إذا كانت قطائف، أما إذا كانت مصوصاً فلا. وعملت لوقتي هذه الأبيات:

دعاني صديق لي لأكل القطائف ... فأمعنت فيها آمناً غير خائف

فقال، وقد أوجعت بالأكل قلبه ... رويك، مهلاً، فهي إحدى المتالف

فقلت له: ما إن سمعنا بهالك ... ينادى عليه: يا قتيل القطائف

قال عبد الله بن المعتز: كتب إلي جحظة في يوم مطير: انصرفت من عندك – جعلني الله فداك – وقد كنا عقدنا موعداً للقاء، ومنعني من المصير إليك ما نحن فيه من انقطاع شريان الغمام، فتفضل ببسط العذر لعبدك، إن شاء الله.

ومن شعر جحظة:

وليل في جوانبه حران ... فليس لطول مدته انقضاء

عدمت مطالع الإصباح فيه ... كأن الصبح جود أو وفاء

وله أيضاً:

رحلتم فكم من أنة بعد زفرة مبينة للناس شوقي إليكم

وقد كنت أعتقت الجفون من البكا فقد ردها في الرق حزني عليكم

وحدث أبو الفرج الإصبهاني قال: دعاني محمد بن الشار يوماً، ودعا جحظة، وأطال حبس الطعام جداً، وجاع جحظة، فأخذ دواة وبياضاً وكتب:

مالي وللشار وأولاده لا قدس الوالد والوالده

قد حفظا القرآن واستعملوا ما فيه إلا سورة المائده

ورمى بها إلي، فقرأتها، ودفعتها إلى ابن الشار، فقرأها، ووثب مسرعاً، فقدم المائدة، فقاطعه جحظة، فكان يجهد جهده أن يجيئه فلا يفعل، فإذا عاتبناه قال: والله حتى يحفظ تلك السورة.

وله أيضاً:

يطول علي الليل حتى أمله فأجلس والنوام في غفلة عني

فلا أنا بالراضي من الدهر فعله ولا الدهر يرضى بالذي ناله مني

قال أبو علي: حدثني أبو القاسم الحسين بن علي البغدادي، وكان أبوه ينادم ابن الحواري، ثم نادم اليزيديين بالبصرة، وأقام بها سنين، قال: كان جحظة خسيف الدين، وكان لا يصوم شهر رمضان، وكان يأكل سراً، فكان عند أبي يوماً في شهر رمضان مسلماً، فأجلسته، فلما كان نصف النهار سرق من الدار رغيفاً، ودخل المستراح، وجلس على المقعدة، واتفق أن دخل أبي فرآه فاستعظم ذلك وقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: أفت لبنات وردان ما يأكلون، فقد رحمتهم من الجوع: ومن شعر جحظة:

إن كنت ترغب في الزيا رة عند أوقات لزياره

فدع الشتيمة للغلا م إذا دنت من الغضاره

ومن مطبوع شعر جحظة:

وإذا جفاني صاحب لم أستجز ما عشت قطعه

وتركته مثل القبو ر أزورها في كل جمعه

وحدث جحظة في أماليه: دخلت إلى عريب المأمونية مع شروين المغنى، وأبي العبيس المغنى، وأنا يومئذ غلام على قباء ومنطقة، وأنكرتني، وسألت عني، فأخبرها شروين، وقال لها: هذا فتى من أهلك، هذا ابن

جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، وهو يغني بالطنبور، فأدنتني، وقربت مجلسي، ودعت بطنبور، وأمرتني أن أغني، فغنيت أصواتاً، فقالت: أحسنت يا بني، ولتكونن مغنياً، ولكن إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك، تعني بين عوديهما، وأمرت لي بمائة دينار.

وأنشد لنفسه في أماليه:

دعيني من العذل أين الكبير؟ بحرمة معبودك الأكبر

فلست بباك على ظاعن ولا طلل محول مقفر

ولكن بكائي على ماجد أراد نوالاً فلم يقدر

وأنشد فيه لنفسه:

مرضت فلم يعدني في شكاتي من الإخوان ذو كرم وخير

فإن مرضوا، وللأيام حكم سينفذ في الكبير وفي الصغير

غدوت على المدامة والملاهي وإن ماتوا حزنت على القبور

وأنشد فيه لنفسه:

يا راقداً، ونسيم الورد منتبه في ربقة القفص والأطيار تنتحب

الورد ضيف، فلا تجهل كرامته وهاتها قهوة في الكاس تلتهب

سقياً له زائراً تحيا النفوس به يجود بالوصل حيناً ثم يجتنب

تباً لحر رآه وهو ذو جدة لم يقض من حقه بالشرب ما يجب

وقد قال جحظة:

ناديت عمراً، وقد مالت بجانبه مدامة، أخذت بالراس والقدم

قد لاح في الدير نار الراهبين وقد ناداك بالصبح ناقوساهما، فقم

فقام يعثر في أثواب نعسته لبزل صافية كالنجم في الظلم

فاستلها، وشدا، والكأس في يده: سلم على الربع من سلمى بذي سلم

لو دام لي في الورى خل وعاتقة لما حفلت بذي قربى ولا رحم

ولا بكرت إلى حلو لنائله ولا التفت إلى شيء من النعم

حدث أبو علي المحسن بن محمد بن علي قال: كان الحسن بن مخلد أكرم الناس في بذل المال، وأبخلهم بطعامه، فكان يحضر ندماؤه على مائدته، فلا يستجرئ أحد منهم أن يشعب شيئاً البتة، ويترهون أنفسهم

عند رفع المائدة بمسح أيديهم بلحاهم، وله في ذلك قصص عجيبة.

قال جحظة: ربحت بأكلة افتديتها مع الحسن ابن مخلد خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وخمسة أثواب فاخرة، وعتيدة طيبة سرية، فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: كان الحسن بن مخلد بخيلاً على الطعام، سمحاً بالمال، وكان يأخذ ندماءه بغتة، فيسقيهم النبيذ، ويؤاكلهم فمن أكل قتله قتلا، ومن شرب معه على الخسف حظي عنده، قال: فكنت عنده يوماً، فقال لي: يا أبا الحسن، قد عملت غداً على الصبوح الجاشري فبت عندي، فقلت: لا يمكنني، ولكني أباكرك قبل الوقت، فعلى أي شيء عملت أن تصطبح؟ فقال: قد أعد لنا كذا وكذا، ووصف ما تقدم به إلى الطباخ بعمله، فعقدنا الرأي أن أباكره، وقمت وجئت إلى مترلي، ودعوت طباخي فتقدمت غليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه، ويفرغ منه وقت العتمة، ففعل، ونمت، وقمت وقد مضى نصف الليل، فأكلت ما أصلح، وغسلت يدي وأسرج لي وأنا عامل على المضي إليه، إذ طرقتني رسله، فجئته، فقال. بحياتي أكلت؟ قلت. أعيذك بالله، انصرفت من عندك قبل الغروب، وهذا نصف الليل، فأي وقت أصلح لي شيء؟ أو أي وقت أكلت شيئاً؟ سل غلمانك على أي حال وجدوني، فقالوا. وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه، وهو ينتظر أن يفرغ له من إسراج بغلته ليركبها، فسر بذلك سروراً شديداً، وقدم الطعام، فما كان في فضل أشمه، فأمسكت عن تشعيبه ضرورة، وهو يستدعي أكلي، ولو أكلت أحل دمي، قال: وكذا كانت عادته، فأقول: هو ذا آكل يا سيدي أفي الدنيا أحد يأكل أكثر من هذا؟ وانقضى الأكل، وجلسنا على الشرب، فجعلت أشرب بأرطال، وهو يفرح، وعنده أني أشرب على الريق، أو على ذلك الأكل الذي جلست معه، ثم أمرني بالغناء، فغنيت، فاستطاب ذلك، وطرب، وشرب أرطالاً، فلما رأيت النبيذ قد عمل فيه، قلت: يا سيدي تطرب أنت على غنائي، فأنا على أي شيء أطرب؟ فقال: يا غلام هات دواة، فأحضرها، فكتب لي رقعة ورمى بها غلي، وإذا هي على صيرفي يعامله بخمسمائة دينار، فأخذتها وشكرته، ثم غنيته، وطرب وزاد سكره، فطلبت منه ثياباً، فخلع علي خمسة أثواب، ثم أمر أن يبخر كل ما بين يديه، فأحضرت عتيدة حسنة سرية فيها طيب كثير، فأخذ الغلمان يبخرون منها للناس، فلما انتهوا إلي، قلت: يا سيدي: وأنا أرضى أن أتبخر فحسب؟ فقال لي: ما تريد؟ قلت: أريد نصيبي من العتيدة، قال: قد وهبتها لك، فأخذتها، وشرب بعد ذلك رطلاً، واتكأ على مسورته، وكذا كانت عادته، إذا سكر، فقام الناس من مجلسه، وقمت وقد طلع الفجر وأضاء، وهو وقت يبكر الناس في حوائجهم، فخرجت كأني لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامي الثياب والعتيدة كلها، فصرت إلى مترلي ونمت نومة، ثم ركبت إلى رب عون أريد الصيرفي، فأوصلت إليه الرقعة، فقال: يا سيدي أنت لارجل المسمى في التوقيع؟ قلت: نعم، قال: أنت تعلم أن مثلنا يعاملون

للفائدة، قلت: أجل، قال: ورسمنا أن نعطى في مثل هذا ما يكسر في كل دينار درهماً، فقلت له: ليس أضايقك في هذا القدر، فقال: ما قلت هذا إلا لأربح عليك الكبير أيما أحب إليك: أن تأخذ كما يأخذ الناس، وهو ما قد عرفتك، أو تجلس مكانك إلى الظهر، حتى أفرغ من شغلي، ثم تركب معي إلى داري، فتقيم عندي اليوم والليلة تشرب، فقد والله سمعت بك، وكنت أتمنى أن أسمعك، ووقعتن الآن لي رخيصاً، فإذا فعلت هذا، دفعت إليك الدنانير من غير خسران، فقلت: أقيم عندك، فجعل الرقعة في كمه، وأقبل على شغله، فلما دنا الظهر، جاء غلامه ببغلة فارهة، فركب وركبت معه، وصرنا إلى دار سرية حسنة، بفاخر الفرش والآلات، ليس فيها إلا جوار روم للخدمة من غير فحل، فتركني في مجلسه، ودخل، ثم خرج بثياب أولاد الخلفاء من حمام داره، وتبخر وبخرني بيده بند عتيق جيد، وأكلنا أسرى الطعام وأنظفه، وقمنا إلى مجلس سري للشرب، فيه فواكه وآلات بمال، وشربنا ليلتنا، فكانت ليلتي عنده أطيب من أختها عند الحسن بن مخلد، فلما أصبحنا، أخرج كيسين، في أحدهما دنانير، وفي الأخرى دراهم، فوزن خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وقال: يا سيدي تلك ما أمرت به، وهذه الدراهم هدية مني إليك، فأخذتها وصار الصيرفي صديقي، وداره لي.

قال: وحدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي قال: حدثني أبو لعي بن الأعرابي الشاعر قال: كنت في دعوة جحظة، فأكلت، وجلسنا نشرب، وهو يغني، إذ دخل رجل فقدم إليه جحظة زلة كان زلها من طعامه ونحن نأكل، وكان بخيلاً على الطعام، قال: وكأن الرجل كان طاوياً، طاوى تسع، فأتى على الزلة، ورفع الطيفورية فارغة، وجحظة يرمقه ونحن نلمح جحظة، ونضحك، فلما فرغ، قال له جحظة: تلعب معي بالنرد قال: نعم، فوضعاه بينهما، ولعبا، فتوالى اللعب على جحظة من الرجل بأن تجيء الفصوص على ما يريد من الأعداد ويكره جحظة، فأخرج جحظة رأسه من قبة الخيش رافعاً له إلى السماء، وقال كأنه يخاطب الله جل وعز: لعمري إني أستحق هذا، لأني أشبع من أجعته.

قلت: ما أشد تباعد ما بين هبذين الخبرين، وخبر رواه التنوخي أيضاً عن أبي العباس بن المنم، قال. سمعت أبا عبد الله الموسوي العلوي يقول: قصدني أبو جعفر محمد بن يحيى شيرزاد، في أيام تدبيره الأمر، قصداً قبيحاً، وعمل لي كتابة مؤامرة في خراجاتي بمائة ألف درهم، أكثرها واجب وباقيها كالواجب، وأحضرني للمناظرة. عليها، واعتقلني في داره، فضقت ذرعاً بما نزل بي وعلمت أن المال سيلزمني إذا نوظرت، وأنه يؤثر في حالي، ويهتك جاهي، فلم أدر ما أصنع، فشاورت بعض من يختص به، فقال: طمعه فيك والله قوي، وما يفعل معه بشيء غير المال، فقلت له: ففكر في حيلة أو مخادعة، ففكر ثم قال: لا أعرف لك دواء إلا شيئاً واحداً إن سمحت به نفسك وتركت العلوية عنك وفعلت نجوت، قلت. ما

هو، قال: هو رجل سمح على الطعام، محب لأكلة مائدته، موجب لحرمته، وأرى لك، إذا وضع طعامه، أن تخرج إليه، فإنك معه في الدار، ولا يمنعك الموكلون من ذلك، فتجيء بغير إذن، فتجلس على المائدة، وتأكل وتنبسط وتخاطبه في أمرك عقيب الأكل، وتسأله، وترفق به، وتخضع له، فإنه يسامحك بأكثرها، ويقرب ما بينك وبينه، فشق ذلك علي، ثم نظرت، فإذا وزن المال أشق منه، وكان أبو جعفر لا يأكل إلا بعد المغرب في كل يوم أكلة، فلم آكل ذلك اليوم شيئاً، وراعيت مائدته، فلما وضعت، قمت، فقال الموكلون: إلى أين؟ قلت. إلى مائدة الوزير، فما قدروا أن يمنعوني، فلما رأى أبو جعفر، أكبر ذلك وتهلل وجهه وقال. ألا عندي يا سيدي، وأجلسني إلى جنبه، فأقبلت آكل وأنبسط في الأكل والحديث، إلى أن رفعت المائدة واستدعاني إلى موضعه، فغسلت يدي بحضرته، فلما فرغت، أردت أن أبتدئه بالخطاب، فقال لي: قد آذيتك يا سيدي، يا أبا عبد الله، بتأخرك عن مترلك، فامض إلى بيتك، وما أخاطبك بشيء مما في نفسي، ولا مما أردت مخاطبتك به، ولا مطالبة عليك من جهتي، بعد ما تفضلت به، فشكرته، وقلت: إن رأى سيدنا، أيده الله، أن يتمم معروفه بتسليم المؤامرة إلي، فقال: هاتموها، فما برحت إلا وهي في خفي، وانصرفت إلى مترلي وقد سقط المال بي، ولزمته للسلم، وصرت أتعمد مؤاكلته، والتخصص به، فسلمت طول أيامه، وسلم جاهي ومالي علي، إلى أن مضى لسبيله.

قلت: هذا حسن من فعله، مع عسف كان فيه بالرعية في جباية المال، لم يسبق إليها، ولا تبعه بعده أحد في مثلها، فكانت له أفعال منكرة منها: أنه استدعى العيارين وضمنهم ما يسرقونه من أموال الناس وكتب جحظة إلى أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله المشمعي، وكان قائداً جليلاً، تقلد البصرة وفارس:

إليك أبا إسحاق مني رسالة ... تزين الفتى، إن كان يعشق زينه

لقد كنت غضباناً على الدهر زاريا ... عليه، فقد أصلحت بيني وبينه

وكان أبو إسحاق هذا أديباً شاعراً، ومن شعره:

ألا طف من أجله أهله ... وكل إلي حبيب قريب

وأسأل عن غيره قبله ... لأبطل ظن الذي يستريب

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه:

قد نلتم صحة، ما نالها بشر ... وحزتم نعمة ما نالها ملك

فليت شعري أمقدار تعمدكم ... بما أتاكم به، أم وسوس الفلك

وأنشد جحظة في أماليه:

يا من دعاني وفر مني ... أخلفت والله حسن ظني

قد كنت أرضى بخبز رز ومالح أو قليل بن

وسكرة من نبيذ دبس أقام يوماً بعقر دن

فكيف يغلو بما ذكرنا مساعد شاعر مغني

وحدث جحظة في أماليه قال: كنت أشرب عند بعض إخواني بباب حرب في ناعورة ثابت في يوم مطر، ومعنا شيخ خضيب حسن البرة متصدر، فتجارينا ذكر المطر، وما جاء فيه من الخبر، فقال الشيخ: حدثوا يا سيدي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه، أبا بكر وأبا حفص وعلى النبيين السريين منكر ونكير وعلى عمرو بن العاضي قاتل الكفار يوم غدير خم وصاحب راية النبي يوم القطائف – يريد يوم الطائف – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من قطرة تترل من السماء إلا ومحا ملك يتبحا حتى يضحا في موضحا ثم يصعد ويدحا فقلت: يا شيخ فالقطر يقع في الكنيف، والملك يترل معه قال: نعم يا سيدي فيهم ما في الناس من الدناءة والخسة.

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه:

قالت أعاليه الصلب لما تثنى واضطرب

أترى جنيت جناية؟ حتى صلبت على الخشب قال جحظة في أماليه: استهديت من بعض إخواني دواة فأخرها عني، ثم اجتمعنا في مجلس أبي العباس ثعلب، فقلت لأبي العباس: ما أراد الشاعر بقوله:

أحاجيك: ما قبر عديم ترابه به معشر موتى وإن لم يكفنوا

سلوت عن التبيان مدة قبرهم فإن نبشوا يوماً من الدهر بينوا

فسكت ساعة، ثم قال: الدواة، فلما انصرفت إلى مترلي إذا الدواة قد سبقتني إليه.

قال جحظة: دعوت فضيلاً الأعرج، وكان عندنا جماعة فكتب إلينا:

أنا في منزلي، وقد رزق الل ه نديماً ومسمعاً وعقارا

فاعذروني بأن تخلفت عنكم شغل الحلي أهله أن يعارا

ومثله لغيره:

حي طيفاً من الأحبة زارا بعد أن نوم الكرى السمارا

داعياً في الوصال تحت دجى اللي ل عيوناً عن الوصال سهارى

قلت ما بالنا جفينا وكنا قبل ذاك الأسماع والأبصارا

قال :إنا كما عهدت، ولكن شغل الحلي أهله أن يعارا

قال جحظة: وسألت الحسن بن مخلد حاجة، فقال: إذا كان بعد ثلاث عرفتك، فقلت: يا سيدي تعدني أن تعدني.

قال جحظة في أماليه: كنت جالساً عند صديق لي، فجاءه رقعة من مترله، فلما نظر فيها ضرط، فحادثته ساعة واعتقلته وأخذها، وإذا فيها: قد فني الدقيق وغدا الخبزة.

وأنشد لنفسه في أماليه يقول:

يقول لي مالكي، والدمع منحدر لا خفف الله رب العرش بلواكا
وإن دعوت إليه عند معتبة، يقول قلبي له في السر: حاشاكا

وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه:

ما أنصفتني يد الزمان ولا أدركني غير حرفة الأدب
لا حفظ الله، حيثما سلكت أمي، وأير الحمار في أست أبي
ما تركا درهماً أصون به وجهي يوماً عن ذلة الطلب

أحمد بن جميل بن الحسن بن جميل أبو منصور

أديب أريب، فاضل كامل، له يد باسطة في النظم والنثر، وهو من أهل بغداد، وكان يسكن باب الأزج. ذكره أبو الفرج بن الجوزي، في مذيله على صدقة ابن الحسن، فقال: كانت له معرفة بالأدب جيدة، وله كتاب مقامات حذو الحريري، وله فضل.

ومات في شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

أحمد بن حاتم أبو نصر الباهلي

صاحب الأصمعي، روى عن الأصمعي كتبه، وقال أبو العباس محمد بن أحمد القمري الإسكافي النحوي. كان أبو نصر ابن أخت الأصمعي، وقال أبو الطيب في كتاب مراتب النحويين: زعموا أن أحمد بن حاتم كان ابن أخت الأصمعي، وليس هذا بثبت، رأيت أبا جعفر بن باسوه ينكره، وكان أثبت من عبد الرحمن، يعني ابن أخت الأصمعي، واسن، وكان يضيق على ابن الأعرابي وقد أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد، وأقام ببغداد، وربما حكى الشيء بعد الشيء عن أبي عمرو الشيباني، ومات، فيما ذكره هو وأبو عبد الله ابن الأعرابي وعمرو بن عمرو الشيباني في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقد نيف على

السبعين.

وحدث المرزباني عن أبي عمر الزاهد قال: قال ثعلب دخلت على يعقوب بن السكيت، وهو يعمل إصلاح المنطق فقال، يا أبا العباس، رغبت عن كتابي، فقلت له كتابك كبير وأنا عملت الفصيح للصبيان، ثم قال سر معي إلى أبي نصر صاحب الأصمعي، فمضيت معه فلما كنا في الطريق قال: قد سألت أبا نصر عن بيت شعر فأجابني جواباً لم أرضه، أفأعيده عليه؟ فقلت: لا تفعل فإن عنده أجوبة، وقد أجابك ببعضها، فلما دخلت عليه سأله عن البيت، فقال له: يا مؤاجر أنت وهذا وأنا قريبك حتى رموني بك، عندي عشرون جواباً في هذا، وخجل من ذلك، وخرجنا، فقلت له: لا مقام لك هاهنا، اخرج من سر من رأى، واكتب إلي بما تحتاج إليه لأسأل عنه وأعرفك إياه.

وحكي عن الأصمعي أنه كان يقول: ما يصدق علي إلا أبو نصر، وكان ثقة مأموناً.

ولأبي نصر من التصانيف: كتاب الشجر والنبات، كتاب اللبإ واللبن، كتاب الإبل، كتاب أبيات المعاني كتاب اشتقاق الأسماء، كتاب الزرع والنحل، كتاب الخيل كتاب الطير. كتاب ما يلحن فيه العامة، كتاب الجراء.

وذكره حمزة في كتاب إصبهان، قال: ولما أقدم الخصيب بن أسلم أبا محمد الباهلي صاحب الأصمعي إلى إصبهان، نقل معه مصنفات الأصمعي، وأشعار شعراء الجاهلية والإسلام مقروءة على الأصمعي، وكان قدومه إصبهان بعد سنة عشرين ومائتين فأقام أشهراً، ثم تأهب منها للحج، فدخل إلى عبد الله بن الحسن، وسأله أن يدله على رجل يسلم إليه دفاتره إلى أن يرجع، فقال له عليك بمحمد بن العباس، وكان مؤدب أولاد عبد الله بن الحسن، مقبول القول، فسلم الباهلي إليه دفاتره، وخرج، فأنسخها محمد بن عبد الله الناس، فقدم الباهلي وقامت قيامته، ودخل إلى عبد الله بن الحسن، وذكر له ما كان يأمل في دفاتره من التكسب بها، فجمع له عبد الله بن الحسن من أهل البلد عشرة آلاف درهم، ووصله الخصيب بعشرين ألفاً، فتناولها ورجع إلى البصرة.

^

الجزء الثالث

أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز

أبو جعفر، راوية أبي الحسن المدائني، والعتابي، كان راوية مكثراً، موصوفاً بالثقة، وكان شاعراً، وهو من موالي المنصور، ومات الخزاز، فيما ذكره قانع، ورواه المرزباني عنه، في ذي الحجة سنة سبع وخمسين ومائتين، وكان يترل في باب الكوفة، فدفن في مقابرها، وقيل: مات في سنة تسع وخمسين.

وذكره المرزباني في المقتبس: فقال: حدثني علي بن هارون، قال: أخبرني عبيد الله بن أحمد، بن طاهر، عن أبيه، عن محمد بن صالح، بن النطاح، مولى هاشم عن أبيه، قال: طلب المنصور رجالاً يجعلهم بوابين له، فقيل له: لا يضبطهم إلا قوم لئام الأصول، أنذال النفوس، صلاب الوجوه، ولا تجدهم إلا في رقيق اليمامة، فاشترى له مائتي غلام من اليمامة، فصير بعضهم بوابين، وبقي الباقون، فكان ممن بقي خلاد، جد أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلاد، وحسان جد إبراهيم بن عطار، جد أحمد بن الحارث الخزاز.

وقال المرزباني: أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الحسين بن إسحاق، قال: أنشدت أحمد بن الحارث شعراً للبحتري، فعاب منه شيئاً، فبلغ البحتري، فقال:

الحمد لله على ما أرى　　من قدر الله الذي يجري

ما كان ذا العالم من عالمي　　يوماً ولا ذا الدهر من دهري

يعترض الحرمان في مطلبي　　ويحكم الخزاز في شعري

وروى محمد بن داود، لأحمد بن الحارث، في إبراهيم ابن المدبر، وحاجبه بشر:

وجه جميل وصاحب صلف　　كذاك أمر الملوك يختلف

فأنت تلقى بالبشر واللطف　　وبشر يلقاهم به جنف

يا حسن الوجه والفعال ويا　　أكرم وجه سما به شرف

ويا قبيح الفعال بالحاجب ال　　غث الذي كل أمره نطف

فأنت تبني وبشر يهدمه　　والمدح والذم ليس يأتلف

وذكر أبو بكر الخطيب، فقال: كان الخزاز ذا فهم ومعرفة، صدوقاً، أسمع المدائني كتبه كلها، وهو بغدادي، روى عنه السكري، وابن أبي الدنيا، وغيرهما. وكان كبير الرأس، طويل اللحية كبيرها، حسن الوجه، كبير الفم ألثغ، خضب قبل موته لسنة خضاباً قانئاً، فسئل عن ذلك، فقال: بلغني أن منكراً ونكيراً، إذا حضرا ميتاً فرأياه خضيباً، قال منكر لنكير: تجاف عنه.

ومن سائر شعره قوله:

إني امرؤ لا أرى بالباب أقرعه　　إذا تنمر دوني حاجب الباب

ولا ألوم امرأ في رد ذي شرف ... ولا أطالب ود الكاره الآبي

ولما قتل بغا التركي باغر التركي، وهاجت الأتراك على المستعين بالله، وخافهم، وانحدر من سر من رأى إلى بغداد، في سنة إحدى وخمسين إلى مائتين في المحرم، قال أحمد بن الحارث:

لعمري لئن قتلوا باغراً ... لقد هاج باغر حرباً طحوناً
وفر الخليفة والقائدا ... ن بالليل يلتمسون السفينا
وحل ببغداد قبل الشروق ... فحل بهم منه ما يكرهونا
فليت السفينة لم تأتنا ... وغرقها الله والراكبينا

هي قصيدة يذكر فيها الحرب وصفتها.

وقال أحمد بن الحارث، في بشر حاجب إبراهيم ابن المدبر:

قد تركناك لبشر ... وتركنا لك بشرا

وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه، وقال: له من الكتب: كتاب المسالك والممالك. كتاب أسماء الخلفاء، وكتابهم، والصحابة. كتاب مغازي البحر في دولة بني هاشم، وذكر أبي حفص صاحب أقريطش. كتاب القبائل. كتاب الأشراف. كتاب ما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه، كتاب أبناء السراري. كتاب نوادر الشعراء. كتاب مختصر كتاب البطون. كتاب مغازي النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه وأزواجه. كتاب أخبار أبي العباس. كتاب الأخبار والنوادر. كتاب شحنة البريد. كتاب النسب. كتاب الحلائب والرهان. كتاب جمهرة نسب الحارث بن كعب، وأخبارهم في الجاهلية.

أحمد بن الحسنالسكوتي

بن إسماعيل أبو عبد الله السكوتي الكندي النسابة، كان له اختصاص بالمكتفي، ثم بالمقتدر.

ذكره أبو الحسن، محمد بن جعفر بن النجار، الكوفي، في تاريخ الكوفة، وقال: إنه كان ممن أخذ عن ثعلب الأدب، وكان مليح المجلس، حسن الترسل، ممكناً من نفسه، هذا لفظ ابن النجار بعينه.

وحكى ابن النجار، عن أبي عبد الله قال: قال ابن عبدة النساب: ما عرف النساب أنساب العرب على حقيقة، حتى قال الكميت النزاريات، فأظهر بها علماً كثيراً، ولقد نظرت في شعره، فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيامها.

قال أبو عبد الله: فلما سمعت هذا، جمعت شعره، فكان عوني على التصنيف لأيام العرب.

ورأيت أنا لأبي عبد الله كتاباً في أسماء مياه العرب، ونقلته غير تام:

أحمد بن الحسن، بن القاسم،

بن الحسن، أبو علي أبو بكر، يلقب الفلكي، جد أبي الفضل الفلكي الحافظ الهمذاني.
قال شيرويه: روى عن الحسن بن الحسين التميمي، وأبي الحسن، علي بن الحسن، بن سعد البزاز، وأبي بكر، عمر بن سهل الحافظ، روى عنه ابناه أبو عبد الله الحسين، وأبو الصقر الحسن.
قال: وكان إماماً جامعاً في كل فن، عالماً بالأدب، والنحو، والعروض، وسائر العلوم، وخصوصاً في علم الحساب، فإنه كان يقال له: الحاسب، ولذلك لقب بالفلكي، وكان هيوباً، ذا حشمة ومترلة عند الناس.
مات في ذي القعدة، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وهو ابن خمس وثمانين سنة.

أحمد بن الحسن، بن محمد، بن اليمان

ابن الفتح، الديناري، أبو عبد الله، رجل أديب، إلا أن الغالب عليه الخط، وذكرنا له، إنما هو لحسن خطه، الذي بلغ فيه الغاية.
وقال أبو الوزير عميد الدولة، أبو سعد بن عبد الرحيم، في أخبار ابنه عبد الجبار، بن أحمد: وكان والده أبو عبد الله الديناري مقدماً مكرماً، يزور بحسن خطه على أبي عبد الله بن مقلة، تزويراً لا يكاد يفطن له، وله ولد أديب، يقال له: أبو يعلى عبد الجبار، ذكر في بابه.

أحمد بن الحسين، يعرف بابن شقير

أبو بكر، هو أحمد بن الحسين، بن العباس، بن الفرج، النحوي، أخذ عن أحمد بن عبيد بن ناصح، وكان مشهوراً برواية كتب الواقدي، عن أحمد بن عبيد عنه. ومات في صفر سنة سبع عشرة وثلاثمائة، في خلافة المقتدر، وهو في طبقة أبي بكر بن السراج، وله تصانيف، منها: كتاب مختصر في النحو. كتاب المقصور والممدود. كتاب المذكر والمؤنث.
قرأت في كتاب ابن مسعدة: أن الكتاب الذي ينسب إلى الخليل، ويسمى الجمل، من تصانيف ابن شقير هذا. قال: يقول فيه: النصب على أربعين وجهاً.

أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ

أبو بكر النيسابوري، قال الحافظ أبو القاسم: أصله من أصبهان، سكن نيسابور.

قال الحاكم: هو إمام عصره في القراءات، وأعبد من رأينا من القراء، وكان مجاب الدعوة. مات في السابع

والعشرين من شوال، سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وهو يوم مات ابن ست وثمانين سنة، وصلينا عليه في ميدان الطاهرية، وتوفي في ذلك اليوم، أبو الحسن العامري، صاحب الفلسفة.

قال الحاكم: فحدثني عمر بن أحمد الزاهد، قال: سمعت الثقة من أصحابنا، يذكر أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن مهران – رحمه الله – في المنام، في الليلة التي دفن فيها، قال: فقلت. أيها الأستاذ ما فعل الله بك؟ فقال: إن الله عز وجل، أقام أبا الحسن العامري بحذائي، وقال: هذا فداؤك من النار.

ثم ذكر الحاكم بإسناد رفعه إلى أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يوم القيامة، أعطى الله كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار، فيقول: هذا فداؤك من النار". وهذا الخبر إذا قرن بالرؤيا، صار من براهين الشرع.

قال الحاكم: سمع ابن مهران بنيسابور، أبا بكر بن محمد، بن إسحاق، بن خزيمة، وأبا العباس السراج الثقفي، وأبا العباس الماسرجسي. وله من التصانيف: كتاب الشامل، كتاب الغاية، كتاب قراءة أبي عمرو، كتاب غرائب القرآن، كتاب وقوف القرآن، كتاب الانفراد، كتاب شرح المعجم، كتاب شرح التحقيق، كتاب اختلاف عدد السور، كتاب رؤوس الآيات، كتاب الوقف والابتداء، كتاب قراءة عبد الله بن عمرو، كتاب علل كتاب المبسوط، كتاب آيات القرآن، كتاب الاتفاق والانفراد، كتاب المقطع والمبادئ.

قال الحاكم: سمعت أبا بكر بن مهران يقول: قرأت على أبي علي، محمد بن أحمد، بن حامد، الصفار المقرئ، القرآن من أوله إلى آخره، وقال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره، على أبي بكر، محمد بن سليمان، بن موسى الهاشمي ببغداد، قال: قرأت على قنبل بن عبد الرحمن، بن محمد ابن خالد، بن سعيد، بن خرجة المكي. وقال: قرأت على أبي الحسن النبال، وأخبرني أنه قرأ على ابن الإخريط وهب بن واضح، وقرأ ابن الإخريط، على إسماعيل بن عبد الله، بن قسطنطين، وقرأ ابن قسطنطين، على شبل بن عباد، ومعروف بن مسكان، فأخبراه أنهما قرأا على عبد الله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الحاكم: ومحمد بن الحسين، بن مهران الأديب، الفقيه الكاتب، أخو أبي بكر، سمع عبد الله بن شيرويه وأقرانه، وسمع الكتب من أبي بكر، محمد بن إسحاق، ابن خزيمة وأقرانه. ومات في شعبان، سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وهو ابن نيف وثمانين سنة.

أحمد بن أبي خالد، أبو سعيد الضرير

البغدادي، رأيت في فوائد أبي الحسين، أحمد بن فارس، بن زكريا اللغوي، صاحب كتاب المجمل ما صورته: وجدت في تفسير أبي موسى، محمد بن المثنى العتري، ولم أسمعه، حدثني أبو معاوية الضرير، محمد بن حازم، حدثنا إسماعيل، روى عن أبي صالح، هكذا أسماه، وقد سماه السلامي، كما ذكرناه في الترجمة، والذي ترجمناه أصح، لأني رأيته في مواضع أخر موافقاً له، والله أعلم.

قال الأزهري: كان طاهر بن عبد الله، بن طاهر، استقدمه من بغداد إلى خراسان، وقام بنيسابور وأملى بها المعاني، والنوادر، ولقي أبا عمرو الشيباني، وابن الأعرابي، وكان يلقي الأعراب الفصحاء، الذين استوردهم ابن طاهر نيسابور، فيأخذ عنهم، وكان شمر، وأبو الهيثم يوثقانه.

ونقلت من كتاب نتف الطرف، تأليف أبي علي الحسين، بن أحمد السلامي، صاحب كتاب ولاة خراسان، وقد ذكرناه في بابه، قال: خرج أبو سعيد الضرير، عن أبي عبيد، من غريب الحديث جملة مما غلط فيه، وأورد في تفسيره فوائد كثيرة، ثم عرض ذلك على عبد الله بن عبد الغفار، وكان أحد الأدباء، فكأنه لم يرضه، فقال لأبي سعيد: ناوني يدك، فناوله يده، فوضع الشيخ في كفه متاعه، وقال: اكتحل بهذا يا أبا سعيد، حتى تبصر، فكأنك لا تبصر، ثم قال: سمعت أبا جعفر، محمد بن سليمان الشرمقاني قال: سمعت أبا سعيد الضرير يقول، كان يقال: إذا أردت أن تعرف خطأ أستاذك فجالس غيره، وله تصانيف: منها كتاب الرد على أبي عبيد في غريب الحديث، وكتاب الأبيات.

قال السلامي: حدثني أبو العباس، محمد بن أحمد الغضاري، قال: حدثني عمي محمد بن الفضل، وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة، قال: لما قدم عبد الله بن طاهر نيسابور، وأقدم معه جماعة من فرسان طرسوس وملطية، وجماعة من أدباء الأعراب، منهم عرام، وأبو العميثل، وأبو الميسجور، وأبو العجنس، وعوسجة، وأبو الغدافر وغيرهم، فتفرس أولاد قواده وغيرهم بأولئك الفرسان، وتأدبوا بأولئك الأعراب، وبهم تخرج أبو سعيد الضرير، واسمه أحمد بن خالد، وكان وافى نيسابور مع عبد الله ابن طاهر، فصار بهم إماماً في الأدب، وقد كان صحب بالعراق أبا عبد الله، محمد بن زياد الأعرابي، وأخذ عنه، فبلغ ابن الأعرابي، أن أبا سعيد يروى عنه أشياء كثيرة مما يفتي فيه، فقال لبعض من لقيه من الخراسانية: بلغني أن أبا سعيد يروي عني أشياء كثيرة، فلا تقبلوا منه ذلك، غير ما يرويه من أشعار العجاج ورؤبة، فإنه عرض ديوانهما علي وصححه.

وحدث عن الغضاري، عن عمه قال: اختصم بعض الأعراب اللذين كانوا مع عبد الله بن طاهر، في علاقة بينهم إلى صاحب الشرطة بنيسابور، فسألهم بينة وشهوداً يعرفون، فأعجزهم ذلك: فقال أبو العيسجور:

إن يبغ منا شهوداً يشهدون لنا | فلا شهود لنا غير الأعاريب
وكيف يبغي بنيسابور معرفة | من داره بين أرض الحزن واللوب

قرأت بخط عبد السلام الصري، في كتاب محمد بن أبي الأزهر. قال: حدثني وهب بن إبراهيم، خال عبيد الله، بن سليمان ابن وهب، قال: كنا يوماً بنيسابور في مجلس أبي سعيد العفوف، وكان أبو سعيد عالماً باللغة جداً، إذ هجم علينا مجنون من أهل قم، فسقط على جماعة من أهل المجلس، فاضطرب الناس لسقطته، ووثب أبو سعيد، لا يشك أن آفة لحقتنا من سقوط جدار، أو شرود بهيمة، فلما رآه المجنون على تلك الحال، قال: الحمد لله رب العالمين، على رسلك، يا شيخ لا ترع، آذاني هؤلاء الصبيان، وأخرجوني عن طبعي، إلى ما لا أستحسنه من غيري، فقال أبو سعيد: امتنعوا عنه عافاكم الله، فوثبنا وشردنا من كان ورجعنا، فسكت ساعة لا يتكلم، إلى أن عدنا إلى ما كنا فيه من المذاكرة، وابتدأ بغضنا بقراءة قصيدة من شعر نهشل بن جرير التميمي، حتى بلغ قوله:

غلامان خاضا الموت من كل جانب | فآبا ولم يعقد وراءهما يد
متى يلقيا قرناً فلا بد أنه | سيلقاه مكروه من الموت أسود

فما استتم هذا البيت حتى قال: قف يا أيها القارئ، تتجاوز المعنى ولا تسأل عنه، ما معنى قوله: و لم وراءهما يد؟ فأمسك من حضر عن القول، فقال: قل يا شيخ، فإنك المنظور إليه، والمقتدى به، فقال أبو سعيد: يقول: إنهما رميا بأنفسهما في الحرب أقصى مراميها، ورجعا موفورين لم يؤسرا، فتعقد أيديهما كتفاً، فقال: يا شيخ، أترضى لنفسك بهذا الجوب؟ فأنكرنا ذلك على المجنون، فنظر بعضنا إلى بعض، فقال أبو سعيد: هذا الذي عندنا، فما عندك؟ فقال: المعنى يا شيخ، آبا، و لم تعقد يد بمثل فعلهما بعدهما، لأنهما فعلا ما لم يفعله أحد، كما قال الشاعر:

قرم إذا عدت تميم معاً | ساداتها عدوه بالخنصر
ألبسه الله ثياب الندى | فلم تطل عنه ولم تقصر

أي خلقت له، وقريب من الأول قوله:

قومي بنو مذحج من خير الأمم | لا يصعدون قدماً على قدم

يعني أنهم يتقدمون الناس، ولا يطئون على عقب أحد، وهذان فعلا ما لم يعطه أحد، فلقد رأيت أبا سعيد وقد احمر وجهه، واستحيا من أصحابه، ثم غطى المجنون رأسه، وخرج وهو يقول: يتصدرون ويغرون الناس من أنفسهم، فقال أبو سعيد بعد خروجه: اطلبوه، فإني أظنه إبليس، فطلبناه فلم نظفر به.
قال الشافعي: حدثني أبو جعفر الشرمقاني قال: كان أبو سعيد الضرير مثرياً ممسكاً، لا يكسر رأس

رغيف له، إنما يأكل عند من يختلف إليهم، لكنه كان أديب النفس، عاقلاً.

حضر يوماً مجلس عبد الله بن طاهر، فقدم إليه طبق عليه قصب السكر، وقد قشر وقطع كاللقم، فأمره عبد الله ابن طاهر أن يتناول منه، فقال أبو سعيد: إن لهذا لفاظة ترتجع من الأفواه، وأنا أكره ذلك في مجلس الأمير، – أيده الله – فقال عبد الله: تناول، فليس بصاحبك من احتشمك واحتشمته، أما إنه لو قسم عقلك على مائة رجل، لصار كل رجل منهم عاقلاً، وقيل: إن هذا الكلام جرى بين الضرير، وبين أبي دلف في مجلسه. وحدث قال: حدثني الغضاري قال: كان أبو سعيد الضرير، يختار المؤدبين لأولاد قواد عبد الله بن طاهر، ويبين مقدار أرزاقهم، ويطوف عليهم، ويتعهد من بين أيديهم من أولئك الصبيان، فاستقبله يوماً في ميدان الحسين بعض أولئك المؤدبين، فقال له: يا فلان، من أين وجهك؟ قال: من شاذياخ. قال زد فيه ألفاً ولاماً، فقال من شاذيا خال، فقال أبو سعيد: اللهم غفراً، زدهما في أول الحرب، ويلك، فقال: ألف لام شاذياخ، فقال صم صداك، كم رزقك؟ قال سبعين درهماً، فقال: يصرف ويبدل به غيره، وهو صاغر صد.

وحدث الحاكم في كتاب نيسابور: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت أبي يقول: لما قلد المأمون عبد الله بن طاهر ولاية خراسان، سنة سبع عشرة ومائتين، وناوله العهد بيده قال: حاجة يا أمير المؤمنين، قال: مقضية، قال: يسعفني أمير المؤمنين في استصحاب ثلاثة من العلماء، قال: من هم؟ قال: الحسين ابن الفضل البجلي، وأبو سعيد الضرير، وأبو إسحاق القرشي. فأجابه إلى ذلك، فقال عبد الله: وطبيب يا أمير المؤمنين، فليس في خراسان طبيب حاذق. قال: من؟ قال: أيوب الرهاوي. فقال يا أبا العباس: لقد أسعفناك بما التمسته. قود أخليت العراق من الأفراد، قال: فقدم الحسن بن الفضل بنيسابور، وابتاع بها داراً مشهورة بباب غزرة، فبقي يعلم الناس العلم، ويفتي، إلى أن مات في شعبان، سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وهو ابن مائة سنة وأربع سنين، ودفن في مقبرة الحسين ابن معاذ، قال: ولو كان في بني إسرائيل لكان من عجائبهم، يعني الحسين بن الفضل. ذكر ذلك كله في ترجمة الحسين بن الفضل.

قرأت بخط الأزهري من كتاب نظم الجمان للمنذري، سمعت أبا عبد الله المعقلي المزني يقول: سمعت أبا سعيد الضرير يقول: كنت أعرض على ابن الأعرابي أصول الشعر، أصلاً أصلاً، وعرض عليه – وأنا أحضر – شعر الكميت في المجالس التي كان يحضرها، قال: فحفظته بعضره، وحفظت النكت التي أفاد فيها، فقال لي ابن الأعرابي يوماً: لم تعرض عليّ فيما عرضت شعر الكميت، فقلت له: عرضه عليك فلان فحفظته بعرضه، وحفظت ما أفدت فيه من الفوائد والنكت والمعاني، وجعلت أنشده، وأعرفه من تلك

النكت، فعجب.

وقال أبو سعيد الضرير: سألني أبو دلف عن بيت امرئ القيس:

كبكر المقاناة البياض بصفرة

قال: أخبرني عن البكر، هي المقاناة أم غيرها؟ قال: قلت هي هي: قال: أفيضاف الشيء إلى صفته؟ قلت: نعم، قال: وأين؟ قلت: قد قال الله تعالى: "ولدار الآخرة" فأضاف الدار إلى الآخرة، وهي هي بعينها، والدليل على ذلك، أنه قال في سورة أخرى: "وللدار الآخرة" قال: أريد أشفى من هذا؟ فأنشدته لجرير:

يا ضب إن هوى القيون أضلكم   كضلال شيعة أعور الدجال

أحمد بن داود بن وتند

أبو حنيفة الدينوري، أخذ عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت. وكان نحوياً لغوياً، مهندساً منجماً حاسباً، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه. مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وجدت ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه، ووجدت في كتاب عتيق: مات أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري. قبل سنة تسعين ومائتين، ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المسبح، بكتاب النبات، من تصنيف أبي حنيفة، توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، ليلة الاثنين، لأربع بقين من جمادى الأولى، سنة ثمانين ومائتين، ووجدت في كتاب الوفيات، لأبي عبد الله محمد بن سفيان بن هارون، بن بنت جعفر، بن محمد الفريابي البغدادي، مات أبو حنيفة أحمد بن داود، بن وتند، صاحب كتاب النبات، في سنة إحدى وثمانين ومائتين.

قال أبو حيان في كتاب تقريظ الجاحظ: ومن خطه الذي لا أرتاب فيه نقلت، قال: قلت لأبي محمد الأندلسي، يعني عبد الله بن حمود الزبيدي، وكان من عدد أصحاب السيرافي، وله في هذا الكتاب ذكر، قد اختلفت أصحابنا في مجلس أبي سعيد السيرافي، في بلاغة الجاحظ، وأبي حنيفة صاحب النبات، ووقع الرضا بحكمك، فما قولك؟ فقال أنا أحقر نفسي عن الحكم لهما وعليهما، فقال: لابد من قول. قال: أبو حنيفة أكثر ندارة، وأبو عثمان أكثر حلاوة، ومعاني أبي عثمان لائطة بالنفس، سهلة في السمع، ولفظ أبي حنيفة أعذب وأغرب، وأدخل في أساليب العرب، قال أبو حيان: والذي أقول وأعتقد وآخذ به، وأسنهم عليه، أني لم أجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة: لو اجتمع الثقلان على تقريظهم، ومدحهم، ونشر فضائلهم، في أخلاقهم وعلمهم، ومصنفاتهم ورسائلهم، مدى الدنيا إلى أن يأذن الله بزوالها، لما بلغوا آخر

ما يستحقه كل واحد منهم، أحدهم: هذا الشيخ، الذي أنشأنا له هذه الرسالة، وبسببه جشمنا هذه الكلفة، أعني أبا عثمان، عمرو بن بحر. والثاني: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، فإنه من نوادر الرجال، جمع بين حكمة الفلاسفة، وبيان العرب، له في كل فن ساق وقدم، ورواء وحكم، وهذا كلامه في الأنواء، يدل على حظ وافر من علم النجوم، وأسرار الفلك، فأما كتابه في النبات فكلامه فيه، في عروض كلام آبدي بدوي، وعلى طباع أفصح عربي، ولقد قيل لي: إن له في القرآن كتاباً، يبلغ ثلاثة عشر مجلداً، ما رأيته، وإنه ما سبق إلى ذلك النمط، هذا مع ورعه وزهده، وجلالة قدره، وقد وقف الموفق عليه، وسأله وتحفى به. والثالث: أبو زيد أحمد بن سهل البلخي، فإنه لم يتقدم له شبيه في الأعصر الأول، ولا يظن أنه يوجد له نظير في مستأنف الدهر، ومن تصفح كلامه في كتاب أقسام العلوم، وفي كتاب أخلاق الأمم، وفي كتاب نظم القرآن، وفي كتاب اختيار السير، وفي رسائله إلى إخوانه، وجوابه عما يسأل عنه، ويبده به، علم أنه بحر البحور، وأنه عالم العلماء، وما رئي في الناس، من جمع بين الحكمة والشريعة سواه، وإن القول فيه لكثير، ولو تناصرت إلينا أخبارهما، لكنا نحب أن نفرد لكل واحد منهما تقريظاً مقصوراً عليه، وكتاباً منسوباً إليه، كما فعلت بأبي عثمان.

قرأت في كتاب ابن فرجة: المسمى بالفتح، على أبي الفتح، في تفسير قول المتنبي:

فدع عنك تشبيهي بما وكأنه ... فما أحد فوقي وما أحد مثلي

وقال فيه: ما لم يرضه ابن فرجة، ونسبه إلى أنه سأل عنه أبا الطيب، فأجاب بهذا الجواب، فأورد ابن فرجة هذه الحكاية: زعموا أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائراً لعيسى ابن ماهان، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه، قال له عيسى: أيها الشيخ، ما الشاة المثمة، التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها؟ فقال هي الشاة القليلة اللبن، مثل اللجبة. فقال: هل من شاهد؟ قال: نعم قول الراجز:

لم يبق من آل الحميد نسمه ... إلا عنيز لجبة مجثمهْ

فإذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري، فلما دخل، قال له: أيها الشيخ، ما الشاة المجثمة، التي نهينا عن أكل لحمها؟ فقال: هي التي جثمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها، فقال: كيف تقول؟ وهذا شيخ العراق، يعني أبا العباس المبرد يقول: هي مثل اللجبة، وهي القليلة اللبن، وأنشده البيتين، فقال أبو حنيفة: أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة، إن كان هذا التفسير، سمعه هذا الشيخ أو قرأه، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه، فقال: صدق الشيخ أبو حنيفة، فإنني أنفت أن أرد عليك من العراق، وذكري ما قد شاع، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه، فاستحسن منه هذا الإقرار، وترك البهت قال ابن فرجة: وأنا أحلف

بالله العلي، إن كان أبو الطيب قط سئل عن هذا البيت، فأجاب هذا الجواب، الذي حكاه ابن جني، وإن كان إلا متزيداً مبطلاً فيما يدعيه، - عفا الله عنه، وغفر له - فالجهل والإقرار به أحسن من هذا، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: وله من الكتب المصنفة: كتاب الباه، كتاب ما يلحن فيه العامة، كتاب الشعر والشعراء، كتاب الفصاحة، كتاب البحث في حساب الهند، كتاب الجبر والمقابلة، كتاب البلدان كبير، كتاب النبات، لم يصنف في معناه مثله، كتاب الرد على لغزة الأصفهاني، كتاب الجمع والتفريق، كتاب الأخبار الطوال، كتاب الوصايا، كتاب نوادر الجبر، كتاب إصلاح المنطق، كتاب القبلة والزوال، كتاب الكسوف، قال أبو حيان: وله كتاب في تفسير القرآن.

أحمد بن رشيق الأندلسي

الكاتب أبو العباس، ذكره الحميدي وقال: كان أبوه من موالي بني شهيد، ونشأ هو بمرسية، وانتقل إلى قرطبة، وطلب الأدب وبرز فيه، وبسق في صناعة الرسائل، مع حسن الخط المتفق على نهايته، وتقدم فيهما وشارك في سائر العلوم، ومال إلى الفقه والحديث، وبلغ من رياسة الدنيا أبلغ منزلة، وقدمه الأمير الموفق أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري على كل من في دولته، لأسباب أكدت له ذلك عنده، من المودة والثقة، والنصيحة والصحبة في النشأة، وكان ينظر في أمور الجهة التي كان فيها نظر العدل والسياسة، ويشتغل بالفقه والحديث، ويجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم، ويصلح الأمور جهده، وما رأينا من أهل الرياسة من يجري مجراه، من هيبة مفرطة، وتواضع وحلم عرف به، مع القدرة، مات بعد الأربعين وأربعمائة، عن سن عالية، وله كتاب رسائل مجموعة متداولة، منها رسالة إلى أبي عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج نجح الفاسي، وأبي بكر بن عبد الرحمن فقيهي القيروان في الإصلاح بينهما، وكتاب على تراجم كتاب الصحيح للبخاري، ومعاني ما أشكل منه، وقد رأيته غير مرة إذا غضب في مجلس الحكم أطرق ثم قام، و لم يتكلم بين اثنين، فظننته كان يذهب إلى حديث أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحكم حاكم بين اثنين وهو غضبان" وظننت أن قيامه عند الغضب شيء ما سبق إليه، حتى رأيت بعض المصنفين القدماء قد حكى عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال: إنما غضبي في نعلي، إذا سمعت ما أكره أخذتهما ومضيت.

أ؛مد بن رضوان أبو الحسن

النحوي، أظنه ممن أخذ النحو عن أصحاب أبي علي الفارسي.

أحمد بن زهير أبو خيثمة

هو أبو بكر، أحمد بن أبي خيثمة، زهير بن حرب، ابن شداد، النسائي الأصل، سمع أبا نعيم الفضل ابن دكين، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وأخذ علم النسب عن مصعب بن عبد الله الزبيري، وأيام الناس عن أبي الحسن المدائني، والأدب عن محمد بن سلام الجمحي، ومات في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين، في خلافة المعتمد على الله، عن أربع وتسعين سنة، ذكر ذلك كله الخطيب، قال: وله كتاب التاريخ الذي أحسن تصنيفه، وكثر فائدته، قال: ولا أعرف أغزر فوائد من كتاب التاريخ الذي ألفه أحمد بن خيثمة، وكان لا يرويه إلا على الوجه، فسمعه منه الشيوخ الأكابر، كأبي القاسم البغوي ونحوه، قال: واستعار أبو العباس ابن محمد بن إسحاق السراج من أبي بكر بن أبي خيثمة شيئاً من التاريخ، فقال: يا أبا العباس علي يمين أن لا أخذت بهذا الكتاب إلا على الوجه، فقال أبو العباس وعلي عزيمة أن لا أكتب إلا ما اشتهيه فرده عليه، و لم يحدث في تاريخه عنه بحرف، وأنشد الخطيب لابن أبي خيثمة:

قالوا اهتجارك من تهواه تسلاه فقد هجرت فما لي لست أسلاه

من كان لم ير في هذا الهوى أثراً فليلقني ليرى آثار بلواه
من يلقني يلق مرهوناً بصبوته متيماً لا يفك الدهر قيداه
متيم شفه بالحب مالكه ولو يشاء الذي أدواه داواه

قال الخطيب: وكان ابن أبي خيثمة كبير الكتاب، أكثر الناس عنه السماع.

في كتاب الفرغاني: أنه مات سنة سبع وتسعين، قال: وفي آخر شوال مات ابن أبي خيثمة صاحب التاريخ من سكتة، وكانت له معرفة بأخبار الناس وأيامهم، وله مذهب، كان الناس ينسبونه إلى القول بالقدر، وكان مختصاً بعلي بن عيسى.

أحمد بن سعد أبو الحسين الكاتب

ذكره حمزة في أهل أصبهان، فقال ندب في أيام القاهر بالله إلى عمل الخراج أبو الحسين أحمد بن سعد، فورد أصبهان غرة جمادى الأولى، سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وعزل عنها أبو علي بن رستم في جمادى الآخرة من هذه السنة، ثم قدم أبو الحسين بن سعد من فارس متقلداً لتدبير البلد، وعمل الخراج، من قبل الأمير علي ابن بويه، يعني عماد الدولة، في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ثم صرف في سنة أربع وعشرين. قال: ثم رد جباية الخراج في أربع وعشرين إلى أبي القاسم سعد بن أحمد بن سعد، قال ثم إن أبا الحسين عزل في شوال من هذه السنة، لم يذكره بعد ذلك، وعد فضلاء أصبهان من

أصحاب الرسائل، ثم قال: وأما أبو مسلم محمد، وأبو الحسين أحمد بن سعد، فقد استغنينا بشهرة هذين وبعد صوتهما في كور المشرق والمغرب، وعند كتاب الحضرة، وإجماع أهل الزمان على فضلهما عن وصفهما، وعامة الرسائل لهما، ثم ذكره في المصنفين فقال: له من الكتب، كتاب الاختيار من الرسائل، لم يسبق إلى مثله، وكتاب آخر في الرسائل، سماه فقر البلغاء، وكتاب الحلي والثياب، وكتاب المنطق، وكتاب الهجاء، قرأت في كتاب عتيق.

حدثني شيخ كبير قال: تنبأ في مدينة أصبهان رجل في زمن أبي الحسين بن سعد، فأتي به، وأحضر العلماء والعظماء والكبراء كلهم فقيل له من أنت؟ فقال: أنا نبي مرسل، فقيل له: ويلك: إن لكل نبي آية، فما آيتك وحجتك؟ فقال: ما معي من الحجج لم يكن لأحد قبلي من الأنبياء والرسل، فقيل له: أظهرها: فقال: من كان منكم له زوجة حسناء، أو بنت جميلة، أو أخت صبيحة، فليحضرها إلي أحبلها بابن في ساعة واحدة، فقال أبو الحسين بن سعد: أما أنا فأشهد أنك رسول، وأعفني من ذلك، فقال له رجل: نساء ما عندنا: ولكن عندي عنز حسناء، فأحبلها لي: فقام يمضي، فقيل له إلى أين؟ قال أمضي إلى جبرائيل وأعرفه أن هؤلاء يريدون تيساً، ولا حاجة بهم إلى نبي، فضحكوا منه وأطلقوه وأنشد للإصبهاني أبي الحسين هذا أشعاراً منها في جواب معمى:

رماني أخ أصفي له الود جاهداً ومن يتطوع بالمودة يحمد
بداهبة تعيي على كل عالم بوجه المعمى بالصواب مؤيد
وحمل سرب الوحش والطير سره وأرسلها تكرا ببيداء قردد
فانهضت قلبي وهو في نفس جارح ومن يغد يوماً بالجوارح يصطد
فحاش لي الصنفين من بين أرنب يقود الوحوش طائعات وهدهد
يسوق لنا أسراب طير تتابعت على نسق مثل الجمان المنضد
ومزقتها بالزجر حتى تحولت وعادت عباديداً بشمل مبدد
وراوضتها بالفكر حتى تذللت فمن مسمح طوعاً ومن متجلد
فأخرجت السر الخفي وأنشدت قريض رهين بالصبابة ذي دد
وإني وإياها لكالخمر والفتى متى يستطع منها الزيادة يزدد

وله في الفضل محمد بن الحسين بن العميد:

البين أفردني بالهم والكمد والبين جدد حر الثكل في كبدي

فارقت من صار لي من واحدي عوضاً ... يا رب لا تجعلنها فرقة الأبد

أمسك حشاشة نفسي أن يطيف بها ... كيد من الدهر بعد الفقد للولد

لا في الحياة فإني غير مغتبط ... بالعيش بعد انقصاف الظهر والعضد

بل ابق لي الخلف المأمول حيطته ... على عيال وأطفال ذوي عدد

من أن يروا ضيعة في عرصة البلد ... وأن يروا نهزة في كف مضطهد

ربي رجائي وحسب المرء معتمداً ... نجل العميد وصنع الواحد الصمد

وله إلى أبي الحسين بن لرة، في مملوك له أسود كان تبناه:

حذر فديتك بشرى من تبرزه ... إني أخاف عليه لفعة العين

إذا بدت لك منه طرة سبلت ... على الجبين وتحريف كنونين

حسبت بدراً بدا تما فأكلفه ... غمامة نشرت في الأرض ثوبين

كأنما خط في أصداغه قلم ... بالحبر خطين جاءا نحو قوسين

لكن ذلك منه غير دافعه ... عن القبول وعن بعد من الشين

وهذه قطعة شعر لأبي الحسين بن سعد على أربع قواف كلما أفردت قافية كان شعراً برأسه إلى آخر الأبيات.

وبلدة قطعتها بضامر ... خفيدد عيرانة ركوب

وليلة سهرتها لزائر ... ومسعد مواصل حبيب

وقينة وصلتها بطاهر ... مسود ترب العلا نجيب

إذا غوت أرشدتها بخاطر ... مسدد وهاجس مصيب

وقهوة باكرتها لفاجر ... ذي عتد، في دينه وروب

سورتها كسرتها بماطر ... مبرد من جمة القليب

وحرب خصم بختها بكائر ... ذي عدد في قومه مهيب

معوداً بل سفتها بباتر ... مهند يفري الطلى رسوب

وكم حظوظ نلتها من قادر ... ممجد بصنعة القريب

كافية إذ شكرتها في سامر ومشهد للملك الرقيب

أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي

أبو الحسن، نزل ببغداد، وحدث عن الزبير بن بكار بالموفقيات وغيرها من مصنفاته، وكان مؤدب ولد المعتز، واختص بعبد الله بن المعتز، روى عنه إسماعيل الصفار وغيره، وكان صدوقاً، مات سنة ست وثلاثمائة، ذكره المرزباني في كتابه، فقال: أبو بكر محمد ابن القاسم الأنباري: حدثني أحمد بن سعيد، قال: كنت أؤدب أولاد المعتز، فتحمل أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري على قبيحة أم المعتز بقوم سألوها أن تأذن له في أن يدخل إلى ابن المعتز وقتاً من النهار، فأجابت أو كادت تجيب، فلما اتصل الخبر بي جلست في منزلي غضبان مفكراً لما بلغني عنها، فكتب إلي أبو العباس عبد الله بن المعتز، وله ثلاث عشرة سنة.

أصبحت يا ابن سعيد حزت مكرمة عنها يقصر من يحفى وينتعل
سربلتني حكمة قد هذبت شيمي وأججت غرب ذهني فهو مشتعل
أكون إن شئت قسا في خطابته أو حارثاً وهو يوم الفخر مرتجل
وإن أشأ فكزيد في فرائضه أو مثل نعمان ما ضاقت بي الحيل
أو الخليل عروضياً أخا فطن أو الكسائي نحوياً له علل
تغلي بداهة ذهني في مركبها كمثل ما عرفت آبائي الأول
وفي فمي صارم ما سله أحد من غمده فدرى ما العيش والجذل
عقباك شكر طويل لا نفاد له تبقى معالمه ما أطت الإبل

قس: هو ابن ساعدة الإيادي، والحارث بن حلزة، كان ارتجل قصيدة آذنتنا ببينها، وزيد بن ثابت الأنصاري، والنعمان: أبو حنيفة، صاحب الرأي والفقه، وحدث أيضاً قال: كتب ابن المعتز إلى أحمد بن سعيد الدمشقي واباً عن كتاب استزاده فيه: قيد نعمتي عندك بمثل ما كنت استدعيتها به، وذب عنها أسباب الظن، واستدم ما تحب مني، بما أحب منك.

وكتب ابن المعتز إلى الدمشقي، جواباً عن اعتذار كان من الدمشقي، في شيء بلغ ابن المعتز عنه: والله لا قابل إحسانك مني كفر، ولا تبع إحساني إليك من فلك مني يد لا أقبضها عن نفعك، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك، ما يسخطني فإني أصون وجهك عن ذل الاعتذار.

أحمد بن سعيد بن شاهين

البصري، أبو العباس، هو أحمد بن سعيد بن شاهين ابن علي بن ربيعة: ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال هو من أهل الأدب، وله من الكتب: كتاب ما قالته العرب، وكثر في أفواه العامة.

أحمد بن سعيد بن حزم

الصدفي الأندلسي المنتجيلي، أبو عمر، ذكره الحميدي فقال: سمع بالأندلس جماعة منهم محمد بن أحمد الزراد، وذكره غيره، ورحل فسمع إسحاق بن إبراهيم بن النعمان، وأحمد بن عيسى المصري، المعروف بابن أبي عجينة، وغيرهما وألف كتاب تاريخ الرجال، كبيراً، جمع فيه جميع ما أمكنه من أقوال الناس في أهل العدالة والتجريح سمعه منه خلف بن أحمد، المعروف بابن أبي جعفر، وأحمد بن محمد الأشبيلي، المعروف بابن الحزاز، قال ابن عبد البر: ويقال إنه لم يكمل سماعه إلا لهما، ومات أبو عمر الصدفي سنة خمسين وثلاثمائة، كل هذا من كتاب الحميدي، وذكر بعض الناس أنه من ولد جعفر بن الحارث، من أهل قرطبة، ويكنى أبا عمرو، عني بالآثار والسنن، وجمع الحديث والتاريخ، وروى عنه جماعة بالأندلس، منهم أحمد بن ثوابة، وأسلم بن عبد العزيز، وطبقتهم، ورحل إلى المشرق، سنة إحدى عشرة وثلاثمائة مع أحمد ابن عبادة ارعيني، فسمع بمكة من أبي جعفر العقبلي، وأبي بكر بن المنذر صاحب الإشراق، والديبلي أبي جعفر، محمد بن إبراهيم، وأبي سعيد بن الأعرابي وغيرهم، وسمع بمصر على جماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن الربيع بن سليمان، وبالقيروان من أحمد بن نصر، ومحمد بن محمد ابن اللباد، ثم انصرف إلى الأندلس، فصنف تاريخاً في المحدثين، بلغ فيه الغاية قرئ عليه، ولم يزل يحدث إلى أن مات، ليلة الخميس لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة خمسين وثلاثمائة، ومولده يوم الجمعة لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين ومائتين.

أحمد بن سليمان الطوسي أبو عبد الله

هو أبو عبد الله، أحمد بن سليمان بن داود بن محمد ابن العباس الطوسي، واسم أبي العباس الفضل بن سليمان بن المهاجر، بن سنان بن حكيم، وكان فاضلاً مات فيما ذكره الخطيب في صفر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة عن ثلاث وثمانين سنة. قال ابن شاذان: قال الطوسي ولدت سنة أربعين ومائتين، روى عنه أبو حفص ابن شاهين، وأبو الفرج الإصبهاني صاحب كتاب الأغاني وأبو عبيد الله المرزباني وكان صدوقاً.

حدث ابن طاهر المباشر أبو عبد الله المعروف بقنينة سمعت الخضر بن داود بمكة يقول: قدم علينا سليمان

ابن داود الطوسي وهو على البريد، وكان الزبير قد فرغ من كتاب النسب، فأهدى إليه الطوسي هدايا كثيرة، فأهدى إليه الزبير كتاب النسب، فقال له سليمان: أحب أن تقرأه علي، فقرأه عليه، وسمع ابنه أحمد ابن سليمان مع أبيه جميع الكتاب، فروى عنه أبو بكر ابن شاذان، وأبو حفص بن شاهين، وأبو عبد الله المرزباني والمخلص.

أحمد بن سليمان بن وهب

ابن سعيد الكاتب، أبو الفضل، وأبوه أبو أيوب سليمان بن وهب الوزير، وعمه الحسن بن وهب معروفان مشهوران، مذكوران في هذا الكتاب، ونسب هذا البيت مستقصى في ترجمة الحسن بن وهب، مات فيما ذكره أبو عبد الله في كتاب معجم الشعراء في سنة خمس وثمانين ومائتين، وكان أبو الفضل هذا بارعاً فاضلاً ناظماً ناثراً، قد تقلد الأعمال، ونظر للسلطان في جباية الأموال، وأخوه عبيد الله بن سليمان، والقاسم بن عبيد الله وزير المعتضد والمكتفي، ولأحمد من التصنيفات: كتاب ديوان شعره، وكتاب ديوان رسائله.

حدث لاصولي قال: وجدت بخط بعض الكتاب أن أحمد ابن سليمان سأل صديقاً له حاجة فلم يقضها له فقال:

قل لي نعم مرة إني أسر بها وإن عداني ما أرجوه من نعم

فقد تعودت لا حتى كأنك لا تعد قولك لا إلا من الكرم

قال: وحدثني الطالقاني: كنا عند أحمد بن سليمان على شرب، ومعنا رجل من الهاشميين ورجل من الدهاقين، فعربد الهاشمي علي الدهقان، فأنشد أحمد بن سليمان:

إذا بدأ الصديق بيوم سوء شفكن منه لآخر ذا ارتقاب

وأمر بإخراج الهاشمي، فقال له: أتخرجني وتدع نبطياً؟ فقال، نعم: رأس كلب أحب إلي من ذنب أسد، وحدث عن الحسين بن إسحاق قال: كنت عند أحمد بن سليمان بن وهب. ونحن على شراب، فوافته رقعة فيها أبيات مدح، فكتب الجواب فنسخته، و لم أنسخ الرقعة الواردة عليه، وكان جوابه: وصلت رقعتك - أعزك الله - فكانت كوصل بعد هجر، وغنىً بعد فقر، وظفر بعد صبر، ألفاظها در مشوف ومعانيها جوهر مرصوف، وقد اصطحبا أحسن صحبة، وتألفا أقرب ألفة، لا تمجها الآذان، ولا تتعب بها الأذهان، وقرأت في آخرها من الشعر ما لم أملك نفسي أن كتبت لجلالته عندي، وحسن موقعه من

نفسي، بما لا أقوم به مع تحيف الصهباء لبي، وشربها من عقلي، مقدار شربي، ولكني واثق منك بطي سيئتي ونشر حسنتي:

نفسي فداؤك يا أبا العباس ... وافى كتابك بعد طول اليا
وافى وكنت بوحشتي متفرداً ... فأصارني للجمع والإيناس
وقرأت شعرك فاستطلت لحسنه ... فخراً على الخلصاء والجلاس
عاينت منه عيون وشي سديت ... ببدائع في جانب القرطاس
فاقت دقائقه وجل لحسنه ... عن أن يحد بفطنة وقياس
شعر كجري الماء يخرج لفظه ... من حسن طبعك مخرج الأنفاس
لو كان شعر الناس جسماً لم يكن ... لكماله إلا مكان الراس

وكان لأحمد خادم يقال له عرام، ويكنى أبا الحسام، وكان يهواه جداً، فخرج مرة إلى الكوفة بسبب رزقه مع إسحق بن عمران، فكتب إلى إسحق:

دموع العين مذروفهْ ... ونفس الصب مشغوفهْ
من الشوق إلى البدر ال ... ذي يطلع بالكوفهْ

فلما قرأ كتابه وفاه رزقه، وأنفذه إليه سريعاً، ومن كلامه: النعم أيدك الله ثلاث، مقيمة، ومتوقعة، ويغر محتسبة، فحرس الله لك مقيمها، وبلغك متوقعها، وآتاك ما لم تحتسب منها.

قال: ودخل أحمد بن سليمان إلى صديق له، ولم يره كما ظن من السرور، فدعا بدواة وكتب:

قد أتيناك زائرين خفافاً ... وعلمنا بأن عندك فضله
من شراب كأنه دمع مرها ... ء أضأت لها من الهجر شعلهْ
ولدينا من الحديث هنات ... معجبات نعدها لك جمله
إن يكن مثل ما تريد وإلا ... فاحتملنا فإنما هي أكله

ومن مشهور شعره، الذي لا تخلو مجاميع أهل الفضل منه قوله يصف السرو من أبيات، وربما نسبوه إلى غيره،

حفت بسرو كالقيان تلحفت ... خضر الحرير على قوام معتدل
فكأنها والريح حين تميلها ... تبغي التعانق ثم يمنعها الخجل

وكتب في صدر كتاب إلى ابن أخيه، الحسن بن عبيد الله بن سليمان:

يا ابني ويا ابن أخي الأدنى ويا ابن أبي والمرتدي برداء العقل والأدب

ومن يزيد جناحي من قواك به ومن إذا عد مني زان لي حسبي

ومن منثوره كتب إلى ابن أبي الإصبع: لو أطعت الشوق إليك، والتراع نحوك، لكثر قصدي لك، وغشياني إياك، مع العلة القاطعة عن الحركة، الحائلة بيني وبين الركوب، فالعلة إن تخلفت مخلفتي، وإيثار التخفيف يؤخر مكاتبتي، فأما مودة القلب، وخلوص النية، ونقاء الضمير، والاعتداد بما يجدده الله لك من نعمة، ويرفعك إليه من درجة، ويبلغك إياه من رتبة، فعلى ما يكون عليه الأخ الشقيق، وذو المودة الشفيق، وأرجو أن يكون شاهدي على ذلك من قلبك أعدل الشهود، ووافدي بإعلامك إياه أصدق الوفود، وبحسب ذلك انبساطي إليك في الحاجة، تعرض قبلك، ويعنى بالنجاح منها عند، وعرضت حاجة ليس تمنعني قلتها من كثير الشكر عليها، والاعتداد بما يكون من قضائك إياها، وقد حملتها يحيى لتسممها منه، وتتقدم بما أحب فيها، جارياً على كرم سجيتك، وعادة تفضلك، إن شاء الله.

وكتب إلى أخيه الوزير، عبيد الله، وقد سافر و لم يودعه، – أطال الله بقاء الوزير – مصحباً له السلامة الشاملة والغبطة المتكاملة، والنعم المتظاهرة، والمواهب المتواترة، في ظعنه ومقامه، وحله وترحاله، وحركته وسكونه، وليله ونهاره، وعجل إلينا أوبته، وأقر عيوننا برجعته، ومتعنا بالنظر إليه: كان شخوص الوزير – أعزه الله – في هذه المدة بغتة، أعجل عن توديعه فزاد ذلك في ولهي، وإضرام لوعتي، واشتدت له وحشتي، وذكرت قول كثير:

وكنتم تزينون البلاد ففارقت عشية بنتم زينها وجمالها

فقد جعل الراضون إذ أنتم لها بخصب البلاد يشتكون وبالها

والوزير – أعزه الله – يعلم ما قيل في يحيى بن خالد:

ينسى صنائعه ويذكر وعده ويبيت في أمثاله يتفكر

وكتب إلى صديق له: ليس عن الصديق المخلص، والأخ المشارك، في الأحوال كلها مذهب ولا وراءه، للواثق به مطلب، والشاعر يقول:

وإذا يصيبك والحوادث جمة حدث حداك إلى أخيك الأوثق

وأنت الأخ الأوثق، والولي المشفق، والصديق الوصول، والمشارك في المكروه والمحبوب، قد عرفني الله من صدق صفائك، وكرم وفائك، على الأحوال المتصرفة، والأزمنة المتقلبة، ما يستغرق الشكر، ويستعبد الحر، وما من يوم يأتي علي إلا وثقتي بك تزداد استحكاماً، واعتمادي عليك يزداد توكداً والتياماً، أنبسط

في حوائجي، وأثق بنجح مسألتي، والله أسأل لك طول البقاء، في أدوم النعمة وأسبغها وأكمل العوافي وأتمها، وألا يسلب الدنيا نضرتها بك، وبهجتها ببقائك، فما أعرف بهذا الدهر المتنكر في حالاته، حسنة سواك، ولا حيلة غيرك، فأعيذك بالله من العيون الطامحة، والألسنة القادحة وأسأله أن يجعلك في حرزه الذي لا يرام، وكنفه الذي لا يضام، وأن يحرسك بعينه التي لا تنام، إنه ذو المن والإنعام.

أحمد بن سليمان المعيدي

أبو الحسين، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: روى عن علي بن ثابت، عن أبي عبيد، وعن ابن أخيه أبي الوزير، عن الأعرابي، روى عنه أبو بكر محمد بن الحسين، بن مقسم، وخطه يرغب فيه: وهو أحد العلماء المشاهير الثقات، قرأت بخط ابن أبي نواس. قال: أبو عمر ابن حيويه قال لي أبو عمران: مات المعيدي ليلة الأربعاء ودفن يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

أحمد بن سهل البلخي أبو زيد

كان فاضلاً، قائماً بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه، وكان معلماً للصبيان، ثم رفعه العلم إلى مرتبة علية، كما اقتصصنا في أخباره، وقد وصفه أبو حيان في كتابه، في تقريظ الجاحظ، بوصف ذكرته في أخبار أبي حنيفة أحمد بن داود، فاحتسبت به كعادتي في الإيجاز، وترك التكرير، مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة على ما أذكره فيما بعد، عن سبع أو ثمان وثمانين سنة.

حكي عنه أنه قال: كان الحسين بن علي المروروزي، وأخوه وأنا صعلوك يجريان علي صلات معلومة دائمة، فلماصنفت كتابي في البحث عن التأويلات قطعاها عني، وكان لأبي علي محمد بن أحمد بن جيهان من خرخان الجيهاني، وزير نصر بن أحمد الساماني جوار يدرها علي، فلما أمليت كتاب القرابين والذبائح حرمنيها، قال: وكان الحسين قرمطياً، وكان الجيهاني ثنوياً، وكان أبو زيد يرمى بالإلحاد، ذكر ذلك كله محمد بن إسحاق النديم، قال: ولأبي زيد من الكتب: كتاب أقسام العلوم، كتاب شرائع الأديان، كتاب اختيارات السير، كتاب السياسة الكبير، كتاب السياسة الصغير، كتاب كمال الدين، كتاب فضل صناعة الكتابة، كتاب مصالح الأبدان والأنفس، يعرف بالمقالتين، كتاب أسماء الله وصفاته، كتاب صناعة الشعر، كتاب فضيلة علم الأخبار، كتاب الأسماء والكنى والألقاب، كتاب أسماء الأشياء، كتاب النحو والتصريف، كتاب الصورة والمصدر، كتاب رسالة حدود الفلسفة، كتاب ما يصح من أحكام النجوم،

كتاب الرد على عبدة الأوثان، كتاب فضيلة علوم الرياضات، كتاب في أقسام علوم الفلسفة، كتاب القرابين والذبائح، كتاب عصمة الأنبياء، كتاب نظم القرآن، كتاب قوارع القرآن، كتاب الفتاك والنساك، كتاب ما أغلق من غريب القرآن، كتاب في أن سورة الحمد تنوب عن جميع القرآن، كتاب أجوبة أبي القاسم الكعبي، كتاب النوادر في فنون شتى، كتاب أجوبة أهل فارس، كتاب تفسير "صورٍ" كتاب السماء والعالم لأبي جعفر الخازن، كتاب أجوبة أبي علي بن محتاج، كتاب أجوبة أبي إسحاق المؤدب، كتاب المصادر، كتاب أجوبة أبي الفضل السكري كتاب الشطرنج، كتاب فضائل مكة على سائر البقاع، كتاب جواب رسالة أبي علي بن المنير الزيادي، كتاب منية الكتاب، كتاب البحث عن التأويلات كبير، كتاب الرسالة السالفة إلى العاتب، كتاب رسالته في مدح الوراقة، كتاب الوصية، كتاب صفات الأمم، كتاب القرود، كتاب فضل الملك، كتاب المختصر في اللغة، كتاب صولجان الكتبة، كتاب نثاراتٍ على كلامه، كتاب أدب السلطان والرعية، كتاب فضائل بلخ، كتاب تفسير الفاتحة والحروف المقطعة في أوائل السور، كتاب رسول الكتب، كتاب كتبه إلى أبي بكر بن المستنير، عاتباً ومنتصفاً، في ذمه المعلمين والوراقين، كتاب كتبه إلى أبي بكر بن المظفر، في شرح ما قيل في حدود الفلسفة، كتاب أخلاق الأمم، وقرأت بخط أبي سهل أحمد بن عبيد الله بن أحمد، مولى أمير المؤمنين، وتصنيفه كتاباً في أخبار أبي زيد البلخي، وأبي الحسن شهيد البلخي، فلخصت منه ما ذكرته في تراجم الثلاثة.

قال في أخبار أبي زيد، ولد أبو زيد أحمد بن سهل ببلخ، بقرية تدعى شامستيان، من رستاق نهر غربنكي، من جملة اثني عشر نهراً من أنهار بلخ، وكان أبوه سجزياً يعلم الصبيان، هذا ما ذكره أبو محمد الحسن بن محمد الوزيري، وله كتاب في أخبار أبي زيد البلخي.

وسمعت أنه كان يعلم بهذه القرية المدعوة شامستيان أعني أباه، وكان أبو زيد يميل إليها ويحبها، لأجل مولده بها، ونزعه إليها حب المولد، ومسقط الرأس والحنين إلى الوطن الأول، ولذلك لما حسنت حاله، ودعته نفسه إلى اعتقاد الضياع والأسباب، والنظر للأولاد والأعقاب، اختارها من قرى بلخ، فاعتقد بها ضيعته، ووكل بها همته، وصرف إلى اتخاذ العقد بها عنايته، وقد كانت تلك الضياع بعد باقية، إلى قريب من هذا الزمان، في أيدي أحفاده وأقاربه، بها وبالقصبة ثم إنهم كما أقدر قد فنوا وانقرضوا، في اختلاف هذه الحوادث ببلخ وغيرها، من سائر البلدان، فلا أحسب أنه بقي منهم نافخ ضرم، ولا عين تطرف، لا تحس منهم من أحد ولا تسمع منهم ركزاً.

سمعت أن الأمير أحمد بن سهل بن هاشم كان ببلخ، وعنده أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، وأبو زيد ليلة من الليالي وفي يد الأمير عقد لآلائي نفيسة، ثمينة، تتلألأ كاسمها، ويتوهج نورها،

وكان حمل إليه من بعض بلاد الهند، حين افتتحت، فأفرد الأمير منها عشرة أعداد، وناولها أبا القاسم، وعشرة أعداد أخر، وناولها أبا زيد، وقال: هذه اللآلئ في غاية النفاسة، فأحببت أن أشرككما فيها، ولا أستبد بها دونكما. فشكرا له ذلك، ثم إن أبا القاسم وضع لآلئه بين يدي أبي زيد، وقال: إن أبا زيد وهو من هو مهتم بشأنهن، فأردت أن أصرف ما برني به الأمير إليه، لينتظم في عقده فقال الأمير: نعماً فعلت، ورمى بالعشرة الباقية إلى أبي زيد وقال خذها فلست في الفتوة بأقل حظاً، ولا أوكس سهماً، من أبي القاسم، ولا تغبنن عنها، فإنها ابتيعت من الفيء، بثلاثين ألف درهم، فاجتمعت الثلاثون عند أبي زيد برمتها، وباعها بمال جليل، وصرف ثمنها إلى الضيعة التي اشتراها بشامستيان.

قال وكان أبو زيد كما ذكر أبو محمد الحسن الوزيري – وكان رآه واختلف إليه – ربعة نحيفاً مصفاراً، أسمر اللون جاحظ العينين، فيهما تأخر ومثل بوجهه آثار جدري، صموتاً سكيتاً، ذا وقار وهيبة، وقد وصفه أبو علي أحمد المنيري الزيادي، في رسالته التي كتبها إليه، وأراد أن يهدم بنيانه، ويضع شانه، ويوهي أركانه، فرند عليه أبو زيد في جوابها، ما ألبسه الشنار والصغار، ونبه العالم أن حظه من العلوم حظ منكود، وأنه فيما أجرى له من كلامه غير سديد، قرأت على أبي محمد الوزيري كلتا الرسالتين، فزعم أنه قرأهما عليهما، أعني أبا زيد والمنيري كليهما، فذكر المنيري في رسالته في جملة ما هجنه به، وأنك لا تصلح إلا أن تكون زامراً، أو مغيراً، أو محتكراً فدل هذا الكلام على أنه كان جاحظ العين، أشدق، مع قصر قامته، ودنو هامته، قال: ثم حدثت أنه كان في عنفوان شبابه، وطراءة زمانه، وأول حداثته، ومائه، دعته نفسه إلى أن يسافر ويدخل إلى أرض العراق، ويجثو بين يدي العلماء، ويقتبس منهم العلو، فتوجه إليها راجلاً مع الحاج، وأقام بها ثماني سنين، وجازها فطوف البلدان المتاخمة لها، ولقي الكبار والأعيان، وتتلمذ لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، وحصل من عنده علوماً جمة، وتعمق في علم الفلسفة، وهجم على أسرار علم التنجيم، والهيئة وبرز في علم الطب والطبائع وبحث عن أصول الدين أتم بحث، وأبعد استقصاء، حتى قاده ذلك إلى الحيرة، وزل به عن النهج الأوضح، فتارة كان يطلب الإمام ومرة كان يسند الأمر إلى النجوم والأحكام، ثم إنه لما كتبه الله في الأول من السعداء، وحكم بأنه لا يتركه يتسكع في ظلمات الأشقياء، بصره أرشد الطرق، وهداه لأقوم السبل، فاستمسك بعروة من الدين وثيقة، وثبت من الاستقامة على بصيرة وحقيقة، فذكر أبو الحسن الحديثي قال: كان أبو بكر البكري فاضلاً خليعاً لا يبالي ما قال، وكان يحتمل عنه لسنه، قال: أذكر إذ كنا عنده وقد قدمت المائدة وأبو زيد يصلي، وكان حسن الصلاة، فضجر البكري من طول صلاته، فالتفت إلى رجل من أهل العلم، يقال له أبو محمد الجحندي فقال: يا أبا محمد، ريح الإمامة يعد في رأس أبي زيد، فخفف أبو زيد الصلاة وهما يضحكان، قال أبو الحسن: فلم أدر ما ذلك! حتى سألت لا أدري الجحندي أو أبا بكر الدمشقي فقال:

أحدهما: العم أن أبا زيد في أول أمره كان خرج في طلب الإمام إلى العراق، إذ كان قد تقلد مذهب الإمامية، فعيره البكري بذلك،

قال: وكان حسن الاعتقاد، ومن حسن اعتقاده أنه كان لا يثتب من علم النجوم الأحكام، بل كان يثبت ما يدل عليه الحسبان، ولقد جرى ذكره رحمه الله في مجلس الإمام أبي بكر، أحمد بن محمد بن العباس البزار، وهو الإمام ببلخ، والمفتي بها، فأثنى عليه خيراً، وقال: إنه كان قويم المذهب، حسن الاعتقاد، لم يعرف بشيء في ديانته، كما ينسب إليه من نسب إلى علم الفلسفة، وكل من حضر من الفضلاء والأماثل، أثنى عليه ونسبه إلى الاستقامة والاستواء، وأنه لم يعثر له مع ما له من المصنفات الجمة، على كلمة تدل على قدح في عقيدته، ثم لما قضى وطره من العراق، وصار في كل فن من فنون العلم قدوة، وفي كل نوع من أنواعه إماماً، قصد العود إلى بلده، فتوجه إليها مقبلاً على طريق هراة، حتى وصل إلى بلخ، وانتشر بها علمه، فلما ورد أحمد بن سهل بن هاشم المروزي بلخ، واستولى على تخومها، راوده على أن يستوزره فأبى عليه، واختار سلامة الأولى، والعقبى، فاتخذ أبا القاسم الكعبي وزيراً، وأبا زيد كاتباً، وكان أبو القاسم الوزير وأبو زيد من الكتاب، وعظم محلهما عنده، وأصبحا بأرفع طرف عنده مرموقين وبأروى كأس من جنابه مصبوحين ومغبوقين، وكان رزق أبي القاسم في الشهر ألف درهم ورقاً، ولأبي زيد خمسمائة درهم ورقاً، وكان أبو القاسم يأمر الخازن بزيادة مائة درهم لأبي زيد من رزقه ونقصان مائة درهم من رزق نفسه، فكان يصل إلى أبي زيد ستمائة درهم وإلى أبي القاسم تسعمائة درهم، وكان يأخذ لنفسه مكسرة، ويأمر لأبي زيد بالوضح الصحاح، فبقوا على ذلك مدة غير طويلة، وعاشوا على جملة جميلة، حتى فتكت بهم يد المنون، وهلك أحمد بن سهل عن عمر قصير، واستمتاع بإمامة غير كبير، قال: أخبرني أبو محمد الحسن بن الوزيري: وكان لقي أبا زيد وتتلمذ له قال: كان أبو زيد ضابطاً لنفسه ذا وقار، وحسن استبصار، قويم اللسان، جميل البيان، متثبتاً نزر الشعر، قليل البديهة، واسع الكلام في الرسائل والتأليفات، إذا أخذ في الكلام أمطر اللآلئ المنثورة، وكان قليل المناظرة، حسن العبارة، وكان يتنزه عما يقال في القرآن، إلا الظاهر المستفيض من التفسير والتأويل، والمشكل من الأقاويل، وحسبك ما ألفه من كتاب نظم القرآن، الذي لا يفوقه في هذا لاباب تأليف.

قرأت في كتاب البصائر لأبي حيان الفارسي، من ساكني بغداد، قال: قال أبو حامد القاضي لم أر كتاباً في القرآن مثل كتاب لأبي زيد البلخي، وكان فاضلاً يذهب في رأي الفلسفة، لكنه تكلم في القرآن بكلام لطيف دقيق في مواضع، وأخرج سرائره، وسماه نظم لاقرآن، و لم يأت على جميع المعاني فيه.

قال: وللكعبي كتاب في التفسير، يزيد حجمه على كتاب أبي زيد، قال الوزيري: وكان أيضاً يتحرج عن تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، وكذلك عن مفاخرة العرب والعجم، ويقول ليس في هذه المناظرات

الثلاث ما يجدي طائلاً، ولا يتضمن حاصلاً، لأن الله تعالى يقول في معنى القرآن: "قرآناً عربياً غير ذي عوج" الآية وأما معنى الصحابة وتفضيل بعضهم على بعض، فقوله عليه السلام، أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم، وكذلك العربي والشعوبي، فإنه سبحانه يقول: "فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" ويقول في موضع آخر، "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" قال: وسمعت بعض أهل الأدب يقول: اتفق أهل صناعة الكلام أن متكلمي العالم ثلاثة، الجاحظ، وعلي بن عبيدة اللطفي، وأبو زيد البلخي، فمنهم من يزيد لفظه على معناه، وهو الجاحظ ومنهم من يزيد معناه على لفظه، وهو علي بن عبيدة، ومنهم من توافق لفظه ومعناه، وهو أبو زيد.

وقال أبو حيان في كتاب النظائر: أبو زيد البلخي يقال له بالعراق جاحظ خراسان، وحكي أن أبا زيد لما دخل على أحمد بن سهل، أول دخوله عليه، سأله عن اسمه، فقال أبو زيد، فعجب أحمد بن سهل من ذلك، حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته، وعد ذلك من سقطاته، فلما خرج ترك خاتمه في مجلسه عنده، فأبصره أحمد بن سهل، فازداد تعجباً من غفلته، فأخذه بيده ونظر في نقش فصه، فإذا عليه أحمد بن سهل، فعلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للموافقة الواقعة بين اسمه واسمه، وأنه أخذ بحسن الأدب، وراعى حد الاحتشام، واختار وصمة التزام الخطإ في الوقت والحال، على أن يتعاطى اسم الأمير بالاستعمال والابتذال.

وحكي أن أبا زيد في حداثته، وحال فقره وخلته كان التمس من أبي علي المنيري حنطة، فأمره بحمل جراب إليه ففعل، فلم يعطه حنطة، وحبس الجراب، ومضى على هذا أعوام كثيرة، وخرج شهيد بن الحسين إلى محتاج بن أحمد بالصعانيان، وكتب إلى أبي زيد كتباً لم يجبه أبو زيد عنها، فكتب إليه شهيد بهذين البيتين، يعيره بحديث الجراب:

أمني النفس منك جواب كتبي وأقطعها لتسكن وهي تابي

إذا ما قلت سوف يجيب قالت إذا رد المنيري الجرابا

قال: وقرأت بخط أبي الحسن الحديثي، على ظهر كتاب كمال الدين لأبي زيد، قال أبو بكر الفقيه: ما صنف في الإسلام كتاب أنفع للمسلمين من كتاب البحث عن التأويلات، صنفه أبو زيد البلخي، وهذا الكتاب يعني كتاب كمال الدين.

وكان لأبي زيد حافد يقال له علي بن محمد بن أبي زيد، قال: ولأبي زيد نحو من سبعين تأليفاً، قال: ولقي أحمد بن سهل الأمير أبا زيد في طريق، وقد أجهده السير، فقال له: عييت أيها الشيخ، فقال أبو

زيد: نعم أعييت أيها الأمير، فنبهه أنه لحن في قوله "عييت" إذ العي في الكلام، والإعياء في المشي، وأنشد أبو زيد:

لكل امرئ ضيف يسر بقربه ومالي سوى الأحزان والهم من ضيف

تناءت بنا دار الحبيب اقترابها فلم يبق إلا رؤية الطيف للطيف

وقال أبو زيد: كان ببلخ مجنون من عقلاء المجانين وكان يعرف بأبي إبراهيم إسحاق بن إسحاق البغدادي، "من عقلاء المجانين" دخل إلي وكنت ألاعب الأهوازي بالشطرنج، فقال أبو زيد والأهوازي لك فتحيرت في هذا الكلام، فقال لي احسب فحسبت بحروف الجمل، فكان ستون، قال فصل بين كنيتك وكنيته الأهوازي، قال فوصلت، فإذا أبو زيد ثلاثون، والأهوازي ثلاثون، فقضيت عجباً من اختراعه في تلك الوهلة هذا الحساب.

وأما خبر وفاته، فقال صاحب الكتاب المذكور: ذكر أبو زيد الدمشقي قال: دخلت على أبي زيد – رحمه الله – يوم الجمعة ضحوة لعشر بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فوجدته ثقيلاً من علته، فسلمت سلاماً ضعيفاً، ثم قال: يا أبا بكر قد انقطع السبب، وما هو إلا فراق الإخوان، ودمعت عينه، وبكيت أنا، وقلت: أرجو أن يشفع الله الشيخ فينا وفي عترتنا بعافيته، فقال: أيهات: وقرأ هذه الآية: "أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون" ثم قال: لا تغب عني وكن بالقرب.

فلما كان عند العتمة قال: انصرفوا حتى أدعوكم، وقال لابنه الحسين إذا طلع القمر ونزل في الدار فأعلمني، فلما طلع القمر أعلمه، فصاح بهم فجاءوا، وقال أطلع القمر؟ فقالوا: نعم، قال: اجمعوا كل من في المترل، فاجتمعوا عليه، فسأل كل واحد منهم عن حاله، وعن كسوته، وعن آلة الشتاء، ثم قال: بقي شيء لم أصلحه لكم. قالوا: لا: فاستحلفهم ثم قال: عليكم السلام، هذا آخر اجتماعي معكم، ثم جعل يتشهد ويستغفر، ثم قال: قوموا فقد جاء نوبة غيركم، فخرجوا من باب الطارمة، وهم يسمعون تشهده، ثم سكت فرجعوا وقد قضى نحبه، رحمه الله، هذا العقل والتمييز صار كما قال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

قال المؤلف: هذا آخر ما كتبته عن كتاب أبي سهل أحمد بن عبيد الله من أخبار أبي زيد، وما أرى أن أحداً جاء من خبر أبي زيد بأحسن مما جاء به، أثابه الله على اهتمامه الجنة، وسأكتب أخبار أبي القاسم، عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي عنه في موضعه، و لم أخل من أخبار أبي زيد التي ذكرها بشيء مما يتعلق به، إنما تركت أشياء من فوائده تتعلق بكتب المجاميع.

وقال المرزباني: أحمد بن سهل البلخي محدث معتمدي وهو القائل يرثي الحسن بن الحسين العلوي، وقد توفي ببلخ:

إن المنية رامتنا بأسهمها فأوقعت سهمها المسموم بالحسن
أبو محمد الأعلى فغادره تحت الصفيح مع الأموات في قرن
يا قبر إن الذي ضمنت جثته من عصبة سادة ليسوا ذوي أفن
محمد وعلي ثم زوجته ثم الحسين ابنه والمرتضى الحسن
صلى الإله عليهم والملائكة ال مقربون طوال الدهر والزمن

قال المؤلف: هكذا قال المرزباني، ولا أدري أيريد صاحبنا هذا أو غيره؟ فإنه لم يذكره بأكثر مما كتبناه. وقرأت في كتاب البلدان لأبي عبد الله البشاري، أن صاحب خراسان استدعاه إلى بخاري، ليستعين به على سلطانه، فلما بلغ جيحون ورأى تغطمط أمواجه وجرية مائه وسعة قطره كتب إليه: إن كنت استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فإني إن عبرت هذا النهر فلست بذي رأي ورأيي يمنعني من عبوره: فلما قرأ كتابه عجب منه وأمره بالرجوع إلى بلخ.

أحمد بن الصنديد العراقي

يكنى أبا مالك، كان من أهل الأدب والشعر، روى شعر المعري عنه، وله فيه شرح، وله مع الحصري مناقضات دخل الأندلس، وكان عند بني طاهر، ومدح الرساء والأكابر.

أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل

واسم طاهر طيفور، مروروزي الأصل، أحد البلغاء الشعراء الرواة، من أهل الفهم المذكورين بالعلم، وهو صاحب كتاب تاريخ بغداد، في أخبار الخلفاء والأمراء وأيامهم، مات سنة ثمانين ومائتين ودفن بباب الشام ببغداد، ومولده سنة أربع ومائتين مدخل المأمون بغداد من خراسان، ذكر ذلك ابنه عبيد الله، فيما ذيله على تاريخ والده، وحكاه عنه، قال: وروى عن عمر بن شبة، روى عنه ابنه عبيد الله، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وحدث جعفر بن أحمد صاحب كتاب الباهر: كان أحمد بن أبي طاهر مؤدب كتاب عامياً، ثم تخصص وجلس في سوق الوراقين، في الجانب الشرقي، قال: ولم أر ممن شهر بمثل ما شهر به من التصنيف للكتب، وقول الشعر أكثر تصحيفاً منه ولا أبلد علماً، ولا ألحن، ولقد أنشدني شعراً، يعرضه

علي في إسحاق بن أيوب، لحن في بضعة عشر موضعاً منه، وكان أسرق الناس لنصف بيت وثلث بيت، قال: وكذا قال لي البحتري فيه، وكان مع هذا جميل الأخلاق، ظريف المعاشرة، حلواً من بين الكهول.

وحدث أبو دهقان قال: كنت أنزل في جوار المعلى ابن أيوب، صاحب العرض والجيش في أيام المأمون، وكان أحمد بن أبي طاهر يترل عنده، فأضقنا إضاقة شديدة، وتعذرت علينا وجوه احليلة، فقلت لابن أبي طاهر: هل لك في شيء لا بأس به؟ تدعني حتى أسجيك وأمضي إلى مترل المعلى بن أيوب، فأعلمه أن صديقاً لي قد توفي فآخذ منه ثمن كفن فننفقه، فقال نعم: وجئت إلى وكيل المعلى فعرفته خبرنا، فصار معي إلى مترلي، فتأمل ابن أبي طاهر، ثم نقر أنفه فضرط، فقال لي ما هذا؟ فقلت هذه بقية من روحه كرهت نكهته فخرجت مناسته، فضحك، وعرف المعلى خبرنا، فأمر لنا بجملة دنانير، والمعلى هذا هو الذي يقول فيه دعبل، وقيل أبو علي البصير:

لعمر أبيك ما نسب المعلى ... إلى كرم وفي الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرت ... وصوح نبتها رعي الهشيم

وحدث الجهشياري في كتاب الوزراء قال: مدح أحمد ابن أبي طاهر الحسن بن مخلد، وزير المعتمد، فأمر له بمائة دينار، وقال: إيت رجاء الخادم فخدذها منه، فلقي أحمد رجاء فقال له: لم يأمرني بشيء، فكتب إلى الحسن:

أما رجاء فأرجا ما أمرت به ... فكيف إن كنت لم تأمره يأتمر؟

بادر بجودك مهما كنت مقتدراً ... فليس في كل حال أنت مقتدر

فأمر بأضعافها له.

وذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: له من الكتب كتاب المنثور والمنظوم، أربعة عشر جزءاً، والذي بيد الناس ثلاثة عشر جزءاً، كتاب سرقات الشعراء، كتاب بغداد، كتاب الجواهر، كتاب المؤلفين، كتاب الهدايا، كتاب المشتق، كتاب المختلف من المؤتلف، كتاب أسماء الشعراء الأوائل، كتاب الموشى، كتاب ألقاب الشعراء، ومن عرف بالكنى ومن عرف بالاسم، كتاب المعروفين من الأنبياء، كتاب المعتذرين، كتاب اعتذار وهب من ضرطته، كتاب من أنشد شعراً وأجيب بكلام، كتاب الحجاب، كتاب مرثية هرمز بن كسرى بن أبي شروان، كتاب خبر الملك العالي في تدبير المملكة والسياسة، كتاب المصلح والوزير المعين، كتاب الملك البابلي والملك المصري الباغيين، والملك الحكيم الرومي، كتاب المزاح والمعاتبات، كتاب مفاخرة الورد والنرجس، كتاب مقاتل الفرسان، كتاب مقاتل الشعراء، كتاب الخيل،

كبير، كتاب الطرد، كتاب سرقات البحتري من أبي تمام، كتاب جمهرة بني هاشم، كتاب رسالة إلى إبراهيم بن المدبر، كتاب الرسالة، في النهي عن الشهوات، كتاب الرسالة إلى علي بن يحيى، كتاب الجامع، في الشعراء وأخبارهم، كتاب فضل العرب على العجم، كتاب لسان العيون، كتاب أخبار المتظرفات، كتاب اختيار أشعار الشعراء كتاب اختيار شعر بكر ابن النطاح، كتاب المؤنس، كتاب الغلة والغليل، كتاب اختيار شعر العتابي، كتاب اختيار شعر منصور النمري، كتاب اختيار شعر أبي العتاهية، كتاب أخبار بشار واختيار شعره، كتاب أخبار مروان وآل مروان واختيار أشعارهم كتاب أخبار ابن ميادة كتاب أخبار ابن هرمة ومختار شعره. كتاب أخبار ابن الدمينة. كتاب أخبار وشعر عبد الله بن قيس الرقيات. وأنشد له ابنه عبيد الله في كتابه:

وما الشعر إلا السيف ينبو وحده | حسام ويمضي وهو ليس بذي حد
ولو كان بالإحسان يرزق شاعر | لأجدى الذي يكدى وأكدى الذي يجدي

ومن قوله أيضاً:

قد كنت أصدق في وعدي فصيرني | كذابة ليس ذا في جملة الأدب
يا ذاكراً حلت عن عهدي وعهدكم | فنصرة الصدق أفضت بي إلى الكذب

حدث المرزباني في كتاب المقتبس، عن عبد الله ابن محمد الحليمي، قال: أنشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه في أبي العباس المبرد:

كملت في المبرد الآداب | واستقلت في عقله الألباب
غير أن الفتى كما زعم النا | س دعي مصحف كذاب

وحدث عنن الصولي، عن أبي علي بن عينويه الكاتب، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: خرجت من مترل أبي الصقر، نصف النهار في تموز، فقلت ليس بقربي مترل أقرب من مترل المبرد، إذ كنت لا أقدر أصل إلى مترلي بباب الشام، فجئته، فأدخلني إلى حويشة له، وجاء بمائدة، فأكلت معه لونين طيبين، وسقاني ماء بارداً، وقال لي: أحدثك إلى أن تنام، فجعل يحدثني أحسن حديث، فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان، فقلت: قد حضرني بيتان أنشدهما؟ فقال: ذاك إليك، وهو يظن أني قد مدحته، فأنشدته:

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق | على أنه منه أحر وأومد
ظللت به عند المبرد قائلاً | فما زلت في ألفاظه أتبرد

فقال لي: قد كان يسعك إذا لم تحمد ألا تذم، ومالك عندي جزاء إلا أن أخرجك، والله لا جلست عندي بعد هذا، فأخرجني، فمضيت إلى مترلي بباب الشام، فمرضت من الحر الذي نالني مدة، فعدت

باللوم على نفسي.

قال الخالدي حدثنا جحظة عن أحمد بن أبي طاهر قال: قصدت سر من رأى، زائراً بعض كتابها بشعر مدحته به، فقبلني وأحسن إلي، وأجزل صلتي، ووهب لي غلاماً رومياً، حسن الوجه، ورحلت أريد بغداد سائراً على الظهر، و لم أركب الماء، فلما سرت نحو الفرسخ أخذتنا السماء بأمر عظيم من القطر، ونحن بالقرب من دير السوسن، فقلت للغلام: اعدل بنا يا بني إلى هذا الدير، نقيم فيه إلى أن يخف هذا المطر، ففعل وازداد القطر واشتد، وجاء الليل، فقال الراهب: أتت العشية ههنا، وعندي شراب جيد، فتبيت وتقصف، ويسكن المطر، وتجف الطريق وتبكر، فقلت: أفعل فأخرج إلي شراباً ما رأيت قط أصفي منه، ولا أعطر فقلت: هات مدامك، وأمرت بحط الرحل، وبت والغلام يسقيني، والراهب نديمي، حتى مت سكراً، فلما أصبحت رحلت، وقلت:

سقى سر من را وسكانها ... وديراً لسوسنها الراهب
سحاب تدفق عن رعده ال ... صفوق وبارقه الواصب
فقد بت في ديره ليلة ... وبدر على غصن صاحبي
غزال سقاني الصبا ... ح صفراء كالذهب الذائب
على الورد من حمرة الوجنت ... ين وفي الآس من خضرة الشارب
سقاني المدامة مستيقظاً ... ونمت ونام إلى جانبي
فكانت هناة لك الويل من ... جناها الذي خطه كاتبي
فيا رب تب واعف عن مذنب ... مقر بزلته تائب

أحمد بن الطيب السرخسي

يعرف بابن الفرائقي أحد العلماء الفهماء المحصلين، الفصحاء البلغاء المتقنين، له في علم الأثر الباع الواسع، وفي علوم الحكماء الذهن الثاقب الوقاد، وبسطة الذراع، وهو تلميذ الكندي وله في كل فن تصانيف، ومجاميع وتواليف، وكان أحد ندماء أبي العباس المعتضد بالله، والمختصين به، فأنكر منه بعض شأنه، فأذاقه حمامه صبراً، وجعله نكالاً، و لم يرع له ذمة ولا إلاً.

وقال في تاريخ دمشق: ذكره أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس، قال: ولي أحمد بن الطيب الحسبة يوم الاثنين، والمواريث يوم الثلاثاء، وسوق الرقيق يوم الأربعاء، لسبع خلون من رجب سنة اثنتين وثمانين ومائتين وفي يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين غضب المعتضد على أحمد بن

الطيب، وفي يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأولى ضرب ابن الطيب مائة سوط، وحول إلى المطبق، وفي صفر سنة ست وثمانين ومائتين مات ابن الطيب السرخسي.

حدث أبو القاسم، عن عبد الله بن عمر الحاربي، قال حدثني أبي قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن حمدون، نديم المعتضد، قال: كان المعتضد في بعض متصيداته مجتازاً بعسكره وأنا معه، فصاح ناطور في قثاء فاستدعاه وسأله عن سبب صياحه، فقال: أخذ بعض الجيش شيئاً فقال: اطلبوهم فجاءوا بثلاثة أنفس، فقال: هؤلاء الذين أخذوا القثاء؟ فقال الناطور: نعم، فقيدهم في الحال، وأمر بحبسهم، فلما كان من الغد أنفذهم إلى القراح وضرب أعناقهم فيه، وسار، وأنكر الناس ذلك وتحدوا به، ونحبت قلوبهم منه، ومضت على ذلك مدة طويلة، فجلست أحادثه ليلة، فقال لي: يا عبد الله، هل يعتب الناس علي شيئاً؟ عرفني حتى أزيله، فقلت: كلا يا أمير المؤمنين، فقال: أقسمت عليك بحياتي إلا صدقتني، قلت: يا أمير المؤمنين وأنا آمن؟ قال: نعم، قلت: إسراعك إلى سفك الدماء، فقال: والله ما هرقت دماً قط منذ وليت هذا الأمر إلا بحقه، قال: فأمسكت إمساك من ينكر عليه الكلام، فقال: بحياتي لما قلت، فقلت: يقولون إنك قتلت أحمد بن الطيب، وكان خادمك، و لم تكن له جناية ظاهرة، فقال: ويحك، إنه دعاني إلى الإلحاد، فقلت له: يا هذا، أنا ابن عم صاحب هذه الشريعة، وأنا الآن منتصب منصبه، فألحد حتى أكون من؟ وكان قال لي: إن الخلفاء لا تغضب، وإذا غضبت لم ترض، فلم يصلح إطلاقه، فسكت سكوت من يريد الكلام، فقال: في وجهك كلام، فقلت: الناس ينقمون عليك أمر الثلاثة الأنفس الذين قتلتهم في قراح القثاء، فقال: والله ما كان أولئك المقتولون هم الذين أخذوا القثاء وإنما كانوا لصوصاً، حملوا من موضع كذا وكذا، ووافق ذلك أمر أصحاب القثاء، فأردت أن أهول على الجيش، بأن من عاث منهم في عسكري وأفسدوا في هذا القدر، كانت هذه عقوبتي له، ليكفوا عما فوقه، ولو أردت قتلهم لقتلتهم في الحال والوقت، وإنما حبستهم، وأمرت بإخراج اللصوص من غد مغطين الوجوه، ليقال إنهم أصحاب القثاء، فقلت: فكيف تعلم العامة؟ قال: بإخراجي القوم الذين أخذوا القثاء أحياء، وإطلاقي لهم في هذه الساعة، ثم قال: هاتوا القوم، فجاءوا بهم، وقد تغيرت حالهم، فقال لهم: ما قصتكم؟ فاقتصوا عليه قصة القثاء، فاستتابهم عن فعل مثل ذلك وأطلقهم، فانتشرت الحكاية فزالت التهمة.

أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم

ابن سعيد بن أبي زرعة الزهري مولاهم، يكنى أبا بكر البرقي، وقد ذكرنا فيما بعد برقياً آخر، اسمه أحمد بن محمد، وهو أيضاً من برقة قم، وقد اشتد علي أمره وأمر هذا، فنقلت كما وجدت، ولا شك أنهما من بيت واحد، والله أعلم.

وكانوا ثلاثة إخوة كلهم من أهل العلم، أبو بكر أحمد، وأبو عبد الله محمد، وأبو سعيد عبد الرحيم، يروي ثلاثتهم المغازي عن عبد الملك بن هشام، وفي كتاب أصبهان لحمزة، في الفصل الذي ذكر فيه أهل الأدب واللغة قال: أحمد بن عبد الله البرقي كان من رستاق برق رود، وهو أحد الرواة للغة والشعر، واستوطن قم، فخرج ابن أخيه أبو عبد الله البرقي هناك، ثم قدم أبو عبد الله أصبهان فاستوطنها.

قرأت في كتاب جمهرة النسب قال ابن حبيب: أخبرني أبو عبد الله البرقي – وكان أعلم أهل قم بنسب الأشعريين – أن ابن الكلبي قال: في ثلاثة أحياء من الأشعريين لسن وإنما هو أسن وقال مراطة، وإنما هو إمراطة، وقال زكاز وإنما هو ركاز.

أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة

أبو جعفر الكاتب، ولد ببغداد، ومات بمصر وهو على قضائها، سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وقد روى عن أبيه تصانيفه كلها، حدث عنه أبو الفتح المراغي النحوي، وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، وغيرهما، وقال أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن خرزاذ النجيرمي إن أبا جعفر بن قتيبة حدث بكتب أبيه كلها بمصر حفظاً، ولم يكن معه كتاب، وأحسب ذكر ذلك عن أبي الحسين المهلبي.

وحدث أبو سعيد بن يونس قال: قدم أحمد بن عبد الله ابن مسلم بن قتيبة مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وتولى بها القضاء وتوفي بها وهو على القضاء سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد بن عبد الله المعبدي

من ولد معبد بن العباس، بن عبد المطلب بن هاشم، أحد من اشتهر بالنحو وعلم العربية من الكوفيين وجه من وجوه أصحاب ثعلب الكبار، ذكره الزبيدي، وقد تقدم ذكر آخر يقال له أحمد بن سليمان، لا أدري أهو هذا ونسب إلى جد له أعلى يقال له سليمان أم هو غيره؟ قرأت بخط ابن أبي نواس قال أبو عمر بن حيويه، قال لي أبو عمر: مات المعبدي ليلة الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني

أبو منصور بن أبي محمد عبد الله، بن أحمد بن خزيان بن حامس الفرغاني كان أبوه صاحب محمد بن جرير الطبري، صاحب التفسير والتاريخ، وقد كتبنا خبره فيما بعد في بابه، مات أحمد هذا في شهر ربيع

الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، ومولده لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وكانت وفاته كما أخبرني المصريون بها في سنة اثنتي عشرة وستمائة عند كوني بها.

روى أبو منصور عن أبيه تصانيف أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، وصنف أبو منصور أيضاً عدة تصانيف، منها كتاب التاريخ، وصل به تاريخ والده، وكتاب سيرة العزيز سلطان مصر، المنتسب إلى العلويين، وكتاب سيرة كافور الإخشيدي،وبمصر كان مقامه.

أحمد بن عبد الله بن بدر القرطبي

النحوي، أبو مروان الحكم المستنصر، روى عن أبي عمر بن أبي الحباب، وأبي بكر بن هذيل، وكان نحوياً لغوياً، شاعراً عروضياً، مات سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، حدث عنه أبو مروان الطبيبي، وذكر خبره ووفاته، قاله ابن بشكوال.

أحمد بن عبد الله بن سليمان

أبو العلاء المعري، هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان، بن داود بن المطهر، بن زياد بن ربيعة، بن الحارث ابن ربيعة، بن أرقم بن أنور، بن أسحم بن النعمان، ويقال له الساطع الجمال، بن عدي بن عبد غطفان، بن عمرو بن يربح، بن خزيمة بن تيم الله، بن أسد بن وبرة ابن تغلب بن حلوان، بن عمران بن الحاف، بن قضاعة، وتيم الله مجتمع تنوخ من أهل محلة النعمان، من بلاد الشام، كان غزير الفضل، شائع الذكر، وافر العلم، غاية الفهم، عالماً باللغة حاذقاً بالنحو، جيد الشعر، جزل الكلام، شهرته تغني عن صفته، وفضله ينطق بسجيته، ولد بمعرة النعمان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة واعتل بالجدري، التي ذهب فيها بصره سنة سبع وستين وثلاثمائة، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، أقام ببغداد سنة وسبعة أشهر، ثم رجع إلى بلده، فأقام ولزم منزله إلى أن مات، يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الأول، سنة تسع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم، وكان في آبائه وأعمامه، ومن تقدمه من أهله وتأخر عنه، من ولد أبيه ونسله فضل، وقضاة وشعراء، أنا ذاكر منهم من حضرني، لتعرف نسبه في العلم، كما عرفت ما أعطيه من الفهم.

كان سليمان بن أحمد بن سليمان جده، قاضي المعرة، ولي القضاء بحمص، وبها مات سنة تسعين ومائتين، ثم ولي القضاء بعده بها ولده أبو بكر محمد، عم أبي العلاء وفيه يقول الصنوبري الشاعر:

بأبي يا بن سليمان   سدت تنوخا

وهم السادة شبا نا لعمري وشيوخا

أدرك البغية من أض حى بناديك منيخا

وارداً عندك نيلاً وفراتاً وبليخا

واجداً منك متى است صرخ للمجد صريخا

في زمان غادر اله مات في الناس مسوخا

ثم بعده أخوه، أبو محمد عبد الله، والد أبي العلاء ولعبد الله شعر في مرثية والده:

إن كان أصبح من أهواه مطرحاً بباب حمص فما حزني بمطرح

لو بان أيسر ما أخفيه من جزع لمات أكثر أعدائي من الفرح

وتوفي عبد الله بحمص سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ومنهم أبو المجد، محمد بن عبد الله أخو أبي العلاء، وكان أسن من أبي العلاء، وله أيضاً شعر، منه في الزهد:

كرم المهيمن منتهى أملي لا نيتي أجر ولا عملي

يا مفضلاً جلت فواضله عن بغيتي حتى انقضى أجلي

كم قد أفضت علي من نعم كم قد سترت علي من زلل

إن لم يكن لي ما ألوذ به يوم الحساب فإن عفوك لي

ومنهم عبد الواحد، أبو الهيثم أخو أبي العلاء القائل في الشمعة:

وذات لون كلوني في تغيره وأدمع كدموعي في تحدرها

سهرت ليلي وباتت لي مسهرة كأن ناظرها في قلب مسهرها

وله أيضاً:

قالوا تراه سلا لأن جفونه ضنت عشية بيننا بدموعها

ومن العجائب أن يفيض مدامع نار الغرام تشب في ينبوعها

هؤلاء من حضرني، ممن كان قبل أبي العلاء وفي زمانه، وقد تأخر عن زمانه من أهله من كان عالماً فاضلاً، وأنا ذاكرهم ههنا ليجيئوا على نسق واحد، فمنهم القاضي أبو المجد، محمد بن عبيد الله، وأبو المجد الثاني هو أخو أبي العلاء، وذكره العماد في الخريدة، فقال: ذكر لي ابنه القاضي أبو اليسر الكاتب، أنه كان فاضلاً أديباً، فقيهاً على مذهب الشافعي، أريباً مفتياً خطيباً، أدرك عم أبيه أبا العلاء، وروى عنه مصنفاته وأشعاره، وولي القضاء بالمعرة إلى أن دخلها الفرنج - خذلهم الله - في سنة اثنتين وتسعين

وأربعمائة، فانتقل إلى شيزر وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى حماة فأقام بها إلى أن مات، في محرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، ومولده سنة أربعين وأربعمائة وله ديوان ورسائل، ومن شعره:

رأيتك في نومي كأنك معرض ... ملالاً فداويت الملالة بالترك
وأصبحت أبغي شاهداً فعدمته ... فعدت فغلبت اليقين على الشك
وعهدي بصحف الود تنشر بيننا ... فإن طويت فاجعل ختامك بالمسك
لئن كانت الأيام أبلى جديدها ... جديدي وردت من رحيب إلى ضنك
فما أنا إلا السيف أخلق جفنه ... وليس بمأمون الفرند على الفتك

قال: وأنشدني بعض أهل المعرة:

جس الطبيب يدي جهلاً فقلت له ... إليك عني فإن اليوم بحراني
فقال لي ما الذي تشكو؟ فقلت له ... إني هويت بجهلي بعض نجيراني
فقام يعجب من قولي وقال لهم ... إنسان سوء فداووه بإنسان

قال: وأنشدني مؤيد الدولة، أسامة بن منقذ قال: أنشدني القاضي أبو المجد المعري لنفسه:

وقائلة رأت شيباً علاني ... عهدتك في قميص صباً بديع
فقلت فهل ترين سوى هشيم ... إذا جاوزت أيام الربيع

قال الأمير أسامة: ولما فارق أهله بالمعرة وبقي منفرداً، وكان له غلام اسمه شعيا قال:

زمان غاض أهل الفضل فيه ... فسقياً للحمام به ورعيا
أسارى بين أتراك وروم ... وفقد أحبة وفراق شعيا

قال: وقد سبقه إلى هذا المعنى الوزير المغربي، فإنه لما تغيرت عليه الوزارة وتغرب، كان معه غلام اسمه داهر فقال:

كفى حزناً أني مقيم ببلدة ... يعللني بعد الأحبة داهر
يحدثني مما يجمع عقله ... أحاديث منها مستقيم وجائر

قال الأمير أسامة: لما بليت بفرقة الأهل، كتبت إلى أخي، أستطرد بغلامي أبي المجد، والوزير المغربي، اللذين ذكراهما في شعريهما:

أصبحت بعدك يا شقيق النفس في ... بحر من الهم المبرح زاخر

متفرداً بالهم من لي ساعة　　برفاق شعيا أو علالة داهر

الحديث شجون، يذكر الشيء بما يتصل به، وأشعار أبي المجد المعري كثيرة، منها:

قد أوسع الله البلاد وللفتى　　إلى بعضها عن بعضها مترحرح

فخل الهوينا إنها شر مركب　　ودونك صعب الأمر فالصعب أنجح

فإن نلت ما تهوى فذاك وإن تمت　　فللموت خير للكريم وأروح

ومنهم أبو اليسر، شاكر بن عبد الله، بن محمد، بن أبي المجد، بن عبد الله، بن محمد، بن سليمان، قال العماد: كان كاتب الإنشاء لنور الدين محمود بن زنكي قبلي، فلما استعفى وقعد في بيته، توليت الإنشاء بعده، ومولده بشيزر في جمادى الآخرة، سنة ست وتسعين وأربعمائة، وكان قد تولى ديوان الإنشاء سنين كثيرة، قال: وأنشدني لنفسه:

وردت بجهلي مورد الصب فارتوت　　عروقي من محض الهوى وعظامي

ولم تك إلا نظرة بعد نظرة　　على غرة منها ووضع لثام

فحلت بقلبي من تثنيه لوعة　　تفرت بها حتى الممات عظامي

وله أيضاً:

سارقته نظرة أطال بها　　عذاب قلبي وما له ذنب

يا جور حكم الهوى ويا عجبا　　تسرق عيني ويقطع القلب

وله:

يا له عارضاً إذا دب في الخد　　دبيباً من تحت عقرب صدغ

قعد القلب منهما في بلاء　　وعذاب ما بين قرص ولدغ

وله:

غريت بهم نوب الليالي فاغتدوا　　ما يستقر لهم بأرض دار

حتى كأنهم طريف بضائع　　وكأن أحداث الزمان تجار

وله أيضاً:

تعمم رأسي بالمشيب فساءني　　وما سرني تفتيح نور بياضه

وقد أبصرت عيني خطوباً كثيرة　　فلم أر خطباً أسوداً كبياضه

ومنهم القاضي أبو مسلم، وادع بن عبد الله، بن محمد، ابن عبد الله، بن سليمان، كان أبو العلاء عم أبيه، تولى القضاء بمعرة النعمان وكفر طاب وحماة، وكان مشهوراً بالكرم، ومولده سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وله رسائل حسنة، وشعر بديع منه:

وقائلة ما بال جفنك أرمدا | فقلت وفي الأحشاء من قولها لدغ

لئن سرقت عيناه من لون خده | فغير بديع ربما نفض الصبغ

ومن شعره أيضاً:

ولما تلاقينا وهذا بناره | حريق وهذا بالدموع غريق

تقلدت الدر الذي فاض جفنها | فرصعه من مقلتي عقيق

ومنهم أبو عدي النعمان بن مسلم، وادع من أهل العلم والفضل، وهو القائل:

يأيها الملاك لا تبرحوا الأم | لاك وارجوها إلى قابل

فالعام قد صحت ولكنها | للعدل والمشرف والعامل

ومات أبو عدي بعد سنة خمسين وخمسمائة. ومنهم أبو مرشد سليمان بن علي، بن محمد بن عبد الله، بن سليمان، ولي القضاء بمعرة النعمان، وانتقل إلى شيزر بعد أخذ الفرنج المعرة، وتوفي بها، وله رسائل وشعر، منه قصيدة التزم في كل كلمة منها حرف النون، أولها:

نزه لسانك عن نفاق منافق | وانصح فإن الدين نصح المؤمن

وتجنب المن المنكد للندى | وأعن بنيلك من أعانك وامنن

ومنهم أبو سهل، عبد الرحمن بن مدرك، بن علي بن محمد بن سليمان، مولده ومنشؤه بشيزر وحماة، وتوفي في الزلزلة التي كانت بحماة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وكان شاعراً مطبوع الشعر، ومنه:

جرحت بلحظي خد الحبي | ب فما طالب المقلة الفاعلهْ

ولكن اقتص من مهجتي | كذلك الديات على العاقلهْ

ومن شعره أيضاً:

ولما سألت القلب صبراً عن الهوى | وطالبته بالصدق وهو يروغ

تيقنت منه أنه غير صابر | وأن سلوا عنه ليس يسوغ

فإن قال لا أسلوه قلت صدقتني | وإن قال أسلو عنه قلت دروغ

هذه كلمة أعجمية معناها كذب، ومنهم أخوه أبو المعالي صاعد بن مدرك، بن علي، بن محمد، بن عبد الله، ابن سليمان، مولده ومنشؤه شيزر وحماة، ومات بمعرة النعمان، ومن شعره:

أيأيها الوادي المبيني هل لنا ... تلاق فنشكو فيه صنع التفرق

أبثك ما بي من غرام ولوعة ... وفرط جوى يضني وطول تشوق

عسى أن ترقى حين ملكت رقه ... وترثي له مما بهجرك قد لقي

بوصل يروي غلة الوجد والأسى ... ويطفي به حر الجوى والتحرق

وغير هؤلاء حذفت أسماءهم اختصاراً، وإنما قصدت الإخبار عن إعراق أبي العلاء في بيت العلم.

ونقلت من بعض الكتب، أن أبا العلاء لما ورد إلى بغداد، قصد أبا الحسن علي بن عيسى الربعي، ليقرأ عليه، فلما دخل إليه، قال علي بن عيسى: ليصعد الإسطبل، فخرج مغضباً و لم يعد إليه، والإسطبل في لغة أهل الشام الأعمى، ولعلها معربة.

ودخل على المرتضى أبي القاسم، فعثر برجل، فقال من هذا الكلب؟ فقال المعري: الكلب من لا يعرف للكلب سعين اسماً، وسمعه المرتضى فاستدناه، واختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء، فأقبل عليه إقبالاً كثيراً.

وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبئ، ويزعم أنه أشعر المحدثين، ويفضله على بشار ومن بعده، مثل أبي نواس، وأبي تمام، وكان المرتضى يبغض المتنبئ، ويتعصب عليه، فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبئ، فتنقصه المرتضى، وجعل يتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبئ من الشعر إلا قوله:

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فضلاً، فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله، وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبئ ما هو أجود منها لم يذكرها، فقيل: النقيب السيد أعرف، فقال أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

ولما رجع إلى المعرة لزم بيته: فلم يخرج منه، وسمى نفسه رهين المحبسين، يعني حبس نفسه في المترل، وترك الخروج منه. وحبسه عن النظر إلى الدنيا بالعمى: وكان متهماً في دينه، يرى رأي البراهمة، لا يرى إفساد الصورة، ولا يأكل لحماً، ولا يؤمن بالرسل، والبعث والنشور، وعاش شيئاً وثمانين سنة، لم يأكل اللحم منها خمساً وأربعين سنة، وحدثت أنه مرض مرة، فوصف الطبيب له الفروج، فلما جئ به لمسه بيده وقال: استضعفوك فوصفوك، هلا وصفوا شبل الأسد: وقد أوردنا من شعره ما يستدل به على سوء

معتقده، ويخبرك بنحلته ومستنده.

وحدث غرس النعمة أبو الحسن الصابئ، أنه بقي خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم ولا البيض، ويحرم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تنبت الأرض، ويلبس حشن الثياب، ويظهر دوام الصوم، قال: ولقيه رجل فقال له: لم لا تأكل اللحم؟ قال: أرحم الحيوان، قال: فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان؟ فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه، وإن كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن عملاً، فسكت، قال ابن الجوزي: وقد كان يمكنه أن لا يذبح رحمة، وأما ما قد ذبحه غيره فأي رحمة بقيت؟ قال: وقد حدثنا عن أبي زكريا أنه قال: قال لي المعري: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: اليوم أقف على اعتقاده، فقلت له: ما أنا إلا شاك، فقال: وهكذا شيخك. قال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني: قال لي المعري: لم أهج أحداً قط، فقلت له: صدقت. إلا الأنبياء عليهم السلام، فتغير وجهه.

وحدث أبو زكرياء قال: لما مات أبو العلاء أنشد على قبره أربعة وثمانون شاعراً مراثي، من جملتها أبيات لعلي بن الهمام من قصيدة طويلة:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة ... فلقد أرقت اليوم من جفني دما

سيرت ذكراً في البلاد كأنه ... مسك مسامعها يضمخ أو فما

وترى الحجيج إذا أرادوا ليلة ... ذكراك أوجدب فدية من أحرما

كأنه يقول: إن ذكراك طيب، والطيب لا يحل للمحرم، فيجب عليه فدية، ومن شعره في الزهد:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمنا صرف الزمان كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ومن شعره في الزهد:

فلا تشرف بدنيا عنك معرضة ... فما التشرف بالدنيا هو الشرف

واصرف فؤادك عنها مثلما انصرفت ... فكلنا عن مغانيها سينصرف

يا أم دفر لحاك الله والدة ... فيك الخناء وفيك البؤس والسرف

لو أنك العرس أوقعت الطلاق بها ... لكنك الأم ما لي عنك منصرف

وحدث أبو الكرم، خميس بن علي الجوزي النحوي، حدثنا القاضي أبو يوسف القزويني قال: قال لي ملحد المعرة: ما سمعت في أمر الحسين بن علي رضي الله عنهما شيئاً يجب أن يحفظ، فقلت له: قد قال سوادي من أهل بلادنا أبياتاً، لا يقول مثلها تنوخ جدك الأكبر،

رأس ابن بنت محمد ووصيه ... للمسلمين على قناة يرفع
والمسلمون لمنظر ولمشهد ... لا جازع فيهم ولا متفجع
كحلت بمنظرك العيون عماية ... وأصم رزؤك كل أذن تسمع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى ... وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع
ما روضة إلا تمنت أنها ... لك تربة ولخط قبرك مضجع

قال و لم يسم لنا قائلاً: وقال أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر: وكان حدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر، وهو من لقيته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة، قال: لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب، رأيت شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجد والهزل، يكنى أبا العلاء، وسمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر، قال: وحضرته يوماً وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء:

وافى الكتاب فأوجب الشكرا ... فضممته ولثمته عشرا
وفضضته وقرأته فإذا ... أجلى كتاب في الورى يقرا
فمحاه دمعي من تحدره ... شوقاً إليك فلم يدع سطرا

قال وأنشدني لنفسه:

لست أدري ولا المنجم يدري ... ما يريد القضاء بالإنسان
غير أني أقول قول محق ... قد يرى الغيب فيه مثل العيان
إن من كان محسناً فابكينه ... لجميل عواقب الإحسان

حدث أبو سعد السمعاني في كتاب النسب، وقد ذكر المعري فقال بعد وصفه: وذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي، أنه كان قاعداً في مسجده بمعرة النعمان، بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه، قال: وكنت قد أقمت عنده سنين، و لم أر أحداً من أهل بلدي، فدخل المسجد مغافصة بعض جيراننا للصلاة، فرأيته وعرفته، فتغيرت من الفرح، فقال لي أبو العلاء: إيش أصابك؟ فحكيت له أني رأيت جاراً لي، بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي سنتين، فقال لي: قم وكلمه. فقلتع: حتى أتمم السياق. فقال: قم أنا أنتظر

لك، فقمت وكلمته بلسان الأذربية شيئاً كثيراً، إلى أن سألت عن كل ما أردت، فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لي: أي لسان هذا؟ قلت هذا لسان أهل أذربيجان، فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته، غير أني حفظت ما قلتما، ثم أعاد علي اللفظ بعينه، من غير أن ينقص عنه أو يزيد عليه في جميع ما قلت، وقال جاري: فتعجبت غاية التعجب، كيف حفظ ما لم يفهمه.

قال المؤلف: وهذا غاية ليس بعدها شيء في حسن الحفظ، وقال المؤلف: وأنا كثير الاستحسان لقول أبي العلاء:

أسالت أتي الدمع فوق أسيل — ومالت لظل بالعراق ظليل

أيا جارة البيت الممنع أهله — غدوت ومن لي عندكم بمقيل؟

لغيري زكاة من جمال وإن تكن — زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

وأرسلت طيفاً خان لما بعثته — فلا تثقي من بعده برسول

خيالاً أرانا نفسه متجنياً — وقد زار من صافي الوداد وصول

نسيت مكان العقد من دهش النوى — فعلقته من وجنة بمسيل

وكنت لأجل السن شمس غدية — ولكنها للبين شمس أصيل

أسرت أخانا بالخداع وإنه — يعد إذا اشتد الوغى بقبيل

فإن تطلقيه تملكي شكر قومه — وإن تقتليه تؤخذي بقتيل

فإن عاش لاقى ذلة واختياره — وفاة عزيز لا حياة ذليل

وكيف يجر الجيش يطلب غارة — أسير لمجرور الذيول كحيل

ومن شعره لزوم ما لا يلزم:

يا محلى عليك مني سلام — سوف أمضي وينجز الموعود

فلجسمي إلى التراب هبوط — ولورحي إلى الهواء صعود

وعلى حالها تدوم الليالي — فنحوس لمعشر وسعود

أترجون أن أعود إليكم؟ — لا ترجوا فإنني لا أعود

قرأت بخط أبي سعد، أنشدنا الوكيل بأصبهان، أنشدنا عبيد الله القشيري، أنشدنا أبو الوليد الدربندي، قال: أنشدني أبو العلاء التنوخي في داره، عند وداعي إياه.

كم بلدة فارقتها ومعاشر يذرون من أسف علي دموعا

وإذا أضاعتني الخطوب فلن أرى لعهود إخوان الصفاء مضيعا

خاللت توديع الأصادق للنوى فمتى أودع خلي التوديعا؟

قال أبو الهبارية: أنشدني أبو زكريا الخطيب التبريزي قال: أنشدني أبو العلاء، أحمد بن عبد الله، بن سليمان المعري لنفسه:

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم وأهون بالحلول

أقال الله حين عبدتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

ومن شعر أبي العلاء في الغزل:

يا ظبية علقتني في تصيدها أشراكها وهي لم تعلق بأشراكي

أعييت قلبي وما راعيت حرمته فلم رعيت ولا راعيت مرعاك

أتحرقين فؤاداً قد حللت به بنار حبك عمداً وهو واراك

أسكنته حين لم يسكن به سكن وليس يحسن أن يسخى بسكناك

ما بال داعي غرامي حين يأمرني بأن أكابد حر الوجد ينهاك

ولم غدا القلب ذا يأس وذا طمع يرجوك أن ترحميه ثم يخشاك

ومن خط ابن العصار، قال أبو العلاء في رجل اسمه أبو القاسم:

هذا أبو القاسم أعجوبة لكل من يدري ولا يدري

لا ينظم الشعر ولا يحفظ ال قرآن وهو الشاعر المقري

قرأت بخط أبي سعيد قال: سمعت المبارك بن أحمد ابن الأخوث مذاكرة، خرج رجل على سبيل: الفرجة فقعد على الجسر، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة، متوجهة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب فقال لها: رحم الله علي بن الجهم فقالت المرأة في الحال: رحم الله أبا العلاء المعري، ولم يقفا، ومرا مشرقاً ومغربة، فتتبعت المرأة وقلت لها: أخبريني – عافاك الله – عما قال لك، وعما أجبته؟ فقالت: نعم، رحم الله علي بن الجهم أراد قوله:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بترحمي على أبي العلاء قوله:

فيا دارها بالحزن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

قال أبو زكريا، يحيى بن علي، الخطيب التبريزي: أنشدني أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري لنفسه:

منك الصدود ومني بالصدود رضى | من ذا علي بهذا في هواك قضى
لي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت | من الكآبة أو بالبرق ما ومضا
جربت دهري وأهليه فما تركت | لي التجاريب في ود امرئ غرضا
إذا الفتى ذم عيشاً في شبيبته | ماذقا يقول إذا عصر الشباب مضى؟
وقد تعوضت عن كل بمشبهه | فما وجدت لأيام الصبا عوضا

وله أيضاً:

غدوت مريض العقل والدين فالقني | لتعلم أنباء الأمور الصحائح

الأبيات: قرأت بخط عبد الله بن محمد، بن سعيد بن سنان، الخفاجي الشاعر في كتاب له ألفه في الصرفة، زعم فيه: أن القرآن لم يخرق العادة بالفصاحة، حتى صار معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن كل فصيح بليغ قادر على الإتيان بمثله، إلا أنهم صرفوا عن ذلك، لا أن يكون القرآن في نفسه معجز الفصاحة، وهو مذهب لجماعة من المتكلمين والرافضة، منهم بشر المريسي، والمرتضى أبو القاسم، قال في تضاعيفه: وقد حمل جماعة من الأدباء قول أصحاب هذا الرأي، على أنه لا يمكن أحد من المعارضة بعد زمان التحدي، على أن ينظموا على أسلوب القرآن، وأظهر ذلك قوم، وأخفاه آخرون.

ومما ظهر منه قول أبي العلاء في بعض كلامه: أقسم بخالق الخيل، والريح الهابة بليل، ما بين الأشراط ومطالع سهيل، إن الكافر لطيول الويل، وإن العمر لمكفوف الذيل، اتق مدارج السيل، وطالع التوبة من قبيل، تنج وما إخالك بناجٍ.

وقوله: أذلت العائذة أباها، وأصاب الوحدة ورباها، والله بكرمه اجتباها، أولاها الشرف بما حباها، أرسل الشمال وصباها، "ولا يخاف عقباها".

وقال:

ما جار شماسك في كلمة | ولا يهوديك بالطامع
والطيلسان اشتق في لفظه | من طلسة المبتكر الخامع
والقس خير لك فيما أرى | من خاطب يخطب في جامع

وله أيضاً:

قالوا: فلان جيد فأجبتهم　　　لا تكذبوا ما في البرية جيد
فغنيهم نال الغناء ببخله　　　وفقيرهم بصلاته يتصيد

والناس في أبي العلاء مختلفون، فمنهم من يقول: إنه كان زنديقاً، وينسبون إليه أشياء مما ذكرناها، ومنهم من يقول: كان زاهداً عابداً متقللاً، يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة، والقناعة باليسير، والإعراض عن أعراض الدنيا.

قال كمال الدين أبو القاسم، عمر بن أبي جرداة: قرأت بخط أبي اليسر شاكر بن عبد الله، بن سليمان المعري، أن المنتصر صاحب مصر، بذل لأبي العلاء ما ببيت المال بالمعرة من الحلال، فلم يقبل منه شيئاً، فقال:

كأنما لي غاية من غنى　　　فعد عن معدن أسوان
سرت برغمي عن زمان الصبي　　　يعجلني وقتي وأكواني
صد أبي الطيب لما غدا　　　منصرفاً عن شعب بوان

وقال أيضاً:

لا أطلب الأرزاق وال　　　مولى يفيض علي رزقي
إن أعط بعض القوت أع　　　لم أن ذلك ضعف حقي

قال: وقرأت بخط أبي المعري في ذكره، وكان – رضي الله عنه –، يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل، وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار، يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه، وإيثاراً لإتلاف نفسه، فقال – رضي الله عنه –:

حاول إهواني قوم فما　　　واجهتهم إلا بإهوان
يخرشوني بسعاياتهم　　　فغيروا نية إخواني
لو استطاعوا لوشوا بي إلى ال　　　مريخ في الشهب وكيوان

وقال أيضاً:

غريت بذمي أمة　　　وبحمد خالقها غريت
وعبدت ربي ما استطع　　　ت ومن بريته بريت
وفرتني الجهال حا　　　سدة علي وما فريت
سعروا علي فلم أح　　　س وعندهم أني هريت

فهرست كتبه على ما نقلته من خط أحد مستملي أبي العلاء، قال: الذي أملاه أبو العلاء، أحمد بن عبد الله، بن سليمان التنوخي – تجاوز الله عنه – من الكتب على ضروب: منها ما هو في الزهد، وقرأت في نسخة أخرى: فهرست كتبه ما صورته، قال الشيخ أبو العلاء – رضي الله عنه –: لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة، واجتهدت على أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده، إلى أن أضطر إلى غير ذلك، فأمليت أشياء، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن، علي بن عبد الله ابن أبي هاشم – أحسن الله معونته – فألزمني بذلك حقوقاً جمة، وأيادي بيضاء، لأنه أفنى في زمنه، و لم يأخذ عما صنع ثمنه، والله يحسن له الجزاء، ويكفيه حوادي الزمن والأرزاء، وهي على ضروب مختلفة، فمنها ما هو في الزهد والعظات، وتمجيد الله سبحانه وتعالى من المنظوم والمنثور، فمن ذلك، الكتاب المعروف بالفصول والغايات، والمرادب الغايات القوافي، لأن القافية غاية البيت، أي منتهاه، وهو كتاب موضوع على حروف المعجم، ما خلا الألف، لأن فواصله مبينة على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفاً، ومن المحال أن يجمع بين ألفين، ولكن تجئ الهمزة وقبلها ألف، مثل العطاء والكساء، وكذلك الشراب والسراب في الباء، ثم على هذا الترتيب، و لم يعتمد فيه أن تكون الحروف التي يبنى عليها مستوية الإعراب، بل تجئ مختلفة.

وفي الكتاب قواف تجئ على نسق واحد، وليست المطلقة بالغايات، ومجيئها على حرف واحد، مثل أن يقال: عمامها، وغلامها، وغمامها، وأمرا، وتمرا، وما أشبه، وفيه فنون كثيرة من هذا النوع.

وقيل إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته إلى بغداد، وأتمه بعد عوده إلى معرة النعمان، وهو سبعة أجزاء، وفي نسخة، مقداره مائة كراسة، وكتاب الشاذن، أنشأه في ذكر غريب هذا الكتاب، وما فيه من اللغز، مقداره عشرون كراسة، وكتاب إقليد الغايات، لطيف مقصور على تفسير اللغز، مقداره عشر كراريس، الكتاب المعروف بالأيك والغصون، وهو كتاب الهمزة والردف بخطه، يبنى على إحدى عشرة حالة، الهمزة في حال إفرادها وإضافتها، ومثال ذلك السماء بالرفع: السماءَ، بالنصب: السماء، بالخفض: سماء يتبع الهمة التنوين: سماؤه، مرفوع مضاف، سماءه منصوب مضاف: سمائه مخفوض مضاف، ثم يجئ سماؤها، وسماءها، وسمائها، على التأنيث، ثم همزة بعدها هاء ساكنة، مثل عباءه وملاءه، فإذا ضربت في حروف المعجم الثمانية والعشرين، خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية فصول، وهي سمتوفاة في كتاب الهمزة والردف، وذكرت فيه الأرداف الأربعة بعد ذكر الألف، وهي الواو المضموم ما قبلها، والواو التي قبلها فتحة، ويذكر لكل جنس من هذه أحد عشر وجهاً، كما ذكر للألف، ومن غير خطه وهو في العظات وذم الدنيا، وهو إثنان وتسعون جزءاً، نسخة أخرى، ويكون مقدار هذا الكتاب ألفاً ومائتي كراسة، ومن خطه الكتاب المعروف بتضمين الآي، وهو كتاب مختلف الفصول، فمنه طائفة على حروف المعجم،

وقبل الحرف المعتمد ألف، مثل أن يقال في الهمزة: بناء ونساء، وفي الباء ثياب وعباب، ثم على هذا إلى آخر الحروف، ومنه فصول كثيرة على فاعلين، مثل باسطين وقاسطين، وعلى فاعلون، مثل حامدون وعابدون، وفيه ما هو على غير هذا الفن، والغرض أن يأتي بعد انقضاء الكلام آية من الكتاب العزيز، مثل قوله "إياك نعبد وإياك نستعين"، وربما اقتصر على بعض الآية، أو جئ بآيتين أو أكثر منهما، إذا كانت الآيات من ذوات القصر، كآيات "عبس" ونحوها، ومقدار هذا الكتاب أربعمائة كراسة.

وكان السبب في تأليف هذا الكتاب، أن بعض الأمراء سأله أن يؤلف كتاباً برسمه، و لم يؤثر أن يؤلف شيئاً في غير العظات، والحث على تقوى الله، فأملى هذا الكتاب. كتاب تفسير الهمزة والردف، جزء، كتاب سيف الخطبة جزءان، يشتمل على خطب السنة، فيه خطب للجمع والعيدين، والخسوف والكسوف، والاستسقاء، وعقد النكاح، وهي مؤلفة على حروف من حروف المعجم، فيها خطب عمادها الهمزة، وخطب بنيت على الباء، وخطب على الدال، وعلى الراء، وعلى اللام، وعلى الميم، وعلى النون، وتركت الجيم والحاء وما يجري مجراهما، لأن الكلام المقول في الجماعات، ينبغي أن يكون سجسجاً سهلاً، ومقداره أربعون كراسة، وكان سأله في الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة، فصنف له كتاب نشر شواهد الجمهرة و لم يتم ثلاثة أجزاء. كتاب دعاء وحرز الخيل، كتاب مجد الأنصار في القوافي، كتاب تاج الحرة في عظات النساء خاصة، وتختلف فصوله، فمنها ما يجئ بعد حرفه الذي بني الروي عليه ياء للتأنيث، كقوله: "شائي" وتشائي وتسائي، وهابي، وترائي. ومنه ما هو مبني على الكاف، نحو غلامك وكلامك. ومنها ما يجيء على تفعلين، مثل ترغبين وتذهبين، وأنواعه كثيرة، فيكون هذا الكتاب نحو أربعمائة كراسة. كتاب يعرف بدعاء ساعة، وكتاب آخر يعرف بوقفة الواعظ، وكتاب يعرف بسجع الحمائم، يتكلم فيه على ألسن حمائم أربع، وكان بعض الرساء سأله أن يصنف له تصنيفاً يذكره فيه، فأنشأ له هذا الكتاب، وجعل ما يقوله على لسان الحمامة في العظة، والحث على الزهد. قال غيره: هو أربعة أجزاء، مقداره ثلاثون كراسة. كتاب يعرف بلزوم ما لا يلزم، وهو في المنظوم، بني على حروف المعجم، يذكر كل حرف سوى الألف بوجوهه الأربعة، وهي: الضمة والفتحة والكسرة والوقف، ومعنى لزوم ما لا يلزم، أن القافية يردد فيها حرف لو غير لم يكن مخلاً بالنظم، كما قال كثير:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم انزلا حيث حلت

فلزم اللام قبل اتاء، وذلك لا يلزمه، و لم يفعل كما فعل الشنفري في قصيدته التي على التاء، لأنه لم يلزم فيها إلا حرفاً واحداً، ولكنه خالف بين الحروف التي قبل الروي، فقال:

أرى أم عمرو أزمعت فاستقلت ... وما ودعت جيرانها يوم ولت

وقال فيها:

بريحانة من نبت حلية نورت   لها أرج ما حولها غير مسنت

وقال فيها:

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفاً   إذا أنست أولى العداة اقشعرت

ومن غير خطه ما هو ثلاثة أجزاء، أو أربعمائة وعشرون كراسة، يحتوي على أحد عشر ألف بيت من الشعر. كتاب زجر النابح، يتعلق بلزوم ما لا يلزم، وذلك أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزوم ما لا يلزم، يريد بها التشرر والأذية، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشئ هذا، فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره، ومن غير خطه ما هو شرح اللزوم، وهو جزء واحد، مقداره أربعون كراسة، كتاب يتعلق بزجر النابح، سماه بحر الزجر، كتاب ملقى السبيل، صغير، فيه نظم ونثر، كتاب الجلي والحلي، سأله فيه صديق له من أهل حلب، يعرف بابن الحلي، مجلد واحد وعشرون كراسة، ومن غير هذا الجنس كتاب لطيف، فيه شعر قيل في الدهر الأول: يعرف بكتاب سقط الزند، وأبياته ثلاثة آلاف بيت، كتاب يعرف بجامع الأوزان، فيه شعر منظوم على معنى اللغز، يعم به الأوزان الخمسة عشر، التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها، ويذكر قوافي كل ضرب من ذلك، مثاله أن يقال للضرب الأول من الطويل أربع قواف، المطلقة المجردة، ثم قول القائل:

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر   وإن كان حيانا عداً آخر الدهر

والقافية المردفة، مثل قول امرئ القيس:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

والمقيدة المجردة، وذلك مفقود في الشعر القديم والمحدث، وربما جاء به المحدثون على النحو الذي يسمى مقصوراً، كما قال بعض الناس وهو في السجن: هو صالح ابن عبد القدوس:

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى   وفي يده كشف المصيبة والبلوى

خرجدنا من الدنيا ونحن من أهلها   فما نحن بالأحياء فيها ولا الموتى

إذا ما أتانا مخبر عن حديثها   فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وتعجبنا الرؤيا فجل حديثنا   إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

فإن حسنت لم تأت عجلى وأبطلت   وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلى

والقافية المقيدة المؤسسة، مثل أن يكون العادل والقائل، وذلك مرفوض متروك، ثم على هذا النحو إلى آخر الكتاب، ومقداره ستون كراسة، ويكون عدد أبيات شعره نحو تسعة آلاف بيت، وهو ثلاثة أجزاء. كتاب يعرف بالسجع السلطاني، يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء، وغيرهم من الولاة.
وكان بعض من خدم السلطان وارتفعت طبقته، لا قدم له في الكتابة، فسأل أن ينشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره، وهو لا يشعر بما يريد، لقلة خبرته بالأدب، فألف هذا الكتاب، وهو أربعة أجزاء، وكتاب يعرف بسجع الفقيه، جزء، ثلاثون كراسة، وكتاب لطيف يعرف بسجع المضطرين، عمله لرجل مسافر يستعين به على أمور دنياه، وكتاب مختصر يعرف بذكرى حبيب، في غريب شعر أبي تمام، سأل فيه صديق لأبي العلاء من الكتاب، وهو أربعة أجزاء ستون كراسة، وهذه الكتب المسئسول في تأليها، إنما تكلفها مؤلفها من فرط الحياء، وهو لتأليفها كاره، وكتاب عبث الوليد، فيما يتصل بشعر البحتري، وكان سبب إنشائه: أن بعض الرساء أنفذ نسخة ليقابل له بها، فأثبت ما جرى من الغلط، ليعرض ذلك عليه، وهو جزء واحد وعشرون كراسة، وكتاب يعرف بالرياش المصطنعي في شرح مواضع من الحماسة الرياشية، عمل لرجل يلقب بمصطنع الدولة، ويخاطب بالإمرة، واسمه كليب بن علي، ويكنى أبا غالب، أنفذ نسخة من الحماسة الرياشية، وسأل أن يخرج على حواشيها شيئاً لم يذكره أبو رياش، مما يحتاج إلى تفسيره، فخشي أن تضيق الحواشي عن ذلك، فصنع هذا الكتاب، وجمع فيه ما سنح مما لم يفسره أبو رياش، أربعون كراسة، وكتاب يعرف بشرف السيف، عمل للرجل الذي كان مقيماً بدمشق، وهو المعروف بنشتكين الدزبري.

وكان السبب في عمله: أنه كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام، ويحفي المسألة عنه، فأراد جزاءه على ما فعل، – جزءان – وكتاب يعرف بتعليق الجليس، مما يتصل بكتاب أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، المعروف بالجمل – جزء – وكتاب إسعاف الصديق، ثلاثة أجزاء، يتعلق بالجمل أيضاً، وكتاب قاضي الحق، يتصل بالكتاب المعروف بالكافي، الذي ألفه أبو جعفر النحاس، وكتاب الحقير النافع، مختصر في النحو، خمس كراريس، وكتاب يتصل به يعرف بالطل الطاهري، أنشئ لرجل يعرف بأبي طاهر حلبي، وكتاب المختصر الفتحي، يتصل بكتاب محمد بن سعدان، صنعه لرجل يكنى أبا الفتح، محمد بن علي بن أبي هاشم، وكان أبو هذا الرجل، تولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب، فألزمه بذلك حقوقاً جمة، وأيادي كثيرة، وكتاب في الرسائل الطوال، فيها رسالة الغفران، كتاب سميته خطب الخيل، يتكلم على ألسنتها، ومقداره عشر كراريس، كتاب يعرف بخطبة الفصيح، يتكلم فيه على أبواب الفصيح، مقداره خمس عشرة كراسة، وكتاب شرح فيه ما جاء في الذي قبله من الغريب، يعرف

بتفسير خطبة الفصيح، وكتاب رسل الراموز، نحو ثلاثين كراسة، وكتاب راحة اللزوم، ويشرح فيه ما في كتاب لزوم ما لا يلزم من الغريب، نحو مائة كراسة، وكتاب لطيف يعرف بخماسية الراح، في ذم الخمر، ومعنى هذا الوسم، أنه بني على حروف المعجم، فذكر لكل حرف تمكن حركته خمس سجعات مضمومات، وخمساً مفتوحات، وخمساً مكسورات، وخمساً موقوفات، يكون مقداره عشر كراريس، وكتاب المواعظ الست، وهو لطيف، ومعنى هذا التلقيب، أن الفصل الأول منه في خطاب رجل، والثاني في خطاب اثنين، والثالث في خطاب جماعة، والرابع في خطاب امرأة، والخامس في خطاب امرأتين، والسادس في خطاب نسوة، نحو خمس عشرة كراسة، كتاب ضوء السقط، تفسير غريب سقط الزند، مقادره عشرون كراسة، وكتاب الصاهل والشاحج يتكلم فيه على لسان فرس وبغل، مقداره أربعون كراسة، صنفه لأبي شجاع فاتك، الملقب بعزيز الدولة، والي حلب من قبل المصريين، وكان رومياً، وكتاب منار القائف، في تفسير الكتاب الذي قبله فيما جاء فيه من اللغز والغريب، عشر كراريس، كتاب دعاء الأيام السبعة، وكتاب رسالة على لسان ملك الموت عليه السلام، وكتاب بعض فضائل أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتاب أدب العصفورين، وكتاب السجعات العشر، موضوع على كل حرف من حروف المعجم، عشر سجعات في المواعظ، كتاب شرح كتاب سيبويه، لم يتم، مقداره خمسون كراسة، كتاب يتصل بكتاب الزجاجي، يعرف بعون الجمل، عمل أيضاً لأبي الفتح، محمد بن علي، بن أبي هاشم المذكور آنفاً، وهو آخر شيء أملاه، وكتاب في النحو يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي، ولقبه ظهير العضدي، وكتاب ديوان الرسائل، وهو ثلاثة أقسام.

الأول رسائل طوال، تجري مجرى الكتب المصنفة، مثل كتاب رسالة الملائكة، وكتاب الرسالة السندية، جزء، وكتاب رسالة الغفران، جزء، وكتاب رسالة الفرض، جزء، ونحو ذلك.

والثاني: رسائل دون هذه في الطول، مثل كتاب رسالة المنيح، وكتاب رسالة الاغريض.

والثالث كتاب الرسائل القصار، كنحو ما تجري به العادة في المكاتبة، قيل إنه أربعون جزءاً، وقيل إنه ثمانمائة كراسة، وكتاب خادم الرسائل، في تفسير ما تضمنته هذه الرسائل، مما يحتاج إليه المبتدئون في الأدب، كتاب نظم السور، وكتاب عظات السور، وكتاب الراحلة، ثلاثة أجزاء، في تفسير كتاب لزوم ما لا يلزم، وكتاب في المنظوم، يعرف بكتاب استغفر واستغفري، مقداره مائة وعشرون كراسة، فيه نحو من عشرة آلاف بيت، وكتاب يعرف بالرسالة الحضية، وكتاب رسائل المعونة، وهي ما كتبت على ألسن قوم، وكتاب مثقال النظم في العروض، جزء، وكتاب اللامع العزيزي، في تفسير شعر المتنبي، عمل للأمير عزيز الدولة، وغرسها ابن تاج الأمراء، أبي الدوام، ثابت ابن ثمال، بن صالح، بن مرداس، بن إدريس، بن نصر، بن حميد، بن شداد، بن عبد قيس، بن ربيعة ابن كعب، بن عبد الله، بن أبي بكر، بن كلاب، ابن

ربيعة، بن عامر، بن صعصعة، ويقال له أيضاً اللامع العزيزي، مقداره مائة وعشرون كراسة.

هذا ما وجدناه وأثبتناه عن جماعة من أصحاب أبي العلاء، قالوا: وله بعض كتب في العروض والشعر، بدأها و لم تتم، أو تمت وشذ عنا أسماؤها.

ومن شعره الدال على سوء عقيدته من لزوم ما لا يلزم:

ألا فانعموا واحذروا في الحيا ... ة ملهىً يسمى زوال النعم
أتوكم بأقوالهم والحسا ... م يسد به زاعم ما زعم
تلوا باطلاً وجلوا صارماً ... وقالوا صدقنا فقلنا نعم
زخارف ما ثبت في القلوب ... عمى عليكم بهن المعم

ومن ذلك أيضاً:

فقد طال العناء فكم تعاني ... سطوراً عاد كاتبها بطمس
دعا موسى وزال وقام عيسى ... وجاء محمد بصلاة خمس
وقيل يجئ دين غير هذا ... فأودى الناس بين غد وأمس
إذا قلت المحال رفعت صوتي ... وإن قلت اليقين أطلت همسي

ومن ذلك أيضاً:

وجدت الشرع تخلقه الليالي ... كما خلق الرداء الشرعبي
هي العادات يجري الشيخ منها ... على شيم تعودها الصبي
وأشوى الحق رام مشرقي ... ولم يرزقه آخر مغربي
فذا عمر يقول وذا سواه ... كلا الرجلين في الدعوى غبي

ومن ذلك أيضاً:

إذا ما ذكرنا آدماً وفعاله ... وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا
علمنا بأن الخلق من أصل زنية ... وأن جميع الناس من عنثر الزنا

وقال في رسالة الغفران، ولما أجلى عمر بن الخطاب أهل الذمة عن جزيرة العرب، شق ذلك على الجالين، فيقال: إن رجلاً من يهود خيبر، يعرف بسمير بن أدكن، قال في ذلك:

يصول أبو حفص علينا بدرة ... رويدك إن المرء يطفو ويرسب
مكانك لا نتبع حمولة ماقط ... لتشبع أن الزاد شيء محبب

فلو كان موسى صادقاً ما ظهرتم ... علينا ولكن دولة ثم تذهب

ونحن سبقناكم إلى المين فاعرفوا ... لنا رتبة البادي الذي هو أكذب

مشيتم على آثارنا في طريقنا ... وبغيتكم في أن تسودوا وترهبوا

وهذا يشبه أن يكون شعره، قد نحله هذا اليهودي، أو أن إيراده لمثل هذا، واستلذاذه به، من أمارات سوء عقيدته، وقبح مذهبه، ومن أشعاره الدالة على سوء اعتقاده، قوله في لزوم ما لا يلزم أيضاً:

وهيهات البرية في ضلال ... وقد نظر اللبيب لما اعتراها

تقدم صاحب التوراة موسى ... وأوقع في الخسار من افتراها

فقال رجاله وحي أتاه ... وقال الناظرون بل افتراها

وما حجي إلى أحجار بيت؟ ... كؤوس الخمر تشرب في ذراها

إذا رجع الحليم إلى حجاه ... تهاون بالمذاهب وازدراها

وله أيضاً:

خذ المرآة واستخبر نجوماً ... تمر بمطعم الأرى المشور

تدل على الممات بلا ارتياب ... ولكن لا تدل على النشور

ومنها أيضاً:

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدوا ... ويهود حارت والمجوس مضللهْ

إثنان أهل الأرض ذو عقل بلا ... دين وآخر دين لا عقل لهْ

ومنها أيضاً:

إن الشرائع ألقت بيننا إحناً ... وأورثتنا أفانين العداوات

وما أبيحت نساء الروم عن عرض ... للعرب إلا بأحكام النبوات

ومنها أيضاً:

تناقض ما لنا إلا الشكوت له ... وأن نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس مئين عسجد فديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار؟

قال المؤلف: كان المعري حماراً، لا يفقه شيئاً، وإلا فالمراد بهذا بين، لو كانت اليد لا تقطع إلا في سرقة خمسمائة دينار، لكثر سرقة ما دونها، طمعاً في النجاة، ولو كانت اليد تفدى بربع دينار، لكثر من يقطعها، ويؤدي ربع دينار دية عنها، نعوذ بالله من الضلال. ومنها أيضاً:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

تحطمنا الأيام حتى كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ومما يدل على كفره تصريحاً قوله:

عقول تستخف بها سطور ... يدري الفتى لمن الثبور؟

كتاب محمد وكتاب موسى ... وإنجيل ابن مريم والزبور

ومن ذلك أيضاً:

صرف الزمان مفرق الإلفين ... فاحكم إلهي بين ذاك وبيني

أنهيت عن قتل النفوس تعمداً ... وبعثت أنت لقتلها ملكين؟

وزعمت أن لها معاداً ثانياً ... ما كان أغناها عن الحالين !!

ومن ذلك أيضاً:

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل ... وترزق مجنوناً وترزق أحمقا

فلا ذنب يا رب السماء على امرئ ... رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

ومن ذلك أيضاً قوله:

في كل أمرك تقليد تدين به ... حتى مقالك ربي واحد أحد

وقد أمرنا بفكر في بدائعه ... فإن تفكر فيه معشر لحدوا

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت ... كتب التناظر لا المغني ولا العمد

ومن ذلك أيضاً قوله:

قلتم لنا خالق قديم ... صدقتم هكذا نقول

زعمتموه بلا زمان ... ولا مكان ألا فقولوا

هذا كلام له خبئ ... معناه ليست لنا عقول

ومن ذلك أيضاً قوله:

دين وكفر وأنباء تقال وقر ... قان ينص وتوراة وإنجيل

في كل جيل أباطيل ملفقة ... فهل تفرد يوماً بالهدى جيل؟

ومن ذلك أيضاً:

ألحمد لله قد أصبحت في لجج … مكابداً من هموم الدهر قاموساً

قالت معاشر لم يبعث إلاهكم … إلى البرية عيساها ولا موسا

وإنما جعلوا الرحمن مأكلة … وصيروا دينهم للملك ناموسا

ولو قدرت لعاتبت الذين بغوا … حتى يعود حليف الغي مغموسا

ومن ذلك أيضاً قوله:

ولا تحسب مقال الرسل حقاً … ولكن قول زور سطروه

وكان الناس في عيش رغي … فجاءوا بالمحال فكدروه

قال المؤلف: نقلت هذا كله من تاريخ غرس النعمة محمد بن هلال، بن المحسن الصابئ، وحمدت الله تعالى على ما ألهم من صحة الدين، وصلاح اليقين، واستعذت به من استيلاء الشيطان على العقول.

قرأت في كتاب فلك المعاني، أن كثيراً من الجهال يعد الموت ظلماً من الباري عز وجل، ويستقبحه، بما فيه من النعمة، والحكمة والراحة والمصلحة، وقد قال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري مع تحذلقه ودعواه الطويلة العريضة، وشهرة نفسه بالحكمة، ومظاهرته:

ونهيت عن قتل النفوس تعمداً … وبعثت أنت لقتلها ملكين

وزعمت أن لنا معاداً ثانياً … ما كان أغناها عن الحالين!!

وهذا كلام مجنون معتوه، يعتقد أن القتل كالموت والموت كالقتل، فليت هذا الجاهل لما حرم الشرع وبرده، والحق وحلاوته، والهدى ونوره، واليقين وراحته، لم يدع ما هو برئ منه، بعيد عنه، ولم يقل:

غدوت مريض العقل والرأي فالقني … لتعلم أنباء العقول الصحائح

حتى سلط الله عليه أبا نصر بن أبي عمران، داعي الدعاة بمصر، فقال له: أنا ذلك المريض رأياً وعقلاً، وقد أتيتك مستشفياً فاشفني، وجرت بينهما مكاتبات كثيرة، أمر في آخرها بإحضاره حلب، ووعده على الإسلام خيراً من بيت المال، فلما علم أبو العلاء أنه يحمل للقتل أو الإسلام، سم نفسه ومات، وليته لما ادعى العقل خرس، ولم يقل مثل هذه الترهات التي يخلد إليها من لا حاجة لله تعالى فيه.

قال المؤلف: لما وقفت على هذه القصة، اشتهيت أن أقف على صورة ما دار بينهما على وجهه، حتى ظفرت بمجلد لطيف، وفيه عدة رسائل من أبي نصر، هبة الله ابن موسى، بن أبي عمران، إلى المعري في هذا المعنى، انقطع الخطاب بينهما على المساكتة، ولم يذكر فيها ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية، من

سم المعري نفسه. ونقلها على الوجه يطول، فلخصت منها الغرض، دون تفاصح المعري وتشدقه.

كتب ابن أبي عمران إليه:

الشيخ – أحسن الله توفيقه – الناطق بلسان الفضل والأدب، الذي ترك من عداه صامتاً، مشهود له بهذه الفضيلة، من كل من هو فوق البسيطة، غير أن الأدب الذي هو جالينوس طبه، وعنده مفاتح غيبه، ليس مما يفيده كبير فائدة، في معاشه أو معاده، سوى الذكر السائر به الركبان، مما هو إذا تسامع المذكور به، علم أنه له بمكانة الجمال والزينة، مادام حياً، فإذا رمت به يد المنون من ظهر الأرض إلى بطنها، فلا بحسن ذكره ينتفع، ولا بقبيحه يستضر، وإذا كانت الصورة هذه، كان مستحيلاً منه، – أيده الله – مع وفور عقله، أن جعل مواده كلها منصبة إلى إحكام اللغة العربية، والتقعر فيها، واستيفاء أقسام ألفاظها ومعانيها، ووفر عمره على ما لا نتيجة له منها، وترك نفسه المتوقدة، نار ذكائها خلواً من النظر في شأن معاده، وأن يختار من عمله ما لا ينفع، فيمكث إذا ذهب الزبد جفاء من غيره، فإذا هو – حرسه الله – بمقتضى هذا الحكم، مرتو من عذب مشرب هذا العلم، وإنما ليس يبوح به، لضرب من ضروب السياسة، والدليل على كونه ناظراً لمعاده، سلوكه سبيل العيش والتزهد، وعدوله عن الملاذ، من المأكول والمشروب والملبوس، وتعففه عن أن يعل جوفه للحيوان مدفناً، أو أن يذوق من درها لبناً، أو يستطعم من استبدت عليه في حرثه وإنشائه، وهذه طريقة من يعتقد أنه إذا آلمها جوزي بألمها، وهذا غاية في الزهد.

ولما رأيت ذلك، وسمعت داعية البيت الذي يعزى إليه، وهو:

غدوت مريض الدين والعقل فالقني لتعلم أنباء الأمور الصحائح

شددت إليه راحلة العليل في دينه وعقله، إلى الصحيح الذي ينبئني أنباء الأمور الصحائح، وأنا أول ملب لدعوته، معترف بخبرته، وهو حقيق ألا يوطئني العشواء فيسلك بي في المجاهل، ولا يعتمد فيما يورده تلبيس الحق بالباطل.

وأول سؤالي عن أمر خفيف، فإن استنشقت نسيم الصبا، سقت السؤال إلى المهم: أسأله عن العلة في تحريمه على نفسه اللحم واللبن، وكل ما يصدر إلى الوجود من منافع الحيوان، فأقول: أليس النبات موضوعاً للحيوان يمتار منه؟ وبوجوده وجوده، وبقوة في الحيوان حساسة استولى على الانتفاع بالنبات، ولو لم يكن الحيوان، لكان موضوع النبات باطلاً لا معنى له، وعلى هذه القضية، فإن القوة الإنسانية مستولية على الحيوان، استيلاء الحيوان على النبات، لرجحانها عليه بالنطق والعقل، فهي مسخرة له على أنواع من التسخير، ولولا ذلك، لكان موضوع الحيوان باطلاً، فتجافى الشيخ – وفقه الله – عن الانتفاع بما هو موضوع له، مخلوق لأجله، إبطال لتركيب الخلقة، ثم امتناعه عن أكل الحيوان، ليس يخلو القصد به

من أحد أمرين، الأول: إما أنه تأخذه رأفة بها، فلا يرى تناولها بالمكروه، وما ينبغي له أن يكون أرأف بها من خالقها، فإذا ادعى أن تحليلها وتحريمها، إنما كان من بعض البشر، يعني به أصحاب الشرائع، وأن الله لم يبح إراقة دم حيوان وأكله، كان الدليل على بطلان قوله، وقوع المشاهدة لجنس السباع وجوارح الطير، التي خلقها الله سبحانه على صيغة لا تصلح إلا لنتش اللحوم وفسخها، وتمزيق الحيوانات وأكلها. وإذا كان هذا الشكل قائم العين في الفطرة، كان جنس البشر وسيع العذر في أكل اللحوم، وكان من أصل لهم ذلك محقاً.

والثاني: أنه يرى سفك دماء الحيوان خارجاً عن أوضاع الحكمة، وذلك اعتراض منه على خالقه الذي أوجده. وإذا أنعم الشيخ وساق إلى حجة أعتمدها، رجوت كشف المرض الذي وقع اعترافي به.

الجواب من أبي العلاء المعري إليه قال العبد الضعيف العاجر، أحمد بن عبد الله، بن سليمان: أول ما أبدأ به، أني أعد سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين – أطال الله بقاءه – ممن ورث حكمة الأنبياء، وأعد نفسي الخاطئة من الأغبياء، وهو بكتابه إلي متواضع، ومن أنا؟ حتى يكتب مثله إلى مثلي، مثله في ذلك، مثل الثريا كتب إلى الثرى وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الإبصار نقيل، قضي علي وأنا ابن أربع، لا أفرق بين النازل والطالع، ثم توالت محني، فأشبه شخصي العود المنحني، ومنيت في آخر عمري بالإقعاد، وعداني عن النهضة عاد. وأما ما ذكره سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين، فالعبد الضعيف العاجز، يذكر له مما عاياه طرفاً، فأقول: إن الله – جلت عظمته –، حكم علي بالإزهاد، فطفقت من العدم في جهاد، وأما قول العبد الضعيف العاجز:

"غدوت مريض العقل والدين فالقني" فإنما خاطب به من هو في غمرة الجهل، لا من هو للرياسة علم وأصل، وقد علم أن الحيوان كله حساس يقع به الألم، وقد سمع العبد الضعيف من اختلاف القدماء.

وأول ما يبدأ به، لو أن قائلاً من البشر قال: إذا بنينا القضية البتية المركبة من المسند والمسند إليه، ولها واسطتان، إحداهما نافية، والأخرى استثنائية، فقلنا: الله لا يفعل إلا الخير، فهذه القضية كاذبة أم صادقة؟ فإن قيل صادقة، فقد رأينا الشرور غالبة، فعلمنا أن ذلك أمر خفي، ولم يزل من ينسب إلى الدين يرغب في هجران اللحوم، لأنها لم يوصل إليها إلا بإيلام حيوان، يفر منه في كل أوان، وأن الضائنة تكون في محل القوم وهي حامل، فإذا وضعت وبلغ ولدها شهراً أو نحوه، اعتبطوه فأكلوه، ورغبوا في اللبن، وباتت أمه ثاغية، لو تقدر سعت له باغية، وقد تردد في كلام العرب ما يلحق الوحشية من الوجد، والناقة إذا فقدت الفصيل، فقال قائلهم:

فما وجدت كوجدي أم سقب ... أضلته فرجعت الحنينا

وللسائل أن يقول: إن كان الخير لا يريد ربنا سواه، فالشر لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون قد علم به أو لا. فإن كان عالماً به، فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون مريداً له أو لا. فإن كان مريداً له، فكأنه الفاعل، كما أن القائل يقول: قطع الأمير يد السارق، وإن لم يباشر ذلك بنفسه.

وإن كان غير مريد، فقد جاز عليه ما لا يجوز على أمير مثله في الأرض، أنه إذا فعل في ولايته شيء لا يرضاه أنكره، وأمر بزواله، وهذه عقدة، قد اجتهد المتكلمون في حلها فأعوزهم.

وقد ذكرت الأنبياء: أن البارئ – جلت عظمته – رؤوف رحيم، ولو رأف ببني آدم، وجب أن يرأف بغيرهم من أصناف الحيوان، الذي يجد الألم بأدنى شيء، وقد علم أن الوحوش الراتعة يبكر إليها الفارس، فيطعن العير أو الأتان، وهن ما أسدين إليه ذنباً، ولأي حال استوجب من يفعل بها هذا، "الرقة"؟ وهي لم تشرب من الماء بذنوب، و لم تجز ما تكسب من الذنوب، وقد رأيت الجيشين المنتسب كل واحد منهما إلى الشرع المنفرد، يلتقيان وكلاهما في مدد، ويقتل بينهما آلاف عدداً، فهذا محسوب من أي الوجهين؟ فليس عند النظر بهين. فلما بلغ العبد الضعيف العاجز اختلاف الأقوال، وبلغ ثلاثين عاماً، سأل ربه إنعاماً، فرزقه صوم الدهر، فلم يفطر في السنة ولا الشهر، إلا في العيدين، وصبر على توالي الجديدين، وظن اقتناعه بالنبات يثبت له جميل العاقبة.

وقد علم سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين ولا ريب، أنه قد نظر في الكتب المتقدمة، وما حكي عن جالينوس وغيره، من اعتقاد يدل على الحيرة. وإذا قيل: إن الباريء رؤوف رحيم، فلم سلط الأسد على افتراس نسمة إنسية؟، ليست بالمفسدة ولا القسية، وكم مات بلدغ الحيات جماعة مشهورة؟، وسلط على الطير الراضية بلقط الحبة البازي والصقر، وإن القطاة لتدع فراخها ظماء، وتبتكر لترد ماء تحمله إليها في حوصلتها، فيصادفها دونهن أجدل فيأكلها، فيهلك فراخها عطشاً، وذكر أشياء من هذا الباب، ثم قال: وأعوذ بالله وأتبرأ من قول الكافر:

ألمت بالتحية أم بكر	فحيوا أم بكر بالسلام
وكائن بالطوى طوى بدر	من الشيزي يكلل بالسنام
ألا يا أم بكر لا تكرى	علي الكأس بعد أخي هشام
وبعد أخي أبيه وكان قرماً	من الأقرام شراب المدام
ألا من مبلغ الرحمن عني	بأني تارك شهر الصيام
إذا ما الرأس زايل منكبيه	فقد شبع الأنيس من الطعام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام؟؟

أينزل أن يرد الموت عني ويحييني إذا بليت عظامي؟؟

ولعن الله القائل. ويقال: إنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

أدنها مني خليلي عنه لا دون الإزار

فلقد أيقنت أني غير مبعوث لنار

سأروض الناس حتى يركبوا دين الحمار

وأرى من يطلب الجن ة يسعى في خسار

وويل لابن رعيان إن كان قال:

هي الأولى وقد نعموا بأخرى وتسويف الظنون من السواف

فإن يك بعض ما قالوه حقاً فإن المبتليك هو المعافى

ومما حثني على ترك أكل الحيوان، أن الذي لي في السنة نيف وعشرون ديناراً، فإذا أخذ خادمي بعض ما يجب، بقي لي ما لا يعجب، فاقتصرت على فول وبلسن وما لا يعذب على الألسن، فأما الآن، فإذا صار إلى من يخدمني كبير، فعندي وعنده هين، فما حظي إلا اليسير المتعين، ولست أريد في رزقي زيادة، ولا أوثر لسقمي عيادة، والسلام.

الجواب من ابن أبي عمران حوشي الشيخ: - أدام الله سلامته - من أن يكون ممن قطف في مرض دينه وعقله بعلته، وأجاب دعوة الداعي منه، بالبيت الشائع عنه، لينال شفاء علته، جواباً يزيده إلى غلته غلة، إذاً يكون كما قال المتنبي:

أظمتني الدنيا فلما جئتها مستسقياً مطرت علي مصائبا

كان سؤالي له - حرسه الله - في شيء يختص بنفسه، في هجره ما يسد الجسم من اللحم، الذي ينبت اللحم، فأجاب بما أقول في جوابه: أهذه أنباء الخ، وهل زاد السقيم بدوائه هذا إلا سقماً، والأعمى الأصم في دينه وعقله بما قال إلا عمىً وصمماً، على أن جميع ما ذكره بنجوة عن سؤالي الأول، ومعزل عنه، ولا مناسبة بينهما وبينه.

وأما القول بأن اللحوم لا يوصل إليها إلا بإيلام الحيوان، فقد سبق الجواب: لا يكونن الشيخ أرأف بها من خالقها، فليس يخلو من كونه عادلاً أو جائراً، فإن كان عادلاً، فإنه سبحانه يقبض أرواح الآكل والمأكول جميعاً، وذلك مسلم له، وإن كان جائراً، لم ينبغ أن نرجع لعى خالقنا بعلنا وجوره.

وأما قوله وللسائل أن يقول: إن كان الخير هو الذي لا يريد ربنا سواه، فالشر لا يخلو من أحد أمرين، إما

أن يكون قد عليم به أو لا، إلى آخره، فأقول: قيل إن إنساناً ضاع له مصفحف، فقيل له اقرأ "والشمس وضحاها" فإنك تجده، فقال: وهذه السورة أيضاً فيه، فأقول أيضاً: إن هذا أيضاً من ذلك، وجميعه ظلمات فأين النور؟ وإنما قصدنا أن نعرف أنباء الأمور الصحائح كما قاله. وأما قوله: لما رأي اختلاف الأقوال، وأيقن بنفاه وزوال، سأل ربه أن يرزقه صوم الدهر، واقتنع بالنبات، فما صح لي أن الرب الذي سأله، هو الذي يريد الشر وحده، أو الذي يريدهما جميعاً، والصوم فرع على أصل، من شرع يأتي به رسول، والرسول يتعلق بمرسل، وقصتنا في الرسل مشتبهة، يبعث رسولاً يريد أن يطاع، أم لا يطاع؟ فإن كان يريد أن يطاع، فهو مغلوب على إرادته، لأن من لا يطيعه أكثر، وإن كان يريد ألا يطاع، فإرساله إياه محال، وطلبة حجة على الضعفاء ليعذبهم، فإن كان موضوع صومه على هذا، فلم يفعل شيئاً، وإن كان على غيره مما هو أجلى وأوضح، فهو الذي أطلبه.

وأما حكايته قول بعض الملحدين، واستعاذته بالله أن يكون من المعترضين، في قوله تعالى: "وأنه أهلك عاداً الأولى، وثمود فما أبقى" الآيات. إن كان الباري سبحانه خلقهم، وهو يعلم أنهم مجرمون، ومن التوبة والإنابة يحرمون، فكان الأولى به، وهو الرؤوف الرحيم، ألا يخلقهم لئلا يعذبهم، وإن كان لا يعلم، فهو كأمثالنا، ولا يدري ما يكون منه. وقول الشيخ بعده: معاذ الله أن نقول ذلك. بل نسلم ونتلو الآية: "من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً" فليس الملحد إذا قال: إن السكر حلو، والخل حامض، لا يقبل منه لكونه ملحداً. وقوله يقتضي جواباً. فإن كان عند الشيخ جواب، فهو الذي نبغي، وإلا فما التسليم في هذا الموضع، إلا التسليم للملحد، لا شيء غيره، وأما إنشاده: "ألمت بالتحية أم عمرو" وما بعده من الأشعار، وذمه من قال ولعنه، فمن الذي اتهمه بشيء من ذلك؟ حاشاه، وما الذي أوجب الإذكار بكفريات شعرهم؟. وأما ختمه الرسالة بقوله: إن الذي حثه على ترك أكل الحيوان، أن الذي له في السنة نيف وعشرون ديناراً، يصير إلى خادمه معظمها ويبقى له أيسرها، فتحمل مئونة القدر الذي يطعمه، لو كان ثقيلاً لوجب تحمله، فكيف وهو الخفيف محمله؟. وقد كاتبت مولاي تاج الأمراء، – حرس الله عزه –، أن يتقدم بإزاحة العلة، فيما هو بلغة مثله من ألذ الطعام، ومراعاته به على الإدرار والدوام، ليتكشف عنه غاشية هذه الضرورة، ويجري أمره في معيشته على أحسن ما يكون من الصورة، ثم إن قام من الشيخ نشطة لجواب، أعفاني فيه عن قصد الأسجاع، ولزوم ما لا يلزم، فإن ملتمسي فيه المعاني لا الألفاظ.

الجواب من أبي العلاء"

سيدنا الرئيس الأجل، المريد في الدين، عصمة المؤمنين، هدى الله الأمم بهدايته، وسلك بهم طريق الخير على يده، قد بدأ المعترف بجهله، – المقر بحيرته، والداعي إلى الله سبحانه أن يرزقه ما قل من رحمته، في

أول ما خاطبه به -، أن ذكر اعتقاده في سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين، ضوأ الله الظلم ببصيرته، وأذهب شكوك الأفئدة برأيه وحكمته، وما نفسه عليه من الذلة والحقرية عنده، وأنه سحسبها ساكتة في بعض السوام، وعجب أن مثله يطلب الرشد ممن لا رشد عنده، فيكون كالقمر الذي هو دائب في خدمة ربه ليلاً ونهاراً، يطلب الحقيقة ممن أقمر بفلاة يرد الماء على الصائد، ويصيب قلبه بسهم. وقد ذكر - أيد الله الحق بحياته -، بيتاً من أبيات على الحاء، ذكر وليه ليعلم غيره ما هو عليه من الاجتهاد في التدين، وما حيلته في الآية المترلة؟ التي هي قوله: "من يهد الله فهو المهتد" وأولها:

غدوت مريض العقل والدين فالقني لتعلم أنباء الأمور الصحائح

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح

ولا يقدر أحد يدفع أن الحيوان البحري، لا يخرج من الماء إلا وهو كاره وإذا سئل المعقول عن ذلك، لم يقبح ترك أكله وإن كان حلالاً، لأن المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم حلال مطلق:

وأبيض أمات أرادت صريحة لأطفالها دون الغواني الصرائح

والمراد بالأبيض: اللبن، ومشهور أن الأم إذا ذبح ولدها وجدت عليه وجداً عظيماً، وسهرت لذلك ليالي، وقد أخذ لحمه، وتوفر على أصحاب أمه ما كان يرضع من لبنها، وأي ذنب لمن تحرج عن ذبح السليل؟ و لم يرغب في استعمال اللبن، ولا يزعم أنه محرم، وإنما تركه اجتهاداً في التعبد، ورحمة للمذبوح، رغبة أن يجازى عن ذلك بغفران خالق السموات والأرض، وإذا قيل: إن الله سبحانه يساوي بين عباده في الأقسام، فأي شيء أسلفته الذبائح من الخطأ، حتى تمنع حظها من الرأفة والرفق؟

فلا تفجعن الطير وهي غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صيد الليل، وذلك أحد القولين في قوله عليه الصلاة والسلام: "أقروا الطير في وكناها"، وفي الكتاب العزيز: "يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم" إلى غيرها من الآي في المعنى، فإذا سمع من له أدنى حس هذا القول، فلا لوم عليه إذا طلب التقرب إلى رب السموات والأرضين، بأن يجعل صيد الحل كصيد الحرم، وإن كان ذلك ليس بمحظور:

ودع ضرب النحل الذي بكرت له كواسب من أزهار نبت فوائح

لما كانت النحل تحارب الشائر عن العسل بما تقدر عليه، وتجتهد أن ترده عن ذلك، فلا غرو إن أعرض عن استعماله، رغبة في أن تجعل النحل كغيرها، مما يكره فيه ذبح الأكيل، وأخذ ما كان يعيش به لتشربه النساء، كي يبدن وغيرها من بني آدم، وقد وصفت الشعراء ذلك، فقال أبو ذئب يصف مشتار العسل:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت لوب عواسل

وروى عن علي عليه السلام حكاية معناها: أنه كان له دقيق شعير في وعاء يختم عليه، فإذا كان صائماً لم يختم على شيء من ذلك الدقيق، وقد كان عليه السلام يصل إلى غلة كثيرة، ولكنه كان يتصدق بها، ويقتنع أشد اقتناع، وروي عن بعض أهل العلم أنه قال في بعض خطبه: إن غلته تبلغ في السنة خمسين ألف دينار، وهذا يدل على أن الأنبياء والمجتهدين من الأئمة، يقصرون نفوسهم، ويؤثرون بما يفضل منهم أهل الحاجة.

وقد عدل سيدنا الرئيس إلى الإيماء بأن من ترك أكل اللحم ذميم، ولو أخذ بهذا المذهب، لوجب على الإنسان ألا يصلي صلاة إلا ما افترض عليه، لأن ما زاد على ذلك، أداه إلى كلفة، والله تبارك وتعالى لا يريد ذلك، ولوجب أن الذي له مال كثير، إذا أخرج عن الذهب ربع العشر، لا يحسن به أن يزيد على ذلك، وقد حث الناس على النفقات في غير موضع من الكتاب الأشرف. والعبد الضعيف العاجز، قد افتقر إلى مثل ذلك، ولو مثل بحضرته السامية، لعلم أنه لم يبق فيه بقية لأن يسأل ولا أن يجيب، لأن أعضاءه متخاذلة، وقد عجز عن القيام في الصلاة، فإنما يصلي قاعداً، والله المستعان. وكيف له أن يكون يصل إلا أن يدب على عكاز؟. ثم استشهد على عجزه بأشعار العرب، وإني لأعجز إذا اضطجعت عن القعود، فربما استعنت بإنسان، فإذا هم بإعانتي، وبسط يديه لنهضتي، ضربت عظامي، لأنهن عاريات من كسوة كانت عليهن. وأما استشهاده ببيت أبي الطيب، فمن استرشد بمثل العبد الضعيف العاجز، مثله مثل من طلب في القتادة ثمر النخلة، وإنما حمل سائله على ذلك حسن الظن، الذي هو دليل على كرم الطبع، وشرف النفس، وطهارة المولد، وخالص الخيم.

وأما ما ذكره من المكاتبة في توسيع الرزق علي، فيدل على إفضال ورثه عن أب فأب، وجد في إثر جد، حتى يصل النسب إلى التراب، فالعبد الضعيف العاجز، ما له رغبة في التوسع، ومعاودة الأطعمة. وتركها صار له طبعاً ثانياً. وإنه ما أكل شيئاً من حيوان خمساً وأربعين سنة.

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

وقد علم أن السيد الأجل، تاج الأمراء، فخر الملك، عمدة الإمامة، وعدة الدولة ومجدها، ذا الفخرين، نصيف أولاد سام وحام ويافث، وود العبد الضعيف العاجز، لو أن قلعة حلب، وجميع جبال الشام جلعها الله ذهباً، لينفقه تاج الأمراء، نصير الدولة النبوية، على إمامها السلام. وكذلك على الأئمة الطاهرين من آبائه، من غير أن يصير إلى العبد الضعيف من ذلك قيراط، وهو يستحي من حضرة تاج الأمراء، أن ينظر

إليه بعين من رغب في العاجلة بعد ما ذهب، وهو رضي أن يلقى الله جلت قدرته، وهو لا يطالب إلا بما فعل من اجتناب اللحوم، فإن وصل إلى هذه الرتبة فقد سعد. ثم اعتذر عن السجع بأخبار أوردها، واحتجاجات ذكرها. وسيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين، لازالت حجته باهرة، ودولته عالية، كما قال ثعلبة بن صعير:

ولرب قوم المين ذوي شذى تغلي صدورهم بهتر هاتر

لاقيتهم مني بما قد ساءهم وخسأت باطلهم بحق ظاهر

ولو ناظر أرسطاليس لجاز أن يفحمه، أو أفلاطون لنبذ حججه خلفه، والله يجمل بحياته الشريعة، وينصر بحججه الملة، وحسبي الله ونعم الوكيل.

"الجواب من ابن أبي عمران"

ما فاتحت الشيخ – أحسن الله توفيقه – بالقول، إلا مفاتحة متناكر عليه فيه، مؤثر لأن يخفي من أين جاء السؤال؟ فيكون الجواب عنه باستدلال ورفض حشمة، وحذف تكلف للخطاب بسيدنا والرئيس، وما يجري هبذا المجرى، إذ كان حكم ما يتجارى فيه، موجباً ألا يتخلله شيء من زخارف الدنيا، ولأني أعتقد أن سيدي بالحقيقة، من تستقل دون يده يداي، صداً منه للدنيا، أو تمتار نفسي من نفسه، استفادة من معالم الأخرى، فما أدري كيف انكشفت الحال؟، حتى صار الشيخ – أدام الله تأييده – يخاطبني بسيدنا والرئيس، ولست مفضلاً عليه في دنيا ولا دين، بل شاد راحلتي إليه الاستفادة، إن وردت موردها، أو صادفت نمراً أو علالتها، قابلتها بالشكر لنعمته، والإسجال على نفسي بأستاذيته، وبعد، فإني أعلمه – أدام الله سلامته – أني شققت جيب الأرض، من أقصى دياري إلى مصر، وشاهدت الناس بين رجلين، إما منتحل لشريعة صبا إليها، ولهج بها، إلى الحد الذي إن قيل له من أخبار شرعه: إن فيلاً طار، أو جملاً باض، لما قابله إلا بالقبول والتصديق، ولكان يكفر من يرى غير رأيه فيه، ويسفهه ويلعنه، والعقل عند من هذه سبيله في مهواة وفي مضيعة، فليس يكاد ينبعث أن هذه الشريعة التي هو منتحلها، لم يطوق طوقها، ولم يسور سوارها، إلا بعد بلوغ نور العقل منه، فكيف يصح توليه أولاً، وعزله آخراً؟. فلما رمت بي المرامي إلى الشام، وسمعت أن الشيخ – وفقه الله – يفضل في الأدب والعلم، وقد اتفقت عليه الأقاويل، ووضح به البرهان والدليل، ورأيت الناس فيما يتعلق بدينه مختلفين، وفي أمره مبتلين، فكل يذهب فيه مذهباً، وحضرت مجلساً جليلاً أجري فيه ذكره، فقال الحاضرون فيه غثاً وسميناً فحفظته في الغيب، وقلت: إن المعلوم من صلابته في زهده، يحميه من الظنة والريب، وقام في نفسي أن عنده من حقائق الله سراً قد أسبل عليه من البقية ستراً، وأمراً يميز به عن قوم يكفر بعضهم بعضاً، ولما سمعت البيت "غدوت

مريض العقل" توثقت من خلدي فيما حدثت عقوده، وتأكدت عهوده، وقلت: إن لساناً يستطيع بمثل هذه الدعوى نطقاً، ويفتق من هذا الفخر العظيم رتقاً، للسان صامت عنده كل ناطق، من ذروة من جبل العلم شاهق، فقصدته قصد موسى للطور، أقتبس منه ناراً، وأحاول أن أرفع بالفخر مناراً، لمعرفة ما تخلف عن معرفته المتخلفون، واختلف في حقيقته المختلفون، فأدليت دلوي بالمسألة الخفيفة، التي سألت عنها، ترقياً من دون إلى فوق، وتدرجاً من صغرى إلى كبير فكان جوابه، أنه يصغر عن أن يكون للاسترشاد محلاً، فقلت: هذه زيادة في فضله، وما يجوز صدور مثله عن مثله، ثم انتهى إلى الإحالة على كون الناس ممن تقدم أو تأخر، في وادي الحيرة تائهين، وفي أذياله متعثرين، من قائل يقول: إن الخير والشر من الله، ومجيب يجيبه، هل كان ما كان يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعث السفر؟ وكل مستعاذ منه، خيراً أو شراً. فإن كان خيراً فالاستعاذة منه باطلة، وإن كان شراً والله مريده، فالاستعاذة منه كذلك فضول وزيادة في المعنى، وسؤال من يسأل: هل كان سم الحسن وقتل الحسين، عليهما السلام خيراً أو شراً؟ فإن كان خيراً فاللعنة على القاتل من أي جهة؟ وإن كان شراً والله مريده، زال اللوم عن القاتل. وقائل يقول: إن الخير من الله، والشر من غيره، ومجيب يجيب بالجواب الذي يقطع به الأسباب، وغيره مما أطال به الخطاب، من أشعار الملحدة وأقوالهم، فكان جوابي – أدام الله سلامته – أنني من هؤلاء الذين ذكرتهم، تبريت إليك، وتطايحت عليك. وإن كلامهم عندي قبل أن عللته عليل، وهو على مسامع القبول مني ثقيل، فافتح لي إلى ما عندك باباً، وأفسح لي من لدنك جناباً، فلم يفعل، ثم خاطبته على امتناعه من أكل اللحوم، فاحتج بكونه متحرجاً من قصدها – أعني البهائم – بالمضرة والإيلام، متعففاً عنها لهذه الجهة، فقطعت لسان حجته بعد تناهيها، وقلت: إذا كان الله تعالى سلط بعضها لتأكل بعضاً، وهو أعرف بوجوه الحكمة، وأرأف باخليقة، فلا يكون أرأف بها من ربها، ولا أعدل فيها من خالقها، ثم عدل إلى قصور يد الاستطاعة دون ذلك، إذ كان القدر الذي هو له في السنة منصرفاً إلى من يتولى خدمته أكثره، وخالصاً له أقله، فقطعت الحجة في هذا الباب أيضاً، وعينت له على جهة كريمة، من الذين لا يتعبون ما أنفقوا مناً ولا أذى، ما يقوم

بقدر كفايته، من أطيب ما يأكلون، وأزكى ما في البيوت يدخرون فتجافت نفسه – وقاها الله السوء – عن هذا الباب أيضاً، وكتب في الجواب الثاني بأنه لا يؤثر ذلك، ولا يرغب فيه، ولا يخرق عادته المستمرة في الترك، وابتدأ يقول: إني طلبت الرشد ممن لا رشد عنده، وإن البيت الذي قاله مما تعلقت به، وجعلته محجة إلى استقراء طريقته ومذهبه، إنما أراد الإعلام باجتهاده في التدين، وما حيلته في الآية المنزلة "من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً" فجمع بين المتضادين في كلمة واحدة، لأنه إن كانت الآية حقاً، كان الاجتهاد باطلاً. وقال: إن لله سبحانه أسراراً لا يقف عليها إلا الأولياء، فنحن على ذلك

السر ندور، وعلى باب من هو عنده نطوف، فإن قلنا: إنه – حرسه الله – من أصحابه، بدعوى صحته في دينه وعقله ومرض الناس على موجب قوله، قال: لا رشد عندي، فنظمه في هذا المعنى يناقض نثره، ونثره يخالف نظمه، فكيف الحيلة؟ ثم قال: إن البيت المقول:

غدوت مريض العقل والدين فالقني لتعلم أنباء العقول الصحائح

يؤدي معناه البيت الثاني:

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح

فكأن مرض الدين والعقل من جهة أكل اللحوم، وشرب الألبان، وتناول العسل، فمن ترك هذه المطاعم، كان صحيحاً دينه وعقله، وهو يعلم أن صحة الأديان والعقول لا تقوم بذلك، ولا يجوز أن يكون هذا البيت الثاني، ناسخاً لحكم الأول، فيكون محصول دعواه في فقر الناس، إلى أن يصح دينهم وعقلهم، هو أن يقول لهم: لا تأكلوا اللحم واللبن!!! وأما قوله: إن الحيوان البحري كاره أن يخرج إلى البر، وإنه ليس يقبح في العقول ترك أكله وإن كان حلالاً، لأن المتدينين لم يزالوا يتركون ما لهم طلقاً، فما من حيوان بحري ولا بري، هو أجل من هذا الإنسان الحي العاقل، وهو كاره للموت فيموت، وكاره لأن يأكله شيء، والدود يأكله في قبره، فإن كان ذلك صاندراً عن موضع حكمة، كان ما ذكره من الحيوان البري والبحري جارياً في مضمار هذا، مثلاً بمثل، وإن كان معدولاً به عن وجه الحكمة، كان محالاً أن يكون صانعي سفيهاً، وأكون – وأنا مصنوعه – حكيماً.

وأما قوله: إن النبي صلى الله عليه وسلم، صلى إلى أن تقرحت قدماه، فقيل له فيه، فقال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً؟ فما هذا مما نحن عليه في شيء، والإنسان له أن يصلي ما شاء من الصلوات، في الأوقات التي تجوز فيها الصلاة، على ألا يزيد في الفرائض ولا ينقص منها، وهذا الكلام شرعي، وكانت القضية للتكلم على العقليات.

وأما قوله: إنه عليه الصلاة والسلام، حرم صيد الحرم، وإن لغيره أن يحرم صيد الحل تقرباً إلى الله سبحانه، فليس لأحد أن يحلل أو يحرم غيره، وأما قوله: إن علياً عليه السلام: لما قدم إليه الخبيص سأل: هل أكل النبي صلى الله عليه وسلم منه؟ فلما قالوا لا: رفعه و لم يأكله، فهذه الحجة عليه لا له، فإن الناس مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يفارق أكل اللحم، وهو يهجره دهره، وذلك بالضد سواء، ولو أنه – حرسه الله – لم يستظهر علي بالشريعة، و لم يتجاوز نصبة العقل، لصنته عن هذا الجواب الذي عسى أن يستغل سره. ويعز علي ذلك.

وأما ما شكاه من ضعفه، وقصور حركته، وأنه لم يبق فيه بقية لأن يسأل ولا أن يجيب، فما هو - حرسه الله - على علاته من الضعف والقوة، إلا من محاسن الزمان، وممن سارت بذكر فضله الركبان، إلا أنه على عدوان الدهر عليه، عدا على نفسه، بحرمانها ملاذ دنياها، فإن وثقت نفسه بملاذ تعتاض عنها، مما هو خير وأبقى منها، فما خسرت صفقته، وقام مصداق قوله بالبيت المقدم ذكره، وإن كان يوسم بميسم الشح بمنع المنتجعين، ورد السائلين. وإن كان شق على نفسه من غير بصيرة كما يدعيه الآن، خوضاً مع الخائضين، وتحيراً مع أمثالنا من المتحيرين، فقد أضاعها وجنى عليها، وادعى في البيت المقدم ذكره ما لا برهان له، والغرض في السؤال والجواب الفائدة، وإذا عدمت فقد خفف الله عنه أن يتكلف جواباً.

وأما الأسجاع ومساءلتي التخلي عنها، فما كانت إلا ضحاً بالمعاني أن تضل بتتبعها، ولأنني إذا تتبعت فضله، بصنعاته في الأدب والشعر، وجدت في أرضه مراغماً كثيراً وسعة، ومن أين لي، أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه؟ كظهوري على مصنفات أدبه وشعره، وقبل وبعد، فأنا أعتذر عن سر له - أدام الله حراسته - أذعته، وزمان منه بالقراءة والإجابة شغلته، لأنني من حيث ما نفعته ضررته، والله تعالى يعلم، أني ما قصدت به غير الاستفادة من علمه، والاغتراف من بحره، والسلام.

وكنا بحضرة القاضي الأكرم، الوزير جمال الدين، أبي الحسن علي بن يوسف، بن إبراهيم الشيباني - حرس الله مجده - وفيه جماعة من أهل الفضل والأدب، فقال أبو الحسن، علي بن عدلان النحوي الموصلي: حضرت بدمشق عند محمد بن نصر، بن عنين الشاعر، وزير المعظم، فجاءته رقعة طويلة عريضة، خالية من معنى، فارغة من فائدة، فألقاها إلي قائلاً: هل رأيت قط رقعة أسقط أو أدبر من هذه، مع طول وعرض؟ فتناولتها فوجدتها كما قال، وشرعت أخاطبه، فأومأ إلي بالسكوت وهو مفكر، ثم أنشدني لنفسه:

وردت منك رقعة أسأمتني ... وثنت صدري الحمول ملولا
كنهار المصيف ثقلاً وكرباً ... وليالي الشتاء برداً وطولا

فاستحسن أهل المجلس هذه البديهة، وعجبوا من حسن المعنى، فقال القاضي الأكرم: مازلت أستحسن كلاماً وجدته على ظهر كتاب ديوان الأعشى، في مدينة قفط سنة خمس وثمانين، يتضمن لأبي العلاء المعري شعراً، يشبه ما في هذين البيتين من المقابلة، ضداً بضد في موضعين، ولعل هذين البيتين يفضلان على ذلك، فقلنا له: وما ذلك الكلام؟ فقال: حكي أن صالح بن مرداس صاحب حلب، نزل على معرة النعمان محاصراً، ونصب عليها المجانيق، واشتد في الحصار لأهلها، فجاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء، لعجزهم عن مقاومته، لأنه جاءهم بما لا قبل لهم به، وسألوا أبا العلاء تلافي الأمر، بالخروج إليه بنفسه.

وتدبير الأمر برأيه، إما بأموال يبذلونها، أو طاعة يعطونها، فخرج ويده في يد قائده، وفتح الناس له باباً من أبواب معرة النعمان، وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل، فقال صالح: هو أبو العلاء، فجيئوني به، فلما مثل بين يديه، سلم عليه، ثم قال: الأمير – أطال الله بقاءه –، كالنهار الماتع، قاظ وسطه، وطاب أبرداه، أو كالسيف القاطع، لان متنه، وخشن حداه، "خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين" فقال صالح: "لا تثريب عليكم اليوم" قد وهبت لك المعرة وأهلها، وأمر بتقويض الخيام والمجانيق، فنقضت ورحل، ورجع أبو العلاء وهو يقول:

نجى المعرة من براثن صالح ... رب يعافي كل داء معضل

ما كان لي فيها جناح بعوضة ... الله ألحفهم جناح تفضل

قال أبو غالب بن مهذب المعري في تاريخه، في سنة سبع عشرة وأربعمائة:

صاحت امرأة يوم الجمعة في جامع المعرة، وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يغتصبها نفسها، فنفر كل من في الجامع، وهدموا الماخور، وأخذوا خشبه ونهبوه، وكان أسد الدولة في نواحي صيدا، فوصل الأمير أسد الدولة، فاعتقل من أعيانها سبعين رجلاً، وذلك برأي وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ، وأوهمه أن في ذلك إقامة للهيبة، قال: ولقد بلغني أنه دعي لهؤلاء المعتقلين بآمد وميا فارقين على المنابر، وقطع تادرس عليهم ألف دينار، وخرج الشيخ أبو العلاء المعري إلى أسد الدولة صالح، وهو بظاهر المعرة، وقال له الشيخ أبو العلاء: مولانا السيد الأجل، أسد الدولة، ومقدمها وناصحها، كالنهار الماتع، اشتد هجيره، وطاب أبرداه، وكالسيف القاطع، لان صفحه، وخشن حداه، "خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين".

فقال صالح: قد وهبتهم لك أيها الشيخ، و لم يعلم أبو العلاء، أن المال قد قطع عليهم، وإلا كان قد سأل فيه، ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعراً وهو:

تغيبت في منزلي برهة ... ستير العيون فقيد الحسد

فلما مضى العمر إلا الأقل ... وحم لروحي فراق الجسد

بعثت شفيعاً إلى صالح ... وذاك من القوم رأي فسد

فيسمع مني سجع الحمام ... وأسمع منه زئير الأسد

فلا يعجبني هذا النفاق ... فكم نفقت محنة ما كسد

أحمد بن عبد الرحمن بن نخيل الحميري

أبو العباس الشنتمري يقول فيه أبو العباس، أحمد بن عبد العزيز، بن غتروان الكاتب الشنتمري، وقد حضر القراءة عليه هو وجماعة من طلبة شنتمرية:

ومجلس ليس لشر به ... باع وباع الخير فيه مديد
وربما تقضى حياة به ... وينثني العالم فيه بليد
يزينه في جمعه فتية ... غر كما تدري صباح الخدود
ما منهم في جمعهم واحد ... إلا أخو نبل وذهن حديد
تجمعوا حول فقيه حوى ... حلماً وعلماً مع رأي سديد
إن خانك التفكير في مشكل ... فآت من يبلغ ما قد تريد
وإن يقل كان الذي قاله ... ولم يكن فيه لخلق مزيد
كأنه بين تلاميذه ... بدر بدا بين نجوم السعود

أحمد بن عبد الله المهاباذي الضرير

من تلاميذ عبد القاهر الجرجاني، له شرح كتاب اللمع.

أحمد بن عبد السيد بن علي

يعرف بابن الأشقر، النحوي أبو الفضل، متأخر من ساكني قطيعة باب الأزج، ذكره أبو عبد الله بن الدبيثي في كتابه، الذي ذيله على تاريخ السمعاني وقال: هو أديب فاضل، قرأ على أبي زكريا، يحيى بن علي الخطيب التبريزي، ولازمه حتى برع في فنه، وسمع على علو سنه، من أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي، قال: وسمعت من يذكر أنه رأى أبا محمد بن الخشاب النحوي بالقطيعة، من باب الأزج، وهو يسأله عن مسائل من النحو ويباحثه، وقد روى الأشقر: وأقرأ العربية، إلا أن الروايات عنه قليلة.

أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك

ابن عمر، بن محمد، بن عيسى، بن شهيد أبو عامر، أشجعي النسب، من ولد الوضاح، بن رزاح، الذي كان مع الضحاك يوم المرج، ذكره الحميدي وقال: إنه مات في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة بقرطبة، ومولده سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وأبو عبد الملك بن أحمد، شيخ من شيوخ وزراء الدولة العامرية، ومن أهل الأدب، وكان في أيام عبد الرحمن الناصر، له شعر وبديهة، و لم يخلف لنفسه

نظيراً في علمي النظم والنثر. قال: وهو من العلماء بالأدب، ومعاني الشعر، وأقسام البلاغة، وله حظ من ذلك بسق فيه، ولم ير لنفسه في البلاغة أحداً يجاريه، وله كتاب حانوت عطار في نحو من ذلك. وسائر رسائله وكتبه نافعة الجد، كثيرة الهزل، وشعره كثير مشهور، وقد ذكره أبو محمد علي بن أحمد مفتخراً به، فقال: ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك، بن شهيد. وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار، ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل، ومن شعر أبي عامر المختار:

وما ألان قناتي غمز حادثة ... ولا استخف بحلمي قط إنسان

أمضي على الهول قدماً لا ينهنهني ... وأنثني لسفيهي وهو حردان

ولا أقارض جهالاً بجهلهم ... والأمر أمري والأيام أعوان

أهيب بالصبر والشحناء ثائرة ... وأكظم الغيظ والأحقاد نيران

وقوله:

ألمت بالحب حتى لو دنا أجلي ... لما وجدت لطعم الموت من ألم

وذادني كرمي عمن ولهت به ... ويلي من الحب أو ويلي من الكرم

قال: وقال أبو محمد علي بن أحمد: ولم يعقب أبو عامر، وانقرض عقب الوزير أبيه بموته، وكان جواداً لا يليق شيئاً، ولا يأسى على فائت، عزيز النفس، مائلاً إلى الهزل، وكان له من علم الطب نصيب وافر.

أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد

ابن عبد الصمد، بن بكر المؤذن، أبو صالح النيسابوري، الحافظ الأمين، لافقيه المفسر، المحدث الصوفي، نسيج وحده، في طريقته وجمعه وإفادته، ولد في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، ومات لتسع خلون من شهر رمضان سنة سبعين وأربعمائة، وكان أبو سعد السمعاني في المزيد فقال: ومن خطه نقلت، كان عليه الاعتماد في الودائع من كتب الحديث، المجموعة في الخزائن، الموروثة عن المشايخ، الموقوفة على أصحاب الحديث، وكان يصونها، ويتعهد حفظها، ويتولى أوقاف المحدثين، من الحبر والكاغد وغير ذلك، ويقوم بتفرقتها عليهم، وإيصالها إليهم، وكان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية سنين احتساباً، ووعظ المسلمين وذكرهم، وكان يأخذ صدقات الرؤساء والتجار، ويوصلها إلى ذوي الحاجات، ويقيم مجالس الحديث، وكان إذا فر، جمع وصنف وأفاد، وكان حافظاً ثقة ديناً، خيراً كثير السماع، واسع الرواية، جمع بين الحفظ والإفادة والرحلة، وكتب الكثير بخطه.

ثم ذكر أبو سعد جماعة كثيرة، ممن سمع عليه، بجرجان، والري، والعراق، والحجاز، والشام، ثم قال كما ينطق به تصانيفه وتخريجاته، و لم يتفرغ للإملاء، لاشتغاله بالمهمات التي هو بصددها، ثم ذكر جماعة رووا عنه. ثم قال: وصنف التصانيف، وجمع الفوائد، وعمل التواريخ، منها: كتاب التاريخ لبلدنا مرو، ومسودته عندنا بخطه، وأثنى عليه ثناء طويلاً.

وذكر أن الخطيب أبا بكر ذكره في تاريخه، وأنه كتب عنه، وكتب هو عن الخطيب، ووصفه بالحفظ والمعرفة، والذب عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم روى عنه أخباراً وأسانيد كثيرة، منها ما أسنده إليه، وقال: أنشد الشريف أبو الحسن عمران ابن موسى المغربي لنفسه:

حذيت وفائي منك غدراً وخنتني كذاك بدور التم شيمتها الغدر
وحاولت عند البدر والشمس سلوة فلم يسلني يا بدر شمس ولا بدر
وفي الصدر مني لوعة لو تصورت بصورة شخص ضاق عن حملها الصدر
أمنت اقتدار البين من بعد بينكم فما لفراق بعد فرقتكم قدر

أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله

ابن محمد، بن علي، بن الحسين، بن يحيى، بن السيبي، أبو البركات، بن أبي الفرج، مؤدب الخلفاء، كانت له معرفة حسنة بالآداب، ومات في سادس عشر من المحرم، سنة أربع عشرة وخمسمائة، عن ست وخمسين سنة، وثلاثة أشهر.

قال أبو الفرج بن الجوزي: كان أبو البركات يعلم أولاد المستظهر، وكان له أنس بالمسترشد، فلما قبض على ابن الجوزي صاحب المخزن، ولي ابن السيبي مكانه النظر في المخزن سنة وثمانية أشهر، وكان عالماً بالأدب والشعر، كثير الإفضال على أهل العلم، وخلف من المال ما حزر بمائة ألف دينار. وقف وقوفاً على مكة والمدينة.

أحمد بن عبيد بن ناصح بن بلنجر

أبو جعفر النحوي الكوفي، يعرف بأبي عصيدة. ديلمي الأصل، من موالي بني هاشم، حدث عن الواقدي، والأصمعي، وأبي داود الطيالسي، وزيد بن هارون، وغيرهم. وروى عنه القاسم بن محمد، بن بشار الأنباري، وأحمد بن حسن، بن شهير، ومات فيما ذكره أبو عبد الله، محمد ابن شعبان بن هارون، بن بنت الغرياني في تاريخ الوفيات له، في سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

قالوا: وكان ضعيفاً فيما يرويه، وله من التصانيف: كتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب الزيادات في السفر لابن السكيت في إصلاحه، وكتاب عيون الأخبار والأشعار.

وحدث محمد بن إسحاق النديم قال: كان أبو عصيدة وابن قادم يؤدبان ولد المتوكل، قال: لما أراد المتوكل أن يتخذ المؤدبين لولده، جعل ذلك إلى إيتاخ، فأمر إيتاخ كاتبه أن يتولى ذلك، فبعث إلى الطوال، والأحمر، وابن قادم، وأبي عصيدة هذا، وغيرهم من أدباء ذلك العصر، فأحضرهم مجلسه، وجاء أبو عصيدة، فقعد في آخر الناس، فقال له من قرب منه: لو ارتفعت، فقال: بل أجلس حيث انتهى بي المجلس، فلما اجتمعوا، قال لهم الكاتب: لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم، واخترنا. فألقوا بينهم بيت ابن عنقاء الفزاري:

ذريني إنما خطئي وصوبي   علي وإنما أنفقت مال

فقالوا: ارتفع مال بإنما، إذا كانت ما بمعنى الذي، ثم سكتوا، فقال لهم أحمد بن عبيد من آخر الناس: هذا الإعراب، فما المعنى؟ فأحجم الناس عن القول، فقيل له: فما المعنى عندك؟ قال: أراد ما لومك إياي؟ وإن ما أنفقت مال، و لم أنفق عرضاً، فالمال لا ألام على إنفاقه، فجاءه خادم من صدر المجلس فأخذ بيده، حتى تخطى به إلى أعلاه، وقال له: ليس هذا موضعك، فقال: لأن أكون في مجلس أرفع منه إلى أعلاه، أحب إلي من أن أكون في مجلس أحط عنه. فاختير هو وابن قادم، بخط عبد السلام البصري.

حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف، بن يوسف، بن موسى سبط فلان، قال: حدثنا أبو القاسم عبيد الله، ابن محمد، بن جعفر الأزدي قال: سمعت أحمد بن عبيد، بن ناصح يقول: لما أراد المتوكل أن يعقد للمعتز ولاية العهد، حططته عن مرتبته قليلاً، وأخرت غداءه عن وقته، فلما كان وقت الانصراف، قلت للخادم احمله، فضربته من غير ذنب، فكتب بذلك إلى المتوكل: فأنا في الطريق منصرفاً، إذ لحقني صاحب رسالة فقال: أمير المؤمنين يدعوك، فدخلت على المتوكل وهو جالس على كرسي، والغضب يبين في وجهه، والفتح قائم بين يديه متكئاً على السيف، فقال: ما هذا الذي فعلته يا أبا عبد الله؟ قلت: أقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: قل، إنما سألتك لتقول، قلت: بلغني ما عزم عليه أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – فدعوت ولي عهده وحططت منزلته، ليعرف هذا المقدار، فلا يعجل بزوال نعمة أحد، وأخرت غداءه، ليعرف هذا المقدار من الجوع، فإذا شكي إليه الجوع عرف ذلك، وضربته من غير ذنب، ليعرف مقدار الظلم، فلا يعجل على أحد، قال: فقال أحسنت، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، ثم لحقني رسول قبيحة بعشرة آلاف أخرى، فانصرفت بعشرين ألفاً. قال: وحدثنا أبو القاسم الأزدي قال: سمعت أحمد بن

عبيد، بن ناصح يحدث قال: قال لي المعتز يوماً: يا مؤدبي، تصلي جالساً؟ وتضربني قائماً؟ فقلت له: وضربك من الفروض، ولا أودي فرضي إلا قائماً، وقال عبد الله بن عدي الحافظ: أحمد بن عبيد، أبو عصيدة النحوي، كان بسر من رأى يحدث عن الأصمعي، ومحمد بن مصعب القرقساني بمناكير، وقال أبو أحمد الحافظ النيسابوري وذكره فقال: لا يتابع على جل حديثه قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: أنشدني أبي قال: أنشدنا أحمد ابن عبيد:

ضعفت عن التسليم يوم فراقنا ... فودعتها بالطرف والعين تدمع

وأمسكت عن رد السلام فمن رأى ... محباً بطرف العين قبلي يودع؟

رأيت سيوف البين عند فراقنا ... بأيدي جنود الشوق بالموت نلمع

عليك سلام الله مني مضاعفاً ... إلى أن تغيب الشمس من حيث تطلع

أحمد بن عبيد الله بن محمد

ابن عمار أبو العباس الثقفي الكاتب المعروف بحمار العير، كذا قال الخطيب، قال: وله مصنفات في مقاتل الطالبيين وغير ذلك، وكان يتشيع، ومات في سنة أربع عشرة وثلاثمائة. حدث عن عثمان بن أبي شيبة، وسليمان بن أبي شيخ، وعمر ابن شبة، ومحمد بن داود بن الجراح، وغيرهم. ورى عنه القاضي الجابي، وابن زنجي الكاتب، وأبو عمرو بن حيويه، وأبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، وغيرهم. وفيه يقول ابن الرومي:

وفي ابن عمار عزيرية ... يخاصم الله بها والقدر

ما كان لم كان؟ وما لم يكن ... لم لم يكن؟ فهو وكيل البشر

لا بل فتى خاصم في نفسه ... لم لم يفز قدماً وفاز البقر

وكل من كان له ناظر ... صاف فلا بد له من نظر

هذا ما ذكره الخطيب.

ووجدت في كتاب ألفه أبو الحسن، علي بن عبيد الله، ابن المسيب الكاتب، في أخبار ابن الرومي، وكان ابن المسيب هذا، صديقاً لابن الرومي وخليطاً له. قال: كان أحمد بن محمد، بن عبيد الله، بن عمار، "هكذا قال في نسبه، بتقديم محمد على عبيد الله" صديقاً لابن الرومي، كثير الملازمة له، وكان ابن الرومي يعمل له الأشعار، وينحله إياها، يستعطف بها من يصحبه، وكان ابن عمار محدوداً فقيراً، وقاعة في

الأحرار، وكان أيام افتقاره، كثير السخط لما تجري به الأقدار، في آناء الليل والنهار، حتى عرف بذلك، فقال له علي بن العباس، بن الرومي يوماً: يا أبا العباس، قد سميتك العزير، قال له: وكيف وقعت لي على هذا الاسم؟ قال: لأن العزير خاصم ربه، بأن أسال من دماء بني إسرائيل على يدي، بختنصر سبعين ألف دم، فأوحى الله: "لئن لم تترك مجادلتي في قضائي، لأمحونك من ديوان النبوة": وقال فيه: "وفي ابن عمار عزيرية" وذكر البيتين اللذين في كتاب الخطيب وزاد:

لا، بل فتى خاصم في نفسه | لم لم يفز قدماً وفاز البقر؟
وكل من كان له ناظر | صاف فلا بد له من نظر

وكتب ابن الرومي إلى أحمد بن محمد، بن بشر المرشدي قصيدة يمدحه فيها، ويهنئه بمولود ولد له، ويحضه على بر ابن عمار والإقبال عليه، يقول فيها:

ولي لديكم صاحب فاضل | أحب أن يبقى وأن يصحبا
مبارك الطائر ميمونه | خبرني عن ذاك من جربا
بل عندكم من يمنه شاهد | قد أفصح القول وقد أعربا
جاء فجاءت معه غرة | تقبل الناس بها كوكبا
إن أبا العباس مستصحب | يرضي أبا العباس مستصحبا
لكن في الشيخ عزيرية | قد تركته شرساً مشغبا
فاشدد أبا العباس كفاً به | فقد ثقفت المحطب المحوبا
باقعة إن أنت خاطبته | أعرب أو فاكهته أغربا
أدبه الدهر بتصريفه | فأحسن التأديب إذ أدبا
وقد غدا ينشر نعماءكم | في كل ناد موجزاً مطنباً

والقصيدة طويلة. قال: وصار محمد بن داود، بن الجراح يوماً إلى ابن الرومي مسلماً عليه، فصادف عنده أبا العباس أحمد بن محمد بن عمار، وكان من الضيق والإملاق النهاية، وكان علي بن العباس مغموماً به، فقال محمد بن داود لابن الرومي، ولأبي عثمان الناجم: لو صرتما إلي وكثرتما بما عندي، لأنس بعضنا ببعض، فأقبل ابن الرومي، على محمد بن داود فقال: أنا في بقية علة، وأبو عثمان مشغول بخدمة صاحبه، يعني ابن بليل، وهذا أبو العباس بن عمار، له موضع من الرواية والأدب، وهو على غاية الإمتاع والإيناس بمشاهدته، وأنا أحب أن تعرف مثله، وفي العاجل خذه معك، لتقف على صدق القول فيه. فأقبل محمد

بن داود، على أحمد بن عمار، وقال له: تفضل بالمصير إلي في هذا اليوم، وقبله قبولاً ضعيفاً، فصار إليه ابن عمار في ذلك اليوم، ورجع إلى ابن الرومي فقال له: إني أقمت عند الرجل وبت، وأريد أن تقصده وتشكره، وتؤكد أمري معه. ومحمد بن داود في هذا الوقت متعطل، ملازم منزله، فصار إليه، وأكد له الأمر معه، وطال اختلافه إليه، إلى أن ولي عبيد الله بن سليمان وزارة المعتضد، واستكتب محمد بن داود بن الجراح، وأشخصه معه، وقد خرج إلى الجبل ورجع، وقد زوجه بعض بنات، وولاه ديوان المشرق، فاستخرج لابن عمار أقساطاً أغناه بها، وأجرى عليه أيضاً من ماله، و لم يزل يختلف إليه أيام حياة محمد بن داود.

وكان السبب في أن نعشه الله بعد العثار، وانتاشه من الإقبار ابن الرومي، فما شكر ذلك له، وجعل يتخلفه، ويقع فيه ويعيبه، وبلغ ابن الرومي ذلك، فهجاه بأهاج كثيرة، منها وهو مصحف:

ألا قل لابن عمار	ألا تعظم من قدري
بحر أختك وحر والد	تك لا تعرض لشعري
وتذكر حين تنسى	حر عمتك وأيرى
وإذ فتىً فرح الرو	حة منقاد لأمري؟؟
خر خالاتك للج	يران لكن لست تدري

قال ابن المسيب: ومن عجيب أمر عزير هذا، أنه كان ينتقص ابن الومي في حياته، ويزري على شعره، ويتعرض لهجائه، فلما مات ابن الرومي، عمل كتاباً في تفضيله، ومختار شعره، وجلس يمليه على الناس، وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست، فقال: كان يصحب محمد بن داود، بن الجراح، ويروي عنه، ثم توكل للقاسم بن عبيد الله، بن سليمان وولده.

وله من الكتب كتاب المبيضة، وهو في مقاتل الطالبيين، كتاب الأنواء، كتاب مثالب أبي نواس، كتاب أخبار سليمان بن أبي شيخ، كتاب الزيادة في أخبار الوزراء، لابن الجراح، كتاب أخبار حجر بن عدي، كتاب أخبار أبي نواس، كتاب أخبار ابن الرومي ومختار شعره، كتاب المناقضات، كتاب أخبار أبي العتاهية، كتاب الرسالة في بني أمية، كتاب الرسالة في تفضيل بني هاشم ومواليهم، وذم بني أمية وأتباعهم، كتاب الرسالة في المحدب والمحدث، كتاب أخبار عبد الله بن معاوية الجعدي، كتاب الرسالة في مثال معاوية.

وذكره أبو عبد الله المرزباني في كتاب المعجم فقال: وذكر أنه مات في سنة عشر وثلاثمائة قال: وهو القائل:

وعيرتني النقصان والنقص شامل	ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكما؟
وأقسم أني ناقص غير أنني	إذا قيس بي قوم كثير تقللوا
تفاضل هذا الخلق بالعلم والحجى	ففي أيما هذين أنت؟ فتفضل
ولو منح الله الكمال ابن آدم	لخلده والله ما شاء يفعل

وذكر ابن زنجي أبو القاسم الكاتب قال: كان الوزير أبو الحسن، علي بن محمد، بن الفرات، قد أطلق في وزارته الأخيرة للمحدثين عشرين ألف درهم، فأخذت لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن عمار، لأنه كان يجيئني ويقيم عندي: وسمعت منه أخبار المبيضة، ومقتل حجر، وكتاب صفين، وكتاب الجمل، وأخبار المقدمي، وأخبار سليمان بن أبي شيخ، وغير ذلك خمسمائة درهم.

أ؛مد بن عبد الله كلوذاني

بن أحمد، أبو الحسين الكلوذاني، المعروف بابن قرعة، من أهل الأدب والفضل الغزير، كتب بخطه الكثير من المصنفات الطوال، ولازم أبا بكر الصولي، وتضلع عليه من أدبه، وروى عنه، وطلب الأدب طول عمره، ثم عاد إلى بلده كلوذي، فأقام بها طول عمره، وقصده الناس، فكان أيدها وفاضلها، و لم يزل بها إلى آخر عمره.

أحمد بن عبيد الله بن الحسن بن شقير

أبو العلاء البغدادي، ذكره الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق، وقال: حدث عن أبي بكر محمد بن هارون بن المحدو، وحامد بن شعيب البلخي، والهيثم ابن خلف، وأبي بكر الباغندي والبغوي، وأبي عمر الزاهد، وأبي بكر بن الأنباري، وابن دريد، وأحمد بن فارس، وأبي بكر أحمد بن عبد الله سيف السجستاني، روى عنه تمام الرازي، ومكي بن محمد بن الغمر، وأبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله، بن الحيان، ومحمد بن عبد الله ابن الحسن الدوري.

أحمد بن علي بن يحيى بن أبي منصور

المنجم، أبو عيسى، نذكر كل واحد من آبائه وأعمامه، وأهل بيته في بابه، إن شاء الله تعالى وحده. وأما نسبهم، وولاؤهم، وأوليتهم، فنذكره في باب جده يحي بن أبي منصور المنجم، إن شاء الله، وكان أحمد هذا، نبيلاً فاضلاً، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: له كتاب تاريخ سني العا لم.

أحمد بن علي، أبو بكر الميموني

البرزندي النحوي، ذكره أبو الفتح، منصور بن المعذر النحوي، الأصفهاني المتكلم، وقد ذكر جماعة من المعتزلة النحويين، فذكر أبا سعيد السيرافي، وأبا علي الفارسي، وعلي ين عيسى الرماني، وغيرهم، ثم قال: وأبو بكر أحمد بن علي النحوي البرزندي، الشافعي النحوي المعتزلي، القائل:

إذا مت فانعيني إلى العلم والنهى — وما حبرت كفي يما في المحابر

فإني من قوم بهم يصبح الهدى — إذا أظلمت بالقوم طرق البصائر

أحمد بن علي المعروف بابن خشكنانجه

بن وصيف، المعروف بابن خشكنانجه يكنى أبا الحسين، وكان أبوه علي الملقب بخشكنانجهْ، فاضلاً، وقد ذكر في بابه، مات أحمد ببغداد، وذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان كاتباً بليغاً، فصيحاً شاعراً، وله من الكتب: كتاب النثر الموصول بالنظم، كتاب صناعة البلاغة، كتاب الفوائد:

أحمد بن علي القاساني اللغوي

أبو العباس، يعرف بلوه، وقيل بابن لوه، لا أعرف من أمره إلا ما قرأته بخط بديع بن عبد الله، فيما كتبه عن أبي الحسين، أحمد بن فارس اللغوي. أنشدني أحمد بن علي بن القاساني اللغوي:

إغسل يديك من الثقات — وأصرمهم صرم البتات

واصحب أخاك على هوا — ه وداره بالترهات

ما الود إلا باللسا — ن فكن لساني الصفات

وقال في موضع آخر منه: سمعت أبا العباس أحمد ابن علي القاساني يقول: سمعت أعرابياً بالبادية يقول:

قل لدنيا أصبحت تلعب بي — سلط الله عليك الآخرهْ

قلت أنا: هذا البيت معروف للحسين بن الضحاك، مع بيت آخر هو:

إن أكن أبرد من قنينة — أو من الريش فأمي فاجرهْ

وقال في موضع آخر،: أخبرني أبو العباس، أحمد ابن علي القاساني، يعرف بلوه، وقال في موضع آخر: يعرف بابن لوه بقزوين، قال: كنت بالبصرة، وبها أبو بكر بن دريد، فبينا نحن في مجلسه، ورد علينا رجل من أهل الكوفة، فجعل يسأله عن مسائل، يظهر فيها لنا أنه يتعنته ويتسقطه، فأقبل عليه أبو بكر فقال له: يا هذا: قد عرفت مغزاك، وأحب أن تجمع ما تريد أن تسألني عنه في قرطاس، وتأتيني به وتأخذ من الجواب بديهة إن شئت، أو روية، فمضى الرجل وجاءه بعد ثلاث، وقد جمع له، فما سأله عن مسألة إلا

وأبو بكر يبادره بالجواب، والرجل يكتب، ثم إنا سألنا الرجل، فأعطانا المسائل والجواب، فكتبتها، وهي هذه سماعي من أبي بكر لفظاً، القهوسة: مشية بسرعة، القعسرة: الصلابة والشدة، القعسنة: الانتصاب في الجلسة ويقال: الفقعسة أن يرفع الرجل رأسه وصدره، العقوسة: التذلل، الفقعسة: استرخاء وبلادة في الإنسان، البحدلة: القصر، بهدل: طائر، الكهدل: الشابة الناعمة، غطمش، من قولنا: تغطمش علينا: إذا ظلمنا، هجعم من الهجعمة: وهي الجرأة، خضارع من الخضرعة: وهي التسمح بأكثر ما عند الإنسان، التخثعم: الانقباض، الخثعمة: التلطخ بالدم، الشعفر: المرأة الحسناء، الكلحبة: العبوس، ويقال: كلحبت النار إذا مدت لسانها، سنبس من الصلابة واليبس، البلندي: الغليظ الصلب، القرثعة: تقرد الصوف في خروف ونحو هذه.

قال ابن فارس: أنشدني أبو العباس أحمد بن علي القلساني، وكان يعرف بابن لوه، قال: أنشدني أبو عبد الله نفطويه لبعض الأعراب:

إذا واله حنت من الليل حنة ... إلى إلفها جاوبتها بحنين

هنالك لا روادهم يبلغوننا ... ولا خبر يجلو العمى بيقين

وقال: قال أبو العباس: حججت فوقفت على أعرابية فقلت لها: كيف أصبحت؟ فقالت:

بخير على أن النوى مطمئنة ... بليلي وأن العين باد معينها

وإني لباك من تفرق شملهم ... فمن مسعد للعين؟ أم من يعينها؟

قال وأنشدني:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد به الجثجاث والسلم والنضر

قال ابن فارس: وأنشدني أحمد بن علي القاساني:

وأمست أحب الناس قرباً ورؤية ... إلى قلبه سلمى وإن لم نحبب

حبيب إليه كل واد تحله ... سليمى خصيباً كان أو غير مخصب

قال وأنشدني:

وإذا دعا داع بها فديتها ... وعضضت من جزع لفرقتها يدي

لا يبعدن تلك الشمائل والحلي ... منها وإن سكنت محل الأبد

أحمد بن علي بن هارون

ابن علي، بن يحيى، بن أبي منصور المنجم، والمنجم أبو الفتح، أحد من سلك سبيل آبائه في طرق الآداب، واهتدى بهديهم في تلك إلى الفضائل من كل، روى عنه أبو علي التنوخي في نشواره فأكثر، ووصفه بالفضل وما قصر، وأنشد له أشعاراً قال: أنشدني أبو الفتح، أحمد بن علي، بن هارون، بن يحيى المنجم، في الوزير أبي الفرج، محمد بن العباس بن فسانجس في وزارته، وقد عمل على الانحدار إلى الأهواز لنفسه:

قل للوزير سليل المجد والكرم ... ومن له قامت الدنيا على قدم
ومن يداه ماً تجدي ندىً وردىً ... يجريهما عدل حكم السيف والقلم
ومن إذا هم أن يمضي عزائمه ... رأيت ما تفعل الأقدار في الأمم
ومن عوارفه تهمي وعادته ... في رب بدأته تنمى على القدم

لأنت أشهر في رعي الذمام وفي ... حكم التكرم من نار على علم
والعبد عبدك في قرب وفي بعد ... وأنت مولاه إن تظعن وإن تقم
فمره يتبعك أو لا فاعتمده بما ... تجري به عادة الملاك في الخدم

قال وأنشدني لنفسه، وذكر أنه لا يوجد لها قافية رابعة من جنسها في الحلاوة:

سيدي أنت ومن عاداته ... باعتدال وبجود جاريهْ
أنصف المظلوم وارحم عبرة ... بدموع ودماء جاريهْ
ربما أكني بقول سيدي ... عند شكواي الهوى عن جاريهْ

قال: وأنشدني لنفسه، والقافية كلها عود باختلاف المعنى:

العيش عافية والريح والعود ... فكل من حاز هذا فهو مسعود
هذا الذي لكم في مجلس أنق ... شنجاره العنبر الهندي والعود
وقينة وعدها بالخلف مقترن ... بما يؤمله راج وموعود
وفتية كنجوم الليل دأبهم ... إعمال كأس حداها النار والعود
فاغدوا علي بكاس الراح مترعة ... عوداً وبدءاً فإن أحمدتم عودوا

أحمد بن علي، أبو الحسن البتي الكاتب

كان يكتب للقادر بالله عند مقامه بالبطيحة، ولما وصلته البيعة، كتب عنه إلى بهاء الدولة، وكان البتي حافظاً للقرآن تالياً له، مليح المذاكرة بالأخبار والآداب، عجيب النادرة، ظريف المزح والمجون، قال ابن

عبد الرحيم: كان البتي في بدء أمره يلبس الطيلسان، ويسمع الحديث، ويقرأ القرآن على شيوخ عصره، وكان يذكر أنه قرأ القرآن على زيد بن أبي بلال، وكان غاية في جمع خلال الأدب، يتعلق بصدور وافرة من فنون العلم، ويكتب خطاً جيداً، ويترسل ترسلاً لا بأس به، وينظم شعراً دون ما كان حظي به من العلم، ثم لبس من بعد الدراعة، وسلك في لبسه مذاهب الكتاب القدماء، وكان يلبس الخفين والمبطنة، ويتعمم العمة الثغرية، وإن لبس لاجلة لم تكن الامربدية، وكان لا يتعرض لحلق شعره، جرياً على السنة السالفة، وكتب من بعد في ديوان الخلافة، وكان له حرمة بالقادر بالله رعاها له، ثم غلب على أخلاقه الهزل، وتجافى الجد بالواحدة، وانقطع إلى اللعب، وكان شكله ولفظه، وما يورده من النوادر، يدعو إلى مكاثرته، والرغبة إلى مخالطته، فحضر مجلس بهاء الدولة ف يجملة الندماء، ونفق عنده نفاقاً لا مزيد عليه، ولم يكن لأحد من الرؤساء مسرة تتم، ولا أنس يكمل إلا بحضوره، فكانوا يتداولونه ولا يفارقونه، ونادم الوزراء، حتى انتهى إلى منادمة فخر الملك، وأعجب به غاية الإعجاب، وأحسن إليه غاية الإحسان، ومات في أيامه، وكانت له نوادر مضحكة، وجوابات سريعة، لا يكاد يلحقه فيها أحد، وتعرض لغيبة الناس، تعرضاً قلما أخل به على الوجه المضحك، الذي يكون سبباً إلى تدارك تلك المنقصة، وطريقاً إلى استقالة زلته فيها، بما اعتمده من التطايب، وكان يذهب مذهب المعتزلة، ويميل إلى فقه أبي حنيفة، ويتعصب للطائي تعصباً شديداً، ويفضل البحتري على أبي تمام، ويغلو فيه غاية الغلو.

فمن نوادره الشائعة أنه انحدر مع الرضي والمرتضى، وابن أبي الريان الوزير، وجماعة من الأكابر لاستقبال بعض الملوك، فخرج عليهم اللصوص، ورموهم بالحراقات، وجعلوا يقولون: ادخلوا يا أزواج القحاب، فقال البتي: ما خرج هؤلاء علينا إلا بعين، قالوا: ومن أين علمت؟ قال: وإلا فمن أين علموا أنا أزواج قحاب؟ وكان البتي صاحب الخبر والبريد في الديوان القادري، ومات في شعبان سنة ثلاث وأربعمائة، وله تصانيف منها: كتاب القادري، وكتاب العميدي، كتاب الفخري.

قال الوزير أبو القاسم المغربي: كان أبو الحسن البتي أحد المتفننين في العلوم، لا يكاد يجاري في فن من العلوم فيعجز عنه، وكان مليح المحاضرة، كثير المذاكرة، طيب النادرة: مقبول المشاهدة، رأيته على باب أحد رؤساء العمال وقد حجب عنه، فكتب إليه:

على أي باب أطلب الإذن بعد ما حجبت عن الباب الذي أنا صاحبه

فخرج الإذن له في الحال.

وحدث الرئيس أبو الحسن هلال بن المحسن قال: كنت عند فخر الملك أبي غالب بن خلف بالأهواز،

فكتب إلى أبي ياسر عماد بن أحمد الصيرفي: احمل إلى أبي الحسن البتي مائتي دينار مع امرأة لا يعرفها، واكتب معها رقعة غير مترجمة، وقل فيها: قد دعاني ما آثرته من مخالطتك، ورغبت فيه من مودتك، إلى استدعاء المواصلة منك، وافتتاح باب الملاطفة بيني وبينك، وقد أنفذت مع الرسول مائتي دينار، فأخذها أبو الحسن، وكتب على ظهر الرقعة: مال لا أعرف مهديه، فأشكر له ما يوليه، إلا أنه صادف إضافة دعت إلى أخذه، والاستعانة في بعض الأمور به، قلت:

ولم أدر من ألقى عليه رداءه   سوى أنه قد سل عن ماجد محض

وإذا سهل الله لي اتساعاً، رددت العوض موفوراً، وكان المبتدي بالبر مشكوراً.

وكان أبو الحسن قد فطن للقصة، وكتب على بصيرة ولما أنفذ أبو ياسر بالجواب، أقرأنيه فخر الملك. فاستحسنت وقوع هذا البيت موقعه من التمثل. ومن شعر الرضي الموسوي إليه، الأبيات المشهورة:

أبا حسن أتحسب أن شوقي   يقل على مكاثرة الخطوب

يهش لكم على الفرقان قلبي   هشاشته إلى الزور القريب

وألفظ غيركم ويسوغ عندي   ودادكم مع الماء الشروب

ورثاه الموسوي بقوله:

ما للهموم كأنها   نار على قلبي تشب

والدمع لا يرقا له   غرب كأن العين غرب

ما كنت أحسب أنني   جلد على الأرزاء صعب

ما أخطأتك النائبا   ت إذا أصابت من تحب

ورثاه المرتضى أخو الرضي بقوله:

عرج على الدار مغبراً جوانبها   فاسأل بها عجلاً عن ساكن الدار

وقل لها أين ما كنا نراه على   مر المدى بك من نقض وإمرار؟

وأين أوعية الآداب فاهقة   تجري خلالك جري الجدول الجاري

يا أحمد بن علي والردى عرض   يزور بالرغم منا كل زوار

علقت منك بحبل غير منتكث   عند الحفاظ وعود غير خوار

وقد بلوتك في سخط وعند رضىً   وبين طيٍ لأنباءٍ وإظهار

فلم تفدني إلا ما أضن به   ولم تزدني إلا طيب أخبار

لا عار فيما شربت اليوم غصته من المنون وهل بالموت من عار؟

ولم ينلك سوى ما نال كل فتى عالي المكان ولاقى كل جبار

وأمر بهاء الدولة أبا الحسن البتي أن يعمل شعراً يكتب على تكة إبريسم فقال:

لم لا أتيه ومضجعي بين الروادف والخصور؟

وإن انتشحت فإنني بين الترائب والنحور

ولقد نشأت صغيرة إلفاً لربات الخدور

وله يصف كوز لافقاع:

يا رب ثدي مصصته بكراً وقد عراني خمار مغبوق

له هدير إذا شربت به مثل هدير الفحول في النوق

كأن ترجيعه إذا رشف الرا شف فيه صياح مخنوق

وله أيضاً:

ما احمرت العين من دمع أضر بها في عرصتي طلل أو إثر مرتحل

لكن رآها الذي يهوى وقد نظرت في وجه آخر فاحمرت من الخجل

قال ابن عبد الرحيم: وكان القادر بالله استتر عنده، لما طلبه الطائع قبل انحداره، وأخذ يده أن يستلينه، فلما ولي وقضي الأمر، صرف ابن حاجب النعمان، ورتبه في كتابته، واتفق أن كان ذلك في وقت الأضحى، فخرج إليه خادم على العادة في مثل ذلك، فقال له: رسم أن تحصى أسقاط الأضاحي، فقال لغلامه: خذ الدواة، فإن القوم يريدون كراعياً، ولا يريدون كاتباً، وانصرف بهذا المزح من الخدمة، وكان الهزل قد غلب عليه، وعزب عنه الجد جملة، وكان بينه وبين الرضي مقارضة لكلام جرى بينهما، فاتفق أن اجتاز بقرب دار الرضي، عند مسجد الأنباري، فقال لغلامه: مل بنا عن تلك الدار، فإني أكره المرور بها، فالتفت فوقعت عينه على الرضي، فتمم كلامه من غير أن يقطعه وقال: فإنني لا وجه لي في لقائه، لطول جفائه، فاستحسن هذا من بديهته، ودخل دار الرضي واصطلحا.

ومن نوادره: أنه سمع يوماً أصوات الملاحين، وارتفاع ضجة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء أولاد أبي الفضل، بن حاجب النعمان، وأبي سعيد بن أبي الخطاب، وجماعة أولادهم، فقال: ما بيننا وبين هؤلاء إلا موت الآباء؟ ورأى معلماً قبيح الوجه، يعرف بنفاط الجن، وكان وحشاً انكشفت سوأته، فقال له يا

هذا: استر عورتك السفلى، فإنك قد أدليت، ولكن بغير حجة، واستقبل أبا عبد الله بن الدراع، في ميدان بستان فخر الدولة، وهو متكئ على يد غلام أسود، فقال أبو عبد الله: هذا الأسود يصلح لخدمة سيدنا، فقال البتي: أي الخدم؟ فقال: خدمة الفراش، فقال: اللهم غفراً، أرمى بالبغاء، وليس في مترلي خنفساء؟ ويعرى منه سيدنا، وفي داره جميع بني حام.

بشر ابن الحواري بمولود، وكان ابن الحواري سمج الخلقة، فقال له البتي: إن كان هذا المولود يشبهك فويه، ثم ويه.

وسقاه الفقاعي في دار فخر الدولة فقاعاً، فلم يستطبه، فرد الكوز مفكراً، فقال له الفقاعي: في أي شيء تفكر؟ فقال: في دقة صنعتك، كيف أمكنك أن تخرى في هذه الكيزان كلها مع ضيق رأسها؟ وأتاه غلامه في مجلس حفل فقال له: إن ابنك وقع من ثلاث درج، فقال: ويلك من ثلاث بقين؟ أو خلون؟ فلم يفهم عنه، فقال: إن كان خلون فسهل، وإن بقين فيحتاج إلى نائحة.

ودخل الرقي العلوي على فخر الملك، فقال: – أطال الله بقاء مولانا، واسعده بهذا اليوم –، فقال له وأي يوم هذا؟ فقال أيلون، فقال البتي بالنون، فقال: ما قرأت النحو، فقال البتي: أنت إذاً معذور، فإنك ثلاثة أرباع رقيع، أراد رقي، إذا ألحقت به العين وهو الحرف الرابع، صار رقيع.

قال ابن عبد الرحيم: وكان بين البتي وبين أبي القاسم بن فهد ملاحاة ومنابذة، ثم أصلح فخر الملك بينهما، فعمل فيه أبياتاً يقول فيها:

قلت للبتي لما … رام صلحي من بعيد

وكان يرمي بالبخر، ويزن بالأبنة أيضاً، وقال فيه أيضاً:

وكل شرط للصلح أقبله … إن أنت أعفيتني من القبل

وحدث ابن عبد الرحيم قال: وكان البتي مقبولاً، مستملحاً في جميع أحواله، و لم يكن فيه أقل من شعره، فإنه كان في غاية البرد، وعدم الطبع، وكان قد عمل في فخر الملك، وهو يسد فتق النهروان قصيدة، يصف فيها السكر قال فيها:

إذا أتاه الماء من جانب … عاجله بالسد من جانب

فقال له: هذا والله أيها الأستاذ بارد، وأعاده، فحكى البيت وتأمله، وقال نعم، والله هو بارد، وجعل يعوج على نفسه، ويكرر الإنشاد مستبرداً له، فضحك فخر الملك منه، وقطع الإنشاد و لم يتممه.

قال: و لم يكن يسلم أحد من لسانه، وتعويجه وثلبه له، وإذا اتفق أن يسمعه من يقول ذلك فيه، التفت إليه كالمعتذر، وقال: مولاي ههنا؟ ما علمت بحضوره، ويجعل كونه ما عليم بحضوره اعتذاراً، كأنه مباح له

ثلبه بالغيبة.

قال: وكان مع ذكائه وتوقده، وكثرة طتره وتولعه، أشد الناس غباوة في الأمور الجديات، وأبعدهم من تصورها، وكان له معرفة تامة بالغناء وصنعته، ولا تكاد المغنية تغني بصوت إلا ذكر صنعته، وشاعره وجميع ما قيل في معناه، وله من قصيدة في ابن صالحان:

سل الربع بالخبتين كيف معاهده ... وأنى برجع القول منه هوامده؟؟
عفت حقباً بعد الأنيس رسومه ... فلم يبق إلا نؤيه وخوالده
ديار نزفت الدمع في عرصاتها ... تؤاماً إلى أن أقرح الجفن فارده
أرقت دماً بعد الدموع نزحته ... من القلب حتى غيضته شوارده
سأستعتب الدهر الخئون بسيد ... يرد جماح الدهر إذ هو قائده
سواء عليه طارف المال في الندى ... إذ ما انتحاه السائلون وتالده

وله فيه:

قرم إذا اعتذرت نوافل بره ... لم يلف دافع حقها بمعاذر
من معشر ورثوا المكارم والعلا ... وتقسموها كابراً عن كابر
قوم يقوم حديثهم بقديمهم ... ويسير أولهم بمجد الآخر

وكان أبو إسحاق الصابئ قد عمل لأبي بشر بن طازاد نسخة كتاب أراد إنشاءه، ونحله إياه، فكتب إليه أبو الحسن البتي يعرض بذلك:

زكاة العلوم زكاة الندى ... وعرف المعارف بذل الحجى
ولكن يجر به أهله ... فأجر بنيلك فضل التقى

لئن كنت أوجبته قربة ... لما وقع الموقع المرتضى
وما صدقاتك مقبولة ... إذا ما تنكبت فيها الهدى

قد عرفت - أطال الله بقاء سيدي - العارية والمستعير، وكيف جرى الأمر في ذلك، وما ظننت أن هذا يجري مجرى الماعون الذي لا يحسن منعه، "إذ لا يقع الغرض موقعه، بل ساء لنفرته من لابسه:"

أحمد بن علي بن محمد، أبو عبد الله

الرماني النحوي، المعروف بابن الشرابي، ذكره أبو القاسم فقال: سمع عبد الوهاب بن حسن الكلابي، وأبا الفرج الهيثم بن أحمد الفقيه، وأبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين، بن الحسن، بن علي، بن يعقوب، بن أبي العقب، حدث بكتاب إصلاح المنطق، ليعقوب بن السكيت، عن أبي جعفر محمد بن أحمد الجرجاني، عن أبي علي الحسن ابن إبراهيم الآمدي، عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، عن ثعلب، عن ابن السكيت، روى عنه أبو نصر بن طلاب الخطيب. قال ابن الأكفاني: حدثنا عبد العزيز بن أحمد الكناني، قال: توفي أبو عبد الله، أحمد بن علي الرماني، الشرابي النحوي، يوم الجمعة ليومين مضيا من ربيع الآخر، سنة خمس عشرة وأربعمائة.

^

الجزء الرابع

أحمد بن علي بن خيران الكاتب

المصري، أبو محمد الملقب بولي الدولة، صاحب ديوان الإنشاء بمصر بعد أبيه، وكان أبوه أيضاً فاضلاً بليغاً، أعظم قدراً من ابنه، وأكثر علماً، وكان أبو محمد هذا، يتقلد ديوان الإنشاء للظاهر، ثم للمستنصر، وكان رزقه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار، وله عن كل ما يكتبه من السجلات، والعهودات، وكتب التقليدات رسوم، يستوفيها من كل شيء بحسبه، وكان شاباً حسن الوجه، جميل المروءة، واسع النعمة، طويل اللسان، جيد العارضة، وسلم إلى أبي منصور بن الشيرازي، رسول ابن النجار إلى مصر من بغداد، جزأين من شعره ورسائله، واستصحبهما إلى بغداد، ليعرضهما على الشريف المرتضي أبي القاسم وغيره، ممن يأنس به من رؤساء البلد، ويستشير في تخليدهما دار العلم، لينفذ بقية الديوان والرسائل، إن علم أن ما أنفذه منها ارتضي واستجيد، وأنه فارقه حياً، ثم ورد الخبر، بأنه مات في شهر رمضان، سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة في أيام المستنصر.

قال ابن عبد الرحيم: ووقع إلى الجزء من الشعر فتأملته، فما وجدته طائلاً، وعرفني الرئيس أبو الحسن، هلال بن المحسن: أن الرسائل صالحة سليمة. قال: وقد انتزعت من المنظوم على خلوة، إلا من الوزن والقافية. فمن شعره:

عشق الزمان بنوه جهلاً منهم — وعلمت سوء صنيعه فشنئته

نظروه نظرة جاهلين فغرهم — ونظرته نظر الخبير فخفته

ولقد أتاني طائعاً فعصيته — وأباحني أحلى جناه فعفته

ومن شعره أيضاً:

ولي لسان صارم حده يدمي إذا شئت ولا يدمى
ومنطق ينظم سمل العلا ويستميل العرب والعجما
ولو دجا الليل على أهله فأظلموا كنت لهم نجما

ومن شعره أيضاً:

أخذ المجد يمينني لتفيضن يميني
ثم لا أرجئ إحسا ناً إلى من يرتجيني

ومن شعره أيضاً:

ولقد سموت على الأنام بخاطر الله أجرى: منه بحراً زاخرا
فإذا نظمت نظمت روضاً حالياً وإذا نثرت نثرت دراً فاخرا

وقال على لسان بعض العلويين، يخاطب العباسيين:

وينطقنا فضل البدار إلى الهدى ويخرسكم عن ذكر فضل لنا بدر
وما كانت الشورى علينا غضاضة ولو كنتم فيها ساتطاركم الكبر

ومن شعره أيضاً:

يا من إذا أبصرت طلعته سدت على مطالع الحزم
قد كف لحظي عنك مذ كثرت فينا الظنون فكف عن ظلمي

ومن شعره أيضاً:

حيوا الديار التي أقوت مغانيها واقضوا حقوق هواها بالبكا فيها
ديار فاترة الألحاظ غانية جنت عليك ولجت في تجنيها
ظللت تسح دموعي في معاهدها سح السحاب إذا جادت عزاليها

ومن شعره أيضاً:

أيها المغتاب لي حسداً مت بداء البغي والحسد
حافظي من كل معتقد في سوءاً: حسن معتقدي

ومن شعره أيضاً:

أما ترى الليل قد ولت كواكبه والصبح قد لاح وانبثت مواكبه

ومنهل العيش قد طابت موارده   والدهر وسنان قد أغفت نوائبه

فقم بنا نغتنم صفو الزمان فما   صفو الزمان لمخلوق يصاحبه

ومن شعره أيضاً:

خلقت يدي للمكرمات ومنطقي   للمعجزات ومفرقي للتاج

وسموت للعلياء أطلب غاية   يشقى بها الغاوي وحظى الراجي

ومن شعره:

أنا شيعي لآل المصطفى   غير أني لا أرى سب السلف

أقصد الإجماع في الدين ومن   قصد الإجماع لم يخش التلف

لي بنفسي شغل عن كل من   للهوى قرظ قوماً أو قذف

ومن شعره:

فقام يناوي غرة الشمس نوره   وتنصف من ظلم الزمان عزائمه

أغر له في العدل شرع يقيمه   وليس له في الفضل ند يقاومه

وقال على لسان ذلك الملك -، يخاطب الظاهر لإعزاز دين الله، حين أمر بالختم على جميع ماله -: هذين البيتين، وكانا السبب في الإفراج عما أخذ منه والرضى عنه:

من شيم المولى الشريف العلي   ألا يرى مطرحاً عبده

وما جزا من جن من حبكم   أن تسلبوه فضلكم عنده

وكان ابن خيران، قد خرج إلى الجيزة متنزهاً، ومعه من أصحابه، المتقدمين في الأدب، والشعر، والكتابة، وقد احتفوا به يميناً وشمالاً، فأدى بهم السير إلى مخاضة مخوفة، فلما رأى إحجام الجماعة من الفرسان عنها، وظهور جزعهم منها، قنع بغلته، فولجها حتى قطعها، وانثنى قائلاً مرتجلاً:

ومخاضة يلقى الردى من خاضها   كنت الغداة إلى العدا خواضها

وبذلت نفسي في مهاول خوضها   حتى تنال من العدا أغراضها

وله أيضاً:

من كان بالسيف يسطو عند قدرته   على الأعادي ولا يبغي على أحد

فإن سيفي الذي أسطو به أبداً   فعل الجميل وترك البغي والحسد

وله أيضاً:

قد علم السيف وحد القنا — أن لساني منهما أقطع
والقلم الأشرف لي شاهد — بأنني فارسه المصقع

قال ابن عبد الرحيم: وهو كثير الوصف لشعره، والثناء على براعته ولسنه، وجميع ما في الجزء بعد ما ذكرته، لا حظ فيه، وليس فيه مدح إلا في سلطانهم المستنصر، والباقي على نحو ما ذكرته في مراثي أهل البيت عليهم السلام، ولو كان فيه ما يختار، لاخترته.

أحمد بن علي، بن ثابت، بن أحمد، بن مهدي

الخطيب، أبو بكر البغدادي، الفقيه الحافظ، أحد الأئمة المشهورين، المصنفين المكثرين، والحفاظ المبرزين، ومن ختم به ديوان المحدثين، سمع ببغداد شيوخ وقته، وبالبصرة، وبالدينور، وبالكوفة، ورحل إلى نيسابور في سنة خمس عشرة وأربعمائة حاجاً، فسمع بها، ثم قدمها بعد فتنة البساسيري، لاضطراب الأحوال ببغداد، فآذاه الحنابلة بجامع المنصور، سنة إحدى وخمسين، فسكنها مدة، وحدث بها بعامة كتبه ومصنفاته، إلى صفر سنة سبع وخمسين، فقصد صور، فأقام بها، وكان يتردد إلى القدس للزيارة، ثم يعود إلى صور، إلى أن خرج من صور، في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، وتوجه إلى طرابلس، وحلب، فأقام في كل واحدة من البلدتين أياماً قلائل، ثم عاد إلى بغداد، في أعقاب سنة اثنتين وستين، وأقام بها سنة، إلى أن توفي، وحينئذ روى تاريخ بغداد، وروى عنه من شيوخه: أبو بكر البرقاني، والأزهري، وغيرهما.

وقال غيث بن علي الصوري: سألت أبا بكر الخطيب عن مولده، فقال: ولدت يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة: وكان الخطيب يذكر، أنه لما حج، شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله عز وجل ثلاث حاجات، آخذاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ماء زمزم لما شرب له": فالحاجة الأولى: أن يحدث بتاريخ بغداد، والثانية: أن يملي الحديث بجامع المنصور، والثالثة: أن يدفن إذا مات عند قبر بشر الحافي، فلما عاد إلى بغداد، حدث بالتاريخ بها، ووقع إليه جزء، فيه سماع الخليفة القائم بأمر الله، فحمل الجزء، ومضى إلى باب حجرة الخليفة، وسأل أن يؤذن له في قراءة الجزء، فقال الخليفة: هذا رجل كبير في الحديث، فليس له إلى السماع مني حاجة، ولعل له حاجة، أراد أن يتوصل إليها بذلك، فسلوه ما حاجته؟ فسئل، فقال: حاجتي أن يؤذن لي أن أملي بجامع المنصور، فتقدم الخليفة إلى نقيب النقباء بأن يؤذن له في ذلك، فحضر النقيب، فلما مات أرادوا دفنه عد قبر بشر بوصية منه، قال ابن عساكر: فذكر شيخنا إسماعيل بن أبي سعد الصوفي، وكان الموضع الذي بجنب بشر، قد حفر فيه أبو بكر أحمد بن علي الطرثيثي قبراً لنفسه، وكان يمضي إلى ذلك الموضع، فيختم فيه القرآن

ويدعو، ومضى على ذلك عدة سنين، فلما مات الخطيب، سألوه أن يدفنوه فيه، فامتنع، فقال: هذا قبري، قد حفرته، وختمت فيه عدة ختمات، ولا أمكن أحداً من الدفن فيه، وهذا مما لا يتصور، فانتهى الخبر إلى والدي، فقال له: يا شيخ، لو كان بشر في الأحياء، ودخلت أنت والخطيب إليه، أيكما كان يقعد إلى جنبه؟ أنت أو الخطيب؟؟ فقال: لا، بل الخطيب، فقال له: كذا ينبغي أن يكون في حالة الموت، فإنه أحق به منك، فطاب قلبه، ورضي بأن يدفن الخطيب في ذلك الموضع، فدفن فيه.

وقال المؤتمن الساجي: ما أخرجت بغداد بعد الدار قطني، أحفظ من الخطيب، وذكر في المنتظم: أن الخطيب لقي في مكة أبا عبد الله بن سلامة القضاعي، فسمع منه بها، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزي في خمسة أيام، ورجع إلى بغداد، فقرب من رئيس الرؤساء، أبي القاسم بن مسلمة، وزير القائم بأمر الله تعالى، وكان قد أظهر بعض اليهود كتاباً، وادعى أنه كتاب رسول الله صلى عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة، وأنه خط علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، فعرضه رئيس الرؤساء على أبي بكر الخطيب، فقال: هذا مزور، فقيل له: من أين لك ذلك؟ قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم يوم الفتح، وخيبر كانت في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وكان قد مات يوم الخندق، في سنة خمس، فاستحسن ذلك منه.

وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني: أن رئيس الرؤساء تقدم إلى القصاص والوعاظ، ألا يورد أحد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يعرضه على أبي بكر الخطيب، فما أمرهم بإيراده أوردوه، وما منعهم منه ألغوه.

وفي المنتظم قال: ولما جاءت نوبة البساسيري، استتر الخطيب، وخرج من بغداد إلى الشام، وأقام بدمشق، ثم خرج إلى صور، ثم إلى طرابلس، وإلى حلب، ثم عاد إلى بغداد، في سنة اثنتين وستين، فأقام بها سنة، ثم مات. قال: وله ستة وخمسون مصنفاً، بعيدة المثل، منها: كتاب تاريخ بغداد، كتاب شرف أصحاب الحديث، كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، كتاب الكفاية في معرفة علم الرواية، كتاب المتفق والمفترق، كتاب السابق واللاحق، كتاب تلخيص المتشابه في الرسم، كتاب في التلخيص، كتاب في الفصل والوصل، كتاب المكمل في بيان المهمل، كتاب الفقيه والمتفقه، كتاب الدلائل والشواهد، على صحة العمل باليمين مع الشاهد، كتاب غنية المقتبس في تمييز الملتبس، كتاب الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، كتاب الموضح، وهو أوهام الجمع والتفريق، كتاب المؤتنف في كملة المختلف والمؤتلف، كتاب منهج الصواب، في أن التسمية من فاتحة الكتاب، كتاب الجهر بالبسملة، كتاب الخيل، كتاب رافع الارتياب في القلوب من الأسماء والألقاب، كتاب القنوت، كتاب التبيين لأسماء المدلسين، كتاب تمييز

المزيد في متصل الأسانيد، كتاب من وافق كنيته اسم أبيه، كتاب من حدث فنسي، كتاب رواية الآباء عن الأبناء، كتاب الرحلة في طلب الحديث، كتاب الرواة عن مالك بن أنس، كتاب الاحتجاج للشافعي فيما أسند إليه، والرد على الجاهلين بطعنهم عليه، كتاب التفصيل لمبهم المراسيل، كتاب اقتضاء العلم العمل، كتاب تقييد العلم، كتاب القول في علم النجوم، كتاب روايات الصحابة عن التابعين، كتاب صلاة التسبيح، كتاب مسند نعيم بن هماز، جزء. كتاب النهي عن صوم يوم الشك، كتاب الإجازة للمعلوم والمجهول، كتاب روايات السنة من التابعين، كتاب البخلاء، كتاب الطفيليين، كتاب الدلائل والشواهد، كتاب التنبيه والتوقيف، على فضائل الخريف.

قال ابن الجوزي: فهذا الذي ظهر لنا من تصانيفه، ومن نظر فيها عرف قدر الرجل، وما هيئ له مما لم يهيأ لمن كان أحفظ منه، كالدار قطني وغيره.

وحدث أبو سعد السمعاني، قرأت بخط والدي: سمعت أبا الحسين بن الطيوري ببغداد يقول: أكثر كتب الخطيب سوى التاريخ، مستفاد من كتب الصوري، كان الصوري بدأ بها و لم يتممها، وكانت للصوري أخت بصور، مات وخلف عندها اثني عشر عدلاً محزوماً من الكتب، فلما خرج الخطيب إلى الشام، حصل من كتبه ما صنف منها كتبه، قال: وكان سبب وفاة الصوري، أنه افتصد، وكان الطبيب الذي فصده، قد أعطي مبضعاً مسموماً ليفصد به غيره، فغلط، ففصده فقتله.

قال ابن الجوزي عند سماع هذه الحكاية: وقد يضع الإنسان طريقاً فيسلكه غيره، وما قصر الخطيب على كل حال، وكان حريصاً على علم الحديث، كان يمشي في الطريق وفي يده جزء يطالعه، وكان حسن القراءة، فصيح اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر الحسن.

قال ابن الجوزي: ونقلت - من خطه - من شعره قوله:

لعمرك ما شجاني رسم دار ... وقفت بها ولا ذكر المغاني
ولا أثر الخيام أراق دمعي ... لأجل تذكري عهد الغواني
ولا ملك الهوى يوماً فؤادي ... ولا عاصيته فثنى عناني
رأيت فعاله بذوي التصابي ... وما يلقون من ذل الهوان
فلم أطمعه في وكم قتيل ... له في الناس لا يحصى وعان؟
طلبت أخاً صحيح الود محضاً ... سليم الغيب مأمون اللسان
فلم أعرف من الإخوان إلا ... نفاقاً في التباعد والتداني
وعالم دهرنا لا خير فيه ... ترى صوراً تروق بلا معاني

ووصف جميعهم هذا فما إن ... أقول سوى فلان أو فلان
ولما لم أجد حراً يواتي ... على ما ناب من صرف الزمان
صبرت تكرماً لقراع دهري ... ولم أجزع لما منه دهاني
ولم أك في الشدائد مستكيناً ... أقول لها ألا كفي كفاني
ولكني صليب العود عود ... ربيط الجأش مجتمع الجنان
أبي النفس لا أختار رزقاً ... يجيء بغير سيفي أو سناني
لعز في لظى باغيه يشوى ... ألذ من المذلة في الجنان
ومن طلب المعالي وابتغاها ... أدار لها رحا الحرب العوان

ومن شعره أيضاً:

لا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها ... ولا للذة وقت عجلت فرحاً
فالدهر أسرع شيء في تقلبه ... وفعله بين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلاً فيه منيته ... وكم تقلد سيفاً من به ذبحا

قال أبو الفرج: وكان الخطيب قديماً على مذهب أحمد بن حنبل، فمال عنه أصحابنا لما رأوا من ميله إلى المبتدعة وآذوه، فانتقل إلى مذهب الشافعي، وتعصب في تصانيفه عليهم، فرمز إلى ذمهم، فصرح بقدر ما أمكنه، فقال في ترجمة أحمد بن حنبل: سيد المحدثين، وفي ترجمة الشافعي: تاج الفقهاء، فلم يذكر أحمد بالفقه، وقال في ترجمة حسين الكرابيسي، إنه قال عن أحمد: "إيش" تعمل بهذا الصبي. إن قلنا لفظنا بالقرآن مخلوق، قال بدعة، وإن قلنا غير مخلوق، قال بدعة، ثم التفت إلى أصحاب أحمد: فقدح فيهم بما أمكن، وله دسائس في ذمهم عجيبة، وذكر شيئاً مما زعم أبو الفرج أنه قدح في الحنابلة، وتأول له، ثم قال: أنبأنا أبو زرعة، طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي عن أبيه، قال: سمعت إسماعيل بن أبي الفضل القومسي، وكان من أهل المعرفة بالحديث يقول: ثلاثة من الحفاظ لا أحبهم، لشدة تعصبهم وقلة إنصافهم، الحاكم أبو عبد الله، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو بكر الخطيب. قال أبو الفرج: وصدق إسماعيل، وكان من أهل المعرفة، فإن الحاكم كان متشيعاً ظاهر التشيع، والآخران كانا يتعصبان للمتكلمين والأشاعرة. قال: وما يليق هذا بأصحاب الحديث، لأن الحديث جاء في ذم الكلام، وقد أكد الشافعي في هذا، حتى قال رأيي في أصحاب الكلام، أن يحملوا على البغال ويطاف بهم قال: وكان للخطيب شيء

من المال، فكتب إلى القائم بأمر الله: إني إذا مت، كان مالي لبيت المال، وأنا أستأذن أن أفرقه على من شئت، فأذن له، ففرقه على أصحاب الحديث، وكان مائتي دينار، ووقف كتبه على المسلمين، وسلمها إلى أبي الفضل، بن خيرون، فكان يعزها، ثم صارت إلى ابنه الفضل، فاحترقت في داره، ووصى الخطيب أن يتصدق بجميع ما لعيه من الثياب.

قال ابن طاهر: سألت أبا القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، قلت: هل كان أبو بكر الخطيب كتصانيفه في الحفظ؟ فقال: لا، كنا إذا سألناه عن شيء أجابنا بعد أيام، وإن ألحنا عليه غضب، وكانت له بادرة وحشة.

وأما تصانيفه فمصنوعة مهذبة، و لم يكن حفظه على قدر تصانيفه.

وذكر أبو سعد السمعاني، في ترجمة عبد الرحمن بن محمد، بن عبد الواحد القزاز، قال: سمع جميع كتاب تاريخ مدينة السلام، من مصنفه أبي بكر الخطيب الحافظ، إلا الجزأين السادس، والثلاثين، فإنه قال: توفيت والدتي، واشتغلت بدفنها والصلاة عليها، ففاتني هذان الجزآن، وما أعيدا لي، لأن الخطيب كان قد شرط في الابتداء، ألا يعاد الفوت لأحد، فبقيا غير مسموعين.

قال السمعاني: لما رجعت إلى خراسان، حصل لي تاريخ الخطيب، بخط شجاع بن فارس، الذهلي الأصل، الذي كتبه بخطه لأبي غالب، محمد بن عبد الواحد القزاز، وعلى وجه كل واحد من الأجزاء مكتوب: سماع لأبي غالب، ولابنه أبي منصور عبد الرحمن، ولأخيه عبد المحسن، إلا هذين الجزأين، السادس، والثلاثين، فإنه كتب على وجهيهما: إجازة لأبي غالب، وابنه أبي منصور. وشجاع أعرف الناس، فيكون قد فاته الجزءان المذكوران، لا جزء واحد. ونقلت من خط أبي سعد السمعاني، ومنتخبه لمعجم شيوخ عبد العزيز، بن محمد النخشبي، قال: ومنهم أبو بكر، أحمد بن علي، بن ثابت الخطيب، يخطب في بعض قرى بغداد، حافظ فهم، ولكنه كان يتهم بشرب الخمر، كنت كلما لقيته بدأني بالسلام، فلقيته في بعض الأيام فلم يسلم علي، ولقيته شبه المتغير، فلما جاز عني لحقني بعض أصحابنا، وقال لي: لقيت أبا بكر الخطيب سكران، فقلت له: قد لقيته متغيراً، واستنكرت حاله، و لم أعلم أنه سكران، ولعله قد تاب، إن شاء الله.

قال السمعاني: و لم يذكر عن الخطيب – رحمه الله – هذا، إلا النخشبي، مع أني لحقت جماعة كثيرة من أصحابه. وقال في المذيل: والخطيب في درجة القدماء من الحفاظ، والأئمة الكبار، كيحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأحمد بن أبي خيثمة، وطبقتهم. وكان علامة العصر، اكتسى به هذا الشأن غضارة، وبهجة ونضارة، وكان مهيباً وقوراً، نبيلاً خطيراً، ثقة صدوقاً، متحرياً، حجة فيما يصنفه ويقوله، وينقله ويجمعه،

حسن النقل والخط، كثير الشكل والضبط، قارئاً للحديث، فصيحاً. وكان في درجة الكمال، والرتبة العليا، خلقاً وخلقاً، وهيئة ومنظراً، انتهى إليه معرفة علم الحديث وحفظه، وختم به الحفاظ، - رحمه الله - بدأ بسماع الحديث سنة ثلاث وأربعمائة، وقد بلغ إحدى عشرة سنة من عمره. ثم إنه قال: وسمعت بعض ماشيخي يقول: دخل بعض الأكابر جامع دمشق أو صور، ورأى حلقة عظيمة للخطيب، والمجلس غاص، يسمعون منه الحديث، فصعد إلى جانبه، وكأنه استكثر الجمع، فقال له الخطيب: القعود في جامع المنصور مع نفر يسير، أحب إلي من هذا. قال: وسمعت أبا الفتح مسعود بن محمد، بن أحمد أبي نصر، الخطيب بمرو يقول: سمعت عمر النسوي - يعرف بابن أبي ليلى - يقول: كنت في جامع صور عند الخطيب، فدخل عليه بعض العلوية، وفي كمه دنانير، وقال للخطيب: فلان - وذكر بعض المحتشمين من أهل صور - يسلم عليك ويقول: هذا تصرفه في بعض مهماتك، فقال الخطيب: لا حاجة لي فيه، وقطب وجهه، فقال العلوي: فتصرفه إلى بعض أصحابك، قال: قل له يصرفه إلى من يريد، فقال العلوي: كأنك تستقله، ونفض كمه على سجادة الخطيب، وطرح الدنانير عليها، وقال: هذه ثلاثمائة دينار، فقام الخطيب محمر الوجه، وأخذ السجادة، ونفض الدنانير على الأرض، وخرج من المسجد.

قال الفضل بن أبي ليلى: ما أنسى عز خروج الخطيب، وذل ذلك العلوي، وهو قاعد على الأرض، يلتقط الدنانير من شقق الحصر، ويجمعها.

وحدث بإسناد رفعه إلى الخطيب، قال: حدثت ولي عشرون سنة، حين قدمت من البصرة، كتب عني شيخنا أبو القاسم الأزهري، أشياء أدخلها في تصانيفه، وسألني فقرأتها عليه، وذلك في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. وحدث قال: ذكر أبو الفضل ناصر السلامي قال: كان أبو بكر الخطيب من ذوي المروآت حدثني أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب اللغوي قال: لما دخلت دمشق في سنة ست وخمسين، كان بها إذ ذاك الإمام أبو بكر الحافظ، وكانت له حلقة كبيرة يجتمعون في بكرة كل يوم، فيقرأ لهم، وكنت أقرأ عليه الكتب الأدبية المسموعة له، فكان إذا مر في كتابه شيء يحتاج إلى إصلاح يصلحه، ويقول: أنت تريد مني الرواية، وأنا أريد منك الدراية، وكنت أسكن منارة الجامع، فصعد إلي يوماً وسط النهار، وقال: أحببت أن أزورك في بيتك، وقعد عندي، وتحدثنا ساعة، ثم أخرج قرطاساً فيه شيء، وقال: الهدية مستحبة، وأسألك أن تشتري به الأقلام، ونهض، ففتحت القرطاس بعد خروجه، فإذا فيه خمسة دنانير صحاح مصرية، ثم إنه مرة ثانية، صعد وحمل إلي ذهباً، وقال لي تشتري به كاغداً، وكان نحواً من الأول أو أكثر، قال: وكان إذا قرأ الحديث في جامع دمشق، يسمع صوته في آخر الجامع، وكان يقرأ مع هذا صحيحاً.

وقال أبو طاهر أحمد بن محمد، بن أحمد، السلفي الحافظ، الأصبهاني، يمدح مؤلفات الخطيب:

تصانيف ابن ثابت الخطيب ألذ من الصبا الغصن الرطيب
تراها إذ حواها من رواها رياضاً تركها رأس الذنوب
ويأخذ حسن ما قد صاغ منها بقلب الحافظ الفطن الأريب
فأية راحة ونعيم عيش يوازي كتبه أم أي طيب؟؟

وحدث محمد بن طاهر المقدسي، سمعت أبا القاسم مكي بن عبد السلام الرميلي كان يقول: سبب خروج أبي بكر الخطيب من دمشق إلى صور، أنه كان يختلف إليه صبي صبيح الوجه، وقد سماه مكي، وأنا نكبت عن ذكره، فتكلم الناس في ذلك، وكان أمير البلدة رافضياً متعصباً، فبلغه القصة، فجعل ذلك سبباً للفتك به، فأمر صاحب الشرطة أن يأخذه بالليل ويقتله،

وكان صاحب الشرطة من أهل السنة، فقصده صاحب الشرطة تلك الليلة مع جماعة من أصحابه، و لم يمكنه أن يخالف الأمر، فأخذه وقال له: قد أمرت بكذا وكذا، ولا أجد لك حيلة، إلا أني أعبر بك على دار الشريف، بن أبي الحسن العلوي، فإذا حاذيت الباب فادخل الدار، فإني أرجع إلى الأمير، وأخبره بالقصة، ففعل ذلك، ودخل دار الشريف، وذهب صاحب الشرطة إلى الأمير، وأخبره الخبر، فبعث الأمير إلى الشريف أن يبعث به، فقال الشريف: أيها الأمير، أنت تعرف اعتقادي فيه، وفي أمثاله، ولكن ليس في قتله مصلحة، هذا رجل مشهور بالعراق، وإن قتلته، قتل به جماعة من الشيعة بالعراق، وخربت المشاهد، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن يخرج من بلدك، فأمر بإخراجه، فخرج إلى صور، وبقي بها مدة، إلى أن رجع إلى بغداد، فأقام بها إلى أن مات.

ومن شعر الخطيب أيضاً:

قد شاب رأسي وقلبي ما يغيره كر الدهور عن الإسهاب في الغزل
وكم زماناً طويلاً ظلت أعذله فقال قولاً صحيحاً صادق المثل
حكم الهوى يترك الألباب حائرة ويورث الصب طول السقم والعلل
وحبك الشيء يعمي عن مقابحه ويمنع الأذن أن تصغي إلى العذل
لا أسمع العذل في ترك الصبا أبداً جهدي فما ذاك من همي ولا شغلي
من ادعى الحب لم تظهر دلائله فحبه كذب قول بلا عمل

وله أيضاً:

تغيب الخلق عن عيني سوى قمر حسبي من الخلق طرا ذلك القمر

محله في فؤادي قد تملكه وحاز روحي ومالي عنه مصطبر
فالشمس أقرب منه في تناولها وغاية الحظ منها للورى النظر
أردت تقبيله يوماً مخالسة فصار من خاطري في خده أثر
وكم حليم رآه ظنه ملكاً وراجع الفكر فيه أنه بشر

قال عبد الخالق بن يوسف: أنشدني من لفظه الشيخ أبو العز، أحمد بن عبد الله كادش، عن الخطيب، وقال: هي في أبي منصور بن النفور:

الشمس تشبهه والبدر يحكيه والدر يضحك والمرجان من فيه !!
ومن سرى وظلام الليل معتكر فوجهه عن ضياء البدر يغنيه
روي له الحسن حتى حاز أحسنه لنفسه وبقي للخلق باقيه
فالعقل يعجز عن تحديد غايته والوحى يقصر عن فحوى معانيه
يدعو القلوب فتأتيه مسارعة مطيعة الأمر منه ليس تعصيه
سألته زروة يوماً فأعجزني وأظهر الغضب المقرون بالتيه
وقال لي دون ما تبغي وتطلبه تناول الفلك الأعلى وما فيه
رضيت يا معشر العشاق منه بأن أصبحت أعلم أني من محبيه
وأن يكون فؤادي في يديه لكي يميته بالهوى منه ويحييه

وله أيضاً:

بنفسي عاتب في كل حال وما لمحبه ذنب جناه
حفظت عهوده ورعيت منه ذماماً مثله لي ما رعاه
حرمت وصاله إن كنت يوماً جرى لي خاطر بهوى سواه
ولو تلفي رضاه لهان عند خروج الروح في طلبي رضاه

وله أيضاً:

خمار الهوى يربي على نشوة الخمر وذو الحزم فيه ليس يصحو من السكر
وللحب في الأحشاء حر أقله وأبرده يوفي على لهب الجمر
أخبركم يأيها الناس أنني عليم بأحوال المحبين ذو خبر

سبيل الهوى سهل يسير سلوكه ولكنه يفضي إلى مسلك وعر
وترجع أوصاف الهوى ونعوته لحرفين سعد الوصل أو شقوة الهجر

وله أيضاً:

إلى الله أشكو من زماني حوادثاً رمت بسهام البين في غرض الوصل
أصابت بها قلبي ولم أقض منيتي ولو قتلتني كان أجمل بالفعل
"متى ما تماثل بين" قتل وفرقة تجد فرقة الأحباب شراً من القتل

قال أبو بكر الخطيب: كتب معي أبو بكر البرقاني إلى أبي نعيم الأصبهاني الحافظ كتاباً يقول في فصل منه: وقد نفذ إلى ما عندك عمداً متعمداً، أخونا أبو بكر أ؛مد بن علي، بن ثابت، - أيده الله وسلمه - ليقتبس من علومك، ويستفيد من حديثك، وهو بحمد الله، من له في هذا الشأن سابقة حسنة، وقدم ثابة، وفهم حسن وقد رحل فيه وفي طلبه، وحصل له منه ما لم يحصل لكثير من أمثاله الطالبين له، وسيظهر لك منه عند الاجتماع من ذلك مع التورع والتحفظ، وصحة التحصيل، ما يحسن لديك موقعه، ويجمل عندك منزلته، وأنا أرجو إذا صحت منه لديك هذه الصفة، أن تلين له جانبك، وأن تتوفر له، وتحتمل منه ما عساه يورده، من تثقيل في اللاستكثار، أو زيادة في الاصطبار، فقديماً حمل السلف عن الخلف، ما ربما ثقل، وتوفروا على المستحق منهم بالتخصيص، والتقديم والتفضيل، ما لم ينله الكل منهم، وقال الرئيس أبو الخطاب بن الجراح، يمدح الخطيب:

فاق الخطيب الورى صدقاً ومعرفة وأعجز الناس في تصنيفه الكتبا
حمى الشريعة من غاو يدنسها بوضعه ونفى التدليس والكذبا
جلا محاسن بغداد فأودعها تاريخه مخلصاً لله محتسباً
وقال في الناس بالقسطاس منزويا عن الهوى، وأزال الشك والريبا
سقى ثراك أبا بكر على ظمأ جون ركام يسح الواكف السربا
ونلت فوزاً ورضواناً ومغفرة إذا تحقق وعد الله واقتربا
يا أحمد بن علي طبت مضطجعاً وباء شانيك بالأوزار محتقبا

وقال أبو القاسم: حدثني أبو محمد الأكفاني، حدثني أبو القاسم، مكي بن عبد السلام المقدسي، قال: مرض الشيخ أبو بكر الخطيب ببغداد، في نصف رمضان، إلى أن اشتد به الحال، في ذي الحجة، وأيسنا

منه، وأوصى إلى أبي الفضل بن خيرون، ووقف كتبه على يده، وفرق جميع ماله في وجوه البر، وعلى أهل العلم والحديث، وأخرجت جنازته من حجرة تلي المدرسة النظامية، من نهر المعلى، وتبعه الفقهاء، والخلق العظيم، ومرت الجنازة على الجسر، وحملت إلى جامع المنصور، وكان بين يدي الجنازة جماعة ينادون: هذا الذي كان يذب عن رسول الله، هذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله، وعبرت الجنازة بالكرخ، ومعها ذلك الخلق العظيم.

أحمد بن علي، ين قدامة، أبو المعالي

قاضي الأنبار، أحد العلماء بهذا الشأن، المعروفين المشهورين به، وله من الكتب كتاب في علم القوافي، وكتاب في النحو. مات في شوال، سنة ست وثمانين وأربعمائة.

أحمد بن علي، بن عمر، بن سوار المقرئ

أبو طاهر، مات، فيما ذكره السمعاني، في رابع شعبان، سنة ست وتسعين وأربعمائة، ودفن عند قبر معروف الكرخي، قال: وقال ابن ناصر أبو الفضل: أظن أن مولد ابن سوار في سنة ست عشرة وأربعمائة، قال: وسمعت أبا المعمر، المبارك بن أحمد الأنصاري قال: سألت ابن سوار عن مولده، فقال: ولدت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

قال: وهو والد شيخنا أبي الفوارس هبة الله، بن محمد، وكان ثقة أميناً، مقرئاً فاضلاً، وكان حسن الأخذ للقرآن العظيم، ختم عليه جماعة كتاب الله، وكتب الكثير بخطه من الحديث، وصنف في القرآن كتاب المستنير وغيره، سمع عبد الواحد بن رزمة، صاحب أبي سعيد السيرافي في النحو. وأبا القاسم علي بن المحسن التنوخي، وأبا طالب محمد بن محمد، بن إبراهيم، بن غيلان البزاز، وغيرهم. وروى عنه عبد الوهاب الأنماطي، ومحمد بن ناصر، الحافظان، وغيرهما.

قال: وسألت عنه الأنماطي فقال: ثقة مأمون، فيه خير ودين. وسألت عنه الحافظ بن ناصر، فأحسن الثناء عليه، وقال: شيخ نبيل عالم ثبت، متقن رحمه الله.

وأنشد السمعاني بإسناده إلى ابن سوار، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محجمد السمار: أنشدنا أبو نصر عبد العزيز ابن نباتة السعدي لنفسه:

نعلل بالدواء إذا مرضنا ... وهل يشفي من الموت الدواء؟
ونختار الطبيب، وهل طبيب ... يؤخر ما يقدمه القضاء؟
وما أنفاسنا إلا حساب ... ولا حركاتنا إلا فناء

وذكره أبو علي الحسين بن محمد، بن فيرو الصدفي في شيوخه، يذكر نسبه، ثم قال: البغدادي الضرير المقرئ الأديب، ولعله أضر على كبر، فإن المحب بن النجار، أخبرني أنه رأى خطه تحت الطباق متغيراً. سمع الصدفي منه كتابه المستنير، وكتابه في المفردات، أفرد ما جمعه في المستنير، وقال: هو شيخ فاضل في الحنفية، سمع كثيراً، وحبس نفسه على القرآن.

وذكره أبو بكر بن العربي في شيوخه، فقال: واقف على اللغة، مذاكر، ثقة، فاضل، قرأ على أبوي علي الشرمقاني والعطار. وأبي الحسن بن فارس الخياط، وأبي الفتح بن المقدر، وأبي الفتح بن شيطا، وغيرهم.

أحمد بن علي، بن مخلد، البيادي الأديب

أبو العباس، ذكره عبد الغافر فقال: أحد وجوه أفاضل النواحي، المشهورين باللهجة الفصيحة في النظم والنثر، سمع الأحاديث، وعني بجمعها.

أحمد بن علي، بن أبي جعفر، محمد

ابن أبي صالح البيهقي، أبو جعفر المقرئ اللغوي، ويعرف ببو جعفرك، ومعنى هذه الكاف المزيدة ففي آخر الاسم الفارسي "التصغير" يقولون في تصغير علي "عليك" وفي تصغير حسن "حسنك" وفي تصغير جعفر "جعفرك" وما أشبهه. مات فيما ذكره أبو سعد السمعاني في مشيخة أبيه، في سلخ شهر رمضان، سنة أربع وأربعين وخمسمائة. أخبرني بذلك الشيخ الإمام أبو المظفر عبد الرحيم ابن سعد السمعاني، عن والده، وأخبرني أيضاً أن مولده في حدود سنة سبعين وأربعمائة.

قال السمعاني: كان إماماً في القراءة والتفسير، والنحو واللغة، صنف التصانيف في ذلك، وانتشرت عنه في البلاد وظهر له أصحاب نجباء، وتخرج به خلق، وكان ملازماً لبيته لا يخرج منه إلا في أوقات الصلاة، إلى مسجد نيسابور، لأنه كان إمامه، وكان لا يزور أحداً، إنما يقصده الناس إلى منزله، للتعلم منه والتبرك به، سمع أبا نصر أحمد بن محمد، بن صاعد القاضي، وأبا الحسن علي بن الحسن، بن العباس، الصندلي الواعظ وغيرهما. وذكر وفاته كما تقدم.

وذكر تاج الدين، محمود بن أبي المعالي الحواري، في مقدمة كتاب ضالة الأديب، قال: أحمد بن علي البيهقي، كان إماماً في القراءات والأدب، حفظ كتاب الصحاح في اللغة عن ظهر قلب، بعد ما قرأه على أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، وكتباً كثيرة، وله مؤلفات، منها: كتاب المحيط بلغات القرآن، كتاب ينابيع اللغة، فيه صحاح اللغة من الشواهد، وضم إليه من تهذيب اللغة والشامل لأبي منصور الجبان، والمقاييس لابن فارس، قدراً صالحاً من الفوائد والفرائد وهو كتاب صالح، كبير الحجم، يقرب حجمه من

الصحاح، وله أيضاً: كتاب تاج المصادر، كتاب المحيط بعلم القرآن.

وقال علي بن محمد، بن علي الجويني، يمدح بو جعفرك ويذكر كتابه تاج المصادر، وقد راعى اللزوم:

أبا جعفر يا من جعافر فضله ... موارد منها قد صفت ومصادر
كتابك ذا غيل تأشب نبته ... وأنت به ليث بخفان خادر
لبست صدار الصبر، يا خير مصدر ... مصادر لا تنهى إليها المصادر
فقل لرواة الفضل والأدب: انتهوا ... إليها، ونحو الري منها فبادروا

أحمد بن علي، بن إبراهي، بن الزبير، الغساني

الأسواني المصري، يلقب بالرشيد، وكنيته أبو الحسين. مات في سنة اثنتين وستين وخمسمائة، على ما نذكره، وكان كاتباً شاعراً، فقيها، نحوياً، لغوياً، ناشئاً، عروضياً، مؤرخاً، منطقياً، مهندساً، عارفاً بالطب، والموسيقى، والنجوم، متفنناً.

قال السلفي: أنشدني القاضي أبو الحسن، أحمد بن علي ابن إبراهيم، الغساني الأسواني لنفسه بالثغر:

سمحنا لدنيانا بما بخلت به ... علينا، ولم نحفل بجل أمورها
فيا ليتنا لما حرمنا سرورها ... وقينا أذى آفاتها وشرورها

قال: وكان ابن الزبير هذا، من أفراد الدهر فضلاً في فنون كثيرة من العلوم، وهو من بيت كبير بالصعيد، من الممولين وولي النظر بثغر الإسكندرية والدواوين السلطانية، بغير اختياره، وله تآليف ونظم ونثر، التحق فيها بالأوائل المجيدين، قتل ظلماً وعدواناً في محرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وله تصانيف معروفة لغير أهل مصر، منها: كتاب منية الألمعي وبلغة المدعي: تشتمل على علوم كثيرة. كتاب المقامات. كتاب جنان الجنان، وروضة الأذهان، في أربع مجلدات، يشتمل على شعر شعراء مصر، ومن طرأ عليهم. كتاب الهدايا والطرف. كتاب شفاء الغلة، في سمت القبلة. كتاب رسائله نحو خمسين ورقة، كتاب ديوان شعره، نحو مائة ورقة.

ومولده بأسوان، وهي بلدة من صعيد مصر، وهاجر منها إلى مصر، فأقام بها، واتصل بملوكها، ومدح وزراءها، وتقدم عندهم، وأنفذ إلى اليمن في رسالة، ثم قلد قضاءها وأحكامها، ولقب بقاضي قضاة اليمن، وداعي دعاة الزمن. ولما استقرت بها داره، سمت نفسه إلى رتبة الخلافة، فسعى فيها، وأجابه قوم، وسلم عليه بها، وضربت له السكة، وكان نقش السكة على الوجه الواحد: "قل هو الله أحد، الله الصمد" وعلى الوجه الآخر: الإمام الأمجد، أبو الحسين أحمد، ثم قبض عليه، وأنفذ مكبلاً إلى قوص، فحكى من

حضر دخوله إليها: أنه رأى رجلاً ينادي بين يديه: هذا عدو السلطان، أحمد بن الزبير، وهو مغطى الوجه، حتى وصل إلى دار الإمارة، والأمير بها يومئذ طرخان سليط، وكان بينهما ذحول قديمة، فقال: احبسوه في المطبخ، الذي كان يتولاه قديماً، وكان بان الزبير، قد تولى المطبخ، وفي بذلك يقول الشريف الأخفش، من أبيات يخاطب الصالح بن رزيك:

يولى على الشيء أشكاه فيصبح هذا لهذا أخا

أقام على المطبخ ابن الزبير فولى على المطبخ المطبخا

فقال بعض الحاضرين لطرخان: ينبغي أن تحسن إلى الرجل، فإن أخاه، - يعني المهذب حسن بن الزبير، - قريب من قلب الصالح، ولا أستبعد أن يستعطفه عليه، فتقع في خجل.

قال: فلم يمض على ذلك غير ليلة أو ليلتين، حتى ورد ساع من الصالح بن رزيك، إلى طرخان بكتاب يأمره فيه بإطلاقه، والإحسان إليه، فأحضره طرخان من سجنه مكرماً.

قال الحاكي: فلقد رأيته، وهو يزاحمه في رتبته ومجلسه.

وكان السبب في تقدمه في الدولة المصرية في أول أمره، ما حدثني به الشريف، أبو عبد الله، محمد بن أبي محمد العزيز الإدريسي، الحسني الصعيدي قال: حدثني زهر الدولة، حدثنا: أن أحمد بن الزبير، دخل إلى مصر بعد مقتل الظافر، وجلوس الفائز، وعليه أطمار رثة، وطيلسان صوف، فحضر المأتم، وقد حضر شعراء الدولة، فأنشدوا مراثيهم على مراتبهم، فقام في آخرهم، وأنشد قصيدته التي أولها:

ما للرياض تميل سكرا هل سقيت بالمزن خمرا

إلى أن وصل إلى قوله:

أفكر بلاء بالعرا ق، وكربلاء بمصر أخرى؟

فذرفت العيون، وعج القصر بالبكاء والعويل، وانثالت عليه العطايا من كل جانب، وعاد إلى مترله بمال وافر، حصل له من الأمراء والخدم، وحظايا القصر، وحمل إليه من قبل الوزير جملة من المال، وقيل له: لولا أنه العزاء والمأتم، لجاءتك الخلع.

قال: وكان على جلالته وفضله، ومترلته من العلم والنسب، قبيح المنظر، أسود الجلدة، جهم الوجه، سمج الخلقة، ذا شفة غليظة، وأنف مبسوط، كخلقة الزنوج، قصيراً.

حدثني الشريف المذكور عن أبيه، قال: كنت أنا والرشيد بن الزبير، والفقيه سليمان الديلمي، نجتمع بالقاهرة في مترل واحد، فغاب عنا الرشيد، وطال انتظارنا له، وكان ذلك في عنفوان شبابه، وإبان صباه،

وهبوب صباه، فجاءنا، وقد مضى معظم النهار، فقلنا له: ما أبطأ بك عنا؟ فتبسم وقال: لا تسألوا عما جرى عليّ اليوم، فقلنا: لابد من ذلك، فتمنع، وألححنا عليه، فقال: مررت اليوم بالموضع الفلاني، وإذا امرأة شابة، صبيحة الوجه، وضيئة المنظر، حسانة الخلق، ظريفة الشمائل، فلما رأتني، نظرت إلي نظر مطمع لي في نفسه، فتوهمت أنني وقعت منها بموقع، ونسيت نفسي، وأشارت إلي بطرفها، فتبعتها وهي تدخل في سكة وتخرج من أخرى، حتى دخلت داراً، وأشارت إلي، فدخلت، ورفعت النقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامه، ثم صفقت بيديها منادية: يا ست الدار، فترلت إليها طفلة، كأنها فلقة قمر، وقالت لها: إن رجعت تبولين في الفراش، تركت سيدنا القاضي يأكلك، ثم التفتت وقالت: – لا أعدمني الله إحسانه، بفضل سيدنا القاضي أدام الله عزه –، فخرجت وأنا خزيان خجلاً، لا أهتدي إلى الطريق.

وحدثني قال: اجتمع ليلة عند الصالح بن رزيك، هو وجماعة من الفضلاء، فألقى عليهم مسألة في اللغة، فلم يجب عنها بالصواب سواه، فأعجب به الصالح، فقال الرشيد: ما سئلت قد عن مسألة إلا وجدتني أتوقد فهماً. فقال ابن قادوس، وكان حاضراً:

إن قلت: من نار خلق ... ت، وفقت كل الناس فهماً

قلنا :صدقت، فما الذي ... أطفاك حتى صرت فحما؟

وأما سبب مقتله: فلميله إلى أسد الدين شيركوه عند دخوله إلى البلاد، ومكاتبته له، واتصل ذلك بشاور وزير العاضد، فطلبه، فاختفى بالإسكندرية، واتفق التجاء الملك صلاح الدين، يوسف بن أيوب إلى الإسكندرية، ومحاصرته بها، فخرج ابن الزبير راكباً متقلداً سيفاً، وقاتل بين يديه، ولم يزل معه مدة مقامه بالإسكندرية، إلى أن خرج منها فتزايد وجد شاور عليه، واشتد طلبه له، واتفق أن ظفر به، على صفة لم تتحقق لنا، فأمر بإشهاره على جمل، وعلى رأسه طرطور، ووراءه جلواز ينال منه.

وأخبرني الشريف الإدريسي، عن الفضل بن أبي الفضل، أنه رآه على تلك الحال الشنيعة، وهو ينشد:

إن كان عندك يا زمان بقية ... مما تهين به الكرام فهاتها

ثم جعل يهمهم شفتيه بالقرآن، وأمر به، بعد إشهاره بمصر والقاهرة، أن يصلب شنقاً، فلما وصل به إلى الشناقة، جعل يقول للمتولي ذلك منه: عجل عجل، فلا رغبة للكريم في الحياة بعد هذه الحال، ثم صلب.

حدثني الشريف المذكور قال: حدثني الثقة حجاج ابن المسبح الأسواني: أن ابن الزبير دفن في موضع صله، فما مضت الأيام والليالي، حتى قتل شاور، وسحب فاتفق أن حفر له ليدفن، فوجد الرشيد بن الزبير في الحفرة مدفوناً، فدفنا معاً في موضع واحد، ثم نقل كل واحد منهما بعد ذلك إلى تربة له بقرافة

مصر القاهرة.

ومن شعر الرشيد، قوله يجيب أخاه المهذب عن قصيدته التي أولها:

يا ربع، أين ترى الأحبة يمموا — رحلوا، فلا خلت المنازل منهم

ويروى: ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم

وسروا، وقد كتموا الغداة مسيرهم — وضياء نور الشمس ما لا يكتم

وتبدلوا أرض العقيق عن الحمى — روت جفوني أي أرض يمموا

نزلوا العذيب، وإنما في مهجتي — نزلوا، وفي قلب المتيم خيموا

ما ضرهم، لو ودعوا من أودعوا — نار الغرام، وسلموا من أسلموا

هم في الحشا إن أعرقوا أو أشأموا — أو أيمنوا، أو أنجدوا، أو أتهموا،

وهم مجال الفكر من قلبي وإن — بعد المزار فصفو عيشي معهم

أحبابنا، ما كان أعظم هجركم — عندي، ولكن التفرق أعظم

غبتم، فلا والله ما طرق الكرى — جفني، ولكن سح بعدكم الدم

وزعمتم أني صبور بعدكم — هيهات، لا لقيتم ما قلتم

وإذا سئلت بمن أهيم صبابة — قلت :الذين هم الذين هم هم

النازلين بمهجتي وبمقلتي — وسط السويدا، والسواد الأكرم

لا ذنب لي في البعد أعرفه سوى — أني حفظت العهد، لما خنتم

فأقمت، حين ظعنتم، وعدلت، لم — ما جرتم، وسهدت، لما نمتم

يا محرقاً قلبي بنار صدورهم — رفقاً، ففيه نار شوق تضرم

أسعرتم فيه لهيب صبابة — لا تنطفي إلا بقرب منكم

يا ساكني أرض العذيب سقيتم — دمعي، إذا ضن الغمام المرزم

بعدت منازلكم وشط مزاركم — وعهودكم محفوظة، مذ غبتم

لا لوم للأحباب فيما قد جنوا — حكمتهم في مهجتي فتحكموا

أحباب قلبي أعمروه بذكركم — فلطالما حفظ الوداد المسلم

واستخبروا ريح الصبا تخبركم عن بعض ما يلقى الفؤاد المغرم
كم تظلمونا قادرين، وما لنا جرم ولا سبب لمن نتظلم؟
ورحلتم، وبعدتم، وظلمتم ونأيتم، وقطعتم، وهجرتم
هيهات لا أسلوكم أبداً، وهل يسلو عن البيت الحرام المحرم؟
وأنا الذي واصلت، حين قطعتم وحفظت أسباب الهوى، إذ خنتم
جار الزمان علي، لما جرتم ظلماً، ومال الدهر، لما ملتم
وغدوت بعد فراقكم، وكأنني هدف يمر بجانبيه الأسهم
ونزلت مقهور الفؤاد ببلدة قل الصديق بها وقل الدرهم
في معشر خلقوا شخوص بهائم يصدى بها فكر اللبيب ويبهم
إن كورموا لم يكرموا، أو علموا لم يعلموا، أو خوطبوا لم يفهموا
لا تنفق الآداب عندهم ولا ال إحسان يعرف في كثير منهم
صم عن المعروف حتى يسمعوا هجر الكلام فيقدموا ويقدموا
فالله يغني عنهم، ويزيد في زهدي لهم، ويفك أسري منهم

أحمد بن علي الصفار، الخوارزمي أبو الفضل

قال محمد بن أرسلان: كان من فضلاء خوارزم، وبلغائهم، وكتابهم، وله أشعار مونقة لطيفة، ورسائل لبقة خفيفة، جمع رسائله أبو حفص، عمر بن الحسن، بن المظفر الأديبي، وجعلها على خمسة عشر باباً، وذكر في أول جمعه: وبعد، فإني رغبت في مطالعة رسائل، تكون إلى التخريج في البراعة وسائل، ثم تقلبت وتطلبت، فلم أر أعذب في السمع، وأعلق بالطبع، وأجرى في ميدان أهل الزمان، من غرر أبي الفضل الصفاري، ثم ذكرت ما كان بينه وبين والدي – رحمه الله – من المحبة المشتبكة اشتباك الرحم، الجارية في عروقها مجرى الدم، والأخوة الصافية من الكدر، الباقية على الغير، فاقترحت عليه أن يلقي إلي ما حصل لديه، من رقاعه الصادرة إليه، فأجابني إلى ملتمسي، فدونت ما ألقاه إلي من إنشائه، وألحقت به ما وجدته عند غيره من أودائه، وهذا أنموذج من كلامه: كتب عن أبي سعيد، سهل بن أحمد السهلي، إلى عميد الملك أبي نصر الكندري، حين أنهض ولده إلى حضرته:

كتابي – أطال الله بقاء الشيخ السيد – وأنا معترف برق ولائه، متصرف في شكر سوابق آلائه، حامد لله تعالى على تظاهر أسباب عزه وعلائه، و لم أزل منذ حرمت التشرف بخدمته، أنطوي على مبايعته، وأتلظى

شوقاً ألى التسعد بخدمة حضرته، التي هي مجمع الوفود، ومطلع الجود، وعصره المحمود، وأتمنى على الله تعالى حالاً تدنيني من جنابه الرحب، ومشرعه العذب، ومتى تذكرت تلك الأيام، التي كانت تسعفني بالتمكن من خدمته، التي هي مادة الجمال، وغاية الآمال، انثنيت بحسرة مرة، وانطويت على غصة مستمرة، وكم كاتبت شريف حضرته، لازالت محسودة مأنوسة، فلم أؤهل لجواب، و لم أشرف بخطاب، فأمسكت عن العادة في المعاودة، جرياً على طريقة الأصاغر، في مراعاة حشمة الأكابر، ولو جريت في مكاتبة حضرته على حكم الاعتقاد، والنية الخالصة في الوداد، لأكثرت، حتى أضجرت، وهو بحمد الله أحسن أخلاقاً، وأوفر في الكرم والمجد خلاقاً، من أن يرى عن قدماء خدمه متجافياً، ولخواص أصاغره جافياً، ولو كان رحيلي ممكناً، لاستعملت في الخدمة قدمي، دون قلمي، وحين عجزت عن ذلك، لما أنا مدفوع إليه من اختلال الحال، وتضاعف الاعتلال، أنهضت ولدي أبا الحسين خادمه، وابن خادمه، نائباً عني في إقامة رسم حضرته، التي من فاز بها، فقد فاز وسعد، وعلا نجمه وصعد، فلا زال مولانا منيع الأركان، رفيع القدر ولا مكان، سابغ القدرة والإسكان، محروس العز والسلطان، تدين المقادير لأحكامه، وتجري السعود تحت راياته وأعلامه، آمين، إن شاء الله.

أحمد بن علي، بن المعمر، بن محمد المعمر بن أحمد، بن محمد

ابن محمد، بن عبيد الله، بن علي، بن عبيد الله، بن الحسين ابن علي، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب، أبو عبد الله، النقيب الطاهر، نقيب نقباء الطالبيين، ابن النقيب الطاهر أبي الغنائم، أديب، فاضل، شاعر منشئ، له رسائل مدونة حسنة، مرغوب فيها، يتناولها الناس في مجلدين، وكان من ذوي الهيئات والمنزلة الخطيرة، التي لا يجحدها أحد، وكان فيه كيس ومحبة لأهل العلم، وبينه وبين محمد بن الحسن، بن حمدون مكاتبات، كتبناها في ترجمته، وكان وقوراً، عاقلاً جداً، تولى النقابة بعد أبيه، في سنة ثلاثين وخمسمائة، و لم يزل على ذلك إلى أن مات، في سنة تسع وستين وخمسمائة تاسع عشر جمادى الآخرة، فيكون: قد تولى النقابة تسعاً وثلاثين سنة، وبداره بالحريم الطاهري كانت وفاته، وصلى عليه جمع كثير، وتقدم في الصلاة عليه شيخ الشيوخ، أبو القاسم عبد الرحيم، بن إسماعيل النيسابوري، بوصية منه بذلك، بعد مشاجرة جرت بينه وبين قثم بن طلحة، نقيب الهاشميين، ودفن بداره المذكورة، ثم نقل بعد ذلك إلى المدائن، فدفن بالجانب الغربي منها، في مشهد أولاد الحسين بن علي، عليه السلام، وكان قد سمع الحديث من أبي الحسين بن المبارك، ابن عبد الجبار الصيرفي، وأبي الحسن علي بن محمد ابن العلاف، وأبي الغنائم محمد بن علي الزينبي، وغيرهم، وحدث عنهم. سمع منه أبو الفضل، أحمد بن صالح، بن شافع، وأبو إسحاق، إبراهيم بن محمود، بن الشعار، والشريف أبو الحسن، علي بن أحمد اليزيدي، وغيرهم. وله

كتاب ذيله على منثور المنظوم لابن خلف الثيرماني، وكتاب آخر مثله في إنشائه، وكانت حرمته في الأيام المقتفوية وأمره لم ير أحد من النقباء مثلهما، مقدرة وبسطة. ثم مرض مرضة شارف فيها التلف، فولى ولده الأسن النقابة موضعه، ثم أفاق من مرضه، واستمر ولده على النقابة، حتى عزل عنها، ومات ولده في سنة ثلاث وخمسين، و لم تعد مترلته إلى ما كانت عليه في أيام المستنجد، لأسباب جرت من العلويين.

أحمد بن علوية، الأصبهاني الكرماني

قال حمزة: كان صاحب لغة، يتعاطى التأديب، ويقول الشعر الجيد، وكان من أصحاب أبي علي لغذة، ثم رفض صناعة التأديب، وصار في ندماء أحمد بن عبد العزيز، ودلف بن أبي دلف العجلي، وله رسائل مختارة، فدونها أبو الحسن أحمد بن سعد، في كتابه المصنف في الرسائل، لوه ثمانية كتب في الدعاء من إنشائه، ورسالة في الشيب ولاخضاب، وله شعر جيد كثير، منه في أحمد ابن عبد العزيز العجلي:

يرى مآخير ما يبدو أوائله ... حتى كأن عليه الوحي قد نزلا
ركن من العلم لا يهفو لمحفظة ... ولا يحيد وإن أبرمته جدلا

إذا مضى العزم لم ينكث عزيمته ... ريب ولا خيف منه نقض ما فتلا
بل يخرج الحية الصماء مطرقة ... من جحرها ويحط الأعصم الوعلا

وله فيه:

إذا ما جنى الجاني عليه جناية ... عفا كرماً عن ذنبه لا تكرما
ويوسعه رفقاً يكاد لبسطه ... يود برئ القوم لو كان مذنبا

وله يهجو زامراً اسمه حمدان:

حذار يا قوم من حمدان وانتبهوا ... حذار يا سادتي من زامر زاني
فما يبالي إذا ما دب مغتلما ... بدا بصاحب دار أو بضيفان
يلهى الرجال بمزمار فإن سكروا ... ألهى النساء بمزمار له ثاني

ومن شعره:

حكم الغناء تسمع ومدام ... ما للغناء مع الحديث نظام
لو أنني قاض قضيت قضية ... إن الحديث مع الغناء حرام

قال حمزة: وله وأنشدنيها في سنة عشر وثلاثمائة، وله ثمان وتسعون سنة:

دنيا مغبة من أثرى بها عدم   ولذة تنقضي من بعدها ندم

وفي المنون لأهل اللب معتبر   وفي تزودهم منها التقى غنم

والمرء يسعى لفضل الرزق مجتهداً   وما له غير ما قد خطه القلم

كم خاشع في عيون الناس منظره   والله يعلم منه غير ما علموا

قال: وقال بعد أن أتت عليه مائة:

حنى الدهر من بعد استقامته ظهري   وأفضى إلى ضحضاح غايته عمري

ودب البلى في كل عضو ومفصل   ومن ذا الذي يبقى سليماً على الدهر؟

قال: ولأحمد بن علوية قصيدة، على ألف قافية، شيعية، عرضت على أبي حاتم السجستاني، فأعجب بها، وقال: يأهل البصرة، غلبكم أهل أصبهان، وأول هذه القصيدة:

ودب البلى في كل عضو ومفصل   ومن ذا الذي يبقى سليماً على الدهر؟

قال: ولأحمد بن علوية قصيدة، على ألف قافية، شيعية، عرضت على أبي حاتم السجستاني، فأعجب بها، وقال: يأهل البصرة، غلبكم أهل أصبهان، وأول هذه القصيدة:

ما بال عينك ثرة الإنسان   عبرى اللحاظ سقيمة الأجفان

وقال أحمد بن علوية يهجو الموفق، لما أنفذ الأصبغ رسولاً إلى أحمد بن عبد العزيز العجلي، يأمره بإنفاذ قطعة من جيشه:

أدى رسالته وأولص كتبه   وأتى بأمر لا أبالك معضل

قال اطرح ملك اصبهان وعزها   وابعث بعسكرك الخميس الجحفل

فعلمت أن جوابه وخطابه   عض الرسول ببظر أم المرسل

أحمد بن عمر، البصري النحوي

روى عن أبي بشر، عن أبي المفرح الأنصاري، عن ابن السكيت، وروى عنه أبو عبد الله، محمد بن المعلى ابن عبد الله الأزدي.

أحمد بن عمران، بن سلامة الألهاني، أبو عبد الله النحوي

يعرف بالأخفش، قديم، ذكره أبو بكر الصولي، في الكتاب الذي ألفه في شعراء مصر، فقال: كان نحوياً لغوياً، وأصله من الشام، وتأدب بالعراق، فلما قدم مصر، أكرمه إسحاق بن عبد القدوس، وأخرجه إلى طبرية، فأدب ولده، وله أشعار كثيرة في أهل البيت، عليهم السلام، منها:

إن بني فاطمة الميمونة الطيبين الأكرمين الطينهْ

ربيعنا في السنة الملعونهْ كلهم كالروضة المهتونهْ

قال: وحدثني علي بن سراج قال: حدثني جعفر بن أحمد قال: قال لي أحمد بن عمران، قال الهيثم بن عدي، ممن أنت؟ قلت: أنا من ألهان، أخي همدان، قلت: نعم، هم عرس الجن، يسمع به ولا يرى، ما رأيت ألهانيا قبلك، قال: وكان الألهاني قد نزل على رعل حي من بني سليم فلم يقروه، فقال:

تضيفت بغلتي والأرض معشبة رعلاً وكان قراها عندهم علسي

وأكلباً كأسود الغاب ضارية وواقفات بأيدي أعبد عبس

والعام أرغد والأيام فاضلة وما ترى في سواد الحي من قبس

يستوحشون من الضيف الملم بهم ويأنسون إلى ذي السوءة الشرس

وله يمدح جعفر بن جدلة:

إذا استسلم المال عند الهذيل فمال الفتى جعفر خاسر

وإن ضن جازره بالمدى فإن الحسام له حاضر

أحمد بن فارس، بن زكريا اللغوي

وقال ابن الجوزي: أحمد بن زكريا، بن فارس، ولا يعاج به، مات سنة تسع وستين وثلاثمائة: وقال قبل وفاته بيومين:

يا رب إن ذنوبي قد أحطت بها علماً وبي وبإعلاني وإسراري

أنا الموحد لكني المقر بها فهب ذنوبي لتوحيدي وإقراري

ووجد بخط الحميدي: أن ابن فارس مات في حدود سنة ستين وثلاثمائة، وكل منهما لا اعتبار به، لأني وجدت خط كفه على كتاب "الفصيح" تصنيفه، وقد كتبه في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وذكره الحافظ السلفي، في شرح مقدمة معالم السنن للخطابي فقال: أصله من قزوين، وقال غيره: أخذ أحمد بن فارس على أبي بكر، أحمد بن الحسن الخطيب، راوية ثعلب، وأبي الحسن، علي بن إبراهيم القطان، وأبي عبد الله، أحمد بن طاهر المنجم، وعلي بن عبد العزيز المكي، وأبي عبيد، وأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وكان ابن فارس يقول: ما رأيت مثل ابن عبد الله أحمد بن طاهر، ولا رأى هو مثل نفسه.

وكان ابن فارس قد حمل إلى الري بأجرة، ليقرأ عليه مجد الدولة، أبو طالب بن فخر الدولة، علي بن ركن

الدولة، بن أبي الحسن بويه الديلمي صاحب الري، فأقام بها قاطناً.

وكان الصاحب ابن عباد يكرمه، ويتتلمذ له، ويقول: شيخنا أبو الحسين، ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف، وكان كريماً جواداً، لا يبقي شيئاً، وربما سئل فوهب ثياب جسمه، وفرش بيته، وكان فقيهاً شافعياً، فصار مالكياً، وقال: دخلتي الحمية لهذا البلد، يعني الري، كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل؟ المقبول القول على جميع الألسنة وله من التصانيف: كتاب المجمل، وكتاب متخير الألفاظ، كتاب فقه اللغة، كتاب غريب إعراب القرآن، كتاب تفسير أسماء النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب مقدمة كتاب دار العرب، كتاب حلية الفقهاء، كتاب العرق، كتاب مقدمة الفرائض، كتاب ذخائر الكلمات، كتاب شرح رسالة الزهري إلى عبد الملك بن مروان، كتاب الحجر، كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب صغير الحجم، كتاب الليل والنهار، كتاب العم والخال، كتاب أصول الفقه، كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب الصاحبي، صنفه لخزانة الصاحب، كتاب جامع التأويل في تفسير القرآن، أربع مجلدات، كتاب الثياب والحلي، كتاب خلق الإنسان، كتاب الحماسة المحدثة، كتاب مقاييس اللغة، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله، كتاب كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين.

وحدث ابن فارس: سمعت أبي يقول: حججت فلقيت ناساً من هذيل، فجاريتهم ذكر شعرائهم، فما عرفوا أحداً منهم، ولكني رأيت أمثل الجماعة رجلاً فصيحاً وأنشدني:

إذا لم نحظ في أرض فدعها ... وحث اليعملات على وجاها
ولا يغررك حظ أخيك فيها ... إذا صفرت يمينك من جداها
ونفسك فز بها إن خفت ضيماً ... وخلالدار تنعى من بكاها
فإنك واجد أرضاً بأرض ... ولست بواجد نفساً سواها

ومن شعر ابن فارس:

وقالوا كيف أنت؟ فقلت خير ... تقضى حاجة ويفوت حاج
إذا ازدحمت هموم القلب قلنا ... عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمي هرتي وسرور قلبي ... دفاتر لي ومعشوقي السراج

ومن شعره في همذان:

سقى همذان الغيث لست بقائل ... سوى ذا وفي الأحشاء نار تضرم
وما لي لا أصفي الدعاء لبلدة ... أفدت بها نسيان ما كنت أعلم

نسيت الذي أحسنته غير أنني مدين وما في جوف بيتي درهم

وله أيضاً:

إذا كنت في حاجة مرسلاً وأنت بها كلف مغرم

فأرسل حكيماً ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم

وله أيضاً:

مرت بنا هيفاء مقدودة تركية تنمى لتركي

ترنو بطرف فاتن فاتر كأنه حجة نحوي

قال الثعالبي: حدثني ابن عبد الوارث النحوي قال: كان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين بن فارس، لانتسابه إلى خدمة آل العميد، وتعصبه لهم، فأنفد إليه من همذان كتاب الحجر نم تأليفه، فقال الصاحب: رد الحجر من حيث جاءك، ثم لم تطب نفسه بتركه فنظر فيه، وأمر له بصلة: ولابن فارس في اليتيمة:

يا ليت لي ألف دينار موجهة وأن حظي منها فلس فلاس

قالوا فما لك منها؟ قلت تخدمني لها ومن أجلها الحمقى من الناس

وله أيضاً:

إسمع مقالة ناصح جمع النصيحة والمقهْ

إياك واحذر أن تبي ت من الثقات على ثقهْ

وله أيضاً:

وصاحب لي أتاني يستشير وقد أراد في جنبات الأرض مضطرباً

قلت اطلب أي شيء شئت واسع ورد منه الموارد إلا العلم والأدبيا

وله أيضاً:

إذا كان يؤذيك حر المصي ف وكرب الخريف وبرد الشتا

ويلهيك حسن ازمان الربي ع فأخذك للعلم قل لي متى؟

وله أيضاً:

عتبت عليه حين ساء صنيعه وآليت لا أمسيت طوع يديه

فلما خبرت الناس خبر مجرب ولم أر خيراً منه عدت إليه

وله أيضاً:

تلبس لباس الرضا بالقضا وخل الأمور لمن يملك

تقدر أنت وجاري القضا ء مما تقدره يضحك

قال يحيى بن مندة الأصبهاني: سمعت عمي عبد الرحمن ابن محمد العبدي يقول: سمعت أبا الحسين أحمد بن زكريا ابن فارس النحوي يقول: دخلت بغداد طالباً للحديث، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليست معي قارورة، فرأيت شاباً عليه سمة جمال، فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته، فقال: من انبسط إلى الإخوان بالاستئذان، فقد استحق الحرمان. قال عبد الرحمن بن مندة: وسمعت ابن فارس يقول: سمعت أبا أحمد بن أبي التيار يقول: أبو أحمد العسكري يكذب، على الصولي، مثلما كان الصولي، يكذب على الغلابي، مثلما كان الغلابي، يكذب على سائر الناس. قرأت بخط الشيخ أبي الحسن، علي بن عبد الرحيم السلمي، وجدت بخط ابن فارس على وجه المجمل والأبيات له، ثم قرأهما على سعد الخير الأنصاري، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا، عن سليمان بن أيوب، عن ابن فارس:

يا دار سعدى بذات الضال من غضم سقاك صوب حياً من واكف العين

العين: سحاب ينشأ من قبل القبلة.

إني لأذكر أياماً بها ولنا في كل إصباح يوم قرة العين

العين ههنا: عين الإنسان وغيره.

تدني معشقة منا معتقة تشجها عذبة من نابع العين

العين ههنا: ما ينبع منه الماء.

إذا تمززها شيخ به طرق سرت بقوتها في الساق والعين

العين ههنا: عين الركبة، والطرق: ضعف الركبتين.

والزق ملآن من ماء السرور فلا تخشى توله ما فيه من العين

العين ههنا: ثقب يكون في المزادة، وتوله الماء: أن يتسرب.

وغاب عذالنا عنا فلا كدر في عيشنا من رقيب السوء والعين

العين ههنا: لا رقيب.

يقسم الود فيما بيننا قسماً ميزان صدق بلا بخس ولا عين

العين ههنا: العين في الميزان.

وفائض المال يغنينا بحاضره			فنكتفي من ثقيل الدين بالعين

العين ههنا: المال الناض.

والمجلمل المجتبي تغني فوائده			حفاظه عن كتاب الجيم والعين

قال: وبخطه أيضاً: سمعت أبي يقول: حججت فلقيت بمكة ناساً من هذيل، فجاريتهم ذكر شعرائهم.
وجدت على نسخة قديمة بكتاب المجمل، من تصنيف ابن فارس ما صورته: تأليف الشيخ أبي الحسين، أحمد بن فارس، ابن زكريا الزهراوي، الأستاذ خرزي، واختلفوا في وطنه، فقيل: كان من رستاق الزهراء، من القرية المعروفة بكرسفة وجيانا باذ، وقد حضرت القريتين مراراً، ولا خلاف أنه قروي.
حدثني والدي محمد بن أحمد، وكان من جملة حاضري مجالسه، قال: أتاه آت فسأله عن وطنه، فقال: كرسف، قال فتمثل الشيخ:

بلاد بها شدت على تمائمي			وأول أرض مس جليد ترابها

وكتبه مجمع بن محمد، بن أحمد بخطه، في شهر ربيع الأول، سنة ست وأربعين وأربعمائة، وكان في آخر هذا الكتاب ما صورته أيضاً: قضى الشيخ أبو الحسين، أحمد ابن فارس - رحمه الله - في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالري، ودفن بها مقابل مشهد قاضي القضاة، أبي الحسن، علي بن عبد العزيز، يعني الجرجاني.
أنشد أبو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية، عن القرون الخالية، لأحمد بن فارس:

قد قال فيما مضى حكيم			ما المرء إلا بأصغريه

فقلت قول امرئ لبيب ما المرء إلا بدرهميه

من لم يكن معه درهماه			لم تلتفت عرسه إليه

وكان من ذله حقيراً			تبول سنوره عليه

وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال: قدم عبد الصمد، ابن بابك الشاعر إلى الري، في أيم الصاحب، فتوقع أبو الحسين، أحمد بن فارس، أن يزوره ابن بابك، ويقضي حق علمه وفضله، وتوقع ابن بابك، أن يزوره ابن فارس، ويقضي حق مقدمه، فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه، فكتب ابن فارس إلى القاسم بن حسولة:

تعديت في وصلي فعدي عتابك			وأدنى بديلاً من نواك إيابك

تيقنت أن لم أحظ و الشمل جامع بأيسر مطلوب فهلا كتابك
ذهبت بقلب عيل بعدك صبره غداة أرتنا المرقلات ذهابك
وما استمطرت عيني سحابة ريبة لديك و لا مست يميني سخابك
و لا نقبت و الصب يصبو لمثلها عن الوجنات الغانيات نقابك
و لا قلت يوماً عن قلىً وآمة لنفسك :سلى عن ثيابي ثيابك
و أنت التي شيبت قبل أوانه شبابي سقى الغر الغوادي شبابك
تجنبت ما أوفى وعاقبت ما كفى ألم يأن سعدى أن تكفي عتابك؟
وقد نبحتني من كلابك عصبة فهلا وقد حالوا زجرت كلابك
تجافيت عن مستحسن البر جملة وجرت على بختي جفاء ابن بابك

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الأبيات، أرسلها إلى ابن بابك، وكان مريضاً، فكتب جوابها بديهاً: وصلت الرقعة – أطال الله بقاء الأستاذ – وفهمتها، وأنا أشكو إليه الشيخ أبا الحسن، فإنه صيرني فصلاً لا وصلاً، وجاً لا نصلاً، ووضعني موضع الحلاوى من الموائد، وتمت من أواخر القصائد، وسحب اسمي منها مسحب الذيل، وأوقعه موقع الذنب المحدوف من الخيل، وجعل مكاني مكان القفل من الباب، وفذلك من اعلحساب، وقد أجبت عن أبياته بأبيات، أعلم أن فيها ضعفاً لعلتين: علتي، وعلتها، وهي:

أيا أثلات الشعب من مرج يابس سلام على آثاركن الدوارس
لقد شاقني و الليل في شملة الحيا إليكن ترجيع النسم المخالس
ولمحة برق مستضئ كأنه تردد لحظ بين أجفان ناعس
فبت كأني صعدة يمنية تزعزع في نقع من الليل دامس
ألاى حبذا صبح إذا ابيض أفقه تصدع عن قرن من الشمس وارس
ركبت من الخلصاء أرقب سيلها ورود المطي الظامئات الكوانس
فيا طارق الزوراء قل لغيومها أهلي على مغنى من الكرخ آنس
وقل لرياض القفص تهدي نسيمها فلست على بعد المزار بآيس
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة لقى بين أقراط المها والمحابس
وهل أرين الري دهليز بابك وبابك دهليز إلى أرض فارس
ويصبح ردم السد قفلاً عليهما كما صرت قفلاً في قوافي ابن فارس

فعرض أبو القاسم الحسولي المقطوعين على الصاحب، وعرفه الحال، فقال: البادئ أظلم، والقادم يزار، وحسن العهد من الإيمان.

أحمد بن الفضل، بن شبابة الكاتب، أبو الصقر

النحوي الهمذاني، من أهل همذان، ذكره شيرويه كان يلقب بساسي دوير، مات سنة خمسين وثلاثمائة، روى عن إبراهيم بن الحسين ديزيل، وأبي خليفة الفضل ابن الخباب الجمحي، وأبي القاسم عبد الله، بن محمد، بن عبد العزيز البغوي، وأبي سعيد الحسن بن علي، بن زكريا العدوي، وأبي بكر محمد، بن خلف وكيع، وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وأبي العباس، محمد بن يزيد المبرد، وأبي بكر بن دريد النحوي، وأبي الحسن علي بن سعيد العسكري، وعلي بن الفضل الرشيدي وغيرهم. روى عنه أبو بكر أحمد بن علي، بن بلال، وأبو العباس، أحمد ابن إبراهيم، بن تركان، وأبو الحسن، إبراهيم بن عفر الأسدي، وأبو بكر بن خلف، بن محمد الخياط، وأبو عبد الله أحمد بن عمر الكاتب، وابن روزنة، وغيرهم.

حدثنا عبد الملك بن عبد الغفار، الفقيه لفظاً، أخبرنا عبد الله بن عيسى الفقيه، حدثنا محمد بن أحمد قال: سمعت أبا الصقر بن شبابة الكاتب يقول: كنت بالبصرة، فاستأذنت على ابن خليفة، وعنده جماعة من الهاشميين يتغدون، فحبسني البواب، فكتبت في رقعة وناولتها بعض غلمانه، فناولها أبا خليفة:

أبا خليفة تجفو من له أدب ... وتتحف الغر من أولاد عباس

ما كان قدر رغيف لو سمحت به ... شيئاً وتأذن لي في جملة الناس

فلما وصلت إليه الرقعة قال: علي بالهمذاني صاحب الشعر، فأدخلت إليه، فقدم إلي طبقاً من رطب، وأجلسني معه.

أحمد بن الفضل، بن محمد، بن أحمد ابن محمد، بن جعفر

الباطرقاني المقرئ، مات في الثاني والعشرين من صفر، سنة ستين وأربعمائة بأصبهان.

قال السمعاني: كان مقرئاً فاضلاً، ومتحدثاً مكثراً من الحديث، كتب بنفسه الكثير، وكان حسن الخط دقيقه، قرأ القرآن على جماعة من مشاهير القدماء بالروايات، وصنف التصانيف فيه، منها: كتاب طبقات القراء، كتاب الشواذ، وصلى بالناس إماماً في الجامع الكبير سنين، بعد ابن المظفر بن الشبيب، سمع الحديث من أبي عبد الله، محمد بن إسحاق، بن إبراهيم، ابن عبد الله، بن خرشيدة التاجر وجماعة، وروى لنا عن جماعة كثيرة.

قال ابن مندة: جرى ذكر الباطرقاني عند الإمام عمر، - رحمه الله -، والشيخ الحافظ أبو محمد، عبد العزيز ابن محمد النخشبي، وجماعة حاضرون، فقال عبد العزيز صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه صحيح البخاري، إلا أنه كتب المتن من الأصل، ثم ألحقه الإسناد، وهذا ليس من شرط أصحاب الحديث وأهله، يتكلم في مسائل لا يسع الموضع ذكرها، ولو اقتصر على الإقراء والحديث، لكان خيراً له.

أحمد بن كامل، بن شجرة، بن منصور، بن كعب

ابن يزيد أبوبكر القاضي، قال الخطيب: قال القاضي بن كامل، ولدت في سنة ستين ومائتين. ومات في المحرم سنة خمسين وثلاثمائة، قال الخطيب: فكان يترل في شارع عبد الصمد، وهو أحد أصحاب محمد بن جرير الطبري، وتقلد قضاء الكوفة، من قبل أبي عمر محمد بن يوسف، فكان من العلماء بالأحكام، وعلوم القرآن، والنحو، والشعر، وأيام الناس، والتاريخ، وأصحاب الحديث، وله مصنفات في أكثر من ذلك، قال النديم. منها: كتاب غريب القرآن، كتاب القراءات، كتاب التقريب في كشف الغريب، كتاب موجز التأويل عن حكم التتريل، كتاب التتريل، كتاب الوقوف، كتاب التاريخ، كتاب المختصر في الفقه، كتاب الشروط الكبير، كتاب الشروط الصغير، كتاب البحث والحث، كتاب أمهات المؤمنين، كتاب الشعر، كتاب الزمان، كتاب أخبار القضاة.

وكان قد اختار لنفسه مذهباً، قال الخطيب: وحدث ابن كامل، عن محمد بن سعد العوفي، ومحمد بن الجهم السمري، وأبي قلابة الرقاشي، وأحمد بن أبي خيثمة، وأبي إسماعيل الترمذي. روى عنه الدارقطني، وأبو عبد الله المرزباني، وحدثنا عنه ابن رزقويه وغيره، وقال ابن رزقويه: لم تر عيناي مثله، ولما بلغ الثمانين أنشدنا:

عقد الثمانين عقد ليس يبلغه ... إلا المؤخر للأخبار والغير

قال: وأنشدني القاضي بن كامل لنفسه:

صرف الزمان تنقل الأيام ... والمرء بين محلل وحرام
وإذا تقشعت الأمور تكشفت ... عن فضل أيام وقبح أنام

وسئل الدارقطني عن ابن كامل، فقال: كان متساهلاً، ربما حدث ن حفظه بما ليس عنده في كتابه، وأهلكه العجب، فإنه كان يختار، ولا يضع لأحد من الأئمة أصلاً، قيل: أكان جريري المذهب؟ فقال: بل خالفه، واختار لنفسه، وأملى كتاباً في السير، وتكلم على الأخبار.

أنبأنا الخطيب أبو الفضل، عبيد الله بن أحمد، بن عبد الله المنصوري، قال: حدثنا أبو منصور، موهوب بن

الجواليقي، حدثنا ثابت بن بندار، حدثنا أبو علي الحسن ابن أحمد بن شاذان، حدثنا أبو بكر أحمد بن كامل، بن شجرة القاضي، في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، حدثني عبد الله بن أحمد، بن عيسى المقرئ، يعرف بالقسطاطي، قال: حدثنا أحمد بن سهل، أبو عبد الرحمن، قال: قدم علينا سعد بن زنبور، فأتيناه فحدثنا، قال: كنا على باب الفضيل ابن عياض، فاستأذنا عليه، فلم يؤذن لنا، قال: فقيل لنا: إنه لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن، قال: وكان معنا رجل مؤذن، وكان صيتاً فقلنا له: اقرأ فقرأ: "ألهاكم التكاثر"، ورفع بها صوته، قال: فأشرف علينا الفضيل، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع، ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه، وأنشأ يقول:

بلغت الثمانين أو جزتها | فماذا أؤمل أو أنتظر؟
أتاني ثمانون من مولدي | وبعد الثمانين ما ينتظر؟

علتني السنون فأبلينني.

قال: ثم خنقته العبرة، قال: وكان معنا علي بن خشرم فأتمه له، فقال: فدقت عظامي وكل البصر قال: ثم قال القاضي أحمد بن كامل: ولدت سنة ستين ومائتين، وأنشدنا:

عقد الثمانين عقد ليس يبلغه | إلا المؤخر للأخبار والغير

أحمدبن كليب النحوي

صاحب أسلم الأندلسي، ذكر أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي في المنتظم: أن أحمد بن كليب، مات سنة ست وعشرين وأربعمائة، وذكر قصته التي أذكرها فيما بعد بعينها، ولا أدري من أين له هذه الوفاة؟ فإن الحميدي ذكره في كتابه، و لم يذكر وفاته، قال الحميدي: هو شاعر مشهور الشعر، ولا سيما شعره في أسلم، وكان قد أفرط في حبه، حتى أداه ذلك إلى الموت، وخبره في ذلك ظريف رواه عن محمد بن الحسن المذحجي.

قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله، محمد ابن خطاب النحوي في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن، أسلم بن أحمد، بن سعيد، بن قاضي الجماعة، وأسلم بن عبد العزيز، صاحب المزني والربيع، قال محمد بن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون، وكان يجيء معنا إلى محمد بن خطاب، أ؛مد بن كليب، وكان من أهل الأدب البارع، والشعر الرائق، فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول متستراً بذلك، إلى أن فشت أشعاره فيه، وجرت على الألسنة، وتنوشدت في المحافل، فلعهدي بعرس، وفيه زامر يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم:

أسلمني في هوا | ه أسيلم هذا الرشا

غزال له مقلة — يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد — سيسأل عما وشى
ولو شاء أن يرتشي — على العمل روحي ارتشى

فلما بلغ هذا المبلغ، انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ولزم بيته والجلوس على بابه، فكان أحمد بن كليب، لا شغل له إلا المرور على باب أسلم، سائراً ومقبلاً نهاره كله، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهاراً، فإذا صلى المغرب واختلط الظلام، خرج مستروحاً، وجلس على باب داره، فعيل صبر أحمد بن كليب، فتحيل في بعض الليالي، ولبس جبة من جباب أهل البادية، وأعتم بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجاً، وبالأخرى قفصاً فيه بيض، وتحين جلوس أسلم عند اختلاط الظلام على بابه، فتقدم إليه وقبل يديه، وقال: يأمر مولاي بأخذ هذا؟ فقال له أسلم: ومن أنت؟ قال: صاحبك في الضيعة الفلانية، وقد كان تعرف أسماء ضياعه وأصحابه فيها، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام، وتأمله فعرفه، فقال يا أخي: وهنا بلغت بنفسك؟ وإلى ههنا تبعتي؟ أما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملة، وعن القعود على باب داري نهاراً؟ حتى قطعت علي جميع مالي فيه راحة، قد صرت في سجنك، والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي، ولا قعدت ليلاً ولا نهاراً على بابي، ثم قام، وانصرف أحمد بن كليب حزيناً كئيباً.

قال محمد بن الحسن: واتصل ذلك بنا، فقلنا لأحمد ابن كليب: قد خسرت دجاجك وبيضك، فقال هات: كل ليلة قبلة يده، وأخسر أضعاف ذلك. قال: فلما يئس من رؤيته ألبتة، نهكته العلة، وأضجعه المرض، قال: فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال: فعدته، فوجدته بأسوإ حال، فقلت له: و لم لا تتداوى؟ فقال: دوائي معروف وأما الأطباء، فلا حيلة لهم فيه، ألبتة. فقلت له: وما دواؤك؟ قال: نظرة من أسلم، فلو سعيت في أن يزورني لأعظم الله أجرك، وكان هو والله أيضاً يؤجر، قال: فرحمته، وتقطعت نفسي له، ونهضت إلى اسلم، فتلقاني بما يجب، فقلت له: لي حاجة، قال: وما هي؟ قلت له: قد علمت ما جمعك مع أحمد من ذمام الطلب عندي، فقال: نعم، فقد تعلم أنه أشهر اسمي وآذاني، فقلت له: كل ذلك مغتفر في الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضل بعيادته، فقال: والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلفني هذا، فقلت له: لا بد، فليس عليك في ذلك شيء، فإنما هي عيادة مريض، قال: و لم أزل به حتى أجاب، فقلت: فقم الآن، فقال لي: لست والله أفعل ذلك، ولكن غداً، فقلت له: ولا خلف؟ فقال: نعم. قال: فانصرفت إلى أحمد بن كليب، وأخبرته بوعده بعد تأبيه، فسر بذلك، وارتاحت نفسه. قال:

فلما كان من الغد، بكرت إلى أسلم وقلت له، الوعد، فوجم وقال: والله لقد تحملني على خطة صعبة، وما أدري كيف أطيق ذلك؟ فقلت له: لا بد من أن تفي بوعدك، فأخذ رداءه ونهض معي راجلاً، فلما أتينا مترل أحمد بن كليب، وكان يسكن في آخر درب طويل، فلما توسط الدرب احمر وخجل، وقال لي: الساعة والله أموت، وما أستطيع أن أنقل قدمي، ولا أن أعرض لهذا نفسي. فقلت: لا تفعل، بعد أن بلغت المترل، أن تنصرف؟ قال لا سبيل والله إلى ذلك، ألبتة، قال: ورجع مسرعاً، فاتبعته وأخذت بردائه، فتمادى وتمزق الرداء، وبقيت قطعة منه في يدي، ومضى فلم أدركه، فرجعت ودخلت إلى أحمد بن كليب، وقد كان غلامه دخل إليه، إذ رآنا من أول الدرب مبشراً، فلما رآني دونه، تغير لونه، وقال: وأين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة، فاستحال من وقته، واختلط، وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثره من التوجع، فاستبشعت، الحال، وجعلت أرجع وقمت، فثاب إليه ذهنه، وقال لي: يا أبا عبد الله، اسمع، وأنشد:

أسلم يا راحة العليل | رفقاً على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي | من رحمة الخالق الجليل

فقلت له: اتق الله، ما هذه العظيمة؟ فقال لي: قد كان ما كان، فخرجت عنه، فوالله ما توسطت الدرب حتى سمعت الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا، هذا قتيل الحب، لا دية ولا قود.

قال: وهذه قصة مشهورة عندنا، والرواة ثقات، وأسلم هذا، من بيت جليل، وهو صاحب الكتاب المشهور في أغاني زرياب، وكان شاعراً أديباً.

قال الحميدي: وقد رأيت ابنه أبا الجعد قال: وذكرت هذه القصة لمحمد بن سعيد الخولاني الكاتب، فعرفها، وقال لي: أخبرني الثقة قال: لقد رأيت أسلم هذا في يوم شديد المطر، لا يكاد أحد يمشي في طريق، وهو قاعد على قبر أحمد بن كليب زائراً له، وقد تحين غفلة الناس في مثل ذلك الوقت، وكان أحمد بن كليب، قد أهدى إلى أسلم في أول أمره كتاب الفصيح، وكتب عليه:

هذا كتاب الفصيح | بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعاً | كما وهبتك روحي

وقرأت في كتاب الديارات للخالدي حكاية أعجبني أمر صاحبها، وأحببت أن يكون لها موضع من كتابي هذا، وكأن المثل يذكر بالمثل، ذكرتها عقيب خبر أحمد بن كليب، فإنهما خبران متقاربان.

قال: حدثني أبو الحسين، يحيى بن الحسين الكندي الحراني الشاعر، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري، قال: كان بالرها وراق يقال له سعد، وكان في دكانه مجلس كل أديب، وكان حسن الأدب

والفهم، يعمل شعراً رقيقاً، وما كنا نفارق دكانه، أنا وأبو بكر المعوج، الشامي الشاعر، وغيرنا من شعراء الشام، وديار مصر، وكان لتاجر بالرها نصراني، من كبار تجارها ابن اسمه عيسى، من أحسن الناس وجهاً، وأحلاهم قداً، وأظرفهم طبعاً ومنطقاً، وكان يجلس إلينا، ويكتب عنا أشعارنا، وجميعنا يحبه، ويميل إليه، وهو حينئذ صبي في الكتاب، فعشقه سعد الوراق عشقاً مبرحاً، ويعمل فيه الأشعار، فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه:

إجعل فؤادي دواة والمداد دمي	وهاك فابر عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيد	فإن ذلك برء لي من السقم
ترى المعلم لا يدري بمن كلفي	وأنت أشهر في الصبيان من علم

ثم شاع - بعشق الغلام في الرها - خبره، فلما كبر وشارف الائتلاف أحب الرهبنة، وخاطب أباه وأمه في ذلك، وألح عليهما حتى أجاباه، وخرجا به إلى دير زكى بنواحي الرقة، وهو في نهاية حسنه، فابتاعا له قلاية، ودفعا إلى رأس الدير جملة من المال عنها، فأقام الغلام فيها، وضاقت على سعد الوراقالدنيا بما رحبت، وأغلق دكانه، وهجر إخوانه، ولزم الدير مع الغلام، وسعد في خلال ذلك، يعمل فيه الأشعار: فمما عمل فيه وهو في الدير، وكان الغلام قد عمل شماساً:

يا حمة قد علت غصناً من البان	كأن أطرافها أطراف ريحان
قد قايسوا الشمس بالشماس فاعترفوا	بأنما الشمس والشماس سيان
فقل لعيسى بعيسى كم هراق دماً	إنسان عينك من عين لإنسان

ثم إن الرهبان، أنكروا على الغلام كثرة إلمام سعد به، ونهوه عنه، وحرموه أن أدخله، وتوعدوه بإخراجه من الدير إن لم يفعل، فأجابهم إلى ما سألوه من ذلك.

فلما رأى سعد امتناعه منه، شق عليه، وخضع للرهبان، ورفق بهم و لم يجيبوه، وقالوا: في هذا علينا إثم وعار، ونخاف السلطان، فكان إذا وافى الدير، أغلقوا الباب في وجهه، و لم يدعوا الغلام يكلمه، فاشتد وجده، وازداد عشقه، حتى صار إلى الجنون، فخرق ثيابه، وانصرف إلى داره، فضرب جميع ما فيها بالنار، ولزم صحراء الدير، وهو عريان يهيم، ويعمل الأشعار ويبكي.

قال أبو بكر الصنوبري: ثم عبرت يوماً أنا والمعوج، من بستان بتنا فيه، فرأيناه جالساً في ظل الدير وهو عريان، وقد طال شعره، وتغيرت خلقته، فسلمنا عليه، وعذلناه وعتبناه. فقال: دعاني من هذا الوسواس، أتريان ذلك الطائر على هيكل؟ وأومأ بيده إلى طائر هناك، فقلنا: نعم، فقال: أنا وحقكما يا أخوي،

أناشده منذ الغداة أن يسقط، فأحمله رسالة إلى عيسى، ثم التفت إلي وقال: يا صنوبري، معك ألواحك؟ قلت: نعم. قال اكتب:

بدينك يا حمامة دير زكي ... وبالإنجيل عندك والصليب
قفي وتحملي عني سلاماً ... إلى قمر على غصن رطيب
عليه مسوحه وأضاء فيها ... وكان البدر في حلل المغيب
وقالوا رابنا إلمام سعد ... ولا والله ما أنا بالمريب
وقولي سعدك المسكين يشكو ... لهيب جوىً أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد ... إذا ما كنت تمنع من قريب
وإن أنا مت فاكتب حول قبري ... محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيشي ... فكيف بمن له مائتا رقيب؟

ثم تركنا وقام يعدو إلى باب الدير، وهو مغلق دونه، وانصرفنا عنه، ومازال كذلك زماناً، ثم وجد في بعض الأيام ميتاً إلى جانب الدير، وكان أمير البلد يومئذ، العباس بن كيغلغ، فلما اتصل ذلك به وبأهل الرها، خرجوا إلى الدير، وقالوا: ما قتله غير الرهبان، وقال لهم ابن كيغلغ: لابد من ضرب رقبة الغلام، وإحراقه بالنار، ولا بد من تعزير جميع الرهبان بالسياط، وتصعب في ذلك، فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة ألف درهم.

وكان الغلام بعد ذلك، إذا دخل الرها لزيارة أهله، صاح به الصبيان: يا قاتل سعد الوراق، وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه، وزاد عليه الأمر في ذلك، حتى امتنع من دخول المدينة، ثم انتقل إلى دير سمعان، وما أدري ما كان منه.

ومثل هذه الحكاية، خبر مدرك بن علي الشيباني، وكان مدرك شاعراً، أديباً فاضلاً، وكان كثيراً ما يلم بدير الروم ببغداد، ويعاشر نصاراه، وكان بدير الروم غلام من أولاد النصارى، يقال له: عمرو بن يوحنا، وكان من أحسن الناس وجهاً، وأملحهم صورة وأكملهم خلقاً، وكان مدرك بن علي يهواه، وكان لمدرك مجلس يجتمع فيه الأحداث لا غير، فإن حضر شيخ أو ذو لحية قال له مدرك: إنه قبيح بك أن تختلط مع الأحداث والصبيان، فقم في حفظ الله، فيقوم، وكان عمرو ممن يحضر مجلسه، فعشقه وهام به، فجاء عمرو يوماً، فكتب مدرك رقعة فطرحها في حجره، فقرأها فإذا فيها:

بمجالس العلم ... التي بك تم حسن جموعها

إلا رثيت لمقلة غرقت بفيض دموعها

بيني وبينك حرمة الله في تضييعها

فقرأ الأبيات عمرو، ووقف عليها من كان بالمجلس، وقرءوها، فاستحيا عمرو، وانقطع عن الحضور، وغلب الأمر على مدرك، وقال فيه قصيدته المزدوجة المشهورة، التي أولها:

من عاشق ناء هواه داني ناطق دمع صامت اللسان

موثق قلب مطلق الجثمان معذب بالصد والهجران

وهي طويلة: وكتب إليه لما هجره، وقطع مجلسه:

فيض الدموع وشدة الأنفاس شهدا على ما في هواه أقاسي

لبس الملاحة وهو ألبسني الضنا شتان بين لباسه ولباسي

يا من يريد وصالنا ويصده ما قد يحاذر من كلام الناس

صلني فإن سبقت إليك مقالة منهم فعصب ما يقال براسي

ثم خرج مدرك إلى الوسواس، وسل جسمه، وتغير عقله، وترك مجلسه، وانقطع عن الإخوان، ولزم الفراش.

قال حسان بن محمد، بن عيسى، بن شيخ: فحضرته عائداً في جماعة من إخوانه، فقال: ألست صديقكم؟ والقديم العشق لكم؟ فما منكم أحد ليسعدني بالنظر إلى وجه عمرو، قال: فمضينا إلى عمرو فقلنا له: إن كان قتل هذا الرجل ديناً، فإن إحياءه مروءة، قال: وما فعل؟ قلنا قد صار إلى حال لا نحسبك تلحقه قال: فنهض معنا، فلما دخلنا عليه، سلم عليه عمرو، فأخذ بيده وقال: كيف تجدك يا سيدي، فنظر إليه، ثم أغمي عليه، وأفاق، وهو يقول:

أنا في عافية إل لا من الشوق إليكا

أيها العائد ما بي منك لا يخفى عليكا

لا تعد جسماً وعد قل باً رهيناً في يديكا

كيف لا يهلك مرشو ق بسهمي مقلتيكا

ثم شهق شهقة فارق الدنيا فيها، فما برحنا حتى دفناه – رحمه الله –.

أحمد المحرر، يعرف بالأحول

قديم، كان في أيام الرشيد والمأمون، وبعد ذلك. قال أبو عبد الله بن عبدوس: ذكر أبو الفضل بن عبد الحميد في كتابه: أن الأحول المحرر شخص مع محمد بن يزداد، بن سعيد وزير المأمون، عند شخوص المأمون إلى دمشق، وأنه شكا يوماً إلى أبي هارون، خليفة محمد بن يزداد، الوحدة والغربة، وقلة ذات اليد، وسأله أن يكلم له محمداً في كلام المأمون في أمره. ليبره بشيء، ففعل أبو هارون ذلك، ورأى محمد بن يزداد من المأمون طيب نفس، فكلمه فيه وعطفه عليه، فقال له المأمون: أنا أعرف الناس به، ولا يزال بخير ما لم يكن معه شيء، فإذا رزق فوق القوت بذره وأفسده، ولكن أعطه لموضع كلامك، أربعة آلاف درهم، فدعا ابن يزداد بالأحول، وعرفه ما جرى، ونهاه عن الفساد، وأمر له بالمال، فلما قبضه ابتاع غلاماً بمائة دينار، واشترى سيفاً ومتاعاً، وأسرف فيما بقي بعد ذلك، حتى لم يبق معه شيء، فلما رأى الغلام ذلك، أخذ كل ما كان في بيته وهرب، فبقي عرياناً، بأسوء حال، وصار إلى أبي هارون، خليفة بن يزداد فأخبره، فأخذ أبو هارون نصف طومار ونشره ووقع في آخره:

فر الغلام فطار قلب الأحول ... وأنا الشفيع وأنت خير معول

ثم ختمه ودفعه إليه، وقال له: امض به إلى محمد ابن يزداد، فأوصله إليه، فلما رآه ابن يزداد، قال له: ما في كتابك؟ قال: لا أدري، فقال: هذا من حمقك، تحمل كتاباً لا تدري ما فيه، ثم فضه فلم ير فيه شيئاً، فجعل ينشره وهو يضحك، حتى أتى على آخره، فوقف على البيت ووقع تحته:

لولا تعنت أحمد لغلامه ... كان الغلام ربيطة بالمنزل

ثم ختمه وناوله، وأمره أن يرده إلى خليفته، فقال له: الله الله في، – جعلت فداك –، ارحمني من الحال التي صرت إليها، فرق له، ووعده أن يكلم المأمون، فلما وجد بعد ذلك خلوة من المأمون، كلمه فيه، وشرح له ما جرى أجمع، ووصف له ضعف عقل الأحول، ووهي عقدته وسخفه، فأمر المأمون بإحضاره، فلما وقف بين يديه، قال له: يا عدو الله، تأخذ مالي فتشتري به غلاماً حتى يفر منك، فارتاع لذلك، وتلجلج لسانه. فقال: – جعلت فداك – يا أمير المؤمنين. ما فعلت، فقال له: ضع يدك على رأسي، واحلف أنك لم تفعل. فجعل ابن يزداد يأخذ بيده لذلك، والمأمون يضحك، ويشير إليه أن ينحيها. ثم أمر له بإجراء رزق واسع في كل شهر، ووصله مرة بعد مرة، حتى أغناه، وكان يعجبه خطه.

أحمد بن محمد، بن حميد، بن سليمان، بن حفص، بن عبد الله

ابن أبي الجهم، بن حذيفة، بن غانم، بن عامر، بن عبد الله، بن عبيد، بن عوتج، بن عدي، بن كعب العدوي الجهمي: أبو عبد الله، من بني عدي بن كعب، القرشي، ينسب إلى جده أبي الجهم، بن حذيفة،

حجازي، دخل العراق وبها تأدب ونشأ، وكان أديباً، راوية شاعراً، متقناً، عالماً بالنسب، والمثالب، ويتناول جلة الناس، وله في ذلك كتب، مات.

ذكره المرزباني، ومحمد بن إسحاق النديم، فقالا: وقع بينه وبين قوم من العمريين والعثمانيين شر، فذكر سلفهم بأقبح ذكر، فكلمه بعض الهاشميين في ذلك، فذكر العباس بأمر عظيم، فأنهي خبره إلى المتوكل، فأمر بضربه مائة سوط، وتولى ضربه إياها، إبراهيم ابن إسحاق، بن إبراهيم، فلما فرغ من ضربه، قال فيه:

تبرا الكلوم وينبت الشعر ولكل مورد غلة صدر
واللؤم في أثواب منبطح لعبيده ما أورق الشجر

قال: وله من الكتب، كتاب قريش وأخبارها، كتاب المعصومين، كتاب المثالب، كتاب الانتصار في الرد على الشعوبية، كتاب فضائل مضر.

أحمد بن أبي عبد الله، بن محمد، بن خالد، بن عبد الرحمن

ابن محمد، بن علي الرقي، أبو جعفر، الكوفي الأصل، وكان يوسف بن عمر الثقفي، والي العراق من قبل هشام ابن عبد الملك، قد حبس جده محمد بن علي بعد قتل زيد ابن علي، ثم قتله، وكان خالد صغير السن، فهرب مع أبيه عبد الرحمن إلى برقة قم، فأقاموا بها.

وكان ثقة في نفسه، غير أنه أكثر الرواية عن الضعفاء، واعتمد المراسيل، وصنف كتباً كثيرة، منها: المحاسن وغيرها، وقد زيد في المحاسن ونقص، فمما وقع إلي منها: كتاب الإبلاغ، كتاب التراحم والتعاطف، كتاب أدب النفس، كتاب المنافع، كتاب أدب المعاشرة، كتاب المعيشة، كتاب المكاسب، كتاب الرفاهية، كتاب المعاريض، كتاب السفر، كتاب الأمثال، كتاب الشواهد من كتاب الله عز وجل، كتاب النجوم، كتاب المرافق، كتاب الدواجن، كتاب المشوم، كتاب الزينة، كتاب الأركان، كتاب الزي، كتاب اختلاف الحديث، كتاب المأكل، كتاب الفهم، كتاب الإخوان، كتاب الثواب، كتاب تفسير الأحاديث وأحكامه، كتاب العلل، كتاب العقل، كتاب التخويف، كتاب التحذير، كتاب التهذيب، كتاب التسلية، كتاب التاريخ، كتاب التبصرة، كتاب غريب كتب المحاسن، كتاب مذام الأخلاق، كتاب النساء، كتاب المآثر والأحساب، كتاب أنساب الأمم، كتاب الزهد والموعظة، كتاب الشعر والشعراء، كتاب العجائب، كتاب الحقائق، كتاب المواهب والحظوظ، كتاب الحياة، وهو كتاب النور والرحمة، كتاب التعيين، كتاب التأويل، كتاب مذام الأفعال، كتاب الفروق، كتاب المعاني

والتحريف، كتاب العقاب، كتاب الامتحان، كتاب العقوبات، كتاب العين والخصائص، كتاب النحو، كتاب العيافة والقيافة، كتاب الزجر والفأل، كتاب الطيرة، كتاب المراشد، كتاب الأفانين، كتاب الغرائب، كتاب الخيل، كتاب الصيانة، كتاب الفراسة، كتاب العويص، كتاب النوادر، كتاب مكارم الأخلاق، كتاب ثواب القرآن، كتاب فضل القرآن، كتاب مصابيح الظلم، كتاب المنتخبات، كتاب الدعابة والمزاح، كتاب الترغيب، كتاب الصفوة، كتاب الرؤيا، كتاب المحبوبات والمكروهات، كتاب خلق السموات والأرض، كتاب بدء خلق إبليس والجن، كتاب الدواجن والرواض، كتاب مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب بنات النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه، كتاب الأحناش والحيوان، كتاب التأويل، كتاب طبقات الرجال، كتاب الأوائل، كتاب الطب، كتاب التبيان، كتاب الجمل، كتاب ما خاطب الله به خلقه، كتاب جداول الحكمة، كتاب الأشكال والقرائن، كتاب الرياضة، كتاب ذكر الكعبة، كتاب التهانئ، كتاب التعازي.

أحمد بن محمد، بن يوسف الأصبهاني

قال حمزة في كتاب أصبهان، وذكره في جملة الأدباء الذين كانوا بها، وقال: له كتاب في طبقات البلغاء، وكتاب في طبقات الخطباء، لم يسبق إلى مثلهما، وكتاب أدب الكتاب، وأنشد الأصبهاني في القاضي الوليد.

لعمرك ما حمدنا غب ود ... بذلنا الصفو منه للوليد
رجونا أن يكون لنا ثمالاً ... إذا ما المحل أذوى كل عود
ويحيى أحمد بن أبي دؤاد ... سليل المجد والشرف العتيد
فزرناه فلم نحصل لديه ... على غير التهدد والوعيد
نورد حوضه الآمال منا ... فآبت غير حامدة الورود
يظل عدوه يحظى لديه ... بنيل الحظ من دون الودود
رضينا بالسلامة من جداه ... وأعفيناه من كرم وجود

وقال في مثل للفرس قلبه إلى العربية شعراً:

إني إذا ما رأيت فرخ زنى ... فليس يخفى على جوهره
لو في جدار تخط صورته ... لماج في كف من يصوره

وقال في رجل عدل عن انتحال علم الإسلام، إلى علم الفلسفة:

فارقت علم الشافعي ومالك
وشرعت في الإسلام رأي رقلس

وأراك في دين الجماعة زاهداً
ترنو إليه بميل طرف الأشوس

وكتب إلى بعض إخوانه:

نفسي فداؤك من خليل مصقب
لم يشفني منه اللقاء الشافي

عندي غداً فئة تقوم بمثلها
لله حجته على الأصناف

مثل النجوم يلذ حسن حديثهم
ليسوا بأوباش ولا أجناف

أو روضة زهراء معشبة الثرى
كال الربيع لها بكيل واف

من بين ذي علم يصول بعلمه
أو شاعر يقضي بحد قواف

منهم أبو الحسن ابن قلس دهره
وأبو الهذيل وليس بالعلاف

والهرمزاني الذي يسمو به
شرف أناف به على الأشراف

فاجعل حديثك عندنا يشفي الجوى
فنفوسنا ولهى إلى الإيلاف

ألن الجواب فليس يعجبني أخ
في الدين شاب وفاءه بخلاف

أحمد بن محمد، بن أبي محمد اليزيدي

أبو جعفر، ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر، في تاريخ دمشق، فقال: أحمد بن محمد، بن يحيى المبارك، ابن المغيرة، أبو جعفر العدوي النحوي، المعروف أبوه باليزيدي، كان من ندماء المأمون، وقدم معه دمشق، وتوجه منها غازياً للروم، سمع جده أبا محمد يحيى، وأبا زيد الأنصاري، وكان مقرئاً، روى عنه أخواه، عبيد الله، والفضل ابنا محمد، وابن أخيه محمد بن العباس، ومحمد بن أبي محمد، وعون بن محمد الكندي، ومحمد بن عبد الملك الزيات، مات قبيل سنة ستين ومائتين. قرأت في كتاب أبي الفرج الأصبهاني، حدثنا محمد بن العباس، حدثني أبي، عن أخيه أبي جعفر قال: دخلت يوماً على المأمون بقارا، وهو يريد الغزو، فأنشدته شعراً مدحته به، أوله:

يا قصر ذا النخلات من بارا
إني حننت إليك من قارا

أبصرت أشجاراً على نهر
فذكرت أنهاراً وأشجارا

لله ايام نعمت بها
في القفص أحياناً وفي بارا

إذ لا أزال أزور غانية
ألهو بها وأزور خمارا

لا أستجيب لمن دعا لهدى ... وأجيب شطاراً ودعارا

أعصى النصيح وكل عاذلة ... وأطيع أوتاراً ومزمارا

قال: فغضب المأمون قوال: أنا في وجه عدو، وأحض الناس على الغزو، وأنت تذكرهم نزهة بغداد، قلت: الشيء بتمامه، ثم قلت:

وصحوت بالمأمون من سكري ... ورأيت خير الأمر ما اختارا

ورأيت طاعته مؤدية ... للفرض إعلاناً وإسرارا

فخلعت ثوب الهزل من عنقي ... ورضيت دار الخلد لي دارا

وظللت معتصماً بطاعته ... وجواره وكفى به جارا

إن حل أرضاً فهي لي وطن ... وأسير عنها حيثما سارا

فقال له يحيى بن أكثم: ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين! أخبر أنه كان في سكر وخسار، فترك ذلك وارعوى، وآثر طاعة خليفته، وعلم أن الرشد فيها، فسكن وأمسك، ولأحمد بن اليزيدي هذا، بيت جمع فيه حروف المعجم كلها وهو:

ولقد شجتني طفلة برزت ضحى ... كالشمس خثماء العظام بذي الغضا

وذكره أبو بكر الزبيدي فقال: هو أمثل أهل بيته في العلم.

أحمد بن محمد، بن عبد الكريم، بن سهل

ويقال ابن أبي سهل الأحول، أبو العباس، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو من متقدمي الكتاب وأفاضلهم، وكان عالماً بصناعة الخراج، متقدماً في ذلك على أهل عصره، مات سنة سبعين ومائتين وله كتاب الخراج.

أحمد بن محمد، بن ثوابة، بن خالد الكاتب

أبو العباس، قال محمد بن إسحاق النديم: هو أحمد ابن محمد، بن ثوابة، بن يونس، أبو العباس الكاتب، أصلهم نصارى، وقيل: إن يونس يعرف بلبابة، وكان حجاماً، وقيل: أمهم لبابة، ومات أبو العباس سنة سبع وسبعين ومائتين، وقال الصولي: مات في سنة ثلاث وسبعين قال: وحدثني أبو سعيد، وهب بن إبراهيم، بن طازاذ قال: كان بين علي بن الحسين، وبين أبي العباس بن ثوابة، منازعة في ضيعة، فاجتمعا في مجلس بعض الرؤساء وأحسبه عبيد الله بن سليمان، فرد علي بن الحسين، مناظرة أبي العباس، إلى أخيه أبي القاسم، بن الحسين، فناظر أبا العباس، فأقبل أبو العباس يهاتره ويطتز به وقال في جملة قوله: من أنتم؟

إنما نفقتم بالبذيذة، قال: فالتفت علي بن الحسين، إلى صبي كان معه، كأنه الدنيا المقبلة، فأخذ بيده، وقام قائماً في موضعه، وكشف عن رأسه، وقال بأعلى صوته: يا معشر الكتاب، قد عرفتموني، وهذا ولدي، من فلانة بنت فلان الفلاني، وهي من طالق طلاق الحرج والسنة، على سائر المذاهب، إن لم يكن هذا الشرط الذي في أخدعي شرط جده فلان المزين، لا يكنى عن جد ابن ثوابة، قال: فاستخذل أبو العباس، ولم يحر جواباً، ولا أجرى بعد ذلك كلاماً في الضيعة، وسلمها من غير منازعة ولا محاورة.

قال: وكان أبو العباس من الثقلاء البغضاء، وله كلام مدون مستهجن مستثقل، منه: علي بماء الورد أغسل فمي من كلام الحاجم. ومنه: لما رأى أمير المؤمنين الناس قد تدارسوا وتدقلموا وترنسعوا وتذورروا تدسقن وله من التصانيف: كتاب رسائله المجموعة، كتاب رسالته في الكتابة والخط، وأخوه جعفر بن محمد، بن ثوابة، تولى ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان الوزير، وله ابن اسمه محمد بن أحمد، كان أيضاً مترسلاً بليغاً، وله كتاب رسائل. وأبو الحسين محمد بن جعفر، بن ثوابة، وابنه أبو عبد الله، أحمد بن محمد، بن جعفر. وله أيضاً ديوان رسائل، وهو آخر من بقي من فضلائهم.

ومن كلام أبي العباس: من حق المكاتبة، أن يسبقها أنس، وينعقد قبلها ود، ولكن الحاجة أعجلت عن ذلك، فكتبت كتاب من يحسن الظن إلى من يحققه.

ومن فصل له إلى عبيد الله بن سليمان: لم يؤت الوزير من عدم فضيلة، ولم أوت من عدم وسيلة، وغلة الصادي تأبى له انتظار الوارد، وتعجل عن تأمل ما بين الغدير والواد، ولم أزل أترقب أن يخطرني بباله، ترقب الصائم لفطره، وأنتظره انتظار الساري لفجره، إلى أن برح الخفاء، وكشف الغطاء، وشمت الأعداء، وإن في تخلفي وتقدم المقصرين، لآية للمتوسمين والحمد لله رب العالمين.

وقيل لابن ثوابة: قد تقلد إسماعيل بن بلبل الوزارة، فقال: إن هذا عجز قبيح من الأقدار، وكان محمد بن أحمد بن ثوابة، كاتباً لباكباك التركي، فلما أغري المهتدي بالرافضة، قال المهتدي لباكباك: كاتبك والله أيضاً رافضي، فقال باكباك: كذب والله على كاتبي، ما كان يقول هؤلاء، فشهدت الجماعة عليه، فقال باكباك: كذبتم، ليس كاتبي كما تقولون، كاتبي خير فاضل، يصلي ويصوم، وينصحني، ونجاني من الموت، لا أصدق قولكم عليه، فغضب المهتدي، وردد الأيمان على صحة القول في ابن ثوابة، وهو يقول: لا، لا، فلما انصرف القوم من حضرة المهتدي، أسمعهم باكباك وشتمهم، ونسبهم إلى أخذ الرشا والمصانعات وأغلظ لهم وأمر ببعضهم فنيل بمكروه، إلى أن تخلصوا من يده، واستتر ابن ثوابة، وقلد المهتدي كتابة باكباك، سهل بن عبد الكريم الأحول، ونودي على ابن ثوابة، ثم تنصل باكباك إلى المهتدي، واعتذر إليه فقبل عذره، وصفح عنه، فلما قدم موسى بن بغا، سر من رأى من الجبل، تلقاه

باكبابك، وسأله النطف في المسألة، في الصفح عن كاتبه ابن ثوابة، فلما جدد المهتدي البيعة في دار أناجور التركي، عاود باكباك المسألة في كاتبه، فوعده بالرضا عنه، وقال: الذي فعلته بابن ثوابة، لم يكن لشيء كان في نفسي عليه يخصني، لكن غضباً لله تعالى وللدين، فإن كان قد نزع عما أنكر منه، وأظهر تورعاً، فإني قد رضيت عنه، ثم رضي عنه الخليفة في يوم الجمعة، النصف من محرم، سنة خمسين ومائتين، وخلع عليه أربع خلع، وقلده سيفاً، ورجع إلى كتابة باكباك ميمون بن هارون.

قال لي الحسن، علي بن محمد، بن الأخضر: كنا يوماً في مجلس أبي العباس ثعلب، إذ جاءه أبو هفان البصري للسلام عليه، فسأله عن أمره، وسبب قدومه من سامراً، واين يريد؟ فقال أريد ابن ثوابة، يعني أحمد بن محمد، ابن ثوابة، بن خالد، وكان بالرقة، وكان ذلك في أيام عيد، فقال أبو العباس: كيف رضاك عن بني ثوابة؟ فقال: إني والله أكره هجاءهم في يوم مثل هذا، ولكني أقمت هجائي لهم مقام الزكاة، وقلت:

ملوك ثناهم كأحسابهم وأخلاقهم شبه آدابهم
فطول قرونهم أجمعين يزيد على طول أذنابهم

وقال الصولي: كانت بين أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير، وبين أبي العباس، أحمد بن محمد، بن ثوابة وحشة شديدة، لأسباب منها: أشياء جرت في مجلس صاعد في آخر أيامه، قد حدثني رشيق الموسوي الخادم – وما رأيت خادماً أعقل منه، ولا أكتب يداً – قال: كنا في مجلس صاعد، فسأل عن رجل، فقال أبو الصقر: قد كان أنفيي، يريد نفي، فقال ابن ثوابة: في الخرء، فسمعها، فقال أبو الصقر: كيف تكلم من حقه أن يشد ويحد؟ فقال ابن ثوابة: من جهلك، إنك لا تعلم أن من يشد لا يحد، ومن يحد لا يشد، ثم ضرب الدهر من ضربه، فرايت ابن ثوابة قد دخل إلى أبي الصقر بواسط، فوقف بين يديه، ثم قال: أيها الوزير، "لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين". فقال له أبو الصقر: "لا تثريب عليكم" يا أبا العباس، ثم رفع مجلسه، وقلده طساسيج بابل، وسورا، وبربسما، فضاعف وزاد في الدعاء له، فمازال والياً إلى أن توفي في سنة ثلاث وسبعين ومائتين. هكذا ذكر الصولي، والأول منقول من كتاب محمد بن إسحاق، وهذا أولى بالصواب.

قال الصولي: وحدثني الحسين بن علي الكاتب، قال: كان أبو العيناء في جملة أبي الصقر، قال: وكان يعادي ابن ثوابة، لمعاداة أبي الصقر، فاجتمعا في مجلس بعقب ما جرى بين أبي الصقر، وبين ابن ثوابة في مجلس صاعد، فتلاحيا، فقال له ابن ثوابة: أما تعرفني؟ قال: بل أعرفك ضيق العطن، كثير الوسن، قليل

الفطن، خاراً على الذقن، قد بلغني تعديك على أبي الصقر. وإنما حلم عنك، لأنه لم ير عزاً فيذله: ولا علواً فيضعه. ولا حجراً فيهدمه، فعاف لحمك أن يأكله. وسهك دمك أن يسفكه، فقال له: اسكت، فما تساب اثنان إلا غلب ألأمهما، قال أبو العيناء: فلهذا غلبت بالأمس أبا الصقر، فأسكته.

ومن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن، حدث علي بن سليمان الأخفش قال: ذكر لي المبرد، أنه كان في سوم نوبة له عند أبي العباس، أحمد بن محمد، بن ثوابة، حتى دخل عليه غلامه، وفي يده رقعة البحتري، فقرأها أبو العباس، ووقع فيها توقيعاً خفيفاً، وأمر بإصلاحها، فأصلحت وأعيدت إليه. قال المبرد: فرمى بها إلي، فإذا فيها:

إسلم أبا العباس واب	ق فلا أزال الله ظلك
وكن الذي يبقى لنا	ونموت حين نموت قبلك
لي حاجة أرجو لها	إحسانك الأوفى وفضلك
والمجد مشترط علي	ك قضاءها والشرط أملك
فلئن كفيت ملمها	فلمثلها أعددت مثلك

قال: وإذا وقع ابو العباس: مقضية، والله الذي لا إله إلا هو، ولو أتلفت المال، وأذهبت الحال، فقل: - رعاك الله - ما شئت منبسطاً، وثق بما أنا عليه لك مغتبطاً، إن شاء الله تعالى.

وقال أحمد بن علي المادرائي، الكاتب الأعور الكردي، صديق المبرد يهجو ابن ثوابة من قصيدة:

تعست أبا الفضل الكتابهْ	من أجل مقت بني ثوابهْ
وسألت أهل المهتي	ن من الخطابة والكتابهْ
عن عادل في حكمه	فعليك أجمعت العصابهْ
فاسمع فقد ميزتهم	ولكلهم طرز وبابه
أما الكبير فمن جلا	لته يقال له لبابهْ
وإذا خلا فممدد	في البيت قد شالوا كعابهْ
وارفض عنه زهوه	وتقشعت تلك المهابهْ

نقلت من خط عبد السلام البصري، حدثنا أبو العباس التميمي، حدثنا جحظة في أماليه، قال: حضرت مجلس أبي العباس ثعلب، وعنده جماعة من أصحابه، وحضر أحمد بان علي المادرائي، فسأله عن أبي العباس

بن ثوابة، وقال له، متى عهدك به؟ فقال: لا عهد ولا عقد، ولا وفاق ولا ميثاق، فقال له ثعلب: عهدي بك إذا غضبت هجوت، فهل من شيء؟ فأنشد:

بني ثوابة أنتم أثقل الأمم جمعتم ثقل الأوزار والتخم

أهاض حين أراكم من بشامتكم على القلوب وإن لم أوت من بشم

كم قائل حين غاظته كتابتكم لو شئت يا رب ما علمت بالقلم

فقال ثعلب: أحسنت والله في شعرك، وأسأت إلى القوم.

وعن أبي الفرج الأصبهاني، حدثني أبو الفضل العباس بن أحمد، بن محمد، بن ثوابة، قال: قدم البحتري النيل على أحمد بن علي الإسكافي، مادحاً له، فلم يثبه ثواباً يرضاه، بعد أن طالت مدته عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

ما كسبنا من أحمد بن علي ومن النيل غير حمى النيل

وهجاه بقصيدة أخرى أولها: قصة النيل فاسمعوها عجابهْ فجمع إلى هجائه إياه، هجاء بني ثوابة، وبلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم، وثياباً ودابة بسرجها ولجامها، فرده، وقال: قد أسلفتكم إساءة، فلا يجوز معه قبول صلتكم، فكتب إليه أبي: أما الإساءة فمغفورة، والمعذرة مشكورة، والحسنات يذهبن السيئات، وما يأسو جراحك مثل يدك، وقد رددت إليك ما رددته علي، وأضعفته، فإن تلافيت ما فرط منك، أثبنا وشكرنا، وإن لم تفعل، احتملنا وصبرنا، فقبل ما بعث به، وكتب إليه: كلامك والله أحسن من شعري، وقد أسلفتني ما أخجلني، وحملتني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي، ثم غدا عليه بقصيدة أولها: ضلال لها ماذا أرادت من الصد؟ وقال فيه بعد ذلك: برق اضاء العقيثق من ضرمه وقال فيه أيضاً: أن دعاه داعي الهوى فأجابهْ: فلم يزل أبي يصله بعد ذلك، وتتابع بره لديه، حتى افترقا.

وكتب أحمد بن محمد، بن ثوابة، إلى إسماعيل بن بلبل، حين صاهر الناصر لدين الله، الموفق بالله: "بسم الله الرحمن الرحيم"، بلغني، للوزير – أيده الله – نعمة زاد شكرها على مقادير الشكر، كما أربى مقدارها على مقادير النعمة، فكان مثلها قول إبراهيم بن العباس:

بنوك غدوا آل النبي، ووارثوا ال خلافة، والحاوون كسرى وهاشما

وأنا أسأل الله تعالى أن يجعلها موهبة ترتبط ما قبلها، وتنتظم ما بعدها، وتصل جلال الشرف، حتى يكون الوزير – أعزه الله – على سادة الوزراء موفياً، ولجميل العادة مستحقاً، ولمحمود العاقبة مستوجباً، وأن يلبس خدمه، وأولياءه، من هذه الحلل العالية، ما يكون لهم ذكراً باقياً، وشرفاً مخلداً.

وكان يلقب لبابة، وكان عبيد الله بن سليمان، قد صرف أحمد بن محمد، بن ثوابة، عن طساسيج كان يتقلدها، بأبي الحسن بن مخلد.

فقال أحمد بن علي المادرائي الأعور الكردي:

إني وقفت بباب الجسر في نفر فوضى يخوضون في غرب من الخبر
قالوا :لبابة أضحت وهي ساخطة قد قدت الجيب من غيظ ومن ضجر
فقلت :حقاً وقد قرت بقولهم عيني وأعين إخواني بني عمر
لا تعجبوا لقميص قد من قبل فإن صاحبه قد قد من دبر

ولأبي سهل فيه، يخاطب عبيد الله بن سليمان:

يا أبا القاسم الذي قسم الل ه في الورى الهوى والمهابهْ
كدت تنفي هل الكتابة عنها حين أدخلت فيهم ابن ثوابهْ
أنت ألحقته وما كان فيهم بهم ظالماً به للكتابهْ
هل رأينا مخنثاً كاتباً أو هل يسمى أديب قوم لبابهْ؟؟

وله فيه:

أقصرت عن جدي وعن شغلي والمكرمات وعدت في هزلي
لما أراني الدهر من تصريفه غيراً يغير مثلها مثلي
بلغ أحمد بن ثوابة بجنونه ما ليس يبلغه ذوو عقل
إن كان نقص المرء يجلب حظه فالعقل يرفع رزق ذي فضل

قال أبو حيان في كتاب الوزرين: حدثنا أبو بكر الصيمري قال: حدثنا ابن سمكة قال: حدثنا ابن محارب قال: سمعت أحمد بن الطيب يقول: إن صديقاً لابن ثوابة الكاتب أبي العباس، يكنى أبا عبيدة، قال له ذات يوم: إنك بحمد الله ومنه، ذو أدب وفصاحة وبراعة، فلو أكملت فضائلك، بأن تضيف إليها معرفة البرهان القياسي، وعلم الأشكال الهندسية، الدالة على حقائق الأشياء، وقرأت إقليدس وتدبرته، فقال له ابن ثوابة: وما كان إقليدس؟ ومن هو؟ قال: رجل من علماء الروم، يسمى بهذا الإسم، وضع كتاباً فيه أشكال كثيرة مختلفة، تدل على حقائق الأشياء المعلومة والمغيبة، يشحذ الذهن، ويدقق الفهم، ويلطف المعرفة، ويصفي الحاسة، ويثبت الروية، ومنه افتتح الخط، وعرفت مقادير حروف المعجم، قال له أبو

العباس بن ثوابة: وكيف ذلك؟ قال: لا تعلم كيف هو؟ حتى تشاهد الأشكال، وتعاين البرهان، قال: فافعل ما بدا لك، فأتاه برجل يقال له قويري مشهور، و لم يعد إليه بعد ذلك، قال أحمد بن الطيب: فاستغربت ذلك، وعجبت منه، فكتبت إلى أبي ثوابة رقعة نسختها:

"بسم الله الرحمن الرحيم"، اتصل بي، – جعلت فداك –، أن رجلاً من إخوانك أشار عليك، بتكميل فضائلك وتقويتها، بشيء من معرفة القياس البرهاني، وطمأنينتك إليه، وأنك أصغيت إلى قوله، وأذنت له، فأحضرك رجلاً كان غاية في سوء الأدب، ومعدناً من معادن الكفر، وإماماً من أئمة الشرك، لاستغرارك واستغوائك، يخادعك عن عقلك الرصين، وينازلك في ثقافة فهمك المبين، فأبى الله العزيز، إلا جميل عوائه الحسنة قبلك، ومننه السواب لديك، وفضله الدائم عندك، بأن تأتي على قواعد برهانه من ذروته، وتحط عوالي أركانه، من أقصى معاقد أسه، فأحببت استعلامي ذلك على كنهه من جهتك، ليكون شكري لك، على ما كان منك، حسب لومي لصاحبك، على ما كان منه، ولأتلافي الفارط، في ذلك بتدبر المشيئة، إن شاء الله تعالى، قال: فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختها: "بسم الله الرحمن الرحيم" وصلت رقعتك – أعزك الله – وفهمت فحواها، وتدبرت متضمنها، والخبر كما اتصل بك، والأمر كما بلغك، وقد لخصته وبينته، حتى كأنك معنا وشاهدنا، وأول ما أقول: الحمد لله مولي النعم، والمتوحد بالقسم، "إليه يرد علم الساعة"، "وإليه المصير"، وأنا أسأله إتراع الشكر على ذلك، وعلى ما منحنا من ودك، وإتمامه بيننا بمنه، ومما أحببت: إعلامك وتعريفك بما تأدى إليك، أن أبا عبيدة "لعنه الله تعالى" بنحسه، ودسه وحدسه، اغتالني ليكلم ديني، من حيث لا أعلم، وينقلني عما أعتقده، وأراه وأضمره، من الإيمان بالله عز وجل، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، موطداً إلى الزندقة، بسوء نيته من الهندسة، وأنه يأتيني برجل يفيدني علماً شريفاً، تكمل به فضائلي فيما زعم، فقلت: عسى أفيد به براعة في صناعة، أو كمالاً في مروءة، أو فخاراً عند الأكفاء، فأجبته: بأن هلم، فأتاني بشيخ ديراني شاخص النظر، منتشر عصب البصر، طويل مشذب، محزوم الوسط، متزمل في مسكة فاستعذت بالرحمن، إذ نزغني الشيطان، ومجلسي غاص بالأشراف، من كل الأصناف وكلهم يرمقه، ويتشوف إلى رفعي مجلسه، وإدنائه وتقريبه، ويعظمونه ويحيونه، "والله محيط بالكافرين"، فأخذ مجلسه، ولوى أشداقه، وفتح أوساقه، فتبينت في مشاهدته النفاق، وفي ألفاظه الشقاق، فقلت: بلغني أن عندك معرفة من الهندسة، وعلماً واصلاً إلى فضل، يفيد الناظر فيه حكمة، وتقدماً في كل صناعة، فهلم أفدنا شيئاً منها، عسى أن يكون عوناً لنا على دين أو دنيا، في مروءة ومفاخرة لدى الأكفاء، ومفيداً زهداً ونسكاً، فذلك هو الفوز العظيم، "فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز"، "وما ذلك على الله بعزيز"، قال: فأحضرني دواة وقرطاساً، فأحضرتهما، فأخذ القلم ونكت نكتة، نقط منها نقطة، تخيلها بصري، وتوهمها طرفي، كأصغر من حبة الذرة، فزمزم

عليها من وساوسه، وتلا عليها من حكم أسفار أباطيله، ثم أعلن عليها جاهراً بإفكه وأقبل علي وقال: أيها الرجل، إن هذه النقطة شيء لا جزء له، فقلت: أضللتني ورب الكعبة، وما الشيء الذي لا جزء له؟ فقال كالبسيط، فأذهلني وحيرني، وكاد يأتي على عقلي، لولاأن هداني ربي، لأنه أتاني بلغة، ما سمعتها والله من عربي ولا عجمي، وقد أحطت علماً بلغات العرب، وقمت بها وسبرتها جاهداً، واختبرتها عامداً، وصرت فيها إلا ما لا أجد أحداً يتقدمني إلى المعرفة به، ولا يسبقني إلى دقيقة وجليلة، فقلت أنا: وما الشيء البسيط؟ فقال: كالله، وكالنفس، فقلت له: إنك من الملحدين، أتضرب بالله الأمثال؟ والله يقول: "فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون" لعن الله مرشداً أرشدني إليك، ودالاً دلني عليك، فما ساقك إلي إلا قضاء سوء، ولا كسعك نحوي إلا الحين، وأعوذ بالله من الحين، وأبرأ إليه منكم ومما تلحدون، والله ولي أمير المؤمنين، إني بريء مما تشركون، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فلما سمع مقالتي كره استعاذتي، فاستخفه الغضب، فأقبل علي مستبسلاً وقال: إني أرى فصاحة لسانك سبباً لعجمة فهمك، وتدرعك بقولك آفة من آفات عقلك، فلولا من حضر والله المجلس، وإصغاؤهم إليه مستصوبين أباطيله، ومستحسنين أكاذيبه، وما رأيت من استهوائه إياهم بخدعه، وما تبينت من توازرهم، لأمرت بسل لسان اللكع الألكن، وأمرت بإخراجه، إلى آخر نار الله وسعيره، وغضبه ولعنته، ونظرت إلى أمارات الغضب في وجوه الحاضرين، فقلت: ما غضبكم لنصراني يشرك بالله،

ويتخذ من دونه الأنداد، ويعلن بالإلحاد، ولا مكانكم لنهكته عقوبة، فقال له رجل منهم: إن كان حكيم، فغاظني قوله، فقلت: لعن الله حكمة مشوبة بكفر، فقال لي آخر: إن عندي مسلماً يتقدم أهل هذا العلم، ورجوت بذكره الإسلام خيراً، فقلت: ائتني به، فأتاني برجل قصير دحداح، آدم، مجدور الوجه، أخفش العينين، أجلح أفطس، سيء المنظر، قبيح لازي، فسلم، فرددت عليه السلام، فقلت: ما اسمك؟ فقال أعرف بكنية قد غلبت علي، فقلت: أبو من؟ فقال أبو يحيى، فتفاءلت بملك الموت عليه السلام، وقلت: اللهم إني أعوذ بك من الهندسة، اللهم فاكفني شرها، فإنه لا يصرف السوء إلا أنت، وقرأت "الحمد لله، والمعوذتين، وقل هو الله أحد"، وقلت: إن صديقاً لي جاءني بنصراني يتخذ الأنداد، ويدعي أن لله الأولاد، ليغويني، فهلم أفدنا شيئاً من هندستك، واقبسنا من ظرائف حكمتك، ما يكون لي سبباً إلى رحمة الله، ووسيلة إلى غفرانه، فإنها أربح تجارة، وأعود بضاعة، فقال: أحضرني دواة وقرطاساً، فقلت: أتدعو بالدواة والقرطاس، وقد بليت منهما ببلية، كلها لم تندمل عن سويداء قلبي، فقال: وكيف كان ذلك؟ فقلت: إن النصراني نقط نقطة كأصغر من سم الخياط، وقال لي، إنها معقولة كربك الأعلى، فوالله ما عدا فرعون وكفره وإفكه، فقال: إني أعفيك من النقطة، – لعن الله – قوبري، وما كان يصنع بالنقطة؟ وهل بلغت أنت أن تعرف النقطة؟ فقلت: استجهلني ورب الكعبة، وقد أخذت بأزمة الكتابة،

ونهضت بأعبائها، واستقللت بثقلها، يقول لي: لا تعرف فحوى النقطة، فنازعتني نفسي في معالجته بغليظ العقوبة، ثم استعطفني الحلم إلى الأخذ بالفضل، ودعا بغلامه، وقال: ائتني بالتخت، فوالله ما رأيت مخلوقاً بأسرع إحضاراً له من ذلك الغلام، فأتاه به، فتخيلته هيئة منكرة، و لم أدر ما هو؟ وجعلت أصوب الفكر فيه، وأصعد أخرى، وأجيل الرأي ملياً، وأطرق طويلاً، لأعلم أي شيء هو؟ أصندوق هو؟ فإذا ليس بصندوق، أتخت؟ فغذا ليس بتخت، فتخيلته كتابوت، فقلت: لحد لملحد، يلحد به الناس عن الحق، ثم أخرج من كمه ميلاً عظيماً، فظننته متطبباً، وإنه لمن شر المتطببين، فقلت له: إن أمرك لعجب كله، و لم أر أميال المتطببين كميلك، أتفقأ به العين؟ قال: لست بمتطبب، ولكن أخط به الهندسة على هذا التخت، فقلت له: إنك وإن كنت مبايناً للنصراني في دينه، لموازر له في كفره، أتخط على تخت بميل، لتعدل به عن وضح الفجر إلى غسق الليل؟ وتميل بي إلى الكذب باللوح المحفوظ، وكاتبيه الكرام، إياي تستهوي؟ أم حسبتني كمن يهتز لمكايدكم فقال: لست أذكر لوحاً محفوظاً، ولا مضيعاً، ولا كاتباً كريماً، ولا لئيماً، ولكن أخط فيه الهندسة، وأقيم عليها البرهان بالقياس والفلسفة، قلت له: اخطط، فأخذ يخط، وقلبي مروع يجب وجيباً، وقال لي غير متعظم: إن هذا الخط طول بلا عرض، فتذكرت صراط ربي المستقيم، وقلت له: – قاتلك الله – أتدري ما تقول؟ تعال صراط ربي المستقيم، عن تخطيطك وتشبيهك، وتحريفك وتضليلك، إنه لصراط مستقيم، وإنه لأحد من السيف الباتر، والحسام القاطع، وأدق من الشعر، وأطول مما تمسحون، وأبعد مما تذرعون، ومداه بعيد، وهوله شديد، أتطمع أن تزحزحني عن صراط ربي؟

وحسبتني غراً غبياً، لا أعلم ما في باطن ألفاظك، ومكنون معانيك، والله ما خططت الخط، وأخبرت أنه طول بلا عرض، إلا ضلة بالصراط المستقيم، لتزل قدمي عنه، وأن ترديني في جهنم، – أعوذ بالله وأبرأ إليه من الهندسة، ومما تدل عليه، وترشد إليه –، إني بريء من الهندسة، ومما تعلنون وتسرون، ولبئسما سولت لك نفسك، أن تكون من خزنتها، بل من وقودها، وإن لك فيها لأنكالاً وسلاسل وأغلالاً، وطعاماً ذا غصة، نفأخذ يتكلم. فقلت: سدوا فاه، مخافة أن يبدر من فيه، مثل ما بدر من المضلل الأول، وأمرت بسحبه، فسحب إلى أليم عذاب، ونار "وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون" ثم أخذت قرطاساً، وكتبت بيدي يميناً، آليت فيها بكل عهد مؤكد، وعقد مردد، ويمين ليست لها كفارة، أني لا أنظر في الهندسة أبداً، ولا أطلبها، ولا أعلمها من أحد لا سراً ولا جهراً، ولا على وجه من الوجوه، ولا على سبب من الأسباب، وأكدت بمثل ذلك على عقبي وعقب أعقابهم، لا تنظروا فيها ولا تتعلموها، مادامت السموات والأرض، إلى أن تقوم الساعة، لميقات

يوم معلوم، وهذا بيان ما سألت – أعزك الله – عنه، فيما دفعت إليه، وامتحنت به، ولتعلم ما كان مني،

ولولا وعكة أنا في عقابيلها، لحضرتك مشافهاً، وأخذت بحظ المتمني بك، والاستراحة إليك، تمهد على ذلك عذري، فإنك غير مباين لفكري، والسلام.

قال عبد الله الفقير إليهن مؤلف هذا الكتاب: لا شك أن أكثر ما في هذه الرسالة، مفتعل مزور، وما أظن برجل مثل ابن ثوابة، وهو بمكانة من العلم، بحيث تلقى إليه مقاليد الخلافة، فيخاطب عنها بلسانه القاصي والداني، ويرتضيه العقلاء والوزراء، بحيث لا يرون له نظيراً في زمانه، في براعة لسانه، تولى كتابة الإنشاء السنين الكثيرة، أن يكون منه هذا كله، ولكن عسى أن يكون منه، ما كان من ابن عباد، وهو الذي ساق أبو حيان، خبر ابن ثوابة لأجله، وهو أن قال: كان ابن عباد يسب أصحاب الهندسة، ويقول: جاءني بعض هؤلاء الحمقى، ورغبني في الهندسة، فابتدأ فأثبت خمسة وعشرين، وخط خطاً، ووضع شكلاً، وطول، وزعم أنه يعمل برهاناً على ذلك، فقلت له: كنت أعرف أن هذا خمسة وعشرون ضرورة، وقد شككت الآن، فأنا مجتهد حتى أعلم بالاستدلال، وهذا هو الخسار، قلت: ومثل هذا لا يبعد أن يقول مثله، من لم يتدرب بهذه الصناعة، فأما ما تقدم من حديث ابن ثوابة، فهو غاية في التجلف، والرجل كان أجل من ذلك، وإنما أتي إما من جهة أحمد بن الطيب، لأنه كان فيلسوفاً، وكان ابن ثوابة متعجرفاً كما ذكرنا، فأخذ يسخر منه، ليضحك المعتضد، فإن أحمد بن الطيب، كان من جلساء المعتضد. وإما أن يكون أبو حيان، جرى على عادته، في وضع ما أكثر من وضعه من مثل ذلك، والله أعلم.

أحمد بن علي، بن المأمون، النحوي اللغوي

القاضي، صاحب الخط المليح، والعقل الصحيح. مات في التاسع عشر من شعبان، سنة ست وثمانين وخمسمائة، ومولده في ذي القعدة، سنة تسع وخمسمائة. سألت ولده أبا محمد، عبد الله بن أحمد عنه، فأعطاني جزءاً بخط والده هذا، وقد ضمنه ذكر نفسه، وذكر ولده، فنقلت منه جميع ما أذكره في هذه الترجمة، إلا ما أبينه، فقال: أنا أحمد بن علي، بن هبة الله، بن علي الزوال، "وأصله الزول، وإنما غيره المتكلمون، وزادوا ألفاً، والزول: الرجل الشجاع، وقد ذكر ذلك في كتاب الألفاظ لابن السكيت"، بن محمد، بن يعقوب، بن الحسين، ابن عبد الله المأمون بالله، الخليفة، بن هارون الرشيد بالله الخليفة، بن محمد المهدي بالله الخليفة، بن عبد الله المنصور بالله الخليفة، بن محمد الكامل، بن علي السجاد، ابن عبد الله خير الأمة، بن العباس سيد العمومة، ابن عبد المطلب شيبة الحمد، بن هاشم عمرو العلا، ابن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، هو قريش بن

كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، ابن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، ابن أد، بن أدد، بن اليسع، بن الهميسع، بن سلامان، ابن ثبت، بن جميل، بن قيدار، بن إسماعيل، بن إبراهيم الخليل، بن آزر، بن تارح، بن ناحور، بن ساروغ، ابن أرغو، بن فالع، بن عابر، بن سالخ، ابن أرفخشذ، ابن سام، بن نوح، بن لمك، بن متوشلخ، بن أخنوخ، وهو إدريس بن ليارد، بن مهلائيل، بن قينان، بن أنوش، بن شيث، بن آدم، أبي البشر، فطرة الله عز وجل، ومولدي في ضحى نهار الثلاثاء، ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وخمسمائة، ولدت بدرب فيروز، في الدار المعروفة الآن، بورثة ابن الثقفي، القاضي عز الدين، قاضي القضاة، – رحمه الله –، وكان والدي يومئذ، كاتب الزمام في الأيام المستظهرية، وبعد ذلك في الأيام المسترشدية مدة، وكنت مذ نشأت، ختمت القرآن، وقرأته للعشرة، على المرزقي – رحمه الله –، الأمين أبي بكر، أنا وحجة الإسلام، أبو محمد، إسماعيل بن الجواليقي – وفقه الله –، وكنا نترافق حين الحداثة في القراءة على الشيوخ، ويتكثر بعضنا ببعض، ونتعاضد في القراءة، وكتبت الخط على أبي سعيد الحسن بن منصور، أبي الحسن الجزري، – رحمه الله –، وكان صالحاً أديباً، صائم الدهر، عالماً في فنون من العلم، فقيهاً، وكان والدي يؤثرني من دون إخوتي، لما يراه من اشتغالي بالعلم، فإنني منذ انفصلت من المكتب، رجعت بقراءة النحو واللغة، إلى شيخنا أوحد الزمان، أبي منصور بن الجواليقي، – رحمه الله –، وصحبته إحدى عشرة سنة، وقرأت عليه كتباً كثيرة من حفظي، ويغر حفظي، حتى توليت القضاء، سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، وكان الحكم والقضاء على دجيل، إلى والدي المقدم ذكره، مضافاً إلى الخطابة، فحين ولي أمر ديوان الزمام ببغداد، رد القضاء إلى ولده هبة الله، الملقب بتاج العلا، وكان يخاطب من الديوان العزيز – مجده الله – بالأجل الأوحد، زين الإسلام، نجم الكفاءة، تاج العلا، جمال الشرف، مجد القضاة، عين الكفاءة، وكان بعد ذلك أضيف إليه نظر دجيل أجمع، مع المخزنيات، وكان ذا سطوة وشجاعة، وثروة كبيرة، ومماليك من الأتراك، والإماء والعبيد، والقرايا والأملاك، والرياسة التامة، والصيت والذكر الجميل، بين العرب والعجم، وكان له معروف كبير، ودار مضيف بحربي، يجتمع إليها أمراء العرب على طبقاتهم، وغيرهم من الغرباء، وكان له نواب في القضاء بحربي، والحظيرة، وغيرهما، وكانت ولايته من قاضي القضاة الدامغاني، إلى أن درج بالموصل مسموماً مخافة منه، لما شوهد من رياسته، وتبع العرب والتركمان له، وحمل السلاح، والجند الكثير، والاستطالة العظيمة، وأنفذ ميتاً في ستارة حتى دفن بحربي، في أواخر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وانحدر ولده علي بن هبة الله، بن علي، طالباً مكانه ببذل المال الجم، وكان وزير الزمان يومئذ، شرف الدين علي بن طراد الزينبي، في أوائل الأيام المقتفوية، فترك مع بذله، ووليت بعد أن أحضرت، وقيل لي: قد رسم توليك من غير قربة، لتميزك بالعلم، وكان لي من العمر يومئذ، أربع وعشرون سنة، واعتزى ابن أخي بعد ذلك، إلى ديوان السلطنة،

وخاطب الديوان العزيز في ذلك فلم يجب، ودخل في النوبة جماعة من الأهل والأكابر من ولاة الأمر، فتوسط الحال على أن يكون لولده مجلس وساطة، وحكم

بحربي في المداينات، وما عداها إلي مع الخطابة، ولذلك نصر يقين، فكتبت رسالة إلى المواقف المقدسة النبوية المقتفوية، - قدسها الله -.

ومنها: ومعاذ الله أن يقارن هذا الفتى بالعبد، ولا يعرف فتيلاً من وثير، ولا يؤلف بين كلمتين في تعبير، لوسيم قراءة الفاتحة أخجلته، أو ريم منه التماس حاجة في التطهر أحفزته، وعد عن أسباب لا يمكن بسطها، ولا يروق خطها، وأما العبد فطرائقه معلومة، ومآخذه مفهومة، ومحل الشيء عنده قابل، والجمهور إليه مائل، وسحاب الاستحقاق لما أهل له في أرضه هاطل، ومعاذ الله أن يتغير من كريم الآراء الشريفة في حقه رأي، أو ينفصم من تلك الوعود فيما أهل له وأي، والوعود كالعهود، ومواقع الكلم الشريفة كالتربق في الجلمود، وهو واثق من الإنعام، بما سار بين الأنام، ليغدو مستحكم الثقة بالإكرام، والأمر أعلى والسلام.

فبرز التوقيع الأشرف المقتفوي، يؤمر فيه بالعمل بسابق التوقيع، وخرجت إلى العمل، وبقيت مدة، فتولى القضاء لمدينة السلام، وفاء بن المرخم، وكان على حالة جليلة من الاختصاص، واستخدام قضاة الأطراف من جانبه، فأبيت ذلك،وخاطبت في الخروج عن يده، وإضافة باقي دجيل، مع ما والاه وقاربه، من لدن تكريت إلى الأنبار، وإلى الجبل وما والاه، من بلد خانقين، وروشن قبادوا، إلى الحربية من الجانب الغربي ببغداد، وكنت أحكم في ذلك أجمع، حتى ولي المستنجد بالله، - رضي الله عنه -، وقصر القضاة وغيرهم، وأنا في الجملة، وبقيت إحدى عشرة سنة مقصوراً، إلى أن توفي إلى رحمة الله، بعد أن استوعب ما كنت أملكه سائره، فلم أضيع من زماني شيئاً، وكنت في الحبس بمائتي مجلدة، منها، الجمهرة لأبي بكر بن دريد، مجلدتان. وشرح سيبويه، ثلاث مجلدات. وإصلاح المنطق، محشي مجلدة واحدة. والغريبان للهروي، مجلدة واحدة. وأشعار الهذليين ثلاث مجلدات. وشعر المتنبي مجلدة. وغريب الحديث لأبي عبيد، مجلدتان. وأشياء يطول شرحها من الكتب الكبار، وحفظت أولادي الختمة، وأيضاً حفظتهم كتباً كثيرة في علم العربية والتفاسير، وغريب القرآن، والخطب والأشعار، وشرحت لهم كتاب الفصيح، وجمعت لهم كتاباً سميته أسرار الحروف، يبين فيه مخارجها ومواقعها من الزوائد، والمنقلب، والمبدل، والمتشابه، والمضاعف، وتصريفها في المعاني الموجودة فيها، والمعاني الداخلة عليها، وذكرت فيه من اشتقاق الأسماء، كل ما تكلمت به علماء البصريين، والكوفيين، وغيرهم من أهل اللغة، وهو مجلدة ضخمة، تحتوي على عشرين كراسة، في كل وجهة عشرون سطراً.

ولما درج الإمام المستنجد بالله، وأتاح الله الخروج من ذلك الضيق، وولي بعده الإمام العادل الرحيم،

المستضيء بالله أمير المؤمنين، وشملت رحمته من كان في السجن من الأمة، حتى لم يبق فيه أحداً إلا أفرج عنه، ومن وجد له بخزانته المعمورة من ماله شيئاً عليه اسمه، أعاده عليه، وكل من كان في ولاية، أعاده إليها، ومن وجد من ملكه شيئاً تحت الاعتراض، أفرج عنه، وأعاده إليه، وأنا ممن أنعم في حقه، بإعادة خرقة كان ختمها باقياً عليها، واسمي فيها ثلاثمائة دينار إمامية صحاح، من جملة ما أخذ من مالي، فأعادها علي، وأعاد علي سهاماً في ثلث قراي بالرذان، وقراحاً ببلدة الحظيرة، وما كان فات وبيع لم يرجع، وأنعم في حقي بإعادة ولايتي علي، وتقريبي واستخدامي في مهام عدة، وكان الوسيط في ذلك كله، الوزير عضد الدولة، أبو الفرج بن رئيس الرؤساء، وكان محباً لإسداء العوارف والاصطناع، وجذب الباع، وإدخال المكارم عند الرجال، وكان كريماً رحب الفناء لأرباب الحوائج، بعيداً ما ينفصل من بابه محروم.

هذا آخر ما نقلته من خطه، واجتمعت بولده قوام الدين، أبي محمد عبد الله، بن أحمد، وقد أفردت له ترجمة في هذا الكتاب، فأنشدني لوالده من حفظه:

فراد المشوق كثير العنا ... ومن كتم الوجد أبدى الضنا
وكم مدنف في الهوى بعدهم ... وكانوا الأماني له والمنا
لقد خلفوه أخا لوعة ... موله شوق يعاني العنا
ينادي من الشوق في إثرهم ... إذا آده ما به قد منا

بيا جسداً ناحلاً بالعراق ... مقيماً وقلباً بوادي منى
تحرقه زفرات الحني ... ن ويغدو بهن الشجا ديدنا

وهي طويلة، قالها في زعيم الدين بن جعفر، عند عوده من مكة،

أحمد بن أبي عمر، المقرئ، المعروف بأحمد الزاهد

أبو عبد الله الأندرابي، مات في العشرين من ربيع الأول، سنة سبعين وأربعمائة، ذكره عبد الغافر، وقال: شيخ زاهد عابد، عالم بالقراءات، له التصانيف الحسنة في علم القراءات، سمع الحديث، وأكثر سماعه مع السيد أبي المعالي، جعفر بن حيدر العلوي، الهروي الصوفي، وكان رفيقه، سمعا صحيح مسلم وغيره، وروى عن محمد بن يحيى ابن الحسن الحافظ. روى عنه أبو الحسن الحافظ.

أحمد بن محمد، بن بشر، بن سعد المرثدي، أبو العباس

ذكره الطيب فقال: كنيته أبو علي، ومات في صفر: سنة ست وثمانين ومائتين، وذكر ابن بنت الغرياني أنه مات في سنة أربع وثمانين، وسمع علي ابن الجعد، والهيثم بن خارجة في آخرين، وروى عنه أبو بكر الشافعي وغيره، وكان عبد الرحمن بن يوسف يثني عليه، وقال ابن المنادي: هو أحد الثقات، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: كنيته أبو العباس الكبير، وهو الذي كان ابن الرومي يكاتبه في السمك كان المرثدي يكتب للموفق في خاصة أمره، وله من الكتب: كتاب الأنواء في نهاية الحسن، كتاب رسائله، كتاب أشعار قريش، وعليه عول أبو بكر الصولي في كتاب الأوراق، وله انتحل، وقد ذكرت ذلك في أخبار الصولي.

أحمد بن محمد، بن عاصم، أبو سهل الحلواني

ذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: بينه وبين أبي سعيد السكري نسب قريب، فروى عن أبي سعيد كتبه، وكان كثيراً ما توجد بخطه، وخطه في نهاية القبح، إلا أنه من العلماء، وله من الكتب: كتاب المجانين الأدباء.

أحمد بن محمد، بن بنت الشافعي

هو صحيح الخط، متقن الضبط، من أهل الأدب، يعتمد على خطه وضبطه، لا أعرف من خطه إلا ما رأيته بخطه، بكتاب تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، وقد ذكر عند خاتمته "وكتبه أحمد بن محمد، بن بنت الشافعي، وراق الجهشياري".

أحمد بن محمد، بن سليمان، بن بشار، الكاتب

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو أستاذ أبي عبد الله الكوفي الوزير، وكان أحد الأفاضل من الكتاب بلاغة، وفصاحة، وصناعة، وله كتاب الخراج نحو ألف ورقة، وكتاب الشراب والمنادمة.

أحمد بن محمد، المهلبي أبو العباس

كذا ذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه، وقال: هو مقيم بمصر ويعرف بالبرجاني وله من الكتب: كتاب شرح علل النحو، كتاب المختصر في النحو، وكان بمصر نحوي يعرف بالمهلبي، اسمه علي بن أحمد، وكان في هذا العصر. فإن كان هذا، فقد وهم النديم في اسمه، وإلا فهو غيره، والله أعلم، وقد كتبنا لذلك ترجمة في بابه.

أحمد بن محمد، بن نصر

الجيهاني أبو عبد الله، وزير نصر بن أحمد، بن نصر الساماني، صاحب خراسان، كان أديباً فاضلاً، ذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: له من الكتب كتاب آئين، كتاب العهود والخلفاء والأمراء، كتاب

المسالك والممالك، كتاب الزيادات في كتاب الناشئ من المقالات، ولأحمد بن أبي بكر الكاتب، يهجو أبا عبد الله الجيهاني:

أيا رب فرعون لما طغى ... وتاه وأبطره ما ملك

لطفت وأنت اللطيف الخبير ... فأقحمته اليم حتى هلك

فما بال هذا الذي لا أرا ... ه يسلك إلا الذي قد سلك

مصوناً على نائبات الدهو ... ر يدور بما يشتهيه الفلك

ألست على أخذه قادراً ... فخذه وقد خصل الملك لك

فقد قرب الأمر من أن يقا ... ل ذا الأمر بينهما مشترك

وإلا فلم صار يملي له ... وقد لج في غيه وانهمك

ولن يصفو الملك مادام ه ... ذا شريكاً وهل ثم شك

ذكر هذه الأبيات أبو الحسن، محمد بن سليمان، ابن محمد في كتاب فريد التاريخ، في أخبار خراسان، وقال فيه بعضهم يهجوه، قال: وأظنه اللحام:

لا لسان لا رواء ... لا بيان لا عبارهْ

لا ولا رد سلام ... منك إلا بالإشارهْ

أنا أهواك ولكن ... أين آثار الوزارهْ

قال: ثم مات السديد، منصور بن نوح، وقام مقامه الرضي أبو القاسم، نوح بن منصور، والجيهاني على وزارته، ثم صرفت عنه الوزارة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وثلاثمائة، ووليها أبو الحسين عبد الله بن أحمد العتبي.

أحمد بن محمد، بن يزداد، بن رستم

أبو جعفر النحوي الطبري، سكن بغداد، قال الخطيب: وحدث بها عن نصير بن يوسف، وهاشم بن عبد العزيز، صاحبي علي بن حمزة الكسائي، روى بإسناده قال: قال عبد الله بن مسعود: إني قد سمعت القراء، فوجدتهم متقاربين، فاقرءوا كما علمتم، فإنما هو كقول أحدكم هلم، وتعال. قال عمر بن محمد، بن سيف الكاتب: سمعت من ابن رستم، في سنة أربع وثلاثمائة. قال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب: كتاب غريب القرآن، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب صورة الهمز،

كتاب التصريف، كتاب النحو، وقرأت في كتاب الغاية، لأبي بكر بن مهران النيسابوري في القراءات: قرأت على أبي عيسى، بكار بن أحمد المقرئ قال: قرأت على أبي جعفر، أحمد بن محمد، بن رستم الطراني، وكان مؤدباً في دار الوزير بن الفرات، ووصلنا إليه بالحيل والشفعاء، وكان بصيراً بالعربية، حاذقاً في النحو، أخذ القراءات عن نصير بن يوسف، أبي المنذر النحوي، صاحب الكسائي، وأخذ نصير عن الكسائي.

أحمد بن محمد، بن عبد الله، بن صالح

ابن شيخ بن عمير، أبو الحسن، أحد أصحاب أبي العباس ثعلب، ذكره المرزباني في كتاب المقتبس، وقال ابن بشران في تاريخه: في سنة عشرين وثلاثمائة، مات أبو بكر بن أبي شيخ ببغداد، وكان محدثاً أخبارياً، وله مصنفات، ولا أدري أهو هذا، أم غيره؟ فإن الزمان واحد، وكلاهما أخباري، والله أعلم، ولعل ابن بشران غلط في جعله ابن أبي شيخ، أو جعله أبا بكر، والله أعلم.

حدث المرزباني، عن عبد الله بن يحيى العسكري، قال: أنشدني أبو الحسن، أحمد بن محمد، بن صالح، بن شيخ ابن عمير الأسدي لنفسه، وكتب بها إلى بعض إخوانه:

كنت يا سيدي على التطفيل ... أمس لولا مخافة التثقيل

وتذكرت دهشة القارع البا ... ب إذا ما أتى بغير رسول

وتخوفت أن أكون على القو ... م ثقيلاً فقدت كل ثقيل

لو تراني وقد وقفت أروي ... في دخول إليك أو في قفول

لرأيت العذراء حين تحايا ... وهي من شهوة على التعجيل

وحدث عن عمر بن بنان النماطي، عن أبي الحسن الأسدي قال: تركت النبيذ، وأخبرت أبا العباس ثعلباً بتركي إياه، ثم لقيت محمد بن عبد الله، بن طاهر، فسقاني فمررت على ثعلب، وهو جالس على باب مترله عشياً، فلما رآني أتكفأ في مشيتي، علم أني شارب، فقام ليدخل إلى مترله، ثم وقف على بابه، فلما حاذيته وسلمت عليه، أنشأ يقول:

فتكت من بعد ما نسكت وصا ... حبت ابن سهلان صاحب القسط

إن كنت أحدثت زلة غلطاً ... فالله يعفو عن زلة الغلط

قال عمر: فسألت ثعلباً عن ابن سهلان صاحب القسط، فقال: أهل الطائف يسمون الخمار صاحب القسط.

وحدث عن الصولي قال: انشدني أبو الحسن، أحمد بن محمد الأنباري لنفسه، في قصيدته المزدوجة، التي تمم بها قصيدة علي بن الجهم، التي ذكر فيها الخلفاء إلى زمانه:

ثم تولى المستعين بعده فحاز بيت ماله وجنده

ثم أتى بغداد في محرم إحدى وخمسين برأي مبرم

وذكر قطعة من أخباره، ثم قال:

وثبتت خلافة المعتز ولم يشب أمروه بعجز

وذكر طرفاً من أموره، ثم قال:

وقلدوا محمد بن الواثق في رجب من غير أمر عائق

وقال أيضاً:

المهتدي بالله دون الناس جاء به الرحمن بعد الياس

ثم قال بعد أبيات:

وقام بالأمر الإمام المعتمد إمام صدق في صلاح مجتهد

وساق قطعة من سيرته.

أحمد بن محمد، جراب الدولة

هو أحمد بن محمد، بن علويهْ، من أهل سجستان، ويكنى أبا العباس، وكان طنبورياً أحد الظرفاء الطياب، كان في أيام المقتدر، وأدرك دولة بني بويه، فلذلك سمى نفسه بجراب الدولة، لأنهم كانوا يفتخرون بالتسمية في الدولة، وكان يلقب بالريح أيضاً، وله: كتاب ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح، لم يصنف في فنه مثله اشتمالاً على فنون الهزل والمضاحك.

أحمد بن محمد، بن إسحاق،

بن إبراهيم، الهمذاني أبو عبد الله، يعرف بابن الفقيه، أحد أهل الأدب، ذكره محمد بن إسحاق في كتابه، الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة قال: وله كتاب البلدان نحو ألف ورقة، أخذه من كتب الناس، وسلخ كتاب الجيهاني، وكتاب ذكر الشعراء المحدثين، والبلغاء منهم والمفحمين.
وقال شيرويه: محمد بن إسحاق، بن إبراهيم، الفقيه أبو أحمد، والد أبي عبيد الأخباري، روى عن إبراهيم بن حميد البصري وغيره، وروى عنه ابنه أبو عبد الله، وقال شيرويه: أحمد بن أحمد، بن محمد، بن

إسحاق، بن إبراهيم الأخباري، أبو عبد الله، يعرف بابن الفقيه، ويلقب بحالان، صاحب كتاب البلدان، روى عن أبيه، وإبراهيم بن الحسين، بن ديزيل، ومحمد بن أيوب الرازي، وأبي عبد الله الحسين، بن أبي السرح الأخباري، وذكر جماعة قال: وروى عنه أبو بكر بن بلال، وأبو بكر بن روزنة، و لم يذكر وفاته.

أحمد بن محمد، بن الوليد،

بن محمد، يعرف بولاد من أهل بيت علم، ولأبيه وجده ذكر في هذا الكتاب، وتراجم في مواضعها، وكنية أحمد هذا، أبو العباس. مات فيما ذكره الزبيدي في كتابه سنة اثنتين وثلاثمائة، قال: وكان بصيراً بالنحو، ساداً فيه، ورحل إلى بغداد من موطنه مصر، ولقي إبراهيم الزجاج وغيره، وكان الزجاج يفضله، ويقدمه على أبي جعفر النحاس، وكانا جميعاً تلميذيه، وكان الزجاج لايزال يثني عليه عند كل من قدم إلى بغداد من مصر، ويقول لهم: لي عندكم تلميذ من حاله وصفته كذا، فيقال له: أبو جعفر النحاس، فيقول: بل أبو العباس بن ولاد. قال: وجمع بعض ملوك مصر بين ابن ولاد، وابن النحاس، وأمرهما بالمناظرة، فقال ابن النحاس لابن ولاد: كيف تبني مثال أفعلوت من رميت، فقال ابن ولاد: أقول ارمييت، فخطأه أبو جعفر، وقال: ليس في كلام العرب افعلوت، ولا افعليت، فقال أبو العباس: إنما سألتني أن أمثل لك بناء ففعلت، وإنما تعقله أبو جعفر بذلك.

قال الزبيدي: ولقد أحسن في قياسه، حين قلب الواو ياء، وقد كان أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش: يبني من الأمثلة، ما لا مثال له في كلام العرب، وله كتاب المقصور والممدود، وكتاب الانتصار لسيبويه، فيما ذكره المبرد.

أحمد بن محمد، البشتي الخارزنجي

قال السمعاني: خارزنج قرية بنواحي نيسابور، بناحية بشت، والمشهور من هذه القرية: أبو حامد، أحمد بن محمد الخارزنجي، إمام أهل الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة، فإن فضلاء عصره شهدوا له، لما حج بعد الثلاثين وثلاثمائة، وشهد له أبو عمر الزاهد، صاحب ثعلب، ومشايخ العراق بالتقدم، وكتابه المعروف بالتكملة، البرهان في تقدمه وفضله، ولما دخل بغداد، تعجب أهلها من تقدمه في معرفة اللغة، فقيل: هذا الخراساني لم يدخل البادية قط، وهو من آدب الناس، فقال: أنا بين عربين: بشت، وطوس. سمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي، وحدث، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، ومات في رجب سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وهذا كله نقله السمعاني من كتاب الحاكم أبي عبد الله.

قال الأزهري: وممن ألف وجمع من الخراسانيين في زماننا هذا فصحف، وأكثر فغير، رجلان: أحدهما

يسمى أحمد بن محمد البشتي، ويعرف بالخارزنجي، والآخر أبو الأزهر البخاري، فأما الخارزنجي، فإنه ألف كتاباً سماه التكملة، أراد أنه كمل كتاب العين، المنسوب إلى الخليل بن أ؛مد بكتابه، وأما البخاري: فإنه سمى كتابه الحصائل، فأعاره هذا الاسم، لأنه أراد تحصيل ما أغفله الخليل، ونظرت في أول كتاب البشتي، فرأيته أثبت في صدره الكتب المؤلفة، التي استخرج كتابه منها، وعدد كتباً. قال الخارزنجي: استخرجت ما وضعت في كتابي هذا من الكتب المذكورة. قال: ولعل بعض الناس يبتغي العيب بتهجينه والقدح فيه، لأني أسندت ما فيه إلى هؤلاء العلماء من غير سماع، وإنما إخباري عن صحفهم، كإخباري عنهم، ولا يزرى ذلك على من عرف الغث من السمين، وميز بين الصحيح والسقيم، وقد فعل مثل ذلك أبو تراب، صاحب كتاب الاعتقاب، فإنه روى عن الخليل بن أحمد، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي، وبينه وبين هؤلاء فترة، وكذلك العتبي روى عن سيبويه، والأصمعي، وأبي عمرو، وهو لم ير منهم أحداً، قال المؤلف: ورد عليه الأزهري في هذا الفصل، بما يطول على كتبه، وله من الكتب: كتاب التكملة، كتاب التفصلة، كتاب تفسير أبيات أدب الكاتب.

أحمد بن محمد، بن إسحاق، بن أبي خميصة

يعرف بالحرمي بن أبي العلاء، أبو عبد الله، من أهل مكة، سكن بغداد، ذكره الخطيب فقال: مات سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وكان كاتب أبي عمر محمد بن يوسف القاضي، وحدث عن الزبير بكتاب النسب وغيره. وحدث عنه أبو حفص بن شاهين، وأبو عمر بن حيوية، وأكثر عنه أبو الفرج، علي بن الحسين الأصبهاني وغيره.

أحمد بن محمد، بن موسى، بن العباس، أبو محمد

ذكره ابن الجوزي في المنتظم، وقال: كان معتنياً بأمر الأخبار، وطلب التواريخ، وولي حسبة سوق الرقيق، وكتب عنه، ومات في محرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد، بن عبد الله الزردي

اللغوي، العلامة النيسابوري، أبو عمر الزردي، من قرى إسفرايين، من رساتيق نيسابور، ذكره الحاكم، وقال: مات أبو عمرو الزردي في شعبان، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، قال: وكان واحداً في هذه الديار في عصره، بلاغة وبراعة، وتقدماً في معرفة أصول الأدب، وكان رجلاً ضعيف البنية مسقاماً، يركب حماراً ضعيفاً، ثم إذ تكلم، تحير العلماء في براعته، سمع الحديث الكثير من أبي عبد الله محمد ابن المسيب الأرغياني، وأبي عوانة يعقوب بن إسحاق، وأقرانهما.

قال الحاكم: سمعت الأستاذ أبا عمرو الزردي في مترلنا يقول: إن الله إذا فوض سياسة خلقه، إلى واحد

يخصه لها منهم، وفقه لسداد السيرة، وأعانه بإلهامه، من حيث رحمته تسع كل شيء، ولمثل ذلك، كان يقول ابن المقفع: تفقدوا كلام ملوككم، إذ هم موفقون للحكمة، ميسرون للإجابة، فإن لم تحظ به عقولكم في الحال، فإن تحت كلامهم حيات فواغر، وبدائع جواهر، وكان بعضهم يقول: ليس لكلام سبيل أولى من قبول ذلك، فإن ألسنتهم ميازيب الحكمة والإصابة. قال: وسمعت أبا عمر الزردي يقول: العلم علمان: علم مسموع، وعلم ممنوح.

أحمد بن محمد، بن عبد ربه،

بن حبيب، بن حدير ابن سالم، مولى هشام بن عبد الرحمن، بن معاوية، ابن هشام، بن عبد الملك، بن مروان، كنيته أبو عمر، ذكره الحميدي، وقال: إنه مات في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة ست وأربعين ومائتين. عن إحدى وثمانين سنة، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، وهو من أهل بلاد الأندلس، قال الحميدي: وأبو عمر من أهل العلم، والأدب، والشعر، وهو صاحب كتاب العقد في الأخبار، مقسم على عدة فنون، وسمى كل باب منه على نظم العقد، كالواسطة، والزبرجدة، والياقوتة، والزمردة، وما أشبه ذلك، وبلغني أن الصاحب بن عباد، سمع بكتاب العقد، فحرص حتى حصل عنده، فلما تأمله، قال: "هذه بضاعتها ردت إلينا"، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا،لا حاجة لنا فيه، فرده. قال الحميدي: وشعره كثير مجموع، رأيت منه نيفاً وعشرين جزءاً، من جملة ما جمع للحكم بن عبد الله الملقب بالناصر الأموي سلطان العرب، وبعضها بخطه. قال: وكانت لأبي عمر بالعلم جلالة، وبالأدب رياسة وشهرة، مع ديانته وصيانته، واتفقت له أيام وولايات للعلم، فيها نفاق، فتسود بعد المول، وأثرى بعد فقر، وأشير بالتفضيل إليه، إلا أنه غلب عليه الشعر، ومن شعره وكان بعض من تألفه قد أزمع لعى الرحيل في غداة عينها، فأتت السماء في تلك الغداة بمطر جود، منعته من الرحيل، فكتب إليه أبو عمر ابن عبد ربه:

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر ... هيهات يأبى عليك الله والقدر
مازلت أبكي حذار البين ملتهفاً ... حتى رثا لي فيك الريح والمطر
يا برده من حيا مزن على كبد ... نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت ألا أرى شمساً ولا قمراً ... حتى أراك فأنت الشمس والقمر

ومن شعره السائر:

الجسم في بلد والروح في بلد ... يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد

إن تبك عيناك لي يا من كلفت به		من رحمة فهما سهمان في كبد

قال: ووقف ابن عبد ربه تحت روشن لبعض الرؤساء، قد رش بماء وكان فيه غناء حسن، و لم يعرف لمن هو؟ فقال:

يا من يضن بصوت الطائر الغرد		ما كنت أحسب هذا البخل في أحد
لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة		أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعي تقلده		صوتاً يجول مجال الروح في الجسد
لو كان زرياب حيا ثم أسمعه		لذاب من حسد أو مات من كمد
أما النبيذ: فإني لست أشربه		ولست آتيك إلا كسرتي بيدي

وزرياب عندهم، يجري مجرى إسحاق بن إبراهيم الموصلي في صنعة الغناء ومعرفته، وله أصوات مدونة، ألفت الكتب فيها، وضربت به الأمثال. قال: ولأبي عمر أيضاً أشعار كثيرة، سماها الممحصات، وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل، بقطعة في المواعظ والزهد، وأرى أن من ذلك قوله:

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة		إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع		عليها و لا اللذات إلا مصائب
وكم أسخنت بالأمس عيناً قريرة		وقرت عيون دمعها الآن ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة		على ذاهب منها فإنك ذاهب

ومن شعره، وهو آخر شعر قاله فيما قيل:

بليت و أبلتني الليالي بكرها		وصرفان للأيام معتوران
ومالي لا أبكي لسبعين حجة		وعشر أتت من بعدها سنتان

وقد أجاز لي رواية كتابه الموسوم بالعقد، الحافظ ذو النسبين، بين دحية والحسين، أبو الخطاب عمر بن الحسين، المعروف بابن دحية المغربي السبتي، فإنه رواه عن شيخه أبي محمد عبد الحق، بن عبد الملك، بن ثوبة العبدي، عن شيخه أبي عبد الله، محمد بن معمر، عن شيخه أبي بكر، محمد بن هشام المصحفي عن أبيه، عن زكريا بن بكير، بن الأشبح، عن المصنف. وقسم كتاب العقد على خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب منها جزءان، فذلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد، فأولها: كتاب اللؤلؤة في السلطان، ثم كتاب الفريدة في الحروب، ثم كتاب الزبرجدة في الأجواد،

ثم كتاب الجمانة في الوفود، ثم كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك، ثم كتاب الياقوتة في العلم والأدب، ثم كتاب الجوهرة في الأمثال، ثم كتاب الزمردة في المواعظ، ثم كتاب الدرة في التعازي والمراثي، ثم كتاب اليتيمة في الأنساب، ثم كتاب العسجدة في كلام الأعراب، ثم كتاب المجنبة في الأجوبة، ثم كتاب الواسطة في الخطب، ثم كتاب المجنبة الثانية، في التوقيعات، والفصول، والصدور، وأخبار الكتبة، ثم كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وأيامهم، ثم اليتيمة الثانية في أخبار زياد، والحجاج، والطالبيين، والبرامكة، ثم الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم، ثم الزمردة الثانية في فضائل الشعر، ومقاطعه ومخارجه، ثم الجوهرة الثانية في أعرايض الشعر، وعلل القوافي، ثم الياقوتة الثانية في علم الألحان واختلاف الناس فيه، ثم المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن، ثم الجمانة الثانية في المتنبئين زالممرورين، والطفيليين، ثم الزبرجدة الثانية في التحف، والهدايا، والنتف، والفاكهات والملح، ثم الفريدة الثانية في الهيئات والبنائين، والطعام والشراب، ثم اللؤلؤة الثانية في طبائع الإنسان، وسائر الحيوان، وتفاضل البلدان، وهو آخر الكتاب: ومن شعر ابن عبد ربه:

ودعتني بزورة واعتناق ثم نادت متى يكوت التلاقي
وبدت لي فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب والأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفراق أقطع يوم ليتني مت قبل يوم الفراق

ومن شعره أيضاً:

يا ذا الذي خط الجمال بخده خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندي أن لحظك صارم حتى لبست بعارضيك حمائلا

قال: أخبرني بعض العلية: أن الخطيب أبا الوليد ابن عسال، حج، فلما انصرف، تطلع إلى لقاء المتنبئ واستشرف، ورأى أن لقيته فائدة يكتسبها، وحلة فخر لا يحتسبها، فصار إليه، فوجده في مسجد عمرو بن العاص، ففاوضه قليلاً ثم قال: ألا أنشدني لمليح الأندلس، يعني ابن عبد ربه فأنشده:

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقا ورشاً بتقطيع لاقلوب رفيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ورداً يعود من الجناء عقيقا
وإذا نظت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من ردفه ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فلما أكمل إنشاده، استعادها منه، ثم صفق بيديه. وقال: يا ابن عبد ربه، لقد يأتيك العراق حبواً. ثم إن ابن عبد ربه، أقلع في آخر عمره عن صبوته، وأخلص لله في توبته، فاعتبر أشعاره التي قالها في الغزل واللهو، وعمل على أعاريضها وقوافيها في الزهد، وسماها الممحصات، فمنها القطعة التي أولها: هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر محصها بقوله:

يا قادراً ليس يعفو حين يقتدر	ماذا الذي بعد شيب الرأس تنتظر؟
عاين بقلبك إن العين غافلة	عن الحقيقة واعلم أنها سقر
سوداء تزفر من غيظ إذا سعرت	للظالمين فما تبقي ولا تذر
لو لم يكن لك غير الموت موعظة	لكان فيه عن اللذات مزدجر
أنت المقول له ما قلت مبتدئاً	هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر

أحمد بن محمد، بن إسماعيل النحاس،

أبو جعفر من أهل مصر، رحل إلى بغداد، فأخذ عن المبرد، والأخفش علي بن سليمان، ونفطويه، والزجاج، وغيرهم. ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات بها، فيما ذكره أبو بكر الزبيدي في كتابه، في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

وأبو جعفر هذا: صاحب الفضل الشائع والعلم المتعارف الذائع، يستغني بشهرته، عن الإطناب في صفته. قال الزبيدي: ولم يكن له مشاهدة، فإذا خلا بعلمه جود وأحسن، وكان لا ينكر أن يسأل أهل النظر والفقه، ويفاتشهم عما أشكل عليه في تصانيفه. قال الزبيدي: فحدثني قاضي القضاة بالأندلس، وهو المنذر بن سعيد البلوطي قال: أتيت ابن النحاس في مجلسه بمصر، فألفيته يملي في أخبار الشعراء شعر قيس بن معاذ المجنون، حيث يقول:

خليلي هل بالشام عين حزينة	تبكي على نجد لعلي أعينها؟
قد اسلمها الباكون إلا جمامة	مطوقة باتت وبات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة	يكاد يدنيها من الأرض لينها

فقلت: يا ابا جعفر، ماذا – أعزك الله – باتا يصنعان؟ فقال لي: وكيف تقوله أنت يا أندلسي؟ فقلت: بانت وبان قرينها، فسكت، ومازال يستثقلني بعد ذلك، حتى منعني كتاب العين، وكنت ذهبت إلى الانتساخ من نسخته، فلما قطع بي، قيل انتسخ من أبي العباس ابن ولاد، فقصدته، فلقيت رجلاً كامل العلم، حسن المروءة، وسألته الكتاب فأخرجه غلي، ثم تندم أبو جعفر لما بلغه إباحة ابن العباس الكتاب

لي، وعاد إلى ما كنت أعرفه منه.

قال: وكان أبو جعفر لئيم النفس، شديد التقتير على نفسه، وكان ربما وهبت له العمامة، فقطعها ثلاث عمائم، وكان يأبى شرى حوائجه بنفسه، ويتحامل فيها على أهل معرفته، وصنف كتباً حساناً مفيدة، منها كتاب الأنوار، كتاب الاشتقاق لأسماء الله عز وجل، كتاب معاني القرآن، كتاب اختلاف الكوفيين والبصريين سماه "المقنع"، كتاب أخبار الشعراء، كتاب أدب الكتاب، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب الكافي في النحو، كتاب صناعة الكتاب، كتاب إعراب القرآن، كتاب شرح السبع الطوال، كتاب شرح أبيات سيبويه، كتاب الاشتقاق، كتاب معاني الشعر، كتاب التفاحة في النحو، كتاب أدب الملوك.

وسمعت من يحكي: أن تصانيفه تزيد على الخمسين مصنفاً، وقد ذكر أبو عبد الله الحميدي: القاضي المذكور في قصة ابن النحاس، وقال: هو أبو الحكم، المنذر ابن سعيد، يعرف بالبلوطي، ينسب إلى موضع هناك قريب من قرطبة، يقال له فحص البلوط، ولي قضاء الجماعة بقرطبة، في حياة الحكم المستنصر، وذكر له قصة استحسنتها فأثبتها ههنا، إذ لم أجعل له ترجمة، لأنه لم يذكره بالتصنيف في الأدب، فقال: كان الحكم المستنصر مشغوفاً بأبي علي القالي، يؤهله لكل مهمة في بابه، فلما ورد رسول ملك الروم، أمره عند دخول الرسول إلى الحضرة أن يقوم خطيباً، بما كانت العادة جارية به، فلما كان في ذلك الوقت، وشاهد أبو علي الجمع، وعاين الحفل، جبن ولم تحمله رجلاه، ولا ساعده لسانه، ففطن له أبو الحكم، منذر بن سعيد القاضي، فوثب وقام مقامه، وارتجل خطبة بليغة على غير أهبة، وأنشد لنفسه في آخرها:

هذا المقال الذي ما عابه فند ... لكن صاحبه أزرى به البلد

لو كنت فيهم غريباً كنت مطرفاً ... لكنني منهم فاغتالني النكد

لولا الخلافة أبقى الله بهجتها ... ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد

واتفق الجمع على استحسانه، وجمال استدراكه، وصلب العلج وقال: هذا كبش رجال الدولة، ثم ذكر قصته مع ابن النحاس بعينها.

أحمد بن محمد بن حمادة أبو الحسن الكاتب

حسن الأدب، من أفاضل الكتاب، صنف الكتب ولقي الأدباء، وله كتاب امتحان الكتاب، وديوان ذوي الألباب، كتاب شحذ الفطنة، كتاب الرسائل، ذكر ذلك محمد بن إسحاق.

أحمد بن محمد، بن عبد الله، بن هارون

أبو الحسين، أظنه من عسكر مكرم، لأنه اعتنى بشرح مختصر محمد بن علي، بن غسماعيل المبرمان، ثم قرأت في بعض المجموعات:

تقدم رجلان إلى القاضي أبي أحمد بن أبي علان، - رحمه الله -، فادعى أحدهما على الآخر شيئاً، فقال المدعي عليه: ماله عندي حق، فقال القاضي: من هذا؟ فقالوا: ابن هارون النحوي العسكري، فقال القاضي: فاعطه ما أقررت له به. له شرح كتاب التلقين، رأيته وسماه البارع، وكتاب شرح العيون، وكتاب شرح المجاري، رأيت كتاب شرح التلقين بخطه، وقد كتبه في رجب، سنة تسع وستين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد، بن ميمون

بن أحمد، بن نصر، بن ميمون ابن مروان بن الأسلمي، الكفيف النحوي أبو عمرو، قال ابن الفرضي: هو من أهل قرطبة، ويقال له اشكابة. سمع من قاسم بن أصبغ، ومحمد بن محمد الخشني وغيرهما، وكان صالحاً عفيفاً، أدب عند الرؤساء والجلة من الملوك، ومات لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال، سنة تسعين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد،العروضي

بن أحمد أبو الحسن، العروضي معلم أولاد الراضي بالله، وجدت على كتابه في العروض بخطه، وقد قرئ عليه في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. وكان إماماً في علم العروض، حتى قال ابو علي الفارسي في بعض كتبه، وقد احتاج إلى الاستشهاد ببيت قد تكلم عليه في التقطيع: "وقد كفانا أبو الحسن العروضي الكلام في هذا الباب" ولقي أبو الحسن ثعلباً وأخذ عنه، وروى أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني: نقلت من كتاب ألفه أبو القاسم عبيد الله بن جرو الأسدي في العروض، وكان الكتاب بخط أبي الحسن السمسماني يقول فيه: وكان أبو الحسن علي بن أحمد العروضي، عمل كتاباً كبيراً، وحشاه بما قد ذكر أكثره، ونقل كلام أبي إسحاق الزجاج، وزاد فيه شيئاً قليلاً، وضم إليه باباً في علم القوافي، وذاك علم مفرد مثل علم العروض، وفيه مسائل لطيفة، واختلاف كثير، يحتاج إلى كشف واستقصاء نظر، ولم أره كبير عمل، ولو نسخ كتاب أبي الحسن الأخفش في القوافي، لكان أعذر عندي، ثم ضم إليه باباً في استخراج المعمي، وهذا لا يتعلق بالعروض، وضم إليه باباً في الإيقاع ونسبه، وغيره به أحذق، وختمه بقصيدة في العروض، ولم يفد بها غير التكرير، وكان ينبغي أن يوفي صناعته حقها، ولا يخل بشيء منها، ثم يتعرض لما قد ضمه إليها.

أحمد بن محمد التاريخي،

الرعيني بالأندلس الحميدي: عالم بالأخبار، ألف في مآثر المغرب كتباً جمة، منها: كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها، وأمهات مدنها وأجنادها الستة، وخواص كل بلد منها، ذكره ابن جرير وأثنى عليه.

أحمد بن محمد، بن موسى بن، بشير بن، جناد

ابن لقيط، الرازي الأندلسي، أصله من الري، ذكره أبو نصر الحميدي قال: له كتاب في أخبار ملوك الأندلس وكتابهم وخططها، على نحو كتاب أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد، وكتاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس، في خمس مجلدات ضخم، من أحسن كتاب وأوسعه، كتاب تاريخه الأوسط، كتاب تاريخه الأصغر، كتاب مشاهير أهل الأندلس، في خمسة أسفار، من جيد كتبه.

وقال ابن الفرضي: أصله رازي، قدم أبوه على الإمام محمد، وكان أبوه من أهل اللسن والخطابة، وولد أحمد هذا بالأندلس، يوم الاثنين عاشر ذي الحجة، سنة أربع وسبعين ومائتين، ومات لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد، بن فرج، الجياني الأندلسي

أبو عمرو وقد ينسب إلى جده، فيقال: أحمد بن فرج، وكذلك أخوه، وهو وافر الأدب، كثير الشعر، معدود في العلماء والشعراء، وله الكتاب المعروف بكتاب الحدائق، ألفه للحكم المستنصر، عارض فيه كتاب الزهرة لابن داود الأصبهاني، إلا أن ابن داود، ذكر مائة باب، في كل باب مائة بيت، وأبو عمرو ذكر مائتي باب، في كل باب مائة بيت، ليس منها باب يكرر اسمه لأبي بكر، ولم يورد فيه لغير الأندلسيين شيئاً، وأحسن الاختيار ما شاء.

وله أيضاً كتاب المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم، وكان الحكم قد سجنه لأمر نقمه عليه، قال الحميدي: وأظنه مات في سجنه، وله في السجن أشعار كثيرة مشهورة.

أحمد بن محمد، بن سعيد، بن عبيد الله

ابن أحمد، بن سعيد، بن أبي مريم، أبو بكر القرشي الوراق، وراق أبي الحسن، أحمد بن عمير، بن جوصي، الحافظ الدمشقي، ويعرف بابن فطيس.

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ومات في شوال سنة خمسين وثلاثمائة، ومولده في رمضان، سنة إحدى وسبعين ومائتين، أو اثنتين وسبعين ومائتين، وهو صاحب الخط الحسن المشهور، مولى جويرية بنت أبي سفيان، روى الحديث عن جماعة من أهل الشام، قال ابن عساكر: وقد ذكره عبد العزيز الكناني وقال:

كان ثقة مأموناً، يورق للناس بدمشق، له خط حسن.

قال المؤلف: وإنما ذكرناه، لما اشترطنا في أول الكتاب، من ذكر أرباب الخطوط المنسوبة، فذكرناه لما وصفه به ابن عساكر من جودة الخط، وأما أنا، فلم أر من خطه شيئاً.

أحمد بن محمد، بن الفضل،

بن جعفر، بن محمد ابن الجراح، أبو بكر الخزاز، سمع أبا بكر ابن دريد، وأبا بكر بن السراج، وأبا بكر بن الأنباري، وروى كثيراً من مصنفاتهم، ومات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وكان ثقة حسن الأدب والخط، والإتقان، والضبط، فاضلاً أديباً، كثير الكتب، حسن الحال، ظاهر الثروة، روى عنه القاضي أبو العلاء الواسطي، والصيمري، والتنوخي، وأبو الحسين هلال بن المحسن، وأولاد الصابئ كلهم كثيراً من كتب الأدب، متصلة الرواية إلى الآن، وقد روى شيخنا تاج الدين أبو اليمن من طريقه عدة كتب أدبية.

قال أبو القاسم التنوخي: سمعت ابن الجراح يقول: كتبي بعشرة آلاف درهم، ووابي بعشرة آلافدرهم.

وسلاحي بعشرة آلاف درهم قال التنوخي: وكان أحد الفرسان، يلبس أداته، ويركب فرسه، ويخرج إلى الميدان، ويطارد الفرسان.

أحمد بن محمد، بن أحمد،الأصبهاني المقرئ"

بن الحسين، بن سعيد، "أبو علي الأصبهاني المقرئ" سكن دمشق، وصنف تصانيف في القراءات، وقرأ القرآن على أبي القاسم، زيد بن علي، بن أحمد، بن أبي بلال الكوفي، وأبي بكر النقاش، وأبي العباس بن الحسن ابن سعد الفاسي، وأبي عبد الله، صالح بن مسلم، بن عبيد الله، بن المقرئ، وأبي الفتح، المظفر بن أحمد، بن إبراهيم، بن برهان. وسمع بدمشق أبا محمد عبد الله بن عطية، وعبد الوهاب بن الحسن الكلابي، والحسين بن علي، وأبا القاسم بن الفرات، وأبا نصر بن الجبان. ومات سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، بدمشق في شهر ربيع الآخر، وكان لجنازته مشهد عظيم.

أحمد بن محمد، بن هاشم،

بن خلف، ابن عمرو بن سعيد ابن عثمان، بن سلمان، بن سليمان، القيسي القرطبي الأعرج، يكنى أبا عمر، سمع محمد بن عمر بن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، ومال إلى النحو وغلب عليه، وأدب به، وكان وقوراً مهيباً، لا يقدم عليه، ولا عنده هزل، وكان يلقب بالقاضي لوقاره. مات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة. قال ابن الفرضي: ذكره محمد ابن حسن.

أحمد بن محمد، بن جعفر، بن ثوابة

يكنى أبا عبد الله، أحد البلغاء الفهماء، وأرباب الاتساع في علم البلاغة، ولي ديوان الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر، في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، في أيام المقتدر، ولم يزل على ديوان الرسائل، إلى أن مات وهو متوليه، في أيام معز الدولة، في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فولي ديوان الرسائل بعده، أبو إسحاق الصابئ، حدث أبو الحسين، علي بن هشام الكاتب قال: سمعت الوزير أبا الحسن، علي بن عيسى، يقول لأبي عبد الله، أحمد بن محمد، بن محمد، بن جعفر، بن ثوابة، ما قال: "أما بعد" فما أحد، على وجه الأرض أكتب من جدك، وكان أبوك أكتب منه، وأنت أكتب من أبيك، قال أبو علي المحسن التنوخي: وقد رأيت أنا أبا عبد الله هذا في سنة تسع وأربعمائة، وإليه ديوان الرسائل، وكان نهاية في حسن الكلام والكتبة.

أحمد بن محمد، بن الفضل، الأهوازي

يعرف بابن كثير، صاحب بلاغة وفضل، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب مناقب الكتاب.

أحمد بن محمد، الأفريقي المعروف بالمتيم

أبو الحسن، أحد الأدباء، الفضلاء، الشعراء، له من التصانيف: كتاب الشعراء الندماء، كتاب الانتصار المنبئ عن فضل المتنبئ، وغير ذلك، وله ديوان شعر كبير، قال الثعالبي: رأيته ببخارى شيخاً رث الهيئة، تلوح عليه سيماء الحرفة، وكان يتطبب ويتنجم، فأما صناعته التي يعتمد عليها، فالشعر. ومما أنشدني لنفسه:

وفتية أدباء ما علمتهم ... شبهتهم بنجوم الليل إذ نجموا
فروا إلى الراح من خطب يلم بهم ... فما درت نوب الأيام أين هم؟

قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:

تلوم على تركي الصلاة حليلتي ... فقلت أعزبي عن ناظري أنت طالق
فوالله لا صليت لله مفلساً ... يصلي له الشيخ الجليل وفائق
لماذا أصلي أين مالي ومنزلي ... وأين خيولي والحلي والمناطق
أصلي ولا فتر من الأرض يحتوي ... عليه يميني إنني لمنافق؟
بلى إن على الله وسع لم أزل ... أصلي له ما لاح في الجو بارق

وله في تركي:

قلبي أسير في يدي مقلة تركية ضاق لها صدري

كأنها من ضيقها عروة ليس لها زر سوى السحر

أحمد بن محمد، بن إبراهيم، بن الخطاب

الخطابي أبو سليمان، من ولد زيد بن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب، كذا ذكر أبو عبيد الهروي، وكان تلميذه، وأبو منصور الثعالبي، وكان صديقه. مات الخطابي فيما ذكره عبد الرحمن بن عبد الجبار، الفامي الهروي، في تاريخ هراة من تصنيفه "وسماه حمداً" في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، ومولده في رجب، سنة تسع عشرة وثلاثمائة.

نقلت من خط أبي سعد السمعاني، قال: نقلت من خط الشيخ ابن عمر، توفي الإمام أبو سليمان الخطابي ببست في رباط على شاطئ هندمند، يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر، سنة ست وثمانين وثلاثمائة. وذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب المنتظم: أنه توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وهذا ليس بشيء. قال السمعاني: كان الخطابي حجة صدوقاً، رحل إلى العراق، والحجاز، وجال في خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر، وكان يتجر في ملكه الحلال، وينفق على الصلحاء من إخوانه، وقد ذكره الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر، وقال: كان يشبه في زماننا بأبي عبيد القاسم بن سلام. وذكره الحافظ أبو طاهر، أحمد بن محمد، بن أحمد السلفي، في شرح مقدمة كتاب معالم السنن له،فقال: وذكر الجم الغفير، والعدد الكثير، أن اسمه حمد، وهو الصواب، وعليه الاعتماد. قال المؤلف: وإنما ذكرته أنا في هذا الباب، لأن الثعالبي، وأبا عبيد الهروي، وكانا معاصريه وتلميذيه، سمياه أحمد، وقد سماه الحاكم بن البيع في كتاب نيسابور حمداً، وجعله في باب من اسمه حمد، وذكر أبو سعد السمعاني في كتاب مرو: سئل أبو سليمان عن اسمه فقال: اسمي الذي سميت به حمد، لكن الناس كتبوه أحمد، فتركته عليه. قال: ورثاه أبو بكر عبد الله بن إبراهيم الحنبلي ببست في شعر،فسماه حمداً فقال:

وقد كان حمداً كاسمه حمد الورى شمائل فيها للثناء ممادح

خلائق ما فيها معاب لعائب إذا ذكرت يوماً فهن مدائح

تغمده الله الكريم بعفوه ورحمته والله عاف وصافح

لازال ريحان الإله وروحه قرى روحه ما حن في الأيك صادح

قال: وأخذ العلم عن كثير من أهله، ورحل في طلب الحديث، وطوف وألف في فنون من العلم وصنف. وأخذ الفقه عن أبي بكر القفال الشاشي، وأبي علي بن أبي هريرة، ونظرائهما من فقهاء أصحاب الشافعي.

ومن تصانيفه: كتاب معالم السنن، في شرح كتاب السنن لأبي داود، كتاب غريب الحديث، ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد، ولا بان قتيبة في كتابيهما، وهو كتاب ممتع مفيد، رواه عنه أبو الحسين عبد الغافر بن محمد، بن عبد الغافر، الفارسي ثم النيسابوري. كتاب تفسير أسامي الرب عز وجل، شرح الأدعية المأثورة، كتاب شرح البخاري. كتاب العزلة. كتاب إصلاح الغلط. كتاب العروس. كتاب أعلام الحديث. كتاب الغنية عن الكلام. كتاب شرح دعوات لأبي خزيمة. ومن شيوخ الخطابي في الأدب وغيره: إسماعيل الصغر، وأبو عمر الزاهد، وأبو العباس الأصم، وأحمد بن سليمان النجار، وأبو عمرو السماك، ومكرم القاضي، وجعفر الخلدي، كل هؤلاء بغداديون، سوى الأصم، فإنه نيسابوري، وبها كتب عنهم عالي الإسناد جداً، وروى عنه خلق: منهم عبد بن أحمد، ابن غفير الهروي، وأبو مسعود الحسن بن محمد الكرابيسي البستي، روى عنه ببست، وأبو بكر محمد ابن الحسن المقرئ، روى عنه بغزنة، وأبو الحسن علي ابن الحسن، الفقيه السجزي، روى عنه بسجستان، وأبو عبد الله محمد بن علي، بن عبد الله الفسوي، روى عنه بفارس، وآخرون.

وقد روى عنه الإمام الفقيه، أبو حامد الإسفراييني، فقيه العراق، والحاكم أبو عبد الله، محمد بن البيع النيسابوري، روى عنه بخراسان وقد حدث عنه أبو عبيد الهروي في كتاب الغريبين. وأنشد أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، لأبي سليمان الخطابي في اليتيمة أشعاراً منها:

وما غربة الإنسان في شقة النوى ... ولكنها والله في عدم الشكل

وإني غريب بين بست وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

ولأبي منصور الثعالبي في الخطاب شعر منه:

أبا سليمان سر في الأرض أو أقم ... فأنت عندي دنا مثواك أو شطنا

ما أنت غيري، فأخشى أن تفارقني ... فديت روحك بل روحي، فأنت أنا

نقلت من خط أبي سعد السمعاني: أنبأنا إسماعيل ابن أحمد الحافظ، أنبأنا أبو القاسم سعد بن علي، بن محمد الريحاني أدباً، أنبأنا أبو سعد الخليل، بن محمد الخطيب، قال: كنت مع أبي سليمان الخطابي، فرأى طائراً على شجرة، فوقف ساعة يستمع، ثم أنشأ يقول:

يا ليتني كنت ذاك الطائر الغردا ... من البرية منحازاً ومنفردا

في غصن بان دهته الريح تخفضه ... طوراً وترفعه أفنانه صعدا

خلو الهموم سوى حب تلمسه ... في الترب أو نفية يروى بها كبدا

ما إن يؤرقه فكر لرزق غد ... ولا عليه حساب في المعاد غدا

طوباك من طائر طوباك ويحك طب ... من كان مثلك في الدنيا فقد سعدا

وحدث أبو بكر محمد بن علي، بن الحسن، بن الراغوثي اللغوي، فيما ذكره السلفي قال: أنشدني أبو منصور الثعالبي بنيسابور للخطابي، يقوله في الثعالبي:

قلبي رهين بنيسابور عند أخ ... ما مثله حين تستقري البلاد أخ

له صحائف أخلاق مهذبة ... منها التقى، والنهى، والحلم ينتسخ

قال أبو طاهر السلفي: وقلت أنا فيه في سنة خمسين وخمسمائة، لشغفي بتآليفه، ورغبتي في تحصيل تصانيفه.

ظن هذا الخطاء في الخطابي ... شيخ أهل العلوم والآداب

من على كتبه اعتماد ذوي الفض ... ل ومن قوله كفصل الخطاب

أن يحوز الفردوس إذ أتعب لانف ... س لذي العرش غاية الإتعاب

وتعنى في الأخذ جداً وفي التص ... نيف من بعد رغبة في الثواب

نضر الله وجهه من إمام ... ألمعي أتى بكل صواب

ولعمري قد فاز بالروح والري ... حان من غير شبهة وارتياب

هو قد كان شمس متبعي الشر ... ع على الزائفين سوط عذاب

وللسلفي فيه أشعار غير هذا، في نهاية الضعف والسقط كما ترى. ومن شعره في اليتيمة:

وليس اغترابي عن سجستان أنني ... عدمت بها الإخوان والدار والأهلا

ولكنني مالي بها من مشاكل ... وإن الغريب الفرد من يعدم الشكلا

وله:

شر السباع العوادي دونه وزر ... والناس شرهم ما دونه وزر

كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع ... وما ترى بشراً لم يؤذه بشر

ومنه أيضاً:

ما دمت حياً فدار الناس كلهم ... فإنما أنت في دار المداراة

من يدر دارى، ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليل نديماً للندامات

ومنه أيضاً:

وقائل ورأى من حجبتي عجباً كم ذا التواري وأنت الدهر محجوب؟
فقلت :حلت نجوم الدهر منذ بدا نجم المشيب ودين الله مطلوب
فلذت من وجل بالاستتار عن ال أبصار إن غريم الموت مرهوب

ومنه أيضاً:

تغنم سكوت الحادثات فإنها وإن سكنت عما قليل تحرك
وبادر بأيام السلامة إنها رهان وهل للرهن عندك مترك

ومنه أيضاً:

تسامح، ولا تستوف حقك كله وأبق ولم يستقص قط كريم
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال أبو القاسم الداوودي الهروي: قال الثعالبي له في مرثية الخطابي - رحمه الله -:

انظروا كيف تخمد الأنوار انظروا كيف تسقط الأقمار؟؟
انظروا هكذا تزول الرواسي هكذا في الثرى تغيض البحار

أحمد بن محمد،أبو عبيد الهروي

بن عبد الرحمن، أبو عبيد الهروي الباشاني المؤدب، صاحب كتاب غريبي القرآن والحديث، والسابق إلى الجمع بينهما في علمنا، قرأ على جماعة منهم: أبو سليمان الخطابي، وكان اعتماده وشيخه الذي يفتخر به، أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري، صاحب كتاب التهذيب في اللغة. مات أبو عبيد هذا، فيما ذكره المليحي، سنة إحدى وأربعمائة في رجبها. روى عنه كتاب الغريبين، أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي، وأبو بكر محمد بن إبراهيم، بن أحمد الأزدستاني، وله من الكتب: كتاب الغريبين. كتاب ولاة هراة.

أحمد بن محمد، بن عبد الله، بن يوسف

ابن محمد، بن مالك السهلي الأديب، أبو الفضل، العروضي الصفار الشافعي، ذكره عبد الغفار في السياق، فقال: مات بعد سنة ست عشرة وأربعمائة، ومولده سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وهو شيخ أهل الأدب في عصره، حدث عن الأصم، والمكاري. وأبي الفضل المزكي، وأبي منصور الأزهري، وأقرانهم. وتخرج به جماعة من الأئمة، منهم: علي بن أحمد الواحدي، وغيره، وذكره أبو منصور الثعالبي فقال: إمام

في الأدب، خنق التسعين في خدمة الكتب، وأنفق عمره على مطالعة العلوم، وتدريس مؤدبي نيسابور، وإحراز الفضائل، والمحاسن، وهو القائل في صباه:

أوفى على الديوان بدر الدجى ... فسل نجوم السعد ما حظه؟

أخده أملح أم خطه ... ولحظه أفتن أم لفظه؟؟

قال: وأنشدني لنفسه:

لعزة الفضة العبرة ... أودعها الله قلب صخرهْ

حتى إذا النار أخرجتها ... بألف كد وألف كرهْ

أودعها الله كف وغد ... أقسى من الصخر ألف مرهْ

أحمد بن محمد،ابن شرام الغساني

بن أحمد، بن سلمة، ابن شرام الغساني أحد النحاة المشهورين بالشام، صحب أبا القاسم الزجاجي وأخد عنه، وكتب تصانيفه، وكان جيد الخط والضبط، صحيح الكتابة، وجدت خطه في كتاب أمالي الزجاجي، وقد فرغ من كتابتها، في سنة ست وأربعين وثلاثمائة. ذكره أبو القاسم فقال: أحمد بن محمد، بن أحمد، بن سلمة، أبو بكر بن أبي العباس، الغساني المعروف بابن شرام النحوي، سمع أبا بكر الخرائطي، وأبا الدحداح أحمد بن محمد، بن إسماعيل التميمي، وأبا الحسن أحمد ابن جعفر، بن محمد الصيدلاني، وعبد الغافر بن سلامة الحمصي، وأبا القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، وأبا بكر أحمد بن محمد، بن سعيد، بن عبيد الله، بن فطيس، والحسن بن حبيب الحظائري، وأبا الطيب أحمد ابن إبراهيم، بن عبادل الشيباني، وإبراهيم بن محمد، بن أبي ثابت، وأبا علي محمد بن القاسم، بن أبي نصر. روى عنه رشا بن نظيف، وأبو بكر أحمد بن الحسن، بن أحمد ابن الطبال، وأبو الحسن الربعي، وأبو نصر بن الجبان. قال ابن الأكفاني: رأيت في كتاب عتيق: توفي أبو بكر ابن شرام يوم الثلاثاء، لعشر خلون من شعبان، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد،الخلال، الوراق

بن الحسن، "الخلال، الوراق، الأديب،" صاحب الخط المليح الرائق، والضبط المتقن الفائق، أظنه ابن أبي الغنائم الأديب، وقد ذكرنا في باب علي ابن محمد، "آخر"، ونراه أخا هذا، والله أعلم. وجدت خطه على كتاب قد كتبه في سنة خمس وستين وثلاثمائة.

^

الجزء الخامس

بن يعقوب، الملقب مسكوية أبو علي الخازن، صاحب التجارب، مات فيما ذكره يحيى بن مندة، في تاسع صفر، سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، قال أبو حيان في كتاب الإمتاع: وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه، ثم قال: وأما مسكوية، ففقير بين أغنياء، وغني بين أنبياء، لأنه شاذ، وإنما أعطيته في هذه الأيام، صفو الشرح لإيساغوجي، وقاطيغورياس، من تصنيف صديقنا بالري. قال الوزير ومن هو قلت أبو القاسم الكاتب، غلام أبي الحسن العامري وصححه معي، وهو الآن لائذ بابن الخمار، وربما شاهد أبا سليمان المنطقي، وليس له فراغ، لكنه محب في هذا الوقت، للحسرة التي لحقته مما فاته من قبل. فقال: يا عجباً لرجل صحب ابن العميد، وأبي الفضل، ورأى ما عنده، وهذا حظه، قلت: قد كان هذا ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء، مع أبي الطيب الكيميائي الرازي، منهوك الهمة في طلبه، والحرص على إصابته، مفتوناً بكتب أبي زكريا، وجابر ابن حيان، ومع هذا، كان إليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه، هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية، والعمر قصير، والساعات طائرة، والحركات دائمة، والفرص بروق تأتلق، والأواطر في عرضها تجتمع وتفترق، والنفوس عن فوائتها تذوب وتحترق، ولقد قطن العامري الري خمس سنين، ودرس وأملى، وصنف وروى، فما أخذ عنه مسكوية كلمة واحدة، ولا وعي مسألة، حتى كأنه كان بينه وبينه سد، ولقد تجرع على هذا التواني الصاب والعلقم، ومضغى لقمة حنظل الندامة في نفسه، وسمع بأذنه، قوارع الملامة من أصدقائه، حينما ينفع ذلك كله، وبعد هذا، فهو ذكى، حسن الشعر، نقي اللفظ، وإن بقي فعساه أن يتوسط هذا الحديث، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء، وإنفاق زمانه، وكد بدنه وقلبه في خدمة الساطان، واحتراقه في البخل بالدانق والقيراط، والكسرة والخرقة، نعوذ بالله من مدح الجود باللسان، وإيثار الشح بالفعل، وتمجيد الكرم بالقول، ومفارقته بالعمل. قال أبو منصور الثعالبي: كان في ذروة العليا من الفضل والأدب، والبلاغة والشعر، وكان في ريعان شبابه متصلاً بابن العميد، مختص به، وفيه يقول:

لا يعجبنك حسن القصر تنزله — فضيلة الشمس ليست في منازلها

لو زيدت الشمس في أبراجها مائة — ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

ثم تنقلت به أحوال جليلة، في خدمة بني بوية، والاختصاص ببهاء الدولة، وعظم شأنه، وارتفاع مقداره، فترفع عن خدمة الصاحب، و لم يرى نفسه دونه، و لم يخل من نوائب الدهر، حتى قال ما هو متنازع بينه وبين نفر من الفضلاء:

من عذيري من حادثات الزمان وجفاء الأخوان والخلان.

قال: وله قصيدة في عميد الملك، تفنن فيها، وهنأه باتفاق الأضحى، والمرجان في يوم، وشكا سوء أثر الهرم، وبلوغه إلى أرذل العمر:

قل للعميد: عميد الملك والأدب أسعد بعيديك:عيد الفرس والعرب
هذا يشير بشرب الغمام ضحى وذا يشير عشيا بابنة العنب
خلائق خيرت في كل صالحة فلو دعاها لغي الخير لم تجب
أعدن شرخ شباب لست أذكره بعداً ووردت على العمر من كثب
فطاب لي هرمي والموت يلحظني لحظ المريب ولولا أنت لم يطب
فإن تمرس لي خصم تعصب لي وإن أساء إلى الدهر أحسن بي ومنها :
وقد بلغت إلى أقصى مدى عمري وكل غربي وأستأنست بالنوب
إذا تملأت من غيظ على زمني وجدتني نافخاً في جذوة اللهب

ومنها:

وإن تمنيت عيش الدهر أجمعه وإن تعاين ماولى من الحقب
فانظر إلى سير القوم الذين مضوا و الحظ كتابهم من باطن الكتب
تجد تفاوتهم فى الفضل مختلفاً وإن تقاربت الأحوال فى النسب
هذا :كتاج على رأس يعظمه وذاك كالبعر الجافي على الذنب

قال المؤلف:وكان مسكوية مجوسياً وأسلم، وكان عارفاً بعلوم الأوائل معرفة جيدة، وكتاب الفوز الأصغر. وصنف كتب تجارب الأمم في التاريخ، إبتداؤه من بعد الطوفان، وانتهاؤه إلى سنة تسع وستين وثلاثمائة. وله: كتاب أنس الفريد، وهو مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً، وحكماً وأمثالاً،غير مبوب، وكتاب ترتيب العادات، وكتاب المستوفي أشعار مختارة، وكتاب الجامع، وكتاب تجاوزان فرد، وكتاب السير أجاده، ذكر فيه ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه، مزجه بالأثر والآية، والحكمة، والشعر وللبديع الهمذاني إلى أبي سلمى مسكوية، يعتذر من شيء بلغه عنه، بعد مودة كانت بينهما:

ويا عز: إن واشٍ وشى بى عند كم فلا تمهليه أن تقولي له: مهلاً
كما لو وشى واشٍ بعزة عندنا لقلنا :تزحزح لاقريباً ولاسهلاً

بلغني أطال الله بقاء الشيخ، أن قيضه كلبٍ وافته بأحاديث لم يعرها الحق نوره، ولا الصدق ظهوره، وأن الشيخ أذن لها على حجاب أذنه وفسح لها فناء ظنه، وعاذ الله أن أقولها، وأستجيز معقولها، بلى قد كان بيني وبينه عتاب لايترع كنفه، ولايجدف أنفه، وحديث لايتعدى إلى النفس وضميرها ولا تعرفه الشفة وسميرها، وعربدة كعربدة أهل الفضل، لاتتجاوز والإدلال، ووحشة يكشفها عتاب لحظة كغناء جحظة، فسبحان من ربى هذا الأمر، حتى صار أمراً، وتأبط شراً، وأوحش حراً، وأوجب عذراً، بل سبحان من جعلني في حير العذر أشيم بارقته وأستقبل صاعقته، وأنا المساء إليه، والمجني عليه، ورمى من الحسدة بما رميت، ووقف من الوجد والوحدة حيث وقفت، واجتمع عليه من المكاره ما وصفت، أعتذر مظلوماً، وأحسن ملوماً، وضحك مشتوماً، ولو علم الشيخ عدد أبناء الحدد، وأولاد العدد، بهذا البلد، ممن ليس له همة إلا في شكاية، أو حكاية، أو سعاية أو نكاية لضن بعشرة غريب إذا بدر، وبعيد إذا حضر، ولصان مجلسه عمن لايصونه عما رقى إليه، فهبني قلت ماحكى له، أليس الشاتم من أسمع أليس الجاني من أبلغ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم، أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفساً لاتستفز، وحبلاً لايهز، دسوا إليه حديثه بما حرشوا به نارهم، ورد على مماقالوه، فما لبثت أن قلت:

فإن يك حرب بين قومي وقومها فإني لها في كل نائبة سلم

فليعلم الشيخ الفاضل، أن في كبد الأعداء مني جمرة، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة، قصاراهم نار يشبونها، أو عقرب يدببونها، أو مكيدة يطلبونها، ولولا أن العذر إفرار بما قيل، وأكره أن أستقيل، بسطت في الاعتذار شاذرواناً، ودخلت في الاستقالة ميداناً، لكنه أمر لم أضع أوله، فلا أتدارك آخره، وقد أبى الشيخ أبو محمد، إلا أن يوصل هذا النثر الفاتر بنظم مثله، فهاكه يلعن بعضه بعضاً:

مولاي إن عدت ولم ترض لي أن أشرب البارد لم أشرب
إمتط خدي وانتعل ناظري وصيد بكفي حمة العقرب
بالله ما أنطق عن كاذب فيك ولاأبرق عن خلب
فالصفو بعد الكدر المفترى كالصحو بعد المطر الصيب
إن أجتن الغلظة من سيدي فالشوك عند الثمر الطيب
أو نفق الزور على ناقد فالخمر قد تعضب بالثيب

ولعل الشيخ أبا محمد يقوم من الاعتذار، بما قعد عنه القلم والبيان، فنعم رائد الفضل هو، والسلام. وجاء الجواب من أبي علي:

وإذا الواشي أتى يسعى لها نفع الواشي بما جاء يضر

فهمت خطاب الشيخ الفاضل، الأديب البارع، الذي لو قلت: إنه السحر الحلال، والعذب الزلال، لنقصته حظه، و لم أوفه حقه، أما البلاغات التي أومأ إليها، فو الله ما أذنت لها، ولا أذنت فيها، وما أذهبني عن هذه الطريقة، وأبعدني عنها، وقد نزه الله لسانه عن الفحشاء، وسمعي عن الإصغاء، وما يتخذ العدو بينهما مجالاً وأما الأبيات فقد تكلفت الجواب عنها، لامساجلة له، ولكن لأبلغ المجهود في قضاء حقه:

يا بارعاً في الأدب المجتنى   منه ضروب الثمر الطيب
لوقلت: إن البحر مستغرق   في بحرك الفياض لم أكذب
إذا تبوأت محلاً فما   نزلت إلا منزل الكوكب
أحمدتني الشعر وأعتبتني   فيه ولم أذمم ولم أعتب

والعذر يمحو ذنب فعاله   فكيف يمحوه ولم يذيب
أنا الذي آتيك مستغفراً   من زلة لم تك من مذهبي
وأنت لاتمنع مستوهباً   مالاً فهب ذنباً لمستوهب

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين: فإن ابن العميد اتخذه خازناً لكتبه،وأراد أيضاً أن يقدح ابنه به، و لم يكن من الصنائع المقصودة، والمهمات اللازمة وكان يحتمل ذلك لبعض العزازة بظله، والتظاهر بجاهه.

نسخة وصية أبو على المسكاوية

"بسم الله الرحن الرحيم": هذا ماعاهد عليه أحمد ابن محمد، وهو يومئذ آمن في سربه، معافى في جسمه عند قوت يومه،لا تدعه إلى هذه المعاهدة، ضرورة نفس ولا بدن، ولا يريد بها مراءاة مخلوق، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة منهم، عاهد على أن يجاهد نفسه، ويتفقد أمره، فيعف، ويشجع، ويحكم. وعلامة عفته: أن يقتصد في مآرب بدنه، حتى لا يحمله الشره على ما يضر جسمه، أو يهتك مروءته. وعلامة شجاعته: أن يحارب دواعى نفسه الذميمة، حتى لا تقهره شهوة قبيحة، ولا غضب في غير موضعه. وعلامة حكمته: أن يستبصر في اعتقاداته حتى لايفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة، ليصلح أولاد نفسه ويهذبها، ويحصل له من هذه المجاهدة ثمراتها، التي هي العدالة، وعلى أن يتمسك لهذه التذكرة، ويجتهد في القيام بها، والعمل بموجبها، وهى خمسة عشرة باباً: إيثار الحق على الباطل في الاعتقادات، والصدق على الكذب في الأقوال، والخير على الشر في الأفعال، وكثرة الجهاد الدائم، لأجل الحرب الدائم، بين المرء ونفسه، والتمسك بالشريعة، ولزوم طائفها، وحفظ المواعيد حتى ينجزها. وأول ذلك، ما بين وبين الله جل وعز. وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال. ومحبة الجميل لأنه

جميل لا لغير ذلك. والصمت في أوقات حركات النفس للكلام، حتى يستشار فيه العقل. وحفظ الحال التي تحصل في شيء حتى تصير ملكة، ولا تفسد بالاسترسال. والاقدام على كل ما كان صواباً.
والإشفاق على الزمان الذى هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره. وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي. وترك التواني. وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحسد، لئلا يشتغل بمقاتلتهم. وترك الانفعال لهم. وحسن احتمال الغنى والفقر، والكرامة والهوان بجهة وجهة. وذكر المرض وقت الصحة، والهم وقت السرور، والرضا عند الغضب، ليقل الطغى والبغى. وقوة الأمل، وحسن الرجاء. والثقة بالله عز وجل، وصرف جميع البال إليه.

أحمد ابن محمد، الصخرى أبو الفضل

قتل في أواخر سنة ست وأربعمائة، هكذا ذكر أبو محمد، محمود ابن أرسلان، في تاريخ خوارزم، وقال:هو أحد مفاخر خوارزم، أديب كامل، وعالم ماهر، وكاتب بارع، وشاعر ساحر. قال أبو منصور الثعالبي في كتابه: له ظرف حجازى، وخط عراقي، وبلاغة جزلة سهلة، ومروءة ظاهرة، ومحاسن متظاهرة، وله شعر كثير، يجمع فيه بين الإسراع والإبداع، ويأخذ بطرفي الإتقان والإحسان، ثم هو في الارتجال، فرد الرجال بسرعة خاطره، وسلامة طبعه، وحصول أعنة القوافى فى يده، وكان في عنفوان شبابه، ألم بحضرة الصاحب إسماعيل بن عباد، فاقتبس من نورها، واغترف من بحرها، وانخرط في سلك أعيان أهل الفضل بها، وتزود من ثمارها، فحسن أثره وطاب خبره ورجع إلى أوطانه، وأقام بحضرة سلطانه، في أجلة الكتاب، ووجوه العمال، وهو الآن من أخص جلساء الأمير، وأقرب ندمائه،وأفضل كتابه، وأجل شعرائه، ولا يكاد يخلو منه مجالس أنسه، ولايتقشع عنه سحائب جوده، وما أكثر ما يقترح عليه الأشعار في المعاني البديعة، ويكمل لها ويفي، ويعلنها فى الوقت والساعة بين يديه، ويعرضها عليه.وعهدى بذلك المجلس العالي، ليلة من الليالى، وقد جرى فيه ذكر أبي الفضل الهمذاني بديع الزمان، وإعجاز لطائفه وخصائصه فى الارتجالات، وسرعة إتيانه وإثباته بالاقتراحات، وأنه كان يكتب الكتاب المقترح عليه، ويبتدئ بآخر سطرٍ،ثم هلم جرا إلى السطر الأول،حتى يخرجه مستوفي الألفاظ والمعاني، كأملح شئ وأحسنه، فانتدب الصخري لهذه النادرة، وضمن الأستقلال بهذه الغريبة الصعبة، فرسم له على لسان الشيخ أبي الحسين السهيلي، أن يكتب في معنى مؤلف الكتاب، كتاباً إلى الدهخداً أبي سعيد، محمد بن منصور الحوالى، يذكر فيه: أن أخبار فلان فى محاسن أدبه، وبديع تأليفاته، لم تزل تأتينا، ثم تشوقنا إلى مشاهدة الفضل، فأخذ القلم و القرطاس، وكان كتب أولاً السطر الذى يقع في آخره – إن

شاء الله تعالى – ثم لم يزل يمضى قدماً في الكتاب، ويرتفع عن عجزه إلى صدره، ومن سفله إلى علوه، ويصل أواخره بأوائله، حتى أتم المعنى المقترح عليه، مع جودة الألفاظ وسهولتها، وحسن مطالعها. وفرغ من الكتاب فى زمن قصير المدة، وقد أخذ منه الشراب، وأثرات فيه الكاسات، فوقع ذلك أحسن موقع، وعد من محاسنه. وله كتاب رسائل مدونة، كتاب ديوان شعر مجلد. فمن منثور كلامه:الشيخ: أصدق لهجة، وأبين في الكرم محجة،من أن يخلف برق ضمانه، ولا يمطر سحاب إحسانه، فليت شعرى: ما الذى فعله فى أمر وليه،القاصر عليه أمله؟،وهل بلغ الكتاب أجله؟، وقد استهل الشهر الثامن استهلالاً ولاندى كالأفق، ولنرى لأفق مواعده هلالاً.آخر:طبع كرمه: أغلب من أن يحتاج إلى هز، وحسام فضله، أقطع من أن يهز لحز. آخر:أما إني لاأرضى من كرمه العد، أن تجر أولياؤه على شوك الرد، فبحق مجده المحض، الذى فاق به أهل الأرض، أن يرفع عن حاجتي قناع الخجل، و ولايعتبر أملي فيها قبل حلول الأجل وهذا قسم أرجو أن يصونه عن الحنث، وعهد أظن أنه لا يعرضه للنكث.آخر:لا أدرى: أهنئ الشيخ بعوده إلى مركزه، ومستقر عزه، سالماً في نفسه، التي سلامتها سلامة المعالي والمكارم، وهى أجسم المتاع وأنفس الغنائم؟، أم أهنئ الحضرة به، فقد عاد إليها ماؤها، ورجع برجوعه حسنها وبهاؤها، أم أهنى الملك – ثبت الله أركانه –؟ كما نضر بمكانه منه زمانه، فقد آب إليه رونقه، وزال عن أمره رنقه، أم أهنئ الفضل، فقد كان ذوى عوده، ثم احضر وأورق، وهوى نجمه، ثم أنار وأشرق، أم أهنئ جماعة الأولياء والخدم، وكافة كتاب الإنشاء فقد عاشوا، وانتعشوا وارتاشوا، وارتفعت نواظرهم بعد الانخفاض، وانشرحت صدورهم غب الانقباض. وأنا أعد نفسي من جملتهم، ولا أنحرف مع طول العهد عن قبلتهم. وله: كتابي وقد عرتني علة منعتني من استغراق المعاني واستيعابها، وإشباع الكلم فى وجوهها وأبوابها، فاختصرت وقصرت، وعلى النبذ اليسيرة اقتصرت، وما أعرف هذه العلة، إلا من عوادي فراقه، ودواعي اشتياقه، وإن كانت النعمة بمكانه خارجة عن القياس، غير خافية من جميع الناس، إلا أنها ازدادات الآن ظهوراً، وإن لم يكن قدرها مستوراً، وقدر النعمة لايعرف إلا بعد الزوال، ولا يتحقق إلا مع الانتقال، – أهلنا الله لعودها –، لنحسن جوارها، بشكرها وحمدها، وأصحبه السلامة حالاً ومرتحلاً، ومقيماً ومتنقلاً، إنه خير صاحب، يصحب كل غائب.

وله: وصل كتاب الشيخ فيما حلانى به، من صفاته التى هو بها حال، وأنا منها خال وقد كان أعارني منها عارية، وجدت نفسي منها عارية، ولكنه نظر إلى بعين رضاه، وشهد لي بقلب هواه. فلا ينظرن بعين الرضى، فنظرتها ربما تجنح، ولا يشهدن بقلب الهوى، فإنها شهادة تجرح وله: كل من ورد جناب الشيخ من أمثالي، إنما ورد بأمل منفسخ، ثم صدر بصدر منشرح، إذ ما امتدت إليه يد فارتدت عاطلاً ولا

توجه تلقاءه رجاء فعاد باطلاً. وأنا أجله أن يفسخ من بينهم ذريعة رجائي، وينسخ شريعة ولائي، بل أظن إن لم يفضلني عليهم في المراتب، لم ينقصني عنهم فى الواجب، ثم ليس طمعي في ماله، فكفاني ما شملني من أفضاله، بل كفاه ما تكلفه فى هذا الوقت من كلفة المروة، التى تنوء بالعصبة أولى القوة، ولكن طمعي في جاهه، ومن ضن به ملوم. إذ البخل به لؤم. ومن أشعاره يمدح أبا العباس خوارزمشاه:

أشبه البدر في السنا والسناء ... وحوى رقة الهوى و الهواء

وأتى الشيب بعدها منفذاً لي ... عن يد الدهر بالبلى و البلاء

وإذا شاء بالندى الملك العا ... دل في المجد والعلى و العلاء

أبدل الشين منه سيناً وأوطا ... ني الثريا من الثرى و الثراء

ومن شعره أيضاً في الهجاء:

أياذا الفضائل و اللام حاء ... وياذا المكارم و الميم هاء

ويا أنجب الناس و الباء سين ... وياذا الصيانة و الصاد خاء

ويا أكتب الناس و التاء ذال ... ويا أعلم الناس و العين ظاء

تجود على الكل و الدال راء ... فأنت السخي ويتلوه فاء

ولقد صرت عيباً لداء البغاء ... ومن قبل كان يعاب البغاء

وله يستهدي ماء الورد:

يا من حكى الورد الطرئ بعرفه ... وبظرفه وبلطفه وبهائه

إن شئت و الإفضال منك سجية ... أهديت لي قارورة من مائه

وله قصيدة في أبي الفتح البستي:

نسب كريم فاضل أنسى به ... من كان معتمداً على أنسابه

قد كنت في نوب الزمان وصرفه ... إذ عضني صرف الزمان بنابه

فاليوم جابنت الحوادث جانبي ... إذا قد نسبت إلى كريم جنابه.

نفسمصدقة جميع عداتها ... يكن مكذبة ظنون عداتها

هماته حكمت على هاماتها ... إذا أصبحت للوحش من أقوالها

ومن قصيدة فى أبي الحسين السهيلي:

نفس مصدقة جميع عداتها ... إذ أصبحت للوحش من أقواتها

يا أحمد بن محمد يا خير من ولى الوزارة عند خير ولاتها
مادامت الأيام في الغفلات عن عرصات مجدك فاغتنم غفلاتها

وله من قصيدة:

لئن بخلت بإسعادى سعاد فإني بالفؤاد لها جواد
وإن نفذ اصطبارى في هواها فدمع العين ليس له نفاد
أرى ثلجاً بوجنتها وناراً لتلك النار في قلبي اتقاد
فهب من نارها كان احتراقي فلم بالثلج ما برد الفؤاد؟
لأجتهدن في طلب المعالي بسعي ما عليه مستزاد
فإن أدركت آمالى وإلا فليس على إلا الجتهاد

وله فى بعض الصدور:

جمعت إلى العلي شرف الأبوه وحزت إلى الندى فضل المروه
أتيتك خادماً فرفعت قدري إلى الصداقة والأخوه
فما شبهتني إلى بموسى رأى ناراً فشرف بالنبوة.

وله من قصيدة:

أسمعت يامولاى ده ري بعد بعدك ماصنع؟
أخني علي بصرفه فرأيت هول المطلع

أحمد بن محمدالخوارزمي

أبو الحسين السهلي الخوارزمي. قال محمود بن محمد الإسلامي في تاريخ خوارزم إنه مات بسر من رأى، في سنة ثمان عشرة واربعمائة، على ما يذكره. قال: وهو من أجلة خوارزم، وبيته بيت رياسة ووزارة، وكرم ومروءة، قال الثعالبي: وهو وزير ابن وزير:

ورث الوزارة كابراً عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد

قال: وكان يجمع بين آلات الرياسة، وأدوات الوزارة،ويضرب فى العلوم والآداب بالسهام الفائزة، ويأخذ من الكرم وحسن الشيم بالحظوظ الوافرة: وله كتاب الروضة السهيلية في الأوصاف والتشبيهات، وبأمره والتماسه، صنف الحسن بن الحارث الحسوفي في المذهب كتاب الهيلى، يذكر فيه المذهبين: مذهب الشافعي، والحنفي وله شعر، فمن ذلك ولم يسبق الى معناه:

ألا سقنا الصهباء صرفاً فإنها		أعز علينا من عتاق الترحل
وإني لأقلى النقل حباً لطعمها		لئلا يزول الطعم عند التنقل

وله في النجوم:

فالشهب تلمع فى الظلام كأنها		شرر تطاير من دخان النار
فكأنها فوق السماء بنادق		الكافور فوق صلاية العطار

وله فى النجوم أشعار، منها فى شعاع القمر على الماء:

كأنما البدر فوق الماء مطلعاً		يقدر فمد له جسر من الذهب
كأنما البدر فوق الماء مطلعاً		ونحن بالشط في لهو وفي طرب
مللت وأنا فأهوى للعبور فلم		يقدر فمد له جسر من الذهب

خرج السهيل من خوارزم، فى سنة اربع واربعمائة الى بغداد، وتوطنها، وترك وزارة خوارزم شاه، أبي العباس مأمون خوفاً من شره، ولما قدم بغداد، أكرمه فخر الملك أبو غالب، محمد بن خلف، وهو والي العراق يومئذ، وتلقاه بالجميل، فلما مات فخر الملك، خرج من بغداد هارباً ايضاً، حتى لحق بغريب بن مقنٍ، خوفاً على ماله، وكان غريب صاحب البلاد العليا، تكريت،ودجيل، وما لاصقها، فأقام عنده الى ان مات، وخلف عشرين الف دينار، سلمها غريب إلى ورثته.

أحمد بن محمد، بن الحسن المرزوقي

أبو علي، من أهل أصبهان، كان غاية في الذكاء والفطنة، وحسن التصنيف، وإقامة الحجج، وحسن الاختيار وتصانيفه لا مزيد عليها فى الجودة مات فيما ذكره أبو زكريا، يحيى بن مندة في ذي الحجة، سنة إحدى وعشرين واربعمائة، قال: وكتب عنه سعيد البقال، وأخرجه في معجمه وجدت خطة على كتاب شرح الحماسة من تصنيفه، وقد قرئ عليه فى شعبان، سنة سبع عشرة واربعمائة، وكان قد قرأ كتاب سيبويه، على أبي على الفارسى، وتتلمذ له، بعد أن كان رأساً بنفسه وله من الكتب: كتاب شرح الحماسة، أجاد فيه جدا، كتاب شرح المفضليات، كتاب شرح الفصيح، كتاب شرح أشعار هذيل، كتاب الأزمنة، كتاب شرح الموجز، كتاب شرح النحو قال الصاحب بن عباد: فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة: حائك، وحلاج، وإسكاف، فالحائك هو المرزوقى والحلاج أبو منصور بن ماشدة، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب بالري، صاحب التصانيف في اللغة ووجدت في المجموع بخط بعض فضلاء العجم، نقلت من خط الأبيوردى: أبو على المرزوقي، صاحب شرح الحماسة، والهذليين: قرأ على أبى على، وهو

يتفاصح في تصانيفه كابن جني، وكان معلم اولاد بني بويه بأصبهان، ودخل إليه الصاحب فما قام له فلما أفضت الوزارة إلى الصاحب جفاه أحمد بن محمد، بن ابراهيم، أبو إسحاق الثعلبي المفسر، صاحب الكتاب المشهور بأيدى الناس المعروف بتفسير الثعلبي مات فيما ذكره عبد الغنى بن سعيد، الحافظ المصرى، ونقلته من حاشية كتاب الإكمال لابن ماكولة، فى محرم سنة سبع وعشرين واربعمائة فقال: أبو اسحاق الثعلبي المفسر، جليل خراسانى، وذكره عبد الغافر في السياق فقال: أحمد بن محمد، بن ابراهيم، أبو اسحاق الثعلبى، المقرئ المفسر، الواعظ الأديب، الثقة الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوى أنواع الفرائد، من المعانى والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب العرائس والقصص، وغير ذلك، مما لا يحتاج الى ذكره لشهرته، وهو صحيح النقل، موثوق به حدث عن أبي طاهر بن خزيمة، وأبي بكر بن مهران المقرئ، وابي بكر بن هانئ وابي بكر بن الطرازى، والمخلدى، والخفاف، وأبى محمد بن الرومي، وطبقتهم وهو كثير الحديث، كثير الشيوخ، وذكر وفاته كما تقدم قال: وسمع منه الواحدي التفسير، وأخذه عنه، وأثنى عليه وحدث عنه بإسناد رفعه إلى عاصم، قال: الرياسة بالحديث رياسة نذلة، إن أصح الشيخ وحفظ، وصدق فأحمى، قالوا هذا شيخ كيس، وإذا وهم قالوا شيخ كذاب وله كتاب ربيع المذكرين

أحمد بن محمد،بن دلويه

بن أحمد، بن محمود، بن دلويه أبو حامد الاستوائي، مات فيما ذكره الخطيب، فى سنة أربع وثلاثين واربعمائة، وقال: يعرف بالدلوي، واستوى التي نسب إليها: قرية من قرى نيسابور، قدم بغداد، فسمع من الدار قطني، واستوطنها إلى حين وفاته، وولى القضاء بعكبرا، من قبل القاضى أبي بكر بن الطيب الباقلاني، وكان ينتحل في الفقه مذهب الشافعي، وفي الأصول مذهب الأشعري، وله حظ في معرفة الأدب، والعربية، وحدث بشئ يسير قال الخطيب: وكتب عنه، وكان صدوقاً، ولما مات دفن بالشونيزية قال المؤلف: كان الدلوى أديباً، فاضلاً، وكثيراً ما توجد كتب الأدب بخطه، وكان صحيح النقل، جيد الضبط، معتبر الخط فى الغالب.

أحمد بن محمد،المهدوي

بن عمار، بن مهدى، بن ابراهيم المهدوي،ابو القاسم المقرئ، ذكره الحميدي فقال:أصله من المهدية، من بلاد القيروان، ودخل الأندلس فى حدود الثلاثين واربعمائة، او نحوها، وكان عالماً بالقراءات والأدب متقدماً، ذكره لى بعض أهل العلم بالقراءات، وأثنى عليه، وأنشدني له في ظاءات القرآن:

ظنت عظيمة ظلمنا من حظها فظلت اوقظها لتكظم غيظها

وظغنت أنظر فى الظلام وظله ظمآن أنتظر الظهور لوعظها
ظهرى وظفرى ثم عظمى فى لظى لأظاهرن لحظها ولحفظها
لفظي شواظ أو كشمس ظهيرة ظفر لدى غلظ القلوب وفظها

أحمد بن محمد، بن برد الأندلسى

ذكره الحميدى وقال: هو مولى أحمد بن عبد الملك، ابن عمر، بن محمد، بن شهيد، أبو حفص الكاتب، مليح الشعر، بليغ الكتابة، من أهل بيت أدب ورياسة، له رسالة فى السيف والقلم، والمفاخرة بينهما، وهو أول من سبق إلى القول في ذلك بالأندلس، وقد رأيته بالمرية، بعد الاربعين واربعمائة غير مرة، وله كتب في علم القرآن، منها كتاب التحصيل فى تفسير القرآن، كتاب التفصيل فى تفسيره ايضاً، وله غير ذلك وكان جده أحمد بن برد وزيرا فى الأيام العامرية، وكاتباً بليغاً ايضا مات سنة ثمان عشرة واربعمائة أعنى الوزير ومن شعر أحمد بن محمد هذا:

تأمل فقد شهق البهار مغلساً كماميه عن نواره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة على أذرع مخروطة من زبرجد

ومن شعره ايضاً:

لما بدا في لازور دى الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجمال وقلت ما هذا بشر
فأجابني لا تنكرن ثوب السماء على القمر

ومن شعره أيضاً:

قلبى وقلبك لامحالة واحد شهدت بذلك بيننا ألحاظ
فتعال فلنعظ الحسود بوصلنا إن الحسود بمثل ذاك يغاظ

أحمد بن محمد، بن هارون النزلي

أبو الفتح النحوي أخذ عن أبي الحسن، علي بن عيسى الربعي، وهو من أقران أبي يعلى بن السراج

أحمد بن محمد العمودي

الهمذاني أبو عبد الله اللغوي ذكره شيرويه بن شهر دار، فقال: روي عن عبد الرحمن بن حمدان الجلاب، وابى الحسين محمد الحريرى، صاحب ابى شعيب الحرانى، وغيرهما روى عنه أبو عبد الله الإمام وغيره

أحمد بن محمد، الأصبهاني

بن أحمد بن شهر دار المعلم الأصبهاني كان أديباً فاضلاً، بارعاً في الأدب، فصيحاً، كثير السماع، حسن الخط صاحب اصول، مات في شوال سنة ست واربعين واربعمائة قال يحيى بن مندة: سمعت من الثقات، منهم أبو غالب بن هارون تلميذه، أنه كان رجلاً فاضلاً، إلا أنه كان لا يصلى الصلوات كما قيل.

أحمد بن محمد، ابن ابراهيم الميداني

أبو الفضل النيسابورى، والميدان محلة من محال نيسابور، كان يسكنها، فنسب اليها، ذكر ذلك عبد الغافر، وهو أديب فاضل، عالم نحوى لغوى مات فيما ذكره عبد الغافر بن اسماعيل الفارسى فى السياق، فى رمضان، سنة ثمان عشرة وخمسمائة، ليلة القدر، ودفن بمقبرة الميدان، قرأ على ابى الحسن، على بن أحمد الواحدى، وعلى يعقوب بن أحمد النيسابورى، وله من التصانيف: كتاب جامع الأمثال، جيد بالغ، كتاب السامي في الأسامي، كتاب النموذج في النحو، كتاب الهادى للشادى، كتاب النحو الميداني، كتاب نزهة الطرف في علم الصرف، كتاب شرح المفضليات، كتاب منية الراضى فى رسائل القاضي، وفي كتاب السامي في الأسامي يقول أسعد بن محمد المرساني

هذا الكتاب الذى سماه بالسامى ... درج من الدر بل كنز من السام

ماصنفت مثله فى فنه أبداً ... خواطر الناس من حام ومن سام

فيه قلائد ياقوت مفصلة ... لكل أوع ماضى العزم بسام

فكعب أحمد مولاي الإمام سما ... فوق السماكين من تصنيفه السامي

وسميت في المفاوضة ممن لا أحصى: أن الميداني لما صنف كتاب الجامع في الأمثال، وقف عليه أبو القاسم الزمخشري، فحسده على جودة تصنيفه، وأخذ القلم وزاد في لفظة الميداني نوناً، فصار النميداني، ومعناه بالفارسية: الذي لا يعرف شيئاً فلما وقف الميداني على ذلك، أخذ بعض تصانيف الزمخشرى، فصير ميم نسبته نوناً فصار الزنخشرى، معناه مشترى زوجته وذكر محمد بن أبي المعالي، بن الحسن الخواري في كتابه ضالة الأديب، من الصحاح والتهذيب، وقد ذكر الميداني فقال: وسمعت غير مرة من كتاب أصحابه يقولون: لو كان للذكاء، والشهامة، والفضل، صورة، لكان الميداني تلك الصورة، ومن تأمل كلامه، واقتفى اثره، علم صدق دعواه. وكان ممن قرأ عليه وتخرج به، الامام أبو جعفر أحمد ابن علي المقرئ البيهق، وابنه سعيد، وكان اماماً بعده. قال عبد الغافر ابن اسماعيل: ومن اشعاره:

تنفس صبح الشيب في ليل عارض ... فقلت عساه يكتفي بعذارى

فلما فشا عاتبته فأجابني ... ألا هل يرى صبح بغير نهار

وذكره أبو الحسن البيهقي في ككتاب وشاح الدمية فقال: الامام استاذنا صدر الأفاضل، أبو الفضل، أحمد ابن محمد ابن أحمد الميدانى، صدر الادباء، وقدوة الفضلاء، قد صاحب الفضل في ايام نفذ زاده. وفني عتاده، وذهبت عدته، وبطلت اهبته، فقوم سناد العلوم، بعد ما غيرتها الايام بصروفها، ووضع انامل الافاضل، على خطوطها وحروفها، و لم يخلق الله تعالى فاضلا في عهده، إلا وهو في مائدة ادابه ضيف، وله بين بابه وداره شتاء وصيف، وما على من عام لجج البحر الخضم، واسترف الدرر ظلم وحيف، وكان هذا الامام يأكل من كسب يده، وما انشدنى رحمة الله لنفسه:

حننت اليهم والديار قريبة　　فكيف اذا سار المطي مراحلا
وقد كنت قبل البين لا كان بينهم　　اعاين للهجران فيهم دلائلا
وتحت سجوف الرقم اغيد ناعم　　ينيس كخوط الخيزرانة مائلاً
وينض علينا السيف من جفن مقلة　　تريق دم الابفال في الحب باطلاً
وتسكرنا لحظ ولفظ كأنما　　بفيه وعينيه سلافة بابلاً

وله أيضاً:

شفة لماها زاد في الامي　　في رشف ريقها شفاء سقام
قد ضمنا جنح الدجى وللثمنا　　صوت كقطك الرؤوس الأقلام

ثم ذكر البيتين اللذين أولهما:

تنفس صبح الشيب في ليل عارض　　وقد مر ذكرهما انفاً، ثم قال: وله :
ياكاذبا اصبح في كذبه　　اعجوبة اية اعجوبة
وناطق ينطق في لفظة　　واحدة سبعين اكذوبة
شبهك الناس بعرقوبهم　　لما رأوا اخذك اسلوب
فقلت: كلا، انه كاذب　　عرقوب لا يبلغ عرقوبه

ثم ذكر وفاته كما تقدم في رواية عبد الغافري، ثم ذكر ولده سعيد، وقد ذكرناه في بابه

أحمد بن محمد الصلحي، أبو الخطاب

كان أديباً، فاضلاً، كاتباً، حسن الخط، وله شعر رفيق سائر، ذكره أبو سعد في المذيل، وأورد له هذين البيتين وهما:

يا راقد العين عيني فيك ساهرة وفارغ القلب: قلبي فيك ملآت ما الآن

اني ارى منك عذب الثغر عذبنى واسهر الجفن، جفن منك وسنان

أحمد بن محمد، الأخسكيثي

بن القاسم، بن أحمد، بن خديو الأخسكيثي أبو رشاد، الملقب بذى الفضائل. مات ليلة الاحد الثامن من جماد الاولى، سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وأخيكث مدينة من فرغانة، يقال بالثاء والتاء، وكان هو واخوه ذو المناقب محمد، اديبى مرو، غير مدافعين، يقر لهما بذلك كلهم، قدما مرو وسكناه الى ان ماتا. وكان ذو الفضل هذا شاعرا اديبا، مصنفا كاتبا، مترسلا في ديوان السلاطين وله تصانيف، منها: كتاب في التاريخ، كتاب في قولهم كذب عليك كذا، كتاب زوائد في شرح سقط الزند، وغير ذلك. قرأت في ديوان شعره بخطه، انشدت لابي العلاء:

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ومومجس حارت واليهود مظللة

اثنان اهل الارض: ذو عقل بلا دينا، واخر دين لا عقل له فقلت له مجيبا له :

الدين اخذه وتاركه لم يخف رشدهما وغيهما

رجلان أهل الارض قلت فقل: يا شيخ سوء انت ايهما؟

ذكره السمعاني في مشيخته، فقال: كان اديبا، فاضلا، بارعا، له الباع الطويل في معرفة النحو واللغة، واليد الباسطة في النظم والنثر، وله ورود على جماعة من قدماء الفضلاء، ومشاعرات ومنافرات، مع الفحول والكبراء، وكان اكثر فضلاء خرسان، قرأوا الادب عليه، وتتلمذوا له، سمع بأخسيكث: أبي القاسم محمود ابن محمد الصوفي، وبمرو: جدي ابى المضفر السمعاني، سمعت كتاب الاداب والمواعظ، للقاضى أبي سعد الخليل ابن أحمد السجزى، بروايته عن محمود الصيرفي، عن أبي عبيد الكرواني، عن المصنف. كانت ولادته في حدود سنة ست وستين واربعمائة. وتوفى بمرو فجأة ليلة الاثنين، لاربع ليال بقين من جماد الاخرة، سنة ثمان وعشرين وخمسمائة.

أحمد ابن محمد الأبي، أبو العباس

كان من أهل أبة، من ناحية برقة، وسافر إلى اليمن تاجراً، واجتمع بأبي بكر السعدي بعدن وحدثني المولى المفضل، جمال الدين بقصته مع السعدي عنه، انه سمعها منه، ثم قدم الاسكندرية واقام بها، فجرى بينه وبين القاضي شرف الدين عبد الرحمن، ابن قاضى الاسكندرية ما احوجه الى قدومه الى القاهرة، وشكا منه إلى الصاحب صفى الدين شكر، فلم يشكه، فاقام بالقاهرة إلى ان مات، وكان شكواه من قطع رزقه،

من مسجد كان يصلى فيه، او نحو ذلك، وكان قدومه إلى القاهرة، سنة ست وستين وخمسمائة ومات بعد ذلك في نحو سنة ثمان وتسعين وصنف كتاباً في النحو، رأيته بخطه، وهي مسائل منثورة حدثني المولى القاضي المفضل، جمال الدين قال: دخلت إلى الصاحب أبي بشر وهو في مجلسه، فجلست إلى جانبه فأنشدني متمثلاً:

إنك لاتشكو إلى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

اشارة الى انه لم يشكه قال أبو زياد الكلابي: ومثل من أمثال العرب: إنك لاتشكو الى مصمت، والتصميت: أن تقول المرآة إذا بكى صبيها الرضيع، وهي مشغولة عنه لبعض صبيانها، أو لزوجها: صمت هذا الصبي، فيأتيه فيحضنه بيده حتى يسكت قال: وحدثني قال: دخلت إلى مجلس الشيخ الموفق أبي الحجاج يوسف، المعروف بابن الخلال، كاتب الإنشاء فى ايام المصريين، وكان الموفق قد عمل معمى في المرآة نثرا، فقال لمن بحضرته: ماتقولون فى قولي: شيء شديد الباس، يغيره ضعيف الانفاس وذكر كلاما بعده، فاستدللت بهذه الفاتحة، على انه المرآة، لأن الشديد البأس، هو الحديد، ويغير صقالها النفس، فقلت له ذلك، فاستحسن حدة خاطري انشدني مولانا القاضي، الإمام جمال الدين، أبو الحجاج يوسف بن القاضي الأكرم، علم الدين، أبي طاهر اسماعيل بن عبد الجبار، بن ابى الحجاج، قال انشدنى أبو العباس، أحمد بن محمد الآبى، ممتدحاً لى، وكتبته أنا من خطه بيده:

ياخير من فاق الافاضل سوددا وامتاز خيماً في الفخار ومحتدا

وسما لاعلام المعالي فاحتوى فضلا به يهدي وفضلا يجتدا

واذا الرياسة لم تزن بمعارف وعوارف يسدى بها كانت سدا

لاتنس من لم ينس ذكرك أحمدا وافى جنابكم الكريم فأحمدا

يهدى الى الأسماع من أوصافكم ملحاً كزهر الروض باكره الندا

مستحسنات كلما كررتها لم تسأم الاسماع منها موردا

والفضل فيه لكم ومنكم إنما يعزى المضاعف في الجميل لمن بدا

كالزهر يسقى الزهر صيب أفقها فيعود منه نشره متصعدا

جاد الغمام على الكمام بمائه عذبا فنصر ما حوته ونضدا

وإذا امرؤ أسدى لحر نعمة بدءا تملكه بها واستبعدا

دعى المفضل إذ تسامى فضله شرفا على نظرائه واستجمد

أحمد بن محمد، الواسطى

بن مختار الواسطى أبو على النحوي العدل، بن أخي أبي الفتح، محمدابن محمدة، بن جعفر، بن مختار النحوى، الذى يأتى ذكره فيما بعد، إن شاء الله تعالى مات بعد سنة خمسمائة وله عقب بواسط، اخذ النحو عن ابى غالب بن بشران، وكان مترله مألفا لاهل العلم، وكان من الشهود المعدلين، وكان طحانا بمشرعة التنانيرين بواسط حدثنى أبو عبد الله محمد بن سعد، بن الحجاج الدبيثى، قال: حدثنى عبد الوهاب بن غالب، عن الشريف ابى العلاء ابن التقي قال: قدم إلى واسط في بعض الأعوام عسكر الأعاجم، فنبهوا قطعة من البلد، ونبوا دكان الشيخ أبي علي بن مختار، ونزلوا بداره قال الشريف: فدخلت معه إليهم، نستعطفهم أن يردوا عليه بعض ما اخذوا منه، فلم نر لذلك وجها وخرجنا وهو يقول:

تذكرت ما بين المذيب وبارق   مجر عوالينا ومجرى السوابق

ثم التفت الى فقال: ما العامل في الظرف فى هذا البيت؟ فقلت له يا سيدى: ما اشغلك ما انت فيه عن النحو والنظر فيه! فقال: يا بني، وما يفيدني إذا حزنت؟ وحدث الحافظ أبو طاهر، أحمد بن محمد السلفي قال: أنشدني الشيخ أبو علي أحمد بن محمد، بن مختار المعدل بواسط لنفسه، وأفادنيه خميس بن علي الحافظ:

كم جاهل متواضع   ستر التواضع جهله

ومميز فى علمه   هدم التكبر فضله

فدع التكبير ما حييت   ولا تصاحب أهله

فالكبر عيب للفتى   أبدا يقبح فعله

وأنشد له:

ما هذه الدنيا بدار مسرة   وتخونني مكرا لها وخداعا

بيننا الفتى فيها يسر بنفسه   وبماله يستمتع استمتاعا

حتى سقته من المنية شربة   وحمته منها بعد ذاك رضاعا

فغدا بما كسبت يداه رهينة   لايستطيع لما عراه دفاعا

لوكان ينطق قال من تحت الثرى   فليحسن العمل الفتى ما استطاعا

أحمد بن مروان، المؤدب أبو مسهر

من اهل الرملة، عالم باللغة، كان فى ايام المتوكل وهو القائل:

غيث وليث: فغيث حين تسأله عرفا، وليث: لدى الهيجاء ضرغام

يحيا الانام به في الجدب ان قحطوا جودا ويشقي به يوم الوغى الهام

حالان ضدان مجموعان فيه فما ينفك بينهما بوسى وانعام

كالمزن يجتمع الضدان فيه معا ماء ونار وارهام واضرام

أحمد بن مطرف،القاضى

بن إسحاق القاضى أبو الفتح المصرى، كان فى الدولة المصرية فى أيام، الحكم، وله تآليف فى الأدب، منها: كتاب النوائح، كتاب كبير في اللغة، ورسالة فى الضاد و الظاء، كتب بها إلى الشريف أبي الحسن، محمد بن القاسم الحسيني، عامل تنيس

أحمد بن مطرف، أبم الفتح العسقلانى

كان ياى القضاء بدمياط، ومات فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، ومولده سنة نيف وعشرين وثلاثمائة، وكان أديباً، فاضلاً، وله كتب كثيرة مصنفة في الأدب، وفى اللغة، وغيرهما. وديوان شعره جمعه على نسختين: إحداهما معربة، والأخرى مجردة، يكون دون ألف ورقة، قال ذلك كله أبو عبد الله الصوري الحافظ.وحكى: أنه أنشده قطعة من شعره، وناوله بقيته، وأذن له في روايته عنه، ورواية سائر مصنفاته، قال: ومما أحفظ له من قطعة أنشد نيها لنفسه، أولها:

علمي بعاقبة الأيام يكفيني وما قضى الله لي: لا بد يأتيني يقول فيها :

ولاخلاف بأن الناس مذ خلقوا فيما يرومون معكوسو القوانين

إذ ينفق العمر فى الدنيا مجازفة و المال ينفق فيها بالموازين

أحمد بن موسى، بن أبى عمار الحناط

صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، مات فيما ذكره ابن بنت الغرياني في سنة إحدى وثمانين ومائتين

أحمد بن موسى،بن مجاهد المقرئ

بن العباس، بن مجاهد المقرئ، أبو بكر، قال الخطيب: كان شيخ القراء فى وقته، و المقدام منهم على أهل عصره، مات فيما ذكره الخطيب فى شعبان، سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ودفن فى مقبرة باب البستان، من الجانب الشرقى، في ربيع الآخر، سنة خمس وأربعين ومائتين، قال الخطيب: وحدث عن عبد الله بن أيوب المخزمى، ومحمد بن الجهم السمري،وخلق غيرهما. وحدث عنه الدار قطني، وأبو بكر الجعابي،

وأبو بكر بن شاذان، وأبو حفص بن شاهين، وغيرهم.وكان ثقة مأموناً، يسكن بالجانب الغربي، نحو مربعة الخرسي. حدث أبو بكر الخطيب قال: قال ثعلب النحوى:في سنة ست وثمانين ومائتين: ما بقى من عصرنا هذا، أعلم بكتاب الله، من أبي بكر بن مجاهد. وحدث أبو بكر النحوى قال: صليت خلف أبي بكر ابن مجاهد صلاة الغداة، فاستفتح بقراءة الحمد، ثم سكت، ثم استفتح ثانية، ثم سكت، ثم ابتدأ بالقراءة،فقلت أيها الشيخ، رأيت اليوم منك عجيباً. فقال لي: شهدت المكان؟ فقلت: نعم، فقال: أشهدتك الله أن لا حدثت به عنى، إلى أن أوارى تحت أطباق الثرى، ثم قال يابنى: ما هو إلا أن كبرت تكبيرة الإحرام، حتى كأنى بالحجب قد انكشفت ما بيني وبين رب العزة تعالى سرابسر، ثم استفتحت بقراءة الحمد، فاستجمع كل حمد لله في كتابه مابين عيني، فلم أدرى بأى الحمدلة أبتدئ؟. وحدث عيسى بن علي، بن عيسي، الوزير قال: أنشدنى أبو بكر بن مجاهد، وقد جئته عائداً، وأطال عنده قوم، كانوا قد حضروا لعيادته، فقال لى يا ابا القاسم، عيادة ثم ماذا؟ فصرف من حضر، ثم هممت بالانصراف معهم، فامرنى بالرجوع إليه، ثم انشدنى عن على بن الجهم السمرى:

لاتضجرن مريضا جئت عائده ان العيادة يوم اثر يومين
بل سله عن حاله وادع الاله له واقعد بقدر فواق بين حلبين
من زار غبا اخا دامت مودته وكان ذاك صلاحا للنحليلين.

وحدث الحسين بن محمد، بن خلف المقرئ، قال: سمعت ابا الفضل الزهرى يقول: انتبه أبى فى الليلة التى مات فيها أبو بكر بن مجاهد، فقال يابنى: ترى من مات الليلة؟ فانى قد رأيت في منامى، كأن قائلا يقول: قد مات الليلة مقوم وحى الله، منذ خمسين سنة، فلما اصبحنا إذا ابن مجاهد قد مات آخر مانقلناه من تاريخ الخطيب وذكره محمد بن إسحاق في كتابه، فقال: كان ابن مجاهد، مع ماعرف به من الفضل، واشتهر عنه من العلم والنبل، كثير المداعبة، طيب الخلق، وله من الكتب: كتاب القراءات الكبير، كتاب القراءات الصغير، كتاب الياءات، كتاب الهاءات، كتاب قراءة ابى عمرو، كتاب قراءة ابن كثير، كتاب قراءة عاصم، كتاب قراءة نافع كتاب قراءة حمزة كتاب قراءة الكسائى كتاب قراءة ابن عامر، كتاب قراءة النبى صلى الله عليه وسلم، كتاب السبعة كتاب انفرادات القراء السبعة كتاب قراءة على بن ابى طالب رضى الله عنه نقلت من خط أبي سعد السمعاني واختياره لتاريخ يحيى بن مندة سمعت الامام ابا المظفر عبد الله بن شيث المقرئ يقول: سمعت أحمد بن منصور المذكر يقول: سمعت ابا الحسن بن سالم البصري الصوفى يقول: وهو صاحب سهل بن عبد الله التسترى قال: سمعت ابا بكر محمد بن مجاهد المقرئ يقول: رأيت رب العزة في المنام؟ فتختمت عليه ختمتين، فلحنت فى موضعين، فاغتممت،فقال

يابن مجاهد: الكمال لى، الكمال لى قرأت فى تاريخ خوارزم فى ترجمة ابى سعيد، أحمد بن محمد، ابن حمديج الحمد يجى قال: كنت اختلف إلى ابى بكر بن مجاهد، المقرئ البغدادى، فكان يكرمى لفقهى،فاشتهيت ات اقرأ عليه، لما رايت من ولوع الناس بالقراءة عليه، فقلت له: اني اريد أن اقرأ عليك القرآن، فقال: نعم، إن كنت تريد القراءة، فاجلس مجلس التلامذة، قال فتحولت من جنبه الى بين يديه، فلما افتتحت القراءة على رسم العامة، وقلت: "بسم الله الرحمن الرحيم" قال: أوكذا تقرأ؟ إذهب الى ذلك الفتى حتى يرشدك، ثم اقرأ علي، فخجلت من ذلك، وترك إكرامي، كما كان يكرمني قبل ذلك، لما عرف بضاعتي في القراءة وقال التنوحي: بلغني عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال: الناس أربعة: مليح يتبغض لملاحته فيحتمل، وبغيض يتملح، فذاك الحمى، والداء الذي لا دواء له، وبغيض يبغض، فيعذر لأنه طبعه، ومليح يتملح، فتلك الحياة الطيبة ومن تاريخ ابن بشران: كان ابن مجاهد كثيرا ما ينشد:

إذا عقد القضاء عليك أمرا ... فليس يحله إلا القضاء

قال: وذكر عن ابن مجاهد: انه حضر وجماعة من اهل العلم في بستان، وداعب وقال: وقد لاحظه بعضهم التعاقل في البستان، كالتخالع في المسجد وروى عن ابى طالب الهاشمى صهر ابى بكر بن مجاهد قال: كنت عند ابن مجاهد وقد حضرته الوفاة، فقال لي: اخرج من ههنا من اهلنا، قال: ففعلت ذلك، ثم قال لى: وتباعد انت ايضا، فوقفت عنه بعيدا، فاستقبل القبلة، واقبل يتلو آيات من القرآن، ثم خفت صوته، فلم يزل يتشاهد الى ان طفا قال: وكان له جاه عريض عند السلطان، وسأله بعض اصحابه كتابا الى هلال بن بدر فى حاجة له، فكتب إليه كتابا وختمه، و لم يقف عليه، فلما صار الى هلال وسلم اليه الكتاب، قضى حوائجه، وبلغ له فوق ما اراد، فلما اراد ان ينصرف، قال له: تدرى ما في كتابك؟ قال: فاخرجه وفيه: "بسم الله الرحمن الرحيم" حامل كتابي إليك، حامل كتاب الله عني والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين.

أحمد النهر جوري،

أبو أحمد الشاعر العروضي له في العروض تصانيف، وهو به عارف حاذق، يجرى مجرى أبي الحسن العروضي والعمرانى وغيرهما فيه، وهو مع ذلك شاعر متوسط الطبقة، وهو من أهل البصرة حدثني أبو الحسن، عن علي بن محمد بن نصر الكاتب، قال: اجتمعت به بالبصرة فى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وانا فى جملة ابى الحسن بن ماسرجيس،وسافرنا عنها الى ارجان مع بهاء الدولة، وخرج النهرجورى معنا، واقام فى مصاحبته، إلى ان تقلد أبو الفرج، محمد بن على الخازن البصرة في اواخر سنة اثنتين واربعمائة،

فعاد معه اليها، ثم وردها فى ذى القعدة، سنة ثلاث واربعمائة، متصلا بخدمة "شاهنشاه" الاعظم، جلال الدولة بن بهاء الدولة، وقد مات النهرجورى قبل ذلك بشهور، بعلة طريفة، لحقته من ظهور القمل في جسمه، عند حكه اياه، الى ان مات وكان شيخا قصيرا، شديد الأدمة، سخيف اللبسة، وسخ الجملة، سيء المذهب، متطاير بالالحاد، غير مكاتم له، ولم يتزوج قط، ولا اعقب، وكان اقوى الطبقة في الفلسفة، وعلوم الاوائل، ومتوسطا في علوم العربية وعلمه بها اكثر من شعره، وكان ثلابة للناس هجاء قليل الشكر لمن يحسن إليه، غير مراع لجميل يسدى إليه وانشدني اشياء كثيرة من شعره، ومنه:

من عاذري من رئيس — يعد كسبي حسبي

لما انقطعت إليه — وصلت منقطعا بي

فسمع ذلك أبو العباس بن ماسرجيس،فقال: هذا تليس منه، وانا المقصو بالهجو، وانما قال: من عذيرى من وزير، وقد راقبني في تعبيره، فلما توفي النهرجوري، حمل إلى ابى العباس مسوداته، فوجد فيها القطعة منسوبة اليه، فاخرجها ووقفني عليها، وعرفني صحة حدسه فيه ومن شعره في أبي الوفاء بن الصقيل:

ما استخرج المال بمثل العصا — لطالبيه من أبي الغدر

اليس قد اخرج موسى بها — لقومه الماء من الصخرة

وله ايضا:

صاح نديمي وشفه الطرب — ياقومنا ان امرنا عجب

نار إذا الماء مسها زفرت — كأنها لالتهابها حطب

وله يهجو طبيباً من أهل الابلة، يعرف بأبي غسان وكان قد أغرى بهجائه:

ياطبيبا داوى كساد ذوي الأكفان — حتى أعادهم في نفاق

إن تكن قد وصلت رزقهم فيها — فكم قد قطعت من أرزاق؟

وقع الله فى جبينك للأرزاق — إن ودع وداع الفراق

وله فيه ايضا:

يا بن غسان أنت ناقضت عيسى — فهو يحيي الموتى وأنت تميت

يشهد القلب أنه يقدم الغاسل — أو إن دسته تابوت

وقال في أبي إسحاق الصابئ، يمدحه وهو بالبصرة بقصيدة أولها:

لا يذهبن عليك في العواد — ضعف القوى وتفتت الأكباد

لا تسألي عني سواك فإنما ذكراك أنفاسي وحبك زادي
يا سمحة بدمي على تحريمه فيما يظن أصادق وأعادي
حاشاك أن ألقاك غير بخيلة أو أن أرى ما لا ترين رشادي

وله يهجو امرأة:

تموت من شهوة الضراط ولا يسعدها دبرها بتصويت
كأنما إليتاك خابية تظل ملقية لتزفيت

وله أيضاً:

لو كان يورث بالتشابه ميت لملكت بالأعضاء ما لا يملك
ثعل مخاتله تخبر أنه في الناس من نطف الجميع مشبك

قالوا: و لم يكن وسخه وقذارته عن فقر، فإن حاله كانت مستقيمة حسنة، بل كانت لعادة سيئة فيه، وكان الناس يتقون لسانه وكثرة هجائه، قال ابن نصر: ومدح أبو أحمد النهرجوري أبا الفرج منصور بن سهل المجوسي عامل البصرة، فأعطاه صلة حاضرة هنية، والتف به الحواشى، فطالبوه، فكتب رقعة ودفعها إلى بعض الداخلين إليه، وقال تسلم هذه إلى الأستاذ وكان فيها:

أجارني الأستاذ عن مدحتي جائزة كانت لأصحابه
ولم يكن حظي منها سوى جربذتي يوماً على بابه

فلما وصلت إليه الرقعة،خرج فى الحال من صرف الحواشى عنه، وصار معه حتى دخل منزله:

أحمد بن نصر، بن الحسين البازريار

، أبو علي كان نديماً لسيف الدولة بن حمدان، وكان أبوه نصر بن الحسين من ناقلة سامرا، واتصل بالمعتضد وخدمه، وخف على قلبه، وأهله من خرسان،وكان يتعاطى لعب الجوارح فرد إليه المعتضد نوعاً من أنواع جوارحه، ومات أبو على بحلب، في حياة سيف الدولة، وله من الكتب كتاب تهذيب البلاغة ذكر ذلك كله محمد بن إسحاق النديم.قال ثابت بن سنان: مات أبو على أحمد بن نصر، بن البازايار بالشام، فى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وحدث أبو جعفر طلحة بن عبد الله بن قناش، صاحب كتاب القظاة قال: كنا بحضرة سيف الدولة، وقد كان من ندمائه، قال: كان يحضر معنا مجلسه أبو نصر النبض، وكان رجلاً من أهل نيسابور، أقام ببغداد قطعة من أيام المقتدر، وبعدها إلى أيام الراضى، وكان مشهوراً

بالطيبة و الخلاعة،وخفة الروح، وحسن المحاضرة، مع العفة و الستر، وتقلد الحكم في عدة نواح بالشام، فقيل له يوماً بحضرة سيف الدولة: لم لقبت النبض؟ فقال: ما هذا لقب، وإنما هو اشتقاق من كنيتي، كما لو أردنا أن نشتق من أبي على مثل هذا "وأومأ إلى ابن البازيار" لقلنا: البعل. أو اشتققنا من أبي الحسن "وأومأ إلى سيف الدولة" لقلنا:البحس، فضحك سيف الدولة منه،و لم ينكر عليه، وقد استدللت بهذه الحكاية، على عظم قدر ابن البازيار عند سيف الدولة،إذ قرن اسمه باسمه. قال أبو على عبد الرحمن بن عيسي، بن الجراح في تاريخه: لما ورد ناصر الدولة إلى بغداد، وقد رد إليه تدبير العساكر، وإمرة الأمراء، قلد الوزير أبو إسحاق محمد بن أحمد القراريطى، إبراهيم بن أخى أبي الحسن على بن عيسى، أصل ديوان المشرق، وزمام البر، وزمام المغرب، وزمام المنبع وديوان الفراتية، مدة من الزمان، ثم استشفع إلى الوزير، أحمد بن نصر البازيار، بابن مكرم كاتب ناصر الدولة، فقلده ديوان المشرق، وزمام البر، وزمام المغرب، وعوض أب نصر إبراهيم بن أخي أبي الحسن، مكان ماصرفه عنه، ديوان البر، وديوان ضياع ورثة موسى بن بغا الأصل. نقلت هذا من خط إبراهيم ابن أخي أبي الحسن، علي بن عيسى، صاحب هذه القصة، فإن النسخة بالتاريخ كانت بخطه. وذكر هلال أن أحمد ابن نصر البازيار، كان ابن أخت أبي القاسم، على بن محمد بن الحواري، وكان أبو العباس الصفري، شاعر سيف الدولة، قد حبس لمحاكمة كانت بينه وبين رجل من أهل حلب، فكتب إلى ابن البازيار في محبسه

كذا الدهر بوس مرة ونعيم ... فلا ذا و لاهذا يكاد يدوم

وذو الصبر محمود على كل حالة ... وكل جزوع في الأنام ملوم

يقول فيها:

أترضى الطماى قاض بحبسه ... إذا اختصمت يوماً إليه خصوم؟

وإن زماناً فيه يحبس مثله ... لمثلي، زمان ما علمت لئيم

يكاد فؤادي يستطير صبابة ... إذا هب من نحو الأمين نسيم

هل أنت ابن نصر ناصر بمقالة ... لها في دجى الخطب البهيم نجوم؟

ولائم قاض رد توقيع من به ... غدا قاضياً فالأمر فيه عظيم

ومتخذ عندي صنيعة ماجد ... كريم نماه في الفخار كريم

أحمد بن هبة الله، بن العلاء،

ابن منصور المخزومي أبو العباس،الأديب النحوى، المعروف بالصدر ابن الزاهد، مات في الثالث عشر من رجب، سنة إحدى عشرة وستمائة، وقد نيف على الثمانين وكان له اختصاص عظيم بالشيخ أبي محمد

بن الخشاب لا يفارقه، فحصل منه علماً جماً،وصارت له يد باسطة في العربية و اللغة، وكان قرأ قبله على أبي الفضل بن الأشتر، وكان كيساً مطبوعاً، خفيف الروح، حسن الفكاهة. وسمع من عبد الوهاب الأنماطي، وابن الماندائي، وغيرهما. أنبأنا أبو عبد الله الدبيثي، قال: أنشدني أبو العباس، أحمد بن هبة الله الأديب لفظاً، قال: أنشدني الأمير أبو الفوارس سعد بن محمد الصيفي لنفسه:

أجنب أهل الأمر و النهى زورتي وأغشى امرأ في بيته وهو عاطل

إني لسمح بالسلام لأشعث وعند الهمام القيل بالرد باخل

وما ذاك من كبر ولكن سجية تعارض تيهاً عندهم وتساجل

ذكره العماد فقال: هو من فقهاء النظامية، ذو الخاطر الوقاد، و القريحة والانقاد وله يد في العربية و النحو، قرأ على شيخنا أبي محمد الخشاب، وأنشدني لنفسه:

ومهفهف يسبيك خط عذاره ويريك ضوء البدر فى أزراره

حاكت شمائله الشمول وهجنت لطف النسيم يهب في أسحاره

وله قصيدة كتبها إلى الملك الناصر يوسف بن أيوب، منها

إن الأكاسرة الأولى شادوا العلي بين الأنام فمضل أو منعم

يشكون أنك قد نسخت فعالهم حتى تنوسي ما تقدم منهم

وسننت في شرع الممالك ماعملوا عن بعضه وفهمت مالم يفهموا وله أيضاً

ماذا يقول لك الراجي وقد نفذت فيك المعاني وبحر القول قد نزفا؟

وما له حيلة إلا الدعاء فإن يسمع يظل عليه الدهر معتكفاً

أحمد بن الهيثم، بن فراس،

بن محمد، ابن عطاء الشامي قال المرزباني: هو أحد الرواة المكثرين، روى عنه الحسن بن عليل العنزي، وأبو بكر وكيع، قلت: وكان أبوه الهيثم بن فراس، شاعراً مكثراً، وكان جده فراس من شيعة بني العباس، وقد أدرك دولة هشام بن عبد الملك، وله في أول الدولة أخبار، فحدث المرزباني بإسناد رفعه إلى الهيثم بن فراس قال: أنشدت عمار بن ثمامة:

ينادي الجار خادمة فتسعى مشمرة إذا حضر الطعام

وأدعو حين يحضرني طعامي فلا أمة تجيب ولاغلام

وحدث عن محمد، بن العباس عن المبرد قال: قال الهيثم بن فراس في المفضل بن مروان، وزير المعتصم:

تجبرت يافضل بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل، والفضل و الفضل

ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن يحيى، و الفضل بن الربيع، و الفضل ابن سهل.

فإنك قد أصبحت في الناس ظالماً ستودى كما أودى الثلاثة من قبل

أحمد بن يحيى،البلاذري

بن جابر، بن داوود البلاذري أبو الحسن، وقيل أبو بكر، من أهل بغداد ذكره الصولي في ندماء المتوكل على الله، مات في أيام المعتمد على الله إلى أواخرها، وما أبعد أن يكون أدرك أول أيام المعتضد، وكان جده جابر يخدم الخصيب صاحب مصر، وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، فقال. سمع بدمشق هشام بن عمار، وأبا حفص عمر ابن سعيد، وبحمص محمد بن مصفى، وبأنطاكية محمد ابن عبد الرحمن بن سهم، وأحمد بن مرد الأنطاكي، و بالعراق عفان بن مسلم، وعبد الأعلى بن حماد، وعلى ابن المديني، وعبد الله بن صالح العجلي، ومصعباً الزبيري، وأبا عبيد القاسم بن سلام، وعثمان بن أبي شيبة، وأبا الحسن على بن محمد المدائني، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، وذكر جماعة قال: وروى عنه يحيى بن النديم، وأحمد بن عبد الله بن عمار، وأبو يوسف، يعقوب بن نعيم قرقارة الأرزاني. قال محمد بن إسحاق النديم: كان جده جابر، يكتب للخصيب صاحب مصر، وكان شاعراً، وراويه، ووسوس آخر أيامه فشد بالمارستان، ومات فيه، وكان سبب وسوسته، أنه شرب ثمر البلاذر على غير معرفة، فلحقه مالحقه. وقال الجهشياري في كتاب الوزراء: جابر بن داوود البلاذري، كان يكتب للخطيب بمصر، هكذا ذكر. ولا أدرى أيهما شرب البلاذر؟ أحمد بن يحيى، أو جابر بن داود؟ إلا أن ما ذكره الجهشياري، يدل على أن الذي شرب البلاذر هو جده، لأنه قال: جابر بن داود، ولعل ابن ابنه، لم يكن حينئذ موجوداً، والله أعلم. وكان أحمد بن يحيى بن جابر، عالماً فاضلاً، شاعراً، راوية نسابة، متقناً، وكان مع ذلك، كثير الهجاء، بذيء اللسان، أخذ الأعراض، وتناول وهب بن سليمان، بن وهب، لما ضرط فمزقه، فمن قوله فيه، وكانت الضرطة بحضرة عبد الله بن يحيى، بن خاقان:

أيا ضرطة حسبت رعده تنوق في سلها جهده

تقدم وهب بها سابقاً وصلى أخو صاعد بعده

لقد هتك الله ستريهما كذا كل من يطعم الفهده

وقال أحمد بن يحيى، بن جابر، يهجو عافية بن شيب:

من رآه فقد رأى عربياً مدلسا

ليس يدري جليسه أفسا أم تنفسا؟

وحدث علي بن هارون، بن النجم في أماليه عن عمه قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري قال: لما أمر المتوكل إبراهيم بن العباس الصولي، أن يكتب فيما كان أمر به من تأخير الخراج، حتى يقع في الخامس من حزيران استفتاح الخراج فيه، كتب في ذلك كتابه المعروف، وأحسن فيه غاية الإحسان، فدخل عبيد الله بن يحيى على المتوكل، فعرفه حضور إبراهيم ابن العباس، وإحضاره الكتاب معه، فأمر بالإذن له فدخل، وأمره بقراءة الكتاب، فقرأه، واستحسنه عبيد الله بن يحيى، وكل من حضر، قال البلاذري: فدخلني حسد له، فقلت: فيه خطأ، قال: فقال المتوكل: في هذا الكتاب الذي قرأه على إبراهيم خطأ؟ قال: قلت: نعم، قال: يا عبيد الله وقفت على ذلك؟ قال: لا، و الله يا أمير المؤمنين، ما وقفت فيه على خطأ، قال: فأقبل إبراهيم بن العباس على الكتاب يتدبره، فلم ير فيه شيئاً، فقال يا أمير المؤمنين: الخطأ لا يعرى منه الناس، وتدبرت الكتاب، خوفاً من أكون قد أغفلت شيئاً وقف عليه أحمد بن يحيى، فلم أرما أنكره، فليعرفنا موضع الخطأ،قال: فقال المتوكل: قل لنا ما هو هذا الخطأ الذي وقفت عليه في هذا الكتاب؟ قال: فقلت هو شيء لا يعرفه إلا على بن يحيى المنجم، ومحمد بن موسى، وذلك أنه أرخ الشهر الرومي بالليالي، وأيام الروم قبل لياليها، فهي لا تؤرخ بالليالي، وإنما يؤرخ بالليالي الأشهر العربية، لأن لياليها قبل أيامها بسبب الأهلة، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، هذا مالا علم لي به،ولا أدعي فيه ما يدعى، قال: فغير تاريخه. قال الجهشياري: وقال أحمد بن يحيى، البلاذري في عبيد الله بن يحيى وقد صار إلى بابه فحجبه:

قالوا :اصطبارك للحجاب مذلة عار عليك به الزمان و عاب
فأجبتهم: ولكل قول صادق أو كاذب عند المقال جواب
إني لأغتفر الحجاب لماجد أمست له منن على رغاب
قد يرفع المرء اللئيم حجابه صنعة ودون العرف منه حجاب

وحدث الجهشياري قال: حدثني ابن أبي العلاء الكاتب، قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال:دخلت إلى أحمد بن صالح بن شيرزاد، فعرضت عليه رقعة لي فيها حاجة، فتشاغل عني فقلت:

تقدم وهب سابقاً بضراطه وصلى الفتى عبدون و الناس حضر
وإني أرى من بعد ذاك وقبله بطوناً لناس آخرين تقرقر

فقال يأبا الحسن: بطن من؟ فقلت: بطن من لم يقض حاجتى، فأخذ الرقعة، ووقع فيها بما أردت. وقال أحمد بن يحيى: يهجو صاعداً وزير المعتمد:

أصاعد قد ملأت الأرض جوراً وقد سست الأمور بغير لب
وساميت الرجال وأنت وغد لئيم الجد ذوعي وعيب
أضل عن المكارم من دليل وأكذب من سليمان بن وهب
وقد خبرت أنك حارثي فرد مقالتي أولاد كعب

قلت: أما سليمان بن وهب فمعروف، وأما دليل: فهو دليل بن يعقوب النصراني، أحد وجوه الكتاب، كان يكتب لبغا التركي، ثم توكل للمتوكل على خاصته. وحدث أبو القاسم الشافعي، في تاريخ دمشق بإسناده قال: قال أحمد بن جابر البلاذري: قال لي محمود الوراق: قل من الشعر ما يبقى ذكره، ويزول عنك إثمه، فقلت

إستعدي يانفس للموت واسعي لنجاة فالحازم المستعد
قد تثبت أنه ليس للحي خلود ولامن الموت بد
إنما أنت مستعيرة ما سوف تردين والعواري ترد
أنت تسهين والحوادث لا تسهو، وتلهين والمنايا تجد
لاترجى البقاء في معدن الموت ودار حقوقها لك وردُ
أي ملك في الأرض أم أي حظ لأمرىٍ حظه من الأرض لحدُ
كيف يهوى أمرؤ لذاذة أياماً عليه الأنفاس فيها تعد

ومن شعر البلاذري، الذي رواه المرزباني في معجم الشعراء:

يا من روى أدباً ولم يعمل به فيكف عادية الهوى بأديب
ولقلما تجدي اصابة صائب أعماله أعمال غير مصيب
حتى يكون بما تعلم عاملاً من صالح فيكون غير معيب

قال ابن عساكر في كتابه: وبلغني أن البلاذري كان اديباً، راوية، له كتب جياداً، ومدح المأمون بمدائح، وجالس المتوكل، ومات في أيام المعتمد، ووسوس في آخر عمره. قال المؤلف: هذا الذى ذكره ابن عساكر، من كلام المرزباني في معجم الشعراء بعينه. وقال محمد ابن اسحاق النديم: وله من الكتب:

كتاب البلدان الصغير، كتاب البلدان الكبير لم يتم، كتاب جمل نسب الأشراف، وهو كتابه المعروف المتهور، كتاب عهد أردشير، ترجمه بشعر. قال: وكان أحد النقلة من الفارسي إلى العربي، كتاب الفتوح وحدث الصولي في كتاب الوزراء: حدثني أحمد ابن محمد الطالقني قال: لي أحمد ابن يحيى البلاذري: كان بيني وبين عبيد الله ابن يحيى، ابن خاقان حرمة، منذ أيام المتوكل،وماكنت أكلفه حاجة لإستغناء عنه، فنالتني في أيام المعتمد على الله إضافة،فدخلت إليه وهو جالس للمظالم، فشكوت تأخر رزقي وثقل ديني، وقلت: إن عيب على الوزير - أعزه الله - حاجة مثلي في أيامه، وغض طرفه عني، فوقع لي ببعض ما أردت، وقال: أين حياؤك المانع لك من الشكوى على الاستبطاء؟ فقلت: غرس البلوى، يثمر ثمر الشكوى، وانصرفت، وكتبت إليه:

لحاني الوزير المرتضى في شكايتي   زماناً أحلت للجذوب محارمه
وقال :لقد جاهرتني بملامة   ومن لي بدهر كنت فيه أكاتم
فقلت :حياء المرء ذو الدين والتقى   يقل إذا قلت لديه دارهم

وحدث الصولى عن محمد ابن علي: أن البلاذري امتدح أبا الصقر، اسماعيل بن بلبل، وكتب إليه كتاباً حسناً، وسأله أن يطلق له شيئاً من ارزاقه ووعده فلم يفعل، فقال:

تجانف إسماعيل عني بوده   ومل إخائي واللئيم ملول
وأن امرؤ يغشى أبا الصقر راغباً   إليه ومغترا به لذليل
وقد علمت شيبان أن لست منهم   فماذا الذي إن أنكروك تقول؟
ولو كانت الدعوى تثبت بالرشى   لثبت دعواك الذين تنيل
ولكنهم قالوا مقالاً فكذبوا   وجاؤوا بأمر ماعليه دليل

وله فيما أورده عبيد الله ابن ابى طاهر:

لما رأيتك زاهياً   ورأيتني أجفى ببابك
عديت رأس مطيتي   وحجبت نفسي عن حجابك

أحمد ابن يحيى، ابن يسار،

أبو العباس ثعلب الشيباني، مولاهم النحوي اللغوي، إمام الكوفيين في النحو واللغة، والثقة، والديانة. ولد فيما ذكره المرزباني عن مشايخه، سنة مائتين، ومات لثلاث عشرة ليلة بقيت من جماد الأولى، سنة إحدى

وتسعين ومائتين، في خلافة المكتفي ابن المعتضد، وقد بلغ تسعين سنة وأشهر وكان رأى أحد عشر خليفة، أولهم المأمون وأخرهم المكتفى وكان قد ثقل سمعه قبل موته، ودفن في مقابر باب الشام، في حجرة اشتريت له، وبنيت بعد ذلك، وقبره هناك معروف، ورد ماله على ابنته، وكان خلف إحدى وعشرين الف درهم، وألفي دينار، ودكاكين بباب الشام، قيمتها ثلاثة آلاف دينار، وضاع له قبل أحمد الصيرفي ألف دينار، وكان يتجر له بها، ذكر ذلك عبد الله ابن الحسين القطر بلى في تاريخه: حدث المرزباني عن أبي العباس، محمد ابن طاهر الطاهري، وكان أبو العباس ثعلب، يؤدب أباه طاهر ابن محمد، بن عبد الله، بن طاهر، قال: كان سبب وفاة أبي العباس ثعلب، أنه كان في يوم جمعة قد انصرف من الجامع بعد صلاة العصر، وكان يتبعه جماعة من اصحابه إلى منزله، أنا أحدهم، فتبعناه في تلك العشية، إلى أن صرنا إلى درب قد أسماه بناحية بابل باب الشام، وأتفق أن ابناً لإبراهيم ابن أحمد المادرائي، يسير من وراءنا على دابة، وخلفه خادم له على دابة، قد قلق واضطرب، وكان في تلك العشية بيده دفتراً ينظر فيه وقد شغله عما سواه،فلما سمعنا صوت حوافر الدواب خلفنا، تآخرنا عن جادة الطريق، و لم يسمع أبو العباس لصممه صوت الحوافر، فصدمته دابة الخادم، فسقط على رأسه في هوة من الطريق، أخذ ترابها، فلم يقدر على القيام، فحملناه إلى منزله، كالمختلط يتأوه من رأسه، وكان سبب وفاته – رحمه الله –.

وحدث المرزباني عن أحمد بن محمد العروضي قال: إنما فضل أبو العباس أهل عصره، بالحفظ للعلوم التي يضيق عنها الصدور، وقد كان أبو سعيد السكري كثير الكتب جداً،فكتب بيده ما لم يكتبه أحداً، فكان في الطرفان، لأن أبا سعيد، كان غير مفارق للكتاب عند ملاقاة الرجال. وابو العباس لايمس بيده كتابة إتكالاً على حفظه، وثقة بصفاء ذهنه. قال الخطيب: سمع يعني ثعلبة، محمد بن سلام الجمحي، ومحمد بن زياد الأعرابي، وعلي ابن المغيرة الأكثرم، وإبراهيم بن المنذر الحراني، وسلمة بن عاص، وعبيد الله بن العمر القواري، والزبير بن بكار، وخلق كثيرة. وروى عنه محمد ابن العباس اليزيدي، وعلي ابن سليمان الأخفش، وإبراهيم بن محمد، بن عرفة نفطويه، وأبو بكر بن الأنباري، وأبو عمر الزاهد، وأبو الحسن بن المقسم، وأحمد ابن كامل القاضي وخلق كثر. وكان يقول: سمعت من القواريري مائة الف حديث.

قرأت بخط أبي سالم الحسن ابن على: نقلت من خط الحسن بن على المقلة، قال أبو العباس أحمد بن يحيى ابتدأت النظر في العربية، والشعر واللغة، سنة ست عشرة، ومولد سنة مائتين، في السنة الثانية من خلافة المأمون. قال أبو العباس: ورأيت المأمون لما قدم من خرسان في سنة اربع ومائتين وقد خرج من باب الحديد، وهو يريد قصر الرصافة، والناس صفان في المصلى، قال: وكان أبى قد حملني على يده، فلما مر المأمون، رفعني وقال لي: هذا المأمون، وهذه سنة اربع، فحفظت ذلك إلى هذه الغاية وحذقت العربية، وحفظت كتب الفراء كلها، حتى لم يشذ عنى حرف منها، ولي خمس وعشرون سنة، وكنت أعنى

بالنحو، أكثر من عناية بغيره، فلما أتقنته، أكببت على الشعر، والمعاني، والغريب، ولزمت أبا عبد الله ابن الاعرابي، بضع عشرة سنة، وأذكر يوماً وقد صار إلى أحمد بن سعيد ابن سليم وأنا عنده وجماعة منهم السدرى، وابو العالية، فأقام وتذاكروا شعر الشماخ، وأخذوا في البحث عن معانيه، والمسألة عنه، فجعلت أجيب ولا أتوقف وابن الأعرابي يسمع، حتى أتينا على معظم شعره، فالتف إلى أحمد ابن سعيد يعجبه مني. قال أبة العباس: قلت لابن ماسويه في علة شكوتها إليه، ماتقول في الحمام: فقال لي: أن تهيأ لانسان بعد اربعين سنة، أن يكون قد قيم حمام فليفل، قال أبو العباس: الذي لاينسب إليهيه، لأنه لايتم إلا بصلة، والعرب لاتنسب إلا إلى اسم تام، والذي وما بعده حكاية، والحكاية لاينسب إليها، لئلا تتغير. قال أبو العباس: وسئل ابن قادم عنها، وأنا غائب بفارس، فقال: اللذوي فلما قدمت وسئلت، فقلت: لاينسب إليه وأتيت بهذه العلة، فبلغته، فلما اجتمعنا تجاذبنا، ثم

رجع الى قولي. وقال أبو العباس: كنت أصير إلى الرياشي لأسمع منه، وكان نقي العلم، فقال لي يوماً وقد قرئ عليه:

ماتنقم الحرب العوان مني ... بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدتني أمي؟ كيف نقول؟ بازل أو بازل؟ فقلت: أتقول لى هذا بالعربية؟ إنما أقصدك لغير هذا يروى بازل وبازل، الرفع على الاسئتناف، والخفض على الإتباع، والصب على الحال، فاستحيى وأمسكا. قال أبو العباس: ودخلت على محمد ابن عبد الله، بن طاهر، فإذا عنده المبرد وجماعة من أصحابه وكتابه، وكان محمد ابن عيسى وصفه له، فلم قعدت، قال لي محمد ابن عبد الله: ماتقول في قول امرئ القيس؟:

لها متنتان خظاتا كما ... أكب على ساعديه النمر

قال: قلت أما غريب البيت، فإنه يقال لحم خظا يخظى: إذا كان صلباً مكتنزا، ووصف فرساً، وقوله أكب على ساعديه النمر: أي في صلابة ساعد النمر، إذا اعتمد على يديه والمتن: الطريقة الممتدة من عن يمين الصلب وشماله، ومافيه من العربية أنه خظاتا، فلم تحركت التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة، قال: فأقبل بوجهه على محمد بن يزيد فقال له محمد: - أعز الله الأمير - إنما أراد خظاتا بالإضافة، أضاف خظاتا إلى ما قال فقلت: ما قال هذا لأحد. قال محمد بن يزيد: بلى سيبويه يقول، فقلت لمحمد بن عبد الله لا والله ما قال سيبويه وهذا كتابه فليحضر، ثم أقبلت على محمد بن عبد الله، وقلت: ما حاجتنا إلى كتاب سيبويه؟ أيقال مررت بالزيدين طريفي عمرو، فيضاف نعت الشيء إلى غيره؟؟ فقال محمد لصحة طبعه، لا والله مايقال هذا، ونظر إلى محمد بن يزيد فأمسك و لم يقل شيئاً فقمت ونهض المجلس. قال عبد الله الفقير إليه: لا أدري، لما لايجوز هذا؟ وما أظن أحداً أن ينكر قول القائل: رأيت الفرسين مر كوبي

زيد، والا الغلامين عبدي عمرو، ولا الثوبين ذراعتي زيد، ومثله مررت بالزيدين طريفي عمر، فيكون مضاف الى عمرو، وهو صفة لزيد، وهذا ظاهر لكل متأمل. قال أبو العباس: لما شاهدني المازني وجاراني النحو، وخرج الى سر من رأى، كان يذكرني ويوجه: الى أخوك يقرئك السلام. قال أبو العباس: قال لي محمد ابن عيسى بحصرة محمد ابن عبد الله: نحن نقدمك لتقدمه الأمير، فقلت له ياشيخ: إني لم أتعلم لتقدمني الأمراء، وإنما تعلمته لتقدمني العلماء. قال أحمد ابن يحيى: كان محمد ابن عبد الله، يكتب الف درهم واحدة، فإذا مر به ألف درهم واحد أصلحه واحدة، وكان كتابه ينكرون ذلك، ويغلظ عليه ويهابونه، فلا يبتدأونه فيه بشيء، فقال يوم: أتدري لما عمل القراء كتاب البهي؟ قلت لا، قال: لعبد الله أبي، بأمر طاهر الجدي، قلت له: إنه كان قدعمل له كتباً، منها: كتاب المذكروالمؤنث قال ومافيه؟ مثل الف درهم واحد، ولايجوز واحدة، ففتح عينيه وتنبه وأقلع. وقال أبو العباس:بعث الي عبدالله ابن اخت أبي الوزير، رقعة فيها خط المبرد: ضربته بلا سيف، قال: أيجوز هذا؟ فوجهت إليه، لا والله ماسمعت بهذا، قال أبو العباس: هذا خطأ البتة لأن لا التبرئة لايقع عليه خافض ولاغيره، لأنها أداة، وماتقع أداة على أداة. قال العجوزى: صرت إلى المبرد مع القاسم والحسن ابنى عبيد الله، بن سليمان، بن وهب، فقال لي القاسم سله عن شيء من الشعر فقلت ما تقول: - أعزك الله - في قول أوس؟:

وغيرها عن وصل الشيب أنه　　　شفيع الي بيض الخدور مدرب

فقال بعد تمكث وتمهل وتمطق: يريد النساء أنس به، فصرنا لايسترنا منه، ثم صرنا إلى أبي العباس أحمد ابن يحيى، فلم غص المجلس، سألته عن البيت، فقال: قال لنا ابن الأعرابي: إن الهاء في "أنه للشباب" وإن لم يجر له ذكر لأنه علم، والتفت الى الحسن والقاسم فقلت: أين صاحبنا من صاحبكم؟. وقال حمزة: لما مات المازني، خلفه أبو العباس المبرد، وبقي ذكره ببغداد وسامراء، لايفض احد منه، الى أن ذكره ابن الأنباري في بعض مصنفاته وأراد أن يضع منه، ويرفع من صاحبه أبي العباس، أحمد ابن يحيى ثعلب، جاري على عادته في العصبية للكوفيين على البصريين، فقال: سمعت أبا العباس يعنى ثعلب: عزمت على المضي الى المازني لاناظره، فأنكر ذلك على أصحابنا وقالوا: مثلك لا يصلح أن يمضي إلى بصرى، فيقال غداً إنه تلميذه، فكرهت الخلافة عليه، فأراد ابن الانباري أن يرفع من ثعلب، فوضع منه، و لم يقتصر على ذلك التقصير بالمازني، حتى قصر بالخليل أيضاً، وزعم أن أبا العباس أحمد ابن يحيى، حكى له أن ابا جعفر الرؤاسي، عمل كتاباً في النحو وسماه الفيصل، فبعث الخليل إليه يستعيره، فوجه به إليه، فقال: والدليل على أن الخليل تعلم النحو من كتاب الرؤاسي مايوجد في كتاب سيبويه من ذكره، إذ يقول: قال الكوفي:

وهذا متى سمع، علم أنه لايقوله إلا عصبي. قرأت في كتاب ابن أبي الأزهر، بخط عبد السلام البصري قال: كان بأزاءدار أبي العباس ثعلب، رجل قد غلب على عقله، فكان ربما خرج فجلس على باب بيته ينظر إلى الناس، فرأى يوماً غلام أبي العباس، وقد أدخل إلى داره خبز أسود فقال له يا أبا العباس: ألا تشتري لك خبز حواري؟ مامعنى هذا الضيق والشؤم؟ فقالله: هذا أصلح من الحاجة، وبد للوجه الى الناس فضحك فقال: عجبت لك من هذا الكلام، أما لك هذا، إلا من بذل الوجه والحاجة إلى الطلب منه، لاتقبل بر أحد إن كنت صادقاً فالتفت إلى وقال: قد قال قولاً، ثم أنشدني في الزهد:

زماننا صعب وإخواننا | أيديهم جامدة البذل
وقدمضى الناس ولم يبقى فيه | عصرك إلا محكم البخل
وما لنا بلغة أقواتنا | مافيه للأسراف من فضل
غضم كفيك على ملكها | وأطرش السمع عن العذل

فتعجبت من إنشاد هذا الشعر، بعقب ما خوطب به قال أحمد ابن فارس اللغوي: كان أبو العباس ثعلب، لايتكلف الأعراب في كلامه كان يدخل المجلس فتقوم له فيقول: أقعدوا أقعدوا بفتح الألف قال ابن كامل القاض: أنشدني أبو بكر ابن العلاف لنفسه لما مات المبرد:

ذهب المبرد وانقضت أيامه | وليلحقنا مع المبرد ثعلب
بيت من الأداب أصبح نصفه | خرباً وباق بيتها فسيخرب
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا | للدهر أنفسكم على مايسلب
ذهب المبرد حيث لاترجونه | أبداً ومن ترجونه فمغيب
فتزودوا من ثعلب فبكاس ما | شرب المبرد عن قليل يشرب
واستحلبو ألفاظه فكأنكم | بسريره وعليه جمع ينحب
وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسه | إن كانت الأنفاس مما يكتب
فليلحقن بمن مضى متخلف | من بعده وليذهبن وتذهب

وقال أبو الطيب عبد الواحد اللغوي في كتابه المسمى مراتب النحويين، قال: كان ثعلب يعتمد على ابن الأعرابي في اللغة وعلى سلمة ابن عاصم في النحو، ويروى عن ابن نجدة كتب أبا زيد، وعن الأثرم كتب أبي عبيدة، وعن أبى نصر كتب الأصمعي، وعن عمرو ابن أبي عمرو كتب ابيه، وكان ثقة متقنة يستغني

بشهرته عن نعته وقال: وكان ثعلب حجة، ديناً، ورعاً، مشهوراً باللحفظ والصدق وإكثار الرواية وحسن الدراية، كان ابن الاعرابي إذا شكى في شيء يقول له: ما عندك يا أبا العباس في هذا؟ ثقة بغزارة حفظه. ولد سنة مائتين، وطلب اللغة والعربية في سنة ست عشرة ومائتين، قال: وابتدأت بالنظر في حدود الفراء وسني ثماني عشرة سنة، وبلغت خمس وعشرين سنة، وما بقي على مسألة للقراء، إلا وأنا أحفظها، وأحفظ موضعها من الكتاب، و لم يبق شيء من كتب الفراء في هذا الوقت، إلا وقد حفظته. وحدث المزرباني: قال عبد الله بن حسين، بن سعد القطر بلى في تاريخه: كان أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، بن الحفظ، والعلم، وصدق اللهجة، والمعرفة بالغريب، رواية الشعر القديم، ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين على ما ليس عليه أحد وكان يدرس كتب الفراء، والكسائي، درسا، وكان متبحرا في مذهب البصريين لا مستخرجا للقياس، ولا طالبا له، وكان يقول: قال الفراء: والكسائي: فإذا سأل عن الحجة والحقيقة في ذلك لم يعرف النظر وكان أبو على أحمد ابن جعفر النحوى ختنه، زوج ابنته، يخرج من منزله وهو جالس على باب داره، فيتخطى اصحابه، ويمضى ومعه دفتره ومحبرته، فيقرأ على أبي العباس المبرد كتاب سبيويه، فيعاتبه أحمد ابن يحيى على ذلك ويقو ل له: إذا رأك الناس تمضي الى هذا الرجل تقرأ عليه، يقول ماذا؟ و لم يكن يلتفت الى قومه قال: وكان ختنه هذا أبو علي يعرف بالدينوري، وكان حسن المعرفة، فسمعت إسحاق المصعبي يقول له: كيف صار محمد ابن يزيد، أعلم بكتاب سبيويه من أحمد ابن يحيى؟ قال: لأن محمد ابن يزيد، قرأه على العلماء، وأحمد ابن يحيى، قرأه على نفسه. قال: و لم يزل ثعلب متقدم عند العلماء منذ أيام حداثته، وكان ضيق النفقة مقترا على نفسه. حدثني أخي، وكان صاحبه ووصيه قال: دخلت إليه يوما وقد احتجم، وبين يديه طبق فيه ثلاثة أرغفة، وخمس بيضات، وبقل وخل، وهو يأكل، فقلت له: يا أبا العباس، قد احتجمت، ولو أخذ لك رطل لحم وثمن التوابل، ومثله للعيال كان ما له معنى. قال: وسمعت أحمد ابن إسحاق المعروف بابي المدور يقول: كنت أرى عبد الله بن الأعرابي يشك في الشيء، فيقول لثعلب: ما عندك يا أبا العباس في هذا؟ ثقة بغزارة حفظه، و لم يكن مع ذلك موصوفا بالبلاغة، ولا رأيته إذا كتب كتاباً إلى بعض إخوانه من أصحاب السلطان، خرج عن طبع العامة، فإذا أخذته في الشعر والغريب، ومذهب الفراء والكسائي، رأيت من لا يفي به أحدا، ولايتهيأ له الطعن عليه، وكان هو ومحمد بن يزيد، عالمين، ختم بهما تاريخ الأدب، أو كان كما قال بعض المحدثين:

أيا طالب العلم لاتجهلن ... وعد بالمبرد أو ثعلب

تجد عند هذين علم ورى ... فلا تك كالجمل الأجرب

علوم الخلائق مقرونة بهذين في الشرق والمغرب

قال المرزباني: أخبرني الصولي أن عبد الله ابن الحسين بن سعد القطربلي: أنشده هذه الأبيات لنفسه.

وحدث محمد ابن أحمد الكاتب قال: حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال: سألني ابن الأعرابي: كم لك من الولد؟ فقلت: ابنة وأنشدته:

لولا أميمة لم أجزع من العدم ولم أجب في الليالي حندس الظلم
تهوى حياتي، وأهوى موتها شفقاً والموت أكرم نزالا على الحرم

فأنشدني ابن الأعرابي في المعنى:

أميمة تهوى عمر شيخ يسره لها الموت قبل الليل لو أنها تدري
يخاف عليها جوفة الناس بعده ولا ختن يرجى أود من القبر

وحدث عن أبي عبد الله الحكيمي، عن يموت بن المزرع قال: وأراد أبو العباس ثعلب أن يرحل الى أبي حاتم السجستاني في البصرة، فبلغه أن أبا حاتم أنتشر ذكره يوما، لم رأى جماعة المرد يكتبون في مجلسه، فرأه غلام منهم فقال له: – أصلحك الله – أي لام هذه؟ قال: لام كي يابني، فلم يخرج أبو العباس إليه. وحدث الصولي قال: كنا عند أبي العباس أحمد ابن يحيى فقال له رجل: المجسد هذا المعروف، فما المصدر؟ قال: مصدره السجود، قال: فعرفني ما لايجوز منذا؟ فقال: لا يقال مسجد، وضحك، وقال: هذا يطول إن وصفنا ما لايجوز، وإنما يوصف الجائز، ليدل على أن غيره لايجوز. ومثل ذلك أن ماسيويه: وصف لانسان دواء ثم قال له: كل الفروج وشيئا من الفاكهة، وقال: أريد أن تخبرني بالذي لا أكل، فقال: لاتأكلن ولاحماري، ولاغلامي، واجمع كثير من القراطيس وبكر إلي فإن هذا يكثر إن وصفته لك

وحدث عن الصولى قال: قال أبو العباس ثعلب: لم أسمع من جماعة كلهم قد رأيته، وتمكنت منه، ولو أردت ذلك، ما فاتني عنه جميع ما أطلب، منهم أبو عبيد القاسم ابن سلام وإسحاق الموصلي، وأبو التوبة والنظر ابن حديد، وإني لا أذكر موت الفراء ذكر جيداً، وأنا في الكتاب. وحدث قال: وقال أبو العباس يوم لاخر: الهرم علة قائمة بنفسها، فاذا كان معه علة، فذاك امر عظيم، وأنشد:

أرى بصرى في كل يوم وليلة يكل وخطوى عن مداهن يقصر
ومن يصحب الأيام تسعين حجة يغيرنه والدهر لا يتغير
لعمري لأن أصبحت أمشي مقيدا لما كنت أمشي مطلق قبل أكثر

وحدث أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي قال: قال ثعلب: أقعدني محمد ابن عبد الله ابن طاهر، مع ابنه طاهر، وأفرد لي دار في داره، وأقام لنا وظيفة فكنت أقعد معه إلى أربع ساعات من النهار ثم أنصرف إذا أراد الغداء، فنما ذلك الى أبيه، فكسى البهو والأروقة وأضعف ما كان يعد من الألوان، فلما حضر وقت الانصراف، انصرفت فنما ذلك اليه، فقال للخادم الموكل بنا، قد نمى الى انصراف أحمد بن يحيى وقت الطعام، فظننت أنه يستقل ما يحضر، و لم يستتطب الموضع فأمرنا بتضعيفه، ثم نمى إلى أنه انصرف، فقل له عن نفسك:أبيتك أبرد من بيتنا؟ أو طعامك أطيب من طعامنا؟ وتقول له عنى: انصرافك الى بيتك وقت الغداء هجنة علينا، فلما عرفني الخادم ذلك، أقمت، فكنت علة هذه الحال، ثلاث عشرة سنة، وكان يقم لي مع ذلك في اليوم، سبعة وظائف من الخبز الخشكار، ووظيفة من الخبز السميد وسبعة ارطال من اللحم، ووعلوفة رأس وأجرى لي في الشهر الف درهم، ولقد جاءت سنة لفتنه، وعظم الأمر بالدقيق واللحم، فكتب اليه كاتبه على المطبخ، يعرفه ما هو فيه من عظم المؤنة، ويسأله احضار الجليدة، فيقتصر على ما لا بد منه،فأنفذها، فكان مشتملة على ثلاثة آلاف وستمائة انسان، فرأيت محمدا قد زاد فيها بخطه قوم اخرين، ووقع عليها: لست اقطع عن أحد ما عودته، ولاسيما من قال لى: أطعمنى الخبز، فاجرى الأمر على ما في الجريدة، واصبر على هذه المؤن فإما عشنا جميعاً وإما متنا جميعا. قال الزبيدي: وخلف كتب جليلة، فاوصى الى على ابن محمد الكوفي، أحد أعيان تلاميذه، وتقدم اليه في دفع كتبه الى أبي بكر أحمد بن إسحاق القطر بلى، فقال الزجاج للقاسم بن عبيد الله: هذه كتب جليلة، فلا تفوتنك، فاحضر خيران الوراقة، فقوم ما كان يساوى عشرة دنانير ثلاثة، فبلغت أقل من ثلاثمائة دينار، فأخذها القاسم بها. وقال أبو الطيب، عبد الواحد بن العلي اللغوي في كتاب مراتب النحويين: وانتهى علم الكوفيين الى ابن السكيت، وثعلب، وكان ثقتين امينين، ويعقوب أسن وأقدم موتا، وأحسن الرجلين تأليفاً، وكان ثعلب أعلهما بالنحو، وكان يعقوب يضعف فيه. قال ثعلب: كنت يوما عند ابن السكيب، فسألني عن شيء فصحته، وكان ثعلب شديد الحدة، قال: فقال لي لاتصح، فوالله ما سألت إلا مستفهماً وحدث أحمد ابن العسكري في كتاب التصحيف قال:وأخبرنا أبو بكربن الأنباري قال: حدثني أبي قال: قرأ القطر بلى على أبي العباس ثعلب بيت الأعشى:

فلو كنت في حب ثمانين قامة ... ورقيت اسباب السماء بسلم

فقال أبو العباس: خرب بيتك، هل رأيت حباً قط ثمانين قامة؟ إنما هو جب وحدث الخطيب قال: قال

ثعلب: كنت أحب أن أرى ابن حنبل، فلما دخلت عليه قال لي: فيما تنظر؟ قلت: في النحو والعربية فأنشدني أبو عبد الله وهو لبعض بني أسد:

إذا ما خلوت الدهر يومافلا تقل		خلوت، ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ما يرى		ولا أنما تخفني عليه يغيب
لهونا على الأثام حين تتابعت		ذنوب على أثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى		فيأذن في تواباتنا فنتوب

وحدث الخطيب قال: قال أبو محمد الزهري: كان لثعلب عزاء لبعض أهله فتأخرت عنه، لأن هفا علي، ثم قصدته معتذرا، فقال لى: يا أبا محمد، ما بك حاجة الى تكلف عذراً، فإن الصديق لايحاسب والعدو لايحتسب له وجدت بخط أبي الحسن، علي ابن عبيد الله، السميسمي اللغوي:حدثنا أبو محمد بن الحسن النوبختي، قال: حدثنا أبو الفتح، محمد ابن جعفر المراغي النحوي قال: حدثنا أبو بكر بن الخيار النحوي: كنت عند أبي العباس ثعلب في بعض الأيام، فسأله رجل وقد ساء سمعه، فقال له: يا أبا العباس، أعزك الله، ما الصوص؟ فقال له: الصوح اصل الجبل، فأعاد الرجل سؤاله، لعلمه بأن الشيخ ما فهم، فقال ثعلب: السوح جمع ساحة، فاعاد سؤال ثالثة،، فعلم ثعلب أنه ما فهم عن الرجل، قال: فقال له: أدن مني، فألقم أذني فاك وقل: ففعل ذلك، فلما فهم ثعلب سؤاله، قال: نعم، العرب تقول: رأيت صوصاً على أصوص، أي رجل نذل على ناقة الكلمة. حدث الزجاجي أبو القاسم، عن علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا أحمد ابن يحيى ثعلب قال: قدم الرياشي بغداد، سنة ثلاثين ومائتين، فصرت إليه لأخذ عنه، فقال لي: أسألك عن مسألة؟ فقلت: نعم فقال: تجيز نعم الرجل يقوم؟ فقلت: نعم هي جائزة عند الجميع، أم الكسائي فيضمر، والتقدير عنده نعم الرجل رجل يقوم، لأن نعم عنده فعل، والفراء لايضمر، لأن نعم عند اسم، فيرفع الرجل بنعم، ويقوم الصلة للرجل. وأما صاحبك، يعني سبيويه: فإنه لايضمر شيئاً، ونعم عنده ايضا فعل، ولكن يجعل يقوم مترجماً وهو الذي يسمونه البدل، فسكت فقلت له: فأسألك عن مسألة؟ فقال: نعم فقلت: أيجوز يقوم نعم الرجل؟ فقال: جائز، فقلت: هذه خطأ عند الجميع، أما على مذهب الكسائي فانه لايولى الفعل فعل. فأما على مذهب الفراء: فان يقوم عنده صلة للرجل والصلة لاتتقدم على الموصول. وأما على مذهب سبيويه صاحبك: فأنه لايجوز، لأنه ترجمة، والترجمة إيضاح وتبين للجملة التي تتقدمها، ولايجوز تقديمها عليها. فقال: أنا تارك للعربية،فخذ فيما قصدت له، ففاتحته ايام الناس، والأخبار، والأشعار، ففتحت به سيح بحر. وحدث قال: أخبرنا على بن سليمان الأخفش قال: كنت يوما بحضرة ثعلب، فاسرعت القيام قبل انقضاء المجلس، فقال: الى أين؟ ما

أراك تصبر عن مجلس الخلدي، يعني المبرد، فقلت له: لي حاجة،فقال لي: ان اراه يقدم البحتري على أبي تمام، فاذا اتيته،فقل له: ما معنى قول أبي تمام:

ألفته النحيب كما افتراق   أظل فكان داعية اجتماع

قال أبو الحسن: فلما صرت إلى أبي العباس المبرد، سألته عنه، فقال: معنى هذا: أن المتحابين العاشقين قد يتصارمان ويتهاجران إذلالا، لا عزما على القطيعة، فاذا حان الرحيل وأحسا بالفراق، تراجعا إلى الود، وتلاقيا خوف الفراق، وأن يطول العهد بالالتقاء بعده، فيكون الفراق حينئذ سبباً للاجتماع، كما قال الآخر:

متعا باللقاء يوم الفراق   مستجيرين بالبكا و العناق

كم أسرا هواهما حذر الناس   وكم كاتما غليل اشتياق

فأظل الفراق فالتقيا فيه   فراقا أتاهما باتفاق

كيف أدعو على الفراق بحتف   وغداة الفراق كان التلافي

قال: فلما عدت إلى ثعلب سألني عنه، فأعدت عليه الجواب والأبيات، فقال: ما أشد تمويهه!! ما صنع شيئاً، إنما معنى البيت، أن الانسان قد يفارق محبوبه، رجاء أن يغنم في سفره، فيعود الى محبوبه مستغنيا عن التصرف، فيطول اجتماعه معه، ألا تراه يقول في البيت الثاني:

وليست فرحة الأوبات إلا   لموقوف على ترح الوداع

وهذا نظير قول الآخر، بل منه أخذ أبو تمام:

وأطلب بعد الدار لتقربوا   وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

هذا هو ذاك بعينه. وحكى ان ثعلباً خرج يوماً على أصحابه، وليس فيهم إلا كهل أو شيخ، فأنشد متمثلاً:

ألا ربما سؤت الغيور وبرحت   بي الأعين النجل المراض الصحائح

فقد سادني أن الغيور يودنى   وأن نداماي الكهول الجحاجح

قلت أنا: إن هذا والله مليح جداً

وحدث جحظة في أماليه قال:كنت يوماً في مجلس ثعلب، فقال له رجل ياسيدي: ما البعجدة؟ قال: لا أعرفها في كلام العرب، فقال الرجل: فإني وجدها في شعر عبد الصمد بن المعذل حيث يقول

أعاذلتى أقصري   أبع جدتى بالمنن

فاغتاظ أبو العباس غيظاً عظيماً وقال: ياقوم، أجيدوا أذنيه عركاً، أو يحلف أنه لايرجع يحضر حلقتي، ففعلنا. قال أبو محمد عبد الرحمن ابن أحمد الزهري: كانت بيني وبين أبي العباس ثعلب مودة وكيدة، وكنت أستشيره في أموري، فجئته يوماً أشاوره في الانتقال من محلة الى محلة، لنأذي بالجيران. فقال: يا أبا محمد، العرب تقول: صبرك على أذى من تعرف، خير من استحداث ما لاتعرف. قال أبو عمر الزاهد: أنشدني أبو العباس ثعلب:

إذا ما شئت أن تبلو صديقاً　　فجرب وده عند الدراهم
فعند طلابها تبدو هنات　　وتعرف ثم أخلاق المكارم

وحدث الخطيب قال: كان بين المبرد وثعلب منافرات كثيرة، والناس مختلفون في تفضيل كل واحد منهما على صاحبه نقطة. قال: وجاء رجلا الى ثعلب فقال له: يا أبا العباس: قد هجاك المبرد، فقال بماذا؟ فأنشده:

أقسم بالمبتسم العذب　　ومشتكي الصبو الى الصب
لولا أخذ النحو عن الرب　　ما زاده إلا عمى القلب

فقال: أنشدني من أنشده أبو عمرو ابن العلاء:

يشتمنى عبدو بمسمع　　فصنته عنه النفس والعرض
ولم أجبه لاحتقار له　　من ذا يعض الكلب إن عضى؟

وحدث أيضاً قال: قال: أبو العباس محمد بن عبيد الله ابن عبد الله، بن طاهر، قال لي ابي: حضرت مجلس أخي محمد ابن عبد الله، بن طاهر وحضره أبو العباس ثعلب، والمبرد، فقال لي أخي محمد، قد حضر هذان الشيخان فليتناظرا، قال: فتناظرا في شيء من علم النحو مما أعرفه، فكنت أشركهما فيه الى أن دققا، فلم أفهم، ثم عدت اليه، فلم أعرف ما المجلس؟ فسألني فقلت: إنهما تكلما فيما أعرف فشركهما ثم دفقا، فلم أعرف ما قال، ولا والله ياسيدي ما يعرف أعلمهما إلا من هو أعلم منهما، ولست ذلك الرجل، فقال لي يا أخي: أحسنت والله، هذا أحسن، يعني اعترافه بذلك وقال لي أبو عمر الزاهد:سألت أبا بكر بن السراج فقلت: أي الرجلين أعلم؟ ثعلب أم المبرد فقال: ما أقول في رجلين، العالم بينهما؟ وحدث أبو عمر أيضاً قال: كنت في مجلس أبي العباس ثعلب فضجر، فقال له شيخ خضيب من الظاهرية: لو علمت مالك من الأجر في إفادة الناس، لصبرت على أذاهم، فقال لولا ذلك ما تعديت، ثم أنشد بعقب هذا:

يخللن بالقضبان كل مفلج　　به الظلم لايفلل لهن غروب
رضاب كطعم الشهد يجلو متونه　　من الظرو أو غضن الاراك قضيب

اولئك لولا هن ما سقت نضوة　　　لحاج ولا استقبلت برد جنوب

وحدث أبو بكر بن مجاهد كنت عند أبي العباس ثعلب، فقال لي يا أبا بكر: اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو، فليت شعري ما يكون حالف الآخرة؟فانصرفت من عنده، فرأيت تلك الليلة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي:إقرأ أبا العباس عني السلام وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل. قال: الروض باري: أراد أن الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل. وقال مرة أخرى: أراد أن جميع العلوم مفتقرة اليه. وأنشد الخطيب قال: أنشد أبو العباس ثعلب:

بلغت من عمري ثمانين　　　وكنت لا أمال خمسين

فالحمد لله وشكرا له　　　إذا زاد في عمري ثلاثين

وأسأل الله بلوغا إلى　　　مرضاته آمين أمين

ونقلت من كتاب محمد بن عبد الملك التاريخي في أخبار النحويين، فقال: أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد ابن ثعلب، الشيباني النحوي، فاروق النحويين، والمعاير على اللغويين، من الكوفيين والبصريين، أصدقهم لساناً وأعظمهم شأنا، وأبدعهم ذكراً، وأرفعهم قدراً، وأصحهم علماً، وأوسعهم حلماً وأتقنهم حفظاً، وأوفرهم حظاً من الدين والدنيا.

حدثني المفضل بن سلمة بن عاصم قال: رأس أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي، واختلف الناس إليه في سنة خمس وعشرين ومائتين، قال: وسمعت إبراهيم الحربي يقول: وقدتكلم الناس في الاسم والمسمى وقد كرهت لكم ولنفسي، ما كره أحمد بن يحيى ورضيت لكم ولنفسي، مارضي أحمد بن يحيى. قال:

وكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني قد ذكر أبا العباس ثعلبا للناصر لدين الله، الموفق بالله، وأخرج له رزقاً سنياً سلطانيا، فحسن موقع ذلك من أهل العلم والأدب وقال قائلهم لأبي الصقر، وأبي العباس في أبيات ذكرها:

فيا جبلي شيبان لا زلتما لها　　　حليفي فخار في الورى وتفضل

فهذا اليوم الجود والسيف والقنا　　　وأنت لبسط العلم غير مبخل

عليك أبا العباس كل معول　　　لأنك بعد الله خير معول

فككت حدود النحو بعد انغلاقه　　　وأوضحته شرحا وتبيان مشكل

فكم ساكن في ظل نعمتك التي　　　على الدهر أبقى من ثبير ويذبل

فأصبحت للإخوان بالعلم ناعشا وأخصبت منه منزلاً بعد منزل

وذكر التاريخي وفاة الثعلب كما تقدم قال: وقال بعض أصحابنا يرثيه:

مات ابن يحيى فماتت دولة الأدب ومات أحمد أنحى العجم والعرب

فإن تولى أبو العباس مفتقدا فلم يمت ذكره في الناس والكتب

وللتاريخي في ثعلب شعر رثاه به، نذكره في بابه إن شاء الله تعالى قال التاريخي: وحدثني أبو الحصين البجلي قال: تقول أهل الكوفة:لنا ثلاثة فقهاء في نسق، فلم ير الناس مثلهم: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن ولنا ثلاثة نحويين كذلك، وهم: أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، آخر مانقلناه من كتاب التاريخي وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست وقال: من الكتب: كتاب المصون في النحو جعله حدودا، كتاب اختلاف النحويين، كتاب معاني القرآن، كتاب مختصر في النحو سماه الموفقي، كتاب القراءات، كتاب معانى الشعر، كتاب التصغير، كتاب ما ينصرف وما لاينصرف، كتاب مايجزى وما لايجزى، كتاب الشواذ، كتاب الوقف والابتداء، كتاب الهجاء، كتاب استخراج الألفاظ من الأخبار، كتاب الأوسط، كتاب غريب القرآن لطيف، كتاب المسائل، كتاب حد النحو، كتاب تفسير كلام ابنة الخس كتاب الفصيح وذكر أن الفصيح تصنيف بن داود الرقي، وادعاه ثعلب وهذا له ترجمة قال: ولأبي العباس مجالسات وأمال أملاها على أصحابه في مجالسه، تحتوى على قطعة من النحو، واللغة، والأخبار، ومعاني القرآن، والشعر، رواها عنه جماعة وعمل أبو العباس قطعة من داووين العرب، وفسر غريبها كالأعشى والنابغتين وغيرهم. وسئل ثعلب عن معنى قولهم، لا أكلملك أصلاً فقال: معناه أقطع ذلك من أصله وأنشد:

بأهلي من لايقطع البخل رغبتي إليه وما لايزداد عن زغبتي بخلا

ومن قد لحاني الناس فيه فأكثر علي فكل الناس مغتظن ذحلا

وأمنحه صفو الهوى ولو أنه على البحر يسقي ما سقيت به سجلا

وما زلت تعتادين ود بالمنى وبالبخل حتى قد ذهبت به أصلا

قرأت في أمال أبي بكر ابن محمد، ابن القاسم الأنباري: أنشدنا أبو بكر لأحمد بن يحيى النحوي:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها فلم تلبث النفس التي أن تقوتها؟

ستبقى بقاء الظب في الماء أو كما يعيش لدى ديمومة البيد حوتها

قال وزادنا أبو الحسن ابن البراء:

أغرك أن قد تصبرت جاهداً وفي النفس مني منك ماسيمتها

فلو كان مابي بالصخور لهدها وبالريح ماهبت وطال خفوتها

فصبرا لعل الله يجمع بينا فأشكو هموما منك كنت قد لقيتها

كذا كان في الكتاب، ولا أدري، أهذا الشعر لثعلب أم أنشأه لغيره؟ إلا أنه في هذا الكتاب لأحمد ابن يحيى كما ترى:

أحمد بن يحيى،، لمنجم

بن علي، بن يحيى، بن أبي منصورالمنجم أبو الحسن، قد ذكرنا آباءه في أبوابهم، وكان أبو الحسن هذا، أديبا، شاعرا، فاضلا، عالما، أحد رؤساء زمانه في علم الكلام، وعلوم الدين، والافتنان في الآداب مات في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، عن نيف وسبعين سنة، وله أخبار مع الراضي في منادمته إياه، ذكر ذلك كله المزرباني في المعجم قال ثابت: وفي ذي الحجة كانت وفاته، ومولده في سنة اثنتين وستين ومائتين، وكان يحيى بن علي أبوه، قد صنف كتاباً في أخبار الشعراء المخضرمين، فأتمه ابنه هذا وله من الكتب: كتاب أخبار أهله ونسبهم، كتاب الإجماع في الفقه، على مذهب ابن جرير الطبري، وكان يرى رأيه كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه، كتاب الأوقات، وأبو الحسن هذا، هو القائل فيما رواه المزرباني:

ياسيدا قد راح فر دا ماله في الفضل توءم

عمرت أطول مدة تزداد تمكينا وتسلم

في صفو عيش لاتزا ل به العدى تقذي وترغم

مازلت في كل الأمر موفقا للخير ملهم

بك إن تذوكرت الأيا دي يبتدا فيها ويختم

أحمد بن يحيى،بن الوزير،

بن سليمان، بن مهاجر مولى قيسبة بن كلثوم السوقي، سمع ابن الكلبي وعبد الله بن وهب، وكان فقيها من جلساء ابن وهب، وكان عالما بالشعر، والأدب، والأخبار، وأيام الناس، والأنساب يقال: كان مولده سنة إحدى وسبعين ومائة، وتوفى في حبس ابن المدبر، صاحب الخراج بمصر، لخراج كان عليه، ودفن يوم

الأحد لاثنتين وعشرين ليلة خلت من شوال، سنة خمسين ومائتين، وكان من أهل مصر ذكر ابن يونس ذلك كله في تاريخ مصر.

أحمد ابن يحيى،السدي، الطائي

بن سهل بن السدي، الطائيأبو الحسن المنبجي، الشاهد، المقرئ، النحوي، الأطروش، ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، وكان وكيلا في الجامع مات سنة خمس عشرة وأربعمائة روى عن أبي عبد الله بن مروان، وأبي العباس أحمد بن فارس، الأديب المنبجي، وأبي الحسن، نظيف بن عبد الله المقرئ، وغيرهم وكان يحفظ من أخبار أبي عبد الله بن خالويه النحوي، وكان ثقة، قال ابن عساكر: أنشدني ابن الأكفاني، عن ابن الأكفاني، عن أحمد بن يحيى، بن سهل المنبجي، أنشدني أبو العباس، أحمد بن فارس الأديب أنشدني ابن طباطبا لنفسه:

حسود مريض القلب يخفى أنينه ويضحى كئيب البال مني حزينة
يلوم على أن رحت للعلم طالبا أقلب من كل الرواة فنونه
وأختار أبكار الكلام وعونه وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لايجلب الغنى ويحسن بالجهل النميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمه كل الناس ما يحسنونه

أحمد بن يزيد، بن محمد المهلبي، أبو جعفر

أديب شاعر، راوية، له قصيدة مدح فيها الموفق، وهنأه بفتح مصر، منها:

قل للأمير هناك النصر والظفر وفيهما للإله الحمد والشكر
مافوق فتحك فتح في الزمان كما ما فوق فخرك يوم الفخر مفتخر

أحمد بن يعقوب، بن يوسف، أبوجعفر

النحوي، المعروف ببرزويه الأصبهاني، مات فيما ذكره الخطيب، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، في ايام المطيع، فكان يعرف بغلام نفطويه أخذ عن أبي خليفة الفضل بن الحباب، ومحمد بن العباس اليزيدي، وغيرهما.

أحمد بن يعقوب، بن ناصح الأصبهاني

الأديب، أبو بكر النحوي، ذكره الحاكم فقال: هو نزيل نيسابور، وسمع بأصبهان محمد بن مندة الأصبهاني وأقرانه مات بنيسابور قبل الخمسين، وبعد الأربعين والثلاثمائة، وكتب عنه الحاكم، وأسند إليه في كتابه حديثين.

أحمد بن أبي يعقوب، إسحق بن جعفر

ابن وهب، بن واضح الأخباري العباسي، ذكره أبو عمر، محمد بن يوسف، بن يعقوب المصري الكندي المؤرخ في تاريخ له، ابتداه بسنة ثمانين ومائتين،قال إن أحمد بن إسحق بن واضح مولى بني هاشم، توفي في سنة أربع وثمانين ومائتين، وله تصانيف كثيرة، منها: كتاب التاريخ كبير، كتاب أسماء البلدان مجلد، وكتاب في أخبار الأمم السالفة صغير، كتاب مشاكلة الناس لزمانهم.

أحمد بن أبي يعقوب،يوسف بن إبراهيم

يعرف بابن الداية، كان أبوه ولد داية ابن المهدى، وأظن أن المعروف بابن الداية، هو يوسف، الراوي أخبار أبي يونس، والله أعلم وكان أبوه يوسف بن إبراهيم، يكنى أبا الحسن، وكان من جلة الكتاب بمصر، ولا أدري كيف كان انتقاله إليها عن بغداد وكان له مروءة تامة، وعصبية مشهورة.

قال أبو القاسم العساكري الحافظ: يوسف بن إبراهيم، أبو الحسن الكاتب، وأظنه بغدادياً: كان في خدمة ابراهيم بن المهدي، قدم دمشق سنة خمس وعشرين ومائتين، وحكى عن عيسى بن حكم الدمشقي، الطبيب النسطوري، وشكلة أم إبراهيم بن المهدي، وإسماعيل ابن أبي سهل، بن نوبخت، وأبي إسحق إبراهيم بن المهدي، وأحمد بن رشيد الكاتب،مولى سلام الأبرش، وجبرائيل بن بختيشوع الطبيب، وأيوب بن الحكم البصري، المعروف بالكسروي، وأحمد بن هارون الشرابي روى عنه ابنه أبو جعفرأحمد، ورضوان بن أحمد، بن جالينوس،وكان من ذوى المروءات، وصنف كتابا فيها أخبار المطببين.

قال الحافظ: وبلغني عن أبي جعفر أحمد، بن يوسف قال: حبس أحمد بن طولون، يوسف بن إبراهيم والدي في بعض داره، وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه، فكاد ستره أن ينتهك لخوف شمله عليه، وكان له جماعة من أبناء الستر تتحمل مئونة مقيمة لا تنقطع الى غيره، فاجتمعوا، وكانوا زهاء ثلاثين رجلا، وركبوا الى دار أحمد بن طولون، فوقفوا بباب له، يعرف بباب الخيل، وأستاذنوا عليه، فأذن لهم، فدخلوا إليه وعنده محمد بن عبد الله، بن عبد الحكم، وجماعة من أعلام مستورى مصر، فابتدءوا كلامه بأن قالوا: قد اتفق لنا – أيد الله الأمير – من حضور هذه الجماعة، وأشاروا الى ابن عبد الحكم والحاضرين مجلسه، ما رجونا أن يكون ذريعة الى ما نسأله، ونحن نرغب إلى الأمير في أن يسألهم عنا

ليقف على أمرنا ومنازلنا، فسألهم عنهم، فقالوا: قد عرضت العدالة على أكثرهم، فامتنع منها، فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس، وسألهم تعريفه ماقصدوا له، فقالوا: ليس لنا أن نسال الأمير مخالفة ما يراه في يوسف بن إبراهيم، لأنه أهدى إلى الصواب فيه، ونحن نسأله أن يقدمنا إلى ما اعتزم عليه فيه، إن آثر قتله أن يقتلنا، إن آثر غير ذلك أن يبلغه، فهو في سعة وحل منه، فقال لهم: و لم ذلك؟ فقالوا: لنا ثلاثون سنة ما فكرنا في ابتياع شيء مما احتجنا إليه، ولا وقفنا بباب غيره، ونحن والله يا أمير، نرفض البقاء بعده، والسلامة إن شيء مكروه وقع به وعجبوا بالبكاء بين يديه، فقال أحمد بن طولون: – بارك الله عليكم – فقد كأفأتم إحسانه، وجازيتم إنعامه، ثم قال: أحضروا يوسف بن إبراهيم، فأحضر، فقال: خذوا بيد صاحبكم وانصرفوا، فخرجوا معه، وانصرف إلى منزله.

قال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم: وبعث أحمد بن طولون في الساعة التي توفي فيها والدي، يوسف بن إبراهيم، بخدم فهجموا الدار، وطالبوا بكتبه، مقدرين أن يجدوا فيها كتابا من أحد ممن ببغداد، فحملوا صندوقين، وقبضوا علي وعلى أخي وصاروا بنا إلى داره، وأدخلنا إليه وهو جالس، وبين يديه رجل من أشراف الطالبين، فأمر بفتح أحد الصندوقين، وأدخل خادم يده، فوقع يده على دفتر جراياته على الأشراف وغيرهم، فأخذ الدفتر بيده وتصفحه، وكان جيد الاستخراج، فوجد اسم الطالبي في الجراية، فقال له وأنا أسمع: كانت عليك جراية ليوسف بن إبراهيم؟ فقال له نعم: يأيها الأمير، دخلت هذه المدينة وأنا مملق فأجري علي في كل سنة مائتي دينار، أسوة بابن الأرقط، والعقيقي، وغيرهما ثم امتلأت يداي بطول الأمير، فاستعفيته منها، فقال لي:نشدتك الله أن لا قطعت سببا لي برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتدمع الطالبي، فقال أحمد بن طولون: رحم الله يوسف بن إبراهيم، ثم قال: انصرفوا إلى منازلكم، فلا بأس عليكم، فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا، وحضر ذلك العلوى، وقضى حقنا، وقد أحسن مكافأة والدنا في خلفيه.

قال أبو جعفر: أحمد بن أبي يعقوب، يوسف بن إبراهيم، يعرف بابن الداية، من فضلاء أهل مصر ومعروفيهم، وممن له علوم كثيرة في الأدب، والطب والنجامة، والحساب، وغير ذلك وكان أبوه أبو يعقوب، كاتب إبراهيم بن المهدى ورضيعه، ألف كتابا في أخبار الطب، مات أحمد بن يوسف، في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وأظنها سنة أربعين وثلاثمائة وله من التصانيف:سيرة أحمد بن طولون، كتاب سيراته إلى أبي الجيش خمارويه، كتاب سيرة هارون بن أبي الجيش، وأخبار غلمان بني طولون، كتاب المكافأة، كتاب حسن العقبى، كتاب أخبار الأطباء، كتاب مختصر المنطق، ألفه للوزير علي بن عيسى، كتاب ترجمته، كتاب الثمرة، كتاب أخبار المنجمين، كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي، كتاب الطبيخ،

وذكره ابن زولاق الحسن ابن ابراهيم، فقال: كان أبو جعفر رحمه الله في غاية الافتتان، أحد وجوه الكتاب الفصحاء، والحساب والمنجمين مجسطى أوقليدسي، حسن المجالسة، حسن الشعر، قد خرج من شعره أجزاء دخل يوما على أبي الحسن، على بن المظفر الكرخي، عامل خراج مصر، مسلما عليه، فقال له: كيف حالك يا أبا جعفر؟ فقال على البديهة:

يكفيك من سوء حالي إن سألت به ... أني إلى ثوب طمر في الكوانين

أحمد بن يوسف، بن القاسم، بن صبيح

الكاتب الكوفي أبو جعفر، من أهل الكوفة، كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون، وكان أخوه القاسم بن يوسف، يدعي أنه من بني عجل، و لم يدع أحمد ذلك، قال المرزباني: كان مولى لبني عجل، ومنازلهم بسواد الكوفة وزر أحمد للمأمون، بعد أحمد بن أبي خالد مات في قول الصولي في شهر رمضان، سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقال غيره: سنة اربع عشرة ومائتين، وكان أبوه يوسف يكنى أبا القاسم، وكان يكتب لعبد الله بن علي عم المنصور، وله شعر حسن وبلاغة، وكان أحمد وأخوه القاسم، شاعرين، أديبين، وأولادهما جميعا أهل أدب، يطلبون الشعر والبلاغة حكى عن المأمون وعبد الحميد بن يحي الكاتب، وحكى عنه ابنه محمد بن أحمد، بن يوسف، وعلي بن سليمان الأخفش، وغيرهما قال الصولي: لما مات أحمد بن أبي خالد الأحول، شاور المأمون الحسن ابن سهل، فيمن يكتب له، ويقوم مقامه، فأشار عليه بأحمد بن يوسف، وبأبي عباد ثابت بن يحيى الرازي وقال: هما أعلم الناس بأخلاق أمير المؤمنين، وخدمته، وما يرضيه فقال له: إختر لي أحدهما، فقال الحسن: إن صبر أحمد على الخدمة، وجفا لذاته قليلا، فهو أحبهما إلي، لأنه أعرق في الكتابة، وأحسنهما بلاغة، وأكثر علما، فاستكتبه المأمون، وكان يعرض الكتب ويوقع، ويخلفه أبو عباد إذا غاب عن دار المأمون، مترفعا عن الحال التي كان عليها أيام أحمد بن أبي خالد، وكان ديوان الرسائل، وديوان الخاتم والتوقيع، والأزمة، إلى عمرو بن مسعدة، وكان أمر المأمون يدور على هؤلاء الثلاثة حدث الصولي عن أبي الحارث النوفلي قال: كنت أبغض القاسم بن عبيد الله لمكروه نالني منه، وآلف أحمد بن يوسف الوزير، فلما مات أخوه الحسن، قلت على لسان ابن بسام:

قل لأبي القاسم المرجى ... قابللك الدهر بالعجائب

مات لك ابن وكان زينا ... وعاش ذو الشين والمعايب

حياة هذا كموت هذا ... فليس تخلو من المصائب

وانما أخذه من قول أحمد بن يوسف الكاتب، لبعض إخوانه من الكتاب، وقد مات له ببغا، وكان له أخ يضعف، فكتب إليه:

أنت تبقى ونحن طرا فداكا	أحسن الله ذو الجلال عزاكا
فلقد جل خطب دهر أتانا	بمقادير أتلفت ببغاكا
عجبا للمنون كيف أتتها	وتخطت عبد الحميد أخاكا
كان عبد الحميد أصلح للمو	ت من الببغا وأولى بذاكا
شملتنا المصيبتان جميعا	فقدنا هذه ورؤية ذاكا

حدث أبو القاسم عبد الله بن محمد، بن باقيا الكاتب، في كتاب ملح الممالحة، قال: ولما خرج عبد الله بن طاهر من بغداد الى خراسان، قال لابنه محمد: إن عاشرت أحدا بمدينة السلام، فعليك بأحمد ابن يوسف الكاتب، فان له مروءة، فما عرج محمد حين انصرف من توديع أبيه على شيء، حتى هجم على أحمد، ابن يوسف في داره، فاطال عنده،ففطن له أحمد، فقال: يا جارية غدينا، فأحضرت طبقا وارغفة نقية، وقدمت الوانا يسيرة وحلاوة، وأعقب ذلك بأنواع من الأشربة في زجاج فاخر، وآلة حسنة، وقال: يتناول الأمير من أيها شاء، ثم قال له: إن رأى الأمير أن يشرف عبده ويجيئه في غد فانعم بذلك، فنهض وهو متعجب من وصف ابيه له، وأراد فضيحته، فلم يترك قائدا جليلا، ولا رجلا مذكورا من أصحابه، إلا عرفهم انه في دعوة أحمد بن يوسف، وأمرهم بالغدو معه، فلما أصبحوا قصدوا دار أحمد بن يوسف، وقد أخذ أهبته، وأظهر مروءته، فرآى محمد من النضائد والفرش والستور والغلمان والوصائف ما أدهشته، وكان قد نصب ثلاثمائة مائدة، وقد حفت بثلاثمائة وصيفة، ونقل الى كل مائدة ثلاثمائة لون في صحاف الذهب والفضة، ومثارد الصين، فلما رفعت الموائد، قال ابن طاهر: هل أكل من بالباب؟ فنظروا، فاذا جميع من بالباب قد نصبت لهم الموائد، فأكلوا، فقال: شتان بين يوميك يا أبا الحسن – كذا هذه الرواية، كناه بأبي الحسن – فقال أيها الأمير: ذاك قوتي وهذه مروءتي وحدث الصولي قال: كان من اول ما ارتفع به أحمد ابن يوسف، أن المخلوع لما قتل، أمر طاهر الكتاب أن يكتبوا إلى المأمون، فأطالوا، فقال طاهر، أريد أخصر من هذا، فوصف له أحمد بن يوسف، فأحضره لذلك، فكتب أما بعد: فان المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق حكم الكتاب بينه وبينه في الولاية والحرمة، لمفارقته عصمة الدين، وخروجه عن اجماع المسلمين، قال الله عز وجل لنوح عليه السلام في ابنه: "يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح" ولاصلة لأحد في معصية الله، ولاقطيعة ما كانت

في ذات الله. وكتبت إلى أمير المؤمنين، وقد قتل الله المخلوع، وأحصد لأمير المؤمنين أمره، وأنجز له وعده، فالارض باكنافها أوطأ مهاد لطاعته، واتبع شيء لمشيئته، وقد وجهت الى أمير المؤمنين بالدنيا، وهي رأس المخلوع، وبالاخرة وهي البردة والقضيب،والحمد لله الأخذ لأمير المؤمنين بحقه، والكائد له من خان عهده، ونكث عقده، حتى رد الالفة، وأقام به الشريعة والسلام على أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته، فرضى طاهر ذلك وأنفذه، ووصل أحمد بن يوسف وقدمه. وحدث محمد ابن عبدوس: انه لما حمل رأس المخلوع إليه وهو بمرو، أمر المأمون بانشاء كتاب عن طاهر ابن الحسين، ليقرأ على الناس، فكتبت عدة كتب لم يرضها المأمون، والفضل ابن سهل، فكتب أحمد بن يوسف هذا الكتاب، فلما عرضت النسخة على ذي الرياستين، رجع نظره فيها، ثم قال لأحمد ابن يوسف: ما أنصفناك، ودعا بقهر مانه، وأخذ القلم والقرطاس، وأقبل يكتب بما يفرغ له من المنازل، ويعد له فيها من الفرش والالات، والكسوة والكراع، وغير ذلك، ثم طرح الرقعة إلى أحمد ابن يوسف، وقال له: إذا كان في غد فاقعد في الديوان، وليقعد جميع الكتاب بين يديك، واكتب الى الآفاق. وحدث بما رفعه الى إبراهيم ابن إسماعيل قال: قال: كثر الطلاب للصلاة بباب المأمون، فكتب اليه أحمد بن يوسف: داعي نداك يا أمير المؤمنين، ومنادى جدواك، جمع الوفود ببابك، يرجون نائللك المعهود، فمن من يمت بحرمة، ومنهم من يدلى بخدمة، وقد أجحف بهم المقام، وطالت عليهم الايام، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشه بسيبه، ويحقق حسن ظنهم بطوله، فعل، إن شاء الله تعالى، فوقع المأمون: الخير منبع، وأبواب الملوك مغان لطالب الحاجات، ومواطن لهم، ولذلك قال الشاعر:

يسقط الطير حيث يلتقط الحبب　　　وتغشى منازل الكرماء

فاكتب اسماء من ببابنا منهم، وأحك مراتبهم، ليصل الى كل رجل قدر استحقاقه، ولاتكدر معروفنا عندهم بطول الحجاب، وتأخير الثواب، فقد قال الشاعر:

فإنك لن ترى طرد لحر　　　كالصاق به طرف الهوان

حدث أحمد ابن أبي طاهر قال: كتب صديق لأحمد ابن يوسف الكاتب في يوم دجن اليه: يومنا ظريف النواحي، رقيق الحواشي، قد رعدت سماءه، وبرقت وحنت وارجحنت، وانت قطب السرور، ونظام الأمور، فلا تفردن منك فنقل، ولا تنفرد عنا فنذل، فان المرء بأخيه كثير، وبمساعدته جدير. قال: فصار أحمد بن يوسف الى الرجل، وحضرهم من أرادوا ثم تغيمت السماء، فقال أحمد بن يوسف:

أرى غيم تؤلفه جنوب　　　وأحسب أن سياتينا بهطل

فعين الرأي أن تدعو برطل فتشربه وتدعو لي برطل

ونسقيه ندامانا جميعا فيغرفون منهم بغير عقل

فيوم الغيم يوم الغم إن لم تبادر بالمدامة كل شغل

ولاتكره محرمها عليها فإني لا أراه له بأهل

قال فغنى فيه عثعث اللحن المشهور: وأهدى أحمد بن يوسف هدية في يوم نوروز الى المأمون وكتب معها:

على المبدى حق فهو لا بد فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله

ألم ترنا نهدي الى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

ولو كان يهدي للكريم بقدره لقصر فضل المال عنه ونائله

ولكننا نهدي الى من نعزه وإن لم يكن في وسعنا ما يعادله

وذكر الجهشاري قال:كان يكتب لعبد الله بن علي، يوسف بن صبيح، مولاى بني عجل، من ساكني سواد الكوفة، فذكر القاسم بن يوسف بن صبيح، أن أباه حدثه: أن عبد الله بن علي، لما استتر عند أخيه سليمان بالبصرة، علم أنه لاوزر له من أبي جعفر قال: فلما استتر، وقصدت اصحابنا الكتاب، فصرت في ديوان أبي جعفر، وأجرى لي في كل يوم عشرة دارهم، قال: فبكرت يوما الى الديوان قبل فتح بابه، و لم يحضر أحد من الكتاب، وإني لجالس عليه، إذا أنا بخادم لابي جعفر، قد جاء الى الباب فلم يد غيري، فقال لي: أجب أمير المؤمنين، فاسقط في يدي، وخشيت الموت، فقلت له: إن أمير المؤمنين لم يردني، فقال: وكيف؟ فقلت: لأني لست ممن يكتب بين يديه، فهم بالانصراف عني، ثم بدا له فأخذني وأدخلني، حتى اذا كنت دون الستر وكلا بي، ودخل و لم يلبث ان خرج، فقال لي: إدخل، فدخلت، فلما ضرب باب الايوان، قال لي الربيع:سلم على أمير المؤمنين، فشممت رائحة الحياة، فسلمت، فادناني وامرني بالجلوس، ثم رمى إلي بربع قرطاس وقال لي: اكتب وقارب بين الحروف، وفرج بين السطور، واجمع خطك ولاتسرف في القرطاس، وكانت معي دواة شامية، فتوقفت عن اخراجها، فقال لي يا يوسف: إنت تقول في نفسك، أنا بالأمس في ديوان الكوفة، اكتب لبني أمية، ثم مع عبد الله بن علي، وأخرج الساعة دواة شامية، إنك إنما كنت في الكوفة تحت يدي غيرك، وكنت مع عبد الله ابن علي، لي ومعي، والدوي الشامية أدب جميل، ومن أدوات الكتاب ونحن أحق بها. قال: فأخرجتها، وكتبت وهو يملي، فلما فرغت من الكتاب أمر به فأترب واصلح، وقال: دعه، وكل العناون الي، ثم قال لي: كم رزقك يايوسف في ديواننا؟ فقلت: عشرة دراهم، فقال: قد زادك أمير المؤمنين عشرة دراهم أخرى، رعاية لحرمتك بعبد الله

ابن علي، ومثوبة لك على طاعتك، ونقاء ساحتك وأشهد أنك لو اختفيت باختفائه، لاخرجتك ولو كنت في حجرة النمل، ثم زايلت بين اعضائك، فدعوت له، وخرجت مسرورا بالسلامة. كان للمأمون جارية اسمها مؤنسة، وكانت تعني بأحمد ابن يوسف، وكان أحمد ابن يوسف يقوم بحوائجها، فأدلت على المأمون في بعض الأمور، فانكر عليها، وصار الى الشماسية و لم يحملها معه، فاستحضرت نصرة خاد أحمد بن يوسف، وحملته رسالة الى مولاه بخبرها، وسألته التلطف لاصلاح نية المأمون، فلم عرفه الخادم ذلك، دعا بدواته، وقصد الشماسية، فاستأذن على المأمون، فلما وصل اليه قال: أنا رسول، فاذن لي في تأدية الرسالة، فأنشده هذه الابيات:

قد كان عتبك مرة مكتوماً ... فاليوم أصبح ظاهرا معلوما
نال الأعادي سؤلهم، لاهنئوا، ... لما رأونا ظاعنا ومقيما
هبني أسأت فعادة لك أن ترى ... متجاوزا متفضلا مظلوما

قال: قد فهمت الرسالة، فكن الرسول بالرضى، ووجه بياسر الخادم فحملها، وكان موسى بن عبد الملك، في ناحية أحمد بن يوسف وهو خرجه، وقدمه، قال الحسن بن مخلد: حدثني، موسى ابن عبد الملك، وكان يرمي بابنة قال: وهب لي أحمد بن يوسف، وكان يعبث بموسى بن عبد الملك ويتعشقه، الف الف درهم في مرات، وكان عاتبه فيه محمد بن الجهم البرمكي، فكتب اليه أحمد بن يوسف:

لاتعذلني يا أبا جعفر ... لوم الاخلاء من اللوم
إن أسته مشربة حمرة ... كأنها وجنة مكلوم

فتقدم محمد الى البجلى، وكان في ناحيته، فأجابه:

لست بلا حيك على حبه ... ولست في ذاك بمذموم
لأنه في استه سخنة ... كأنها سخنة محموم

ذكر غرس النعمة في كتاب الهفوات: حدثني محمد بن علي، بن طاهر، بن الحسين قال: كان أحمد بن يوسف يسقط السقطة بعد السقطة، فيتلف نفسه في بعض سقطاته، وذلك أنه حكى علي ابن يحيى، ابن أبي منصور: أن المأمون كان إذا تبخر طرح له العود والعنبر، فإذا تبخر أمر باخراج المجمرة، ووضعها تحت الرجل من جلسائه إكراما له وحضر أحمد بن يوسف يوما، وتبخر المأمون على عادته، ثم أمر بوضع المجمرة تحت أحمد بن يوسف، فقال: هاتوا ذا المردود، فقال المأمون: ألنا يقال هذا، ونحن نصل رجلا واحدا من خدمنا بستة آلاف دينار، إنما قصدن إكرامك، وأن أكون أنا وأنت، قد اقتسمنا بخورا واحدا

ثم قال: يحضر عنبر، فأحضر منه شيء في الغاية من الجودة، في كل قطعة ثلاثة مثاقيل، وأمر أن تطرح قطعة في المجمر، ويبخر بها أحمد، ويدخل رأسه في زيقه حتى ينفد بخورها، وفعل به ذلك بقطعة ثانية، وثالثة، وهو يستغيث ويصيح، وانصرف الى منزله، وقد احترق دماغه واعتل، ومات سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقيل: أربع عشرة ومائتين وكانت له جارية يقال لها نسيم، لها من قلبه مكان خطير، فقالت ترثيه:

ولو أن ميتا هابه الموت قبله ... لما جاءه المقدار وهو هيوب

ولو أن حيا جازه الردى ... إذا لم يكن للأرض فيه نصيب

وقالت أيضا ترثيه:

نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... مابي عليك تمنوا أنهم ماتوا

وللورى موتة في الدهر واحدة ... ولي من الهم والأحزان موتات

ومن شعر أحمد بن يوسف كتب به إلى صديق له:

تطاول باللقاء العهد منا ... وطول العهد يقدح في القلوب

أراك وإن نأيت بعين قلبي ... كأنك نصب عيني من قريب

فهل لك في الرواح إلى حبيب ... يقر بعينه قرب الحبيب

قال أحمد بن يوسف: وقد شتمه رجل بين يدي المأمون، للمأمون، قدو الله يا أمير المؤمنين، رأيته يستملي من عينيك ما يلقاني به.

وكتب الى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وقد أراده إبراهيم بن المهدي: من حق من أنا عبده، وحجتنا عليك، إعلامنا إياك، والسلام.

عندي من تبهج العيون به ... فإن تخلفت كنت مغبونا

وأهدى الى المأمون في يوم عيد هدية وكتب معها: هذا يوم جرت فيه العادة، بإهداء العبيد إلى السادة، وقد أهديت قليلا من كثير عندي، وقلت:

أهدي إلى سيده العبد ... مانا له الإمكان والوجد

وإنما أهدى له ماله ... يبدأ هذا ولذا رد

ومن شعره اللطيف:

إذا ما التقينا والعيون نواظر ... فألسننا حرب وأبصارنا سلم

وتحت استراق اللحظ منا مودة تطلع سرا حيث لايبلغ الوهم

وهو القائل في محمد بن سعيد، بن حماد الكاتب، وكان يميل إليه، وكان صبيا مليحا.

صد عني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد
صد عني لغير جرم إليه ليس إلا لحبه في الصدود

قال: وكان محمد بن سعيد يكتب بين يديه، فنظر إلى عارضه قد اختط في خده، فأخذ رقعة وكتب فيها:

لحاك الله من شعر وزادا كما ألبست عارضه الحدادا
أغرت على تورد وجنتيه فصيرت احمرارهما سوادا

ورمى بها إلى محمد بن سعيد، فكتب مجيبا: عظم الله أجرك فيى ياسيدي، وأحسن لك العوض منى.

ومن شعر أحمد بن يوسف:

كثير هموم النفس ختى كأنما عليه كلام العالمين حرام

إذا قيل ما أضناك أسبل دمعه يبوح بما يخفي وليس كلام

وعاش القاسم أخوه بعده، فقال يرثيه:

رماك الدهر بالحدث الجليل فعز النفس بالصبر الجميل
أترجو سلوة وأخوك ثاو ببطن الأرض تحت ثرى مهيل
ولمثل أخيك فلتبك البواكي لمعضلة من الخطب الجليل
زير الملك يرعى جانبيه بحسن تيقظ وصواب قيل

أخثاء

هولقب ولا أعرف اسمه، ولم أجد له ذكرا، إلا ما ذكره أبو بكر المبرمان، في الباب من كتابه في نكت كتاب سيبويه، في الفرق بين الكلم والكلام، فقال: وقال لي الملقب بأخثا: وكان أحد من رأينا من النحويين، الذين صحت لهم القراءة على أبي عثمان المازني، وكان موصوفا في اول نظره بالبراعة، مسلما له لاستغراقه الكتاب على أبي عثمان، ثم أدركته علة، فقال عن الحال الأولى كلاما أنا حاكيه، ورأيت أبا العباس ثعلبا يروم ذلك، وهو أن كل ما لفظ به ينقسم أقساما ثلاثة: قسم منه يكون للحدث، ولأسماء المدثين، ولأسماء الأمكنة والأزمنة، التي تقع فيها الأحداث، ولا اسم للجنس فيه، وذلك نحو الضرب، والقتل، والأخذ، والكلام، وما أشبه ذلك فإذا سئلت عن شيء من هذا، فقيل لك: ماهو؟ فجوابه أن

تذكر الحدث المنقضى مع الزمان، وصنف منه يكون للأجناس، ولا اسم للأحداث فيه، ولا يكون حدثا، وهو كقولك: سفرجلة وسفرجل، فإذا سئلت عن ذلك، فجوابه أن تخبر عن صفة الشيء، فتقول: هو الذي لونه كذا، وجسمه كذا، ومركب من كذا، وصنف آخر يجمع الجنسين، وذلك نحو تمرة وتمر، فهذا من باب سفرجلة وسفرجل، ثم ثقول: أتمر النخل يتمر بإتمارا، فهذا إنما هو عبارة عن الحدث، فاذا سئلت ما التمر؟ فجوابه أن تقول: هو الجسم الذي من صفته كذا، ومن قده كذا، وفي داخله كذا، وإذا سئلت ما الاتمار؟ فجوابه أنه يمر الزمان بحره وبرده، وما فيه على البسر، فيتغير من حال إلى حال كذا، ثم يلين فيصير فيه الدبس وإنما تنبئ عن الأحداث التي تقع، وكذا كلمة وكلم في باب تمرة وتمر، فإذا قيل لك: ما الكلم؟ فالجواب هو الموضوع المتعارف بين الناس فاستعملوه، وهو الذي يسمونه: اسم، وفعل، وحرف، فإن قيل: فما الكلام؟ فجواب ذلك أن تقول: هو إجراء هذا الذي يسمونه كليما، وإخراجه بالصوت من الفم، فهو حدث، فالكلام حدث، والكلم موضوع الكلام الذي يستعمل، كزيد وضرب، وهل، وبل، فقد جمع الكلم أمرين، والكلام ليس كذلك، إنما هو لأمر واحد.

أسامة بن سفيان، السجزي النحوي

من نحاة سجستان وشعرائها، ذكره أبو الحسن البيهق في كتاب الوشاح، وأنشد له:

أبي النأى إلا أن يجدد لي ذكرى — لمن ودعتني وهي لا تملك العبرا
وقالت :رعاك الله ماخلت أنني — أراك تسلى أو تطيق لنا هجرا
وكانت ترى فرط العلاقة ساعة — تغيبها عنا وإن قصرت شهرا
وتجزع من وشك الفراق فما لها — على فرقة الأحباب أن نظهر الصبرا

ومنها في المديح:

وزير يرى المعروف يجمل ذكره — فأرسل بين الناس معروفه غمرا
فم أقلعت يوما غمامة جوده — ولاقطرت رشا ولا أخطأت قطرا
وما اختص يوما حاضرا دون غائب — برفد ولا ذا فاقة دون من أثرى
وقد أمه الراجون من كل وجهة — فأربى مرجاهم بواحدة عشرا
وقد كان يعطيهم وهم في ديارهم — ولكن هوى أن يجمع الرفد والبشرا
رأى ماله مال العدى فأباده — فلم يبق منه لا ولا منهم أثرا

أسامة بن مرشد، بن مقلد

ابن نصر، بن منقذ، بن محمد، بن منقذ، بن نصر، ابن هاشم، بن سوار، بن زياد، بن رغيب، بن مكحول، بن عمر، بن الحارث، بن عامر، بن مالك،ابن أبي مالك، بن عوف، بن كنانة، بن بكر، بن عذرة، ابن زيد اللات، بن رفيدة، بن ثور، بن كلب، بن وبرة، ابن ثعلب، بن حلوان، بن عمران، بن قضاعة، ابن مالك، بن حمير، بن مرة، بن زيد، بن مالك، بن حميد، بن سينا، بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان، هكذا ذكر هو نسبه، وفيه اختلاف يسير، عند ابن الكلبي، ويكنى أبا أسامة، وأبا الظفر، ويلقب مؤيد الدولة، ومجد الدين، وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم، وأنا أذكر لكل واحد من أهله وترجمته ما يليق، ولا أفرقهم.

ذكر عماد الدين أبو عبد الله، محمد بن محمد، بن حامد الأصفهاني في كتاب خريدة القصر، وفريدة العصر، وأثنى عليه كثيرا، فقال: ما زال بنو منقذ هؤلاء مالكي شيزر، وهي حصن قريب من حماة، معتصمين بحصانتها، ممتنعين بمناعتها، حتى جاءت الزلزله في سنة نيف وخمسين، فخربت حصنها، وأذهبت حسنها، وتملكها نور الدين، محمود بن زنكى عليهم، وأعاد بناءها، فتشعبوا شعبا، وتفرقوا أيدى سبا.

قال ابن عساكر: ذكر لي أسامة،أنه ولد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وقدم دمشق، سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ومات أسامة في الثالث والعشرين من رمضان، سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ودفن بجبل قاسيون قال العماد: وأسامة كاسمه، في قوة نثره ونظمه، يلوح من كلامه أمارة الإمارة، ويؤسس بيت قريضه عمارة العبارة، حلو المجالسة، حالى المساجلة، ندى الندى بماء الفكاهة، عالي النجم في سماء النباهة، معتدل التصاريف، مطبوع التصانيف، اسكنه عشق الغوطة، دمشق المغبوطة، ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم، فانتقل الى مصر، فبقى بها مؤمرا، مشارا إليه بالتعظيم الى أيام ابن رزيك، فعاد الى الشام، وسكن دمشق،مخصوصا بالاحترام، حتى أخذت شيزر من أهله، ورشقهم صرف الزمان بنبله ورماه الحدثان الى حصن كيفا، مقيما بها في ولده، مؤثرا لها على بلده، حتى أعاد الله دمشق الى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين، يوسف بن أيوب، سنة سبعين وخمسمائة، و لم يزل مشغوفا بذكره، مشتهرا باشاعة نظمه ونثره، والأمير العضد مرهف، ولد الأمير مؤيد الدولة، جليسة ونديمه وأنيسه.

قال مؤلف هذا الكتاب: وقد رأيت أنا العضد هذا بمصر، عند كونى بها، في سنتي إحدى عشرة واثنتي عشرة وستمائة، وأنشدني شيئا من شعره، وشعر والده قال: فاستدعاه الى دمشق، يعني: مؤيد الدولة، وهو شيخ قد جاوز الثمانين قال: وأنشدني العامرى من شعره بأصبهان، و كنت أتمنى لقياه، وأشيم على العبد حياه، حتى لقيته في صفر،سنة إحدى وسبعين بدمشق، وسألته عن مولده،فقال: ولدت فى السابع و

العشرين من جمادى الآخر، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وأنشدنى لنفسه، البيتين اللذين سارا له فى قلع ضرسه:

وصاحب لاأمل الدهر صحبته | يشقى لنفعى و يسعى سعى مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا | لناظرى افترقنا فرقة الأبد

وأنشدني لنفسه من قديم شعره:

قالوا نهته الأربعون عن الصبا | وأخو المشيب يجور ثمت يهتدى
كم جار فى ليل الشباب فدله | صبح المشيب على الطريق الأقصد
وإذا عددت سنى ثم نقصتها | زمن الهموم فتلك ساعة مولدى

قلت أنا: هذا كلام نفيس، ومعنى لطيف، ولكنه أخذ معنى البيت الثانى، من قول ابن الرومى:

كفى بسراج الشيب فى الرأس هادياً | إلى من أضلته المنايا لياليا
فكان كرامى الليل يرمى فلا يرى | فلما أضاء الشيب شخصى رمانيا

وأخذ معنى البيت الأخير، من قول أبى فراس بن حمدان فى مزدوجته:

ما العمر ماطالت به الدهور | العمر ماتم به السرور
أيام عزى ونفاذ أمرى | هى التى أحسبها من عمرى
لو شئت مما قد قللن جدا | عددت أيام السرور عدا

ولكن قول أسامة أبلغ في المعنى، وهذا ظاهر قال: وأنشدنى من قديم شعره:

لم يبق لي في هواكم أرب | سلوتكم و القلوب تتقلب
أوضحتم لي سبل السلو وقد | كانت لي الطرق عنه تتشعب

الإم دمعى من هجركم سرب | قان وقلبى من غدركم يجب
إن كان هذا لأن تعبدني الحب | فقد أعتقني الريب
أحببتكم فوق ما توهمه الناس | وخنتم أضعاف ما حسبوا

وقوله أيضاً:

يادهر مالك لايصددك | عن مساءتى العتاب
أمرضت من أهو ويأبى | أن أمرضه الحجاب

لو كنت تنصف كانت الأم		راض لي و له الثواب

أخذ هذا المعنى من قول الشاعر:

يا ليت علته لى غير أن له		أجر المريض وأنى غير مأجور

قال العماد: وهذا الذى أوردته من شعره، نقلته من تاريخ السمعاني، فلم وردت إلى دمشق، وأجتمعت به، قلت له: هل لك معنى مبتكر فى الشيب؟ فأنشدني:

لو كان صد معاتبا ومغاضبا		أرضيته وتركت خدي شائبا
لكن رأى تلك النضارة قد ذوت		لما غدا ماء الشبيبة ناضبا
ورأى النهي بعد الغواية صاحبي		فثنى العنان يريغ غيرى صاحبا
وأبيه ما ظلم المشيب وإنه		أملي، فقلت عساه عني راغبا
أنا كالدجى لما تناهى عمره		نشرت له أيدى الصباح ذوائبا

ومن شعره أيضا في محبوس:

حبسوك :والطير النواطق إنما		حبست لميزتها على الأنداد
وتهيبوك وأنت مودع سجنهم		وكذا السيوف تهاب في الأغماد
ما الحبس دار مهانة لذوى العلا		لكنه كالغيل للآساد

ومنه قوله في الشمعة:

أنظر إلى حسن صبر الشمع يظهر		للرائين نورا وفيه النار تستعر
كذا الكريم تراه ضاحكا جذلا		وقلبه بدخيل الغم منفطر

وقوله أيضا:

نافقت دهري فوجهي ضاحك جذل		طلق وقلبى كئيب مكمد باك
وراحة قلبي في الشكوى ولذتها		لو أمكنت لا تساوى ذلة الشاكي

وقوله أيضا:

لئن غض دهر من جماحي أو ثنى		عناني أو زلت بأخمصي النعل
تظاهر قوم بالشمات جهالة		وكم إجنة في الصدر أبرزها الجهل
وهل أنا إلا السيف فلل حده		قراع الأعادي ثم أرهفه الصقل

وقوله أيضا:

لا تحسدن على البقاء معمرا		فالموت أيسر ما يئول إليه

وإذا دعوت بطول عمر لامرئ		فاعلم بأنك قد دعوت عليه

قال العماد: وتناشدنا بيتا للوزير المغربي في وصف خفقان القلب، وتشبيهه بظل اللواء، الذى تخترقه الرياح وهو:

كان قلبى إذا عن ادكاركم		ظل اللواء عليه الريح تخترق

فقال لى الأمير مؤيد الدولة أسامة: لقد شبهت القلب الخافق وبالغت في تشبيهه، وأربيت عليه فى قولى من أبيات وهي:

أحبابنا كيف اللقاء ودونكم		عرض المهامه والفيافي الفيح

أبكيتم عينى دما لفراقكم		فكأنما إنسانها مجروح

وكأن قلبى حين يخطر ذكركم		لهب الضرام تعاورنه الريح

فقلت له: صدقت، فإن المغربى قصد تشبيهه خفقان القلب، وأنت شبهت القلب الواجب باللهيب، وخفقانه باضطرابه عند اضطرامه، لتعاور الريح، فقد أربيت عليه وأنشدني أيضا من قوله أيام شبابه، وهو معتقل فى الخيال.

ذكر الوفاء خيالك المنتاب		فالم وهو بودنا مرتاب

نفسى فداؤك من حبيب زائر		متعتب عندى له الأعتاب

ودى كعهدك والديار قريبة		من قبل أن تتقطع الأسباب

ثبت فلا طول الزيارة ناقص		منه وليس يزيده الإغباب

حظر الوفاء على هجرك طائعا		وإذا اقتسرت فما علي عتاب

قال: وتذاكرنا قول أبي العلاء المعري:

لو حط رحلي فوق النجم رافعة		ألفيت ثم خيالا منك منتظري

وأبلغ من هذا قول المعري في بعد المسافة:

وذكرت كم بين العقيق إلى الحمى		فجزعت من أمد المدى المتطاول

وعذرت طيفك في الجفاء فإنه		يسري فيصبح دوننا بمراحل

وأنشدني:

وأعجب ما لقيت من الليالي		وأى فعالها بي لم يسؤنى؟

تقلب قلب من مثواه قلبي وجفوة من ضممت عليه جفني

قال: واجتمعنا عن الملك الناصر صلاح الدين، يوسف بن أيوب بدمشق، وكان يلعب بالشطرنج، فقال الأميرأسامة: ألا أنشدك البيتين اللذين قلتهما في الشطرنج؟ فقلت: هات، فأنشدنى لنفسه:

أنظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها مغالبا ثم يعد الجمع يرميها

كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها حتى إذا مات خلاها وما فيها

وأنشدني لنفسه في غرض له فى نور الدين محمود – رحمه الله –:

سلطاننا زاهد والناس زهدوا له فكل على الخيرات منكمش

أيامه مثل شهر الصوم خالية من المعاصي وفيها الجوع والعطش

قال: وأنشدني لنفسه:

ألحبابنا هلا سبقتم بوصلنا صروف الليالى قبل أن نتفرقا؟؟

تشاغلتم بالهجر والوصل ممكن وليس إلينا للحوادث مرتقى

كأنا أخذنا من صروف زماننا أمان ومن جور الحوادث موثقا

وقال ايضا:

قمر إذا عاينته شغفا به غرس الحياء بوجنتيه شقيقا

وتلهبت خجلا فلولا ماؤها مترقرق فيه لصار حريقا

وازور عنى مطرقا فأضلني أن أهتدى نحو السلو طريقا

فليلحنى من شاء فيه فصبوتى بهواه سكر لست منه مفيقا

وكتب إليه أبو الفوارس مرهف: من حض كيفا، كتابا على يد مسنمنح، فلم يمكن الوقت من بلوغ الغرض من البر، فكتب أسامة جوابه.

أبا الفوارس ما لاقيت من زمني أشد من قبضه كفي عن الجود

رأى سماحي بمنزور تجانف لي عنه وجودي به فاجتاح موجودي

فصرت إن هزني جان تعود أن يجبنى نداي رآني يابس العود

وقال أيضا:

سقوف الدور في خربرت سود كستها النار أثواب الحداد

فلا تعجب إذا ارتفعت علينا | فللحظ اعتناء بالسواد
بياض العين يكسوها جمالا | وليس النور إلا في السواد
ونور الشيب مكروه وتهوى | سواد الشعر أصناف العباد
وطرس الخط ليس يفيد علما | وكل العلم فى وشى المداد

وله مدح صلاح الدين:

هو من عرفت فلو عصاه نهاره | لرماه نقع جيوشه بالغيهب

وله في الهزل:

خلع الخليع عذاره في فسقه | حتى تهتك فى بغا ولواط
يأتي ويؤتى ليس ينكى ذا ولا | هذا كذلك إبرة الخياط

قال العماد: وكان قد سألني أن أنتجز له مطلوبا عند الملك الناصر، صلاح الدين، فكتب إلى يستحثني:

عماد الدين مولانا جواد | مواهبه كمنبل السحاب
يحكم في مكارمه الأمانى | ولو كلفنه رد الشباب
وعذرك في قضا شغلى قضاء | يصرفه فما عذر الجواب

ولمؤيد الدولة أسامة بن منقذ، تصانيف حسان، منها: كتاب القضاء، كتاب الشيب والشباب، ألفه لابيه، كتاب ذيل يتيمة الدهر للثعالبي، كتاب تاريخ أيامه، كتاب في أخبار أهله رأيته ومن شعر الأمير الأجل مؤيد الدولة، مجد الدين أسامة بن منقذ:

صديق لنا كالبحر قد أهلك الورى | ولم تنههم أخطاره عن ركوبه
موداته تحكيه صفوا وخبرها | كمشربه من حوبه وذنوبه

ومنه أيضا:

كنت بين الرجاء واليأس منه | أقطع الدهر بين سلم وحرب
ألتقى عتبه بأكرم إعتاب | ويلقى ذلى بتيه وعجب
فبدا للملول أنى لو رمت | سلوا لما سلا عنه قلبي
فتجنى لي الذنوب ولا والله | ما لي ذنب سوى فرط حبي

ومنه أيضا:

أنظر بعينك هل | ترى أحد يدوم على الموده؟

فترى أخلاء الصفاء عدى إذا نابتك شده

ومنه أيضا

تنكرني الإخوان حتى ثقاتهم وحذرنى منهم نذير التجارب
كأني إذا أودعت سري عندهم رفعت بنار فوق أعلى المراقب

قال العماد: وكتبها إلى دمشق بعد خروجه إلى مصر، في أيام بنى الصوفى يشير إليهم:

ولوا فلما رجونا عدلهم ظلموا فليتهم حكموا فينا بما علموا
ما مر يوما بفكرى ما يريبهم و لا سعت بي إلى ما ساءهم قدم
و لا أضعت لهم عهدا و لااطلعت على ودائعهم فى صدرى التهم
محاسنى منذ ملونى بأعينهم قذى، وذكرى فى آذانهم صمم
وبعد لو قيل لي ما تحب وما تختار من زينة الدنيا لقلت هم
هم مجال الكرى من مقلتي ومن قلبي محل المنى جاروا أو احترموا
تبدلوا بي و لا أبغى بهم بدلا حسبى بهم أنصفوا فى الحكم أم ظلموا
ياراكبا تقطع البيداء همته والعيس تعجز عما تدرك الهمم
بلغ أميري معين الدين مألكة من نازح الدار لكن وده أمم
هل فى القضية يا من فضل دولته وعدل سيرته بين الورى علم
تضيع واجب حقى بعد ما شهدت به النصيحة والخلاص والخدم
إذا نهضت إلى مجد تؤثله تقاعدوا، وإذا شيدته هدموا
وإن عرتك من الأيام نائبة فكلهم للذي يبكك يبتسم
وكل من ملت عنه قربوه ومن ولاك فهو الذي يقى ويهتضم
أين الحمية والنفس الأبية إذ ساموك خطة خسف عارها يصم؟
هلا أنفت حياء أو محافظة من فعل ما أنكرته العرب والعجم
أسلمتنا وسيوف الهند مغمدة ولم يرو سنان السمهري دم
وكنت أحسب من والاك في حرم لايعتريه به شيب ولا هرم
وأن جارك جار للسموءل لا يخشى الأعادى ولاتغتاله النقم

هبنا جنينا ذنوبا لا يكفرها	عذر فماذا جنى الأطفال والحرم

ومنها:

لكن رأيك أدناهم وأبعدني	فليت أنا بقدر الحب نقتسم

ولا سخطت بعادي إذ رضيت به	ولا لجرح إذا أرضاكم ألم

تعلقت بحبال منك يدي	ثم انثنت وهي صفر ملؤها ندم

لكن فراقك آساني وأسقمني	ففي الجوانح نار منه تضطرم

فاسلم فما عشت لي فالدهر طوع يدي	وكل ما نالنى من بؤسه نعم

ومن شعره أيضا:

إلق الخطوب إذا طرقن بقلب محتسب صبور

فسينقضي زمن الهموم	كما انقضى زمن السرور

فمن المحال دوام حال	في مدى العمر القصير

وتوفى بعد الثمانين والخمسمائة. ومنهم أخوه أبو الحسن على بن مرشد، بن على بن مقلد، بن منقذ، سيد بنى منقذ، ورد بغداد حاجا بعد العشرين والخمسمائة. وقد ذكره السمعاني في تاريخه، وأنشد له:

ودعت صبري ودمعي يوم فرقتكم	وما علمت بأن الدمع يدخر

وضل قلبي عن صدري فعدت بلا	قلب فياويح ما آتى وما أذر

ولو علمت ذخرت الصبر مبتغيا	إطفاء نار بقلبي منك تستعر

قال الأمير علي بن مرشد: سمعت دربابا يصيح بدرب حبيب فقلت فيه:

ياطائرا لعبت أيدى الفراق به	مثلى فأصبح ذا هم وذا حزن

داني الأسى، نازح الأوطان مغتربا	عن الأحبة مصفودا عن الوطن

بلا نديم ولاجار يسر به	ولاحميم ولا دار ولا سكن

لكن نطقت فزال الهم عنك ولى:	هم يقلقل أحشائي ويخرسني

وكل من باح بالشكوى استراح ومن	أخفى الجوى بث عنه شاهد البدن

أرقت عيني بنوح لست أفهمه	مع مابقلبى من وجد يؤرقني

وما بكيت ولي دمع غواربه	إذا ارتمت منه لم تنشق بالسفن

قال: وكتب إلى صديق له:

ما فهت مع متحدث متشاغلا ... إلا رأيتك خاطرا فى خاطرى

ولو استطعت لزرت أرضك ماشيا ... بسواد قلبى أو بأسود ناظرى

وكتب إلى أخيه مؤيد الدولة أسامة، وهو بالموصل:

ألا هل لمخزون تذكر إلفه ... فحن وأبدى وجده من يعنيه

وعيشا معنى بالرغم إذ نحن جبرة ... ترف على روض الوصال عصونه

لدي منزل كان السرور قرينكم ... به فتولى إذ تولى قرينه

فلو أعشبت من فيض دمعي محوله ... لما رضيت عن دمع عيني جفونه

قال: وأنشدنى له ابن أخيه، الأمير مرهف بن أسامي:

لأشكرن النوى والعيس إذ قصدت ... بى معدن الجود والإحسان والكرم

فسرت في وطني إذ سرت من وطنى ... فمن رأى صحة جاءت من السقم؟

وقد ندمت على عمر مضى أسفا ... إذ لم أكن لك جارا فيه في القدم

فاسلم ولا زلت محروس العلا أبدا ... ما لاحت الشهب في داج من الظلم

وقال أخوه أسامة بن مرشد: ونقلت من خط أخى عز الدولة، أبي الحسن، علي بن مرشد، من شعره، وكان استشهد رحمه الله على عزة فى شهر رمضان، سنة خمس وأربعين وخمسمائة، فى حرب الفرنج لعنهم الله قبل أن يكمل من شعره، وكان تقطر به فرسه على باب غزة، واستعلى الفرنج على أصحابه، فانكشفوا عنه، وبقى في المعركة فقتل، وأنشد له أشعارا، منها قوله فى مرض طال به:

ظننت، وظن الألمعى مصدق ... بأن سقام المرء سجن حمامه

فإن لم يكن موت صريح فإنه ... عذاب تمل النفس طول مقامه

وكم يلبث المسجون في قبضة الأذى ... يجرب فيه الموت غرب حسامه

وأنشد له قوله عند رحيله عن بغداد إلى الحجاز

ترحلت عن بغداد لا كارها لها ... وفى القلب منها لوعة وحريق

فسقيا لأيام تقضت بربعها ... إذ العيش غض والزمان أنيق

بإخوان صدق ليس فيهم مشاهق ... وكلهم حان على شفيق

وأنشد له أيضا:

ولما أعرتني النوى منك نظرة أحب إلي قلبي من البارد العذب
تعقبها البين المشت فليتنا بقينا على تأميلنا لذة القرب

وأنشد له:

ليت شعري علام صدك عنا بعد ما كنت تدعي الأشواقا؟
لاتجار الزمان سبقا إلى الهجر فما زال صرفة سباقا
أنت غر بغدره فلهذا قد تعجلت بالصدود الفراق

وأنشد له:

بنى أبى إن عدا دهر ففرقنا فهم نفسى بكم ما عشت مجتمع
هل تعلمون الذى فى النفس من أسف عليكم وحنين ليس ينقطع
ترحتم أدمعى حتى لقد محلت جفون عيني ومات اليأس والطمع
وإن دهرا رمى عن جيده دررا أمثالكم لزمان عاطل ضرع

ومنهم جده سديد الملك، أبو الحسن، علي مقلد، بن منقذ، وكان من شرطه أن يقدم على بنيه قال: هو جد الجماعة، موفور الطاعة، أحكم آساس مجده وشادها، وفضل أمراء ديار بكر والشام وسادها.

قال أبو يعلى حمزة بن أسد: في سنة أربع وسبعين وأربعمائة فى رجب، ملك الأمير أبو الحسن، علي بن مقلد، بن منقذ، حصن شيزر، من الأسقف الذى كان فيه بمال بذله له، وأرغبه فيه إلى أن حصل فى يده، وشرع فى عمارته وتحصينه، والمصانعة عنه إلى أن تمكنت حاله فيه، وقويت نفسه فى حمايته، والمدافعة عنه والأمير سديد الملك، هو ممدوح فحول الشعراء، الذي امتدحه ابن حيوس بقصيدته التي أولها – وكتبها إليه من طرابلس وهو بحلب –:

أما الفراق فقد عاصيته فأبى وطالت الحرب إلا أنه غلبا
أرانى البين لما حم عن قدر وداعنا كل جد بعده لعبا

قال: وسألت ابن ابنه الأمير أسامة بن مرشد، ابن على عن وفاة جده، فقال: مات سنة خمس وسبعين وأربعمائة، قال: وأنشدني مجد العرب العامري بأصبهان قال: أنشدني الأمير أبو سلامة مرشد لأبيه الأمير، أبي الحسن علي بن مقلد فى غلام له ضربه، وقد أبدع في هذا المعنى وأعرب:

أسطو عليه وقلبى لو تمكن من كفى غلهما غيظا إلى عنقي
وأستعير إذا عاتبته حنقا وأين ذل الهوى من عزة الحنق

قال وأنشدني له أيضا:

ماذا النجيع بوجنتيك وليس من ... شدخ الأنوف على الخدود رعاف

ألحاظنا جرحتك حين تعرضت ... لك أم أديمك جوهر شفاف

وقرأت له في مجموع.

إذا ذكرت أياديك التى سلفت ... مع سوء فعلي وزلاتى ومجترمي

أكاد أقتل نفسى ثم يمنعني ... علمى بأنك مجبول على الكرم

وله أيضا:

من كان يرضى بذل فى ولايته ... من خوف عزل فإنى لست بالراضي

قالوا فنركب أحيانا فقلت لهم ... تحت الصليب ولا فى موضع القاضى

وله أيضا:

لاتعجلوا بالهجر إن النوى ... تحمل عنكم مؤنة الهجر

وظاهرونا بوفاء فقد ... أغناكم البين عن الهجر

وله أيضا:

ألقي المنية فى درعين قد نسجا ... من المنية لا من نسج داود

إن الذى صور الأشياء صورني ... نارا من البأس في بحر من الجود

وهذان البيتان يرويان لعبد المؤمن ملك الغرب، ولسديد الملك، من مجموع أسامة:

كيف السلو وحب من هو قاتلي ... أدنى إلي من الوريد الأقرب

إنى لأعمل فكرتى فى سلوة ... عنه فيظهر فى ذل المذنب

وله أيضا:

بكرت تنظر شيبي ... وثيابي يوم عيد

ثم قالت لى بهزء ... يا خليقا في جديد

لاتغالطني فما تص ... لح إلا للصدود

قال العماد: أنشدت هذه الأبيات والقطع جميعها، الأمير مؤيد الدولة أسامة، فى سنة اثنتين وسبعين، فأنكر أن يكون لجده سوى البيتين اللذين أولهما: لاتعجلوا بالهجر إن النوى وأنشدني لجده، وكان كتب بها إلى القاضي جلال الملك، أبي الحسن علي بن عمارة، صاحب طرابلس:

أحبابنا لو لقيتم فى مقامكم من الصبابة ما لاقيت فى ظعنى

لأصبح البحر من أنفاسكم يبسا كالبر من أدمعي ينشق بالسفن

ومنهم الأمير أبو سلامة، مرشد بن علي، بن مقلد، ابن نصر، بن منقذ،وولد المقدم ذكره، له البيت القديم، والفضل العميم، من فروع الأملاك، الفارعى الأملاك.

قال السمعاني في تاريخه: رأيت مصحفا بخطه، كتبه بماء الذهب على الطاق الصورى، ما رأيت ولا أظن أن الرائين رأوا مثله، فقد جمع إلى فضائله حسن خطه، وتقدم بحسن تدبيره على رهطه وأسن وعمر، وله أولاد نجباء أمجاد، كرماء أجواد، وكان مولده سنة ستين وأربعمائة، ومات بشيزر، سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، فيما حكاه ولده أسامة للسمعاني. وذكره مجد العرب أبو فراس العامري، وقال: كنت مقيماً مدة بشيزر في كنفهم، حاظيا برفدهم، ساميا بشرفهم وأثني على خلفهم، وترحم على سلفهم، قال: وكان الأمير حينئذ بقلعة شيزر: السلطان أبو العساكر أخوه، وهو ممدوحي الذى حباني الإكرام والإحسان، وكان الأمير مرشد يقربني ويكرمني، وقال فى أبياتا منها

لئن نسى امرؤ عهدا فإنني لعهد أبي الفوارس غير ناس

وما عاش الأمير أبو فراس فما مات الأمير أبو فراس

كنية العامري أبو فراس الآخر، وهو أبو فراس بن حمدان، وكان العامري ينبجح بالبيتين، وذكر السمعاني في تاريخه، أنشدني ولده أبو عبد الله محمد ابن مرشد، بن علي، بن مقلد بن منقذ، من حفظه عند القبة التي فيها قبر أيوب النبى صلى الله عليه وسلم، عند عقبة أفيق، بنواحى الأردن قال، وأنا قائم أكتب، وهو وغلمانه على الخيل قال: أنشدني والداى المرشد بن على لنفسه بشيزر:

ظلوم أبت فى العلم إلا التماديا وفى الصد والهجران إلا تناهيا

شكت هجرنا والذنب فى ذاك ذنبها فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا

وطاوعت الواشين في وطالما عصيت عذولا فى هواها وواشيا

ومال بها تيه الجمال إلى العلا وهيهات أن أمسى لها الدهر قاليا

ولا ناسيا ما استودعت من عهودها وإن هي أبدت جفوة وتناسيا

ومنها فى العتاب:

وقلت :أخي يرعى بني وأسرتي ويحفظ فيهم عهدتي وذماميا
ويجزيهم ما لم أكلفه فعله لنفسي فعد أعددته من تراثيا
فأصبحت صفر الكف مما رجوته أرى اليأس قد غطى سبيل رجائيا
فما لك لما أن حنى الدهر صعدتي وثلم مني صارما كان ماضيا

تنكرت حتى صار برك قسوة وقربك منهم جفوة وتناسيا
على أننى ماحلت عما عهدته ولا غيرت هذي الشؤون واديا
فلا زعزعتك الحادثات فإنني أراك يميني والأنام شماليا

قال: وقرأت فى بعض الكتب كلمة نظمها الخطيب أب الفضل، يحيى بن سلام الحصكفي، فى جواب رسالة وصلته من الأمير على بن مرشد من شيزر، وهى:

حوى مرشد وابناء غر المناقب وحلوا من العلياء أعلى المراتب
ذوائب مجد ما علمت بأنهم من العلم أيضا فى الذرى و الذوائب
أنت من على روضة جاد روضها سحائب فضل لا كجود السحائب
بأبيات شعر أفحمت كل شاعر وآيات نثر أعجبت كل خاطب
وغر معان أعجزن كل عالم وأسطر خط أرعشت كل كاتب
وربع لورد واقد لمطالع ربيع لوفد وارد بمطالب
وخود رمت بالسحر عن قوس حاجب لها في العلا فخر على قوس حاجب
فلو قطبت بوما لما قطبت لها وجوه ولا غطت على حكم شارب

ومنهم حميد بن مالك، بن مغيث، بن نصر، بن منقذ، بن محمد، بن منقذ، بن نصر، بن هاشم، أبو الغنائم، الملقب بمكين الدولة، ولد بشيزر في تاسع جمادي الآخرة، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، ونشأ بها، وانتقل إلى دمشق، فسكنها مدة طويلة، وكتب فى العسكر، وكان يحفظ القرآن، وله شعر جيد، وفيه شجاعة وعفاف، ومات فى نصف شعبان، سنة أربع وستين وخمسمائة بحلب، ومن شعره:

ما بعد جلق للمرتاد منزلة ولا كسكانها فى الأرض سكان
فكلها لمجال الطرف منتزه وكلهم لصروف الدهر أقران
وهم وإن بعدوا عنى بنسبتهم إذا بلوتهم بالود إخوان

وقال في أخيه يحيى:

بالشام لي حدث وجدت بفقده وجدا يكاد القلب منه يذوب
فيه من البأس المهيب صواعق تخشى ومن ماء السماء قليب
فارقت حتى حسن صبرى بعده وهجرت حتى النوم وهو حبيب

قال الحافظ علي بن الحسن، بن هبة الله، وأنشدنا لنفسه:

يذكرني يحيى الرماح شوارعا وبيض المواضى جردت للوقائع
وأقسم ما رؤياه في العين بهجة بأحسن من أوصافه فى المسامع

قال: وأنشد لنفسه:

وسلافة أزرى احمرار شعاعها بالورد والوجنات والياقوت
جاءت مع الساقى تنير بكأسها فكأنها اللاهوت فى الناسوت

قال: وأنشدنا لنفسه فى صديق له يعاتبه:

أدنو بودى وحظى منك يبعدنى هذا :لعمرك عين الغبن والغبن
وإن توخيتني يوما بلائمة رجعت باللوم إبقاء على الزمن
وحسن طنى موقوف عليك فهل غيرت بالظن بى عن رأيك الحسن

ومنهم الأمير شرف الدين، أبو الفضل، إسماعيل بن أبى العساكر، سلطان بن علي، بن منقذ، كان أبوه عم مؤيد الدولة، أسامة بن مرشد، أمير شيزر، وكان شابا فاضلا، سكن لما أخذت منهم شيزر بدمشق، ومات بها سنة إحدى وستين وخمسمائة، قال العماد: وسمعت من شعره:

ومهفهف كتب الجمال بخده سطرا يحير ناظر المتأمل
بالغت في استخراجه فوجدته لا رأى إلا رأى أهل الموصل

وذكره ابن عمه الأمير مرهف بن أسامة، وأثنى عليه، وأنشدنى له أشعاراً منها بيتان فى النحل والزنبور وهما:

ومغردين ترنما فى مجلس فنفاهما لأذاهما الأقوام
هذا يجود بما يجود بعكسه هذا فيحمد ذا وذاك يذام

يعنى العسل من النحل، وعكسه اللسع من الزنبور وأنشدنى أيضا له:

سقيت كأس الهوى علا على نهل فلا تزدني كأس اللوم والعذل

نأى الحبيب فبى من نأيه حرق　　لو لابست جبلا هدت قوى الجبل
ولو تطلبت سلوانا لزدت هوى　　وقد يزيد رسوبا نهضة الوحل
عفت رسومي فعج نحوى لتندبني　　فالصب غب زيال الحب كالطلل

صحوت من قهوة تنفى الهموم بها　　لكنني ثمل من طرفة الثمل
أصبر النفس عنه وهى قائلة　　مالى بعادية الأشواق من قبل
كم ميتة وحياة ذقت طعمهما　　مذ ذقت طعم النوى لليأس والأمل
والنفس إن خاطرت فى غمرة وألث　　منها وإن خاطرت فى الوجد لم تئل
لها دروع تقيها من سهام يد　　لهل دروع تقيها أسهم المقل
فانظر إليه تر الأقمار فى قمر　　وانظر إلى تر العشاق فى رجل
بأى أمر سأنجو من هوى رشا　　فى جفنه سحر هاروت وسيف على
إذا رمى طرفه باللحظ قال له　　قلبى أعد لا رماك الله بالشلل
أمن بني الروم ذا الرامي الذى فتكت　　سهامه بالورى أم من بني ثعل؟
إن خفت روعة هجران الحبيب فقد　　أمنت في حبه من روعة العذل

ومنهم الأمير أبو الفتح، يحيى بن سلطان، بن منقذ، لقبه فخر الدولة، ذكره الأمير مرهف بن أسامة، وذكر أنه قتل على بعلبك، فى سنة أربعين وخمسمائة وأنشدنى من شعره، ما كتبه إلى أبيه عز الدين، يطلب منه رمحا:

يا خير قوم لم يزل مجدهم　　فى صفحات الدهر مسطورا
عبدك يبغى أسمرا ذكره　　ما زال بين الناس مذكورا
مسدد والجور من شأنه　　إن نال، وترا صار موتورا
فإن تفضلت به عاد عن　　صدور أعدائك مكسورا

ومنهم الأمير عز الدولة أبو المرهف، نصر بن مقلد، بن نصر، بن منقذ، عم مؤيد الدولة أسامة، قال العماد: كنا حضرنا عند الملك الناصر ليلة بدمشق، سنة إحدى وسبعين، والأمير مؤيد الدولة حاضر، وتناشدنا ملح القصائد، ونشدنا ضالة الفوائد، وجرى حديث اقتضى إنشاد الأمير أسامة بيتين لبعضهم فى المشط الأبيض، وهما لأبى الحسن، أحمد بن محمد، بن الدريدة المغربي، كان فى زمن بنى صالح:

كنت أستعمل السواد من الأمشاط والشعر فى سواد الدياجي
أتلقى مثلا بمثل فلما صار عاجا سرحته بالعاج

ثم قال الأمير: وقد أخذ هذا المعنى، عمى نصر وعكسه، وقال:

كنت أستعمل البياض من الأمشاط عجبا بلمتى وشبابي
فاتخذت السواد فى حالة الشيب سلوا عن الصبا بالتصابي

وقال لى الأمير أسامة: كان عمى نصر قد أخرج حجة عن والدته، فرآها فى النوم كأنها تنشده، فأتيته والأبيات على حفظه، وهي:

جزيت من ولد بر بصالحة فقد كسبت ثوابا آخر الزمن
وقد حجبت إلى البيت الحرام وقد أتيته زائرا يا خير محتضن
فلا تنلك يد الأيام ما طلعت شمس وما صدحت ورقاء فى فنن

وكان نصر هذا، صاحب قلعة شيزر بعد والده سديد الملك، وكان كريما ذا أريحية حدثنى الأمير مرهف بن أسامة بحضرة والده، قال: كتب القاضى أبو مسلم وادع المعرى، إلى الأمير نصر فى نكبة نالته:

يانصر يا ابن الأكرمين ومن شفع التلاد بطارف الفخر
هذا كتاب من أخى ثقة يشكو إليك نوائب الدهر
فأمنن بما عودت من حسن هذا أوان النفع والضر

فكتب إليه نصر إنه لم يحضرنى سوى ما هو عندك مودع، وهو ستة آلاف دينار، فاصرفها فى بعض مصالحك واعذر وذكر أن نصرا كان برا بوالده سديد الملك، فقال فيه سديد الملك:

جزى الله نصرا خير ما جزيت به رجال قضوا فرض العلاء ونفلوا
هو الولد البر العطوف وإن رمى به حادث فهو الحمام المعجل
يفديك يا نصر رجال محلهم من المجد والإحسان أن يتقولوا
سألنى بما أوليت بالموقف الذى تقر به الأقدام أو تتزلزل
وألقاك يوم الحشر أبيض ناصعا وأشكر عند الله ما كنت تفعل

وتوفى نصر بن على، فى جمادى الآخرة، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، بشيزر ومنهم الأمير عضد الدين أبو الفوارس مرهف بن أسامة، بن مرشد، بن على، ابن مقلد، بن نصر، بن منقذ قال مؤلف الكتاب:

فارقته فى جمادى الأولى، سنة اثنتى عشرة وستمائة، بالقاهرة يحيا، ولقيته بها وهو شيخ ظريف، واسع الخلق، شائع الكرم، جماعة للكتب، وحضرت داره، واشترى منى كتبا، وحدثنى أن عنده من الكتب ما لايعلم مقداره، إلا أنه ذكر لى، أنه باع منها أربعة آلاف مجلد فى نكبة لحقته، فلم يؤثر فيها، وسألته عن مولده، فقال: ولدت سنة عشرين وخمسمائة،فيكون عمرع إلى وقتنا هذا، اثنتين وتسعين سنة،وكان قد أقعد لا يقدر على الحركة، إلا أنه صحيح العقل والذهن، والفطنة والبصر، يقرأ الخط الدقيق كقراءة الشبان، إلا أن سمعه فيه ثقل، وكان ذلك يمنعنى من مكاثرته ومذاكرته وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله قد أقطعه ضياعا بمصر، فهو يصرفها فى مصالحه، واجراه الملك العادل، أخو صلاح الدين على ذلك، وكان الملك الكامل بن العادل يحترمه، ويعرف له حقه، وأنشدنى شيئا من شعره وشعر أهله، لم يحضرنى فى هذا الوقت ما أورده: وذكر له العماد فى كتاب الخريدة، ما ذكر أنه سمعه منه وهو:

سمحت بروحى فى رضاك ولم يكن ... ليعجزنى لولا رضاك المذاهب
وهانت لجراك العظائم كلها ... على وقد جلت لدى النوائب
فكان ثوابي عن ولائي لحبكم ... رمتني به منك الظنون الكواذب
فمهلا فلي في الأرض عن منزل العلا ... مسار إذا أخرجتني ومسارب
وإن كنت ترجو طاعتي بإهانتي ... وقسري فإن الرأي عنك لعازب

وأنشدني أيضاً لنفسه، قال وهو حاضر عند والده، وذكر أنه مما كتبه إلى والده:

رحلتم وقلبى بالولاء مشرق ... لديكم وجسمي للعناء مغرب
فهذا سعيد بالدنو منعم ... وهذا شقي بالبعاد معذب
وما أدعي شوقا فسحب مدامعي ... تترجم عن شوقي إليكم وتعرب
ووالله ما اخترت التأخر عنكم ... ولكن قضاء الله ما منه مهرب

ومات الأمير عضد الدين بن مرهف، في الثانى من صفر، سنة ثلاث عشرة وستمائة.

^

الجزء السادس

إسحاق بن إبراهيم الموصلي

كنيته أبو محمد وكان الرشيد إذا أراد أن يولع به، كناه أبا صفوان، وموضعه من العلم، ومكانه من الأدب والشعر، لو أردنا استيعابه، طال الكتاب وخرجنا عن غرضنا من الاختصار، ومن وقف على الأخبار، وتتبع الآثار، علم موضعه، وأما الغناء فكان أصغر علومه، وأدنى ما يوصف به، وإن كان الغالب

عليه، لأنه كان له في سائر علومه نظراء، و لم يكن له فى هذا نظير، لحق فيه من مضى، وسبق من بقى، فهو إمام هذه الصناعة، على أنه كان أكره الناس للغناء والتسمى به، ويقول: وددت أني أضرب، - كلما أراد مني من يندبني أن أغني، وكلما قال قائل: إسحاق الموصلي المغني، - عشر مقارع، ولا أطيق أكثر من هذا، وأعفي من الغناء والنسبة إليه وكان المأمون يقول: لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس، وشهر به من الغناء عندهم، لوليته القضاء بحضرتى، فإنه أولى به، وأحق وأعف، وأصدق تدينا وأمانة من هؤلاء القضاة قال: بقيت زمانا من دهرى أغلس إلى هشيم، فأسمع منه الحديث، ثم أصبر إلى الكسائي، فأقرأ عليه جزءا من القرآن، وآتى الفراء، فأقرأ عليه جزءا، ثم آتى منصورا زلزل فيضاربني طريقين أو ثلاثة، ثم آتى عاتكة بنت شهدة، فآخذ منها صوتا أو صوتين، ثم آتى الأصمعى فأناشده، وآتى أبا عبيدة فأذاكره، ثم أسير إلى أبي فأعلمه ما صنعت، ومن لقيت، وما أخذت، وأتغذى معه، وإذا كان العشاء رحت إلى الرشيد وقال الأصمعى: خرجت مع الرشيد، فلقيت إسحاق الموصلى بها، فقلت له: هل حملت شيئا من كتبك؟ فقال: حملت ما خف فقلت: كم مقداره؟ فقال ثمانية عشر صندوقا، فعجبت وقلت: إذا كان هذا ما خف، فكم يكون ما ثقل؟ فقال: أضعاف ذلك وكان الأصمعى يعجب بقول إسحاق:

إذا كان الأحرار أصلى ومنصبي ودافع ضيمي خازم وابن خازم

عطست بأنف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم

وقال جعفر بن قدامة: حدثني علي بن يحيى المنجم قال: سأل إسحاق الموصلى المأمون أن يكون دخوله إليه، مع أهل العلم والأدب، والرواة، لامع المغنين، فإذا أراد الغناء غناه، فأجابه إلى ذلك، ثم سأله بعد ذلك بمدة، أن يكون دخوله مع الفقهاء، فأذن له فى ذلك، فكان يدخل ويده فى يد القضاة، حتى يجلس بين يدى المأمون وقال: ولا كل هذا يا إسحاق، وقد اشتريت منك هذه المسألة، بمائة ألف درهم، وأمر له بها. وحدث المزربانى عن محمد بن عطية الشاعر قال: كنت عند يحيى بن أكثم فى مجلس له، يجتمع إليه فيه أهل العلم، وحضره إسحاق، فجعل يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم، ثم تكلم في الفقه فأحسن واحتج، ثم تكلم فى الشعر واللغة، ففاق من حضر، فأقبل على يحيى ابن أكثم وقال: - أعز الله القاضي - أفي شيء مما ناظرت فيه تقصير؟ قال: لا والله، قال: فما بالي أقوم بسائر العوم قيام أهلها، وأنسب إلى فن واحد قد اقتصر الناس عليه؟ قال العطوى: فالتفت إلى يحيى بن أكثم، وقال: جوابه فى هذا عليك، قال: وكان العطوى من أهل الجدل والكلام، فالتفت إلى إسحاق، وقلت: يا أبا محمد، أخبرنى إذا قيل: من أعلم الناس بالشعر واللغة؟ أيقولون إسحاق، أم الأصمعى وأبو عبيدة؟ فقال: بل الأصمعى وأبو عبيدة،

قال فإن قيل من اعلم الناس بالنحو؟ أيقولون إسحاق، أم الخليل وسيبويه؟ قال بل الخليل وسيبويه: قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالأنساب؟ أيقولون إسحاق، أم ابن الكلبى؟ قال: بل ابن الكلبى قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالكلام؟ أيقولون إسحاق، أم أبو الهذيل والنظام؟ قال: بل أبو الهذيل، والنظام، قال: فإن قيل من أعلم الناس بالفقه؟ أيقولون إسحاق، أم أبو حنيفة، وأبو يوسف؟ فقال: بل أبو حنيفة وأبو يوسف، قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالحديث؟ أيقولون إسحاق، أم على بن المديني، ويحيى بن معين؟ قال: بل على المديني، ويحيى بن معين. قال: فإذا قيل من أعلم الناس بالغناء؟ أيجوز أن يقول قائل: فلان أعلم من إسحاق؟ قال: لا، قلت: فمن ههنا نسبت إلى مانسبت إليه، لأنه لا نظير لك فيه، وأنت فى غيره لك نظراء فضحك وقام وانصرف فقال لى يحيى بن أكثم لقد وفيت الحجة، وفيها ظلم قليل لإسحاق، لأنه ربما ماثل أو زاد على من فضلته عليه، وإنه ليقل فى الزمان نظيره.

وكان إسحاق قد روى الحديث عن جماعة، منهم: أبو معاوية الضرير، وهشيم، وابن عينية، وغيرهم، وكان مع كراهيته للغناء أحذق خلق الله به، ممن تقدم وتأخر، وأشد الناس بخلا به على كل أحد، حتى على جواريه وغلمانه، ومن يأخذ عنه منتسبا إليه، متعصباً له، فضلا عن غيره، وهو الذى صحح أجناس الغناء وطرائقه، وميزها تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله، ولا تعلق به أحد بعده، ولم يكن قديما مميزا على هذا الجنس.

وكان إبراهيم بن المهدى يأكل المغنين أكلا، حتى يحضر إسحاق فيداريه إبراهيم، ويطلب مكأفاته ومعارضته، ولا يدع إسحاق يكبته، وكان إسحاق آفته، كما أن لكل شيء آفة، وله معه عدة مشاهد، قال إسحاق: كنت يوما عند الرشيد، وعنده ندماؤه وخاصته، وفيهم إبراهيم بن المهدى، فقال لى الرشيد: يا إسحاق نغن:

شربت مدامة وشقيت أخرى وراح المننشون وماانتشب

فغنيته فاقبل على إبراهيم بن المهدى، فقال: ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت، فقلت له: ليس هذا مما تحسنه وتعرفه، وإن شئت فنه، فإن لم أجدك تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك، فدمى حلال ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين: هذه صناعتي، وصناعة أبي، وهى إلى قربتنا منك، واستخدمتنا إليك، وأوطأتنا بساطك، فإذا نازعناها أحد بلا علم، لم نجد بدا من الإيضاح والذب، فقال: لا عزو، ولا لوم عليك، وقام الرشيد لببول، فأقبل على إبراهيم وقال: ويلك يا إسحاق، تجترى على وتقول ما قلت يا ابن الزانية، فداخلني ما لم أملك نفسي معه، فقلت له: أنت تشتمني ولا أقدر على إجابتك، وأنت ابن الخليفة

وأخو الخليفة، ولولا ذلك لقد كنت أقول لك: يا ابن الزانية، كما قلت لي يا ابن الزانية، ولكن قولي في ذمك، ينصرف إلى خالك لأعلم، ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه قال إسحاق: وكان بيطارا، وعلمت أن إبراهيم يشكوني إلى الرشيد، وأن الرشيد سيسأل من حضر عما جرى فيخبره، ثم قلت له: أنت تظن أن الخلافة تصير إليك، فلا تزال تهددني بذلك، وتعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك، حسدا له ولولده على الأمر، وأنت تضعف عنه وعنهم، وتستخف بأوليائهم تشيعا وأرجو ألا يخرجها الله تعالى عن يد الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها، وإن صارت إليك والعياذ بالله، فحرام على العيش يومئذ، والموت أطيب من الحياة معك، فاصنع حينئذ مابدا لك.

فلما خرج الرشيد، وثب إبراهيم فجلس بين يديه، وقال يا أمير المؤمنين: شتمني وذكر أمي، واستخف بي، فغضب الرشيد وقال: ما تقول ويلك؟ قلت: لا أعلم، سل من حضر، فأقبل على مسرور وحسين الخادم فسألهما عن القصة، فجعلا يخبرانه ووجهه يربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسرى عنه ورجع لونه، وقال لإبراهيم: ما له ذنب، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى موضعك، وأمسك عن هذا، فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أمر ألا أبرح، وخرج كل من حضر، حتى لم يبق غيري، فساء ظني وهمتني نفسي، فأقبل على وقال لي: ويحك يا إسحاق، أتراني لا أعرف وقائعك؟ قد والله زانيته دفعات، ويحك لا تعد، ويحك حدثني عنك لو ضربك أخي إبراهيم، أكنت أقتص لك منه، فأضربه؟ وهو أخي يا جاهل؟ أتراه لو أمر غلمانه أن يقتلونك فقتلوك، أكنت أقتله بك؟ فقلت: قد والله قتلتني يا أمير المؤمنين بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلني، وما أشك في أنه قد بلغه الآن، فصاح بمسرور الخادم وقال: على بإبراهيم الساعة، وقال لي: قم فانصرف، فقلت لجماعة من الخدم، وكلهم كان لي محبا، وإلى مائلاً، أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد: أنه لما دخل عليه وبخه وجهله، وقال له: لم تستخف بخادمي؟ وصنيعتي، ونديمي، وابن خادمي، وصنيعة أبي في مجلسي، وتقدم على وتصنع في مجلسي، وحضرتي، هاه هاه، نقدم على هذا وأمثاله، وأنت مالك والغناء، وما يدريك ماهو؟ ومن أخذ لحنه وطارحك إياه، حتى تظن أنك تبلغ منه مبلغ إسحاق، الذى غذى به، وهو صناعته، ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك، فلا تثبت لذلك، وتعتصم بشتمه، أليس هذا مما يدل على السقوط، وضعف العقل، وسوء الأدب، من دخولك فيما لا يشبهك، ثم إظهارك إياه و لم تحكمه، أليس تعلم ويحك؟ أن هذا سوء رأى وأدب، وقلة معرفة ومبالاة بالخطأ، والتكذيب والرد القبيح، ثم قال له والله العظيم، وحق رسوله الكريم – وإلا فأنا نفى من أبي – لئن أصابه سوء أو سقط عليه حجر من السماء، أو سقط من دابته، أو سقط عليه سقف، أو مات فجأة، لأقتلنك به – والله والله والله وأنت أعلم – فلا تعرض له، قم الآن فاخرج، فخرج وقد كاد يموت، فلما كان بعد ذلك، دخلت عليه وإبراهيم عنده،

فأعرضت عنه، فجعل الرشيد ينظر إلي مرة، وإلى إبراهيم أخرى، ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه والأخذ عنه وإن هذا لا تقدر عليه كما تريد، إلا أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه، وبره وصله، فإذا فعلت ذلك، ثم خالف ما تهواه، عاقبته بيد منبسطة، ولسان منطلق، ثم قال لي: قم إلى مولاك وابن مولاك، فقبل رأسه، فقمت إليه، وأصلح بيننا وحدث المبرد قال: حدثت عن الأصمعي قال: دخلت أنا وإسحاق بن إبراهيم يوما على الرشيد، فرأيته لقس النفس، فأنشده

وآمره بالبخل قلت لها اقصرى فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى بخيلا له حتى الممات خليل
وإنى رأيت البخل يزرى بأهله فأكرمت نفسى أن يقال بخيل
ومن خير أخلاق الفتى قد علمته إذا نال يوما أن يكون ينيل
فعالى :فعال الموسرين تكرما ومالى :كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل

قال: فقال الرشيد لأكيفيك إن شاء الله: ثم قال: لله در أبيات تأتينا بها، ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها!!! وأمر له بخمسين ألف درهم، فقال له إسحاق: وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعرى، أحسن منه، فعلام آخذ الجائزة، فضحك الرشيد وقال: أجعلوها لهذا القول مائة الف درهم. قال الأصمعى: فعلمت يومئذ أن إسحاق، أحذق بصيد الدراهم مني. وحدث إسحاق قال: قال لي الرشيد يوما: بأي شيء يتحدث الناس؟ قلت: يتحدثون أنك نقبض على البرامكة، وتولى الفضل بن الربيع الوزارة، فغضب وصاح، وقال: وما أنت وذاك؟ فأمسكت، فلما كان بعد أيام دعا بنا، فكان أول شيء غنيته:

إذا نحن صدقناك فضر عندك الصدق
طلبنا النفع بالباطل إذ لم ينفع الحق
فلو قدم صبا في هواه الصبر والرفق
لقدمت على الناس ولكن الهوى رزق

والشعر لأبى العتاهية. قال: فضحك الرشيد، وقال لى يا إسحاق: قد صرت حقوداً وحدثت شهوات جارية إسحاق، التى كان أهداها الواثق: أن محمدا الأمين، لما غنى إسحاق لحنه، الذى صنعه فى شعره:

يأيها القائم الأمير فدت نفسك نفسي بالأهل والولد

بسطت للناس إذا وليتهم يدا من الجود فوق كل يد

أمر له بألف ألف درهم، فرأيتها قد أدخلت إلى دارنا، يحملها مائة فراش وحدث إسحاق قال: أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهرا، لم يسمع حرفا من الأغاني، ثم كان أول من تغنى بحضرته، أبو عيسى بن الرشيد، ثم واظب على السماع، متسترا متشبهاً في أول أمره بالرشيد، فأقام على ذلك أربع حجج ثم ظهر للندماء والمغنين، وكان حين أحب السماع سأل عني، فخرجت بحضرته، وقال الطاعن على: ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة؟ فقال: ما بقى هذا شيئا من التيه إلا استعمله، فأمسك عن ذكري، وجفاني من كان يصلنى، لسوء رأيه الذى ظهر في، فأضر ذلك بى، حتى جاءني علوية يوما فقال لي: أتاذن لى في ذكرك، فإنا قد دعينا اليوم فقلت: لا، ولكن غنه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك، لمن هذا، فإذا سألك، انفتح لك ما تريد، فكان الجواب، أسهل عليك من الابتداء، وألقيت عليه لحنى فى شعرى:

يا مشرع الماء قد سدت موارده أما إليك طريق غير مسدود؟

لحائم حام حتى لا سبيل له محلا عن طريق الماء مطرود

قال: فلما استقر بعلوية المجلس، غناه الشعر الذى أمرنه، فما عدا المأمون أن سمع الغناء، حتى قال: ويحك يا علوية، لمن هذا الشعر؟ قلت: ياسيدى لعبدك الذى جفوله، وأطرحته لغير جرم. فقال: لإسحاق تعنى؟ قلت: نعم. فقال: يحضرنى الساعة، فجاءنى رسوله، فصرت إليه، فلما دخلت عليه، قال: ادن، فدنوت منه، فرفع يديه مددهما إلى، فأكببت عليه فاحتضنى بيديه، وأشار من يرى وإكرامى، ما لو أظهر صديق مؤانس بصديق لسره وقال إسحاق. غنيت المأمون يوما.

لأحسن من قرع المثانى ورجعها تواتر صوت الثغر يقرع بالثغر

وسكر الهوى أروى لعظمي ومفصلي من الشرب بالكلمات من عانق الخمر

فقال لى المأمون: ألا أخبرك بأطيب من ذلك وأحسن؟ الفراغ، والشباب، والجدة.

وحدث إسحاق قال: ذكر المعتصم وأنا بحضرته يوما بعض أصحابه، وقد غاب عنه، فقال: تعالوا حتى نقول ما يصنع فى هذا الوقت. فقال قوم: كذا، وقال آخرون: كذا، فبلغت الرنة إلى، فقال: قل يا

إسحاق قلت: إذا أقول فأصيب. قال: أتعلم الغيب؟ قلت: ولكنني اقسم ما يصنع، وأندر على معرفته. قال: فإن لم تصب، قلت: وأن أصبت، قال: لك حكمك، وإن لم تصب، قلت لك دمى، قال: وجب، قلت: وجب، قال: فقل، قلت يتنفس، قال. وإن كان ميتا، قلت: تحفظ الساعة التى تكلمت فيها، فإن كان مات قبلها أو فيها، فقد قمرتنى، قال: قد أنصفت، قلت: فالحكم، قال: فاحتكم ما شئت، قلت: ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين. قال: فإن رضاي لك، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم، أترى مزيدا؟ فقلت: ما أولاك يا أمير المؤمنين بذاك، قال: فإنها مائتا ألف، أترى مزيدا؟ فقلت ما أحوجنى إلى ذاك، قال فإنها ثلاثمائة ألف، أترى مزيدا؟ قلت، ما أولاك يا أمير المؤمنين بذاك، فقال: يا صفيق الوجه ما نزيد على هذا وحدث إسحاق قال: كنت جالسا بين يدى الواثق وهو ولى عهد، إذ خرجت وصيفة من القصر، كأنها خوط بان، أحسن من رأته عينى، يقدمها عدة وصائف بأيديهن المذاب والمناديل، ونحو ذلك، فنظرت إليها نظر دهش وهي ترمقني، فلما تبين إلحاح نظري إليها، قال لي: مالك يا أبا محمد، قد انقطع كلامك، وباتت الحيرة فيك؟ فلجلجت، فقال: رمتك والله هذه الوصيفة، فأصابت قلبك، فقلت: غير ملوم، فضحك وقال: أنشدني شيئا فى هذا المعنى، فأنشدني قول المرار:

ألكني إليها: عمرك الله يافتى ... بآية ما قالت: متى أنت رائح

وآية ما قالت: لهن عشية ... وفى الستر: حرات الوجوه ملائح

تخيرن أرماكن فارمين رمية ... أخا أسد إذ طوحته الطوائح

فأرسلت مسلاس الوشاح كأنها ... مهاة لها طفل برمان راشح

فقال الواثق: أحسنت وحياتي وظرفت، فاصنع فيه لحناً، فإن جاء كما أريد، فالوصيفة لك، فصنعت فيه لحنا وغنيته إياه، فانصرفت بالجارية. وحدث إسحاق قال: غنيت الواثق فى شعر قلته عنده بسر من رأى، وقد طال مقامى، واشتقت إلى أهلى، وهو:

يا حبذا ريح الجنوب إذا بدت ... فى الصبح وهى ضعيفة الأنفاس

قدحملت برد الندى وتحملت ... عبقا من الجنجاث والبسباس

فاستحسنه وقال: يا إسحاق، لو جعلت مكان الجنوب شمالا، ألم يكن أرق وأخاف، وأصح للأجساد، وأقل وخامة، وأطيب للأنفس فقلت: ما ذهب على ما قاله أمير المؤمنين، ولكن التفسير فيما بعد، وهو:

ماذا يهيج للصبابة والهوى ... للصب بعد ذهوله والياس

فقال الواثق: فإنما استطبت ما يجئ به الجنوب، لنسيم بغداد، لا للجنوب وإليهم اشتقت لا إليها، فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، وقمت فقبلت يده، فضحك وقال: قد أذنت لك بعد ثلاثة أيام، فامض راشداً، فأمر

لى بمائة ألف درهمٍ.

وحدث إسحاق قال: ما وصلنى أحد من الخلفاء، بمثل ما وصلني به الواثق، ولا كان أحد يكرمني إكرامه، ولقد غنيته:

لعلك إن طالت حياتك أن ترى	بلادا بها مبدى لليلى ومحضر

فاستعاده منى جمعة لا يشرب على غيره، ثم وصلنى بثلاثمائة ألف درهم، ولقد استقدمني إليه، فلما قدمت عليه، قال لى: ويحك يا إسحاق، أما اشتقت إلي؟ فقلت: بلى والله يا سيدى، وقد قلت فى ذلك أبياتا، إن أمرتني أنشدتك إياها، قال: هات، فأنشدته:

أشكو إلى الله بعدى عن خليفته	وما أعالج من سقم ومن كبر

لا أستتطيع رحيلا إن هممت به	يوما إليه ولا أقوى على السفر

أنوى الرحيل إليه ثم يمنعنى	ما أحدث الدهر والأيام فى بصرى

وإنما قال: ما أحدث الدهر والأيام فى بصرى، لأن إسحاق لما كبر ضعف بصره، ثم أضر واستأذنته فى إنشاد قصيدة مدحته بها، فأذن لي فأنشدته:

لما أمرت بإشخاصي إليك هفا	قلبى حنينا إلى أهلي وأولادى

ثم اعتزمت ولم أحفل ببينهم	وطابت النفس عن فضل وحماد

فلو شكرت ياديكم وأنعمكم	لما أحاط بها وصفى وتعدادى

فقال أحمد بن إبراهيم: لعلي بن يحيى، وقد أخبر بهذا الخبر، أخبرني: لو قال الخليفة أحضرني فضلا وحمادا، أليس كان إسحاق يفتضح من دمامة خلقتهما، وتجلف شاهدهما.

قال إسحاق: وانحدرت منه إلى النجف، فقلت له يا أمير المؤمنين: قد قلت فى النجف قصيدة قال هاتها: فأنشدته:

يا ركب العيسى لا تعجل بنا وقف	نحي داراً ليسعدى ثم ننصرف

حتى انتهيت فيها إلى قولي

لم ينزل الناس فى سهل ولا جبل	أصفى هواء ولا أغذى من النجف

حفت ببر وبحر فى جوانبها	فالبر فى طرف و البحر فى طرف

ما يزال نسيم من يمانية	يأتيك منها بريا روضة أنف

ثم مدحته فقلت:

لا يحسب الجود يفي ماله أبداً	و لا يرى بال ما يحوى من السرف

ومضيت فيها حتى أتممتها، فطرب وقال: أحسنت و الله يا أبا محمد، وكناني يومئذ، وأمر لى بمائة ألف درهم، وانحدرت معه إلى الصالحية، التي يقول فيها أبو نواس:

فالصالحية من أطراف كلواذى	فذكرت الصبيان و بغداد، فقلت:

أتبكى على بغداد وهى قريبة	فكيف إذا ما ازددت منها غدا بعدا

لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى	لو أنا وجدنا من فراق لها بدا

إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت	من الشوق أو كادت تهيم بها وجدا

كفى حزنا أن رحت لم أستطع لها	وداعاً ولم أحدث بساحتها عهدا

فقال لى الموصلى: اشتقت إلي بغداد؟ فقلت: لا و الله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرني بيتان فأنشدته:

حننت إلى أصيبية صغار	وشاقك منهم فرب المزار

وأبراج ما يكون الشوق يوماً	إذا دنت الديار من الديار

فقال لى إسحاق: سر إلى بغداد، فأقم مع عيالك شهراً، ثم صر إلينا، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم.

وحدث حماد بن إسحاق عن إسحاق قال: دخلت يوماً دارا الواثق بالله بغير إذن، إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً، فسمعت صوت عود من بيت وترنماً، لم أسمع أحسن منه قط، فأطلع خادم رأسه وصاح، فدخلت، وإذا الواثق، فقال لى أى شئ سمعت؟ فقلت: الطلاق كاملاً لازم لى، وكل مملوك لى حر، لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسناً، فضحك وقال: ما هو الأفضل؟ أدب وعلم مدحه الأوائل، واشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و التابعون بعدهم، وكثر فى حرم الله عز وجل،، ومهاجر رسوله صلى الله عليه وسلم، أتحب أن تسمعه؟ قلت: أى: و الذى شرفني بخطاب أمير المؤمنين، وجميل رأيه، وقال يا غلام: هات العود، وأعط إسحاق رطلاً، فدفع الرطل إلى، وضرب و غنى فى شعر لأبي العتاهية، بلحن صنعه فيه:

أضحت قبورهم من بعد عزتهم	تسعى عليها الصبا و الحرجف الشمل

لا يدفعون هواماً عن وجوههم	كأنهم خشب بالقاع منجدل

فشربت الرطل، ثم قمت ودعوت له، فأجلسني و قال: أتشتهى أن تسمع ثانية؟ قلت: إى و الله، فغنانيه ثانية، وثالثة، وصاح ببعض خدمه، و قال: احمل إلى إسحاق الساعة، ثلاثمائة ألف درهم ثم قال يا إسحاق قد سمعت ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة ارطال واخذت ثلاثمائة ألف درهم، فانصرف إلى أهلك مسروراً، وليسروا معك، فانصرفت بالمال. وحدث إسحاق بن إبراهيم قال: جاءني الزبير بن دحمان يوماً مسلماً، فقلت له: إلى أين؟ فقال: إن الفضل بن الربيع أمرني أن أبكر إليه لنصطبح، فقلت له: أنت تعرف أن صبوح الفضل غبوق غيره، فأقم عندى نشرب، قلت له:

أقم يا أبا العوام ويحك نشرب ونله مع اللاهين يوماً ونطرب

إذا ما رأيت اليوم قد بان خيره فخذه بشكر واترك الفضل يغضب

قال: فأقام عندى وسررنا يوماً، ثم صار إلى الفضل، فسأله عن سبب تأخره عنه، فحدثه الحديث، وأنشده الشعر، فعتب علي، وحول وجه عني، وأمر عوناً حاجبه ألا يدخلني، ولايستأذن لي عليه، ولا يوصل لي رقعة إليه، فقلت: وكتبت بها إلى الفضل:

يقول أناس شامتون و قد رأوا مقامي وإغبابي الرواح إلى الفضل

لقد كان هذا خص بالفضل مرة فأصبح منه اليوم منصرم الحبل

ولو كان لي فى ذاك ذنب علمته لقطعت نفسى بالملامة والعذل

و توصلت حتى عرضت الأبيات عليه، فلما قرأها قال: أعجب من ذنبه وأشد، أنه لايرى من نفسه ذنباً بذلك الفعل، فقلت فى نفسى: لاأرى أمره يصلحه إلا حاجبه عون، فقلت لعون:

عون يا عون ليس مثلك عون أنت لي إذا كان كون

لك عندى والله رضى الفضل غلام يرضيك أو برذون

فقال: اكتب رقعة وقل شعراً لأعرضه لك عليه، فقلت:

حرام على الراح مادمت غضباناً وما لم يعد عنى رضاك كما كانا

فأحسن فإنى قد أسأت ولم تزل تعودنى عند الإساءة إحسانا

قال: فأتى الفضل بالشعرين جميعاً، فقرأهما وضحك، وقال: ويحك، وإنما عرض بقوله: غلام يرضيك بالسوءة، فقال: قد وعدنى بما سمعت، فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم، فأمره أن يرسل إلي، فأتاني رسوله، فصرت إليه، فرضي عني، ووفيت لعون، وحدث إسحاق قال: عتب على جعفر بن يحيى و قال:

إنى لا أراك ولا تغشانى، فقلت: إنى أتيتك كثيراً، فيحجبنى خادمك نافذ، فقال: إذا حجبك عني فنكه، فكتبت إليه بعد أيام:

جعلت فداءك من كل سوء — إلى حسن رأيك أشكو أناسا
يحولون بينى وبين السلام — فلست أسلم إلا اختلاسا
وأنفذت أمرك فى نافذ — فما زاده ذاك إلا شماسا

قال: فأحضرنى ودعا نافذاً، وقرأ الأبيات عليه، وقال له: فعلتها ياعدو الله، فغضب نافذ حتى كاد يبكى، وجعفر يضحك ويصفق، ثم لم يعد بعدها إلى التعرض. وحدث على بن الصباح قال: كانت امرأة من بنى كلاب يقال لها زهراء، تحدث إسحاق وتناشده، وكانت تميل إليه. وتكنى عنه فى شعرها، إذا ذكرته بجمل قال: فحدثنى إسحاق أنها كتبت إليه، وقد غابت عنه:

وجدى بجمل على أنى أجمجمه — وجد السقيم ببرء بعد إدناف
أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدها — أو وجد مغترب من بين ألاف

قال فأجبتها:

إقر السلام على زهراء إذ ظعنت — وقل لها قد أذقت القلب ما خافا
أما رثيت لمن خلفت مكتئباً — يذري مدامعه سحاً وتو كافا
فما وجدت على إلف فجعت به — وجدى عليك وقد فارقت ألافا

وحدث محمد بن عبد الله الخزاعى قال: أنشدنى إسحاق لنفسه:

سقى الله يوم الماوشان ومجلساً — به كان أحلى عندنا من جنى النحل
غداة اجتنينا اللهو غضا ولم نبل — حجاب أبى نصر ولا غضب الفضل
غدونا صحاحاً ثم رحنا كأننا — أطاف بنا شر شديد من الخبل

فسألته أن يكتبنيها فغفل، فقلت: ما حديث يوم الماوشان؟ فقال: لو لم أكتبك الأبيات، ما سألت عما لا يعينك، ولم يخبرنى. قال: وكان ابن الأعرابى يصف إسحاق ويقرظه، ويثني عليه، ويذكر أدبه وحفظه، وعلمه وصدقه، ويستحسن قوله:

هل إلى أن تنام عينى سبيل — إن عهدى بالنوم عهد طويل
غاب عني من لا أسمى فعيني — كل يوم وجداً عليه تسيل
إن ما قل منك يكثر عندي — وكثير ممن تحب القليل

وكان إسحاق إذا غنى هذه الأبيات، تفيض عيناه ويبكى أحر بكاء، فسئل عن بكائه، فقال: تعشقت جارية فقلت لها هذه الأبيات، ثم ملكتها، وكنت مشغوفاً بها، حتى كبرت و اعتلت عيى، فإذا غنيت هذا الصوت، ذكرت أيامه المتقدمه، وأنا أبكى على دهرى الذى كنت فيه. قال إسحاق وأنشدنى بعض الأعراب لنفسه:

إلا قاتل الله الحمامة غدوة ... على الغصن ماذا هيجت حين غنت
تغنت بصوت أعجمى فهيجت ... من الوجد ما كانت ضلوعى أجنت
فلو قطرت عين امرئ من صبابة ... دماً قطرت عينى دماً وأبلت
فما سكتت حتى أويت لصوتها ... وقلت أرى هذه الحمامة جنت
ولي زفرات لويد من قتلني ... بشوق إلى هاتي التي قد تولت
إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت ... فمن لى بأخرى فى غد قد أظلت
فيا منشر الموتى أعنى على التى ... بها نهلت نفسى سقاماً وعلت

لقد بخلت حتى لو انى سألتها ... قذى العين من سافى التراب لضنت
فقلت ارحلا يا صاحبي فيلتني ... أرى كل نفس أعطيت ما تمنت!
حلفت لها بالله ما أم واحد ... إذا ذكرته آخر الليل أنت
ولا وجد أعرابية قذفت بها ... صروف النوى من حيث لم تك ظنت
إذا ذكرت ماء العذيب وطيبه ... وبرد حصاه آخر الليل حنت
بأكثر منى لوعة غير أنني ... أطامن أحشائي على ما أجنت

قال: وحدث حماد بن إسحاق، لما خرج أبي إلى البصرة وعاد، أنشدني لنفسه:

ما كنت أعرف ما فى البين من حزن ... حتى تنادوا بأن قد جئ بالسفن
لما افترقنا على كره لفرقتنا ... أيقنت أنى قتيل الهم و الحزن
قامت تودعني و الدموع يغلبها ... فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت على تفدنيي وترشفني ... كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهى باكية ... يا ليت معرفتي إياك لم تكن

وحدث إسحاق قال: دخلت على الأصمعى، فأنشدنه أبياتاً قلتها ونسبتها إلى بعض الأعراب، وهى: "هل أن تنام عينى سبيل " الأبيات، وهى متقدمة. قال فجعل يعجب بها ويرددها، فقلت له إنها بنات ليلتها. فقال: لاجرم، إن أثر التوليد فيها بين. فقلت: ولاجرم أن أثر الحسد فيك ظاهر وكان إسحاق يقوم على ابن الأعرابى ويبره، فكان ابن الأعرابى يقول: إسحاق والله أحق بقول أبى تمام:

يرمى بأشباحنا إلى ملك | نأخذ من ماله ومن أدبه

ممن قد قيل فيه وحدث إسحاق قال: بعث إلى طلحة بن طاهر، وقد انصرف من وقعة الشراة، وقد أصابته ضربة فى وجهه، فقال: غنى، فغنيته فى شعر بعض الأعراب:

إنى لأكنى بأجبال عن اجبلها | وباسم أودية عن إسم واديها
عمدا ليحسبها الواشون غانية | أخرى، وتحسب أنى لست أعنيها
ولايغير ودى أن أهاجرها | ولا فراق نوى فى الدار أنوبها
وللقلوص ولى منها إذا بعدت | بوارح الشوق تنضينى وأنضيها

فقال: أحسنت والله، أعده، فأعدت عليه وهو يشرب، حتة صلى العتمة وأنا أغنيه إياه، فأقبل على خادم له فقال له: كم عندك؟ فقال: مقدار سبعين الف درهم، فقال: تحمل معه، فلما خرجت من عنده، تبعنى جماعة من الغلمان يسألوننى، فوزعت المال بينهم، فرفع الخبر إليه فأغضبه، ولم يوجه إلى ثلاثاً، فكتبت إليه:

علمنى جودك السماح فما | أبقيت شيئا لدى من صلتك
لم أبق شيئا مما سمحت به | كأن لى قدرة كمقدرتك
تتلف فى اليوم بالهبات وفي السا | عة ماتجتبيه فى سنتك
فلست أدرى من أين تنفق لو | لا أن ربى يجزي علي هبتك

فلما كان فى اليوم الرابع، بعث إلى فصرت إليه، فدخلت فسلمت، ورفع بصره إلى، ثم قال: اسقوه رطلا فسقيته، فأمر لى بآخر، وآخر، فشربت ثلاثة، ثم قال: غننى" إنى لأكنى بأجبال عن أجبلها" فغنيته إياه، ثم أتبعته الأبيات التى قلتها. فقال لى: أذن فدنوت، فقال لى: أعد الصوت، فأعدته، فلما فهمه وعرف المعنى، قال الخادم له: أحضرني فلانا فأحضره، فقال له: كم قبلك من مال الضياع؟ قال: ثمانمائة ألف درهم، فقال: أحضرها الساعة، فجئ بثمانين بدرة فقال: جئنى بثمانين مملوما، فأحضروا، فقال: احملوا المال، ثم قال: يأبا محمد، خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج إلى أحد تعطيه شيئا.

حدث على بن يحيى المنجم: أن إسحاق لما انحدر إلى البصرة، كتب إلى على بن هشام القائد، – جعلت

فداك – بعث إلى أبو نصر مولاك بكتاب منك إلي، يرتفع عن قدري، ويقصر عنه شكري، فلولا ما أعرف من معانيه، لظننت أن الرسول غلط بي فيه، فلما لنا ولك يا أبا عبد الله، تدعنا حتى إذا نسينا الدنيا وأبغضناها، ورجونا السلامة من شرها، أفسدت قلوبنا وعلقت أنفسنا، فلا أنت تريدنا، ولا أنت تتركنا فأما ذكرته من شوقك إلى، فلولا أنك حلفت عليه، لقلت:

يا من شكا عبثا إلينا شوقه ... شكوى المحب وليس بالمشتاق

لو كنت مشتاقا إلى تريدنى ... ماطبت نفسا ساعة بفراقي

وحفظني حفظ الخليل خليله ... ووفيت لى بالعهد والميثاق

هيهات قد حدثت أمور بعدنا ... وشغلت باللذات عن إسحاق

قد تركت – جعلت فداك – ما كرهت من العتاب فى الشعر وغيره، وقلت أبياتا لا أزال أخرج بها إلى ظهر المربد وأستقبل الشمال، وأتنسم أرواحكم فيها، ثم يكون ما الله أعلم به، وإن كنت تكرهها، تركتها إن شاء الله:

ألا قد أرى أن الثواء قليل ... وأن ليس يبقى للخليل خليل

وأنى وإن مليت فى العيش حقبة ... كذى سفر قد حان منه رحيل

فهل لى إلى أن تنظر العين مرة ... إلى ابن هشام فى الحياة سبيل؟

فقد خفت أن ألقى المنايا بحسرة ... وفى النفس منه حاجة وغليل

وأما بعد، فإني أعلم أنك وإن لم تسأل عن حالي، تحب أن تعلمها، وأن تأتيك عني سلامة، فأنا يوم كتبت إليك سالم البدن، مريض القلب، وبعد فأنا – جعلت فداك – في صنعة كتاب ظريف مليح، فيه تسمية القوم، ونسبهم وبلادهم، وأسبابهم وأزمنتهم، وما اختلفوا فيه من غنائهم، وبعض أحاديثهم، وأحاديث قيان الحجاز والكوفة، وقد بعثت إليك بنموذج، فإن كان كما قال القائل: قبح الله كل دن أوله دردي لم نتجشم إتمامه، وإن كان كما قال العربي: إن الجواد عينه فرارة، أعلمتنا، فأتممناه مسرورين بحسن رأيك فيه.

وكان إسحاق يألف علياً وأحمد بني هشام، وسائر أهلهم إلفاً شديداً، ثم وقعت بينهم نبوة ووحشة في أمر لم يقع إلينا، فهجاهم هجاء كثيراً.

فحدث أبو أيوب المديني عن مصعب الزبيري قال: قال لي أحمد بن هشام: أما تستحي أنت وصباح بن

خافان المنقري، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة، والعلم والأدب، أن يذكركما إسحاق في شعره، فيقول:

قد نهانا مصعب وصباح فعصينا مصعبا وصباحا

عذلا ما عذلا ثم ملا فاسترحنا منهما واستراحا

فقلت له: إن كان قد فعل، فما قال إلا خيراً، إنما ذكر أننا نهيناه عن خمر شربها، أو امرأة عشقها، وقد أشاد باسمك في الشعر بأشد من هذا. قال بماذا؟ قلت: بقوله.

وصافية تعشى العيون رقيقة رهينة عام فى الدنان وعام

أدرنا بها الكأس الروية موهنا من الليل حتى انجاب كل ظلام

فما ذر قرن الشمس حتى كأننا من العى نحكى أحمد بن هشام

قال: أوقد فعل العاض بظر أمه؟ قلت: إي والله قد فعل.

ومن شعر إسحاق عند علو سنه:

سلام على سير القلاص مع الركب ووصل الغوانى والمدامة والشرب

سلام امرئ لم يبق منه بقية سوى نظر العينين أو شهوة القلب

لعمرى لئن حلئت عن منهل الصبا لقد كنت ورادا لمشرعه العذب

ليالى أغدو بين بردى لاهيا أميس كغصن البانة الناعم الرطب

وحدث أبو بكر الصولى، عن إبراهيم الشاهينى قال: كان إسحاق يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج، لما رأى من صعوبته على أبيه، فأرى في منامه، كأن قائلا يقول له: قد أجيبت دعوتك، ولست تموت بالقولنج، ولكن تموت بضده، فأصابه ذرب فمات منه في شهر رمضان، سنة خمس وثلاثين ومائتين، في خلافة المتوكل على الله، فبلغ المتوكل نعيه، نعمه وحزن عليه. وقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك، وبهائه وزينته، ثم نعى إليه بعده، أحمد بن عيسى، بن زيد، بن علي، بن الحسين، ابن علي الخارج عليه. فقال: تكافأت الحالان. ثم قال: قام الفرح بوفاة أحمد، – وما كنت آمن وثبته علي –، مقام الفجيعة بإسحاق، والحمد لله على ذلك.

ورثاه أو داؤه وأصدقاؤه بأشعار كثيرة، منها قول إدريس بن أبي حفصة:

سقى الله يا ابن الموصلي بوابل من الغيث قبرا أنت فيه مقيم

ذهبت فأوحشت الكرام فما بنى بعبرته يبكى عليك كريم

إلى الله أشكو فقد إسحاق إننى وإن كنت شيخا بالعراق يتيم

وقال مصعب بن الزبير يرثى إسحاق:

أتدرى لمن تبكى العيون الذوارف وينهل منها مسبل ثم واكف

لفقد امرئ لم يبق فى الناس مثله مفيد لعلم أو صديق يلاطف

تجهز إسحاق إلى الله رائحا فلله ما ضمت عليه اللفائف

وما حمل النعش الولى عشية من الناس إلا دامع العين كالف

فلقيت فى يمنى يديك صحيفة إذا نشرت يوم الحساب الصحائف

تسرك يوم البعث عند قراتها ويفتر ضحكا كل من هو واقف

وحدث الصول قال: كان لإسحاق من الولد: حميد، وحماد، وأحمد، وحامد، وإبراهيم، وفضل، و لم يكن فى ولد إبراهيم من يغنى إلا إسحاق، وطياب أخوه، ومات إسحاق، وله من التصانيف التى تولى هو بنفسه تصنيفها: كتاب أغانيه التى غنى فيها، كتاب أخبار عزة الميلاء، كتاب أغانى معبد، كتاب أخبار حماد عجرد، كتاب أخبار حنين الحيرى، كتاب أخبار ذى الرمة، كتاب أخبار طويس، كتاب أخبار المغنين المكيين، كتاب أخبار سعيد بن مسجح، كتاب أخبار دلال، كتاب أخبار محمد بن عائشة، كتاب أخبار الأبجر، كتاب أخبار ابن صاحب الوضوء، كتاب الاختيار من الأغانى للواثق، كتاب اللحظ والاشارات، كتاب الشراب، يروى فيه عن العباس بن معن، وابن الجصاص، وحماد بن ميسرة، كتاب جواهر الكلام، وكتاب الرقص والزفن، كتاب النغم والإيقاع، كتاب أخبار الهذليين، كتاب الرسالة إلى على بن هشام، كتاب قيان الحجاز، كتاب القيان، كتاب النوادر المتخيرة، كتاب الأخبار والنوادر، كتاب أخبار حسان، كتاب أخبار الأحوص، كتاب أخبار جميل، كتاب أخبار كثير، كتاب أخبار نصيب، كتاب أخبار عقيل بن علفة، كتاب أخبار ابن هرمة وأما كتاب الأغانى الكبير، فقال محمد بن إسحاق النديم: قرأت بخط أبى الحسن على بن محمد، بن عبيد، ابن الزبير الكوفى الأسدى، حدثنى فضل بن محمد اليزيدى قال: كنت عند إسحاق بن إبراهيم الموصلى، فجاءه رجل فقال له يا أبا محمد: أعطنى كتاب الأغانى، فقال: أيما كتاب؟ الكتاب الذى صنفته، أو الكتاب الذى صنف لي، يعني بالذى صنفه كتاب أخبار المغنيين واحدا واحدا، ويعنى بالذى صنف له، كتاب الأغانى الكبير، الذى بأيدى الناس. قال محمد بن إسحاق: وحدثني أبو الفرج الأصبهاني قال: أخبرني أبو بكر محمد بن خلف وكيع قال: سمعت حماد بن إسحاق يقول: ما ألف أبى هذا الكتاب قط، يعنى كتاب الأغانى الكبير، ولا رآه، والدليل على

ذلك، أن أكثر أشعاره المنسوبة، إنما جمعت لما ذكر معها من الأخبار، وما غنى فيها إلى وقتنا هذا، وأن أكثر نسبة المغنين خطأ، والذى ألفه أبى من دواوين غنائهم، يدل على بطلان هذا الكتاب، وإنما وضعه وراق كان لأبى بعد وفاته، سوى الرخصة التى هى أول الكتاب، فإن أبى ألفها، إلا أن أخباره كلها من روايتنا. وقال لى أبو الفرج: هذا سمعته من أبى بكر وكيع، واللفظ يزيد وينقص.

قال: وأخبرنى جحظة أنه يعرف الوراق الذى وضعه، وكان يسمى سندى بن على، وحانوته فى طاق الزبل، وكان يورق لإسحاق، فاتفق هو وشريك له على وضعه، وهذا الكتاب يعرف فى القديم بكتاب السراة، وهو أحد عشر جزءا، ولكل جزء أول يعرف به، فالجزء الأول من الكتاب: الرخصة، هو من تأليف إسحاق، لاشك فيه ولاخلف.

قرأت فى كتاب ألف فى أخبار أبى زيد البلخي، أن أبا زيد قال: وذكر كتاب الأغاني لإسحاق، فقال: ما رأيت أعجب من الموصلى، جمع علم العرب والعجم فى كتاب، ثم أنشده بالاسم قال: وكان إسحاق أديبا فاضلا، متقدما فى كل شئ، بلغنى أنه دخل على إسحاق ابن إبراهيم، بن مصعب، يعزيه بعبد الله بن طاهر، فقال:

لم تصب أيها الأمير بعبد ... الله لكن به أصيب الأنام

فسيكفيكم البكاء عليه ... أعين المسلمين والإسلام

إسحاق بن إبراهيم البربري المحرر "ووالده إبراهيم" ويعرف بالنديم، كذا قال عبد الرحمن بن عيسى الوزير. قال محمد بن إسحاق بن النديم: هو إسحاق بن إبراهيم، بن عبد الله، بن الصباح، بن بشر، بن سويد، بن الأسود، التميمي ثم السعدى، وكان إبراهيم أبوه أحول، وكان محررا أيضا. وكان ول من تكلم على رسوم الخط وقوانينه، وجعله أنواعا رجل يعرف بالأحول المحرر، لا أدرى: هل هو إبراهيم أو غيره؟ وكان من صنائع البرامكة، وكان يحرر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف فى الطوامير، وكان فى نهاية الحرفة والوسخ، ومع ذلك كان سمحا لا يليق على شئ، فلما رتب الأقلام، جعل أول الأقلام الثقال.

فمنها قلم الطومار وهو أجلها، يكتب فى طومارتام بسعفة، وربما كتب بقلم، وكانت تنفذ الكتب إلى الملوك به، ومن الأقلام: قلم الثلثين، قلم السجلات، قلم العهود، قلم المؤامرات، قلم الأمانات، قلم الديباج، قلم المدمج، قلم المرصع، قلم التشاجي. فلما أنشأ ذو الرياستين الفضل بن سهل، اخترع قلما وهو أحسن الأقلام، ويعرف بالرئاسي، ويتفرع إلى عدة أقلام، فمن ذلك: قلم الرئاسي الكبير، قلم

النصف من الرئاسي، قلم الثلث، قلم صغير النصف، قلم خفيف الثلث، قلم المحقق، قلم المنثور، قلم الوشي، قلم الرقاع، قلم المكاتبات، قلم غبار الحلبة، قلم النرجس، قلم البياض.

فأما إسحاق هذا، فإنه كان يعلم المقتدر وأولاده، وهو أستاذ ابن مقلة. ولأبى على إليه رسالة ذكرها فى أخبار أبي على. ويكنى بأبى الحسين، لم ير فى زمانه أحسن خطا منه، ولا أعرف بالكتابة.

ولإسحاق كتاب القلم، كتاب تحفة الوامق، رسالة فى الخط والكتابة، وأخوه أبو الحسن نظيره، ويسلك طريقته، وابنه أبو القاسم، إسماعيل، بن إبراهيم، وابنه أبو محمد القاسم بن إسماعيل، بن إسحاق، ومن ولده أيضا أبو العباس عبد الله بن إسحاق، وهؤلاء القوم فى نهاية حسن الخط، والمعرفة بالكتابة.

إسحاق بن إبراهيم الفارابي

خال إسماعيل بن حماد الجوهرى، صاحب كتاب الصحاح فى اللغة، وأبو إبراهيم هذا، هو صاحب كتاب ديوان الأدب، المشهور اسمه، الذائع ذكره كتب إلينا القاضى الأشرف يوسف بن إبراهيم، بن عبد الواحد الشيبانى القفطى من بلاد اليمن، وكان قد سافر إلى هناك وأقام، قال: مما أخبركم به، أن أبا إبراهيم إسحاق الفارابى مصنف كتاب ديوان الأدب، ممن ترامى به الاغتراب، وطوح به الزمان المنتاب إلى أرض اليمن، وسكن زبيد، وبها صنف كتابة ديوان الأدب، ومات قبل أن يروى عنه، وكان أهل زبيد، قد عزموا على قراءته عليه، فحالت المنية دون ذلك. قال: وكانت وفاته فيما يقارب سنة خمسين وأربعمائة، والله أعلم. ووضع كتابه على ستة كتب: الأول السالم، الثانى المضاعف، الثالث المثال، وهو ما كان فى أوله واو أو ياء، والرابع ذوات الثلاثة، وهو ما كان فى وسطه حرف من حروف العلة، والخامس كتاب ذوات الأربعة، وهو ما كان آخره حرف علة، والسادس كتاب الهمزة، وكل كتاب من هذه الستة أسماء وأفعال، يورد الأسماء اولا ثم الأفعال بعده. وله كتاب بيان الإعراب، كتاب شرح أدب الكاتب، كتاب ديوان الأدب. قرأت بخط الشيخ أبي نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي النسوي النيسابوري قال: قرأته على إبراهيم – رحمه الله – بفاراب، ثم على أبي السري محمد بن إبراهيم الأصبهاني بأصبهان، ثم عرضته على القاضي أبي سعيد السيرافي ببغداد. قال الحاكم: وكنت قرأت بعضه إلى موضع البلاغ، وهو آخر الأسماء على أبي يعقوب يوسف بن محمد، بن إبراهيم الفرعاني الزبرقاني قال: قرأته على أبي علي، الحسن بن علي، بن سعد الزاميني، وقرأه أبو علي على أبي إبراهيم. قال الحاكم: قول الجوهرى عرضته على القاضي أبى سعد السيرافي يريد أنه، فأنكره من كلمات علم عليها بخط الجوهري، وفى آخر الثلث الأخير من نسخة الحاكم: قرأ على أبو سعد عبد الرحمن بن محمد، بن محمد، بن عزيز، هذا الكتاب من أوله إلى أخره، وصححته له، وكتبه إسماعيل بن حماد الجوهري، وعلى النسخة أيضا فى موضع آخر سمعه

مني، ولدي علي والحسن، من أوله إلى أخره بقراءتي إياه، إلا أوراقا قرأها الحسن بنفسه علي، وصح سماعهما، والله تعالى يبارك لهما فيه، ويوفقهما الأعمال.

وكتب أبوهما يعقوب بن أحمد، غرة المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة، ثم قرأه على ولدي الحسن، قراءة بحث واستقصاء، من أوله إلى آخره، بما على حواشيه من الفوائد، وشرح الأبيات فى شهور، سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وعلى النسخة أيضا قبل ذلك ما صورته: سمعه مني بلفظي، وصححه عرضاً بنسختي، صاحبه أبو يوسف، يعقوب بن أحمد، وفرغ منه فى ذى العقدة، سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

وكتب عبد الرحمن بن محمد بن دوست بخطه، قال مؤلف الكتاب: فهذا مه وضوحه، وكون هؤلاء المذكورين مشهورين، معروفين، ومعرفتي بالخطوط الموجودة على النسخة، كمعرفتي بما لا أشك فيه، يبطل ما كتب إلينا القاضي القفطي، من كون هذا الكتاب صنف بزبيد، وأنه لم يسمع على مصنفه.

إسحاق بن أحمد، بن شبيب،

بن نصر، بن شبيب ابن الحكم، بن أقلذ، بن عقبة، بن يزيد، بن سلمة، بن رؤبة، بن خفاتة، بن وائل، بن هضيم، بن ذيبان الصفار، أبو نصر الأديب البخارى، من أهل بخارى، كان أحد أفراد الزمان فى علم العربية، والمعرفة بدقائقها الخفية، وكان فقيهاً وورد إلى بغداد، وروى بها، ومات بعد سنة خمس وأربعمائة، فإنه فى هذه السنة حدث ببغداد، ذكره السمعاني أبو سعد فى تاريخ مرو، والحاكم بن البيع، فى تاريخ نيسابور، والخطيب فى تاريخ بغداد. قال تاج الإسلام: ومن خطه نقلت: ورد أبو نصر الصفار خراسان ثم خرج إلى العراق والحجاز، وسكن الطائف، وبها توفى، وقبره بها معروف، وله تصانيف فى اللغة، وكان حسن الشعر وهو جد الزاهد الصفار إبراهيم بن إسماعيل بن، إسحاق بن أحمد، الذى لقيناه بمرو. وسمع نصر بن أحمد بن إسماعيل الكنانى. وروى عنه أبو على الحسن بن على بن محمد، بن المذهب التميمي البغدادي. وقال الحاكم أبو نصر الفقيه، الأديب البخاري الصفار، بعد ما ذكر سنة كما تقدم: قدم علينا حاجا، وما كنت رأيت مثله ببخارى فى سنة، فى حفظ الأدب والفقه، وقد طلب الحديث فى أنواع من العلم، وأنشدني لنفسه من الشعر المتين ما يطول شرحه، ثم قال: أنشدني لنفسه:

ألعين من زهر الخضراء فى شغل ... والقلب من هيبة الرحمن فى وجل
لو لم تكن هيبة الرحمن تردعنى ... شرقت من قبلى فى صحن خد ولى
يا دمية خلقت كالشمس فى المثل ... حورى جسم ولكن صورة الرجل
لو كان صيد الدمى والمرد من عملى ... لكنت من طرب كالشارب الثمل

لكننى من وثاق العقل فى عقل وليس لي عن وفاق العقل من حول
الله يرقبني و العقل يحجبني فما لمثلى إذا في اللهو و الغزل
كلفت نفسى عزا في صيانتها دين الورى لهم طرا وديني لي

وقال أبو بكر بن على الخطيب: إسحاق بن أحمد، ابن شبيب أبو نصر البخارى، ويعرف بالصدق، قدم بغداد فى سنة خمس وأربعمائة، وحدث بها عن نصر بن أحمد، بن إسماعيل الكناني، صاحب جبريل السمرقندي، حدثنى عنه الحسن بن على، بن محمد، بن المذهب، واثنى عليه خيراً. قال المؤلف: ورأيت أنا له كتابا فى النحو عجيبا، سماه كتاب المدخل إلى سيبويه، وذكر فيه المبنيات فقط، يكون نحواً من خمسمائة ورقة، ووقفت منع على كلام من تبحر في هذا الشأن، واشتمل على غوامضه إلى أقصى مكان، وله غير ذلك من التصانيف فى الأدب، وكتاب المدخل الصغير فى النحو، وكتاب الرد على حمزة فى حدوث التصحيف.

إسحاق بن بشر، بن محمد، ابن عبد الله

بن سالم أبو حذيفة البخارى، مولى بنى هاشم، ولد ببلخ، واستوطن بخارى، فنسب إليها، وهوة صاحب كتاب المبتدأ وغيره، مات ببخارى سنة ست ومائتين، حدث عن محمد بن إسحاق، بن يسار، وعبد الملك بن جريج، وسعيد بن أبي عروبة، وجوبير بن سعيد، ومقاتل بن سليمان، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وإدريس ابن سنان، وخلق من أئمة أهل العلم أحاديث باطلة، روى عنه جماعة من الخراسانين، و لم يرو عنه من البغداديين فيما أعلم، سوى إسماعيل بن عيسى العطار، فإنه سمع منه مصنافته، ورواها عنه، وروى الحسن بن علويه القطان: أن الرشيد بعث إلى أبي حذيفة، فأقدمه بغداد، و كان يحدث في المسجد المعروف بابن رعيان. و قال أحمد بن سيار، بن أيوب: كان ببخارى شيخ يقال له أبو حذيفة، إسحاق بن بشر القرشى، وكان صنف فى بدء الخلق كتاباً، وفيه أحاديث ليست لها أصول، وكان يتعرض فيروى عن قوم ليسوا ممن أدركهم مثله، فإذا سألوه عن آخرين دونهم يقول: من أين أدركت هؤلاء؟ وهو يروى عمن فوقهم و كانت فيه غفلة، مع أنه كان يزن بحفظ، وسمعت إسحاق بن منصور يقول: قدم علينا ههنا، وكان يحدث عن ابن طاوس، ورجال كبار من التابعين، ممن ماتوا قبل حميد الطويل. قال: فقلت له: كتبت عن حميد الطويل؟ قال: ففزع وقال: جئتم تسخرون بي، حميد عن أنس جدى لم يلق حميداً. قال: فقلنا له أنت تروى عمن مات قبل حميد بكذا كذا سنة، قال: فعلمنا ضعفه، وأنه لا يعلم ما يقول. وقال أبو رجاء قتيبة بن سعيد: بلغنى أن أبا حذيفة البخارى قدم مكة، فجعل يقول: حدثنى ابن طاوس،

فقيل لسفيان بن عيينة ذلك، فقال: سلوه عن مولده، فسألوه، فإذا ابن طاوس مات قبل مولده بسنين. فقال: وهو متروك الحديث، ساقط رمى بالكذب. قال المؤلف: كل ما تقدم من كتاب الخطيب. محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب كتاب المبدإ ثم كتاب الفتوح، كتاب الردة، كتاب الجمل، كتاب الألوية، كتاب صفين، كتاب حفر زمزم.

إسحاق بن مسلمة بن إسحاق القينى

أخبارى عالم أندلسى، له كتاب يشتمل على أجزاء كثيرة فى أخبار "رية" ناحية بالأندلس، وحصونها وولاتها، وحروبها، وفقهائها، ذكره أبو محمد بن حزم.

إسحاق بن عمار، يعرف بابن الجصاص

يكنى أبا يعقوب، من موالى اليمن، وكان صاحب عيسى بن موسى فى أول الدولة، ولم يزل معه. فكان الناس يقرءون عليه الشعر فى دار عيسى، قال المرزبانى: قال عيسى بن جعفر: إسحاق بن عمار من موالي اليمن، ويقال: هو عبد الله بن إسحاق، وإسحاق أبوه هو الجصاص، وقد اختلف فى ولائه أيضاً وقال الكسائي: إسحاق بن عمار الجصاص، أحد من أخذنا عنه الشعر، وكان عالما به، ومات فى آخر أيام المنصور. قال: وكان إذا إذا تكلم فى مجلس صمت الناس. وقال عبد الله بن جعفر: ذكر ابن الجصاص الكوفى الرواية، عند أحمد بن سعيد بن سالم، قال: ذكر عند أبى فاختلفوا فى ولائه، فقال أبي: حدثنى من رآه، وقد دخل إلى عيسى بن موسى، بعد أن خلع وسلم العهد إلى المهدى فقال: أيها الأمير، أنت و الله كما قال الأحوص:

فمن يك عنا سائلاً بشماتة — لما مسنا أو شامتاً غير سائل
فما عجمت منا العواجم ماجداً — صبوراً على عضات تلك التلاتل
إذا سر لم يبطر وليس لنكبة — ألمت به بالخاشع المتضائل

وحدث المبرد عن عيد الله بن صالح المقرئ قال: كان ابن الجصاص، وجناد بن واصل قاعدين، فتذاكرا القبور، فقال ابن الجصاص متمثلاً:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى — إلى دير هند كيف خطت مقابره

فقال جناد:

ترى عجباً مما قضى الله فيهم — رهائن حتف أوجبته مقادره

فرد عليه أعرابى فقال:

بيوت ترامى أهلها فوق أهلها — ومستأذن لا يرحل الدهر زائره

وقال ابن الكلبي: ابن الجصاص الراوية، مولى لبشر ابن عبد الملك، بن بشر بن مروان.

إسحاق بن مرار،

أبو عمرو الشيبانى الكوفى قال الأزهرى: كان يعرف بأبى عمرو الأحوص، ومرار بكسر الميم ورائين مهملتين مخففتين، وهو مولى وليس من بنى شيبان، وإنما كان مؤدبا لأولاد ناس من بنى شيبان، فنسب إليهم، كما نسب اليزيدي إلى يزيد ابن منصور، حين أدب ولده.

وقرأت فى أمالى أبى إسحاق النجيرمي: ذكر أن يوسف الأصبهانى قال: أبو عمرو الشيباني من الدهاقين وإنما قيل له الشيباني، لأنه كان يؤدب ولد هارون الرشيد، الذين كانوا فى حجر يزيد بن مزيد الشيباني، فنسب إليه قال عبد الله بن جعفر: وأبو عمرو راوية أهل بغداد، واسع العلم باللغة والشعر، ثقة فى الحديث، كثير السماع. وله كتب كثيرة فى اللغة جياد، مات فى أيام المأمون، سنة خمس ومائتين، أوست ومائتين، وقدبلغ مائة سنة وعشر سنين.

وقال ابن السكيت: مات أبو عمرو، وله ثمان عشرة ومائة سنة، وكان يكتب بيده إلى أن مات، وكان ربما استعار منى الكتب، وأنا إذ ذاك صبى آخذ عنه، وأكتب من كتبه. وقال ابن كامل: مات أبو العتاهية، وأبو عمرو الشيباني، وإبراهيم المغنى، والد إسحاق فى يوم واحد، سنة ثلاث عشرة ومائتين، ببغداد.

قال ابن درستويه: وله بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه، وأصحاب علماء ثقات، وكان ممن يلزم مجلسه، ويكتب عنه الحديث: أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – وحدث الحزنبل، عن عمرو بن أبى عمرو الشيباني قال: لما جمع أبى أشعار القبائل، كانت نيفا وثمانين قبيلة، فكان كلها عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس، كتب مصحفا بخطه، وجعله فى مسجد الكوفة، حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا. وكان يقول: تعلموا العلم، فإنه يوطئ الفقراء بسط الملوك. وروى عن أبى عمرو الشيباني أنه قال يوما لأصحابه: لايمنين أحد أمنية سوء، فإن البلاء موكل بالمنطق هذا المؤمل قال:

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ... ليت المؤمل لم يخلق له بصر

فذهب بصره. وهذا مجنون بنى عامر قال:

فلو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصا ... أصم ونادتني أجبت المناديا

فعمى وصم. وقال أبو شبل يهجو أبا عمرو الشيباني:

قد كنت أحجو أبا عمرو أخا ثقةً … حتى ألمت بنا يوما ملمات
فقلت :والمرء قد تخطيه منيته … أدنى عطيته إياى ميات
فكان ما جاد لي لا جاد عن سعة … دراهم زائفات ضربجيات
ما الشعر ويح أبيه من صناعته … لكن صناعته بخل وحالات
ودن خل ثقيل فوق عاتقه … فيه رعيثاء مخلوط وصحناة
فلو رأيت أبا عمرو ومشيته … كأنه جاحظ العينين نهات

نهات: أى نهاق وقال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب كتاب الختم، كتاب النوادر، كتاب أشعر القبائل، ختمه بابن هرمة، كتاب الخيل، كتاب غريب المصنف، كتاب اللغات، كتاب غريب الحديث، كتاب النوادر الكبير على ثلاث نسخ.

وقال أبو الطيب اللغوى فى كتاب مراتب النحويين: وأما كتاب الختم فلا رواية له، لأن أبا عمرو بخل به على الناس، فلم يقرأه أحد عليه، وذكره أبو بكر الخطيب فقال: هو كوفي نزل بغداد، وحدث بها عن ركين الشامي. روى عنه ابنه عمرو، وأحمد بن حنبل، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وكان ثقة. قال ثعلب: وكان مع أبى عمرو الشيبانى من العلم والسماع، عشرة أضعاف ما كان مع أبى عبيدة، ولم يكن في أهل البصرة مثل أبي عبيدة، في السماع والعلم.

قال المؤلف: ولقد أسرف ثعلب فيما فضل به أبا عمرو، فإنني لا أقول: إن الله خلق رجلا كان أوسع رواية وعلما من أبى عبيدة فى زمانه. وحدث يونس بن حبيب قال: دخلت على أبي عمرو الشيباني، وبين يديه قمطر فيه أمناء من الكتب يسيرة، فقلت له أيها الشيخ: هذا علملك؟فتبسم إلى وقال: إنه من صدق كثير.

وقال الخطيب: كان أبو عمرو نبيلاً، وفاضلاً، عالما بكلام العرب، حافظا للغاتها، عمل كتاب شعراء مضر، وربيعة، ويمن، إلى ابن هرمة، وسمع من الحديث سماعا واسعا، وعمر عمرا طويلا، حتى أناف على التسعين، وهو عند الخاصة من أهل العلم، والرواية مشهور معروف والذي قصر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مستهترا بالنبيذ والشرب له. قرأت بخط أبى منصور الأزهري، فى كتاب نظم الجمان للمنذري، حدثني أبو بكر محمد بن أحمد، بن النضر المثنى قال: حدثنى سعيد بن صبيح قال: حدثنى أبوك يعنى النضر، قال: كنت عشية الخميس عند إسماعيل بن حماد، بن أبى حنيفة، وجاء أبو عمرو الشيباني فقال لى: من هذا الشيخ؟ قلت، هذا أبو عمرو الشيباني، صاحب العربية والغريب، وكان قد أتى عليه نحو

من خمس عشرة سنة ومائة، فالتفتت إليه أسائله عن أيامه وسنه، ثم قال: ما راح بك؟ الك حاجة؟ قلت: نعم بلغني أنك تقول: إن القرآن مخلوق، قال: نعم، قلت: فمتى خلقه؟ قبل أن يتكلم به أو بعد ما تكلم به، فأطرق طويلا ثم رفع رأسه، وقال: أنت شيخ جدل، هذا قولي، وقول أمير المؤمنين. قال سعيد: فغدوت يوم الجمعة على أبي عمرو، وكان مجلسه وكنت أقرب منه، فقلت يا أبا عمرو " وإيش" كنت تصنع عند إسماعيل بن حماد؟ قال: من أخبرك؟ فقال: أحمد بن أبى غالب، أله عن هذا، فإن هذا بي عارف، يعنى المأمون، دعوا هذا لا تتكلموا به.

إسحاق بن نصير الكاتب البغدادي،

أبو يعقوب،كاتب الرسائل بديوان مصر، بعد محمد بن عبد الله، ابن عبد كان، قال ابن زولاق: مات سنة سبع وتسعين ومائتين، قال ابن زولاق: وكان أبو جعفر محمد بن عبد الله ابن عبد كان، على المكاتبات والرسائل، منذ أيام أحمد بن طولون، ومكاتباته وأجوبته موجودة، إلى أن قدم عليه أبو يعقوب، إسحاق بن نضير البغدادي من العراق، والتمس التصرف، فقال له ابن عبد كان، فيماذا تتصرف؟ فقال: فى المكاتبات والأجوبة والترسل، وكان بين يدى أبى جعفر كتب قد وردت، فقال له: خذ هذه وأجب عنها، فأخذها ومضى إلى ناحية من الدار، فأجاب عنها، فأجاب عنها، ثم وضع خفه تحت رأسه ونام، وقام أبو جعفر إلى الحجرة التى له، فاجتاز به والكتب بين يديه، فأخذها وقرأها، فلما تأملها جعل بروح إسحاق بن نضير حتى انتبه، فقال له: عمن أخذت الكتبة وأجرى عليه أربعين دينارا فى كل شهر، فلم يزل مع أبى جعفر إلى أن توفى أبو جعفر، وانفرد بالأمر على بن أحمد الماذرائي، فقال لإسحاق: الزم مترلك، فانصرف، فوردت كتب فأجاب عنها على بن أحمد، ودخل على أبى الجيش، خمارويه بن أحمد، بن طولون، فعرضها عليه، فقال له: ما هذه الألفاظ التى كانت تخرج منى وعنى فمضى على بن أحمد، وعاد إليه، فما أراد أبو الجيش الجواب ولا استجاده، فخرج على بن أحمد وقال: هاتوا إسحاق ابن نضير، فجئ به، فقال: أجب عن هذه، فأجاب، ودخل على بن أحمد على أبى الجيش، فقرأ الأجوبة، فقال: نعم هذا الذى أعرف" أيش الخبر"؟ فقال له: كاتب كان مع أبى جعفر، فاعتزل، وأحضرته الساعة، فقال هاته، فأحضره فقال: كم رزقك؟ فقال: أربعون ديناراً، فقال لعلي بن أحمد: " اجعلها أربعمائة فى السنة"، إجعلها له أربعمائة فى الشهر.

وقال لإسحاق بن نصير: لا تفارق حضرتى، فبلغ إسحاق حتى صار رزقه ألف دينار فى كل شهر، فكان يجود بذلك، ويفضل به على الناس، ولقد أرسل إلى بغداد إلى ثلاثة أنفس، إلى أبي العباس المبرد، وإلى أبى

العباس ثعلب، وإلى وراق كان يجلس عنده دفعة واحدة ثلاثة آلاف دينار، لكل واحد منهم ألف دينار، وجرى ذلك على يدي أحمد بن الوليد التاجر، خال القاضي بمصر.

إسحاق بن يحيى، بن شريح الكاتب

أبو الحسين النصرانى، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان جيد المعرفة يامر الدواوين والخراج، ومناظرة العمال، وله معرفة تامة بالنجوم، ومولده فى شعبان سنة ثلاثمائة، قال وهو يحيا. قال المؤلف: وكان قوله هذا فى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، قال: وله من الكتب: كتاب الخراج الكبير فى ألف ورقة، جزأين، وجعله ستة منازل كتاب الخراج الذى فى أيدى الناس مائتا ورقة، كتاب الخراج صغير نحو مائة ورقة، كتاب عمل المؤامرات بالحضرة، كتاب تحويل سني الوليد نحو مائة ورقة، كتاب جمل التاريخ.

إسحاق بن موهوب،

بن أحمد، بن محمد بن الخضر الجواليقي يكنى أبا طاهر، وهو أخو إسماعيل، ومات فى الحادى عشر من رجب، سنة خمس وسبعين وخمسمائة، ودفن بباب حرب عند أبيه وأخيه. سمع أبا القاسم بن الحصين وأباه وغيرهما، وحدث بالقليل. سمع منه القاضي القرشي قال: وسألته عن مولده فقال: فى ربيع الأول، سنة سبع عشرة وخمسمائة.

أسعد بن عصمة، أبو البيداء الرياحي

أعرابي نزل البصرة، وكان يعلم الصبيان بالأجرة وأقام بها أيام عمره، يؤخذ عنه العلم، زوج أم أبي مالك عمرو بن كركرة، وكان شاعراً، ومن شعره:

قال فيها البليغ ما قال ذو العي ... وكل بوصفها منطيق
وكذاك العدو لم يعد أن قال ... جميلا كما يقول الصديق

أسعد بن علي، بن أحمد الزوزني

المعروف بالبارع، أبو القاسم الأديب الشاعر، الفاضل الكاتب المترسل، مات فيما ذكره عبد الغافر في السياق، يوم عيد الأضحى، سمة اثنتين وتسعين وأربعمائة. قرأت بخط تاج الإسلام: البارع من أهل زوزن، سكن نيسابور، وورد العراق، وأكرم فضلاؤها مورده، وكان شاعر عصره، وأوحد دهره بخراسان والعراق، وقد شاع ذكره فى الآفاق، وكان على كبر سنه، يسمع الحديث، ويكتب إلى آخر عمره، سمع أبا عبد الرحمن ابن محمد الداودى، وأبا جعفر محمد بن إسحاق البحاثي، وروى لنا عنه أبو البركات الفرارى. وأبو منصور الشحامى وغيرهما.

وذكره الباخرزي فى الدمية وقال: الأديب أبو القاسم، أسعد بن على البارع الزوزني، هو البارع حقا، والوافر من البراعة حظا، وقد اكتسب الأدب بجده وكده، وانتهى من الفضل إلى أقصى حده، ولفتني إليه نسبة الآداب، ونظمتني وإياه صحبة الكتاب، وهلم جرا إلى الآن، وقد ارتدينا المشيب، وخلعانا برد الشباب ذاك القشيب، ولا أكاد أنسى وأنا فى الحضر، حظى منع فى السفر، وقد أخذنا بيننا بأطراف الأحاديث، ورضنا المطايا بأجنحة السير الحثيث، حتى سرنا معا إلى العراق، ونزل هو من فضلائه بمترلة السواد من الأحداق وعنده توقيعاتهم بتبريزه على الأقران، وحيازته قصبات الرهان، وأنا على ذلك من الشاهدين، لا أكتم من شهادتى دقا ولا جلا، بل أعتقد بها صكا وعليها سجلا، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه، وعازب لبه.

قال السمعانى: أنشدنى الشحامى، أنشدنا البارع لنفسه:

قد أقبل المعشوق فاستقبلته　　مستسقياً مستشفيا من ريقه
نشوان والإبريق فى يده ولى　　من ريقه ما ناب عن إبريقه
لو كنت أعلم أنه لى زائر　　لرششت من دمعى تراب طريقه
ولكنت أذكى جمر قلبى فى الدجى　　بطريقه كى يهتدى ببريقه
فزويت وجهى عن مدامة كأسه　　وشربت كأسا من مجاج عقيقه

وله أيضا:

كأن لون الهواء ماء　　أو سندس رق أو عمامه
كأن شكل الهلال قرط　　أو عطفة النون أو قلامه

وله أيضا:

ألا فاشكر لربك كل وقت　　على الآلاء والنعم الجسيمة
إذا كان الزمان زمان سوء　　فيوم صالح منه غنيمة

وله أيضا:

أبو بكر حبا فى الله مالا　　وكان لسانه يجرى بلالا
لقد واسى النبى بكل خير　　وأعطى من ذخائره بلالا
لو أن البحر ناقضه اعتقادا　　لما أعطى الإله له بلالا

ومما أورده الباخرزى فى كتابه البارع:

قمر سبى قلبى بعقرب صدغه		لما تجلى عنه قلب العقرب
فأجبته ألديك قلبى قال لا		لكن قلبك عند قلب العقرب

قرأت فى بعض الكتب قال: الفضلاء الملقبون بالبارع فى خراسان ثلاثة: أحدهم البارع الهروى، وهو صاحب كتاب طرائف الطرف، وهو دونهم في الفضل مرتبة، والثاني البارع البوشنجي، وهو أوسطهم، والثالث البارع الزوزني، وهو أفضلهم وأشهرهم، قال: وكان تلميذ القاضى أبى جعفر البحاثي، وهو الذى يقول فيه البحاثي:

عفجت على اليبس البويرع مرة		فقال :لقد أوجعت سرمى فبله
فقلت :بزاقى لايفى بجميعه		ومن أين لى أن أبزق الدرب كله

قلت أنا: ينبغي أن يكون قد استعمله بمنارة إسكندرية، إذ عفجه فى شئ كالدرب فأوجعه. وقال البحاثى فيه أيضا:

للبارع ابن العاهرة		زوجة سوء فاجره
مؤاجر قد زوجوه		كفؤه مؤاجرة

وقال البارع هذا، يخاطب أبا القاسم على بن أبى توار رئيس زوزون:

كف على عندها التبر		هان وللملك بخا قدر
كأنها الخال على ظهرها		عنبرة قد مجها البحر

أسعد بن مسعود، بن علي،

بن محمد، ابن الحسن العتبي أبو إبراهيم، من ولد عتبة بن غزوان، وهو حفيد أبى النضر العتبى، كذا ذكر السمعاني فى المذيل، وأبو النضر: هو محمد بن عبد الجبار، وليس فى نسب هذا عبد الجبار كما ترى، ولا أدرى ما صوابه، إلا أن يكون ابن بنته. قال السمعاني: قرأت بخط والذي: أسعد بن مسعود العتبي، مولده سنة أربع وأربعمائة، ذكره أبو الحسن البيهقى فى وشاح الدمية، وقال: هو مصنف كتاب درة التاج، وكتاب تاج الرسائل، وكان كاتباً في الدواوين المحمودية، والسلجوقية، وعاش إلى آخر أيام نظام الملك وقال فى الامام على الفنجكردى:

يا أوحد البلغاء والأدباء		ياسيد الفضلاء والعلماء
يامن كأن عطاردا فى قلبه		يملى عليه حقائق الأشياء

وذكره أبو سعد، ونقلت من خطه، قال بعد ذكر نسبه: كان من أهل نيسابور، وكان يسكن مدرسة البيهقى، وهو من أولاد المنعمين، شاعر كاتب، تصرف فى الأعمال أيام شبابه، وخرج فى صحبة عميد خراسان إلى أسفار، وصحب الأكابر، وارتفعت به الأيام وانخفضت، حتى تأخر عن العمل، وتاب ولزم البيت، وقنع بالكفاف من العيش، واستراح من الأمور، وعقد له مجلس الإملاء فى الجامع المنيعى، فأملى مدة، وكان يحضر عنده المدثون والأئمة ودخل بغداد، وسمع بها من أبى منصور عبد الله بن سعيد، بن مهدي الكاتب الخوافي وسمع بنيسابور ومرو، وغير ذلك، وسمع جده أبا النضر العتبي، وروى لنا جماعة عنه.

قال: وقرأت بخط أبي جعفر، محمد بن على الحافظ الهمذاني: أسعد بن مسعود العتبي: شيخ عالم، ثقة دين، كان يثنى عليه أبو صالح المؤذن الحافظ، وذكره فى موضع آخر وقال: أسعد العتبى: تزهد وكان من الصالحين. قال السمعانى: أنبأنا أبو البركات الفراوى، عن ابن مسعود، عن عبد القاهر بن طاهر التميمى، حدثنى شيخ فاضل قال: دخلت المسجد الجامع بالبصرة، فرأيت شيخا بهيا قد قطع مسافة العمر، فسلمت عليه، وقلت: أتفرس أنك شاعر؟ فقال: أجل، فقلت: أنشدنى من مقولك، ما يكون لي تذكرة منك، فقال اكتب:

قالوا تغير شعره عن حاله ... والهم يشغلنى عن الأشعار

أما الهجاء فمنه شيء زاخر ... والمدح قل لقلة الأحرار

قال السمعاني: أنشدني أبو الحسين، أحمد بن محمد السمناني المصرى، أنشدنا أبو إبراهيم أسعد العتبى لنفسه:

قد كنت فيما مر من أزمانى ... متوانيا لتقاصر الإحسان

ورأيت خلانى وأهل مودتى ... متوفرين معا على الإخوان

فتغيروا لما رأونى تائبا ... وعن التصرف قد صرفت عنانى

دعهم وعادتهم فلم أر مثلهم ... إلا مجرد صورة الإنسان

واغسل يديك من الزمان وأهله ... بالطين والصابون والأشنان

أسعد بن المهذب، بن أبي المليح

مماتي أحد الرؤساء الأعيان الجلة، والكتاب الكبراء المتزلة، ومن تصرف بالأعمال، وولى رياسة الديوان، وله أدب بارع، وخاطر وقاد مسارع، وقد صنف في الأدب وعرف، ومات بمدينة حلب فى الثامن عشر

من جمادى الأولى، سنة ست وستمائة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى، وأصله من نصارى أسيوط، بليدة بصعيد مصر، قدموا مصر، وخدموا وتقدموا، وولوا الولايات، وهو مع ذلك، من أهل بيت فى الكتابة عريق، وهو كالمستولى على الديار المصرية، ليس على يده يد، والمسمون بالخلافة، محجوبون ليس لهم غير السكة والخطبة، وكان إلي مماتى كثير من الأعمال، فحدثني الصاحب الكبير، الوزير الجليل، جمال الدين الأكرم، أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي، – حرس الله علاه – بمدينة حلب قال: بلغني أن بعض تجار الهند، قدم إلى مصر، ومعه سمكة مصنوعة من عنبر، قد تنوق فيها وأجيدت، وطيبت ورصعت بالجواهر، فعرضها على بدر الجمالي ليبيعها منه، فسامها من صاحبها، فقال: لا أنقصها عن ألف دينار شيئا، فأعيدت إليه، فخرج بها من دار بدر، فقال له أبو المليح: أرنى هذه السمكة، فاراه إياها، فقال له كم سمت فيها؟ فأخذ بيده، وقبض ألف دينار من ماله، وتركها عنده مدة، فاتفق أن شرب أبو مليح يوما وسكر، وقال لندمائه: قد اشتهيت سمكا، هاتم المقلى والنار، حتى نقليه بحضرتنا، فجاءه بمقلى حديد وفحم، وتركوه على النار، وجار بتلك السمكة العنبر، فتركها فى المقلى، فجعلت تتقلى وتفوح روائحها، حتى لم يبق بمصر دار، إلا ودخلتها تلك الرائحة، وكان بدر الجمالى جالسا، فشم تلك الرائحة وتزايدت، فاستدعى الخزان، وأمرهم بفتح خزائنه وتفتيشها، خوفا من حريق قد يكون وقع فيها، فوجدوا خزائنه سالمة، فقال. ويحكم، انظروا ما هذا، ففتشوا حتى وقعوا على حقيقة الخبر، فاستعظم الأمر وقال: هذا النصراني، الفاعل الصانع، قد أكل أموالي، واستبد بالدنيا دوني، حت أمكنه أن يفعل مثل هذا، وتركه إلى الغداة، فلما دخل إليه وهو مغضب، قال له ويحك: أستعظم أنا وأنا ملك مصر شرى سمكة من العنبر، فأتركها استكثارا لثمنها، فتشتريها أنت!! ثم لا يقنعك حتى نقليها، وتذهب فى ساعة ألف دينار مصرية، ما فعلت هذا، إلا وقد نقلت بيت أموالي إليك، وفعلت، فقال له: والله ما فعلت هذا إلا غيرة عليك، ومحبة لك، فإنك اليوم سلطان نصف الدنيا، وهذه السمكة لا يشتريها إلا ملك، فخفت أن يذهب بها إلى بعض الملوك، ويخبره بأنك استعظمتها و لم تشترها، فأردت أن أعكس الأمر، وأعلمه أنك ما تركتها إلا احتقارا لها، وأنها لم يكن لها عندك مقدار، وأن كاتبا نصرانيا من كتابك اشتراها، وأحرقها، فيشيع بذك ذكرك، ويعظم عند الملوك قدرك، فاستحسن بدر ذلك منه، وأمر له بضعفى ثمنها، وزاد فى رزقه. وكان مماتي مع ذلك كريما ممدحا، قد مدحه الشعراء، فذكر أبو الصلت في كتاب الرسالة المصرية له، أن أبا طاهر إسماعيل بن محمد النشاع، المعروف بابن مكنسة، كان منقطعا إليه فلما مات مماتي، رثاه ابن مكنسة بقصيدة منها:

ماذا أرجى من حياتي ... بعد موت أبي المليح

ما كان بالنكس الدنيى | من الرجال و لا الشحيح
كفر النصارى بعد ما | غدروا به دين المسيح

كذا قال، ولعلهم اغتالوه أو قتلوه. ولما ولي الأفضل بن أمير الجيوش، بدر الجمالي بعد أبيه، دخل إليه ابن مكنسة مادحا، فقال له: ذهب رجاؤك بموت أبي المليح، فما الذي جاء بك إلينا، وحرمه و لم يقبل مديحه. وأما المهذب والده، وكان يلقب بالخطير، فإنه كان كاتب ديوان الجيش بمصر، في اواخر أيام المصريين، وأول أيام بني أيوب مدة، فقصده الكتاب، وجعلوا له حديثا عند السلطان، فهم به صلاح الدين يوسف بن أيوب، أو أسد الدين شيركوه، وهو يومئذ المستولي على الديار المصرية، فخاف المهذب، فجمع أولاده ودخل على السلطان، وأسلموا على يده، فقبلهم وأحسن إليهم، وزاد فى ولاياتهم، وجب الإسلام لما قبله.

ووجدت على ظهر كتاب من تصانيف ابن مماتي مكتوبا: كان المهذب أبوه، المعروف بالخطير، مرتبا على ديوان الإقطاعات، وهو على دين النصرانية، فلما علم أسد الدين شيركوه، فى بدء أمره بمصر أنه نصراني، وأنه يتصرف في عمله بلا غبار، نهاه وأمره بغيار النصاري، ورفع الذؤابة وشد الزنار، وصرفه عن الديوان، فبادر هو وأولاده، فأسلموا على يده، فأقره على ديوانه مدة، ثم صرفه عنه، فقال فيه ابن الذروى:

لم يسلم الشيخ الخطير | لرغبة في دين أحمد
بل ظن أن محاله | يبقى له الديوان سرمد

والآن قد صرفوه عنه فدينه فالعود أحمد قال: ووجدت بخط ابن مماتى:

صح التمثل فى قديم | الدهر أن العود أحمد

ولما أمر شيركوه النصارى بلبس الغيار، وأن يعمموا بغير عذبة، قال عمارة اليمني:

يا أسد الدين ومن عدله | يحفظ فينا سنة المصطفى
كفى غيارا شد أوساطنا | فما الذى يوجب كشف القفا

وجرى معه حديث النحويين، وأن أحدهم ينفذ عمره فيه، ولا يتجاوز إلى شيء من الأدب – الذي يراد النحو لأجله – من البلاغة، وقول الشعر، ومعرفة الأخبار والآثار، وتصحيح اللغة، وضبط الأحاديث. فقال الأسعد: هؤلاء مثلهم مثل الذي يعمل الموازين، وليس عنده ما يزن فيه، فيأخذها غيرهم، فيزن فيها الدر النفيس، والجوهر الفاخر، والدنانير الحمر، والجواهر البيض، وهذا عندي من حسن التمثيل. أنشدنا

سعيد بن أبي الكرم، بن هبة الله المصرى قال: أنشدني الخطير أبو سعيد بن مماتي لنفسه، فى أبى سعيد بن أبي اليمن النحال وزير العادل، وكان نصرانيا واسلم، وكان أملح الناس وجها، أعنى ابن النحال.

وشادن لما أتى مقبلا سبحت رب العرش باريه

ومذ رأيت النمل فى خده أيقنت أن الشهد في فيه

وأنشدنا سعيد بن أبي الكرم المذكور، قال: أنشدنى الخطير أبو سعيد بن مماتي، في ابن النحال أيضا، وكان يسكن ابن النحال فى أول الدرب، وكان فى آخر الدرب صبى مثله فى الحسن، يعرف بابن زنبور:

حوى درب نور الدين كل شمردل مشددة أوساطهم بالزنانير

بأوله للشهد والنحل منزل وآخره يا سادتى للزانير

ومن عجيب ما جرى للخطير: أنه كان يوما جالسا فى انه في حجرة موسومة بديوان الجيش، من قصر السلطان بمصر، وكانت حجرة حسنة مرخمة منمقة، فجاءه قوم وقالوا له: قم من ههنا، فقال لهم: ما الخبر؟ فقالوا: قد تقدم الملك العادل أبو بكر بن أيوب، بأخذ رخام هذه الحجرة، وأن يعمر به موضعا آخر، فخرج منكسرا كاسفا، فقيل له في ذلك: فقال: قد استجيبت فينا دعوة، وما أظننى أجلس فى ديوان بعدها، أما سمعتم إذا بالغوا فى الدعاء علينا قالوا. خرب الله ديوانه، وما بعد الخراب إلا اليباب، ثم دخل مترله، أوحم فلم يخرج منه إلا ميتا، فلما مات خلفه ابنه الأسعد هذا، على ديوان الجيش، وتصدر فيه مدة طويلة، ثم أضيف إليه في الأيام الصلاحية والعزيزية ديوان المال، وهو أجل ديوان من دواوين مصر، وتصدر فيه، واختص بصحبة القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي البيساني، ونفق عليه، وحظى عنده، وكرم لديه، فقام بأمره، وأشاع من ذكره، ونبه على فضله، وصنف له عدة تصانيف باسمه، و لم يزل على ذلك، إلى أن ملك الملك العادل، أبو بكر ابن أيوب الديار المصرية، وكان وزيره، والمدبر لدولته، الصفي عبيد الله بن علي بن شكر، وكان بينه وبين الأسعد ذحل قديم أيام رياسته عليه، ووقعت من الأسعد إهانة في حق ابن شكر، فحقدها عليه، إلى أن تمكن منه، فلما ورد مصر، أحضر الأسعد إليه، وأقبل بكلينه عليه، وفوض إليه جميع الدواوين، التى كانت باسمه قديما، وبقي على ذلك سنة كاملة، ثم عمل له المؤامرات، ووضع عليه المحالات، وأكثر فيه التأويلات، و لم يلتفت إلى أعذاره ولا اعاره طرفا لاعتذاره، فنكبه نكبة قبيحة، ووجه عليه أموالا كثيرة، وطالبه بها، فلم يكن له وجه، لأنه كان عفيفا ذا مروءة، فأحال عليه الأجناد، فقصدوه وطالبوه، وأكثروا عليه، وآذوه، واشتكوه إلى ابن شكر، فحكمهم فيه.

فحدثني المؤيد إبراهيم بن يوسف الشيباني قال: سمعت الأسعد يقول: علقت فى المطالبة على باب دارى بمصر، على ظهر الطريق في يوم واحد، إحدى عشرة مرة، فلما قدم رأوا أننى لا وجه لي، قبل لي تحيل، ونجم هذا المال عليك فى نجوم، فقلت: أما المال فلا وجه له عندي، ولكن إن أطلقت وملكت نفسى، استجديت من الناس، وسألت من يخافني ويرجوني، فلعلي أحصل من هذا الوجه، فأما من وجه حاصل، فليس لى بعد ما أخذتموه مني درهم واحد، فنجم المال على، وأطلقت وبقيت مديدة إلى أن حل بعض نجوم المال على، فاختفيت واستترت، وقصدت القرافة، وأخفيت نفسى فى مقبرة الماذرائيين، وأقمت بها مدة عام كامل، وضاق الأمر على، فهربت قاصدا للشام على اجتهاد من الأستاذ، فلحقنى فى بعض الطريق فارس مجد، فسلم على، وسلم إلى مكتوبا ففضضته، وإذا هو من الصفى بن شكر، يذكر فيه: لاتحسب أن اختفاءك عنى، كان بحيث لا أدرى أين أنت؟ ولا أين مكانك؟ فاعلم أن أخبارك كانت تأتينى يوما يوما، وأنك كنت فى قبور الماذرائيين بالقرافة، منذ يوم كذا، وأننى اجتزت هناك، واطلعت فرأيتك بعينى، وأنك لما خرجت هاربا عرفت خبرك، ولو أردت ردك لفعلت، ولو علمت أنك قد بقى لك مال أو حال لما تركتك، و لم يكن ذنبك عندي مما يبلغ أن أتلف معه نفسك، وإنما كان مقصودي: أن أدعك تعيش خائفا فقيرا، غريبا ممجحا فى البلاد، فلا تظن أنك هربت مني بمكيدة صحت لك علي، فاذهب إلى غير دعة الله، قال: وتركني القاصد وعاد، فبقيت مبهوتا إلى أن وصلت إلى حلب.

فحدثني الصاحب جمال الدين الأكرم – أدام الله علوه – لما ورد إلى حلب، نزل في داري فأقام عندي مدة، وذلك في سنة أربع وستمائة، وعرف الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، بن أيوب – رحمه الله – خبره فأكرمه، وأجرى عليه فى كل يوم دينارا صوريا، وثلاثة دنانير أخرى أجرة دار، فكان يصل إليه في كل ثلاثة أشهر ثلاثون دينارا، غير بر وألطاف، ما كان يخليه منها، وأقام عنده على قدم العطلة، إلى سنة ست وستمائة، كما ذكرنا، ومات فدفن بظاهر حلب، بمقام بقرب قبر أبي بكر الهروي. وله تصانيف كثيرة يقصد بها قصد التأدب، وفي معرض وقائع تجرى، ويعرضها على الأكابر، لم تكن مفيدة إفادة علمية، إنما كانت شبيهة بتصانيف الثعالبي وأضرابه، فمن ذلك كتاب تلقين التفنن في الفقه، كتاب سر الشعر، كتاب علم النثر، كتاب الشيء بالشيء يذكر، وعرضه على القاضى، فسماه سلاسل الذهب، لأخذ بعضه بشعب بعض، كتاب تهذيب الأفعال لابن ظريف، كتاب قرقرة الدجاج، في ألفاظ ابن الحجاج، كتاب الفاشوش فى أحكام "قراقوش"، كتاب لطائف الذخيرة لابن بسام كتاب ملاذ الأفكار وملاذ الاعتبار، كتاب سيرة صلاح الدين يوسف بن أيوب، كتاب أخاير الذخائر، كتاب كرم النجار في حفظ الجار، عمله للملك الظاهر لما قدم عليه، كتاب ترجمان الجمان، كتب مذاهب المواهب. كتاب باعث الجلد عند حادث الولد، كتاب الحض على الرضى بالحظ، كتاب زواهر السدف وجواهر

الصدف، كتاب قرص العتاب، كتاب درة التاج، كتاب ميسور النقد، كتاب المنتحل، كتاب أعلام النصر، كتاب خصائص المعرفة فى المعميات، وكان علم الدين بن الحجاج، شريكه في ديوان الجيش، وكان بينهما ما يكون بين المتماثلين في العمل، فعمل فيه الكتاب المتقدم ذكره، وهجاه بعدة أشعر، منها:

حكى نهرين ما في الأرض　　من يحيهما أبدا
ففى أفعاله ثورى　　وفي ألفاظه بردى

وكان له نوادر حسنة حادة، منها ما حدثني به الصاحب القاضي الأكرم، قال: ركبنا وخرجنا يوما نسير بظاهر حلب، فكان خروجنا من أحد أبوابها، ودرنا سور البلد جميعه، ثم دخلنا من ذلك الباب، فقال: اليوم تسييرنا تدليك، قلت: كيف؟ قال من برا برا.

وكان السديد بن المنذر، وهو رجل فقيه، اتصل بالسلطان صلاح الدين، يوسف بن أيوب بعض الاتصال، فجعل لنفسه بذلك سوقا، واستجلب بما يمت به من ذلك، وإن كان باطلا رزقا، وكان أعور رديئا، قليل الدين بغيضا، ولما أحدث الملك الظاهر غازي، قناة الماء بحلب، وأجراها في شوارعها ودور الناس، فوض إلى ابن المنذر النظر في مصالحها، ورزق على ذلك رزقا حسنا، نحو ثلاثمائة درهم فى الشهر، فسأل عنه الأمير فارس الدين، ميمون القصري، والأسعد بن مماتي حاضر، فقال له مسرعا: هو اليوم مستخدم على قناة، فأعجب بحسن هذه النادرة الحاضرين.

وقيل للأسعد يوما: أى شيء يشبه ابن المنذر؟ فقال: يشبه الزب، فاستبردوا ذلك، وظنوا أنه إنما ذهب إلى عورة فقط، فقال: مالكم لا تسألوني كيف يشبهه؟ فقالوا: كيف؟ قال: هو أقرع أصلع أعور، يسمع بلا أذن، يدخل المداخل الرديئة بحدة واجتهاد، ويرجع منكسرا، فاستحسن ذلك. وله شعر، من ذلك قوله فى الثلج في رجب، سنة خمس وستمائة:

قد قلت لما رأيت الثلج منبسطا　　على الطريق إلى أن ضل سالكها
ما بيض الله وجه الأرض في حلب　　إلا لأن غياث الدين مالكها

وقال أيضا فيه:

لما رأت عينى الثلج　　ساقطا كالأقاحي
وصار ليل الثرى منه　　أبيضا كالصباح
حسبت ذلك من ذوب　　در عقد الوشاح
أو من حباب الحميا　　أو من ثغور الملاح

فما على داخل النار		بعد ذا من جناح

وقال أيضا فيه:

بسيف غياث الدين غازي بن يوسف بن		أيوب دام القتل واتصل الفتح

وشاهدته في الدست والثلج دونه		فقلت :سليمان بن داود والصرح

وقال أيضا فيه:

مذ رأينا الصبح يزدان		ويزداد انفراشا

وحسبنا نوره يطرد		من خلف الفراشا

نثر الثلج علينا		ياسمينا وفراشا

ورأى أن يرسل الأسهم		بالبرد فراشا

فغدا الكافور في عنبرة		الأرض فراشا

وقال أيضا فيه:

لما رأت عينى الثلج		خلته الياسمينا

وقلت من عجب منه		أصبح الآس مينا

وخلته من ثغور الملا		ح للآثمينا

فما أرادوا من الدر		قط إلا ثمينا

وقال أيضا فيه:

لما رأيت الثلج قد		أضحت به الأرض سما

وأنسب الصبا الصبا		وأذكرت جهنما

خفت فما فتحت من		تعاظم الخوف فما

فإن نما صبرى وهو		ناقص فإنما

وقال أيضا فيه:

لما رأيت الثلج قد		غطى الوهاد والقنن

سألت بأهل حلب		هل نمطر السما اللبن؟

نقل من خطه ومن شعره أيضا:

وحياء ذاك الوجه بل وحياته قسم يريك الحسن في قسماته
لأرابطن على الغرام بثغره لأفوز بالمرجو من حسناته
وأجاهدن عواذلي في حبه بالمرهفات على من لحظاته
قد صيغ من ذهب وقلد جوهرا فلذاك ليس يجوز أخذ زكاته

وله أيضا:

يعاهدني ألا يخون وينكث ويحلف لي ألا يصد ويحنث
ومن أعجب الأشياء أنك ساكن بقلبي وأني عن مكانك أبحث
وللحسن يا لله طرف مذكر يتيه به عجبا وطرف مؤنث

ومنه أيضا:

يا سالب الظبية لحظا وجيد أجر لمن تهجر أجر الشهيد
متى رأى طرفك قتل امرئ بأسهم اللحظ فقيد الفقيد

ولد دوبيت:

يا غصن، أراك حاملا عود أراك حاشاك إلى السواك يحتاج سواك
قل ي: أنهاك عن محبيك نهاك لو تم وفاك بست خديك وفاك

كذا وجدت له في اشعارمجموعة، وأنشدني هذين"الدوبيت" بعض أهل الأدب، وذكر أنهما للعماد الأصبهاني الكاتب، وهما به أشبه، لأنهما في غاية الجودة، وابن مماتي، في طبقة شعره انحطاط جدا. ومن شعره أيضا:

قد نهانا عن الغرام نهانا إذ هوانا ألا تذوق هوانا
وهجرنا الحبيب خيفة أن يهجر بدءا فيستمر عنانا
وتركنا للورى فكأنا قد أدرناه بيننا دستكانا
وأنسنا من وحشة بفراق فافترقنا كما ترى برضانا
وسمعنا من العذول كلاما فأنفنا من ضحكه لبكانا
أى خير يكون في حب من فوق سهما من لحظة ورمانا
نحن لو لم نكن هجرناه من قبل لأبدى صدوده وجفانا

شيمة في الملاح قد أحسن الدهر بإعلامها بنا وأسانا
وصباح المشيب يظهر ما كان ظلام الشباب عنه ثنانا
ما مشينا إلى الصبابة إلا وخطانا معدودة من خطانا
فأدرها معسجدات كؤوسا مطلعات من الحباب جمانا

أسلم بن سهل، بن أسلم،

بن زياد، ابن حبيب الرزاز، أبو الحسن المعروف بنحشل الواسطى، منسوب إلى محلة الرزازين، المحلة للسفلي بواسط، ومسجده هناك وداره، وهو ثقة، إمام يصلح للتصحيح، وجده لأمه: أبو محمد وهب بن بقية، ويقال: وهبان. جمع نحشل تاريخ واسط، وضبط أسماء أهلها، ورتب طبقاتهم، وكان لا مزيد عليه في الحفظ والإتقان. مات في سنة ثمان وثمانين ومائتين، قبلها أو بعدها بقليل. حدث عنه بتاريخه أبو بكر، محمد بن عثمان، بن سمعان المعدل، وكان يضاهيه فى الحفظ والإتقان، وشركه في أكثر شيوخه، ومات قبل الثلاثين وثلاثمائة. ذكر ذلك كله السلفي الحافظ، في السؤالات التى سألها خميسا الحوزي.

إسماعيل بن أحمد، بن عبد الله،

الحيري أبو عبد الله الضرير المفسر، المقرئ الواعظ، الفقيه المحدث الزاهد، أحد المسلمين، والحيرة محلة بنيسابور هى الآن خراب، مات فيما ذكره عبد الغافر بن إسماعيل بعد الثلاثين وأربعمائة، ومولده سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. قال: وله التصانيف المشهورة فى علوم القرآن والقراءات، والحديث والوعظ، والتذكير. سمع صحيح البخارى من أبي الهيثم. سمع منه ببغداد، وقد روى عن زاهر السرخسي.

إسماعيل بن إسحق، بن إسماعيل،

بن حماد، بن زيد، بن درهم،أبو إسحق الأزدى، مولى آل حرير بن حازم، من أهل البصرة. مات فيما ذكره الخطيب: سنة اثنتين وثمانين ومائتين، ومولده سنة مائتين، مات فجاءة. قال التنوخى: حدثنى بو الفرج الأصبهانى، أن القاضى إسماعيل، لبس سواده ليخرج إلى الجامع فيحكم، ولبس أحد خفيه، وأراد أن يلبس الآخر، فمات. وهو قاض على جانبى بغداد جميعا. سمع محمد بن عبد الله الأنصاري، ومسدد بن مسرهد، وعلي بن المديني، وغيرهم. روى عنه موسى بن هارون الحافظ، وكان فاضلا، عالما، متقنا، فقيها، على مذهب مالك ابن أنس، شرح مذهبه ولخصه، واحتج له، وصنف المسند، وكتبا عدة فى علوم القرآن، وجمع كتاب حديث مالك، وكتاب يحيى بن سعيد الأنصارى، وكتاب أيوب السختيانى،
واستوطن بغداد قديما، وولى القضاء بها، و لم يزل يتقلده إلى حين وفاته قال الخطيب: قال طلحة بن محمد، بن جعفر الشاهد: إسماعيل بن إسحاق منشؤه البصرة، وأخذ الفقه على مذهب مالك، عن أحمد بن

المعدل، وتقدم فى هذا المذهب، حتى صار علما فيه، ونشر من مذهب مالك وفضله، ما لم يكن بالعراق في وقت من الأوقات، وصنف من الاحتجاج لمذهب مالك والشرح له، ما صار لأهل هذا المذهب مثالا يحتذونه، وطريقا يسلكونه، وانضاف إلى ذلك علمه بالقرآن، فإنه صنف في القرآن كتبا تتجاوز كثيرا من الكتب المصنفة فيه. فمنها كتاب فى أحكام القرآن، وهو كتاب لم يسبقه أحد من أصحابه إلى مثله، وكتاب في القراءات، وهو كتاب جليل القدر، عظيم الخطر، وكتاب في معاني القرآن، وهذان الكتابات يشهدان بفضله فيهما، وأنه واحد زمانه، ومن انتهى إليه العلم في النحو واللغة في أوانه، وهو نظير المبرد.

ورأيت أبا بكر بن مجاهد يصف هذين الكتابين، وسمعته مرات لا أحصيها يقول: القاضي إسماعيل، أعلم مني بالتصريف، وبلغ من العمر ما صار به واحدا فى عصره، في علو الإسناد، فحمل الناس عنه من الحديث الحسن ما لم يحمل أحد عن كثير، وكان الناس يصيرون إليه، فيقتبس منه كل فريق علما لا يشاركه فيه الآخر، فمن قوم يحملون الحديث، ومن قومك يحملون علم القرآن، والقراءات، والفقه، إلى غير ذلك مما يطول شرحه. فأما سداده في القضاء، وحسن مذهبه فيه. وسهولة الأمر عليه، فيما كان يلتبس على غيره، فشئ شهرته تغني عن ذكره، وكان في أكثر أوقاته، وبعد فراغه من الخصوم، متشاغلا بالعلم، لأنه اعتمد على مكاتبة أبي عمر، محمد بن يوسف، فكان يحمل عنهأكثر أمره من لقاء السلطان، وينظر فى كل أمره، وأقبل هو على الحديث والعلم.
قال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم: كان إسماعيل ابن إسحاق نيفا وخمسين سنة على القضاء، ما عزل عنها إلا سنتين قال الخطيب: وهذ القول فيه تسامح، وذلك أن ولاية إسماعيل للقضاء، ما بين ابتدائها إلى حين وفاته، لم تبلغ خمسين سنة، وأول ما ولي في خلافة المتوكل، لما مات سوار بن عبد الله، بن سوار، بن عبد الله، وكان قاضى القضاة بسر من رأى: جعفر بن عبد الواحد الهاشمى، فأمره المتوكل، أن يولى إسماعيل، قضاء الجانب الشرقى من بغداد، سنة ست وأربعين ومائتين، لم يعزله أحد من الخلفاء غير المهتدي، فإنه نقم على أخيه حماد بن إسحاق شيئا، فضربه بالسياط، وعزل إسماعيل إلى أن قتل المهدي، وولي المعتمد، فأعاده إلى القضاء، فلم يزل على قضاء بغداد بالجانبين إلى أن مات، و لم يقلد قضاء القضاة، لأن القضاة، كان الحسن بن أبي الشوارب، وكان يكون حينئذ بسامرا وحدث الخطيب قال: قال المبرد لما توفيت والدة القاضي إسماعيل، رأيت من وجهه ما لم يقدر على ستره، وكان كل يعزيه، وقد كان لايسلو، فسلمت عليه ثم أنشدته:

لعمري لئن غال ريب الزمان ... فساء لقد غال نفسا حبيبه

ولكن علمى بما في الثواب عند المصيبة ينسي المصيبة

فتفهم كلامي واستحسنه، ودعا بدواة وكتبه، ثم انبسط، وزالت تلك الكآبة والجزع.

قال إبراهيم بن حماد: أنشدني عمي إسماعيل القاضي:

همم الموت عاليات فمن ثم تخطى إلى لباب اللباب

ولهذا قيل: الفراق أخو الموت لإقدامه على الأحباب

قال: ودخل إلى القاضي إسماعيل بن إسحاق، عبدون، ابن صاعد الوزير، وكان نصرانيا، فقام له ورحب به، فرأى إنكار الشهود ومن حضره، فلما خرج قال لهم: قد علمت إنكاركم، وقال الله تعالى:" لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين، و لم يخرجوكم من دياركم" وهذا الرجل يقضى حوائج المسلمين، وهو سفير بيننا وبين خليفتنا، وهذا من البر، فسكتت الجماعة.

قرأت بخط أبي سعيد بإسناد له، رفعه إلى أبي العباس ابن الهادي. قال: كنت عند إسماعيل بن إسحاق القاضي في منزله، فخرج يريد صلاة العصر، ويدي في يده، فمر ابن البرى، وكان غلاما جميلا، فنظر إليه: فقال وهو يمشى إلى المسجد:

لو لا الحياء وأنني مشهور والعيب يعلق بالكبير كبير

لحللت منزلها التى تحتله ولكان منزلها هو المهجور

وانتهى إلى مسجد على باب داره فقال، الله أكبر، الله أكبر، ثم مر في أذانه، والشعر لإبراهيم بن المهدى. وحكى أبو حيان هذه الحكاية كما مر، وزاد فيها، فقيل له: افتتحت الأذان بقول الشعر، فقال دعونى، فوالله لو نظر أمير المؤمنين إلى ما نظرت إليه، لشغله عن تدبير ملكه. قيل له: فهل قلت شيئا آخر فيه؟ قال: نعم، أبيات عبثت بي وأنا في المحراب، فما استتممت قراءة "الحمد " حتى فرغت منها، وهي:

ألحاظه ترجمان منطقه ووجهه نزهة لعاشقه

هذبه الظرف والكمال فما يمر عيب على طرائقه

قد كثرت قالة العباد فما تسمع إلا سبحان خالقه

ومن كتاب القضاة لابن سمكة قال: لما مات إسماعيل بن إسحاق، بقيت بغداد ثلاثة أشهر بغير قاض، حتى ضج الناس، ورفع إلى المعتضد، فاختار عبيد الله بن سليمان، ثلاثة قضاة، أبا حازم، وعلي بن أبي الشوارب، ويوسف، وهو ابن عم إسماعيل بن إسحاق، فولي أبا حازم الكرخ، وابن أبي الشوارب مدينة المنصور، ويوسف الجانب الشرقي.

قال: وأخبرني الثقة أن إسماعيل دخل على الموفق، فقال له: ما تقول في النبيذ؟ فقال أيها الأمير: إذا أصبح الإنسان وفي رأسه شيء منه، يقال له ماذا؟ فقال الموفق: يقال هو مخمور، قال فهو كاسمه.

وحدث المحسن قال: سمعت أبي يحكى عن أبي عمر القاضي قال: عرض القاضي إسماعيل على عبيد الله بن سليمان، وزير تامعتضد رقعة في حوائج الناس، ثم عرض أخرى وقال: إن أمكن الوزير أن يوقع، وقع وعرض أخرى، وقال شيئا من هذا الجنس، فقال عبيد الله: يا أبا إسحاق: كم تقول" إن أمكن، وإن جاز، وإن سهل"؟ من قال لك: إنه يجلس هذا المجلس أحد، ثم يتعذر عليه شيء على وجه الأرض من الأمور، فقد كذبك، هات رقاعك كلها في موضع واحد، قال: فاخرجها إسماعيل من كمه، وطرحها بين يديه، فوقع فيها، فكانت مع ما وقع فيه قبل الكلام وبعده، نحو الستين رقعة - رحمه الله - فما أصدق ما كانت رغبته إلى الله عز وجل.

اسماعيل بن الحسن، بن على الغازى

البيهقيأبو القاسم، شمس الأئمة، ذكره البيهقي فى كتاب الوشاح، فقال: يعرف بالشمس البيهقي، كان جامعا لفنون الآداب، حائزا لمفاتيح الحكمة وفصل الخطاب، أقام وتوطن بمرو، وطريقه في الفقه مستقيم، واكثر مصنفاته من المناقص سليمات ومن منظومه:

كتاب حضرتنا دامت سلامتهم — يهيئون من الألقاب أسبابا
وينصبون من الأطماع ألوية — ويفتحون من الألقاب أبوابا
ويبخلون بما جاد الكريم به — وينفقون على الأقوام ألقابا
تجشئوا في نواديهم بلا شبع — كأنهم أكلوا الحلتيت والرابا

أخذه من قول الخوارزمي:

قل الدراهم في كيسى خليفتنا — فصار ينفق في الأقوام ألقابا

قال: ومن تصانيفه: كتاب نقض الاصطلام، كتاب سمط الثريا، في معاني الغرائب للحديث، كتاب فى اللغة، كتاب فى الخلاف ظريف.

إسماعيل بن الحسين، بن محمد، بن الحسين،

ابن أحمد، بن محمد ابن عزيز، بن الحسين، بن أبي جعفر، محمد الأطروش، بن علي، بن الحسين، بن علي، بن محمد الديباج، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب - رضي الله عنهم -، كنيته أبو طالب بن أبي محمد، بن أبي أحمد، بن أبي علي، بن أبي الحسين،

بن أبي جعفر، بن أبي الفضل، بن أبي جعفر الأطروش، بن أبي الحسين بن أبي عبد الله، بن أبي الحسين، بن أبي جعفر، بن أبي عبد الله الصادق، بن أبي جعفر الباقر، بن أبي محمد العابدين، بن أبي عبد الله السبط، بن أبي الحسن أمير المؤمنين، المروزي العلوي، النسابة الحسيني، عزيز الدين حقاً، أول من انتقل من أجداده إلى مرو من قوم، أبو علي أحمد بن محمد، بن عزيز، وكان قد انتقل إلى بغداد من المدينة، علي بن محمد الديباجي، وكان على هذا يعرف بالحارص، وابنه الحسين انتقل إلى قوم، ثم أقاموا بمرو إلى هذا الأوان. وأخبرني – أحسن الله جزاه – أن مولده ليلة الأثنين، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، ورد بغداد في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، صحبة الحجاج، و لم يحج. وقرأ الأدب على الإمام منتخب الدين، أبي فتح محمد ابن سعد، بن محمد، بن أبي الفضل الديباجي، والإمام برهان الدين أبي الفتح، ناصر بن أبى المكارم، عبد السيد بن على المطرزي الخوارزمي، وأخيه الإمام مجد الدين أبى الرضا طاهر، وقرأ الفقه على الإمام فخر الدين محمد ابن محمد، بن محمد، بن الحسين الطيان الماهروة الحنفى، وقاضي القضاة، منتخب الدين أبي الفتح محمد بن سليمان، ابن إسحاق الفقيهى قال: وما علمت أنه ولى القضاء بمرو أحسن سيرة منه – رحمه الله – وقرأ الحديث على الإمام فخر الدين، إسماعيل بن محمد، بن يوسف القاشانى، وأبى بكر بن محمد، بن عمر الصائغي السبخي، والإمام شرف الدين، محمد بن مسعود المسعودي، والإمام فخر الدين، أبي المظفر عبد الرحيم، ابن الإمام تاج الإسلام، عبد الكريم بن محمد، بن منصور السمعاني، وعبد الرشيد بن محمد، بن أبي بكر الزرقى المؤدب، وبنيسابور على القاضي ركن الدين إبراهيم بن على، بن حمد المعيني، والإمام مجد الدين، أبى سعد عبد الله بن عمر الصفار، والإمام نور الدين، فضل الله بن أحمد، بن محمد الجليل التوقاني، وعبد الرحيم بن عبد الرحمن الشعري، وبالري على مجد الدين، يحيى بن الربيع الواسطي، وببغداد عليه، وعلي عبد الوهاب بن علي، بن سكينة، وغيرهم، بشيراز، وهراة، وتستر، ويزد. وله من التصانيف: كتاب حظيرة القدس، نحو ستين مجلدا، ولعله يزيد فيما بعد، وكتاب بستان الشرف، وهو مختصر ذلك، يكون عشرين مجلدا، كتاب غنية الطالب، فى نسب آل أبى طالب مجلد، كتاب الموجز فى النسب، مجلد لطيف، كتاب الفخرى صنفه للفخر الرازي، كتاب زبدة الطالبية، مجلد لطيف، كتاب خلاصة العترة النبوية، في أنساب الموسوية، كتاب المثلث فى النسب، شجر عدة كتب منها: كتاب أبي الغنائم الدمشقي، كتاب من اتصل عقبه بأبى الحسن، محمد بن القاسم التميمى الأصفهاني مشجر، وكتاب المعرف للسيد أبي طالب الزنجاني الموسوي، كتاب الطبقات للفقيه زكريا بن أحمد البزاز النيسابوري، كتاب نسب الشافعي خاصة، كتاب وفق الأعداد في النسب. وهذا السيد – أدام الله فضله – اجتمعت به في مرو، في سنة أربع عشرة وستمائة، فوجدته كما قيل:

قد زرته فوجدت الناس في رجل　　　والدهر في ساعة والفضل فى دار

قد طبع من حسن الأخلاق، وسماحة الأعراق، وحسن البشر، وكرم الطبع، وحياء الوجه، وحب الغرباء على ما نراه، متفرقا في خلق كثير، وهو مع ذلك، أعلم الناس يقينا بالأنساب، والنحو، واللغة، والشعر، والأصول، والنجوم، وقد تفرد بهذا البلد، بالتصدر لإقراء العلوم على اختلافها، فى مترل ينتابه الناس على حسب أغراضهم، فمن قارئ للفقه، ومتعلم فى النحو، ومصحح للغة، وناظر في النجوم، ومباحث في الأصول، وغير ذلك من العلوم، وهو مع سعة علمه متواضع، حسن الأخلاق، لايرد غريب إلا عليه، ولايستفيد مستفيد إلا منه. وأنشدني – أدام علوه – لنفسه:

قولوا لمن لبى في حبه　　　قد صار مغلوبا ومسلوبا

وفى صميم القلب مني أرى　　　هواه والأيمان مكتوبا

وصحتي في عشقه صيرت　　　جسمي معلولا ومعيوبا

ومدمعي منهمرا ماؤه　　　منهملا في الخد مسكوبا

وأنشدني – أدام الله علوه – لنفسه:

والعين يحجبها لألاء وجنته　　　من التأمل فى ذا المنظر الحسن

بل عبرتى منعت لو نظرتى عبرت　　　إليه من مقلتى إلا على السفن

لولا تجسمه بالإبتسام وما　　　أمده الله عند النطق باللسن

لما عرفت عقيقا شفه درر　　　ولم يبن فوه نطقا وهو لم يبن

حدثنى عزيز الدين، – رحمه الله –، قال: ورد الفخر الرازي إلى مرو، وكان من جلالة القدر، وعظم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يراجع فى كلامه، ولا يتنفس أحد بين يديه لإعظامه، على ما هو مشهور متعارف، فدخلت إليه، وترددت للقراءة عليه، فقال لي يوما: أحب أن تصنف لي كتابا لطيفا في أنساب الطالبيين لأنظر فيه، فلا أحب أن أكون جاهلا به. فقلت له: أتريده مشجرا أم منثورا؟ فقال: المشجر لاينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئا أحفظه، فقلت: السمع والطاعة، ومضيت وصنفت له الكتاب، الذى سميته بالفخري، وحملته وجئته به، فلما وقف عليه، نزل عن طراحته، فأعظمت ذلك وخدمته، فانتهرني نهرة مزعجة، وزعق علي وقال: اجلس بحيث أقول لك، فتداخلني – علم الله – من هيبته ما لم أتمالك، غلا أن جلست حيث أمرني، ثم أخذ يقرأ على ذلك الكتاب، وهو جالس بين يدي، ويستفهمني

عما يستغلق عليه، إلى أن أنهاه قراءة، فلما فرغ منه قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علم أنت أستاذي فيه، وأناأستفيد منك، وأتتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدى الأستاذ، فقمت من مقامى، وجلس هو في منصبه، ثم أخذت أقرأ عليه، وأنا جالس بحيث كان أولا، وهذا لعمري من حسن الأدب حسن، ولا سيما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة.

إسماعيل الضرير النحوى، أبو علي

لا أعرف من أمره إلا ما ذكر: أن رجلا سأل إسماعيل الضرير النحوى، عن أبي القاسم، علي بن أحمد، ابن الفرج، بن الحسين، بن المسلمة، الملقب برئيس الرؤساء، وزير القائم، كيف ترى رئيس الرؤساء في النحو؟ فقال: يتكلم فيه بكلام أهل الصنعة، وسئل رئيس الرؤساء عن إسماعيل فقال: ما أرى مفتوح القلب فى النحو، إلا هذا المغمض العينين!

إسماعيل بن حماد الجوهري،

أبو نصر الفارابي ابن أخت أبى إسحاق الفارابى، صاحب ديوان الأدب، وكان الجوهرى هذا من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل في الجودة، لا يكاد يفرق بينه وبين خط أبي عبد الله بن مقلة، وهو مع ذلك من فرسان الكلام في الأصول، وكان يؤثر السفر على ساق. دخل العراق فقرأ علم العربية على شيخى زمانه، ونور عين أوانه، أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي. وسافر إلى أرض الحجاز، وشافه باللغة العرب العاربة، وقد ذكر هو ذلك في مقدمة كتاب الصحاح من تصنيفه، وطوف بلاد ربيعة ومضر، وأجهد نفسه فى الطلب، ولما قضى وطره من الطواف، عاد راجعا إلى خراسان، وتطرق الدامغان، فأنزله أبو على الحسين بن على، وهو من أعيان الكتاب، وأفراد الفضلاء عنده، وأخذ عنه، وسمع منه، ثم سرحه إلى نيسابور، فلم يزل مقيما بها على التدريس، والتأليف، وتعليم الخط، وكتابة المصاحف، والدفاتر، حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة وذكره أبو الحسين الباخرزي فقال: هو صاحب صحاح اللغة، لم يتأخر فيها عن شرط أقرانه، ولا انحدر عن درجة أبناء زمانه، أنشدنى الأديب، يعقوب بن أحمد قال: أنشدنى الشيخ أبو إسحاق صالح الوراق، تلميذ الجوهري – رحمه الله – له:

ياضائع العمر بالأماني — أما ترى رونق الزمان
فقم بنا يا أخا الملاهي — نخرج إلى نهر نشنقان
لعلنا نجتني سرورا — حيث جنى الجنتين دان
كأننا والقصور فيها — بحافتى كوثر الجنان

والطير فوق الغصون تحكى — بحسن أصواتها الأغانى

وأرسل الورق عندليب — كالزير واليم والمثاني

وبركة حولها أناخت — عشر من الدلب واثنتان

فرصتك اليوم فاغتنمها — فكل وقت سواه فان

وله من التصانيف: كتاب في العروض جيد بالغ، سماه عروض الورقة، كتاب الصحاح في اللغة، كتاب المقدمة فى النحو، وهذا الكتاب، هو الذى بأيدى الناس اليوم، وعليه اعتمادهم. أحسن تصنيفه، وجود تأليفه، وقرب متناوله، وآثر من ترتيبه على من تقدمه، يدل وضعه على قريحة سالمة، ونفس عالمة، فهو أحسن من الجمهرة، وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب متناولا من محمل اللغة، فيه يقول الشيخ أبو إسماعيل بن محمد، بن عبدوس النيسابوري.

هذا كتاب الصحاح أحسن ما — صنف قبل الصحاح في الأدب

تشمل أبوابه وتجمع ما — فرق فى غيره من الكتب

هذا مع تصحيف فيهه في مواضع عدة، أخذها المحققون، وتتبعها العالمون، ومن ما ساء قط، ومن له الحسنى فقط؟؟ فإنه – رحمه الله – غلط وأصاب، وأخطأ المرمى وأصاب، كسائر العلماء، الذين تقدموه وتأخروا عنه، فإني لا أعلم كتابا سلم إلى مؤلفه فيه، و لم يتبعه بالتتبع من يليه.

وذكر أبو الحسن، علي بن فضال المجاشعى في كتابه، الذى سماه شجرة الذهب، في معرفة أئمة الأدب فقال: كان الجوهري قد صنف كتاب الصحاح، للأستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى، وسمعه منه إلى باب الضاد المعجمة، واعترى الجوهرى وسوسة، فانتقل إلى الجامع القديم بنيسابور، فصعد إلى سطحه وقال: أيها الناس، إني عملت فى الدنيا شيئا لم أسبق إليه، وضم إلى جنبيه مصراعي باب، وتأبطهما بحبل، وصعد مكانا عاليا من الجامع، وزعم أنه يطير، فوقع فمات، وبقى الكتاب، مسودة غير منقحة، ولا مبيضة، فبيضه أبو إسحاق، إبراهيم بن صالح الوراق، تلميذ الجوهري بعد موته، فغلط فيه في عدة مواضع غلطا فاحشا. وكان الجوهرى يجيد قول الشعر، فمن ذلك:

رأيت فتى أشقرا أزرقا — قليل الدماغ كثير الفضول

يفضل من حمقه دائبا — يزيد بن هند علي ابن البتول

قال المؤلف: وكنت بحلب في سنة إحدى عشرة وستمائة، في مترل القاضي الأكرم، والصاحب الأعظم، أبي الحسن علي بن يوسف، بن إبراهيم الشيباني، فتجارينا أمر الجوهري، وما وفق له من حسن التصنيف،

ثم قلت له: ومن العجب أني بحثت عن مولده ووفاته، بحثا شافيا، ذلك، فقال لي: فقد بحثت قبلك عن ذلك، فلم أر مخبرا عنه. فلما كان من غد ذلك اليوم، جئته فقال لى: ألا أخبرك بطريفة؟ إننى رأيت في بارحتنا فى النوم قائلا يقول لي: مات إسماعيل بن حماد الجوهري، فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ولعمري وإن كان المنام مما لايقطع به، ولا يعدل عليه، فهذا بلا شك زمانه، وفيه كان أوانه، لأن شيخيه أبا علي، وأبا سعيد، ماتا قبل هذه المدة بسنين يسرة، ثم وجدت نسخة بديوان الأدب، بخط الجوهري بتبريز، وقد كتبها في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. ثم وقفت على نسخة بالصحاح، بخط الجوهرى بدمشق، عند الملك العظيم بن العادل، بن أيوب صاحب دمشق، وقد كتبها في سنة ست وتسعين وثلاثمائة.

وقد ذكره أبو منصور عبد الملك، بن محمد الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر، وأنشد من شعره:

لو كان لي بد من الناس ... قطعت حبل الناس بالياس

العز في العزلة لكنه ... لابد للناس من الناس

وأنشد له:

وها أنا يونس في بطن حوت ... بنيسابور في ظل الغمام

فبيتى والفؤاد ويوم دجن ... ظلام في ظلام فى ظلام

وأنشد له:

زعم المدامة شاربوها أنها ... تنفي الهموم وتذهب الغما

صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا ... أن السرور بها لهم تما

سلبتهم أديانهم وعقولهم ... أرأيت عادم ذين مغتنما؟

ومن شعره:

يا صاحب الدعوة لاتجزعن ... فكلنا أزهد من كرز

فالماء كالعنبر في قومس ... من عزه يجعل في الحرز

فسقنا ماء بلا منة ... وأنت فى حل من الخبز

قال مؤلف الكتاب: وذكر محمود بن أبي المعالي الخواري، في كتاب ضالة الأديب من الصحاح والتهذيب، بعد أن ذكر قصة الجوهري، كما ذكرها المجاشعي، سواء من تصنيفه الكتاب للبيشكي، وقراءة الناس عليه، إلى باب الضاد، وشده مصراعي الباب وطيرانه، ثم قال: وسألت الإمام سعيد بن

الإمام، أحمد ابن محمد الميدانى، عن الخلل الواقع فى هذا الكتاب، فقال مثل ما ذكرناه: إن هذا الكتاب قرئ عليه إلى باب الضاد فحسب، وبقي أكثر الكتاب على سواده، و لم يقدر له تنقيحه، ولاتهذيبه، فلهذا يقول في باب السين، قيس: أبو قبيلة من مضر، واسمه إلياس بنقطتين تحتها، ثم يقول في فصل النون من هذا الباب: الاناس بالنون اسم قيس عيلان، فالأول سهو والثاني صحيح، ثم قال: ومن زعم أنه سمع عن الجوهرى شيئا من الكتاب، زيادة على أول الكتاب إلى باب الضاد، فهو مكذوب عليه.

قال: ورأيت أنا نسخة السماع، وعليها خطه إلى باب الضاد، وهي الآن موجودة في بلادنا، والله أعلم بحقيقته. قال: والكتاب بخط مؤلفه عند أبى محمد إسماعيل بن محمد، بن عبدوس النيسابورى، وفيه يقول: وذكر البيتين المتقدمين قال: وقال الثعالبى فى أثناء كتابه، يعنى يتيمة الدهر: إن تلك النسخة بيعت بمائة دينار نيسابورية، وحملت إلى جرجان، والعلم عند الله في ذلك.

قال المؤلف: وأما البيشكى الذي صنف له الكتاب، فقد ذكره الغافر الفارسي في السياق، فقال: هو عبد الرحيم بن محمد البيشكي، الأستاذ الإمام أبو منصور، ابن أبي القاسم، الأديب الواعظ الأصولى، من أركان أصحاب أبي عبد الله، يعنى الحاكم بن عبد الله بن البيع. له المدرسة والأصحاب، والأوقاف والأسباب، والتدريس والمناظرة، والنثر والنظم. توفي في جمادى الأولى، سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة. ووجدت على ظهر كتاب الصحاح، وكان مجلدة واحدة كاملة، بخط الحسن بن يعقوب بن أحمد النيسابوري، اللغوى الأديب ماصورته: قرأ على هذا الكتاب من أوله إلى آخره، بما عليه من حواشيه من الفوائد، معارضا بنسختي مصححا إياها: صاحبه الفقيه، الفاضل السديد، الحسين بن مسعود الصرام، – بارك الله فيه له –، وهو إجازة لي عن الأستاذ أبي منصور عبد الرحيم، ابن محمد البيشكي عن المصنف، وكتبه الحسن بن يعقوب ابن أحمد في شهر الله الأصم، سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، فهذا كما تراه مخالف لما تقدم، من أن الجوهري لم يعمل من الكتاب إلا أن باب الضاد. ومن كتابه الموسوم بالصحاح: النخيس: البكرة، يتسع ثقبها الذى يجري فيه المحور، مما يأكله المحور، فيعمدون إلى خشيبة فيثقبون وسطها، ثم يلقموها ذلك الثقب المتسع، ويقال لتلك الخشيبة النخاس، وسألت أعرابيا بنجد من بني تميم وهو يستقي، وبكرته نخيس، فوضعت أصبعي على النخاس فقلت: ما هذا؟ وأردت أن أتعرف منه الخاء من الحاء، فقال نخاس بخاء معجمة، فقلت: أليس قال الشاعر: وبكرة نحاسها نحاس فقال: ما سمعنا بهذا في آبائنا الآولين. ومن كتابه في باب بقم، وقلت لأبي علي الفارسي أعربي هو؟فقال: معرب، وليس في كلامهم اسم على فعل، إلا خمسة خضم بن عمرو بن تميم، وبا لفعل سمى، وبقم لهذا الصبغ، وشلم موضع با لشام، وهما أعجميان، وبذر اسم ماء من با لفعل، فثبت أن فعل ليس من أن فعل ليس من

أصول أسما ئهم، وإنما يختص بالفعل، فإذ سميت به رجلا لم ينصرف فى المعرفة، للتعريف ووزن الفعل، وينصرف في النكرة.

إسماعيل بن خلف،

أبو طاهر الصقلى المقرئ صاحب على بن إبراهيم بن سعيد الحوفي من حوف مصر، وصنف كتاب إعراب القراءات في تسع مجلدات كبار، وصنف فى القراءات كتاب الإكتفاء، وكتاب العيون، وأرى أنه كان فيما بعد سنة عشرة وخمسمائة

إسماعيل بن عباد، بن العباس،

ابن عباد الوزير الملقب بالصاحب، كافي الكفاة أبو القاسم، من أهل الطالقان، وهي ولاية بين قزوين وأبهر، وهي عدة قرى يقع عليها هذا الأسم، وبخراسان بلدة تسمى الطالقان غير هذه، خرج منها جماعة من أهل العلم، هكذا نسبه المحدثون، وقد قال الرستمي شاعره، يهنيء بن عباد قال:

يهنى ابن عباد بن عباس بن نجد — و الله تعمى بالكر امة تردف

وقال في السلامي يهجوه:

يا بن عباد بن عباس — بن عبد الله حر ها
تنكر الجبر و أخرجت — إلى دنياك كر ها

قال أبو حيان في أخلاق الوزيرين: كان عباد يلقب الأمين، وكان دينا خيرا، مقدما في صناعة الكتابة. فقال: وكتب الأمين في ركن الدولة، كما كتب العميد لصاحب خراسان، والامين كان ينصر مذهب الأشنانى تدينا، وطلبا للزلفى عند ربه، والعميد كان يعمل لعاجلته، وإن قلت: كان الأمين معلما بقرية من قرى طالقان الديلم، قيل: وكان والده العميد نخالا في سوق الحنطة بقم، والصاحب مع شهرته بالعلوم، وآخذه من كل فن منها بالنصيب الوافر، والحظ الزائد الظاهر، وما أوتيه من الفصاحة، ووفق لحسن السياسة والرجاحة، مستغن عن الوصف، مكتف عن الأخبار عنه والرصف، مولده في ذي القعدة، سنة ست ست وعشرين وثلاثمائة.

ووزر لمؤيد الدولة، أبي منصور بويه، بن ركن الدولة، أبي علي الحسن بن بويه، وأحبه فخر الدولة، ثماني عشرة سنة، وشهرا واحدا، ومات الصاحب فيما ذكره أبو نعيم الحافظ: في الرابع والعشرين من صفر، سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. وكان أبوه عباد يكنى بالحسن، وكان من أهل العلم والفضل ايضا، سمع أبا خليفة الفضل بن الخباب، وغيره من البغدادين، والأصفهانيين، والرازيين، وصنف كتابا في أحكام القرآن،

نصر فيه الاعتزال وجود فيه. روى عنه ابنه الوزير أبو القاسم بن عباد، وابن مردويه الأصفهانى، ومات عباد في السنة التي مات فيها لأبنه، سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. وكل ما ذكرناه من خبر عباد أبي الوزير، فهو منقول من كتاب المنتظم في التاريخ، من تصنيف أبي الفرج بن الجوزي. وبين عباد وبين الحسن بن عبد الرحمن، بن حماد القاضي مكاتبات ومراسلات، مذكورة مدونة.

وكان الصاحب في بدء أمره من صغار الكتاب، يخدم أبا الفضل بن العميد عليا خاصة، فترقت به الحال، إلى أن كتب لمؤيد الدولة، بن ركن الدولة، بن بويه، أخي عضد الدولة، بن ركن الدولة الديلمي. ومؤيد الدولة حينئذ أمير، وأحسن فى خدمته، وحصل له عنده بقدم الخدمة قدم، وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة، وولى مؤيد الدولة بلاده بالرى وأصبهان، وتلك النواحى، خلع على أبى الفتح بن العميد وزير أبيه خلع الوزارة، وأجراه على ما كان فى أيام أبيه، إلى أن قتل كما ذكرناه في ترجمته، واستوزر الصاحب، واستولى على أموره، وحكمه في أمواله، و لم يزل على ذلك إلى أن آت مؤيد الدولة، وكان فخر الدولة أخو مؤيد الدولة، قد هرب من أخيه عضد الدولة، والتجأ بخراسان إلى السامانية، وهو وقابوس بن وشمكير، في أخبار يضيق كتابنا عنها، فنفذ الصاحب إليه وأحضره، وملكه البلاد، فأقر الصاحب على أمره، فأراد الصاحب اختباره، هل في نفسه عليه شئ، مما كان في أيام مؤيد الدولة؟ الذي أوجب هرب فخر الدولة، فاستعفاه من الخدمة والوزارة، فقال له فخر الدولة: لك في هذه الدولة من إرث الوزارة، كما لنا من إرث الإمارة، فسبيل كل واحد منا أن يحتفظ بحقه و لم يعفه، و لم يزل على أمره معه، إلى أن مات الصاحب، والأمور تصدر عن أمره، والملك يدبر برأيه، وكان إذا قال فخر الدولة قولا، وقال الصاحب قولا، امتثل قول الصاحب، وترك قول فخر الدولة.

وللصاحب أخبار حسان في مكارم الأخلاق، مع رقاعة كانت فيه، ووصفه الإمتاع فقال: كان الصاحب كثير المحفوظ، حاضر الجواب، فصيح اللسان قد نتف من كل أدب شيئا، وأخذ من كل فن طرفا، والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة، وكتابته مهجنة بطرائقهم، ومناظرتهم مشوبة بعبارة الكتاب، وهو شديد التعصب على أهل الحكمة، والناظرين في أجزائها، كالهندسة، والطب، والتنجيم، والموسيقى، والمنطق، والعدد، وليس له من الجزء الإلاهى خبر والقوافى، ويقول الشعر، وليس بزال، وبديهته غزارة. وأما رويته فخوارة، وطالعه الجوزاء والشعرى، فقريته منه، ويتشبع بمذهب أبي حنيفة، ومقالة الزيدية، ولايرجع إلى التأله والرقة، والرأفة والرحمة، والناس كلهم يجمعون عنه لجراءته وسلاطته واقتداره وبطشته. شديد العقاب، طفيف الثواب، طويل العتاب، بذيء اللسان، يعطى كثيرا قليلا" يعطى الكثير القليل" مغلوب بحرارة الرأس، سريع الغضب، بعيد الفيئة قريب الطيرة، حسود حقود، وحسده وقف على أهل

الفضل، وحقده سار إلى أهل الكفاية، أما الكتاب والمتصرفون فيخافون سطوته، وأما المنتجعون فيخافون جفوته. وقد قتل خلقا، وأهلك ناسا، ونفى أمة نخوة وبغيا، وتجبرا وزهوا ومع هذا يخدعه الصبي، ويخلبه الغبى. لأن المدخل عليه واسع، والمأتى إليه سهل، وذلك بأن يقال: " مولانا يتقدم بأن أعار شيئا من كلامه ورسائله، منظومة ومنثورة، فما جبت الارض إليه من فرغانة، ومصر، وتفليس، إلا لأستفيد كلامه، وأفصح به، وأتعلم به البلاغة: منه: لكأنما رسائل مولانا سور قرآن. وفقره آيات فرقان. واحتجاجه فى أثنائها برهان. فسبحان من جمع العالم في واحد.

وأبرز جميع قدرته في شخص، فيلين عند ذلك ويذوب، ويلهى عن كل مهم له، وينسى كل فريضة عليه، ويتقدم إلى الخازن، بأن يخرج إليه رسائله، مع الورق والورق، ويسهل الإذن عليه، والوصول إليه، والتمكن من مجلسه، فهذا هذا، ثم يعمل في أوقات كالعيد والفضل شعرا، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنجم، ويقول له: قد نحلتك هذه القصيدة، امدحني بها في جملة الشعراء، وكن الثالث من المنشدين، فيفعل ذلك أبو عيسى، وهو بغدادى محكك قد شاخ على الخدائع وتحنك، وينشد فيقول له عند سماعه شعره فى نفسه، ووصفه بلسانه، ومدحه من تجبيره، أعد يا أبا عيسى، فإنك والله مجيد زه يا أبا عيسى، قد صفا ذهنك، وجادت قريحتك وتنقحت قوافيك، ليس هذا من الطراز الاول حين أنشدتنا في العيد الماضي: المجالس تخرج الناس، وتهب لهم الذكاء، ويزيدهم الفطنة، وتحول الكودن عتيقا، والمحمر جوادا، ثم لايصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنية، وعطية هنية، ويغايظ الجماعة من الشعراء وغيرهم، لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لايقرض مصراعا، ولايزن بيتا، ولايذوق عروضا.

قال يوما: من في الدار؟ فقيل له: أبو القاسم الكاتب وابن ثابت، فعمل في الحال بيتين، وقال لإنسان بين يديه: إذا أذنت لهذين، فادخل بعدهما بساعة، وقل قد قلت بيتين، فإن رسمت لي إنشادهما أنشدتهما، وازعم أنك بدهت بهما، ولاتجزع من تأففي بك، ولاتفزع من تكبرى عليك، ودفع البيتين إليه، وأمره بالخروج إلى صحن الدار، وأذن للرجلين حتى وصلا، فلما جلسا وأنسا، دخل الآخر على تفيئتهما ووقف للخدمة، وأخذ يتلمظ ير أنه يقرض شعرا، ثم قال يا مولانا: قد حضرنى بيتان، فإن أذنت أنشدت، قال له: أنت إنسان أخرق سخيف، لا تقول شيئا فيه خير، اكفني أمرك وشعرك، قال يا مولانا: هي بديهتي، وإن كسرتني ظلمتني، وعلى كل حال فاسمع، فإن كانا بارعين، وإلا فعاملني بما تحب، قال: أنت لحوح، هات، فأنشد:

يا أيها الصاحب تاج العلا ... لاتجعلني نزهة الشامت

بملحد يكنى أبا قاسم ... ومجبر يعزى إلى ثابت

فقال: قاتلك الله، لقد أحسنت وأنت مسيء قال لي أبو القاسم: وكدت أتفقا غيظا، لأني علمت أنها من فعلاته المعروفة، وكان ذلك الجاهل لا يقرض بيتا، ثم حدثني الخادم الحديث يقضه والذى غلطه في نفسه، وحمله على الإعجاب بفضله، والاستبداد برأيه، أنه لم يجبه قط بتخطئة، ولا قوبل بتسوئة، لأنه نشأ على أن يقال: أصاب سيدنا، وصدق مولانا، - والله دره - ما رأينا مثله، من ابن عبد كان مضافا إليه؟ ومن ابن ثوابة نقيسه عليه؟ ومن إبراهيم بن العباس الصولى؟ من صريع الغواني؟ من أشجع السلمي؟ إذا سلكا طريقهما، قد استدرك مولانا على الخليل في العروض، وعلي أبى عمرو بن العلاء في اللغة، وعلي أبى يوسف في القضاء، وعلي الإسكافي في الوازنة، وعلي ابن نوبخت في الآراء والديانات، وعلي ابن مجاهد في القراءات، وعلي ابن جرير فى التفسير، وعلي أرسططاليس في المنطق، وعلي الكندى في الجدل، وعلي ابن سيرين في العبارة، وعلي أبى العيناء في البديهة، وعلي ابن أبى خالد في الخط، وعلي الجاحظ في الحيوان، وعلي سهل بن هارون في الفقر، وعلي يوحنا في الطب، وعلي ابن يزيد فى الفردوس، وعلي عيسى بن كعب في الرواية، وعلي الواقدى في الحفظ، وعلي النجار فى البدل، وعلي بنى ثوابة في التقنية، وعلي السري السقطي في الخطرات والوساوس، وعلى مزيد في النوادر، وعلى أبى الحسن العروضي في استخراج المعمي، وعلى بنى برمك في الجود، وعلى ذي الرياستين في التدبير، وعلى سطيح في الكهانة، وعلى أبى المحياة خالد بن سنان في دعواه، هو والله أولى بقول أبي شريح، أوس بن حجر التميمى، في فضالة بن كلدة أبى دليجة:

الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

فتراه عند هذا الهذر وأشباهه، بتلوى ويبتسم، ويطير فرحا به وينقسم، ويقول: ولا كذى ثمرة السبق لهم، وقصدنا أن نلحقهم، أو نقفوا أثرهم، وهو في ذلك يتشاجى ويتحايك، ويلوى شدقه، ويبتلع ريقه، ويرد كالآخذ، ويأخذ كالمتمنع، ويغضب في عرض الرضا، ويرضى في لبوس الغضب، ويتهالك ويتمالك، ويتفاتك ويتمايل، ويحاكي الموسات، ويخرج في أصحاب السماجات، وهو مع هذا، يظن أنه خاف على نقاد الأخلاق، وجهابذة الإخوان. وقد أفسده أيضا ثقة صاحبه به، وتعويله عليه، وقلة سماعه من الناصح فيه، "وهو في الأصل محدود لاجرم بقلة مكان، دلالا ونزقا وعجبا، واندراء على الناس، وازدراء للصغار والكبار، وجبها للصادر والوارد، وفى الجملة: آفاته كثيرة، وذنوبه جمة، ولكن الغنى رب غفور:

ذريني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير

ويقضيه الندى وتزدريه خليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ولكن الغني رب غفور

قال: فكيف يتم له الأمور مع هذه الصفات؟ قلت: والله لو أن عجوزا بلهاء، أو أمة ورهاء، أقيمت مقامه، لكانت الأمور على هذا السياج، لأنه قد أمن أن يقال له: لم فعلت؟ و لم لم تفعل؟ وهذا باب لايتفق لأحد من خدم الملوك، إلا بجد سعيد، ولقد نصح صاحبه الهروي في أموال تاويه، وأمور من النظر جارية رفعت إليه، فقذف بالرقعة إليه، حتى عرف ما فيها، ثم قتل الرافع خنقا، هذا وهو يدين بالوعيد.
وقال لي الثقة من أصحابه: ربما شرع في أمر يحكم فيه بالخطاء، فيقلبه جده صوابا، حتى كأنه عن وحي، وأسرار الله فى خلقه عند الارتفاع والانحطاط خفية، ولو جرت الأمور على موضوع الرأي، وقضية العقل، لكان معلما على مصطبة في شارع، أو في دار فإنه يحرج الإنسان بتفيهقه وتشادقه، واستحقاره واستكباره، وإعادته وإبدائه، وهذه أشكال تعجب الصبيان، ولا تنفرهم عن المعلمين، ويكون فرحهم به سببا للملازمة، والحرص على التعلم، والحفظ والرواية والدراسة.

هذا قول صاحب الإمتاع فيه، ومما وجدت في بعض الكتب من مكارم الأخلاق للصاحب: أنه استدعى يوما شرابا من شراب السكر، فجيء بقدم منه، فلما أراد شربه، قال له بعض خواصه: لا تشربه فإنه مسموم، فقال له: وما الشاهد على صحة ذلك؟ قال: بأن تجربه على من أعطاكه، قال: لا أستجيز ذلك ولا أستحله. قال: فجربه على دجاجة. قال: إن التمثيل بالحيوان لا يجوز، وأمر بصب ما في القدح، وقال للغلام: انصرف عنى، ولا تدخل دارى بعدها، وأقر رزقه عليه، وقال: لا تدفع اليقين بالشك. والعقوبة بقطع الرزق نذالة.
قال: ودخل إلى الصاحب رجل لا يعرفه، فقال له الصاحب: أبو من؟ فأنشد الرجل:

وتتفق الأسماء فى اللفظ والكنى كثيرا ولكن لا تلاقي الخلائق

فقال له: اجلس يأبا القاسم. وكان يقول لجلسائه: نحن بالنهار سلطان، وبالليل إخوان.
وحدث أبو الحسن النحوي قال: كان مكى المنشد، قديم الصحبة، فأساء إليه غير مرة: والصاحب يتجاوز له، فلما كثر ذلك منه، أمر الصاحب بحبسه، فحبس في دار الضرب، وكانت فى جواره، فاتفق أن الصاحب صعد يوما سطح داره، وأشرف على دار الضرب، فناداه مكى:" فاطلع فرآه فى سواء الجحيم" فضحك الصاحب وقال:"اخسئوا فيها ولاتكلمون " ثم أمر بإطلاقه.

ومن كتاب أخلاق الوزيرين لأبى حيان التوحيدى، قال المؤلف: أما خبر أبي حيان مع ابن عباد: فيذكر فى أخبار أبي حيان، وأما غيره: فإن أبا حيان، كان قصد ابن عباد إلى الري، فلم يرزق منه، فرجع عنه ذاما له، وكان أبو حيان مجبولا على الغرام بثلب الكرام، فاجتهد في الغض من ابن عباد، وكانت فضائل ابن عباد تأبى إلا أن تسوقه إلى المدح، وإيضاح مكارمه، فصار ذمه له مدحا، فمن ذلك أن قال، بعد أن فرغ من الاعتذار من التصدى لثلبه، قال: فأول ما أذكر من ذلك، ما أدل به على سعة كلامه، وفصاحة لسانه، وقوة جأشه، وشدة منته وإن كان فى فحواه ما يدل على رقاعته، وانتكاث مريرته، وضعف حوله، وركاكة عقله، وانحلال عقده، لما رجع من همذان سنة تسع وستين وثلاثمائة، بعد أن فارق حضرة عضد الدولة، استقبله من الري وما يليها، واجتمعوا بساوة، وكان قد أعد لكل واحد منهم كلاما يلقاه به عند رؤيته، فأول من دنا منه، القاضي أبو الحسن الهمذاني، من قرية يقال لها أسداباذ فقال له: أيها القاضى، ما فارقتك شوقا إليك، ولا فارقتني وجدا علي، ولقد مرت لي بعدك مجالس تقتضيك، وتخطيك وترضيك، ولو شهدتني بين أهلها، وقد علوتهم بتبياني ولساني، وجدلي وبرهاني، لأنشدت قول حسان بن ثابت في ابن عباس وهو:

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه ... رأيت له في كل مجمعة فضلا
إذا قال لم يترك مقالا لقائل ... بملتقطات لاترى بينها فصلا
كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع ... لذي إربة في القول جدا ولا هزلا
سموت إلى العلياء من غير خفة ... فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلا

ولذكرت أيضا أيها القاضي قول الآخروأنشدته فإنه قال فيمن وقف موقفي، وقرف مقرفي وتصرف تصرفي، وانصرف منصرفي، واغترف مغترفي

إذا قال لم يترك مقالا ولم يقف ... لعي ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان إذا انتحى ... وينظر في أعطافه نظر الصقر

ولقد أودعت صدر عضد الدولة، ما يطيل التفافه إلى، ويكثر حسرته على، ولقد رأى مني ما لم ير قبله مثله، ولايرى بعده شكله، والحمد لله أوفدني عليه على ما يسر الولي، وأصدرني عنه على ما يسوء العدو، أيها القاضى: كيف الحال والنفس؟ وكيف المجلس والدرس؟ وكيف العرض والحرس وكيف الدس والعس؟ وكيف الفرس والمرس، وكاد لا يخرج من هذا الهذيان لتهيجه واحتدامه، وشدة خباله وغلوائه، والهمذانى مثل الفأرة بين يدي السنور، وقد تضاءل وقمؤ لا يصعد له نفس إلا بترع تذللا وتقللا، هذا على كبره فى نفسه.

ثم نظر إلى الزعفرانى رئيس أصحاب الرأى فقال: أيها الشيخ، سرنى بقاؤك، وساءنى عناؤك، ولقد بلغنى عدواؤك، وما خيله إليك خيلاؤك، وأرجو ألا أعيش حتى يرد عليك غلواؤك، ماكان عندى أنك تقدم على ما أقدمت عليه، وتنتهى في عدوانك لأهل العدل والتوحيد إلى ما انتهت إليه، ولى معك إن شاء الله نهار له ليل، وليل يتبعه ليل، وثبور يتصل به ويل، وقطر يدفع ومعه سيل. "وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار" فقال له الزعفرانى: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، ثم أبصر أبا طاهر الحنفى، فقال: أيها الشيخ، ما أدرى، أشكوك، أم أشكو إليك، أما شكواى منك، فإنك لم تكاتبنى بحرف، كأنما لم نتلاحظ بطرف، و لم نتحافظ على إلف، و لم نتلاق على ظرف، وأما شكواى إليك، فإنى ذممت الناس بعدك، وذكرت لهم عهدك، وعرضت بينهم ودك، وقدحت عليهم زندك، ونشرت عليهم غرائب ما عندك، فاشتاقوا إليك بتشويقي، واستصفوك بترويقي، وأثنوا بتنميقي وتزويقي، وهكذا عمل الأحباب، إذا نأت بهم الركاب، والتوت دونهم الأعناق واظطربت في صدورهم نار الاشتياق، فالحمد لله الذى أعاد الشعب ملتئما، والشمل منتظما، والقلوب وادعة، والأهواء جامعة، حمدا بالمزيد، على عادة السادة مع العبيد، عند كل قريب وبعيد.

ثم التفت إلى ابن القطان القزويني الحنفي، وكان من ظرفاء العلماء، فقال: كذب أيها الشيخ: أحلم بك فى اليقظة، وأشتمل عليك دون الحفظة، لأنك قد ملكت مني غاية المكانة والحظة، والله ما أسغت بعدك ريقا إلا على جرض ولا سلكت دونك طريقا إلا على مضض، ولا وجدت للظرف سوقا إلا بالعرض. سقى الله ربعا أنت أشدته بتراهتك، وطبعا أنت أطبته ببراعتك، ومغرسا أنت أينعته بنباهتك.

وقال للعيساباذي: أيها القاضي، أيسرك أن أشتاقك وتسلو عني، وأن أسأل عنك وتنسل مني، وأن أكاتبك فتتغافل، وأطالبك بالجواب فتتكاسل، وهذا ما لا أحتمله من صاحب خراسان، ولا يطمع فى مثله مني ملك بني ساسان، متى كنت منديلا ليد، ومتى نزلت على هذا الحد لأحد، إن انكفأت على بالعذر انكفاء، وإلا اندرأت عليك بالعذل اندراء، ثم لا يكون لك فرار بحال، ولا يبقى لك بمكانى استكبار، إلا على وبال وخيال، ثم طلع أبو طالب العلوي فقال: أيها الشريف، جعلت حسناتك عندي سيئات، ثم أضفت إليها هنات، و لم تفكر في ماض ولا آت، أضعت العهد، وأخلفت الوعد، وحققت النحس، وأبطلت السعد، وحلت سرابا للحيران، بعد ما كنت شرابا للحران، وظننت أنك قد شبعت مني واعتضت عني، هيهات وأنى بمثلي، أو من يعثر في ذبلي، أو له نهار كنهاري. أو ليل كليلي:

وهل عائض مني وإن جل عائض أنا واحد هذا العالم، وأنت بما تسمع عالم، لا إله إلا الله، سبحان الله . أيها الشريف، أين الحق الذي وكدناه أيام كادت الشمس تزول، والزمان علينا يصول، وأنا أقول،

وأنت تقول والحال بيننا يحول، - سقى الله - ليلة تشبيعك وتوديعك، وأنت متنكر تنكرا يسوء الموالى، وأنا متفكر تفكرا يسوء العدو، ونحن متوجهون إلى ورامين، خوفا من ذلك الجاهل المهين، يعني بالجاهل المهين ذا الكفايتين، حين أخرجه من الري، بعد أن ألب عليه، وكاد أن يأتي على نفسه الخبيثة، وهو حديث له فرش، وما أنا بصدده، يمنع من اقتضائه، ولعله يأتى فيما بعد".

ثم نظر إلى أبي محمد كاتب الشروط فقال: أيها الشيخ، الحمد لله الذى كفانا شرك، ووقانا عرك وضرك، وأنآنا فيحك وحرك، دببت الضر إلينا، ومشيت الجمر علينا، ونحن نحيس لك الحيس، وأنت في خلال ذلك تقابلنا بالويح والويس، لو لا أنك قرحان، لسقط بك العشاء على سرحان.

وقال لابن أبي خراسان الفقيه الشافعي: أيها الشيخ، ألغيت ذكرنا عن لسانك، واستمررت على الخلوة بإنسانك، جاريا على نسيانك، مشتهرا بفتيانك وافتتانك، غير عاطف على أخدانك وإخوانك، لو لا أنني أرعى قديما قد أضعته، وأعطيك من رعايتي ما قد منعته، لكان لي ولك حديث، إما طيب وإما خبيث، خلفتك محتسبا، فخلفت مكتسبا، وتركتك آمرا بالمعروف، فلحقتك راكبا للمنكر، قد تفيل الرأى، وتخيب الظن، وتكذب الأمل. وقد قال الأول:

ألا رب من تغتشه لك ناصح ومؤتمن بالغيب وهو ظنين

ثم نظر إلى الشادباشى فقال: يا أبا على، كيف أنت؟ وكيف كنت؟ فقال يا مولانا:

لاكنت إن كنت أدري كيف كنت ولا لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن

فقال: أعرب يا ساقط، يا هابط، يا من تذهب إلى الحائط بالغائط، ليس هذا من تحت يدك، ولا هو مما نشأ من عندك، هذا لمحمد بن عبد الله بن طاهر، وأوله:

كتبت تسأل عني كيف كنت يوما لاقيت بعدك من هم ومن حزن
لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا لا كنت إن كنت أدرى كيف لم أكن

وكان ينشد وهو يلوى رقبته وتجحظ حدمته، ويترى أطراف منكبيه، ويتشفا ويتمايل كأنه لدى يتخبطه الشيطان من المس ثم قال يا أبا علي: لا تعود على أبر فى سراويل، لا ابر إلا ابر تمضي تحت عنقك فإنك إن عولت على ذلك شانك وخانك، وفضح حالك ومانك.

ثم نظر إلى غلام قد بقل وجهه، كان يتهم به على الوجه الأقبح، فالتوى وتقلقل، وقال: ادن منى يا بني، كيف كنت؟ و لم حملت نفسك على هذا العناء، وجهك هذا الحسن لايتبذل للشحوب، ولا يعرض للفحات الشمس بين الطلوع إلى الغروب. أنت تحب أن تكون بدلة بين حجلة وكلة. تزاح بك العلة، وتغلى بك القلة وتشفى منك الغلة هذا آخر حديث الاستقبال.

قال أبو حيان: ودخل يوما دار الإمارة، الفيرزان المجوسي في شيء خاطبه به فقال له: إنما أنت محش مجش مخش، لا تهش ولا تبش ولا تمتش، فقال الفيرزان: أيها الصاحب، برئت من النارإن كنت أدرى ما تقول، فإن العرض لك. والنفس لك فداء، لست من الزنج ولا من البربر، كلمنا على العادة التي عليها العمل، والله ما هذا من لغة آبائك الفرس، ولا من أهل دينك من أهل السواد، وقد خالطنا الناس، وما سمعنا منهم هذا النمط فقام مغضبا.

قال: وكان ابن عباد يقول للإنسان إذا قدم عليه من أهل العلم: يا أخي تكلم واستأنس، واقترح وانبسط، ولاتدع واحسبني في جوف مربعة، ولا بروعك هذا الحشم والخدم، والغاشية وهذه المرتبة والمصطبة، وهذا الطاق والرواق، وهذه المجالس والطنافس، فإن سلطان العلم فوق سلطان الولاية، فليفرج روعك، ولينعم بالك، وقل ما شئت، وأبصر ما أردت، فلست تجد عندنا إلا الإنصاف والإسعاف، والإسعاف، والإتحاف والإطراف، والمواهبة والمقاربة، والمؤانسة والمقابسة، وقد كان يحفظ ما كان يهذي به في هذا وفي غيره، ويجزي في هذا الميدان فيطيل، حتى إذا استوفى ما عند ذلك الإنسان بهذه الزخارف والحيل، وصار الرجل معه في حدوده على مذهب الثقة، فحاجه وضايقه وسابقه، ووضع يده على النكتة الفاصلة، والأمر القاط تنمر له، وتغير عليه، ثم قال يا غلام: خذ بيد هذا الكلب إلى الحبس، وضعه فيه، بعد أن تصب على كاهله وظهره وجنبيه، خمسمائة سوط وعصا، فإنه معاند ضد، يحتاج أن يشد بالقد ساقط هابط، كلب وقاح، أعجبه صبرى، وغره حلمى، ولقد أخلف ظنى، وعدت على نفسى باللائمة وبالتوبيخ، وما خلق الله العصا باطلا. فيقام ذلك البائس على هذه الحالة، وليس الخبر كالعيان، من لم يحضر ذلك المجلس، لم ير منظرا رفيعا، ورجلا رقيعا. قال: وكان أبو الفضل بن العميد إذا رآه قال: أحسب أن عينيه ركبتا من زئبق، وعنقه عمل بلولب، وصدق، فإنه كان ظريف التثني والتلوي، شديد التفكك والتفتل، كثير التعوج والتموج، في شكل المرأة المومسة، والفاجرة الماجنة.

قال وحدثني الجراباذى الكاتب أبو بكر، وكان كاتب داره، قال: يبلغ من سخنة عين صاحبنا، أنه لا يسكت عما لا يعرف، ولا يسالم نفسه فيما لا يفي به، وإن احتال وموه، جاز ذلك وخفى واستتر، ولا يعلم أن ذلك الإحتيال، طريق إلى الإغراء بمعرفة الحال، وصدق القائل: "كاد المريب يقول خذوني".

قلت: وما الذي حداك على هذه المقدمة؟ قال: قال لي فى بعض هذه الأيام، أرفع حسابك، فقد أخرته وقصرت فيه، وانتهزت سكوتى وشغلى بأمر الملك، وسياسة الأولياء والجند، والرعايا والمدن، وما على من أعباء الدولة، وحفظ البيضة، ومشارفة الأطراف النائية والدانية، باللسان والعلم، والرأى والتدبير، والبسط والقبض، والتتبع والتقصى وما على قلبى من الفكر في الأموال الظاهرة والغامضة، وهذا باب لعمري مطمع، وإمساكى عنه مغر بالفساد مولع، فبادر – عافاك الله – إلى عمل حساب بتفصيل باب

باب، يبين فيه أمر داري، وما دخل عليه أمر دخلي وخرجي. قلت له: هذا كله لسبب قوله: هات حسابك بما نراعيه؟ فقال: إي والله، ولقد كان أكثر من هذا، ولقد اختصرته.

قال أبو بكر: فتفردت أياما، وحررت الحساب على قاعدته وأصله، والرسم الذى هو معروف بين أهله، وحملته إليه، فأخذه من يدي، وأمر عينيه فيه، من غير تثبيت أو فحص، أو مسألة، فحذف به إلى وقال: أهذا حساب؟ أهذا كتاب؟ أهذا تحرير؟ أهذا تقرير؟ أهذا تفصيل؟ أهذا تحصيل؟ والله لولا أنى ربيتك فى دارى، وشغلت بتخريجك ليلى ونهارى، ولك حرمه الصبا، ويلزمنى رعاية الأبا، لأطعمتك هذا الطومار، وأحرقتك بالنفط والقار، وأدبت بك كل كاتب، وحاسب، وجعلتك مثله لكل شاهد وغائب، أمثلى يموه عليه؟ ويطمع فيما لديه؟ وأنا خلقت الحسابة والكتابة، والله ما أنام ليلة، إلا وأحصل فى نفسى ارتفاع العراق، ودخل الآفاق، أغرك منى أنى أجررت رسنك، وأخفيت قبيحك، وأبديت حسنك؟ غير الذى رفعت، واعرف قبل وبعد ما صنعت، واعلم أنك من الآجرة قد رجعت، فزد فى صلانك وصدقتك، ولا تعول على قحتك وصلابة حدقتك، قال: فو الله ما هالنى كلامه، ولا أحاك في هذيانه، لأني كنت أعلم جهله في الحساب، ونقضه في هذا الباب، فذهبت وأفسدت، وأخرت وقدمت، وكابرت وتعمدت، ثم رددته غليه، فنظر فيه، وضحك في وجهي وقال: أحسنت – بارك الله عليك –، هكذا أردت، وهذا بعينه ما طلبت، لو تغافلت عنك في أول الأمر، لما تيقظت في الثاني، فهذا كما ترى، فاعجب منه كيف شئت.

قال أبو حيان: ومن رقاعته أيضا، سمعته يقول: وقد جرى حديث الأبهري المتكلم، وكان يكنى أبا سعيد، فقال: – لعن الله – ذاك الملعون المأبون المأفون، جاءني بوجه مكلح، وأنف مفلطح، ورأس مسح، وسرم مفتح، ولسان مكبح، فكلمني في مسألة الأصلح، فقلت له: اعزب، عليك لعنة الله لقيت الأبرح، الذي يلزم ولا يبرح.

وشتم يوما رجلا فقال – لعن الله – هذا الأهوج الأعوج الأفلج الأفحج الذى إذا قام تخلج، وإذا مشى تدحرج، وإن عدا تفجفج قال أبو حيان: بالله يا أصحابنا حدثونى، أهذا عقل رئيس، أم بلاغة كاتب أم كلام متماسك، لم تجنون به، وتتهالكون عليه، وتغيظون أهل الفضل به؟؟؟ هل هناك إلا الجد الذى يرفع من هو أنذل منه، ويوقع من هو أرفع منه. ولقد حدثت هذا الحديث أبا السلم الشاعر، فأنشدني لشاعر:

سبحان من أنزل الدنيا منازلها — وميز الناس مشنوءا ومموموقا

فعاقل فطن أعيت مذاهبه — وجاهل خرق تلقاه مرزوقا

كأنه من خليج البحر مغترف ولم يكن بارتزاق القوت محقوقا

هذا الذى ترك الألباب حائرة وصير العاقل النحرير زنديقا

قال: وكان كلفه بالسجع في الكلام والقول، عند الجد والهزل، يزيد على كلف كل من رأيناه في هذه البلاد. قلت لابن المسيبى: أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع؟ قال: يبلغ به ذلك، لو أنه رأى سجعة ينحل بموقعها عروة الملك، ويضطرب بها حبل الدولة، ويحتاج من أجلها إلى غرام ثقيل، وكلفة صعبة، وتجشم أمور، وركوب أهوال، لما كان يخف عليه أن يفرج عنها ويخليها، بل يأتى بها ويستعملها، ولا يعبأ بجميع ما وصفت من عاقبتها.

قال: وقلت للخليلي، أما كان ابن العميد يسمع كلامه؟ قال: بلى، وكان يقول: سجعه يدل على الخلاعة والمجانة. وخطه يدل على الشلل والزمانة وصياحه يدل على أنه قد خلب بالقمار فى الحانة، وهو أحمق الطبع إلا أنه طيب قلت للخليلي: فهل عرفت طالعه؟ فقال: حدثني بعض أصحابنا منهم الهروي، أن طالعه الجوزراء والشعري اليمانية"كط" وكان زحل في الحادى عشر في الحمل"كز" والقمر فيه"يط" والشمس فى السنبلة"كد" والمريخ فى العقرب"ن" ومنهم السعادة فى القوس"يد" ومنهم الغيب فى الجدى"يز"والرأس فى الثالث من الأسد"يا" قال: وخفى على عطارد وذكر أنه ولد سنة ست وعشرين وثلاثمائة، من الهجرة لأربع عشرة ليلة من ذى العقدة، "رونسروش " من "ماه شهرير" قلت: وأين ولد؟ قال: كان عندنا أنه ولد بطالقان، وقال لنا يوما باصطخر: وقال غير الخليلى: كان عطارد فى السنبلة"ط ى".

قال أبو حيان: كنت بالرى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وابن عباد بها مع مؤيد الدولة، قد ورد فى مهمات وحوائج، وعقد لابن عباد مجلس جدل، وكنا نبيت عنده في داره، في باب شير، ومعنا الضرير أبو العباس القاضى، وأبو الجوزاء البرقي، وأبو عبد الله النحوي الزعفراني، وجماعة من الغرباء، فرأى ليلة في مجلسه وجها غريبا صاحب مرقعة، فأحب أن يعرفه ويعرف ما عنده، وكان الشاب من أهل سمرقند، يعرف بأبى واقد الكرابيسي، فقال له: يا أخ انبسط واستأنس، وتكلم فلك منا جانب وطئ وشرب مرئ، ولن ترى إلا البر، بم تعرف فقال: بدقاق، قال: تدق ماذا؟ قال: أدق الخصم إذا زاغ عن سبيل الحق، فلما سمع هذا تنكر وعجب، لأنه فجئ ببذيئة، فقال: دع هذا وتكلم، قال: أتكلم سائلا؟ ما بى والله حاجة إلى مسألة، أم أتكلم مسئولا؟ فو الله إنى لأكسل عن الجواب، أم أتكلم مقررا؟ فو الله إنى لأكره أن أبدد الدر في غير موضعه، وإني لكما قال الأول:

لقد عجمتنى العاجمات فلم تجد هلوعا و لا لين المجسة في العجم
وكاشفت أقواما فأبديت وصمهم وما للأعادي في قناتى من وصم

قال له يا هذا: ما مذهبك؟ قال: مذهبي ألا أقر على الضيم، ولا أنام على الهون، ولا أعطى صمتى لمن لم يكن ولى نعمتي، و لم تصل عصمته بعصمتي. قال: هذا مذهب حسن، ومن ذا الذى يأتى الضيم طائعا؟ ويركب الهون سامعا؟ ولكن ما نحلتك التى تنصرها؟ قال: أنادى عليها فى سوق، ولا أعرضها على شاك ولا أجادل فيها المؤمن، قال: فما تقول في القرآن؟ قال: ما أقول في كلام رب العالمين، الذى يعجز عنه الخلق، إذا أرادوا الاطلاع على غيبته، وبحثوا عن خافي سره، وعجائب حكمته، فكيف إذا حاولوا مقابلته بمثله!! وليس له مثل مظنون، فضلا عن مثل متيقن، فقال له ابن عباد: صدقت، ولكن أمخلوق أم غير مخلوق؟ فقال: إن كان مخلوقا كما يزعم خصمك، فما يضرك، فقال يا هذا: أبهذا تناظر فى دين الله؟ وتقوم على عبادة الله؟ قال: إن كان كلام الله نفعنى إيماني به، وعملي بمحكمه، وتسليمي لمتشابهه، وإن كان كلام غيره وحاش لله من ذلك، ما ضرني فأمسك عنه ابن عباد وهو مغيظ، ثم قال: أنت لم تخرج من خراسان بعد، فمكث الرجل ساعة ثم نهض، فقال له ابن عباد: إلى أين يا هذا؟ قد تكسر الليل، بت ههنا، فقال: " أنا بعد لم أخرج من خراسان" كيف أبيت بالرى، وخرج فارتاب به ابن عباد، فقفاه بصاحب له، وأوصاه بأن يتبع خطاه، ويبلغ مداه، من حيث لا يفطن له ولا يراه، فما زاغ الرجل عن باب ركن الدولة، حتى وصل ودخل فى ذلك الوقت الفائت إليه، فقيل لابن عباد ذلك، فطار نومه وقال: أى شيطان هبط علينا، وأحصى ما كنا فيه بلسان سليط، وطبع مريد، وكان هذا الكرابيسي عينا لركن الدولة بخراسان، فلذلك كان قريبا، وكان أحد رجالاته.

ومما يدل على ولوع ابن عباد بالسجع، ومجاوزته الحد فيه بالإفراط، قوله يوما: " حدثنى أن ناش. وكان من سادة الناش" جعل السين شينا، ومر في هذا الحديث وقال: هذه لغة، وكذب وكان كذوبا.

وقال ابن عباد لشيخ من خراسان فى شئ جرى: والله لولا شئ لقطعتك تقطيعا، وبضعتك تبضيعا، ووزعتك توزيعا، ومزعتك تمزيعا، وجزعتك تجزيعا، وأدخلتك فى خزائنك، ثم وقف ساعة، ثم قال جميعا، قال: وملح هذه الحكاية ينبتر في الكتابة، وطربها ينقض في الرواية دون مشاهدة الحال، وسماع اللفظ، وملاحة الشكل، والتثني، والترنح والتهادي، ومد اليد، ولي العنق، وهز الرأس والأكتاف، واستعمال الأعضاء والمفاصل.

قال: وحدثنا ابن عباد يوما قال: ما أفظعني إلا شاب ورد علينا إلى أصبهان بغدادي، فقصدني فأذنت له، وكان عليه مرقعة وفي رجليه نعل طاق، فنظرت إلى حاجبى، فقال له وهو يصعد إلي: اخلع نعلك، فقال:

و لم؟ ولعلي أحتاج إليها بعد ساعة، فغلبني الضحك، وقلت: أتراه يريد أن يصفعني؟.

قال أبو حيان: وقال لى علي بن الحسن الكاتب: هجرني في بعض الأيام هجرا أضر بي، وكشف مستور حالي وذهب على أمرى، و لم أهتد إلى وجه حيلة فى مصلحتي، وورد المهرجان، فدخلت عليه في غمار الناس، فلما أنشد نوبتين تقدمت فلم يهش لي، و لم ينظر إلى، وكنت ضمنت أبياتي بيتا له من قصيدة على روى قصيدتى، فلما مر به البيت، هب من كسله، ونظر إلى كالمنكر على، فطأطأت رأسى، وقلت بصوت خفيض، لا تلم ولا تزد فى القرحة، فما على محمل، وإنما سرقت هذا من قافيتك، لأزين به قافيتى، وأنت بحمد الله تجود بكل علق ثمين، وتهب كل در مكنون، أتراك تشاحني على هذا القدر، وتفضحني فى هذا المشهد، فرفع رأسه وصوته وقال: يابني أعد هذا البيت، فأعدته، فقال: أحسنت يا هذا، ارجع إلى أول قصيدتك، فقد سهونا عنك، وطار الفكر بنا إلى شأن آخر، والدنيا مشغلة، وصار ذلك ظلما بغير قصد منا ولا تعمد: قال: فأعدتها وأمررتها، وفغرت فمي بقوافيها، فلما بلغت آخرها قال: أحسنت، الزم هذا الفن، فإنه حسن الديباجة، وكأن البحتري استخلفك، وأكثر بحضرتنا، وارتفع بخدمتنا، وابذل نفسك في طاعتنا، نكن من وراء مصالحك، بأداء حقك، والجذب بضبعك، والزيادة في قدرك على أقرانك.

قال: فلم أر بعد ذلك إلا الخير، حتى عراه نوك آخر، فوضعني في الحبس سنة، وجمع كتبي وأحرقها بالنار، وفيها كتب الفراء، والكسائي، ومصاحف القرآن، وأصول كثيرة في الفقه والكلام، فلم يميزها من كتب الأوائل، وأمر بطرح فيها من غير تثبيت، بل لفرط جهله، وشدة نزقه، فهلا طرح النار فى خزانته، وفيها كتب ابن الراوندى، وكلام ابن أبى العرجاء في معارضة القرآن بزعمه، وصالح بن عبد القدوس أبي سعيد الحصيري، وكتب أرسطاليس، وغير ذلك، ولكن من شاء حمق نفسه.

قال أبو حيان: وحدثني محمد بن المرزباني قال: كنا بين يديه ليلة فنعس، وأخذ إنسان يقرأ الصافات، فاتفق أن بعض هؤلاء الأجلاف من أهل ما وراء النهر، نعس أيضا، وضرط ضرطة منكرة، فانتبه وقال: يا أصحابنا، نمنا على والصافات، وانتهينا على والمراسلات، وهذا من نوادره وملحه.

وحدثنى أيضا قال: انفلتت ليلة أخرى ضرطة من بعض الحاضرين وهو في الجدل، فقال على حدته: كانت بيعة أبي بكر، خذوا فيما أنتم فيه، يعنى فلتة، لأنه قيل في بيعة أبي بكر: كانت فلتة.

قال: وقال قوم من أهل أصبهان لابن عباد، لو كان القرآن مخلوقا لجاز أن يموت، ولو مات القرآن فى آخر شعبان، بماذا كنا نصلي التراويح في رمضان؟ قال: لو مات القرآن، كان رمضان يموت أيضا، ويقول: لا حياة لي بعدك، ولانصلي التراويح ونستريح.

قال أبو حيان: واسمع ما هو أعجب من هذا، ناظر بالري اليهودي رأس الجالوت في إعجاز القرآن، فراجعه اليهودي فيه طويلا، وماتنه قليلا، وتنكر عليه حتى احتد، وكاد يتقد، فلما علم أنه قد سجر تنوره، وأسعط أنفه، احتال طلبا لمخادعته، ورفقا به في مخاتلته، فقال أيها الصاحب: فلم تتقد وتستشيط؟ وتلتهب وتختلط؟ كيف يكون القرآن عندى آية، ودلالة ومعجزة، من جهة نظمه وتأليفه؟ فإن كان النظم والتأليف بديعين، وكان البلغاء فيما تدعى عنه عاجزين، وله مذعنين، فهأنا أصدق عن نفسه، وأقول ما عندي: إن رسائلك وكلامك، وفقرك وماتؤلفه، وتباده به نظما ونثرا، هو فوق ذلك، أو مثل ذلك، وقريب منه، وعلى كل حال، فليس يظهر لى أنه دونه، وأن ذلك سيستعلى عليه بوجه من وجوه الكلام، أو بمرتبة من مراتب البلاغة، فلما سمع ابن عباد هذا فتر وخمد، وسكن عن حركته، وانخمص ورمه به، وقال: ولا هكذا ياشيخ: كلامنا حسن وبليغ، وقد أخذ من الجزالة حظا وافرا، ومن البيان نصيبا ظاهرا، ولكن القرآن له المزية التى لا تجهل، والشرف الذى لا يخمل، وأين ما خلقه الله على أتم حسن وبهاء، مما يخلقه العبد بطلب وتكلف، هذا كله يقوله، وقد خبا حميه، وتراجع مزاجه، وصارت ناره رمادا، مع إعجاب شديد قد شاع فى أعطافه، وفرح غالب قد دب فى أسارير وجهه، لأنه رأى كلامه شبيها بالقرآن، لدى اليهود وأهل الملل.

وقال بعض الشعراء فى ابن عباد يذم سجعه، وخطه وعقله:

متقلب كافى الكفاة وإنما	هو في الحقيقة كافر الكفار
السجع سجع مهوس والخط خطط	منقرس والعقل عقل حمار

وكان ذو الكفايتين ابن العميد يقول: خرج ابن عباد من عندنا من الرى، متوجها إلى أصفهان، ومنزله ورامين، وهى قرية كالمدينة، فجاوزها إلى قرية غامرة وماء ملح، لا لشيء إلا لكتب إلينا"كتابي هذا من النوبهار، يوم السبت نصف النهار".

قال أبو حيان: وكان ابن عباد يروى لأبي الفضل بن العميد كلاما في رقعة إليه، حين استكتبه لمؤيد الدولة، وهو: "بسم الله الرحمن الرحيم" مولاي: وإن كان سيدا بهرتنا نفاسته، وابن صاحب تقدمت علينا رياسته. فإنه يعدنى سيدا ووالدا،. كما أعده ولدا واحدا. ومن حق ذلك، أن يعضد رأيي برأيه، ليزداد استحكاما، ونتظاهر عقدا وإبراما.

وحضرت اليوم مجلس مولانا ركن الدين، ففاوضني ما جرى بينه وبين مولاى طويلا، ووصل به كلاما بسيطا، وأطلعنى على أن مولاى، لا يزيد بعد الاستقصاء والاستيفاء، على التقصي والاستعفاء، وألزم

عبده أن أكره مولاي إكراها في المسألة، وأجبره إجبارا في الطلبة، علما بأنه إن دافع المجلس المعمور طلبا للتحرز، لم يرد وساطتي أخذا بالتطول، وأقول بعد أن أقدم مقدمة: مولاي غني عن هذا العمل بتصونه، وتصلفه وعزوفه، وبهمته عن التكثر بالمال وتحصيله، لكن العمل فقير إلى كفايته، محتاج إلى كفالته، وما أقول: إن مرادي ما يعقد من حساب، وينشأ من كتاب، ويستظهر به من جمع، وبذر ومن عطاء ومنع، فكل ذلك وإن كان مقصودا، وفى آلات الوزارة معدودا، ففى كتاب مولاي من يفي به ويستوفيه، ويوفي عليه ما يسر مساعيه، ولكن ولي النعمة يريده لتهذيب ولده، ومن هو ولي عهده من بعده، والمأمول ليومه وغده، – أدام الله أيامه – وبلغه فيه مرامه، ولا بد وإن كان الجوهر كريما، والسنخ قديما. والمجد صميما، ومركب العقل سليما، من ينوب مناب من تعلم ما السياسة؟ وما الرياسة؟ وكيف تدبير العامة والخاصة؟ وبماذا تعقد المهابة؟ ومن أين تجلب الأصالة والإصابة؟ وكيف ترتب المراتب، ويعالج الخطب إذا ضاقت المذاهب؟ وتعصى الشهوة لتحرس الحشمة، وتهجر اللذة لتحفظ الإمرة، ولا بد من محتشم يقوم في وجه صاحبه، فيرده إذا بدر منه الرأى المنقلب. ويراجعه إذا جمع به اللجاج المرتكب. ويعاوده إذا ملكه الغضب الملتهب. فلم يكن السبب في أن أفسدت ممالك جمة، وبلدان عدة، إلا أن خفضت أقدار الوزارة، فانقبضت أطراف الإمارة، وليس يفسد على ما أرى بقية الأرض، إلا إذا استعين بأذناب على هذا الأمر، فلا يبخلن مولاي على ولى نعمته، بفضل معرفته، فمن هذه الدولة، جرى ما فضله، وفضل الشيخ الأمين من قبله، وإن كان مسموعا كلامي، وموثوقا باهتمامي، فلا يقعن انقباض عني، وإعراض عما سبق مني. ومولاي محكم الإجابة إلى العمل فيما يقترحه، وغير مراجع فيما يشترطه، وهذا خطى به، وهو على ولي النعمة، حجة لايبقى معها شبهة، وسأتبع هذه المخاطبة بالمشافهة، إما بحضورى لديه، أو بتجشمه إلى هذا العليل الذى قد ألح النقرس عليه. وكان ابن عباد يحفظ هذه النسخة، ويرويها ويفتخر بها.

قال أبو حيان: وقال لي أصحابنا بالري، منهم أبو غالب الكاتب الأعرج، إن هذه المخاطبة من كلام ابن عباد، افتعلها عن ابن العميد إلى نفسه، تشيعا بها، ونفاقا بذكرها.

قال: وكان ابن عباد ورد الري سنة ثمان وخمسين، مع مؤيد الدولة، وحضر مجلس ابن العميد، وجرى بينه وبين مسكويه كلام، ووقع تجاذب، فقال مسكويه: فدعني حتى أتكلم، ليس هذا نصفة إذا أردت ألا أتكلم، فدع على فمي مخدة فقال الصاحب: بل أدع فمك على المخدة، وطارت النادرة ولصقت، وشاعت بين الناس وبقيت.

قال: ودخل الناس في مذهب ابن عباد، فقالوا بقوله، رغبة فيما لديه، واجتهد بالحسين المتكلم الكلابى، أن ينتقل إلى مذهبه، فقال الحسين: دعني أيها الصاحب أكن مستحدا لك، فما بقي غيري، فإن دخلت في المذهب، لم يبق بين يديك، من ينبو عليك قبيحه، ويبدو للناس عواره، فضحك وقال: قد أعفيناك يا

أبا عبد الله. "وبعد" فما نبخل عليك بنارجهنم، أصل بها كيف شئت. قال لنا الحسين بعد ذلك: أترانى أصلى بنار جهنم، وعقيدتى وسريرتى معروفتان، ويتبوأ هو الجنة مع قتل النفس المحرمة، وركوب المحظورات العظيمة، وإن ظنه بنفسه لعجب، - لحي الله الوقاح - وقال يوما صدر قول الشاعر:

والمورد العذب كثير الزحام

فسكتت الجماعة، فقال ابن الداري:

يزدحم الناس على بابه

فأقبل عليه بغيظ وقال: ما عرفتك إلا متعجرفا جاهلا، أما كان لك بالجماعة أسوة.

قلت لأبي السلم نجبة بن علي القحطاني الشاعر: أين ابن عباد من ابن العميد؟ فقال: زرتهما منتجعا وزرتهما جميعا، فكان ابن العميد أعقل، وكان يدعي الكرم، وابن عباد أكرم، ويدعي العقل، وهما في دعواهما كاذبان، وعلى سجيتهما جاريان.

أنشدت يوما على باب ذاك قول الشاعر:

إذا لم يكن للمرء في ظل دولة ... جمال ولا مال تمنى انتقالها

وما ذاك من بغض لها غير أنه ... يؤمل أخرى فهو يرجو زوالها

فرفع إليه إنشادي، فأخذني وأوعدني، وقال: انج بنفسك، فإني إن رأيتك بعد هذا، أولغت الكلاب دمك، وكنت قاعدا على باب هذا منذ أيام، فأنشدت البيتين على سهو، فرفع الحديث إليه، فدعاني ووهب لى دريهمات وخريقات، وقال: لا تتمن انتقال دولتنا بعد هذا.

قال أبو السلم: هذا من أعذر الناس في الشعر، يحفظ الطم والرم، وقال الخليلي: الرجل مجنون "يعنى ابن عباد" في طباع المعلمين، سمعته يقول للتميمي الشاعر: كيف تقول الشعر؟ وإن قلت كيف تجيد؟ وإن أجدت فكيف تغرز؟ وإن غزرت فكيف تروم غاية، وأنت لا تعرفما الزهزيق، وما الهبلع، وما العثلط، وما الجلعلع، وما القهقب، وما القهبلس، وما الخلبوس، وما الخزعبلة، وما القذعملة، وما العمروط، وما الجرفاس، وما اللئوس، وما النعشل، وما الطريال، وما الفرق بين العرم، والردم، والحدم، والحذم، والقضم، والخضم، والنضح، والرضح، والفصم، والقصم، والقصع، والفصع، وما العبنقس، وما العلنكس، وما الوكال، والزومل، وماالخيعثور، واليستعور، وما الشنعوف، وما الخذروف، وما الحلزون، وما القفندد، وما الجمعليل: قال الشاعر:

جاءت بخف وحنين ورحل ... جاءت تمشى وهى قدام الإبل

مشى الجمعليلة بالخرق النقل قال: ورأيت بعض الجهال يصحف ويقول: وحنين وزجل، قلت للخليلى من عنى بهذا؟ قال ابن فارس: معلم ابن العميد أبي الفتح، قال الخليلى: فهذا الضرب من الكلام يجب أن يفتخر بمثله، ويترقق به، إنك يا أبا حيان، لو رأيته يمشى وهو يهذي بهذا وشبهه، ويتفيهق ويلوي شدقيه عليه، ويقذف بالبصاق على أهل المجلس، لحمدت الله على العافية مما يلي هذا الرجل به، " وبعد" فما بين الشاعر وهذا الضرب؟ الشاعر يطلب لفظا حرا، ومعنى بديعا، ونظما حلوا، وكلمة رشيقة، ومثلا سهلا، ووزنا مقبولا.

قال أبو حيان: عندما قارب الفراغ من كتابه في أخلاق الوزيرين، ولو لا هذين الرجلين أعنى ابن عباد، وابن العميد، كانا كبيرى زمانهما، وإليهما انتهت الأمور، وعليهما طلعت شمس الفضل، وبهما ازدانت الدنيا، وكانا بحيث ينشر الحسن منهما نشرا، والقبيح يؤثر عنهما أثرا، لكنت لا أتسكع فى حديثهما هذا التسكع، ولا أنحى عليهما بهذا الحد، ولكن النقص ممن يدعي التمام أشنع، والحرمان من السيد المأمول فاقرة، والجهل من العالم منكر، والكبيرة ممن يدعى العصمة جائحة والبخل ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب. ولو أردت مع هذا كله، أن تجد لهما ثالثا في جميع من كتب للجبل والديلم، إلى وقتك هذا المؤرخ فى الكتاب لم تجد.

قال: وقال ابن عباد يوما: كان أبو الفضل "يعنى ابن العميد" سيدا، لم يشق غبارنا، ولا أدرك شوارنا، ولا مسح عذارنا، ولا عرف غرارنا، لا فى علم الدين، ولا فيما يرجع إلى نفع المسلمين. فأما ابنه: فقد عرفتم قدره في هذا وفي غيره، طياش قلاش، ليس عنده إلا قاش وقماش، مثل ابن عياش، والهروى الحواش، وولدت والشعرى في طالعي، ولو لا دقيقة لآدركت النبوة، وقد أدركت النبوة إذ قمت بالذب عنها، والنصرة لها، فمن ذا يجارينا أو يبارينا، ويغارينا، أو يمارينا، ويشارينا.

قال: وسمعته يقول لابن ثابت، جعلك الله ممن إذا خرئ سطر، وإذا بال قطر، وإذا فسا غبر، وإذا ضرط كبر، وإذا أعجف عبر.

قال: وهذا سخف لا يليق بأصحاب الفرصة، والذين اختلفوا إلى الخندق، ودارك ومنوقان، والزبيدية، والرمادة، والخلد.

قال وأنشد أبو دلف الخزرجى:

يا ابن عباد بن عباس　　بن عبد الله حرها
تتكر الجبر وقد أخرجت　　من دنياك كرها

قال علي ابن عطاء: إن عطاء ابن عباد: لا يزيد على مائة درهم، وثوب إلى خمسمائة، وما يبلغ إلى الألف نادر، وما يوفى على الألف بديع، بلى، قد نال بن ناس من عرض جاهه على السنين، ما يزيد قدره على هذا بأضعاف، وعدد هؤلاء قليل جدا، وذلك بابتذال النفس، وهتك الستر.

قال: ولقد بلغ من ركاكته، أنه كان عنده أبو طالب العلوي، فكان إذا سمع منه كلاما يسجع فيه، وخبرا ينمقه ويرويه، يبلق عينيه، وينشر منخريه، ويرى أنه قد لحقه غشى حتى يرش على وجهه ماء الورد، فإذا أفاق قيل: ما أصابك؟ ما عراك؟ ما الذي نالك وتغشاك؟ فيقول: ما زال كلام مولاي يروقني ويؤنقني حتى فارقني لبي، وزايلني عقلي، وتراخت مفاصلي، وتخاذلت عرى قلبي، وذهل ذهني، وحيل بيني وبين رشدى، فيتهلل وجه ابن عباد عند ذلك، وينتفش ويضحك عجبا وجهلا، ثم يأمر له بالحباء والتكرمة، ويقدمه على جميع بنى أبيه وعمه، ومن ينخدع هكذا، فهو بالنساء الرعن أشبه، وبالصبيان الضعاف أمثل.

وذكر الوزير أبو سعد، منصور بن الحسين الآبي في تاريخه، من جلالة قدر الصاحب، وعظم قدره في النفوس، وحشمته، ما لم يذكر لوزير قبله، ولا بعده مثله، وأنا ذاكر ما ذكر على ما نسقه، قال: توفيت أم كافي الكفاة بأصبهان، وورد عليه الخبر، فجلس للتعزية يوم الخميس للنصف من محرم، سنة أربع وثمانين، وركب إليه سلطانه وولى نعمته، فخر الدولة، بن ركن الدولة معزيا، ونزل وجلس عنده طويلا يعزيه، ويسكن منه، وبسط الكلام معه بالعربية، وكان يفصح بها، فسمعته يقول حين أراد القيام: أيها الصاحب، هذا جرح لا يندمل، فأما سائر الأمراء والقواد، مثل منوجهر بن قابوس، ملك الجبل، وفولاذ بن ما نادر، أحد ملوك الديلم، وأبي العباس الفيروزان بن خالد، فخر الدولة وغيرهم، من الأكابر والأماثل، فإنهم كانوا يحضرون حفاة حسرا، وكان كل واحد منهم إذا وقعت عينه على الصاحب، قبل الأرض، ثم توالى بعد ذلك إلى ان يقرب منه، ويأمره بالجلوس فيجلس، وما كان يتحرك ولا يستوفز لأحد، بل كان جالسا على عادته فى غير أيام التعزية، فلما أراد القيام من المعزى بعد الثالث، كان أول من أمر أن يقدم إليه اللكاء منوجهر بن قابوس، فإنه قال: يحمل إلى أبي منصور ما يلبسه، فقدم إليه، ومنع من الخروج من الدار حافيا، ثم قدم بعد ذلك الحجاب والحاشية اللكاوات إلى الجماعة، فغضب فولاذ بن مانادر، والفولاذ دريدية عليه ذلك، وقالوا: ميز منوجهر من بين الجماعة، فاحتج الصاحب ببيته العظيم، ورياسته القديمة.

قال: وخطب كافي الكفاة ابنة أبي الفضل بن الداعي، لسبطه عباد بن الحسين، ووقع الإملاك فى داره يوم الخميس، لاربع خلون من شهر ربيع الأول، سنة أربع وثمانين، وكان يوما عظيما احتفل فيه كافي الكفاة، ونثر من الدنانير والدراهم شيئا كثيرا، لذلك أنفذ له فخر الدولة على يدى أحد حجابه الكبار، إلى هناك

من النثار، ما زاد على مائة طبق عينا وورقا، وحضر الفولاذ دريدية بأسرهم، فإن الابنة المزوجة، كانت ابنة ديكونة بنت الحسن، بن الفيروزان، خالة فخر الدولة، وكان القوم أخوالها، وأضافهم الصاحب، ونصبت مائدة عظيمة في بيت طوله يزيد على خمسين ذراعا، وكانت بطول البيت، وأجلس عليه ستة أنفس، وكان فولاذ بن مانا وكبات بن بلقسم في الصدر، وبجنب فولاذ، أبو جعفر بن الثائر العلوي، وبجنبه الآخر، أبو القاسم بن القاضى العلوي، ودون أحد العلويين كاكي ابن يشكر زاد، ودون الآخر مرداويج الكلاري، ووقف أبو العباس الفيروزان، وعبد الملك بن ما كان للخدمة، ووقف كافي الكفاة أيضا ساعة، ووقف جميع أكابر الكتاب والحجاب، مثل الرئيس أبى العباس، أحمد بن إبراهيم الضبى، وأبى الحسين العارض، وأخيه أبى على، وابنه أبى الفضل، وأبى عمران الحاجب وغيرهم. إلى أن فرغ القوم من الأكل، ثم أكل هؤلاء مع الصاحب على مائدة منفردة، وأما قاضى القضاة، والأشراف والعدول، فإنهم أطعموا على مائدة أخرى فى بيت آخر.

قال: وكان نصر بن الحسين، بن الفيروزان، وهو خال فخر الدولة، مقداما شجاعا، قليل المبالاة، قد استعصى على فخر الدولة، واقتطع من بلاده، وتغلب عليها، واحتال على جماعة من عساكره، فقتلهم بأنواع القتل، ثم كسر له عدة عساكر، إلى أن تكاثرت عساكر فخر الدولة فكسرته، وشتتت جموعه، وهرب نحو خراسان، حتى صار إلى إسفرايين، ثم بدا له أن سلك طريق المفارة فيها، حتى ورد الى ليلة الجمعة، لست بقين من شوال، سنة أربع وثمانين، وقصد في الليل باب كافة الكفاة مستجيرا به، ومستعطفا له، فلم يرق له، ورد إلى دار بعض حجاب فخر الدولة، فحبس فيها.

قال الوزير أبو سعد: وكنت في هذه الليلة بحضرة كافي الكفاة، فأتاه الحاجب، وقد مضى هزيع من الليل، فأخبره بوقوف نصر بن الحسن، بن الفيروزان على الباب، خاشعا متضرعا، فرأيته قد تحير في الأمر ساعة، ثم راسله بأن السلطان الأعظم – يعني فخر الدولة – ساخط عليك، ولا يجوز لي أن آذن لك في دخول داري، إلا بعد تترضاه، وتستعطف قلبه، فإذا عفا عنك ورجع لك، فالدار بين يديك، وأنا معين لك.
فعاد الحاجب إليه بذلك، ورجع فقال: إنه امتنع من العود وقال: إنما جئت إلى الصاحب لائذا به، ومنقطعا إليه، ولا أعرف غيره، وأنا أحتاج أن يدبر أمري، ويجبرني ويحامي على، ويذب عني، فرأيت الصاحب وقد مال رأيه بين إحدى خصلتين: إما أن يستمر على المنع ولا يأذن له، وإما أن يأذن له، ويجعل داره بما فيها من الخزائن له، وينتقل هو إلى دار كانت لحاجبه الراوندي، وكان قد أضافها بعد موت هذا الحاجب إلى داره. ثم تقرر رأيه على صرفه، واستمر نصر على الإلحاح فى الخضوع، والاجتهاد أن يأذن له في الدخول، وانتقل من الباب الكبير إلى باب الخاصة، سأل واجتهد إلى أن جاءه من قبل فخر

الدولة، علوسة الحاجب وحبسه، وكان هذا الفعل من الصاحب مستهجنا، يعجب الناس منه، وتحدثوا به واستقبحوه، مع ما اظهره نصر من الاستكانة والاستجارة به. وأظن أنه لم يفعل ذلك، إلا لأنه جبن عن الاجتماع معه في دار واحدة، مع العداوة المتأكدة بينهما، والضغينة الراسخة في قلب كل واحد منهما. ثم ذكر وفاة الصاحب، في الوقت الذى ذكره غيره، وكما ذكرناه آنفا. ثم قال: وتوفي فخر الدولة عشية يوم الثلاثاء، عاشر شعبان، وكان مبلغ عمره أربعا وأربعين سنة، وستة أشهر وأياما. ثم وصف أخلاقه وجيوشه، وقلاعه وأمواله، التي خلفها، ثم قال: فأما الوزارة في أيامه، فكانت أشهر من أن يحتاج إلى ذكرها، فإن اول وزرائه كان كافي الكفاة. وأسنة الأقلام، وعذبات الألسنة تكل دون أيسر أوصافه، وأدنى فضائله، ولو لا ما آل إليه أمر الوزارة في هذه الأيام، واعتقاد من لم يعلم حالها فى ذلك الزمان، بأن الأمر كان و لم يزل على ما نراه، أو قريبا منه وشبيها به، لأمسكنا عن ذكره، ولكنا نذكر يسيرا من أحواله، فإن هؤلاء الذين ذكرناهم من أبناء الملوك، والأمراء والقواد، وسائر من ساواهم من الزعماء والكبار، مثل أولاد مؤيد الدولة، وابن عز الدولة، ومنوجهر بن قابوس، بن وشمكير، وأبى الحجاج بن ظهير الدولة، وأسفهيد بن أسفار، وحسن بن وشمكير، وفولاذ بن مانادر، ونصر بن الحسن بن الفيروزان، وأبى العباس الفيروزان، ابن الحسن، بن الفيروزان، وكبات بن بلقسم، بن الفيروزان، وحيدر بن وهسوذان، وكيخسرو بن المرزبان، ابن السلار، وجستان بن نوح، بن وهسوذان، وشيرزيل ابن سلار، بن شيرزيل، وكان في يد كل واحد من هؤلاء من الأقطاع، ما يبلغ ارتفاعه خمسين ألف دينار، وما دونها إلى عشرين ألف دينار، ومن اكابر القواد ما يطول تعدادهم، كانوا يحضرون باب داره، فيقفون على دوابهم مطرقين، لايتكلم واحد منهم هيبة وإعظاما لموضعه، إلى أن يخرج أحد خلفاء حجابه، فيأذن لبعض أكابرهم، ويصرفهم جملة، فكان من يؤذن له فى الدخول، يظن أنه قد بلغ الآمال، ونال الفوز بالدنيا والآخرة، فرحا ومسرة، وشرفا وتعظيما، فإذا حصل فى الدار، وأذن له فى الدخول إلى مجلسه، قبل الأرض عند وقوع بصره عليه، ثلاث مرات أو أربعا، إلى أن يقرب منه، فيجلس من كانت رتبته الجلوس، إلى أن يقضى كل واحد منهم وطره من خدمته، ثم ينصرف، بعد أن يقبل الأرض أيضا مرارا. و لم يكن يقوم لأحد من الناس ولا يشير إلى القيام، ولا يطمع منه أحد فى ذلك.

ونزل بالصيمرة عند عوده من الأهواز، فدخل عليه شيخ من زهاد المعتزلة، يعرف بعبد الله بن إسحاق، فقام له: فلما خرج التفت كافى الكفاة وقال: ما قمت لأحد مثل هذا القيام، منذ عشرين سنة، وإنما فعل ذلك به لزهده، فإنه كان أحد أبدال دهره، فأما العلم فقد كان يرى من هو أعلم منه، فلا يحفل به. وأما هيبته في الصدور، ومخافته في القلوب، وحشمته عند الصغير والكبير، والبعيد والقريب، فقد بلغت إلى أن

كان صاحبه فخر الدولة، ينقبض عن كثير مما يريده بسببه، ويمسك عما تشره إليه نفسه لمكانه، وقد ظهر ذلك للناس بعد موته، وانبساط فخر الدولة فيما لم يكن من عادته، فعلم أنه كان يزم نفسه لحشمته، ثم كان يحله محل الوالد إكراما وإعظاما، ويخاطبه بالصاحب شفاها وكتابا، فأما أكابر الدولة، فكان الواحد إذا رأى أحد حجابه، بل أحد الأصاغر من حاشيته، فإن فرائضه كانت ترتعد، وجوانحه كانت تصطفق، إلى أن يعلم ما يريده منه، ويخاطبه به.

وتظلمت إليه امرأة من صاحب لفولاذ بن مانادر، وذكرت أنه ينازعها في حق لها، فما زاد على أن التفت إلى فولاذ، وكان في موكبه يسير خلفه، فبهت وتحير، وارتعد ووقف، ولم يبرح إلى أن سار كافي الكفاة، ثم أرسل مع المرآة من أرضاها، وأزال ظلامتها، ومثل هذا كثير يطول الكتاب ببعضه، فكيف يتسع لكله.

وأما أسبابه وحاشيته، وهيبته ورتبته، فإن من أيسرها أنه كان له عدة من الحجاب، منهم من على مربطه ثلاثمائة رأس من الدواب، أو ما يقاربها، وكانت أحوال بلكا الحاجب، تزيد على ذلك زيادة كثيرة، فإنه كان على مربط خليفة له يعرف بيزيدة، كثير من الخيل العتاق الموصوفة، وكان لا يستغني عنها، لأنه كان موقوفا على حفظ الطرق، وطلب الأكراد، وأهل العيث وصيانة السابلة، وكان ما يخرج لكافي الكفاة في السنة، في وجوه البر والصدقات والمبرات، وصلات الأشراف وأهل العلم، والغرباء الزوار، ومن يجري مجرى ذلك، مما يتكلفه به صيت الدنيا، وأجر الآخرة، يزيد على مائة ألف دينار.

وانتقلت الوزارة عنه إلى أبي العباس، أحمد بن إبراهيم الضبي، وأبي علي الحسن، بن أحمد، بن حمولة، والسياسة التي قد سنها هو باقية، وحشمة الوزارة ثابتة، والأمور على ما عهد في أيامه جارية، وكان لهما من الحشم والحاشية، والتجمل والزينة، مثل ما كان له، بل كان فوقه في الغنى والثروة، وإن لم يلحقاه في الفضل والمكرمة.

قال غرس النعمة: حدث أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى النصيبي قال: كان أبو الفتح على بن أبي الفضل، بن العميد، قد دبر على الصاحب بن عباد، حتى أزاله عن كتابة الأمير مؤيد الدولة، وأبعده عن حضرته بالري إلى أصفهان، وانفرد هو بتدبير الأمور لمؤيد الدولة، كما كان يدبرها لأبيه ركن الدولة، واستدعى يوما ندماءه، وعبأ لهم مجلسا عظيما، وأظهر من الزينة وآلات الفضة، والذهب والصيني وما شاكله، ما يفوت الحصر، وشرب واستفزه الطرب، وكان قد شرب يومه وليلته، فعمل شعرا غنى به، وهو:

دعوت المنى ودعوت العلا … فلما أجابا دعوت القدح

وقلت لأيام شرخ الشباب … ألا إن هذا أوان المرح

إذا بلغ المرء آماله فليس له بعدها مقترح

فلما غنى بالشعر استطابه، وشرب عليه إلى أن سكر، وقال لغلمانه: غطوا المجلس، ولاتسقطوا منه شيئا، لأصطبح في غد عليه، وقال لندمائه: باكروني، وقام إلى بيت منامه، وانصرف عنه الندماء، فدعاه مؤيد الدولة في السحر، فلم يشك أنه لمهم، فقبض عليه، وأنفذ إلى داره من استولى على جميع ما فيها وأعاد ابن عباد إلى وزارته، وطاولت بابن العميد النكبة، حتى مات فيها، كما ذكرناه فى ترجمته.

ثم وزر ابن عباد بعد مؤيد الدولة لأخيه فخر الدولة، فبقى فى الوزارة ثمانى عشرة سنة وشهورا، وفتح خمسين قلعة سلمها إلى فخر الدولة، لم يجتمع عشر منها لأبيه ولا أخيه، وسمع الصاحب الحديث وأملى.

فحدث أبو الحسن، على بن محمد الطبري الكيا قال: لما عزم الصاحب بن عباد، على الإملاء وهو وزير، خرج يوما متطلسا متحنكا بزى أهل العلم، فقال: قد علمتم قدمي في العلم، فأقروا له بذلك، فقال: وأنا متلبس بهذا الأمر، وجميع ما أنفقته من صغرى إلى وقتي هذا، من مال أبي وجدي، ومع هذا فلا أخلو من تبعات، أشهد الله وأشهدكم أنى تائب إلى الله، من ذنب أذنبته. واتخذلنفسه بيتا وسماه بيت التوبة، ولبث أسبوعا على ذلك، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته، ثم خرج فقعد للإملاء، وحضر الخلق الكثير، وكان المستملى الواحد ينضاف إليه ستة، كل يبلغ صاحبه، فكتب الناس حتى القاضي عبد الجبار، وأهدي إليه العميري كتبا، وكتب معها:

العميري عبد كافي الكفاة وإن اعتد في وجوه القضاة

خدم المجلس الرفيع بكتب مفعمات من حسنها مترعات

فوقع الصاحب تحتها:

قد قبلنا من الجميع كتابا ورددنا لوقتها الباقيات

لست أستغنم الكثير فطبعى قول خذ، ليس مذهبى قول هات

حدث أبو الرجاء الضرير، الشطرنجي العروضي، الشاعر الأهوازي بالأهواز، قال: قدم علينا الصاحب ابن عباد، في السنة التى جاء فيها فخر الدولة، ولقيه الناس ومدحه الشعراء، فمدحته بقصيدة قلت فيها:

إلى ابن عباد أبى القاسم الصاحب إسماعيل كافي الكفاة

فقال: قد كنت والله أشتهي بأن تجتمع كنيتي واسمي، ولقبى واسم أبي في بيت، فما انتهيت إلى قولي فيها: ويشرب الجيش هنيئا بها فقال يا أبا الرجاء: أمسك، فأمسكت، فقال:

ويشرب الجيش هنيئا بها من بعد ماء الري ماء الصراة

هكذا هو؟ قلت نعم، قال: أحسنت، قلت يا مولاي: أحسنت أنت، عملت أنا هذا في ليلة، وأنت عملته في لحظة.

قال عبد الله الفقير غليه: وممن ذكر نسب الممدوح كاملا، الحارث الدؤلي، في عاصم بن عمرو، بن عثمان، ابن عفان:

إليك ابن عثمان بن عفان عاصم بن عمرو سرت عيس فطال سراها

ومن مستحسن شعر الصاحب:

دعتنى عيناك نحو الصبا دعاء تكرر في كل ساعة

فلو لا "وحقك" عذر المشيب لقلت لعينيك سمعا وطاعة

وحدث البديع الهمذانى قال: كان بعض الفقهاء ويعرف بابن الحضيري، يحضر مجلس الصاحب بالليالى، فغلبته عينه ليلة فنام، وخرجت منه ريح لها صوت، فخجل وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب أبلغوه عني:

يا بن الحضيرى لا تذهب على خجل لحادث كان مثل الناى والعود

فإنها الريح لا تسطيع تحبسها إذ لست أنت سليمان بن داوود

ولأبى بكر الخوارزمى في ابن عباد:

لاتحمدن ابن عباد وإن هطلت كفاه يوما ولاتذممه إن حرما

فإنها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

فلما مات الخوازمي، بلغ الصاحب وفاته فقال:

أقول لركب من خراسان رائح أمات خوارزميكم؟ قيل لي نعم:

فقلت: اكتبوا بالجص من فوق قبره "ألا لعن الرحمن من كفر النعم"

وحدث أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي، في كتاب مشارب التجارب، وذكر الصاحب فقال: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس، الوزير ابن الوزير، كما قال الرستمي فيه:

ورث الوزارة كابرا عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد

يروي عن العباس عباد وزارته واسماعيل عن عباد

قال: مولده بكورة فارس، في ذي العقدة، سنة ست وعشرين وثلاثمائة، ومدحه خمسمائة شاعر من أرباب الدواوين، وممن كان ببابه: قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الأسدأباذى، وكان قد فوض إليه

قضاء همذان والجبال، واستقبل القاضي عبد الجبار الصاحب يوما، فلم يترجل له، فقال: أيها الصاحب، أريد أن أترجل للخدمة، ولكن العلم يأبى ذلك، وكان يكتب في عنوان كتابه:" إلى الصاحب: داعيه، عبد الجبار بن أحمد" ثم كتب" وليه عبد الجبار بن أحمد"، ثم كتب " عبد الجبار بن أحمد" فقال الصاحب لندمائه: أظنه يؤول أمره إلى أن يكتب الجبار.

وأنشد الصاحب لنفسه يرثي:

يقولون لي أودى كثير بن حمد وذلك رزء ما علمت جليل

فقلت دعوني والعلا نبكه معا فمثل كثير في الرجال قليل

وذكر هلال بن المحسن، عن أبي طاهر بن الحمامي، عن الأنباري الكاتب، قال: ورد إلى الصاحب رجل من أهل الشام، فكان فيما استخبره عنه: رسائل من تقرأ عندكم؟ فقال: رسائل بن عبد كان. قال ومن؟ قال: رسائل الصابيء. وغمزه أحد جلسائه ليقول: رسائل الصاحب فلم يفطن، ورآه الصاحب فقال: تغمز حمارا لا يحس وكان صاحب خراسان، الملك نوح بن منصور السامانى، قد أرسل إلى الصاحب في السر يستدعيه إلى حضرته، ويرغبه في خدمته، وبذل البذول السنية، فكان من جملة اعتذاره أن قال: كيف يحسن لي مفارقة قوم بهم ارتفع قدرى، وشاع بين الأنام ذكرى، ثم كيف لي بحمل أموالي مع كثرة أثقالي؟ وعندي من كتب العلم خاصة، ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر.

قال أبو الحسن البيهقي: وأنا أقول: بيت الكتب الذى بالرى، دليل على ذلك، بعدما أحرقه السلطان محمود ابن سبكتكين، فإني طالعت هذا البيت، فوجدت فهرست تلك الكتب عشر مجلدات، فإن السلطان محمودا لما ورد إلى الري، قيل له: إن هذه الكتب، كتب الروافض، وأهل البدع، فاستخرج منها كل ما كان فى علم الكلام، وأمر بحرقه. وللصاحب من التصانيف: كتاب المحيط باللغة عشرة مجلدات، كتاب ديوان رسائله عشرة مجلدات، كتاب الكافى رسائل، كتاب الزيدية، كتاب الأعياد وفضائل النوروز، كتاب في تفضيل على بن أبى طالب. وتصحيح إمامة من تقدمه، كتاب الوزراء لطيف، كتاب عنوان المعارف في التاريخ، كتاب الكشف عن مساوئ المتنبى، كتاب مختصر أسماء الله تعالى وصفاته، كتاب العروض الكافى، كتاب جوهرة الجمهرة، كتاب نهج السبيل فى الأصول، كتاب أخبار أبي العيناء، كتاب نقض العروض، كتاب تاريخ الملك واختلاف الدول، كتاب الزيدين، كتاب ديوان شعره.

وقال بعض ولد المنجم بعد وفاة الصاحب، وقد استوزر أبو العباس الضبى، ولقب بالرئيس، وضم إليه أبو علي، ولقب بالجليل:

والله و الله لا أفلحتم أبدا بعد الوزير ابن عباد بن عباس
إن جاء منكم جليل فاقطعوا أجلي أو جاء منكم رئيس فاقطعوا راسي

ومن شعر الصاحب:

وشادن جماله يقصر عنه صفتي
أهوى لتقبيل يدي فقلت: لا بل شفتي

وله:

قال لى إن رقيبى سيء الخلق فداره
قلت :دعنى وجهك الجنة حفت بالكاره

وله أيضا:

أقول وقد رأيت له سحابا من الهجران مقبلة إلينا
وقد سحت عزاليها بسكب حوالينا الصدود ولا علينا

حدث الوزير أبو العلاء بن حسولي قال: كان دينار المجوسي صدرا في ديوان الري، وكان مدنرا مدرهما ممولا، فكتب رجل إلى الصاحب:

لم لا يفرق في ديوان عسكره كافي كفاة الورى دينار دينار
فإن أيسر ما في قطع شأفته تطهير ديوانه من عابدي النار

فقبض عليه وصادره، واستوفى منه مالا عظيما، والسبب فى ذلك البيتان.

وحدث ابن بابك قال: سمعت الصاحب يقول: مدحت والعلم عند الله، بمائة ألف قصيدة شعر، عربية وفارسية وقد أنفقت أموالي على الشعراء والأدباء، والزوار والقصاد، ما سررت بشعر، ولا سرني شاعر، كما سرني أبو سعيد الرستمي الأصفهاني بقوله:

ورث الوزارة كابرا عن كابر مرفوعة الإسناد بالإسناد
يروى عن العباس عباد وزارته وإسماعيل عن عباد

وقال أبو الحسن، علي بن الحسين الحسني، ختن الصاحب يرثيه:

ألا إنها يمنى المكارم شلت ونفس المعالي إثر فقدك سلت
حرام على الظلماء إن هي قوضت وحجر على شمس الضحى إن تجلت
لتبك على كافي الكفاة مآثر تباهي النجوم الزهر في حيث حلت

لقد فدحت فيه الرزايا وأوجعت كما عظمت فيه العطايا وجلت

ألا هل أتى الآفاق أية غمة أطلت، ونعمى أي دهر تولت

وهل تعلم الغبراء ماذا تضمنت وأعواد ذاك النعش ماذا أقلت؟

فلا أبصرت عينى تهلل بارق يحاكي ندى كفيك إلا استهلت

ولو قبلت أرواحنا عنك فدية لجدنا بها عند الفداء وقلت

قال أبو حيان: كان ابن عباد يأتى بالسجع فى أثر كلامه، مع روية طويلة، وأنفاس مديدة، وحشرجة صدر، وانتفاخ منخريه، والتواء شدقيه، وتعويج عنقه، واللعب بشاربه وعنفقته، فلو رأيته يقرر المسائل على هذه الأمثلة العجيبة، والبيان الشافي، لرأيت عجبا من العجائب، وضربا من الغرائب.

وقال لى يوما الشابي وقد خرجنا من مجلس الصاحب: كيف رأيت مولانا الصاحب اليوم مع هذا التغرير، وإظهاره البلاغة الحسنة بين الناس، فقلت: السكوت عن مثله إحدى الحسنيين، وأحرق الحاتين، ولكن نعوذ بالله ممن يوين له الشيطان عمله، ويزخرف له قوله. قال لي: كأنه لم يخلق هذا الرجل إلا غيظا لأكباد الأحرار، وشفاء لسقم الأنذال، – لحى الله دهرا آل بنا إليه –، وأنزلنا عليه، وأحوجنا إلى مقاساته، وألجأنا إلى مجالسته، وأنشد يقول:

يا من تبرمت الدنيا بطلعته كما تبرمت الأجفان بالرمد

يمشي على الأرض مجتازا فأحسبه من بغض طلعته يمشي على كبدي

لو كان في الأرض جزء من سماجته لم يقدم الموت إشفاقا على أحد

قال أبو حيان: قال لي الشابي: أهدي ابن عباد إلى صاحبه وقت ورودهما إلى الأهواز دينارا من ضربه، وزنه ألف مثقال! وكتابته:

وأحمر يحكي الشمس شكلا وصورة فأسماؤه مشتقة من صفاته

فإن قيل دينار فقد صدق اسمه وإن قيل ألف كان بعض سماته

بديع فلم يطبع على الدهر مثله ولا ضربت أضرابه لسراته

وصار إلى شاهانشاه انتسابه على أنه مستصغر لعفاته

تفاءلت أن يبقى سنين كوزنه لتستمتع الدنيا بطول حياته

تأنق فيه عبده وابن عبده وغرس أياديه وكافي كفاته

فقال: أرأيت أكذب منه حيث قال؟. "فلم يطبع على الدهر مثله" ما كان في الدنيا من خدم ملكا بألف دينار، ثم قال: " وكافي كفاته" والله لو كتبت امرأة بمثله إلى زوجها، لكان سمجا قبيحا، فكيف إلى فخر الدولة!! ما أحسن ما كفاه أمر أبي العلاء النصراني حين هزمه بعدد قليل، بعد أن كان في جيش عرمرم ثقيل، ولكن الدنيا حمقاء خرقاء، لا تميل إلا إلى مثلها، لو كتب المطهر أو نصر بن هارون، أو أحد وزراء عضد الدولة إليه بشيء من ذلك، لأحرقه بالنار والنفط، ومن كتاب الروزنامجة: قال الصاحب: ما زال أحداث بغداد يذكروني بابن شمعون المتصوف، وكلامه على الناس في مكان الشبلي، فجمعت يوما في المدينة، وعلى طيلسان ومصمته، ووقعت عليه، وقد لبس فوطة قصب، وقعد على كرسي ساج، بوجه حسن، ولفظ عذب، فرأيته يقطع مسائله بهوس يطيله ويسهب فيه، فقلت: لا بد من أن أسأله عما أقطع به، وابتدرت فقلت: يا شيخ، ما تقول في قد سيكونيات العلم، إذا وقعت قبل التوهم، فورد عليه ما لم يسمع به، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: لم أؤخر إجابتك عجزا عن مسألتك بل لأعطشك إلى الجواب، وأخذ في ضرب من الهذيان، فلما سكت قلت: هذا بعد التوهم، وإنما سألتك قبله إلى أن ضجر، فانصرفت عنه.

قرأت بمصر في نسخة باليتمية للثعالبي، عليها خط يعقوب بن أحمد، بن محمد بالقراءة عليه، يرويها عن مؤلفها الثعالبي، فوجدت فيها زوائد، لا أعرفها فى النسخ المشهورة بأيدي الناس، منها: حدثني عرف بن الحسين، الهمذاني التميمي قال: كنت يوما فى خزانة الخلع للصاحب، فرأيت في ثبت الحسبانات لكاتبها - وكان صديقي - مبلغ عمائم الخز، التي صارت فى تلك الشتوة، في خلع العلويين والفقهاء والشعراء، سوى ما صار فيها في خلع الخدم والحاشية، ثمانمائة وعشرين، قال: وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوما، إلى جميع ما فيها من الخدم والحاشية، عليهم الخزوز الملونة الفاخرة، فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئا، فسأل الصاحب عنه فقيل له: إنه في مجلس كذا يكتب، فقال: علي به، فاستمهل الزعفراني ريثما يتم مكتوبه، فأعجله الصاحب، وأمر أن يؤخذا ما في يده من الدرج، فقام الزعفراني إليه، وقال: - أيد الله الصاحب -:

إسمعه ممن قال تزدد به عجبا فحسن الورد في أعضائه

فقال: هات يا أبا القاسم، فأنشده أبياتا منها:

سواك يعد الغني ما اقتنى ويأمره الحرص أن يحزنا

وأنت ابن عباد المرتجى تعد نوالك نيل المنى

وخيرك من باسط كفه وممن ثناها قريب الجنى

غمرت الورى بصنوف الندى فأصغر ما ملكوه الغنى

وغادرت أشعرهم مفحما وأشكرهم عاجزا ألكنا

أيا من عطاياه تهدى الغنى إلى راحتى من نأى أو دنا

كسوت المقيمين والزائرين كسا لم نخل مثلها ممكنا

وحاشية الدار يمشون في ضروب من الخز إلا أنا

فقال الصاحب: قرأت في أخبار معن بن زائدة: ان رجلا قال له احملني، فأمر له بفرس وبغلة وحمار وناقة وجارية، ثم قال: لو علمت أن الله خلق مركوبا غيرها لحملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص، وسراويل وعمامة، ومنديل ومطرف، ورداء وجورب، ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه، ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة، وصيرت تلك الخلع عليه، وسلم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه.

قال: وحدثني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي قال: عهدي بأبي محمد ماثلا بين يدي الصاحب، ينشده قصيدة أولها:

هذا فؤادك نهى بين أهواء وذاك رأيك شورى بين آراء

هواك بين العيون النجل مقتسم داء لعمرك ما أبلاه من داء

لا تستقر بأرض أو تسير إلى أخرى بشخص قريب عزمه ناء

يوما بجزوى ويوما بالعقيق ويوما بالعذيب ويوما بالخليصاء

وتارة تنتحى نجداً وآونة شعب العقيق وطورا قصر تيماء

قال: فرأيت الصاحب متقبلا عليه بمجامعه، حسن الإصغاء إلى إنشاده، مستعيدا لأكثر أبياته، مظهرا من الإعجاب به والاهتزاز له، ما يعجب الحاضرين، فلما بلغ إلى قوله:

أدعى بأسماء نبزا في قبائلها كأن أسماء أضحت بعض أسمائي

أطلعت شعري فألقت شعرها طربا فألفا بين إصباح وإمساء

زحف عن دسته طربا له، فلما بلغ إلى قوله فى المدح:

لو أن سحبان باراه لأسحبه على خطابته أذيال فأفاء

أرى الأقاليم قد ألقت مقالدها إليه مستبقات أي إلقاء

فساس سبعتها منه بأربعة: أمر ونهي وتثبيت وإمضاء

كذاك توحيده ألوى بأربعة: كفر وجبر وتشبيه وإرجاء

فجعل يحرك رأسه ويقول: أحسنت أحسنت، فلما أنهى القصيدة، أمر له بجائزة وخلع.

قال الأمير أبو الفضل الميكالي: كتب عامل رقعة إلى الصاحب في التماس شغل، وفي الرقعة: إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله فعل، فوقع الصاحب تحتها: من كتب لإشغالي لا يصلح لأشغالي.

وحدث هلال بن المحسن: ما رؤى أحد وفي من الإعظام والإكبار بعد موته، ما وفيه الصاحب، فإنه لما جهز ووضع في تابوته، وأخرج على أكتاف حامليه للصلاة عليه، قام الناس بأجمعهم، فقبلوا الأرض بين يديه، وخرقوا عند ذلك ثيابهم، ولطموا وجوههم، وبلغوا في البكاء والنحيب عليه جهدهم، وكان يلبس القباء في حياته تخففا بالوزارة، وانتسابا معها إلى الجندية وحدث عن أبي الفتح بن المقدر قال: كان أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر، من وجوه أهل أصبهان، وأعيانهم ورؤسائهم، فحدثني أنه رأى في منامه قائلا يقول له: لو كاثرت الصاحب أبا القاسم بن عباس، مع فضلك وكثرة علمك، وجودة شعرك، فقلت: أفحمتني كثرة محاسنه، فلم أدر بم أبدأ منها؟ وخفت أن أقصر، وقد ظن بي الاستيفاء لها، فقال: أجز ما أقوله، قلت قل: فقال: ثوى الجود والكافي معا في حفيرة فقلت: ليأنس كل منهما بأخيه فقال: هما اصطحبا حيين ثم تعانقا فقلت: ضجيعين في لحد بباب ذريه فقال: إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم فقلت: أقاما إلى يوم القيامة فيه "باب ذريه: المحلة التي فيها تربته، أو ما يستقبلك من أصفهان"

وحدث في كتاب الروزنامجة، وانتهيت إلى أبي سعيد السيرافي، وهو شيخ البلد، وفرد الأدب، حسن التصرف، ووافر الحظ من علوم الأوائل، فسلمت عليه، وقعدت إليه، وبعضهم يقرأ الجمهرة، فقرأ: ألمقت، فقلت: إنما هو لمقت، فدافعني الشيخ ساعة، ثم رجع إلى الأصل، فوجد حكايتي صحيحة، واستمر القارئ حتى أنشد وقد استشهد:

رسم دار وقفت فى طلله كدت أقضى الغداة من جلله

فقلت: أيها الشيخ، هذا لايجوز، والمصراعان على هذا النشيد، يخرجان من بحرين، لأن: " رسم دار وقفت فى طلله " فاعلاتن مفاعلن فعلن "كدت أقضي الغداة من جلله" مفتعلن مفعلات مفتعلن فذاك من الخفيف، وهذا من المنسرح. فقال: لم لا تقول: الجميع من المنسرح؟ والمصراع الأول مخزوم. فقلت: لا يدخل الخزم هذا البحر، لأنه أوله مستفعلن مفاعلن، هذه مزاحفة عنه، وإذا حذفنا متحركا، بقينا ساكنا، وليس فى كلام العرب ابتداء به، وإنما هو: كدت أقضى الغداة من جلله بخفيف الضاد فأمر بتغييره،

ورفعني إلى جنبه، وابتدأ فقريءِ عليه من كتاب المقتضب، باب ما يجزي وما لايجزى، إلى أن ذكر وسحر، وأنه لا ينصرف إذا كان لسحر بعينه، لأنه معدول عن الأول، فقلت: ما علامة العدل فيه؟ فقال: إنا قلنا السحر، ثم قلنا: سحر، فهلمنا أن الثاني معدول عن الأول قلت: لو كان كذلك، لوجب أن تطرد العلة في عتمة، فضجر واحتد، وصاح واربد وادعيت أنه ناقص، والتمس الحاكم، فكتبت رسالة أخذت فيها خطوط أهل النظر، وقد أنفذت درج كتابى نسختها، وفيها خط أبي عبد الله بن رذامر عين مشايخهم، ورأيت الشيخ بعد ذلك عزيزا فاضلا، متوسعا عالما، فعلقت عليه، وأخذت عنه، وحصلت تفسيره لكتاب سيبويه، وقرأت صدرا منه، وهناك أبو بكر ابن مقسم، وما فى أصحاب ثعلب أكثر دراية، وما أصح رواية منه، وقد سمعت مجالسه، وفيها غرائب ونكت، ومحاسن وطرف، من بين كلمة نادرة، ومسألة غامضة، وتفسير بيت مشكل، وحل عقد معضل، وله قيام بنحو الكوفيين وقراءهم، ورواياهم ولغاهم والقاضى أبو بكر ابن كامل، بقية الدنيا فى علوم شتى، يعرف الفقه والشروط والحديث، وما ليس من حديثنا، ويتوسع فى النحو توسعا مستحسنا، وله في حفظ الشعر بضاعة واسعة، وفي جودة التصنيف قوة تامة، ومن كبار رواة المبرد وثعلب، والبحتري وأبي العيناء، وغيرهم. وقد سمعت قدرا صالحا مما عنده، وكنت أحب أن أسمع كلام أهل النظر بالعراق، لما تتابع فى حذقهم من الأوصاف. وذكر أبا زكريا يحيى بن عدي وغيره، ومناظرات جرت هناك يطول شرحها.

وحدث عن أبي نصر بن خواشاذه أنه قال: ما غبطت أحدا على مترلة، كما غبطت الصاحب أبا القاسم بن عباد، فإنا كنا مقيمين بظاهر جرجان، مع مؤيد الدولة على حرب الخراسانية، فدخل الصاحب إلى داره في البلد، آخر نهار يوم لحضور المجلس الذي يعقده لأهل العلم، وتحته دابة رهواء، وقد أرسل عنانه، فرأيت وجوه الديلم وأكابرهم، من أولاد الأمراء يعدون بين يديه، كما تعدو الركابية، وكان عضد الدولة: يخاطب شيخا خطابا لا يشرك معه فيه أحدا، إلا أنه كان يقل مكاتبته، وكانت الكتب من عضد الدولة، إنما ترد على لسان كاتبه أبو القاسم، عبد العزيز بن يوسف.

ولما وجدت الشعراء لبضائعها عند ابن عباد نفاقا وسوقا. أهدوا نتائج أفكارهم إلى حضرته، وساقوها نحوه سوقا. فذكر الثعالبي قال: واحتف به من نجوم الأرض، وأفراد العصر، وابناء الفضل، وفرسان الشعر من يربى عددهم على شعراء الرشيد، ولا يقصرون عنهم فى الأخذ برقاب القوافي، وملك رق المعاني، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك، مثل ما اجتمع بباب الرشيد، من فحول الشعراء المذكورين، كأبي نواس، وأبي العتاهية، والعتابي، والنمري، ومسلم بن الوليد، وأبي الشيص، وابن أبي حفصة، ومحمد بن مناذر.

وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان، والري، وجرجان، مثل أبي الحسين السلامي، وأبي سعيد الرستمى، وأبى القاسم الزعفرانى، وأبى العباس الضبى، والقاضى الجرجانى وأبى القاسم بن أبي العلاء، وأبي محمد الخازن، وأبي هاشم العلوى، وأبي الحسن الجوهري، وبني المنجم، وابن بابك، وابن القاشاني، والبديع الهمذاني، وإسماعيل الشاشي، وأبى العلاء الأسدي، وأبي الحسن الغويري، وأبى دلف الخزرجي، وأبى حفص الشهرزوري، وأبي معمر الإسماعيلي، وأبى الفياض الطبري، وغيرهم ممن لم يبلغني ذكره، أو ذهب عني اسمه، ومدحه مكاتبة الرضي الموسوي، وأبو إسحاق الصابي، وابن الحجاج، وابن سكرة، وابن نباتة، وغيرهم ممن يطول ذكره.

وكتب أبو حفص الأصفهاني الوراق إلى الصاحب رقعة نسختها: لو لا أن الذكرى - أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل - تنفع المؤمنين، وهزة الصمصام تعين المصلتين لما ذكرت ذاكرا، ولا هززت ماضيا، ولكن الحاجة تستعجل النجح، وتكد الجواد السمح، وحال عبد مولانا في الحنطة متخلفة، وجرذان داره عنها منصرفة، فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله، فلم يشد رحله، فعل إن شاء الله تعالى، فوقع على رقعته، أحسنت يا أبا حفص قولا، وسنحسن فعلا، فبشر جرذان دارك بالخصب، وآمنها من الجدب، فالحنطة تأتيك في الأسبوع، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع، إن شاء الله تعالى.

قال: وحدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي قال: انتحل فلان يعنى بعض المتشاعرين بحضرة الصاحب شعرا له، وبلغه ذلك فقال: أبلغوه عني:

سرقت شعري وغيري ... يضام فيه ويجدع
فسوف أجزيك صفعا ... بكد رأس وأخدع
فسارق المال يقطع ... وسارق الشعر يصفع

قال: فاتخذ الليل جملا وهرب من الري.

وحدث عن عون بن الحسين الهمذانى قال: سمعت أبا عيسى بن المنجم يقول: سمعت الصاحب يقول: ما استأذنت على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس، إلا وانتقل إلى مجلس الحشمة فأذن لي فيه، وما أذكر أنه تبذل بين يدى، أو مازحنى قط إلا مرة واحدة، فإنه قال لي، بلغنى أنك تقول: إن المذهب مذهب الاعتزال، والنيك نيك الرجال، فأظهرت الكراهة لانبساطه، وقلت بنا من الجد، ما لانفرغ معه للهزل، ونهضت كالمغاضب، فما زال يعتذر إلى مراسلة حتى عاودت مجلسه، ولم يعد بعدها إلى ما يجري مجرى الهزل والمرح. ولما أتت الصاحب البشارة بسبطه عباد بن علي الحسني، " ولم يكن للصاحب ولد غيرها،

وكان قد زوجها من أبي الحسن على بن الحسين الهمذاني، وكان شاعرا أديبا بليغا، وله شعر منه هذان البيتان في دار لبعض الملوك بناها:

دار علت دار الملوك بهمة ... كعلو صاحبها على الأملاك

فكأنها من حسنها وبهائها ... "بنيت قواعدها على الأفلاك "

أنشأ الصاحب يقول:

أحمد الله لبشرى ... أقبلت عند العشي

إذ حباني الله سبطا ... هو سبط للنبي

مرحبا ثمت أهلا ... بغلام هاشمي

نبوي علوي ... حسنى صاحبي

ثم قال:

الحمد لله حمدا دائما أبدا ... قد صار سبط رسول الله لي ولدا

وقد ذكرت ذلك الشعراء في أشعارهم، فمن ذلك قول أبي الحسن الجوهري في قصيدة منها:

وكان بعد رسوب الله كافله ... فصار جد بنيه بعد كافله

هلم للخبر المأثور مسنده ... في الطالقان فقرت عين ناقله

فذلك الكنز عباد وقد وضحت ... عنه الإمامة فى أولى مخايله

لما روت الشيعة أن بالطالقان كنزا من ولد فاطمة، يملأ الله به الأرض عدلا، كما ملئت جورا. والصاحب من الطالقان من قرى أصفهان، فلما رزق سبطا فاطميا، تأولوا له هذا الخبر، وأنا برئ من العهدة، هذ الذي ذكر الثعالبي، أن طالقان من قرى أصفهان، والصواب ما تقدم.

قال: وعرض على أبو الحسن الشقيقي البلخي، توقيع الصاحب إليه في رقعته: من نظر لدينه نظرنا لدنياه، فإن آثرت العدل والتوحيد، بسطنا لك الفضل والتمهيد، وإن أقمت على الجبر، فليس لكسرك من جبر، وهذه رسالة كتبها الصاحب إلى أبي على الحسين بن أحمد، في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد.

قال الثعالبي: وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله ابن أحمد الميكالى يسردها، فزادني جريها على لسانه، وصدورها عن فمه إعجابا بها، وهي: كتابي هذا يا سيدي صدر من "سحنة"، وقد أرخى الليل سدوله، وسحب الظلام ذيوله، ونحن على الرحيل غدا إن شاء الله، إذا مد الصباح غرره، قبل أن يسبغ حجوله،

ولو لا ذلك لأطلته، كوقوف الحجيج على المشاعر، و لم أقتصر منه على زاد المسافر، فإن المحتمل له، وسيع الحقوق لدى، حقيق أن أتعب له خاطري ويدي، وهو أبو عبد الله الحامدي، كان وافي مع ذلك الشيخ الشهيد، أبي سعيد الشبيبي السعيد - رفع الله منازله - وقتل قاتله، يكت له فآنسنا بفضله، وأنسنا الخير من عقله، فلما فجع بتلك الصحبة، وبما كان فيها من القربة، لم يرض غير بابي بتلك مشرعاً، وغير جنابي مرتعا، وقطع إلى الطريق الشاق، مؤكدا حقا لا يشق غباره، ولا ينسي على الزمان ذماره، فكتب على جناح هذه النهضة التى بنا لم يستقر نواها، و لم تلق عصاها، فإخراج الحر المبتدئ الأمر، القريب العهد بوطأة الدهر، تحامل عليه بالمركب الوعر، فرددته إليك يا سيدي، لتسهل عليه حجابك، وتمهد له جنابك، ويترصد عملا خفيف النقل، ندى الظل، فإذا اتفق عرضته عليه، ثم فوضته إليه، وهو إلى أن يتسق ذلك ضيفي ذلك ضيفي، وعليك قراه، وعندك مربعه ومشتاه، ويريد اشتغالا بالعلم يزيده استقلاله. إلى أن يأتيه إن شاء الله خبرنا فى الاستقرار، ثم له الخيار، إن شاء أقام على ما وليته، وإن شاء التحق بنا ناشرا ما أوليته، وقد وقعت له إلى فلان بما يعنيه على بعض الانتظار، إلى أن يختار له كل الاختيار، فأوعز إليه بتعجيله، واكفني شغل القلب بهذا الحر، الذي أفردني بتأميله، إن شاء الله تعالى وحده.

وكتب إلى القاضي أبي بشر، الفضل بن محمد الجرجاني، عند وروده باب الري وافدا عليه:

تحدثت الركاب بسير أروي ... إلى بلد حططت به خيامي

فكدت أطير من شوق إليها ... بقادمة كقادمة الحمام

أفحق ما قيل من أمر القادم؟ أم ظن كأماني الحالم؟ لا والله، بل هو درك العيان، وإنه ونيل المنى سيان، فمرحبا أيها القاضي براحلتك ورحلتك، بل أهلا بك وبكافة أهلك، ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك، ووجدنا ريح يوسف من رياك فحث المطى تزل غلتي برؤياك، وتزح علتي بلقياك، ونص على يوم الوصول نجعله عيدا مشرفا، ونتخذه موسما ومعرفا، ورد الغلام أسرع من رجع الكلام، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر، يترك الصبا في عقال وأسر:

سقى الله دارات مررت بأرضها ... فأذنتك نحوى يا زياد بن عامر

أصائل قرب أرتجي أن أنالها ... بلقياك قد زحزحن حر الهواجر

وقال بعض ندماء الصاحب له يوما: أرى مولانا قد أغار فى قوله:

لبسن برود الوشى لا لتجمل ... ولكن لصون الحسن بين برود

على المتنبيء في قوله:

لبسن الوشى لا متجملات ... ولكن كي يصن به الجمالا

فقال كما أغار هو في قوله:

ما بال هذي االنجوم حائرة ... كأنها العمى ما لها قائد

على العباس بن الأحنف في قوله:

والنجم فى كبد السماء كأنه ... أغمى تحير ما لديه قائد

وللصاحب أيضا:

يقولون لي كم عهد عينك بالكرى ... فقلت لهم مذ غاب بدر دجاها
ولو تلتقي عين على غير دمعة ... لصارمتها حتى يقال نفاها

من قول المهلبي الوزير:

تصارمت الأجفان منذ صرمتني ... فما تلتقي إلا على دمعة تجري

وللصاحب أيضا:

ومهفهف حسن الشمائل أهيف ... يروي النفوس بفترتي عينيه
ما زال يبعدني ويؤثر هجرتي ... فجذبت قلبي من إسار يديه
قالوا :تراجعه فقلت: بديهة ... قولا أقيم مع الروى عليه
والله لا راجعته ولو أنه ... كالبدر أو كالشمس أو كبويه

أخذه من قول ابن المعتز:

والله لا كلمتها ولو انها ... كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

قال المؤلف: هكذا ذكر الثعالبي، ونسب هذا البيت إلى ابن المعتز، وهو لأبي بكر محمد بن السراج النحوي، وله قصة ظريفة، وهي مذكورة في أخباره من هذا الكتاب.

ومما هجي به الصاحب، قول أبي العلاء الأسدي:

إذت رأيت مسجى في مرقعة ... يأوى المساجد حرا ضره بادي
فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت ... به الخطوب إلى لؤم ابن عباد

وقال السلامي:

يا ابن عباد بن عباس ... بن عبد الله حرها
تنكر الجبر وأخرجت ... إلى دنياك كرها

ومر أبو العباس بن الضبي، بباب الصاحب بعد موته، فقال:

أيها الباب لم علاك اكتئاب أين ذاك الحجاب والحجاب؟؟
أين من كان يفزع الدهر منه فهو الآن فى التراب تراب؟

ولأبي القاسم بن العلاء الأصفهاني، يرثي الصاحب من قصيدة:

ما مت وحدك لكن مات من ولدت حواء طرا بل الدنيا بل الدين
هذي نواعي العلا مذ مت نادبة من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكي عليك العطايا والصلات كما تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف أقعدهم واستيقظوا بعد ما نان الملاعين
لايعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمان وانحل الشياطين

وكتب الصاحب إلى أبي العلاء الأسدي من أجود أبياته:

يقر بعيني أن يلم رسولها ببابي ويهدي بالعشي سلامها

ورد يا شيخي – أطال الله بقاءك – رسولك بكتاب سبق الأفكار والظنون، وحسدت عليه القلوب العيون، وترك الواصفين بين قاصر ومقصر، ومثل ليالينا بين اللوى فمحجر بكلام كالورق النضير، تتأوه منه الغصون، وكالنور المنير، أفنانه فنون فصاد فيّ حليفا للشوق أو رهينا، رحنيا على الحنين وساء قرينا، وكيف لا وقد ألفنا القرب حولا، حولنا رياض الأدب ترف، ودوننا رواحل الفضل تزف نملك رقاب للنطق، ونتنازع أطراف الكلام المنمق، ونقطع الليالى تناشدا وتذاكرا، وتحادثا وتسامرا، إلى أن يخلع الظلام ثيابه، ويحدر المصباح نقابه، هذا دأبنا كان، إلى أن جاوزنا الشباب مراحل. ووردنا من المشيب مناهل. ثم حان الفراق، فنحن حتى اليوم منه في جو كدر، ونجم منكدر يقبضنا عن الموارد العذاب.
ويعرضنا على لواعج العذاب، – والله نسأل – إعادة هاتيك الأحوال، وتلك الأيام الخضراء الظلال، و إن كان الله قد زادنا بعدك مناجح ومنائح وأيادي غوادي وروائح، حتى فتحنا الفتوح، وذللنا الصروح، ورتقنا الفتوق، ونسخنا القرون، وأثرنا الآثار، ووطأنا الرقاب، وطلبنا الثار، واصطنعنا الصنائع، وجعلنا ودائع النعم قطائع، وعقدنا في أعناق الأحرار مننا، أحسبها من سبل الإحسان سننا، إنا قد تحملنا مشاق، مالت على القوة بالضعف، وتحاملت على الأشر بالوهن، ودفعت إلى معالجة خطوب، تعجب الدهر من صبرنا عليها فحار، وجبن الزمان عند شجاعتنا لها فحار، وها أنا أحرج ما كنت إلى أن أرفه، ولا أستكره، وقد رميت بسهم الأربعين، وأرميت على شرف الخمسين، مدفوع الأشغال والأثال، إلى متاعب ومصاعب، لو مني بها ابن ثلاثين قويا أزره، طريا جرضه، لقام عجزه، وقعدت به نفسه، وأظنني كنت قديما قلت:

وقائلة :لم عرتك الهموم وأمرك ممتثل في الأمم

فقلت: دعيني وما قد عرا فإن الهموم بقدر الهمم

وما أنا على الراحة آسف، بل على ألا أكون مشغولا بأخرى، أمهد لها وأكدح، وأدأب لنفسى وأنصح، – اللهم وفق وقدر –، ومهل ويسر، إنك على ما تشاء قدير. والرسالة طويلة كتبت مقدمتها

ذكر محمد ما فعله الصاحب مع القاضي عبد الجبار ابن أحمد، من حسن العناية والتولية والتمويل، فلما مات الصاحب كان يقول: أنا لا أترحم عليه، لأنه لم يظهر توبته، فطعن عليه في ذلك، ونسب إلى قلة الرعاية، فلا جرم أن فخر الدولة، قبض عليه بعد موت الصاحب، وصادره فيما قيل: على ثلاثة آلاف ألف درهم، وعزله عن قضاء الري، وولى مكانه القاضي أبا الحسن، علي بن عبد العزيز الجرجاني، العلامة، صاحب التصانيف والفضائل الجمة، وقد ذكرته أنا في بابه. فقيل: إن عبد الجبار با ع ألف طيلسان مصري في مصادرته، وهو شيخ طائفتهم، يزعم أن المسلم يخلد في النار على ربع دينار، وجميع هذا المال من قضاء الظلمة، بل الكفرة عنده وعلى مذهبه، وإنما ذكرت هذا للاعتبار. وقرأت في كتاب هلال بن المحسن، بن إبراهيم الصابيء قال: وكان الصاحب أبو القاسم يراعي من ببغداد، والحرمين من أهل الشرف، وشيوخ الكتاب والشعراء، وأولاد الأدباء والزهاد والفقهاء، بما يحمله إليهم في كل سنة مع الحاج، على مقاديرهم ومنازلهم، وكان يحمل إلى أبي إسحاق إبراهيم بن هلال خمسمائة دينار، وإلى ألف درهم جبلية، مع جعفر بن شعيب، فأذكر وقد راسله بعد وفاة عضد الدولة، بالاستدعاء إلى حضرته بالرى، وبذل له النفقة الواسعة، والمعونة الشاسعة عند شخوصه، والإرغاب والإكثار عند حضوره. فكانت عقله بالذيل الطويل، والظهر الثقيل، تمنعه من ترك موضعه، ومفارقة موطنه، فيما كتبه إليه بالاعتذار عن التأخير:

نكصت على أعقابهن مطالبى وتقاعست عن شأوهن مآربي

وتبلدت مني القريحة بعد ما كانت نفاذا كالشهاب الثاقب

وبكيت شرخ شبيبتي فدفنتها دفن الأعزة في العذار الشائب

ومنها:

فلو أن لى ذاك الجناح لطار بي حتى أقبل ظهر كف الصاحب

وأعيش في سقيا سحائبه التي ضمنت سعادة كل جد خائب

وأراجع العادات حول قبابه حتى السواد من الشباب الذاهب

وأعد من جلساء حضرته التي شحنت بكل مسائل ومجارب

فيقول :من ذا سائل عنى له | متثبت فيقول هذا كاتبي؟
أترى أروم بهمتي ما فوق ذا | أنى وخدمته أجل مراتبي

ومنها يعتذر

كثرت عوائقي التى تعتاقني | من غيث راحته الملث الساكب
ولد لهم ولد وبطن ثالث | هو رابعي وعشيرتي وأقاربي
والسن تسع بعدها خمسون قد | شامت بوارق يومها المتقارب
فالجسم يضعفعن تجشم راجل | والحال يقصر عن ترفه راكب
وعلى للسلطان طاعة مالك | كانت على المملوك ضربة لازب
وتعطلي مع شهرتي كتصرفي | كل سواء في الحساب الحاسب

وهي طويلة. فلما كانت سنة أربع وثمانين، التي توفي فيها جدي، أحسن بانقضاء مدته، وحضورمنيته، فكتب إلى الصاحب كتابا يسأله فيه، إقرار هذا الرسم المذكور على ولده، وإجراءه لهم من بعده، وقرن الكتاب بقصيدة أولها:

نحذر منك النائبات فتحذر | وتذكر للخطب الجسيم فيصغر
وتكسي بك الدنيا ثياب جمالها | فيرجوك معروف ويخشاك منكر

يقول فيها:

أسيدنا إن المنية أعذرت | إلي بآيات تروع وتذعر
لها نذر قد آذنتني بهجمة | على مورد ما عنه للمرء مصدر
وإنى لأستحلي مرارة طعمه | إذا كنت بالتقديم لي تتأخر
وحق لنفس كان منك معاشها | إذا غمضت عينا وعينك تنظر
ومن ورث الأولاد بعد وفاته | حضانك طابت نفسه حين يقبر
تمرد منك الجود حتى تمردت | مطالبنا والماجد الحر يصبر
أأطلب منك الرفد عمرى كله | وأطلبه والجنب منى معفر؟
وليست بأولى بدعة لك في الندى | لها موقف فيه لك الحمد ينشر

وهي طويلة. قال هلال بن المحسن: وأمرني بأن أنفذ ذلك، فأنفذته، وكتبت عن نفسي كتابا في معناه، ووصل ونفذ من يحمل الرسم على العادة، ثم اتفق أن توفي الصاحب في اول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة،

فوقف، وكانت بين وفاتهما شهور.

قال هلال: وسمعت محدثا يحدث أبا إسحاق، أنه سمع الصاحب يقول: ما بقي من أوطاري وأغراضي، إلا أن أملك العراق، وأتصدر ببغداد، وأستكتب أبا اسحاق الصابيء، ويكتب عني وأغير عليه، فقال جدي: ويغير علي وإن أصبت.

قال: وحدثني أبو إسحاق جدي قال: حضر الصاحب أبو القاسم بن عباد دار الوزير المهلي، عند وروده إلى بغداد، مع مؤيد الدولة، فحجب عنه لشغل كان فيه، وجلس طويلا، فلما تأخر الإذن، كتب إلى رقعة لطيفة فيها:

وأترك محجوبا على الباب كالخصي ويدخل غيري كالأيور ويخرج

فأقرأها الوزير المهلبي، فأمر بإدخاله.

قال: وكان الصاحب عند دخوله إلى بغداد، قصد القاضي أبا السائب، عتبة بن عبيد لقضاء حقه، فتثاقل في القيام له، وتحفز تحفزا أراه به ضعف حركته، وقصور نهضته، فأخذ الصاحب بضبعه وأقامه، وقال: نعين القاضي على قضاء حقوق إخوانه، فخجل أبو السائب واعتذر إليه.

وذكر القاضي أبو علي التوخي في كتاب نشوار المحاضرة: حدثني أبو منصور عبد العزيز بن محمد بن عثمان، المعروف بابن عمرو الشرابي، حاجب أمير المؤمنين المطيع لله، قال: دخلت في حداثتي يوما على أبي السائب القاضي، فتثاقل في القيام لي، وأظهر لي ضعفا عنه للسن، والعلل المتصلة به، قال: فتطول فجذبت يده بيدي، حتى أقمته القيام التام، وقلت له: أعين قاضي القضاة، – أيده الله – على اكمال البر، وتوفية الإخوان حقوقهم؟ قال: وقد كنت عاتبا عليه في اشياء عاملني بها، وإنما جئته للخصومة، فبدأت لأخذ الكلام، فحين رأى الشر في وجهي قال: تتفضل لاستماع كلمتين؟ ثم تقول ما شئت، فقلت له، فقال: روينا عن ابن عباس، – رضي الله عنه –، في قوله تعالى: "فاصفح الصفح الجميل" قال: عفو بلا تقريع، فأنت رأيت أن تفعل ذلك، فافعل، فاستحييت من الاستقصاء عليه، وانصرفت.

قال المؤلف: والذي عندي، أن الخبر إنما جرى بين هذا والقاضي، وبلغ أمره الصاحب، فانتحله لنفسه، وحكاه في مجلس أنسه، فشاع عنه، وكان الصاحب – رحمه الله – ممن يحب الفخر، وانتحال الفضائل، التي ربما قصر عنها. ومن أشعار الصاحب:

يا خاطرا يخطر في تيهه ذكرك موقوف على خاطري

إن لم تكن آثر من ناظري عندي فلا متعت بالناظر

وكتب إلى أبي الحسن الطيب:

إنا رجوناك على انبساط والجوع قد أثر فى الأخلاط

فإن عسى ملت إلى التباطي صفعت بالنعل قفا بقراط

وله:

بعدت فطعم العيش بعدك علقم ووجه حياتي مذ تغيبت أرقم

فمالك قد أدغمت في النوى وودك في غير الندار مرخم

وقال لما حضرته الوفاة:

وكم شامت بي عند موتي جهالة بظلم يسل السيف بعد وفاتي

ولو علم المسكين ماذا يناله من الذل بعدي مات قبل مماتي

وله أيضا:

بدا لنا كالبدر في شروقه يشكو غزالا لج في عقوقه

يا عجبي والدهر في طروقه من عاشق أحسن من معشوقه

قال أبو بكر الخوارزمي: أنشدنا الصاحب هذه القوافي ليلة وقال: هل تعرفون نظيرا لمعناها فى شعر المحدثين؟ فقلت: لا أعرف إلا قول البحتري:

ومن عجب الدهر أن الأمير أصبح أكتب من كاتبه

قال: فقال جودت وأحسنت، هكذا فليكن الحفظ وله ويروق لغيره:

رشأ غدا وجدي عليه كردفه وغدا اصطباري في هواه كخصره

وكأن يوم وصاله من وجهه وكأن ليلة هجره من شعره

إن ذقت خمرا خلتها من ريقه أو رمت مسكا نلته من نشره

وإذا تكبر واستطال بحسنة فعذار عارضه يقوم بعذره

وله أيضا:

دب العذار على ميدان وجنته حتى إذا كاد أن يسعى به وقفا

كأنه كاتب عز المداد له أراد يكتب لاما فابتدا ألفا

وله أيضا:

وخط كأن الله قال لحسنه تشبه بمن قد خطك اليوم فائتمر

وهيهات أين الخط من حسن وجهه — وأين ظلام الليل من صفحة القمر؟؟

وله ايضا:

وشادن قلت له ما اسمكما — فقال لي بالغنج عباث
فصرت من لثغته ألثغا — فقلت أين الكاث والطاث

وله يصف الثلج:

هات المدامة يا غلام مصيرا — نقلي عليها قبلة أو عضة
أو ما ترى كانون ينثر وروده؟ — وكأنما الدنيا سبائك فضة

وله أيضا:

وصفراء أو حمراء فهي مخيلة — لرقتها إلا على المتوهم
يشككنا في الكرم أن انتماءه — إلى الخمر أم هاتا إلى الكرم تنتمي
لك الوصف دون القصف مني فخيمي — بغير يدي وارضي بما قاله فمى

وكتب إلى أبي الفضل بن شعيب:

يا أبا الفضل لم تأخرت عنا — فأسأنا بحسن عهدك ظنا؟
كم تمنت نفسي صديقا صدوقا — فإذا أنت ذلك المتمني
فبعض الشباب لما تثنى — وبعهد الصبا وإن بان منا
كن جوابي إذا قرأت كتابي — لاتقل للرسول كان وكنا

وله أيضا:

يا بن يعقوب يا نقيب البدور — كن شفيعي إلى فتى مسرور
قل له إن الجمال زكاة — فتصدق بها على المهجور

وله يمدح عضد الدولة:

سعود يحار المشترى في طريقها — ولا تتأتى في حساب المنجم
وكم عالم أحييت من بعد عالم — على حين صاروا كالهشيم المحطم
فوالله لو لا الله قال لك الورى — مقال النصارى في المسيح بن مريم

فحامد لو فضت فغاضت على الورى لما أبصرت عيناك وجه مذمم
وكلا ولكن لو حظوا بزكاتها لما سمعت أذناك ذكر ملوم
ولو قلت إن الله لم يخلق الورى لغيرك لم أحرج ولم أتاثم

وله يهجو:

سبط متوى رقيع سفله أبدا يبذل فينا أسفله
إعتز لنا نيكه فى دبره فلهذا تلعن المعتزلة

وله في رجل كثير الشرب بطيء السكر: يقال:

لماذا ليس يسكر بعدما توالت عليه من نداماه قرقف؟

فقلت:

سبيل الخمر أن تنقص الحجى فإن لم تجد شيئا فماذا تحيف

وله أيضا:

شرط الشروطي فتى أير وما سواه غير مشروط
أبغى من الإبرة لكنه يوهم قوما أنه لوطي

وله أيضا:

تصد أميمة لما رأت مشيبا على كارضي قد فرش
فقلت لها: الشيب نقش الشباب فقالت :ألا ليته ما نقش

وله أيضا:

ولما تناءت بالأحبة دارهم وصرنا جميعا من عيان إلى وهم
تمكن مني الشوق غير مسامح كمعتز لي قد تمكن من خصم.

^

الجزء السابع

إسماعيل بن عبد الله بن محمد، بن ميكال

أبو العباس المكيالي، وقد ذكر هذا النسب في عدة مواضع، مات ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر، سنة اثنتين وستين وثلاثمائة بنيسابور، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة، ودفن بمقبرة باب باب معمر، وكان شيخ خراسان، ووجهها وعينها في عصره، سمع بنيسابور أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبا العباس محمد

بن إسحاق السراج، وأبا العباس أحمد بن محمد الماسرجسي، وبكور الأهواز، عبد ابن أحمد بن موسى الجواليقي الحافظ والحسن بن بهار، سمع منه الحفاظ: مثل أبن علي النيسابوري، وأبي الحسين محمد بن الحجاحجي، وأبي عبد الله، ابن البيع الحافظ، وذكره في التاريخ وقال: ولد أبو العباس بنيسابور، فلما قلد أمير المؤمنين المقتدر بالله، أباه عبد الله بن محمد، للأعمال بكور الأهواز، حمل إلى حضرة أبيه، فاستدعى أبا بكر محمد بن الحسن، ابن دريج لتأديبه، فأجيب إليه إيجاباً له، وبعث بأبي بكر الدريدي إليه، فهو كان مؤدبه وكان واحد عصره، وفي عبد الله بن محمد، بن ميكال، وابنه أبي العباس، قال الدريدي قصيدته المشهورة في الدنيا، التي مدحهم بها.

ثم قال الحاكم: سمعت أبا العباس، وقد سئل عن مقصورة الدريدي يقول: أنشدنيها مؤدبي أبو بكر الدريدي، ثم قرأها عليه مراراً، فسألناه أن ينشدها فقال: أنشدنا أبو بكر بن دريد إما ترى رأسي حاكي لونه إلى أن بلغ إلى الأبيات، التي مدحهم الدريدي فيها، فقال: هذه الأبيات قد ذكرنا فيها، فلو أنشدها بعضكم؟ فقرأها عليه أبو منصور الفقيه، وأقر بها وهي:

إن العراق لم أفارق أهله عن شنآن صدني ولا قلى

إلى أن بلغ قوله:

لا زال شكري لها مواصلاً دهري أو يعتاقني صرف الفنا

إلى هنا قرئ عليه ثم أنشدنا لفظاً إلى آخرها، وذلك في شهر رمضان، سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

قال الحاكم: سمعت أبا بكر بن محمد ب إبراهيم الجوري الأديب، وهو يحدثنا عن أبي بكر بن دريد، قلت له: أين كتبت عنه؟ ولم تدخل العراق؟ قال: كتبت عنه بفارس لما قدم على عبد الله بن محمد، بن ميكال، لتأديب ولده أبي العباس، فقلت له: أبو العباس إذ ذاك صبي، فقال: لا والله إلا رجل، إمام في الأدب والفروسية، بحيث يشار إليه.

قال: وسمعت أبا عبد الله محمد بن الحسين الوضاحي يقول: سمعت أبا العباس بن ميكال، يذكر صلة الدريدي في إنشائه المقصورة فيهم. قال الوضاحي فقلت له: وإيش الذي وصل إليه من خاصة الشيخ؟ فقال: لم تصل يدي إذ ذاك، إلا إلى ثلاثمائة دينار، صببها في طبق كاغد، ووضعتها بين يديه.

وروى عنه أبو علي الحافظ في مصنفاته، وأبو الحسين الحجاجي ومشايخنا رضي ا لله عنه.

قال الحاكم: سمعت أبا محمد عبد الله بن إسماعيل يقول: لما توفي أبي عبد الله بن ميكال، أمر أمير المؤمنين، أن أقلد الأعمال التي كان يتقلدها أبي، فأمر لي باللواء والخلعة، وأخرج في ذلك خادماً من خواص الخدم، وكوتبت فيه، فبكيت واستعفيت، والناس يتعجبون من ذلك، وقلت: لي بخراسان معاش أرجع إليه، فلما

انصرفت إلى نيسابور، جاءني أبو نصر بن أبي حية غداة جمعة، فقالك ينبغي أن تتأهب للركوب إلى الرئيس أبي عمرو الخفاف، فإن هذا رسم مشايخ البلد معه، ركبت معه إليه فلم يتحرك لي، فخرجت من عنده وأنا أبكي فقال لي أبو نصر: ما الذي أبكاك؟ فقلت: سبحان الله، رددت على المقتدر لواء الولاية بفارس، وخوزستان، وانصرفت إلى نيسابور، حتى أزور أبا عمرو الخفاف، فلم يتحرك لي، فقال لي: لا تغتم بهذا، واعمل إلى الخروج إلى هراة، فإن والي خراسان، أحمد بن إسماعيل بها، وإذا رآك وضربك بالصولجان وعلم محلك، أجلسك على رقاب كل من بنيسابور. فتأهبت وأصلحت هدية له وخرت إلى هراة، فوصلت إلى خدمة لاسلطان، ورضي خدمتي، ودعاني إلى الصولجان، ورضي مقامي، فلما استأذنت للانصراف، عرض على أعمالاً جليلة، فامتنعت عنها، فزودني بجهاز وخلع وكان الأمر على ما ذكره أبو نصر بن أبي حية.

قال: وسمعت أبا عبد الله بن أبي ذهل يقول: قال لي الوزير ابو جعفر، أحمد بن الحسين العتبي، لما أجلسني الأمير الرشيد هذا المجلس، نظرت إلى جميع اهل خراسان، ممن يؤهل للجولس معي في مجلس السلطان، أيده الله، فلم أجد فيهم أجل من أبي العباس بن ميكال، فسألت السلطان استحضاره، فلما حضر امتنع منتقلد العمل: فقلت له: ديوان الرسائل هو مثل قضاء القضاة، أمر منوط بالعلم والعلماء، فتقلد ديوان الرسائل صار جليس في مجلس السلطان، وكان على كره من أبي العباس.

قال: وسمعت أبا يحيى حماد بن الحمادى يقول: لما قلد أبو العباس بن ميكال الديوان، أمر أن يغير زيه من التعمم تحت الحنك والرداء وغير ذلك، فلم يفعل، وراجع السلطان فيه حتى أذن فيه، فكان يجلس في الديوا متطلساً متعمماً تحت الحنكة. قال: وسمعت قاضي اقضاة أبا الحسن محمد بن صالح الهاشمي يذكر آثار الميكالية ببغداد، ويصف إنشاء ابن ميكال، فوصف له بعض أحوالهم بخراسان، فقال: آثارهم عندنا بالعراق أكثر منها بخراسان، لأنهم نقالة م عندنا إلى خراسان.

إسماعيل بن ابي ذؤيب السدي الأعور

عبد الرحمن، ابن أبي ذؤيب السدي الأعور وقيل: عبد الرحمن بن أبي كريمة، مولى زينب بنت قيس، بن مخزمة، من بني عبد مناف، حجازي الأصل، سكن الكوفة، مات سنة سبع وعشرين ومائة، في أيام بني أمية، في ولاية مروان بن محمد. روى عن أنس ابن مالك، وعبد خير، وأبي صالح، ورأى ابن عمر، وهو السدي الكبير، وكان ثقة مأموناً، روى عنه الثوري وشعبة، وزائدة، وسماك بن حرب، وإسماعيل بن أبي خزيمة، وسليمان التيمي.

وكان ابن أبي خالد إسماعيل يقول: السدي أعلم بالقرآن من الشعبي، وقال أبو بكر بن مردويه: الحافظ إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، يكنى أبا محمد، صاحب التفسير، إنما سمي السدي، لأنه نزل بالسدة، كان أبوه من كبار أهل أصبهان، أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم سعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري، وابن عمر، وأبو هريرة، وابن عباس.

وقال غيره: نسب السدي إلى بيع الخمر - يعني المقانع - في سدة الجامع - يعني باب الجامع - وقال الفلكي: إنما سمي السدي، لأنه كان يجلس بالمدينة في موضع يقال له السد. قال يحيى بن سعيد: ما سمعت أحداً يذكر السدي إلا بخير. ومحمد بن مروان بن عبد الله، ابن إسماعيل، بن عبد الرحمن السدي، من أهل الكوفة يروى عن الكلبي صاحب التفسير، وداود بن أبي هند، وهشام بن عروة. روى عنه ابنه علي، ويوسف بن عدي، والعلاء بن عمرو، وأبو إبراهيم الترجماني، وغيرهم. وهو السدي الصغير. وكان يحيى بن معين يقول، السدي الصغير، محمد بن مروان صاحب التفسير، ليس بثقة. وقال البخاري: محمد بن مروان الكوفي، صاحب الكلبي، لا يكتب حديثه ألبتة. وسئل أبو علي صالح جهرة عنه فقال: كان ضعيفاً، وكان يضع الحديث، وكل ضعفه.

وذكر الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان، من تصنيفه قال: إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور، يعرف بالسدي، صاحب التفسير، كان أبوه عبد الرحنم يكنى أبا كريمة، من عظماء أهل أصبهان، توفي في ولاية مروان، وذكر كما تقدم، وكان عريض اللحية، إذا جلس غطت لحيته صدره قيل: إنه رأى سعد بن أبي وقاص.

وقال أبو نعيم بإسناده: إن السدي قال: هذا التفسير أخذته عن ابن عباس، إن كان صواباً فهو قد قاله: وإن كان خطأً فهو قاله. قال أبو نعيم فيما رفعه إلى السدي: إنه قال: رأيت نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، منهم أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عمر. كانوا يرون أنه ليس أحد منهم، على الحال التي فارق عليها محمداً، إلا عبد الله بن عمر.

إسماعيل بن عبد الرحمن، بن أحمد

ابن إسماعيل، بن إبراهيم، بن عامر، بن عابد، أبو عثمان الصابوي، مات في ثالث محرم سنة تسع وأربعين وأربعمائة قال عبد الغافر: هو الأستاذ الإمام شيخ الإسلام، أبو عثمان الصابوني الخطيب، المفسر المحدث الواعظ، أوحد وقته في طريقته، وكان أكثر أهل العصر من المشايخ سماعاً وحفظاً، ونشراً لمسموعاته وتصنيفاته، وجمعاً وتحريضاً على السماع، وإقامة لمجالس الحديث.

سمع الحديث بنيسابور، من أبي العباس التابوتي، وأبي سعيد اللسمسار، وبهراة من أبي بكر أحمد بن

إبراهيم الفرات، وأبي معاذ شاه بن عبد الرحمن، وسمع بالشام والحجاز، ودخل معرة النعمان، فلقي بها أبا العلاء أحمد ابن سليمان، وسمع بالجبال وغيرها من البلاد، وحدث بنيسابور، وخراسان إلى غزنة، وبلاد الهند وجرجان، وآمل وطبرستان، وبالشام، وبيت المقدس، والحجاز.

روى عنه أبو عبد الله القارئ، وأبو صالح المؤذن.

ومن تاريخ دمشق: أن الصابوني وعظ للناس سبعين سنة.

قال: وله شعر منه:

مالي أرى الدهر لا يسخو بذي كرم ... ولا يجود بمعوان ومفضال

ولا أرى أحداً في الناس مشترياً ... حسن الثناء بإنعام وإفضال

صاروا سواسية في لؤمهم شرعاً ... كأنما نسجوا فيه بمنوال

وذكر من فضله كثيراً ثم قال: ومولده ببوشنج للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وذكر وفاته كما تقدم.

إسماعيل بن بنان الخطيبي

علي، بن إسماعيل بن يحيى، ابن بنان الخطيبي أبو محمد، سمع الحارث بن أبي أسامة، والكريمي، وعبد الله بن أحمد، وغيرهم. وروى عنه الدار قطني، وابن شاهين، وابن زقويه. وكان ثقة فاضلاً نبيلاً، فهما عارفاً بأيام الناس، وأخبار الخلفاء. وصنف تاريخاً كبيراً على ترتيب السنين، وكان عالماً بالأدب، ركيناً عاقلاً، ذا راي يتحرى الصدق. ولد الخطيبي في محرم سنة تسع وتسعين ومائتين، ومات في جمادى الآخرة، سنة خمسين وثلاثمائة، في خلافة المطيع لله.

حدث الخطيب قال: سمعت الأزهري يقول: جاء أبو بكر بن مجاهد، وإسماعيل الخطيبي إلى منزل أبي عبد الصمد الهاشمي، فقدم إسماعيل أبا بكر، فتأخر أبو بكر وقدم إسماعيل، لما استأذن إسماعيل أذن له، فقال له: أدخل ومن أنا معه؟.

وحدث عن الحسن بن رزقويه، عن إسماعيل الخطيبي قال: وجه إلى الراضي بالله ليلة عيد فطر، فحملت إليه راكباً بغلة، فدخلت عليه وهو جالس في الشموع، فقال لي يا إسماعيل: إني عزمات في غدٍ على الصلاة بالناس في المصلى، فما أقول إذا انتهيت في الخطبة إلى الدعاء لنفسي؟ قال: فأطرقت ثم قلت يقول أمير المؤمنين: "رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه،

وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"؟ فقال حسبك، ثم أمرني بالانصراف، وأتبعني بخادم، فدفع إلى خريطة فيها أربعمائة دينار، وكانت الدنانير خمسمائة، فأخذ الخادم منها لنفسه مائة أو كما قال.

إسماعيل بن علي الخضيري

من أعمال دجيل، ثم من ناحية نهر تاب، كان فاضلاً متميزاً لسناً، ذا بلاغة وبراعة، وله في ذلك تصانيف معروفة متدولة، إلا أن الخول كان عليه غالباً، قدم بغداد، وقرأ الأدب على أبي محمد إسماعيل ابن أبي منصور، موهوب بن الخضر الجواليقي، وعلى أبي البركات عبد الرحمن، الأنياري، وعلى علي بن عبد الرحيم السلمي بن العصار، وأدرك ابن الخشاب أبا محمد، وأخذ عنه علماً جماً، وقرأ على أبي الغنائم بن حبشي، وكان ورعاً زاهداً تقياً، رحل إلى الموصل، وأقام بها في دار الحديث عدة سنين، ثم اشتاق إلى وطنه، فرجع إلى بغداد، فمات بها في صفر سنة ثلاث وستمائة، وله تصانيف ورسائل مدونة وخطب، وديوان شعر، وكتاب جيد في علم القراءات رأيته.

ومن شعره:

لا عالم يبقى ولا جاهل ... ولا نبيه لا ولا خامل

على سبيل مهيع لاحب ... يودي أخو اليقظة والغافل

إسماعيل بن عيسى، بن العطار أبو إسحاق

من أهل السير، بغدادي، روى عنه الحسن بن علويه، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب المبتدإ.

إسماعيل بن القاسم، بن عيذون، بن هارون

ابن عيسى بن محمد، بن سليمان، المعروف بالفالي، أبو علي البغدادي، مولى عبد الملك بن مروان، ولد بمنازجرد من ديار بكر، ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة، وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، مات بقرطبة في ربيع الآخر، سنة ست وخمسين وثلاثمائة، ومولده في سنة ثمانين ومائتين، وفي أيام الحكم المستنصر كانت وفاته، وسمع من أبي القاسم عبد الله بن محمد، بن عبد العزيز البغوي، وأبي سعيد لاحسين بن علي، بن زكريا بن يحيى، بن صالح، بن عاصم، بن زفر العدوي، وأبي بكر بن دريد، وابي بكر بن السراج، وأبي عبد الله نفطويه، وأبي إسحاق الزجاج، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وقرأ كتاب سيبويه على ابن درستويه، وسأله عنه حرفاً حرفاً، وأما نسبته: فهو نسوب إلى قالي قلا، بلد من أعملا أرمينية. قال القالي: لما دخلت بغداد، انتسبت إلى قالي قلا، رجا ء أن أنتفع بذلك، لأنها ثغر من ثغور المسلمين، لا يزال بها المرابطون، فلما تأدب ببغداد، ورأى أنه لاحظ له بالعراق، قصد بلاد

الغرب، فوافاها في أيام المتلقب بالحكم، المستنصر بالله عبد الرحمن، بن الحكم، بن هشام بن عبد الرحمن، بن معاوية، بن هشام، بن عبد الملك، بن مروان، بن الحكم، بن أبي العاص، بن أمية، ين عبد شمس، ابن عبد مناف. قالوا: وهذا أول من دعي من هؤلاء بالغرب أمير المؤمنين، إنما كان المتولون قبله يدعو ببني الخلائف. فوفد القالي إلى الغرب، في سنة ثلاثي وثلاثمائة، فأكرمه صاحب الغرب، وأفضل عليه إفضالاً عمه، وانقطع هناك بقية عمره، وهناك أملى كتبه أكثرها عن ظهر قلب، منها كتاب الأمالي، معروف بيد الناس، كثير الفوائد، غاية في معناه.

قال أبو محمد بن حزم: كتاب نوادر أبي علي، مبار لكتاب الكامل، الذي جمعه المبرد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً، فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً، وكتاب الممدود والمقصور، رتبه على التفعيل، ومخارج الحروف من الحلق، مستقى في بابه، لا يشذ منه شيء في معناه، لم يوضع مثله، كتاب مقاتل الفرسان، كتاب تفسير السبع الطوال، كتاب البارع في اللغة على حرف المعجم، جمع فيه كتب اللغة، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة. قال الزبيدي: ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألف مثله.

قرأت بخط أبي بكر محمد بن طرخان، بن الحكم: قال الشيخ الإمام أبومحمد العربي: كتاب البارع لأبي علي القالي، يحتوي على مائة مجلد، لم يصنف مثله في الإحاطة والاستيعاب، إلى كتب كثيرة ارتجلها وأملاها عن ظهر قلب كلها.

قال الحميدي: وممن روى عن القالي أبو بكر محمد ابن الحسين الزبيدي النحوي، صاحب كتاب مختصر العين، وأخبار النحويين، وكان حينئذ إماماً في الأدب، ولكن عرف فضل أبي علي فمال إليه، واختص به استفاد منه، وأقر له.

قال الحميدي: وكان أقام ببغداد خمساً وعشرين سنة، ثم خرج منها قاصداً إلى المغرب، سنة ثمان وعشري وثلاثمائة، ووصل إلى الأندلس، في سنة ثلاثين وثلاثمائة، في أيام عبد الرحمن الناص، وكان ابنه الأمير أبو العاس، الحكم ابن عبد الرحمن، من أحب ملوك الأندلس للعلم، وأكثرهم اشتغالاً به، وحرصاً عليه، فتلقاه بالجميل، وحظي عنده، وقرب منه، وبالغ في إكرامه، ويقال: إنه هو الذي كتب إليه، ورغبه في الوفود عليه، واستوطن قرطبة، ونشر علمه بها.

قال: وكان إماماً في علم العربية، متقدماً فيها، متقناً لها، فاستفاد الناس منه، وعولوا عليه، واتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتبه على غاية التقييد، والضبط والإتقان، وقد ألف في علمه الذي اختص به تآليف مشهورة، تدل على سعة علمه وروايته، وحدث عنه جماعة، منهم أبو محمد عبد الله بن الربيع، بن عبد الله التميمي، ولعله آخر من حدث عنه، وأحمد بن أبان، بن سيد الزبيدي، كما ذكرنا آنفاً. قال: وكان

أعلم الناس بنحو البصريين، وأرواهم للشعر مع اللغة.

قال الزبيد: وسألته لم قيل له القالي؟ فقال: لما انحدرنا إلى بغداد، كنا في رفقة فيها أهل قالي قلا، وهي قرية من قرى منازجرد، وكانوا يكرمون لمكانهم من الثغر، فلما دخلت بغداد، نسبت إليهم لكوني معهم، وثبت ذلك علي.

قال الحميدي: وكان الحكم المستنثر قبل ولايته الأمور، وبعد أن صارت إليه، يبعثه على التأليف، وينشطه بواسع العطاء، ويشرح صدره بالإجزال في الإكرام، وكانوا يسمونه بالبغدادي، لكثرة مقامه، ووصوله إليهم منها.

قال السلفي بإسناد له: أخبرنا أبو الحكم، منذر بن سعيد البولطي قال: كتبت إلى أبي علي البغدادي القالي، أستعير منه كتاباً من الغريب وقلت:

بحق رئم مفهف ... وصدغه المتلطف
ابعث إلي بجزء ... من الغريب المصنف

قال: فأجابني وقضى حاجتي،

وحق در تألف ... بفيك أي تألف
ولو بعثت بنفسي ... إليك ما كنت أسرف

ابن صالح، بن إسماعيل

ابن صالح، بن عبد الرحمن، الصفار، أبو علي، علامة بالنحو باللغة، مذكور بالثقة والأمانة، صحب المبرد صحبة اشتهر بها وروى عنه، وسمع الكثير، وروى الكبير، أدركه الدار قطني، وقال: هو ثقة، صام أربعة وثمانين رمضان، وكان متعصباً للسنة، مات فيما ذكره الخطيب، سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، ومولده سنة تسع وأربعين ومائتين، ودفن بقرب قبر معروف الكرخي، بينهما عرض الطريق، دون قبر أبي بكر الآدمي، وأبي عمر الزاهد.

قال أبو عبيد، محمد بن عمران المرزباني: أنشدني الصفار لنفسه:

إذا ظرتكم لاقيت أهلاً ومرحباً ... وإن غبت حولاً لا أرى منكم رسلاً
وإن جئت لم أعدم ألا قد جفوتنا ... وقد كنت زواراً فما بالنا نقلى
أفي الحق أن أرضى بذلك منكم ... بل الضيم أن أرضى بذا منكم فعلا
ولكنني أعطي صفاء مودتي ... لمن لا يرى يوماً على له فضلاً

وأستعمل الإنصاف في الناس كلهم   فلا أصل الجافي ولا أقطع الحبلا
وأخضع لله الذي هو خالقي   ولن أعطي المخلوق من نفسي الذلا

إسماعيل بن محمد، بن أحمد الوثابي

أبو طاهر، من أهل أصبهان، له معرفة تامة بالأدب، وطبع جواد بالشعر، مات في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. قال السمعاني: ومن خطه نقلت: ما رأيت بأصفهان في صنعة الشعر والترسل، أفضل منه، أضر في آخر عمره، وافتقر وظهر الخلل في أحواله، حتى كاد أن يختلط، دخلت عليه داره بأصبهان، وما رأيت أسرع بديهة منه في النظم والنثر. افترحت عليه رسالة فقال لي: خذ القلم واكتب، وأملى علي في الحال بلا ترو ولا تفكر، كأحسن ما يكون، إلا أني سمعت الناس يقولون: إنه يخل بالصلوات المفروضة، والله أعلم بحاله.

وأنشد عنه السمعاني أشعاراً له منها:

أشاعوا فقالوا وقفة ووداع   وزمت مطايا للرحيل سراع
فقلت: وداع لا أطيق عيانه   كفاني من البين المشتت سماع
ولم يملك الكتمان قلب ملكته   وعند النوى سر الكتوم مذاع

وأنشد عنه له:

فو الله لا أنسى مدى الدهر قولها   ونحن على حد الوداع وقوف
وللنار من تحت الضلوع تلهب   وللماء من فوق الخدود وكيف
ألا قاتل الله الصورف فإنما   تفرق بين للصاحبين صروف

وأنشد له عنه أيضاً:

طابت لعمري على الهجرا ذكراها   كأن نفسي ترى الحرمان ذكراها
تحيا بيأس وتفنيها طماعية   هل مهجة برد يأس الوصل أحياها؟
قامت لها دون دعوى الحب بينة   بشاهدين أبانا صدق دعواها
إرسال شكوى وإجراء الدموع معاً   وإن تحقبت مجراها ومرساها

وأنشد عنه له م قصيدة.

فعج صاح بالعوج الطلاح إلى الحمى   وزر أثلات القاع طال بها العهد

تعوض عيناً بعد عين أوانساً وأوحش أحشاء تضمنها الوجد
وما ساءني وجد ولا ضرني هوى كما ساءني هج تعقبه صد
تبصر خليلي من ثنية بارق بريقاً كسقط النار عالجه الزند
يدق وأحياناً يرق ويرتقي ويخفى كرأي الغمر إمضاؤه رد
فيقضى بها من ذكر حزوى لبانة ويطفى بها م نار وجد بها وقد
وإن كان عهد لاوصل أضحى نسيئة فهاك أليل البرق إذ عهده نقد
وشم لي نسيم الريح من أفق الحمى فقد عبق الوادي وفاح بهاالارند

إسماعيل بن محمد، بن عبدوس الدهان

أبو محمد النيسابوري، أنفق ماله على الأدب، وتقدم فيه، وبرع في علم اللغة، والنحو والعروف، وأخذ عن إسماعيل بن حماد الجوهري، فاستكثر منه، وحصل كتابه كتاب الصحاح في اللغة بخطه واتص باالأمير أبي الفضل الميكالي بشعر كثير، ثم أوتي الزهد والإعراض عن الأعراض الدنيا.

وقال لما أزمع الحج والزيارة:

أتيتك راجلاً ووددت أني ملكت سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أسير على الماقي إلى قبر رسول الله فيه

وله أيضاً:

أيا خير مبعوث إلى خير أمة نصحت وبلغت الرسالة ولاوحيا
فلو كان في الإمكان سعى بمقلتي إليك رسول الله أفنيتها سعيا

وله أيضاً:

عبد عصى ربه ولكن ليس سوى واحد يقول
إن لم يكن فعله جميلاً فإنما ظنه جميل

وقال لصديق له:

نصحتك يا أبا إسحاق فاقبل فإني ناصح لك ذو صداقه
تعلم ما بدا لك من علوم فما الإدبار إلا في الوراقه

قال: وسألني أن أردد شيئاً من أشعاره في الغزل والمديح في كتابي هذا، فانتهيت في ذلك إلى رواية...

إسماعيل بن محمد القمي النحوي

ذكره ابن النديم فقال: له من التصانيف، كتاب الهمز. كتاب العلل.

إسماعيل بن محمد، بن عامر، بن حبيب

أبو الوليد الكاتب بإشبيلية فيقال: له ولأبيه قدم في الأدب، وله شعر كثير تقوله بفضل أدبه. وله كتاب في فضل الربيع. مات أبو الوليد ب محمد بن عامر، قريباً من سنة أربعين وأربعمائة بإشبيلية، ومن شعره في الربيع:

أبشر فقد سفر الثرى عن بشره ... وأتاك ينشر ما طوى من نشره

متحصناً من حسنه في معقل ... عقل العيون على رعاية زهره

من بعد ما سحب السحاب ذيوله ... فيه ودر عليه أنفس دره

شهر كأن الحاجب بن محمد ... ألقى عليه مسحة من بشره

إسماعيل بن مجمع الأخباري

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو أحد أصحاب السير والأخبار، ومعروف بصحبة الواقدي المختص به، مات سنة سبع وعشرين ومائتين. له من التصنيف: كتاب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، ومغازيه، وسراياه.

إسماعيل بن موهوب، بن أحمد، بن محمد

ابن الخضر، بن الجواليق، يكنى أبا محمد، كان إمام أهل الأدب، بعد أبيه أبي منصور بالعراق، واختص بتأديب ولد الخلفاء، مات في شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وكان مليح الخط، جيد الضبط، يشبه خطه خط والده، وكانت له معرفة حسنة باللغة والأدب، وكانت له حلقة بجامع القصر، يقرئ فيها الأدب كل جمعة. سمع منه ابن الأخضر، وابن حمدون الحسن تاج الدين، وغيرهما. ومولده في شعبان، سنة اثنتي عشرة وخمسمائة. وكان بينه وبين أخيه إسحاق في المولد سنة ونصف، وفي الوفاة ثلاثة أشهر. حدثت أن أبا الحسن، جعفر بن محمد، بن فطيرا، ناظر واسط والبصرة، وما بينهما من تلك النواحي، دخل يوماً إلى بعض الوزراء في أيام المستضيئ بالله – سقى الله عهوده صوب الرضوان، – فرأى في مجلسه الذي كان يجلسه، رجلاً لم يعرفه، فهابه وجلس بين يدي الوزير، وكان بان فطير معروفاً بالمزاح والنادرة، فتقدم حتى قال للوزير مساراً: يا مولانا، من هذا الذي قد جلس في مجلسي؟ فقال: هذا لاشيخ الأمام أبو محمد بن الجواليقي. فقال: وأي أرباب المناصب هو؟ قال: ليس هو من أرباب المناصب، هذا هو الإمام الذي يصلي بأمير المؤمنين، صلوات الله عليه وسلامه.

قال: فقام مبادراً وأخذ بيده، وأزاحه عن موضعه، وجلس في منصبه، وقال له: أيها الشيخ، أن ينبغي أن تتشامخ على إمام الوزير ومن دونه، فتجلس فوقهم، لأنك أعلى منهم متزلة، فأما على أنا، وأنا ناظر واسط والبصرة وما بينهما، فلا. قال: فما تمالك أهل المجلس من الضحك أن يمسكوه.

إسماعيل بن المبارك اليزيدي

بن أبي محمد يحيى، بن المبارك اليزيدي نذكر نسبه وولادته في ترجمة أبيه يحيى، إن شاء الله تعالى وحده، وكان إسماعيل أحد الأدباء الرواة، الفضلاء من ولج أبيه، وكان شاعراً مصنفاً، صنف كتاب طبقات الشعراء، فنقلت من خط عمر بن محمد، بن سيف الكاتب: أنشدنا اليزيدي أبو عبد الله، يعني محمد بن العباس، بن محمد، بن أبي محمد، بعد فراغه من كتاب الوحوش لعم أبيه، إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي:

كلما رابني من الدهر ريب فاتكالي عليك يا رب فيه
إن من كان ليس يدري أفي المح بوب صنع له أوالمكروه
لحرى بأن يفوض ما يع جز عنه إلى الذي يكفيه
الإله البر الذي هو في الرأ فة أحنى من أمه وأبيه
قعدت بي الذنوب أستغفر الل ه لها مخلصاً وأستعفيه
كم يوالي لنا الكرامة والنع مة من فضله وكم نعصيه؟؟

ومن شعره عن المرزباني:

أتت ثمانون فاستمرت بالنقص من قوتي وعزمي
فرق جلدي ودق عظمي واختل بعد التمام جسمي
ياليت أني صحبت دهري صحبة ذي تهمة وحزم
من لم يكن عاملاً بعلم رواه لم ينتفع بعلم

وقال يرثي علي بن يحيى المنجم، ومات على في سينة خمس وسبعين وثلاثمائة.

مات السماح ومات الجود والكرم إذ ضم شخص علي في الثرى رجم
سقيت من مجدث فابتل ساكنه غيثاً ملثا توالي صوبه الديم
عادت لنا بعدك الأيام مظلمة وكنت ضوءاً لها تجلى به الظلم
كان لازان فتيا مشرفاً نضراً فاليوم أخلقه من بعدك الهرم
قد كنت للخلق في حاجاتهم علماً يفرج الهم عنهم ذلك العلم

الأغر أبو الحسن

ذكره أبو بكر الزبيدي في نحاة مصر، وقال: أخذ عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، ولقيه قوم من أهل الأندلس، وحملوا عنه في سنة سبع وعشرين ومائتين،

أمان بن الصمصامة، ابن الطرماح، بن الحكيم

ابن الحكم، بن نفرن بن قيس، بن جحدر، بن ثعلبة، بن رضا ب مالك، بن أمان، ب عمرو، ابن ربيعت، بن جرول، بن ثعل، بن عمرو، بن الغوث، أبي طئ. والطرماح الشاعر المشهور، ويكنى أمان هذا، أبا مالك. واطرحه با لأغلب، إذ صار إليه الأمر لهجاء جده الطرماح بني تميم. قال أبو الوليد المهدي: أبطأت على أبي مالك وكان مريضاً فكتب إلي:

أبلغ المهدي عن مألكا ... أن دائي قد أصار المخ ريرا
كنت في المرضى مريضاً مطلقاً ... ولقد أصبحت في المرضى أسيراً
فإذا ما مت فانعم سالماً ... وتمل العيش في الدنياكثيرا

وأخذ عنهالمهدي جزءاً من النحو، واللغة، والشعر.

أمية بن عبد العزيز، بن أبي الصلت

من أهل الأندلس، كان أديباً فاضلاً، حكيماً منجماً، مات في سنة تسع وعشري وخمسمائة، في المحرم بالمهدية من بلاد القيروان، وهو صاحب فصاحة بارعة، وعلم بالنحو، والطب. وكان قد ورد إلى مصر في أيام المسمى بالآمر، من ملوك مصر، واتصل بوزيره ومدير دولته، الأفضل شاهنشاه، بن أمير الجيوش بدر، واشتمل عليه رجل من خواص الأفضل، يعرف بمختار، ويلقب بتاج المعالي، وكانت مترلته عند الأفضل عالية، ومكانته بالسعد حالية، فتحسنت حال أمية عنده، وقرب من قلبه، وخدمه بصناعي الطب والنجوم، وأنس تاج المعالي منه بالفضل، الذي لا يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فوصفه بحضرة الأفضل، وأثنى عليه، وذكر ما سمعه من أعيان أهل العلم، وإجماعهم على تقدمه في الفضل وتميزه عن كتاب وقته. وكان كاتب حضرة الأفضل يومئذ، رجل قد حمى هذا الباب، ومنع من أن يمر بمجلسه ذكر أحد م أهل العلم بالأدب، إلا أنه لم يتمكن من معارضة قول تاج المعالي، فأغضى على قذى، وأضمر لأبي الصلت المكروه، وتتابعت من تاج المعالي السقطات، وأفضت إلى تغير الأفضل، والقبض عليه والاعتقال، فوجد حينئذ السبيل إلى أبي الصلت، بما اختلق له من المحال، فحبسه الأفضل في سجن المعونة بمصر، مدة ثلاث سنين وشهر واحد، على ما أخبرني به الثقة عنه، ثم أطلق، فقصد المرتضي أبا طاهر يحيى بن تميم، بن المعز، بن باديس، صاحب القيروان، فحظى عنده، وحسن حاله معه. وقد ذكر ذلك في

رسالة لم يذم فيها مصر، ويصف حاله، ويثني على بان باديس، واستشهد فيها بهذه الأبيات في وصف ابن باديس:

فلم أستسغ إلا نداه ولم يكن ... ليعدل عندي ذا الجناب جناب
فما كل إنعام يخف احتماله ... وإن هطلت منه على سحاب
ولكن أجل اصنع ماجل ربه ... ولم يأت باب دونه موحجاب
وما شئت إلا أن أدل عواذلي ... على أن رأيي في هواك صواب
وأعلم قوماً خالفوني وشرقوا ... وغربت أني قد ظفرت وخابوا

ومن شعره أيضاً:

لا غرو إن لحقت لهاك مدائحي ... فتدفقت نعماك ملء إنائها
يكسى القضيب ولم يحن إبانه ... وتطوق الورقاء قبل غنائها

ومنه يرثي:

قد كنت جارك والأيام ترهبني ... ولست أرهب غير الله من أحد
فنافستني الليالي فيك ظالمة ... وما حسبت الليالي من ذوي الحسد

ولأبي الصلت من التصانيف: كتاب الأدوية المفردة، كتاب تقويم الذهن في المنطق، كتاب الرسالة المصرية، كتاب ديوان شعره كبير، كتاب رسالة عمر في الأسطرلاب، كتاب الديباجة في مفاخر صنهاجة؟ كتاب ديوان رسائل، كتاب الحديثة ف يمختار من أشعار المحدثين، ومن شعر أمية منقولاً من كتاب سر السرور:

حسبي فقد بعدت في الغي أشواطي ... وطال في اللهو إيغالي وإفراطي
أنفقت في اللهو عمري غير متعظ ... وجدت فيه بوفري غيرمحتاط
فكيف أخلص من بحر الذنوب وقد ... غرقت فيه على بعد من الشاطئ
يا رب مالي ما أرجو رضاك به ... إلا اعترافي بأني المذنب الخاطي

ومنه أيضاً:

لله يومي ببركة الحبش ... والصبح بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب ... كطائر في يمي مرتعش
ونحن في روضة مفوة ... دبج بالنور عطفها ووشي

قد نسجتها يد الربيع لنا		فنحن من نسجها على فرش

وأثقل الناس كلهم رجل		دعاه داعي الهوى فلم يطش

فعاطني الراح إن تاركها		من سورة الهم غير منتعش

وأسقني بالكبار مترعة		فهن أشفى لشدة العطش

قال محمد بن محمود: حدثني طلحة أن أبا الصلت، اجتمع في بعض متنزهات مصر، مع وجوه أفاضلها، فمال لصبي صبيح الوجه، عديم الشبه، قد نقط نون صدغه على صفحة خده، فاستو صفوه إياه، فقال:

منفرد بالحس والظرف		بحت لديه بالذي أخفى

لهفي شكوت وهومن تيهه		في غفلة عني وعن لهفي

قد عوقبت أجفانه بالضنى		لأنها أضنت وما تشفى

قد أزهر الورد على خده		لكنه ممتنع القطف

كأنما الخال به نقطة		قد قطرت من كحل الطرف

قال: وحدثني أبو عبد الله الشامي، وكان قد درس عليه، واقتبس ما لديه، أن الإفضل كان قد تغير عليه وحبسه بالإسكندرية في دار الكتب الحكيم أرسطاليس، قال: وكنت أختلف إليه إذ ذاك، فدخلت إليه يوماً، فصادفته مطرقاً، فلم يرفع رأسه إلى على العادة، فسألته فل يرد الجواب، ثم قال بعد ساعة: اكتب، وأنشدني:

قد كان لي سبب قد كنت أحسب أن		أحضى به فإذا دائي من السبب

فما مقلم أظفاري سوى قلمي		ولا كتائب أعدائي سوى كتبي

فكتبت وسألته ع ذلك، فقال: إن فلاناً تلميذي، قد طعن في عند الأمير الأفضل، ثم رفع رأسه إلى السماء، واغرورقت عيناه دمعاً، ودعا عليه، فلم يحل الحول حتى استجيب له.

وأنشدني الشيخ سليمان بن الفياض الإسكندراني – وكان ممن درس عليه، واختلف إليه – في صفة فرس:

صفراء إلا حجول مؤخرها		فهي مدام ورسغها زيد

تعطيك مجهودها فراهتها		في الحضر والحضر عندها وخد

وأنشدني له يهجو، وما هو من صناعته:

صاف ومولاته وسيده		حدود شكل القياس مجموعة

فالشيخ فو الاثنين مرتفع والست تحت الاثنين موضوعة

والشيخ محمول ذي وحامل ذا بحشمة في الجميع مصنوعة

شكل قياس كانت نتيجته غريبة في دمشق مطبوعة

وقرأت في الرسالة المصرية، زيادة على البيتين المتقدم ذكرهما قبل:

وكم تمنيت أن ألقى بها أحداً يسلى من الهم أو يعدى على النوب

فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا كانت مواعيدهم كالآل في الكذب

باب الباء

برزخ بن محمد، أبو محمد العروضي

مولى بجيلة، وقال الصولى: أظنه من موالي كندة، وقال ابن درستويه: ومن علماء الكوفة: برزخ بن محمد العروضي، وهو الذي صنف كتاباً في العروض، نقض فيه العروض - في زعمه - على الخليل، وأبطل الدوائر والألقاب، والعلل التي وضعتها، ونسبها إلى قبائل العرب، وكان كذاباً.

وحدث الصولى: حدث جبلة بن محمد قال: سمعت أبي يقول: كان الناس قد البوا على أبي محمد برزخ ابن محمد العروضي، لكثرة حفظه، فساء ذلك حماداً وجناداً، فدسا إليه من يسقطه، فإذا هو يحدث بالحديث عن رجل فعل شيئاً، ثم يحدث به عن رجل آخر بعد ذلك، ثم يحدث به عن آخر، فتركه الناس حتى كان يجلس وحده. وحدث صعود قال: سمعت سلمة يقول: كاني ونس النحوي يقول: إن لم يكن برزخ أروى الناس، فهو أكذب الناس. قال سلمة: وصدق يونس يقول: إن كان ما أتي به حقاً وإلا فقد كذب، لأنه حدث عن أقوام لا يعرفهم الناس.

وحدث ابن قادم قال: سئل الفراء عن برزخ، فأنشد قول زهير:

أضاعت فلم يغفر لها غفلاتها — فلاقت بياناً عند آخر معهد

يريد أن الناس اجتنبوه، لشيء استبانوه منه.

وحدث المازني قال: روى برزخ شعراً لامرئ القيس فقال له جناد: عمن رويت هذا؟ قال عني: وحسبك بي، فقال له جناد: من هذا أتيت يا غافل.

وحدث الصولي عن أبي عبد الله، أحمد بن الحسن السكوني قال: كنا نروى لبرزخ أشعاراً منها:

ليس بيني وبين قومي إلا — أنني فاضل لهم في الذكاء

حسدوني فزخرفوا في قولاً — تتلقاه ألسن البغضاء

كنت أرجو العلاء فيهم بعلمي — فأتاني من الرجاء بلائي

شدة قد أفدتها من رخاء — وانتقاص جنيته من وفاء

وحدث الحارث بن أبي أسامة قال: أنشدني عثمان ابن محمد لأبي حنش، واسمه حضير بن قيس شعراُ، يقوله في برزخ:

أبرزخ قد فقدتك من ثقيل — فظلك حين يوزن وزن فيل

فماتنفك إنساناً تماري — جليسك منك في هم طويل

وبالأشعار علمك حين يقضى علينا بالسماع المستطيل
يكون كلطم سنور إذا ما أثاروه بأكل الرنجبيل

ولبرزخ من التصانيف: كتاب العروض، كتاب بناء الكلام. قال محمد بان إسحاق النديم: رأيته في جلود. وكتاب معاني العروض على حروف المعجم، كتاب النقض على الخليل وتغليطه في العروض، كتاب الأوس في العروض، كتاب تفسير الغريب.

بشر بن يحيى، بن علي القيني النصيبي

أبو ضياء من أهل نصيبين، شاعر قليل الشعر، وأديب كثير الأدب، وله من الكتب فيما ذكره محمد ابن إسحاق: كتاب سرقات البحتري م أبي تمام، كتاب الجواهر، كتاب الآداب، كتاب السرقات الكبير لم يتم.

بقي بن مخلد الأندلسي، أبو عبد الرحمن

ذكره الحميدي وقال:مات بالأندلس، سنة ست وسبعين ومائتين، في قول أبي سعيد بن يونس. وقال الدار قطني: مات سنة ثلاث وسبعي، والأول أصح. قال الحميدي: وبقي من حفاظ المحدثين، وأئمة الدين، والزهاد الصالحين، رحل إلى المشرق، فروى عن الأئمة، وأعلام السنة، منهم الإمام أبو عبد الله، أحمد بن محمد، بن حنبل، وأبو بكر ابن عبد الله، بن محمد، بن أبي شيبة، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، وخليفة بن خياط، وجماعات أعلام، يزيدون على المائتين، وكتب المصنفات الكبار، والمنثور الكثير، وبالغ في الجمع والرواية، ورجع إلى الأندلس، فملأها علماً جماً، وألف كتباً حساناً، تدل على احتفاله واستكثاره.
قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: فمن مصنفات بقي ابن مخلد، كتاب تفسير القرآن، وهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه، أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تصنيف محمد بن جرير الطبري ولا غيره.
ومنها في الحديث: كتاب مصنفه الكبير، الذي رتبه على أسماء الصحابة، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه، وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند، وماأعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه، وإتقانه واحتفاله في الحديث، وجودة شيوخه. فإنه روى ع مئاة رجل وأربعة وثمانين رجلاً، ليس فيه عشر ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير، ومنها كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم، الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر، بن أبي شيبة وغيره، فصارت تصانيفه قواعد الإسلام، لا نظير لها، وكان بحراً لا يقلد أحداً، وكان خاصاً بأحمد بن حنبل، وجارياً في مضمار البخاري ومسلم. كل هذا من كتاب الحميدي، وإما ذكرته لتصنيفه كتاباً في تفسير القرآن.
وذكر له ترجمة أخرى فقال فيها: ولد بقي بن مخلد الأندلسي في رمضان، سنة إحدى وثمانين، وتوفي ليلة

الثلاثاء، لتسع وعشرين لية مضت من جمادى الآخرة، سنة ست وسبعين ومائتين، ودفن في المقبرة المنسوبة إلى بني العباس، وكانت له رحلتان، أقام في إحداهما نحو العشرين عاماً، وفي الثانية نحو الأربعة عشر عاماً، فأخبرني أبي أنه كان يطوف في الأمصار على أهل الحديث، فإذا أتي وقت الحج، أتي إلى مكة فحج، هذا كان فعله كل عام في رحلتيه جميعاً، وكان يلتزم صيام الدهر، فإذا أتي يوم جمعةٍ أفطر وكانت له عبادات كثيرة، من قراءة القرآن، وغيرها من الصلوات، ونشر العلم.

قال: أما مشايخه الذين سمع منهم، فكانوا مائتي رجل، وأربعة وثمانين رجلاً، هكذا ذكر في هذه الترجمة، فما أدري أيهما الصحيح؟ أخبرني أسم بن عبد العزيز، أخبرني أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد قال: لما وضعت مسندي، أتاني عبيد الله بن يحيى، ومعه أخوه إسحاق، فقالا لي: بلغنا أنك وضعت مسنداً، قدمت فيه أبا مصعب وابن بكير، وأخرت أبانا، فقال بقي: أما تقديمي لأبي مصعب، فإني قدمته لقول رسول الله عليه وسلم: "فقدموا قيش ولا تقدموها". وأما ابن بكير، فإني قدمته لسنه وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كبر كبر"، مع أنه سمع الموطأ من مالك سبع عشرة مرة، و لم يسمعه أبوكما إلا مرة واحدة قال بقي: فخرجا عني، و لم يعودا إلى بعد ذلك، وخرجاإلى حد المداوة.

حدثنا قالسم بن أصبغ قال: خرجت من الأندلس و لم أرو عن بقي شيئاً، فلما دخلتالعراق وغيره من البلدان، سمعت من فضائله وتعظيمه، ما اندمني على ترك الرواية عنه، وقلت: إذا رجعت لزمته حتى أروي جميع ما عنده، فأتانا نعيه ونحن بإطرابلس.

وحدثنا قاسم بن أصبغ قال: سمعت أحمد بن أبي خيثمة يقول: وذكر بقي بن مخلد فقال: ما كنا نسميه إلا المكنسة، وهل احتاج بلد بقي أن يأتي إلى ههنا منه أحد؟ فقلنا له: ولا أنت تحدثنا عن رجال ابن أبي شيبة؟ فقال: ولا أنا.

وذكر بقي أنه أدرك جماعةً من أصحاب سفيان الثوري، فلم يرو عنهم، وروى عن رجلين: عن سفيان الثوري قال: وحدثت عن بقي أنهقال يوماً لطلبته، أنتم تطلبون العم؟ وهكذا يطلب العلم؟ إنما أحدكم إذا لم يكن عليه شغل يقول: أمضى أسمع العلم، إني لأعرف لاجلاً تمضي عليه الأيام في وقت طلبه للعلم، لا يكون له عيش ألام ورق الكرنب الذي يلقيه الناس، وإني لأعرف رجلاً باع سراويله غير مرة في شرى كاغد حتى يسوق الله عليه من حيث يخلفها.

قال الحميدي: أخبرنا أبو القاسم، عبد الكريم ابن هزازن القشيري، في أجازة وصلت إليه، وذكر إسناداً وقال: جاءت امرأة إلى بقي بن مخلد فقالت: إن ابني قد أسره الروم، ولا أقدر على مال أكثر من دويرة ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء، فإنه ليس لي ليل ولا نهار، ولا نوم ولا قرار، فقال:

أنصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء الله، وأطرق الشيخ وحرك شفيته قال: ولبثنا مدة، فجاءت المرأة ومعها ابنها، فأخذت تدعو له وتقول: قد رجع سالماً، وله حديث يحدثك به، فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم، مع جماعة من الأساري، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم، يخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردنا وعلينا قيودنا، فبينا نحن نجئ من العمل مع صاحبه، الذي كا يحفظنا، إذ انفتح القيد من رجلي، ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذي جاءت المرأة، ودعاء الشيخ. قال: فنهض إلى الذي كان يحفظني، وصاح علي: كسرت القيد؟ فقلت: لا، إلا أنه سقط من رجلي. قال فتحيروا في أمري، ودعوا رهبانهم فقالوا لي: ألك والدة؟ قلت لهم نعم. فقالوا: وافق داؤها الإجابة، وقالوا: أطلقك الله، ولا يمكننا تقييدك، فزودوني وأصحبوني إلى ناحية المسليمين.

بكر بن حبيب السهمي، والد عبد الله

ابن بكر، المحدث، ذكره الزبيدي وغيره في النحويين.

أخذ عن ابن أبي إسحاق، وقال ابن أبي إسحاق لبكر بن حبيب: ما ألحن في شيء، قال نفعل؟ فقال له: فخذ على كلمة، قال: هذه واحدة، قل كلمة، وقربت منه سنورة، فقال: لها اخسي، فقال له: أخطأت، إنما هو اخسئ.

وحدث أبو أحمد، الحسين بن عبد الله العسكري في كتاب النصحيف، له عن أبيه، عن عسل بن ذكوان عن الرياشي قال: توفي ابن لبعض المهالبة، فأتاه شبيب ابن شيبة المنقري يعزيه، وعنده بكر بن حبيب السهمي فقال شبيب: بلغنا أن الطفل لا يزال محبنطئاً، على باب الجنة يشفع لأبويه. فقال بكر بن حبيب: إنما هو محبنطياً غير مهموز. فقال له شبيب: أتقول لي هذا؟ وما بين لابتيها أفصح مني. فقال بكر: وهذا خطأ ثان، ما للبصرة وللوب، لعلك غرك قولهم: ما بين لابتي المدينة، يريدنون الحرة.

قال أبو أحمد: والحرة أرض تركبها حجارة سود وهي اللابة، وجمعها لابات، فإذا كسرت فهي اللوب واللاب، وللمدينة لابتان من جانبيها، وليس للبصرة لابة ولا حرة.

قال أبو عبيدة: المحبنطي بغير همزة: هو المنتصب المستبطئ للشيء، والمحبنطيئ بالهمز: العظيم البطن المنتفخ.

وقال أبو عبد الله المرزباني في كتاب المعجم: بكر بن حبيب السهمي من باهلة، أحد مشايخ المحدثين قال النه عبد الله بن بكر، كان أبي يقول البيتين والثلاثة، وهو القائل:

سير النواعج في بلاج مضلة ... يمسي الدليل بها على ملمال

خير من الطمع الدنئ ومجلس ... بفناء لا طلق ولا مفضال

فاقصد لحاجتك المليك فإنه يغنيك عن مترفع مختال

وحدث التاريخي عن أبي خالد، يزيد بن محمد المهلبي، عن البجلي، عن قتب بن بشر قال: كنت مع بكر بن حبيب السهمي بموضع، يقال له قصر زربي، ونحن مشرفون على المربد، إذ مر بنا يونس بن حبيب النحوي، فقال: أمر بكم الأمير؟ قال بكر: نعم، مر بنا عاصباً فوه، فرمى يونس بعنانه على عنق حماره، ثم قال: أف أف. فقال له بكر: انظر حسناً، ثم قال نعم.

وإنما ظن يونس بن حبيب النحوي، أنه قد لحن، وأنه كان يجب أ يوقل عاصباً فاه، فلما تبين أنه أراد عصب الفم صوبه.

قال: ومر بكر بن حبيب بدار فسمع جلبة فقال: ما هذه الجلبة؟ أعرس أم خرس؟ أم إعذار أم توكير؟ فقال له قوم: قد عرفنا العرس، فأخبرنا ما سوى ذاك، قال: الخرس: الطعام على الولادة، و الإعذار: الختان، و التوكير: أن يبني الرجل القبة، ويحدث القدر الجماع، فيقال: وكر لنا طعاماً. قال: والقدر: الجماع الكبيرة.

وقال ثعلب: الوكيرة: مأخوذ من الوكر، وهي الوليمة، التي يصنعها الرجل عند بناء المترل.

أبو بكر بن عياش،الخياط

بن سالم، الكوفي الخياط مولى واصل بن حيان الأسدي الأحدب، واختلف في اسمه، فقيل: اسمه قتيبة، وقيل شعبة، وقيل عبد الله، وقيل محمد، وقيل مطرف، وقيل سالم، وقيل عنترة، وقيل أحمد، وقيل عتيق، وقيل رؤبة، وقيل حماد، وقيل حسين، وقيل قاسم، وقيل لا يعرف له اسم، وأظهر ذلك شعبة ومطرف، قال الهيثم بن عدي: اسم أبي بكر مطرف بن النهشلي ومات ابن عياش في سنة ثلاث وتسعين ومائة، في السنة التي مات فيها الرشيد بن المهدي قبله بشهر، وفيها مات غندر، وعبد الله بن إدريس.

وروى أن اب عياش مات في سنة اثنتين وتسعين، والأول أظهر.

ومولده سنة سبع وتسعين، في أيام سليمان بن عبد الملك، وروى سنة أربع وتسعين، وروى سنة خمس وتسعين، وكان ابن عياش يقول: أنا نصف الإسلام.

وقال الحسين بن فهم: وقد ذكر جماعة لا تعرف أسماؤهم، منهم أبو بكر بن أبي مريم، وأبو بكر ابن أبي سبرة، وأبو بكر بن محمد، بن عمرو، بن حزم، وأبو بكر بن عبد الرحمن،وأبو بكر بن عياش، وأبو بكر بن أبي العرامس. وقال أبو الحسن الأهوازي المقرئ في كتابه: وإنما وقع هذا الاختلاف في اسم أبي بكر،لأنه كان رجلاً مهيباً، فكانوا يهابونه أن يسألوه، فروى كل واحد على ما وقع له قلت: وقد روى المرز باني في كتابه: أن جماعة من أهل العلم، سألوه عن اسمه، واختلفت أقوالهم على ما تقدم، ولولا

كراهة الإطالة لذكرته. وكان ابن عياش معظماً عند العلماء وقد لقي الفرزدق، وذا الرمة، وروى عنهما شيئاً من شعرهما.

حدث المرز باني: حدثنا أحمد بن عيسى، عن أحمد بن أبي خيثمة، حدثنا محمد بن يزيد قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: كان أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن. قال عزوجل: "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم"، إلى قوله: "أولئك هم الصادقون"، فهؤلاء سموه خليفة رسول الله، وهؤلاء لا يكذبون.

وحدث المرزباني بإسناده إلى زكريا بن يحيى الطائي قال:سمعت أبا بكر بن عياش يقول: إني أريد أن أتكلم اليوم بكلام، لا يخالفني فيه أحد إلا هجرته ثلاثاً. قالوا: قل يا أبا بكر. قال: ما ولد لآدم عليه السلام، مولود بعد النبيين و المرسلين، أفضل من أبي بكر الصديق. قالوا: صدقت يا أبا بكر، ولا يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام؟ قال: ولا يوشع بن نون، إلا أن يكون نبياً. ثم فسره فقال: قال الله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير هذه الأمة أبو بكر".

قال زكريا بن يحيى: وسمعت ابن عياش يقول: لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي – رضي الله عنهم – في حاجة، لبدأ بحاجة علي قبل حاجة أبي بكر وعمر، لقرابته من رسول الله، ولأن أخر من السماء إلى الأرض، أحب إلي من أن أقدمه عليهما. وكان يقدم علياً على عثمان، ولا يغلو ولا يقول إلا خيراً.

وحدث المرزباني بإسناده عن أبي بكر بن عياش، عن ذر، عن عبد الله قال: إن الله عز وجل نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلبه، فوجد قلوب أصحابه، خير القلوب، بعد قلبه فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم، يقاتلون عن دينه، فما رأى المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً، فهو عند الله سيئ قال أبو بكر ابن عياش: وأنا أقول: إنهم رأوا أن يولوا أبا بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

وحدث المرزباني، حدثنا أبو محمد بن مخلد، حدثنا أبو عمر العطاري قال: بعث أبو بكر بن عياش، إلى أبي يوسف الأعشى، فمضيت مع أبي يوسف، ومع عبد الوهاب ابن عمر، والعباس بن عمير، فدخلنا إليه وهو في علية له فقال لأبي يوسف: قد قرأت علي القرآن مرتين. وقد نقلت عني القرآن، فاقرأ علي آخر الأنفال، واقرأ علي من رأس المائة من براءة، واقرأ علي كذا، واقرأ كذا فقال له أبو يوسف: يا أبا بكر، هذا القرآن، والحديث، والفقه، وأكثر الأشياء أفدتها بعد ما كبرت، أو لم تزل فيه مذ كنت؟ ففكر هنيهة ثم قال: بلغت وأنا ابن ست عشرة سنة، فكنت فيما يكون فيه الشبان مما يعرف وينكر سنتي، ثم وعظت

فسي وزجرهما، وأقبلت على الخير وقراءة القرآن، فكنت أختلف إلى عاصم في كل يوم، وربما مطرنا ليلاً، فأنزع سراويلي وأخوض الماء إلى حقوي، فقال له أبو يوسف: ومن أين هذا الماء كله؟ قال: كنا إذا مطرنا، جاء ماء الحيرة إلينا، حتى يدخل الكوفة.

وكنت إذا قرأت على عاصم، أتيت الكلبي فسألته عن تفسيره، وأخبرني أبو بكر أن عاصماً أخبره أنه كان يأتي زر بن حبيش، فيقرئه خمس آيات لا يزيد عليها شيئاً، ثم يأتي أبا عبد الرحمن السلمي، فيعرضها عليه، فكانت توافق قراءة زر، قراءة أبي عبد الرحمن، وكان أبو عبد الرحمن، قرأ على علي عليه السلام، وكان زر بن حبيش الشكري العاطردي قرأ على عبد الله بن مسعود القرآن كله، في كل يوم آية واحدة، لا يزيده عليها شيئاً، فإذا كانت آية قصيرة استقلها زر من عبد الله، فيقول عبد الله: خذها، فوالذي نفسي بيده، لهي خير من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو بكر، وصدق والله، ونحن نقول كما قال أبو بكر بن عياش، إذ حدثنا عن عاصم عن زر، عن عبد الله قال: هذا والله الذي لا إله إلا هو حق، كما أنكم عندي جلوس، والله ما كذبت، والله ما كذب عاصم بن أبي النجود، والله ما كذب زر، والله ما كذب عبد الله بن مسعود، وإن هذا لحق كما أنكم عندي جلوس.

وحدث عمن أسنده إلى أحمد بن عبد الله بن يونس قال: ذكر النبيذ عند العباس بن موسى، فقال: إن ابن إدريس يحرمه، فقال أبو بكر بن عياش: إن كان النبيذ حراماً، فالناس كلهم أهل ردة.

وحدث المرزباني قال: قال عبد الله بن عياش: كنت أنا وسفيان الثوري وشريك، نتماشى بين الحيرة والكوفة، فرأينا شيخاً أبيض الرأس واللحية، حسن السمت والهيئة، فظننا أن عنده شيئاً من الحديث، وأنه قد أدرك الناس، وكان سفيان أطلبنا للحديث، وأشدنا بحثاً عنه، فتقدم إليه وقال: يا هذا، عندك شيء من الحديث؟ فقال: أما حديث فلا، ولكن عندي عتيق سنتين، فنظرنا فإذا هو خمار. وحدث أبو بكر بن عياش قال: الفرزدق بالكوفة ينعي عمر بن عبد العزيز، - رضي الله عنه -، فقال:

كم من شريعة عدل قد سننت لهم ... كانت أميتت وأخرى منك تنتظر
يا لهف نفسي ولهف اللاهفين معي ... على العدول التي تغتالها الحفر

وحدث بإسناده عن ابن كناسة قال: حدثني أبو بكر ابن عياش قال: كنت إذ أنا شاب إذا أصابتني مصيبة، تصبرت ورددت البكاء، فكان ذلك يوجعني ويزيدني ألماً، حتى رأيت بالكناسة أعرابياً واقفاً، وقد اجتمع الناس حوله فأنشد:

خليلي عوجا من صدور الرواحل ... بجهور حزوى وابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي نجي البلابل

فسألت عنه، فقيل: ذو الرمة. قال: فأصابتني بعد ذلك مصائب، فكنت أبيك فأجد راحة، فقلت في نفسي: – قاتل الله – الأعرابي، ما كان أبصره وأعلمه!!.

وحدث المرزباني، عن الحسن النحوي، عن محمد بن عثمان، بن أبي شيبة قال: سمعت عمي القاسم بن محمد يقول: حدثني يحيى بن آدم قال: لما قدم هارون الرشيد الكوفة، نزل الحيرة، ثم بعث إلى أبي بكر ابن عياش، فحملناه إليه، وكنت أنا أقتاده بعد ذهاب بصره، فلما انتهينا إلى باب الخليفة، ذهب الحجاب يأخذون أبا بكر مني، فأمسك أبو بكر بيدي وقال: هذا قائدي لا يفارقني، فقالوا: ادخل أنت وقائدك يا أبا بكر، قال يحيى: فدخلت به، وإذا هارون جالس وحده، فلما دنا منه أنذرته، فسلم عليه بالخلافة، فأحسن هارون الرد، فأجلسته حيث أمرت، ثم خرجت فقعدت في مكان أراهما وأسمع كلامهما، قال: فجعلت أنظر إلى هارون يتلمح أبا بكر قال: وكان أبو بكر رجلاً قد كبر، وضعفت رقبته، فاتكأ ذقنه على صدره، فسكت هارون عنه ساعة، ثم قال له: يا أبا بكر، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إني سائلك عن أمر فأسألك بالله لما صدقتني عنه، قال: إن كان علمه عندي، قال: إنك قد أدركت أمر بني أمية وأمرنا، فأسألك بالله، أيهما كان أقرب إلى الحق؟ قال يحيى: فقلت في نفسي: اللهم وفقه وثبته، قال: فأطال أبو بكر في الجواب، ثم قال له: يا أمير المؤمنين، أما بنو أمية فكانوا أنفع للناس منكم، وأنتم أقوم بالصلاة منهم. قال: فجعل هارون يشير بيده ويقول: إن في الصلاة، إن في الصلاة.

قال: ثم خرج فتبعه الفضل بن الربيع، فقال: يا أبا بكر: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بثلاثين ألفاً، فقال أبو بكر: فما لقائدي؟ فضحك الفضل وقال: لقائدك خمسة آلاف. قال يحيى: فأخذت الخمسة آلاف قبل أن يأخذ أبو بكر الثلاثين.

وحدث بإسناد رفعه إلى أبي بكر بن عياش، قال: دخلت على هارو أمير المؤمنين، فسلمت وجلست، فدخل فتىً من أحسن الناس وجهاً، فسلم وجلس. فقال لي هارون: يا أبا بكر: أتعرف هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابني محمد، ادع الله له، فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله فاتح عليكم مشارق الأرض ومغاربها، وإن عمال ذلك الزمان في النار إلا من اتقى، وأدى الأمانة". فانتفض وتغير، وقال يا مسرور: اكتب، ثم سكت ساعة، وقال: يا أبا بكر، ألا تحدثني، فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدري ما قال عمر بن الخطاب للهروان؟ قال: وما قال له؟ قلت: قال له ما يمنعك من حب المال؟ وأنت كافر القلب، طويل الأمل، قال: لأني قد علمت أن الذي لي سوف يأتيني، والذي أخلفه بعدي يكون وباله علي. ثم قال يا مسرور: اكتب ويحك. ثم قال: ألك حاجة يا أبا بكر؟ قلت:

تردني كما جئت بي، قال: ليست هذه حاجة، سل غيرها، قلت: يا أمير المؤمنين: لي بنات أخت ضعاف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهن بشيء، قال: قدر لهن، قلت: يقول غيري، قال: لا يقول غيرك، قلت: عشرى آلاف، قال: لهن عشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، يا فضل اكتب بها إلى الكوفة، وألا تحبس عليه. ثم قال: اصنرف ولا تنسنا من دعائك.

وحدث بإسناده عن العباس بن بنان قال: كنا عند أبي بكر بن عياش، يقرأ علينا كتاب مغيرة، فغمض عينيه فحركه جهور، وقال له: تنام يا أبا بكر؟ فقال لا، ولك مر ثقيل فغمضت عيني. وحدث أبو هاشم الدلال قال: رأيت أبا بكر بن عياش مهموماً، فقلت له: مالي أراك مهموماً؟ قال: سيف كسرى لا أدري إلى من صار. وقال محمد بن كناسة: يذكر أصحاب أبي بكر بن عياش:

لله مشيخة فجعت بهم كانت تزيغ إلى أبي بكر
سرج لقوم يهتدون بها وفضائل تنمى ولا تجري

وحدث المدائني قال: كان أبو بكر بن عياش أبرص، وكان رجل من قريش يرمى بشرب الخمر، فقال له أبو بكر ابن عياش يداعبه، زعموا أن نبياً قد بعث بحل الخمر. فقال له القرشي، إذاً لا أومن حتى يبرئ الأكمه والأبرص.

أنشد أبو بكر بن عياش اتلمحدث، ويقال إنهما له:

إن الكريم الذي تبقى مودته ويكتم السر إن صافى وإن صرما
ليس الكريم الذي إن زل صاحبه أفشى، وقال عليه كل ما علما

بكر بن محمد، بن بقية المازني

أبو عثمان النحوي، وقيل: هو بكر بن محمد، بن عدي، بن حبيب، أحد بني مازن بن شيبان، بن ذهل، ابن ثعلبة، بن عكاية، بن صعب، بن علي، بن بكر، ابن وائل. قال الزبيدي: قال الخشني: المازي مولى بني سدوس، نزل في بني مازن ب شيبان، فنسب إليهم، وهو من أهل البصرة، وهو أستاذ المبرد. روى عن أبي عبيدة والأصمعي، وأبي زيد الأصاري. وروى عنه الفضل ب محمد اليزيدي، والمبرد، وعبد الله بن سعد الوراق، وكان إمامياً يرى رأي ابن ميثم، ويقول بالإرجاء، وكان لا يناظره أحد إلا قطعه، لقدرته على الكلام، وكان المبرد يقول: لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان بالنحو، وقد ناظر الأخفش في أشياء كثيرة فقطعه، وهو أخذ عن الأخفش.

وقال حمزة: لم يقرأ على الأخفش، إنما قرأ على الجرمي، ثم اختلف إلى الأخفش وقد برع، وكان يناظره

ويقدم الأخفش وهو حي، وكان أبو عبيدة يسميه بالمتدرج، والنقار. مات أبو عثمان فيما ذكره الخطيب، في سنة تسع وأربعين ومائتي، أو ثمان وأربعين ومائتين، وذكر ابن واضح: أنه مات سنة ثلاثين ومائتين.

حدث المبرد عن المازني قال: كنت عند أبي عبيدة، فسأله رجل فقال له: كيف تقول عنيت بالأمر؟ قال: كما قلت عنيت بالأمر، قال: فكيف آمر منه؟ قال فغلط، وقال: اعنُ بالأمر، فأومأت إلى الرجل، ليس كما قال: فرآني أبو عبيدة، فأمهلني قليلاً، فقال: ما تصنع عندي؟ قلت: ما يصنع غيري، قال: لست كغيرك، لا تجلس إلي، قلت و لم؟ قال: لأني رأيتك مع إنسان خوزي سرق مني قطيفة، قال: فانصرفت وتحملت عليه بإخواه، فلما جئته قال لي: أدب نفسك أولاً، ثم تعلم الأدب. قال المبرد: الأمر من هذا باللام، لا يجوز غيره، لأك تأمر غير من بحضرتك، كأنه ليفعل هذا. وقال حماد يهجو المازني:

كادني المازني عند أبي العب ... باس والفضل ما علمت كريم

يا شبيه النساء في كل فن ... إن كيد النساء كيد عظيم

جمع المازني خمس خصال ... ليس يقوى بحملهن حليم

هو بالشعر والعروض وبالنح ... و وغمز الأيور طب عليم

ليس ذنبي إليك يا بكر إلا ... أن أيرى عليك ليس يقوم

وكفاني ما قال يوسف في ذا ... إن ربي بكيدكن عليم

وحدث المبرد قال: عزى المازني بعض الهاشميين، ونحن معه فقال:

إني أعزيك لا أني على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين

ليس المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى وإن عاشا إلى حين

وقد روي عن المبرد: أن يهودياً بذل للمازي مائة دينار، ليقرئه كتاب سيبويه، فامتنع من ذلك، فقيل له: لم امتنعت مع حاجتك وعيلتك؟ فقال: إن في كتاب سيبويه كذا كذا آية من كتاب الله، فكرهت أن أقرئ كتاب الله للذمة، فلم يمض على ذلك مديدة، حتى أرسل الواثق في طلبه، وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله. كما حدث أبو الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني، بإسناد رفعه إلى أبي عثمان المازني قال: كان سبب طلب الواثق لي، أن مخارقاً غناه في شعر الحارث بن خالد المخزومي:

أظليم إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحية ظلم

فلحنه قوم، وصوبه آخرون فسأل الواثق عمن بقي من رؤساء النحويين، فذكرت له، فأمر بحملي وإزاحة

عللي. فلما وصلت إليه، قال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن. قال: من مازن تميم؟ أم مازن قيس؟ أم مازن ربيعة؟ أم مازن اليمن. قلت: من مازن ربيعة، قال لي با اسمك؟ يريد ما اسمك، وهي لغة كثيرة في قومنا، فقلت على القياس: اسمي مكر، وفي رواية فقلت: اسمي بكر. فضحك وأعجبه ذلك، وفطن لما قصدت، فإنني لم أجرؤ أن أواجهه بالمكر، فضحك وقال: اجلس فاطبئن، أي فاطمئ، فجلست فسألني عن البيت، فقلت: صوابه إن مصابكم رجلاً، قال: فأين خبر إن؟ قلت: ظلم، وهو الحرف في آخر البيت، والبيت كله متعلق به، لا معنى له حتى يتم بقوله: ظلم، ألا ترى أنه لو قال: أظليم إن مصابكم رجلاً، أهدى السلام تحية، فكأنه لم يفد شيئاً، حتى يقول ظلم، ولو قال أظليم إن مصابكم رجل، أهدى السلام تحية، لما احتاج إلى ظلم ولا كان له معني إلا أن تجعل التحية بالسلام ظلماً، وذلك محال. ويجب حينئذ: أظليم إن مصابكم رجل، أهدى السلام تحية ظلماً، ولا معنى لذلك، ولا هو لو كان له وجه مراد الشاعر. فقال: صدقت، ألك ولد؟ قلت: بنية لا غير قال: فما قالت لك حين ودعتها. قلت: أنشدتني قول الأعشى:

تقول ابنتي حي جد الرحيل أرانا سواء ومن قد يتم
أبانا فلا رمت من عندنا فإنا بخير إذا لم ترم
أرانا إذا أضمرتك البلاد نجفى ويقطع منا الرحم

فقال الواثق: كأني بك، وقد قلت لها قول الأعشى أيضاً:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاعتصمي يوماً فإن لجنب المرء مضطجعا

فقلت: صدق أمير المؤمنين. قلت لها ذلك، وزدتها قول جرير:

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى، إن ههنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحهم، فمن كان عالماً ينتفع به، ألزمناهم إياه، ومن كان بغير هذه الصفة، قطعناهم عنه قال: فامتحنتهم، فما وجدت فيهم طائلاً، وحذروا ناحيتي. فقلت: لابأس على أحد منكم، فلما رجعت إليه قال: كيف رأيتهم؟ فقلت يفضل بعضهم بعضاً في علوم، ويفضل الباقو في غيرها. وكل يحتاج إليه. فقال الواثق: إني خاطبت منهم رجلاً، فكان في نهاية الجهل في خطابه وظره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثر من تقدم فهم بهذه الصفة، وقد أنشدت فيهم:

إن المعلم لايزال مضعفاً ولو ابتنى فوق السماء سماء

من علم الصبيان أضنوا عقله مما يلاقي بكرة وعشاء

قال: فقال لي: لله درك، كيف لي بك؟ فقلت يا أمير المؤمنين: إن الغنم لفي قربك، والنظر إليك، والأمن والفوز لديك، ولكني ألفت الوحدة، وأنست بالافراد، ولي أهل يوحشني البعد عنهم، ويضر بهم ذلك، ومطالبة العادة أشد من مطالبة الطباع. فقال لي: فلا تقطعنا وإن لم نطلبك. فقلت: السمع والطاعة، وأمر لي بألف دينار، وفي رواية بخمسمائة دينار وأجرى علي في كل شهر مائة دينار. وزاد الزبيدي قال وكنت بحضرته يوماً، فقلت لابن قادم، أو ابن سعدان، وقد كابرني، كيف تقول نفقتك ديناراً أصلح من درهم؟ فقال: دينار بالرفع. قلت: فكيف تقول: ضربك زيداً يخر لك، فتنصب زيداً، فطالبته بالفرق بينهما فانقطع. وكان ابن السكيت حاضراً فقال الواثق: سله عن مسألة. فقلت له: ما وز نكتل من الفعل فقال: نفعل. فقال الواثق: غلطت. ثم قال لي: فسره، فقلت: ونكتل تقديره نفتعل، وأصله نكتيل، فانقلبت الياء ألفاً لفتحة ما قبلها، فصار لفظها نكتال، فأسكنت اللام للجزم، لأنه جواب الأمر، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. فقال الواثق: هذا الجواب، لا جوابك يا يعقوب. فلما خرجنا قال لي يعقوب: ما حملك على هذا وبيي وبينك المودة الخاصلة؟ فقلت: والله ما قصدت تخطئتك، و لم أظن أنه يعزب عنك ذلك. ولهذا البيت قصة أخرى في أخبار ابن السكيت.

قال المبرد: سألت المازني عن قول الأعشى:

هذا النهار بدا لها من همها ما بالها بالليل زال زوالها

فقال: نصب النهار على تقدير، هذا الصدود بدا لها النهار، واليوم والليلة. والعرب تقول: زال وأزال: بمعنى، فتقول: زال زوالها.

وحدث الزبيدي قال: قال المازني: وحضرت يوماً عند الواثق وعنده نحاة الكوفة، فقال لي الواثق: يا مازني: هات مسألة، فقلت: ما تقولون في قوله تعالى: "وما كانت أمك بغياً". لم لم يقل بغية، وهي صفة لمؤنث فأجابوا بجوابات غير مرضية. فقال الواثق: هات ما عندك. فقلت: لو كان بغي على تقدير فعيل بمعنى فاعلة، لحقتها الهاء، مثل كريمة وظريفة، وإنما تحذف الهاء إذا كانت في معنى مفعولة، نحو: المرأة قتيل وكف خضيب، وبغي ههنا ليس بفعيل، إنما هو فعول، وفعول لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث، نحو: امرأة شكور، وبئر شطون، إذا كانت بعيدة الرشاء، وتقدير بغي بغوي، قلبت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء، فصارت ياء ثقيلة: نحو سيد وميت. فاستحسن الجواب.

قال المازني: ثم انصرفت إلى البصرة، فكان الوالي يجري علي المائة دينار في كل شهر، حتى مات الواثق،

فقطعت عني. ثم ذكرت للمتوكل فأشخصني، فلما دخلت إليه، رأيت من العدد والسلاح، والأتراك ما راعني، والفتح بن خاقان بين يديه، وخشيت إن سئلت عن مسألة ألا أجيب فيها. فلما مثلت بين يديه وسلمت، قلت: يا أمير المؤمنين، أقول كما قال الأعرابي؟:

لا تقلواها وادلواها دلوا إن مع اليوم أخاه غدوا

قال أبو عثمان: فلم يفهم عني ما أردت، واستبردت فأخرجت. والقلو: رفع السير، والدلو: إدناؤه.

ثم دعاني بعد ذلك فقال: أنشدني أحسن مرثية قالت العرب. فأنشدته قول أبي ذؤيب:

أمن المنون وريبها تتوجع؟

وقصيدة متمم بن نويرة:

لعمري وما دهري بتأبين هالك

وقول كعب الغنوي:

تقول سليمى ما لجسمك شاحباً

وقصيدة محمد بن مناذر:

كل حي لاقى الحمام فمودي

فكان كلما أنشدته قصيدة يقول: ليست بشيء. ثم قال: من شاعركم اليوم بالبصرة؟ قلت: عبد الصمد ابن المعذل، قال: فأنشدني له، فأنشدته أبياتاً قالها في قاضينا ابن رباح:

أيا قاضية البص رة قومي فارقصي قطره

ومري بروشنك فماذا البرد والفتره

أراك قد تثيرين عجاج القصف يا حره

بتجذيفك خديك وتجعيدك للطره

قال: فاستحسنها واستطار لها، وأمر لي بجائزة. قال: فجعلت أتعمل له أن أحفظ أمثالها، فأنشده إذا وصلت إليه، فيصلني.

وكان المازني يفضل الواثق. وللمازني شعر قليل، ذكر منه المرزباني:

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما رأي النساء وإمرة الصبيان

أما النساء فإنهن عواهر وأخو الصبا يجري بكل عنان

ولما مات المازني، اجتازت جنازته على أبي الفضل الرياشي فقال متمثلاً:

لا يبعد الله أقواماً رزئتهم أفناهم حدثان الدهر والأبد
نمدهم كل يوم من بقيتنا ولا يئوب إلينا منهم أحد

قال محمد بن إسحاق: وللمازني من الكتب: كتاب في القرآن كبير، كتاب علل النحو صغير، كتاب تفاسير كتاب سيبويه، كتاب ما يلحن فيه العامة، كتاب الألف واللام، كتاب التصريف، كتاب العروض، كتاب القوافي، كتاب الديباج في جوامع كتاب سيبويه، قرأت بخط الأزهري منصور، في كتاب نظم الجمان، تصنيف الميداني قال: سئل المازني عن أهل العلم، فقال: أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف، وأهل الحديث فيهم حشو ورقاعة، والشعراء فيهم هوج، وأصحاب النحو فيهم ثقل، وفي رواية الأخبار الظرف كله، والعلم هو الفقه. وتصانيف المازني كلها لطاف، فإنه كان يقول: من أراد أن يصنف كتاباً كبيراً في النحو، بعد كتاب سيبويه فليستح، ويحوي كتاب سيبويه في كنهه عدة كتب.

حدث محمد بن رستم الطبري قال: أنبأنا أبو عثمان المازني قال: كنت عند سعيد بن مسعدة الأخفش، أنا وأبو الفضل الرياشي، فقال الأخفش: إن منذ إذا رفع بها، فهي اسم مبتدأ وما بعدها خبرها، كقولك: ما رأيته منذ يومان، فإذا خفض بها، كقولك: ما رأيته منذ اليوم فحرف معنى ليس باسم. فقال له الرياشي: فلم لا يكون في الموضعي اسماً؟ فقد نرى الأسماء تخفض وتنصب، كقولك هذا ضارب زيداً غداً، وضارب زيد أمس، فلم لا تكون بهذه المنزلة؟ فلم يأت الأخفش بمقنع. قال أبو عثمان: فقلت له: لا يشبه منذ ما ذكرت، لأنا لم نر الأسماء هكذا تلزم موضعاً، إلا إذا ضارعت حروف المعاني، نحو أين، وكيف، فكذلك منذ هي مضارعة لحروف المعاني، فلزمت موضعاً. واحداً.

قال الطبري: فقال ابن أبي زرعة للمازي: أفرأيت حروف المعاني، تعمل عملين مختلفين متضادين؟ قال نعم، كقولك قام القوم حاشا زيد وحاشا زيداً، وعلى زيد ثوب، وعلا زيد الفرس، فتكون مرة حرفاً، ومرة فعلاً بلفظ واحد.

وحدث المبرد قال: سمعت المازني يقول: معنى قولهم: إذا لم تستح فاصنع ما شئت. أي إذا صنعت ما لا يستحى من مثله، فاصنع منه ما شئت، وليس على ما يذهب العوام إليه. قلت: وهذا تأويل حسن جداً.

قال أبو القاسم الزجاجي: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري قال: حضرت مجلس أبي عثمان المازني وقد قيل له: لم قلت روايتك عن الأصمعي؟ قال: رميت عنده بالقدر، والميل إلى مذاهب أهل الاعتزال، فجئته يوماً وهو في مجلسه، فقال لي: ما تقول في قول الله عز وجل: "إنا كل شيء خلقناه بقدر". قلت: سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية، لاستعمال الفعل المضمر، وأنه

ليس ههنا شيء هو بالفعل أولى، ولكن أبت عامة القراء إلا النصب، ونحن نقرؤها كذلك اتباعاً، لأن القراءة سنة. فقال لي: فما الفرق بين الفع والنصب في المعنى؟ فعلمت مراده، فخشيت أن تغرى بي العامة فقلت: الرفع بالابتداء، والنصب بإضمار فعل، وتعاميت عليه.

فقال: حدثني جماعة من أصحابنا أن الفرزدق قال يوماً لأصحابه: قوموا بنا إلى مجلس الحسن لابصري، فإني أريد أن أطلق النوار، وأشهده على نفسي. فقالوا له: لا تفعل، فلعل نفسك تتبعها وتندم. فقال: لابد من ذلك، فمضوا معه، فلما وقف على الحس قال له: يا أبا سعيد، تعلمنم أن النوار طالث ثلاثاً، قال: قد سمعت، فتتبعتها نفسه بعد ذلك، وندم وأنشأ يقول:

ندمت ندامة الكسعي لما　　غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها　　كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت يدي ونفسي　　لكان علي للقدر الخيار

ثم قال: والعرب تقول: لو خيرت لاخترت، تحيل على القدر، وينشدون:

هي المقادير فلمني أو فذر　　إن كنت أخطأت فلم يخط القدر

ثم أطبق نعليه وقال: نعم القناع للقدري، فأقللت غشيانه بعد ذلك.

قال المبرد: حدثني المازني قال: مررت بيي عقيل، فإذا رجل أسود قصير، أعور أبرص أكشف، قائم على تل سماد وهو يملأ جواليق معه من ذلك المساد، وهو يغني بأعلى صوته:

فإن تصرمي حبلي وتستكرهي وصلي　　فمثلك موجود ولن تجدي مثلي

فقلت: صدقت والله، ومتى تجد ويحك مثلك؟ فقال: - بارك الله عليك - واسمع خيراً، ثم اندفع لينشد:

يا ربة المطرف والخلخال　　ما أنت من همي ولا أشغالي

مثلك موجود ومثلي غالي

بندار بن عبد الحميد الكرخي الأصبهاني

يعرف بابن لرة، ذكره محمد بن إسحاق في الفهرست فقال: أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وأخذ عنه ابن كيسان.

وقال ابن الأنباري عن ابنه القاسم: كان بندار يحفظ سبعمائة قصيدة، أول كل قصيدة بانت سعاد.

قال المؤلف: وبلغني عن لاشيخ الإمام أبي محمد الخشاب أنه قال: أمعنت التفتيش والتنقير فلم أقع على أكثر من ستي قصيدة، أولها بانت سعاد. وفي كتاب أصبهان: كان بندار بن لرة، متقدماً في علم اللغة ورواية الشعر، وكان مم استوط الكرخ، ثم خرج منها إلى العراق، فظهر هناك فضله، وكان الطوسي

صاحب ابن الأعرابي، يوصي أصحابه بالأخذ عن بندار، ويقول: هو أعلم مني ومن غيري، فخذوا عنه.

قال: وحدث أبو بكر بن الأنباري في أماليه ببغداد قال: سمعت أبا العباس الأموي يقول: كان بندار بن لرة الأصبهاني، أحفظ أهل زمانه للشعر، وأعلمهم به. أنشدني عن حفظه ثمانين قصيدة، أول كل قصيدة بانت سعاد.

قال حمزة: وحدثني النوشجان بن عبد المسيح قال: سمعت المبرد يقول: كان سبب غناي بندار بن لرة الأصبهاني، وذلك أني حين فارقت البصرة، وأصعتدت إلى سامراً، وردتها في أيام المتوكل، فآخيت بها بندار بن لرة، وكان واحد زمانه في رواية دواوين شعر العرب، حتى كان لا يشذ عن حفظه، من شعر شعراء الجاهلية والإسلام إلا القليل، وأصح الناس معرفة باللغة، وكان له كل أسبوع دخلة على المتوكل، فجمع بيني وبين النحويين في داره في مجالس، ومرت ليلة، فرفع حديثي إلى الفتح بن خاقان، ثم توصل إلى أن وصفني للمتوكل، فأمر بإحضاري مجلسه.

وكان المتوكل يعجبه الأخبار والأنساب، ويروي صدراً منها، يمتح من يراه بما يقع فيها من غريب اللغة، فلما دنوت من طرف بساطه، استدناني حتى صرت إلى جانب بندار، فأقبل علينا وقال: يا بن لرة، ويا بن يزيد، ما معى هذه الأحرف التي جاءت في هذا الخبر؟ ركبت الدجوجى، وأمامي قبيلة، فترلت ثم شربت الصباح، فمررت وليس أمامي إلا نجيم، فركضت أمامي النحوص والمسحل والعمردن فقنصت ثم عطفت ورائي إلى قلوب فلم أزل به حتى أذقته الحمام، ثم رجعت ورائي، فلم أزل أمارس الأغضف في قتله، فحمل علي، وحملت عليه حتى خر صريعاً. قال المبرد: فبقيت متحيراً، فبدر بندار وقال: يا أمير المؤمنين، في هذا نظر وروية، فقال: قد أجلتكما بياض يومي، فانصرفا وباكراني غداً، فخرجنا من عنده، فأقبل بندار علي وقال: إن ساعدك الجد ظفرت بهذا الخبر، فاطلب فإني طالبه، فانقلبت إلى مترلي، وقلبت الدفاتر ظهراً لبطن، حتى وقفت على هذا الخبر، في أثناء أخبار الأعراب، فتحفظته، وباكرت بنداراً فأنضهته معي وصحبناه، وبدأت فرويت الخبر، ثم فسرت ألفاظه، فالتفت إلى بندار وقال: ابن يزيد فوق ما وصفتم. ثم قال للغلام: علي بالخازن، فحضر فقال له: اخرج إلى ابن يزيد، وقل للحاجب: يسهل إذنه علي، فصار ذلك أصل مالي. وكان بندار – رحمه الله – أصله وسببه.

قرأت بخط عبد السلام البصري، في كتاب عقلاء المجانين، لأبي بكر بن محمد الأزهري: حدثنا محمد ابن أبي الأزهر قال: كنت يوماً في مجلس بندار بن لرة الكرخي، بحضرة مترله، في درب عبد الرحيم الرزامي بدكان الأبناء، وعنده جماعة من أصحابه، إذ هجم علينا المسجد بردعة الموسوس، ومعه مخلاة فيها دفاتر، وجزازات، وقد تبعه الصبيان، فجلس إلى جانب بندار، وكأن بنداراً فرق منه، فقال له: اطرد ويلك

هؤلاء الصبيان عني، فقال لهم: اطردوهم عنه، فوثبت أنا من بين أهل المجلس، فصحت عليهم وطردتهم فجلس ساعة، ثم وثب فنظر هل يرى منهم أحداً، فلما لم يرهم، رجع فجلس ساعة ثم قال: اكتبوا: حدثني محمد ابن عسكر، عن عبد الرزاق، عن معمر قال: سئل الشعبي ما اسم امرأة إبليس؟ فقال: هذا عرس لم أشهد إملاكه. ثم أقبل على بندار، فقال: يا شيخ، ما معنى قول الشاعر؟:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

فقال لا بندار: أجيبوه. فقال: يا مجنون، أسألك ويجيب غيرك! فقال بندار: يقول إنه لما رآها فعلت ما فعلته من سفورها، و لم يكن يعهد منها، علم أنها قد حذرته من بحضرتها، ليحجم عن كلامها، وانبساطه إليها، فضحك ومسح يده على رأس بندار وقال: أحسنت يا كيس، وكان بندار قد قارب في ذلك الوقت تسعين سنة.

بهزاد بن يعقوب، بن خرزاد

أبي يعقوب، يوسف بن يعقوب، بن خرزاد النجيرمي، راوية نحوي في طبقة أبيه، مات قبل أبيه بما يقارب الثلاثة شهور بمصر، وذلك لسبع خلون من شوال، سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، قال السمعاني في كتاب الأنساب: نجيرم، محلة بالبصرة، إليها ينسب النجيرميون.

باب التاء

تمام بن غالب بن عمرو، يعرف بابن التيان

أبو غالب المرسي الأندلسي. بخط بن يحلم، قال سعد الخير: مرسية بلدة حسنة من بلاد الأندلس، كثيرة التين، يجلب منها إلى سائر البلدان، فلعله نسب إليه لبيع التي.

ذكره الحميدي فقال: كا إماماً في اللغة، وثقة في إيرادها، مذكوراً بالديانة والورع، مات بالمرية في جمادى، سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وله كتاب تلقيح العين في اللغة، لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً، وله فيه قصة تدل على فضله، وذلك أن الأمير أبا الجيش، مجاهد بن عبد الله العامري، وهو أحد المتغلبين على تلك النواحي، وجه إلى أبي غالب هذا - أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها - ألف دينار أندلسية، على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد. فرد الدنانير و لم يفعل، وقال: والله لو بذل لي ملء الدنيا ما فعلت، ولا استجزت الكذب، فإني لم أجمعه له خاصة، لكن لكل طالب عامة.

قال الحميدي: فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم وزاهتها: وقال أبو القاسم، خلف بن عبد الملك، بن بشكوال الأنصاري الأندلس: في كتاب الصلة من تصنيفه، وهو كتاب وصل به كتاب ابن الفرضي في تاريخ الأندلسيين، قال ابن حبان: وله كتاب جامع في اللغة، سماه تلقيح العين، جم الإفادة، وكان بقية شيوخ اللغة الضابطين لحروفها، الحاذقين بمقاييسها وكان ثقة صدوقاً عفيفاً، وذكر وفاته كما تقدم.

توفيق بن محمد، بن الحسين، بن عبيد الله

ابن محمد، بن زريق، أبو محمد الإطرابلسي النحوي، كان جده محمد بن زريق، يتولى أمر الثغور من قبل الطائع لله، وانتقل ابنه عبيد الله إلى الشام، وولد توفيق بإطرابلس، وسكن دمشق، وكان أديباً فاضلاً، شاعراً، وكان يتهم بقلة الدين، والميل إلى مذاهب الأوائل، ومن شعره:

وجلنار كأعراف الديوك على ... خصر يميس كأذاب الطواويس

مثل العروس تجلت يوم زينتها ... حمراء تجلى على خضر الملابيس

في مجلس لعبت أيدي السرور به ... لدى عريش يحاكي عرش بلقيس

سقى الحيا أربعاً تحيا النفوس بها ... ما بين مقري إلى باب الفراديس

مات في صفر، سنة عشرة وخمسمائة، ودفن بمقبرة باب الفراديس.

باب الثاء

ثابت بن الحسين، بن شراعة

أبو طالب التميمي الأديب، ذكره شيرويه فقال: روى عن ابن سلمة، وابن عيسى وأبي الفضل، محمد ابن عبد الله الرشيدي، ومنصور بن رامش، والريحاني وغيرهم. سمعت منه، وكان صدوقاً. توفي في العشر الأخير من صفر، سنة تسع وستين وأربعمائة.

ثابت بن أبي ثابت، علي بن عبد الله الكوفي

قال الزبيدي: كان من أمثل أصحاب أبي عبيد القاسم بن سلام، وقيل: اسم أبي ثابت سعيد.
وقال النديم: قال السكري: اسم أبي ثابت محمد، لغوي، لقي فصحاء الأعراب، وأخذ عنهم، وهو من كبار الكوفيين. قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب خلق الإنسان، كتاب الفرق: كتاب الزجر والدعاء، كتاب خلق الفرس، كتاب الوحوش، كتاب مختصر العربية، كتاب العروض.

ثابت بن أبي ثابت، عبد العزيز اللغوي

الذي له كتاب خلق الإنسان، من علماء اللغة. يروي عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي الحسن علي ابن المغيرة الأثرم، واللحياني، وأبي نصر أحمد بن حاتم، وسلمة بن عاصم التميمي، وأبي عبد الله محمد بن زياد وآخرين، روى عنه أبو الفوارس داود بن محمد، ابن صالح المروزي النحوي، المعروف بصاحب ابن السكيت، وابنه عبد العزيز بن ثابت. واسم أبي ثابت أبيه، عبد العزيز، من أهل العراق، جليل القدر، موثوق به، مقبول القول في اللغة، يعرف بوراق أبي عبيد.

ثابت بن سنان،الصابئ،

بن ثابت، بن قرة، بن مروان الصابئ،أبو الحسن، الطبيب المؤرخ، مات فيما ذكره هلال ابن المحسن، لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكان قد ذكر في تاريخه إلى آخر سنة ستين، ووصل هلال بن المحسن من أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وكان أبو الحسن طبيباً حاذقاً، وأديباً بارعاً، وله كتاب التاريخ، الذي ابتدأ به من أول أيام المقتدر، وله كتاب مفرد في أخبار الشام ومصر، مجلد واحد. وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ، يرثي خاله أبا الحس، ثابت بن سنان، ابن ثابت، بن قرة:

أسامع أنت يا من ضمه الجدف ... نشيج باك حزين دمعه يكف
وزفرة من صميم القلب مبعثها ... يكاد منها حجاب الصدر ينكشف

أثابت بن سنان دعوة شهدت		لربها أنه ذو غلة أسف
ما بال طبك ما يشفي وكنت به		تشفي العليل إذا ما شفه الدنف
غالتك غول المنايا فاستكنت لها		وكنت ذائدها والروح تختطف
فارقتني كفراق الكف صاحبها		أطنها ضارب من زندها نطف
فتت في عضدي يا من غنيت به		أفت في عضد الباغي وانتصف
ثوى بمغناك في لحد سكنت به		الدين والعقل والعلياء والشرف
لهفي عليك كريماً في عشيرته		ممهداً جسمه من عمة ترف
قد أسلموه إلى غبراء يشمله		فيها التراب فمنها الفرش واللحف

ثابت بن محمد الجرجاني

أبو الفتوح، ذكره الحميدي في كتاب الأندلسيين فقال: دخل إلى الأندلس وجال في أقطارها، وبلغ إلى ثغورها، واجتمع بملوكها، وكان إماماً في العربية، متمكناً في علم العرب.

قال ابن بشكوال: قتل في محرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، قتله باديس بن حيوس، أمير صنهاجة، لتهمة لحقته عنده، في القيام عليه مع اب عمه بيدر بن جباسة. ومولده سنة خمسين وثلاثمائة. وكان مع تحققه بالأدب. قيماً بعلم المنطق، ودخل بغداد وأقام بها طالباً، وأملى بالأندلس كتاب شرح الجمل للزجاج. روى ببغداد عن اب جني، وعلي بن عيسى الربعي، وعبد السلام بن الحسين البصري، وروى كثيراً من علم الأدب.

وحدث الحميدي عن أبي محمد علي بن أحمد، عن البراء ابن عبد الملك الباجي قال: لما ورد أبو الفتوح الجرجاني الأندلس، كان أول من لقي من ملوكها، الأمير الموفق أبا الجيش مجاهداً العامري، فأكرمه وبالغ في إكرامه، فسأله عن رفيقه، من هذا معك؟ فقال:

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا		وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

قال أبو محمد: ثم لقيت بعد ذلك أبا الفتوح، فأخبري عن بعض شيوخه: أن ابن الأعرابي رأى في مجلسه رجلي يتحادثان، فقال لأحدهما: من أين أنت؟ فقال: من إسبيجاب، وقال للآخر: من أين أنت؟ فقال: من الأندلس، فعجب ابن الأعرابي، فأنشد البيت المقدم، ثم أنشدني تمامها:

نزلت على قيسية يمنية		لها نسب في الصالحي هجان
فقالت وأرخت حانب الستر دوننا		لأية أرض أم من الرجلان؟

فقلتُ لها: أما رفيقي فومه | تميم وأما أسرتي فيماني
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا | وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

أبو ثروان العكلي

أحد بني عكل، وعكل: اسم امرأة حضنت ولد عوف بن وائل، بن قيس، بن عوف، بن عبد مناف، ابن أد، بن طابخة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان. وهي أمة لهم، وأمهم بنت ذي اللحية ابن حمير، وكان ثطاً فسمي بضد صفته، وبنو عوف ابن وائل: الحارث، وجشم، وسعد، وعلي، وقيس درج ولا عقب له، فكل من ولده واحد من هؤلاء، كان عكلياً. وكان أبو ثروا أعرابياً بدوياً، تعلم في البادية لدى، ذكره يعقوب بن السكيت، ووجد بخطه، وكان فصيحاً. قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب خلق الفرس، كتاب معاني الشعر.

باب الجيم

جبر بن علي، بن عيسى،

ابن الفرج، بن صالح، أبو البركات الربعي الزهيري، ووالده أبو الحسن علي بن عيسى، هو النحوي المشهور، صاحب أبي علي الفارسي، وكان أبو البركات هذا، أحد الأدباء البلغاء الفصحاء.

قال محمد بن عبد الملك الهمذاني، كان ينوب عن الوزراء ببغداد، وله اليد الطولى في الكتابة، وجن في شبيبته، فكان يتعمم بحبل البئر، وادعى النبوة في ذلك الوقت، وعولج حتى برأ. وللبصروي وغيره فيه مدائح. ومات في سنة تسع وأربعي وأربعمائة.

جعفر بن أحمد المروزي

أبو العباس، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو أحد جماعي ومؤلفي الكتب، في أنواع من العلم، وكتبه كثيرة جداً، وهو أول من ألف كتاباً في المسالك والممالك، و لم يتم. مات بأهواز وحملت كتبه إلى بغداد، وبيعت في طاق الحراني سنة أربع وسبعين ومائتين. فمن كتبه: كتاب المسالك والممالك، كتاب الآداب الكبير، كتاب الآداب الصغير، كتاب الناجم، كتاب تاريخ القرآن لتأييد كتب السلطان، كتاب البلاغة والخطابة.

جعفر بن أحمد، بن عبد الملك، بن مروان

اللغوي، أبو مروان الإشبيلي، يعرف بابن الغاسلة، روى عن القاضي أبي بكر بن زرب، وأبي عو ابنه، والمعيطي، والزبيدي، وكان بارعاً في الأدب واللغة، ومعاني الشعر والخبر، ذا حظ من علم السنة. توفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، ومولده سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

جعفر بن أحمد،السراج

بن الحسين، بن أحمد، بن جعفر السراج أبو محمد القارئ البغدادي، سمع أبا علي بن شاذان، وأبا القاسم بن شاهين، وأبا محمد الخلال، وأبا الفتح بن شيطا، وأبا الحسي التوزي، وأبا القاسم التنوخي.

قال ابن عساكر: قرأت بخط غيث بن علي الصوري: جعفر بن أحمد بن الحسين، ذو طريقة جميلة، ومحبة للعلم والأدب، وله شعر لابأس به، وخرج له شيخنا الخطيب فوائد، وتكلم عليها في خمسة أجزاء، وكان يسافر إلى مصر وغيرها، وتردد إلى صور عدة دفعات، ثم قطن بها زماناً، وعاد إلى بغداد، وأقام بها إلى أن توفي. كتب عنه و لم يكن به بأس. وله تصانيف: منها مصارع العشاق، كتاب زهد السودان. ونظم أشعاراً كثيرة في الزهد، والفقه، وغير ذلك.

قال الصوري: قال لي: ولدت سنة تسع عشرة وأربعمائة، وسمعت الحديث، ولي خمس سنين. وقرأت بخط أبي المعمر الأنصاري: توفي جعفر السراج، في حادي عشر من صفر، سنة خمسمائة، ودفن بمقبرة باب أبرز، وكان ثقة. وقال السمعاني: مولده سنة سبع عشرة، أو ست عشرة. ومن شعره:

أفلح عبد عصى هواه وفاق في دينه وكاسا

ولم يرح مدمناً لخمر ينهل طاساً ويعل كاسا

ومن شعره:

يا من إذا ما رضيته حكماً جار عليا في حكمه وسطا

قد مدح الله أمة جعلت في محكم الذكر أمة وسطا

وقال جعفر بن أحمد السراج نقلاً من كتاب الخريدة:

قضت وطراً من أرض نجد وأمت عقيق الحمى مرخىً لها في الأزمة

وخبرها الرواد أن لحاجر حياً نورت منه الرياض فحنت

ولاح لها برق من الغور موهناً كشعلة نار للطوارق شبت

فميلن بالأعناق عند وميضه تراقص في أرسانها واستمرت

وغنى لها الحادي فأذكرها الحمى وأيامها فيه وساعات وجرة

وقد شركتني في الحنين ركائبي وزدن علينا رة بعد رنة

أقول لركب مجهشين تطوحوا وعز بهم ماء ردوا ماء عبرتي

ألا ليت شعري هل تعود رواجعاً ليالي لاصبا من بعد ما قد تولت

قرأت بخط الحسن بن جعفر، بن عبد الصمد، بن المتوكل في كتابه: حدثني الشيخ أبو الفضائل بن الخاضبة قال: دخل الشيخ أبو سعد بن أبي عمامة الواعظ، إلى المسجد المعلق، مقابل دار الخلافة، وكان فيه الشيخ أبو محمد بن السراج ليسلم عليه، فالتقاه الشيخ أبو بكر بالرحب والسعة، وتعانقا، وجلسا يتذاكران، فجاء الشيخ أبو نصر الأصبهاني، فصعد إليهما، وقد كان في الحمام، فكشف رأسه، وقعد يستريح من كرب الحمام، فقال له الشيخ أبو محمد: غط رأسك لا ينالك الهوى، فتتأذى، فقال الشيخ أبو سعد: لعله يجد فيه راحة.

أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر شيخنا – رحمه الله – قال: سمعت أبا الكرم المبارك بن الحسن، ابن الشهرزوري المقرئ يقول: كنت أقرأ على أبي محمد جعفر، بن محمد السراج، وأسمع منه، فضاق صدري

منه لحاله، فانقطعت عنه، ثم ندمت وقلت: يفوتني منه بانقطاعي عنه فوائد كثيرة، فقصيدته في مسجده المعلق، الحاذي لباب النوبي، فلما وقع نظره علي، رحب بي وأنشدني لنفسه:

وعدت بأن تزوري بعد شهر ... فزوري قد تقضى الشهر زوري

وموعد بيننا نهر المعلى ... إلى البلد المسمى شهر زور

فأشهر صدك المحتوم حق ... ولكن شهر وصلك شهر زور

ومن شعره:

دع الدمع بالوكف ينكى الخدودا ... فإن الأحبة أضحوا خمودا

دعا بهم هاتف الحادثات ... فبدلهم بالقصور اللحودا

دنت منهم نوب للردى ... فأفنت ضعيفهم والشديدا

دموع يكفكفهن الأسى ... عليهم غزار تروى الصعيدا

دجاهم وصبحهم واحد ... وقد مزق الدود منهم جلودا

وجعل كتاب مصارع العشاق أجزاء، وكتب على كل جزء أبياتاً من قوله، فكان على الجزء الأول:

هذا كتاب مصارع العشاق ... صرعتهم أيدي نوى وفراق

تصنيف من لدغ الفراق فؤاده ... وتطلب الراقي فعز الراقي

وأنشد له السمعاني في المزيد:

حبذا طيف سليمى إذ طوى ... حذر الواشي السري من ذي طوى

وأتى الحي طروقاً وهم ... بين أجزاع زرود فاللوى

بت أشكو ما ألاقيه إلى ... طيفها الطارق من مس الجوى

أشكر الأحلام لما جمعت ... بيننا وهناً على رغم النوى

أيها العاذل دعني والهوى ... ليس مشغول وخال بالسوى

وأنشد له:

حبذا نجد بلاداً لم نجد ... راحة للقلب في أرض سواها

فإذا ما لاح منها بارق ... هاج أشواقي أو هبت صباها

لست أنسى إذ سليمى جارة ... تبذل الود وتصفينا هواها

ثم لما شطت الدار بها ورماها البين من حيث رماها

أرسلت طيف كرىً لكنه زارنا والعين قد زال كراها

ومن شعره أيضاً:

وقفنا وقد شطت بأحبابنا النوى على الدار نبكيها سقي ربعها المز

وزادت دموع الواكفين برسمها فلو أرسلت سفن بها جرت السف

ولم يبق صبر يستعان على النوى به بعد توديع الخليط ولا جفن

سألنا الصبا لما رأينا غرامنا يزيد بسكان الحمى والهوى يدنو

أفيك لحمل الشوق يا ريح موضع فقد ضعفت عن حمل أشواقنا البدنُ

جعفر بن إسماعيل، بن القاسم القالي

هو ولد أبي علي القالي الذي تقدم ذكره، وأبو علي والده. هو صاحب الأمالي وغيرها من التصانيف المشهورة، وكان جعفر هذا أيضاً، أديباً فاضلاً أريباً، وهو القائل في المنصور محمد بن أبي عامر، أمير الأندلس يمدحه:

وكتيبة للشيب جاءت تبتغي قتل الشباب ففر كالمذعور

فكأن هذا جيش كل مثلث وكأن تلك كتيبة المنصور

جعفر بن الفضل، بن جعفر،

بن محمد، بن موسى ابن الحسن، بن الفرات، أبو الفضل المعروف بابن حترابة، وحترابة اسم أمهم، كانت جارية، وكانت حترابة حماة المحسن بن الفرات بمصر، وكان وزيراً فاضلاً بارعاً كاملاً، وزر بمصر لأنوجور بن أبي بكر الأخسيد، ثم لأخيه أبي الحسن علي، ثم لكافور إلى أن انقضت دولة الأخشيدية، وإليه رحل أبو الحسن الدارقطني، حتى صنف له ما صنف في مصر. مات في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، ومولده سنة ثمان وثلاثمائة.

وفي تاريخ أبي محمد أحمد بن الحسين، بن أحمد، ابن أحمد، بن محمد، بن عبد الرحمن الروذباري: أن ابن حترابة، مات في ثالث عشر من صفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، في أيام الحاكم، وفي سنة تسع وتسعين، قتل الحاكم ابنه أبا الحسين بن جعفر، بن الفضل، بن الفرات، وكان يلقب بسيدوك. وفي سنة خمس وأربعمائة، ولي وزارة الحاكم أبو العباس، الفضل ابن جعفر بن الفضل، بن الفرات ابنه الآخر،

وضمن ما لم يعرفه، فقتل بعد خمسة أيام من ولايته.

ويروى لأبي الفضل جعفر هذان البيتان، ولا يعرف له شعر غيره:

من أحمل النفس أحياها وروحها ... ولم يبت طاوياً منها على ضجر

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها ... فليس ترمي سوى العالي من الشجر

قال يحيى بن مندة: قدم أبو الفضل بن حترابة أصفهان، وسمع من عبد الله بن محمد، بن عبد الكريم، ومحمد بن حمزة بن عمارة، والحسن بن محمد الداركي، وسمع ببغداد، من محمد بن هارون الحصري، ومن في طبقته. وهو أحد الحفاظ حسن العقل، كثير السماع، مائل إلى أهل العلم والفضل، نزل مصر، وتقلد الوزارة لأميرها كافور، وكان أبوه وزير المقتدر بالله. وبلغني أنه كان يذكر أنه سمع من عبد الله بن محمد البغوي مجلساً، و لم يك عنده. وكان يقول: من جاءني به أغنيته، وكان عالي الحديث بمصر، وإليه خرج أبو الحسن الدارقطني إلى هناك، لأنه يريد أن يصنف مسنداً، فخرج الدارقطني إليه، وأقام عنده مدة فصنف له المسند، وحصل له من جهته مال كثير.

وروى عنه الدارقطني في كتاب المذبح، قال ابن مندة: سمعت أبا القاسم، إسماعيل بن مسعدة الجرجاني قال: قال حمزة بن يوسف السهمي: سألت أبا الحسن علي ب عمر الحافظ الدارقطي، عن محمد بن محمد، بن سليمان الباغندي، فحكى عن الوزير أبي الفضل بن الفرات، المعروف بابن حترابة حكاية، قال الشيخ حمزة: ثم دخلت مصر، وسألت الوزير أبا الفضل جعفر بن الفضل عن الباغندي، وحكيت له ما كنت سمعته من الدارقطني، فقال لي الوزير: لحقت الباغندي محمد بن محمد بن سليمان، وأنا ابن خمس سنين، و لم أكن سمعت منه شيئاً، وكان للوزير الماضي - رحمه الله - حجرتان، إحداهما للباغندي، يجيئه يوماً ويقرأ له، والأخرى لليزيدي.

قال أبو الفضل: سمعت أبي - رحمه الله - يقول: كنت يوماً مع الباغندي في الحجرة، يقرأ لي كتب أبي بكر بن أبي شيبة، فقام الباغندي إلى الطهارة، فمددت يدي إلى جزء معه من حديث أبي بكر، فإذا على ظهره مكتوب مربع ولا باقي محكوك، فرجع الباغندي فرأى الجزء في يدي فتغير وجهه. وسألته وقلت: إيش هذا؟ مربع؟ فتغير إذ ذاك و لم أفطن له، لأني أول من كنت دخلت في كتبة الحديث، ثم سألت عنه، فإذا الكتاب لمحمد بن إبراهيم، بن مربع، سمعه من أبي بكر بن أبي شيبة.

قرأت في تاريخ لابن زولاق الحسن بن إبراهيم، في أخبار سيبويه الموسوس قال: ورأى سيبويه جعفر ابن الفضل ب الفرات بعد موت كافور، وقد ركب في موكب عظيم. فقال: ما بال أبي الفضل قد جمع

كتابه، ولفق أصحابه، وحشد بين يديه حجابه، وشمم أنفه، وساق العساكر خلفه، أبلغه أن الإسلام طرق؟ أو أن ركن الكعبة سرق؟ فقال له رجل: هو اليوم صاحب الأمر، ومدبر الدولة. فقال: يا عجباً، أليس بالأمس نهب الأتراك داره؟ ود كد كوا آثاره، وأظهروا عواره، وهم اليوم يدعونه وزيراً، ثم قد صيروه أميراً. ما عجبي منهم كيف نصبوه، بل عجبي كيف تولى أمر عدوهم ورضوه.

قال الحافظ أبو القاسم: ذكر بعض أهل العلم، وأظنه محمد بن أبي نصر الحميدي: أن الوزير أبا الفضل بن حترابة حدث بمصر، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، مجالس إملاء خرجها الدارقطني، وعبد الغني ابن سعيد، وكانا كاتبيه ومخرجيه، وكان كثير الحديث، جم السماع، مكرماً لأهل العلم، مطعماً لأهل الحديث، استجلب الدارقطني من بغداد وبر إليه، وخرج له المسند، وقد رأيت عند أبي إسحاق الجباني من الأجزاء التي خرجت له جملة كثيرة جداً، وفي بعضها الموفى ألفاً من مسند كذا، والموفى خمسمائة من مسند كذا، وهكذا هي سائر المسندات. وقد أعطى الدارقطني مالاً كثيراً، وأنفق عليه نفقة واسعة، و لم يزل في أيام عمره يصنع شيئاً من المعروف عظيماً، ويفق نفقات كثيرة على أهل الحرمين، من أصناف الأشراف وغيرهم، إلى أن تم له أن اشترى بالمدينة داراً إلى جانب المسجد، من أقرب الدور إلى القبر، ليس بينها وبين القبر إلا حائط وطريق في المسجد، وأوصى أن يدفن فيها، وقرر عند الأشراف ذلك، فسمحوا له بذلك، وأجابوه إليه. فلما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين، فخرجت الأشراف من مكة والمدينة لتلقيه والنيابة في حمله، إلى أن حجوا به، وطافوا ووقفوا بعرفة، ثم ردوه إلى المدينة، ودفنوه في الدار التي أعدها لذلك.

قرأت بخط الشريف النسابة، محمد بن أسعد بن علي الجواني المعروف بابن النحوي، كان الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات، المعروف بابن حترابة، يهوى النظر إلى الحشرات من الأفاعي، والحيات والعقارب، وأم أربعة وأربعين، وما يجري هذا المجرى وكان في داره التي تقابل دار الشنتكاني ومسجد ورشٍ. – وكانت للماذرائي قبل ذلك – قاعة لطيفة مرخمة، فيها سلل الحيات، ولها قيم فراش حاو من الحواة، ومعه مستخدمون برسم الخدمة، ونقل السلل وحطها، وكان كل حاو في مصر وأعمالها يصيد له ما يقدر عليه من الحيات، ويتباهون في ذوات العجب من أجناسها، وفي الكبار وفي الغريبة المنظر، وكان الوزير يثيبهم في ذلك أوفى الثواب، ويبذل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة، ويدخل المستخدمون والحواة، فيخرجون ما في السلل ويطرحونه في ذلك الرخام، ويحرشون بين الهوام، وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه.

فلما كان ذات يوم، أنفذ رقعة إلى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب، وكان من أعيان كتاب آبائه ودولته،

وكان عزيزاً عنده، وكان يسكن في جوار دار ابن الفرات، يقول له فيها: نشعر الشيخ الجليل، – أدام الله سلامته –، أنه لما كان البارحة، وعرض علينا الحواة الحشرات، الجاري بها العادات، انساب إلى داره منها الحية البتراء، وذات القرنين الكبرى، والعقربان الكبير وأبو صوفة، وما حصلوا لنا إلا بعد عناء ومشقة، وبجملة بذلناها للحواة، ونحن نأمر الشيخ – وفقه الله تعالى – بالتوقيع إلى حاشيته وصبيته، بصو ما وجد منها، إلى أن ننفذ الحواة لأخذها وردها إلى سللها، فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها: أتاني أمر سيدنا الوزير – أدام الله نعمته وحرس مدته – بما أشار إليه في أمر الحشرات، والذي يعتمد عليه في ذلك، أن الطلاق يلزمه ثلاثاً إن بات هو أو واحد من أولاده في الدار، والسلام.
أنشدني أبو بكر بن عبد البر القيرواني التميمي، لصالح بن مؤنس المصري، يمدح بعض آل الفرات:

قد مر عيد وعيد ... ما اخضر لي فيه عود
وكيف يخضر عود ... والماء منه بعيد
يا من له عدد المج ... د كلها والعديد
آل الفرات نداهم ... على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم ... عليك منه شهود
وكل يوم لغيري ... من راحتيك مديد
هل لي إلى الرزق ذنب ... فكان منه صدود
ما الناس إلا شقي ... في دهرنا وسعيد

قال ابن الأكفاني: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن الحسين بن النحاس، حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن نصر من لفظه قال: حضرت عند أبي الحسين المهلبي في داره بالقاهرة فقال لي: كنت منذ أيام حاضراً دار الوزير، يعني أبا الفرج بن كلس، فدخل عليه أبو العباس، الفضل بن أبي الفضل، الوزير ابن حترابة، وكان قد زوجه ابنته، وأكرمه وأجله، فقال له: يا أبا العباس يا سيدي، ما أنا بأرجل من أبيك، ولا بأعلم ولا بأفضل، وزاد في وصفه وإكرامه، ثم قال: أتدري ما أقعد أباك خلف الباب؟ شيل أنفه، وأخرج يده فعلا بها رأسه، وشال أنفه إلى فوق وقال له: بالله يا أبا العباس لا تشل أنفك، تدري ما الإقبال؟ نشاط وتواضع، تدري ما الإدبار؟ كسل وترافع.
قرأت فيما جمعه أبو علي صالح بن رشد قال: كان أبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير، قد خرج إلى بستانه بالمقس فكتب إليه أبو صر بن كشاجم على تفاحة بماء الذهب وأنفذها إليه:

إذا الوزير تخلى ... للنيل في الأوقات

فقد أتاه سمي ... اه جعفر بن الفرات

قال محمد بن طاهر المقدسي: سمعت أبا إسحاق الحبال يقول: لما قصد هؤلاء مصر وزولا قريباً منها، لم يبق أحد من الدولة العباسية، إلا خرج للاستقبال والخدمة، غير الوزير أبي الفضل بن حترابة فإنه لم يخرج، فلما كان في الليلة التي صبيحتها الدخول، اجتمع إليه مشايخ البلد، وعاتبوه في فعله. وقيل له: إنك تغري بدماء أهل السنة، ويجعلو تأخرك عنهم سبباً للانتقام. قال: الآن أخرج فخرج للسلام، فلما دخل عليه أكرمه وبجله، وأجلسه وفي قلبه شيء، وكان إلى جنبه ابنه وولي عهده، وغفل الوزير عن التسليم عليه، فأراد أن يمتحنه بسبب يكون إلى الوقيعة به. فقال له: حج الشيخ؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وزرت الشيخين؟ فقال: شغلت بالنبي صلى الله عليه وسلم عنهما، كما شغلت بأمير المؤمنين عن ولي عهده، السلام عليك يا ولي عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته. فأعجب من فطنته، وتداركه ما أغفله، وعرض عليه الوزارة فامتنع. فقال: إذا لم تل لنا شغلاً فيجب ألا تخرج عن بلادنا، فإنا لا نستغني أن يكون في دولتنا مثلك، فأقام بها و لم يرجع إلى بغداد.

قال: وسمعت أبا إسحاق الحبال يقول: كان يعمل للوزير أبي الفضل الكاغد بسمرقند، ويحمل إليه إلى مصر في كل سنة، وكان في خزانته عدة من الوراقين، فاستعفى بعضهم، فأمر بأن يحاسب ويصرف، فكمل عليه مائة دينار، فعاد إلى الوراقة، وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء..

قال: وسمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال يقول: خرج أبو صر السجزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ، لم يبق منهم غيري، وكان قد خرج له عشرين جزءاً في وقت الطلب، وكتبها في كاغد عتيق فسألت الحبال عن الكاغد، فقال: هذا من الكاغد الذي كان يحمل للوزير من سمرقند، وقعت إلي من كتبه قطعة، فكنت إذا رأيت فيها ورقة بيضاء قطعتها إلى أن اجتمع هذا، فكتبت فيه هذه الفوائد.

جعفر بن قدامة، بن زياد الكاتب

أبو القاسم، ذكره الخطيب فقال: هو أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم، وكان وافر الأدب، حس المعرفة. وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها، حدث عن أبي العيناء الضرير، وحماد بن إسحاق الموصلي، والمبرد، ومحمد ابن عبد الله بن مالك الخزاعي، ونحوهم. روى عنه أبو الفرج الأصفهاني.

ونقلت من خط أبي سعيد مع بن خلف البستي، مستوفي بيت الزرد والفرش السلطاني الملكشاهي، بتولية نظام الملك قال: قال جعفر بن قدامة الكاتب:

استمع بالله يا ابن ال ... ملك والنجدة مني

يومنا في الحسن والبه جة قد جاز التمي

فأزري نفسك الح رة أولا فاستزرني

ومن خطه قال: نقلت من خط عبد الرحمن بن عيسى الوزير لجعفر بن قدامة:

كيف يخفى وإن أتاني نهاراً كسف الشمس بالجمال البهي

فكلا حالتيه يفضح سري وينادي بكل أمر خفي

بأبي أحسن الأنام جميعاً تاه عقلي به وحق النبي

وقال أبو محمد عبيد الله بن أبي القاسم، عبد المجيد ابن بشران الأهوازي في تاريخه: مات أبو القاسم جعفر ابن قدامة، بن زياد يوم الثلاثاء، لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة تسع عشرة وثلاثمائة. قال ابن بشران: وفي سنة عشرة وثلاثمائة، أخرج علي بن عيسى الوزير إلى اليمن منفياً، فقال أبو القاسم، جعفر بن قدامة الكاتب في ذلك:

أصبح الملك واهي الأرجاء وأمور الورى بغير استواء

منذ نادت نوى علي بن عيسى واستمرت به إلى صنعاء

فوحق الذي يميت ويحيي وهو الله مالك الأشياء

لقد اختل بعده كل أمر واستبانت كآبة الأعداء

ثم صاروا بعد العداوة والل ه جميعاً في صورة الأولياء

يتألون كلهم في علي إنه قد خلا من النظراء

ومن شعره أيضاً:

تسمع مت قبلك بعض قولي ولا تتسلل مني لواذا

إذا أسقمت بالهجران جسمي ومت بغصتي فيكون ماذا؟

ومن كتاب الوزراء لهلال ب المحسن: ولجعفر بن قدامة يمدح ابن الفرات:

يا ابن الفرات ويا كري م الخيم محمود الفعال

ضيعت بعدك واطرح ت وبان للناس اختلالي

وتغيرت مذ غيرت أحوالك الأيام حالي

لهفاً أبا حس على أيامك الغر الخوالي

لهفاً عليها إنها بليت بأحوال بوالي

قرأت في كتاب المحاضرات لأبي حيان قال: وقلت للعروضي: أراك منخرطاً في سلك ابن قدامة، ومنصباً إليه، ومتوفراً عليه، وكيف يتفق بينكما، وكيف تأتلفان ولا تختلفان. فقال: إعلم أن الزمان وقت الاعتدال، والرجل كما تعرف على غاية البرد والغثاثة، وخساسة الطبع، وأنا كما تعرفني وتثبتني، فاعتدلنا إلى أن يتغير الزمان، ثم نفترق ونختلف ولا نتفق. وأنشأ يقول:

وصاحب أصبح من برده كالماء في كانون أو في شباط

ندمائه من ضيق أخلاقه كطأنهم في مثل سم الخياط

نادمته يوماً فألفيته متصل الصمت قليل النشاط

حتى لقد أوهمني أنه بعض التماثيل التي في البساط

جعفر بن محمد، بن أحمد، بن حذار

الكاتب أبو القاسم، ذكره الصولي في كتاب أخبار شعراء مصر قال: لم يك بمصر مثله في وقته، كثير الشعر حسن البلاغة عالم، له ديوان شعر، ومكاتبات كثيرة حسنة.

قال: وكان العباس بن أحمد بن طولو، قد خرج على أبيه في نواحي برقة، عند غيبة أبيه بالشام، وتابعه أكثر الناس، ثم غدر به قوم، وخرج عليه آخرون من نواحي القيروان، فظفر به أبوه، وكان جعفر بن حذار وزير العباس وصاحب أمره. قال ابن زولاق مؤرخ مصر: قبض على العباس بنواحي الإسكندرية، وأدخل إلى الفسطاط على قتب على بغل مقيداً، في سنة سبع وستين ومائتين، ونصب لكتابه ومن خرج بهم إلى ما خرج إليه دكة عظيمة رفيعة السمك، في يوم الأربعاء، لا أعرف موقعه من الشهر، وجلس أحمد بن طولو في علو يوازيها، وشرع من ذلك العلو إليها طريقاً، وكان العباس قائماً بين يدي أبيه في خفخاف ملحم وعمامة وخف، وبيده سيف مشهور، فضرب ابن حذار ثلاثمائة سوط، وتقدم إليه البعاس فقطع يديه ورجليه من خلاف، وألقي من الدكة إلى الأرض، وفعل مثل ذلك بالمنتوف وبأبي معشر، واقتصر بغيرهم على ضرب السوط. فلم تمض أيام حتى ماتوا.

وقال لاصولي: مثل أحمد بن طولون بابن حذار لما قتله. يروى أنه تولى قطع يديه ورجليه بيده. ومن شعر ابن حذار إلى صديق له من أبيات:

يا كسروياً في القدي م وهاشمياً في الولاء

يا ابن المقفع في البيا ن ويا إياساً في الذكاء

يا ناظراً في المشكلا ت المعضلات ويا ضيائي

إيهاً، جعلت فداك في م طويتني طي الرداء
وتركتني بين الحجا ب أعوم في بحر الجفاء
ورغبت عما كنت تر غب فيه من لطف الإخاء
من بعد أني كنت عن دك وابن أمك بالسواء
فوحق كفك إنها كف كأخلاف السماء
لأخلينك والهوى ولأصبرن عن اللقاء
ولأشكونك ما استطع ت إلى حفاظك والوفاء
ولأصبر على رق يك في ذرى درج العلاء
فهناك أجني ما غرس ت إليك من ثمر الرجاء

ومن شعره أيضاً:

جاءت بوجه كأنه قمر على قوام كأ،ه غصن
ترنو بعين إذا تعاينها حسبت أن في جفونها وسن
حتى إذا ما استوت بمجلسها وصار فيه من حسنها وثن
غنت فلم يبق في جارحة إلا تمنيت أها أذن

ومن شعره أيضاً:

زارني زور ثكلتهم وأصيبوا حيثما سلكوا
أكلوا حتى إذا شبعوا حملوا الفضل الذي تركوا

جعفر بن محمد،الأخباري

بن الأزهر، ابن عيسى الأخباري أحد أصحاب السير، ومن عني بجمع الأخبار والتواريخ. مات سنة تسع وسبعين ومائتين. ومولده سنة مائتين، سمع من ابن الأعرابي وطبقته، وله من الكتب: كتاب التاريخ على السنين، وهو من جيد الكتب، ذكر ذلك محمد بن إسحاق.

جعفر بن محمد، بن خالد، بن ثوابة،

أبو الحسين الكاتب، أحد البلغاء الفصحاء، قال أبو علي: حدثني أبو الحسين بن قيراط قال: حدثني أبو الحسن الإيادي الكاتب، صديق الكرخيين، قال أبو محمد عبد الوهاب، بن الحسن، بن عبيد الله، بن

سليمان ابن وهب، وعبيد الله بن سليمان، هما الوزيران قال: كان إلى والدي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل، وديوان المعاون وجملة الدواوين التي كانت إليه في أيام وزارة أبيه للمعتضد فأمر عبيد الله ابنه، أن يستخلف أبا الحسين ابن ثوابة على ديوان الرسائل، وديوان المعاون، فصار كالمتقلد له من قبل الوزير، لكثرة استخدامه له فيه، ثم مات أبي، فأقره جدي الوزير عبد الله على الديوان رياسة، وبقي عليهم يتوارثونه، مرة رياسة ومرة خلافة، إلى أن تسلمه الصابئ أبو إسحاق من ابن ابنه أحمد.

وكتب جعفر بن محمد هذا، رقعة إلى عبيد الله بن سليمان الوزير في نسختها: قد فتحت للمظلوم بابك، ورفعت عنه حجابك، فأنا أحاكم الأيام إلى عدلك، وأشكو صرفها إلى عطفك، وأستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك، فإنها توخرني إذا قدمت، وتحرمني إذا قسمت، فإن أعطت أعطت يسيراً، وإن ارتجعت ارتجعت كثيراً، و لم أشكها إلى أحد قبلك، ولا أعددت لإنصافها إلا فضلك، ودفع زمام المسألة وحق الظلامة حق التأميل، وقدم صدق الموالاة والمحبة، والذي يملأ يدي من النصفة، ويسبغ العدل علي، حتى تكون إلي محسناً، وأكون بك للأيام معدياً، أن تخلطني بخواص خدمك، الذين نقلتهم من حال الفراغ إلى الشغل ومن الخمول إلى النباهة والذكر، فإن رأيت أن تعديني فقد استعديت، وتجيرني فقد عذت بك، وتوسع علي كنفك، فقد أويت إليه، وتشملني بإحسانك، فقد عولت عليه، وتستعمل بدني ولساني فيما يصلحان لخدمتك فيه، فقد درست كتب أسلافك، وهم الأئمة في البيان، واستضأت برأيهم، واقتفيت آثارهم اقتفاء جعلني بين وحشي كلام وأنيسه، ووقفني منه على جادة متوسطة، يرجع غليها الغالي، ويسمو نحوها المقصر، فعلت إن شاء الله تعالى، فكانت هذه الرقعة سبب استخلافه لأبي.

جعفر بن محمد، بن حمدان الموصلي،

أبو القاسم لافقيه الشافعي، ذكره محمد بن إسحاق فقال: هو حسن التأليف، عجيب التصنيف، شاعر أديب فاضل، ناقد للشعر، كثير لارواية، مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة أربعين ومائتين. له عدة كتب في الفقه على مذهب الشافعي. فأما كتبه في الأدب فهي: كتاب الباهر في أشعار المحدثين، عارض به الروضة للمبرد، كتاب الشعر والشعراء لم يتم، ولو تم لكان غاية في معناه، كتاب السرقات لم يتم أيضاً، وهو كتاب جيد في معناه، كتاب محاس أشعار المحدثين لطيف.

قال أبو عبد الله الخالع: كان أبو القاسم، جعفر بن محمد، بن حمدان الموصلي، ممن عمر طويلاً، وكانت بينه وبين البحتري مراسلة، ورثاه بعد وفاته. ومدح القاسم ابن عبيد الله، وأدرك أبا العباس النامي، وتكاتبا بالشعر.

وقال أبو علي بن أبي الزمزام: كان ابن حمدان كبير المحل من أهل الرياسات بالموصل، و لم يكن بها في وقته

من ينظر إليه، ويفضل في العلوم سواه، متقدماً في الفقه، معروفاً به، قوياً في النحو فيما يكتبه، عارفاً بالكلام والجدل مبرزاً فيه، حافظاً لكتب اللغة، راوية للأخبار، بصيراً بالنجوم، عالماً مطلعاً على علوم الأوائل، عالي الطبقة فيها، وكان صديقاً لكل وزراء عصره، مداحاً لهم، آنساً بالمبرد وثعلب وأمثالهما، من علماء الوقت، مفضلاً عندهم، وكانت له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم، وقفاً على كل طالب للعلم، لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها غريب يطلب الأدب، وإن كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً. تفتح في كل يوم، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه، ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته، مثل الباهر وغيره من مصنفاته الحسان، ثم يملي من حفظه من الحكايات المستطابة، وشيئاً من النوادر المؤلفة، وطرفاً من الفقه وما يتعلق به.

وكان جماعة من أهل الموصل حسدوه على محله وجاهه عند الخلفاء والوزراء والعلماء، وكان قد جحد بعض أولاده وزعم أ،ه ليس منه، فعاندوه بسببه، وزعموا أنه نفاه ظلماً، واجتهدوا أن يلحقوه به، فما تم لهم، فاجتمعوا وكتبوا فيه محضراً، وشهدوا عليه فيه بكل قبيح عظيم، ونفوه عن الموصل، فانحدر هارباً منهم إلى مدينة السلام، ومدح المعتضد بقصيدة يشكو فيها ما اله منهم، ويصف ما يحسنه من العلوم، ويستشهد بثعلب والمبرد وغيرهما. أولها:

أجدك ما ينفك طيفك سارياً ... مع الليل مجتاباً إليا الفيافيا
يذكرنا عهد الحمى وزماننا ... بنعمان والأيام تعطي الأمانيا
ليالي مغنى آل ليلى على الحمى ... ونعمان غاد بالأوانس غانيا
وعهد الصبي منهن فينان مورق ... ظليل الضحى من حائط اللهو دانيا
قريب المدى نائي الجوى داني الهوى ... على ما يشاء المستهام مؤاتيا
حلفت بأخياف المخيم من منى ... ومن حل جمعاً والرعان المتاليا
وبالركب يأتمون بطحاء مكة ... على أركب تحكى القسى حوافيا
طواهن طي البيد في غلس الدجى ... ونشر الفيافي والفيافي كما هيا
ولو أني أبثثت ما بي من الجوى ... شماريخ رضوى أو شمام رثى ليا
وإن أطو ما تطوي الجوانح من هوى ... عن الناس تخبرهم بحالي حاليا
أأدخل تحت الضيم والبيد والسرى ... وأيدي المطايا الناعجات عتاديا؟

سأخرج من جلباب كل ملمة ... خروج المعلى والمنيح ورائيا
إذا أنا قابلت الإمام مناجياً ... له بالذي من ريب دهري عنانيا
رميت بآمالي إلى الملك الذي ... أذلت ماسعيه الأسود الضواريا
وما هي إلا روحة وادلاجة ... تنيل الأماني أو تقيم البواكيا
ولي في أمير المؤمنين مدائح ... ملأت بها الآفاق حسن ثنائيا
وأمت بي الآمال لا طالباً جدىً ... ولا شاكياً إنفاض حالي وماليا
ولكنني أشكو عدواً مسلطاً ... على عداني بغيه عن مجاليا
أيا ابن الولاة الوارثين محمدا ... خلافته دون الموالي مواليا
إذا ما اعتزمت الأمر أبرمت فتله ... ولم تك عن إمضائك العزم وانيا
فلا تك للمظلوم ناداك في الدجى ... لغربته والدفع للظلم ناسيا

وهي مائة وخمسون بيتاً، فيها بعد المدح: ما يحسنه من العلوم الدينية والأدبية، ويتبجح بمعرفته إقليدس وأشكاله، وزيادات زادها في أعماله، وله في صفة الليل:

رب ليل كالبحر هولاً وكالده ... ر امتداداً وكالمداد سوادا
خضته والنجوم توقدن حتى ... أطفأ الفجر ذلك الإيقاد

قال ابن عبد الرحيم: ونقلت من خط جعفر بن محمد الموصلي، من قصيدة في أبي سليمان داود ب حمدان:

أعيجي بنا قبل انبتات حبالك ... جمالك إن الشوق شوق جمالك
ففي وقفة تتلو عليك أوامها ... جوانح لا تروى بغير نوالك
فقد طلعت شمس الضحى بأوارها ... على مستظلات بفيئ ظلالك

ومنها:

بأبناء حمدان الذين كأنهم ... مصابيح لاحت في ليال حوالك
لهم نعم لا أستقل بشكرها ... وإن كنت قد سيرته في المسالك
وخلفت فيه من قريض بدائعاً ... ترى خلفاً من كل باق وهالك

وله من قصيدة في القاسم بن عبيد الله:

ما شأن دارك يا ليلى نناجيها ... فما تجيب ولا ترعى لداعيها

إنا عشية عجنا بالمطي بها		كنا نحييك فيها لا نحييها
لا ترسلي الطيف إن الطرف في شغل		عن الكرى بدموع بات يجريها
لأضربن بآمالي إلى ملك		يقل في قدره الدنيا بما فيها
يا بن الوزارة والمأمول بعد لها		في سائر الأرض دانيها وقاصيها

ما بال ما اجتاب عرض الأرض من مدحي		إليك يسري مع الركبان ساريها
لم يأتني نبأ عنها ولا خبر		واليوم كالحول لي مما أراعيها

وله أيضاً:

وما الموت قبل الموت غير أنني		أرى ضرعاً بالعسر يوماً لذي اليسر
فدع قولهم ليس الثراء من العلا		فما الفخر إلا أن يقال هو المثري
إذا أنت لم تبل الصديق فلا تكن		له آمناً فيما يجن من الأمر
فإن سترت حال امرئ لؤم أصله		أبي اللؤم إلا أن يبين مع الستر

وله أيضاً:

على الخيف من أكناف برقة أطلال		دوارس عفتها ببرقة أحوال
ومبني خيام من فريق تفرقوا		أيادي سبا والبين للشمل مغتال
وهن نجوم للنجوم ضرائر		وهن لأكدار الحنادس إقبال
ألا إن تجوال الظباء سوانحاً		لمن عالج الوجد المبرح آجال
إلى ابن أبي العباس جاذبنا المنى		ومن دونه بيد يخب بها الآل
ومازالت الأيام تضحك عنهم		وتشرق عنهم بالمكارم أفعال
أولئك أرباب العلى وبنو الندى		وقوال فصل يوم مجد وفعال
هم ورثوه الجود والبذل والندى		فزاد على ما ورثوه ولم يال

وله يرثي البحتري:

تعولت البدائع والقصيد		وأودي الشعر مذ أودي الوليد
وأظلم جانب الدنيا وعادت		وجوه المكرمات وهن سود

فقل للدهر يجهد في الرزايا فليس وراء فجعته مزيد

وله من قصيدة:

تمكن حب علوة من فؤادي وملك أمر غيي والرشاد

فوالي بين دمعي والمآقي وعادى بين جفي والرقاد

وقد طلب السلامة في سليمى زماناً والسعادة في سعاد

فلا هاتيك أحمدها وصالاً ولا هذي ارتضاها في الوداد

وله أيضاً:

أيها القرم الذي أع وزنا فيه النديد

وأعانته على المج د مساع وجدود

عجل النجح فإن ال مطل بالوعد وعيد

قال عبيد الله الفقير إليه مؤلف هذا الكتاب: هذا معنى عن لي من قبل أن أقف على هذه الأبيات، وكنت أعجب كيف فات الأوائل لاشتماله على مطابقة التجنيس وحسن المعنى مدة، حتى وقفت على ما ههنا، فعلمت أن أكثر ما ينسب إلى الشعراء من السرقات، إنما هو توارد الخواطر، ووقوع حافر على حافر.

وأما أبياتي فهي:

يا سيداً بذ من يمشي على قدم علماً وحلماً وآباء وأجدادا

ماذا دعاك إلى وعد تصيره بالخلف والمطل والتسويف إيعادا

لا تعجلن بوعد ثم تخلفه فيثمر المطل بعد الود أحقادا

فالوعد بزر ولطف القول منبته وليس يجدي إذا لم يلق حصادا

جعفر بن موسى، يعرف بابن الحداد

أبو الفضل النحوي، كتب الناس عنه شيئاً من اللغة وغريب الحديث، وما كان من كتب أبي عبيدة مما سمعه من أحمد بن يوسف التغلبي، وغير ذلك من ثقات المسلمين وأحبارهم. مات لثلاث خلون من شعبان، سنة تسع وثمانين ومائتين، ودفن بقرب مترله ظهر قنطرة البردان.

جعفر بن هارون، بن النحوي، الدينوري

أبو محمد. روى عنه ابن شاذان، في شوال سنة أربع وأربعي وثلاثمائة.

جلد بن جمل الراوية

ما رأيت أحداً من أهل التصنيف، والرواية والتأليف، ذكره في كتاب ترجمة، إلا أن الإسناد إليه كثير، والرواية عنه ظاهرة شهيرة، وكان فيما تدل عليه الأخبار التي يرويها، علامة بأخبار العرب وأشعارها عارفاً بأيامها وأنسابها.

جناد بن واصل الكوفي

أبو محمد، ويقال: أبو واصل، مولى بني عاضدة، من رواة الأخبار والأشعار، لا علم له بالعربية، وكان يصحف ويكسر الشعر، ولا يميز بين الأعاريض المختلفة، فيخلط بعضها ببعض. وهو من علماء الكوفيين القدماء، وكان كثير الحفظ في قياس حماد الراوية.

وحدث المرزباني قال: قال عبد الله بن جعفر: أخبرنا أبو عمرو أحمد بن علي الطوسي عن أبيه قال: ما كانوا يشكون بالكوفة في شعر، ولا يعزب عنهم اسم شاعر، إلا سألوا عنه جناداً، فوجدوه لذلك حافظاً، وبه عارفاً على لحن كان فيه، وكان كثير اللحن جداً، فوق لحن حماد، وربما قال من الشعر البيت والبيتين.

وقال الثوري: اتكل أهل الكوفة على حماد وجناد، ففسدت رواياتهم من رجلين، كانا يرويان لا يدريان، كثرت رواياتهما وقل علمهما. وحدث عبد الله بن جعفر عن جبلة بن محمد الكوفي، عن أبيه قال: مررت بجناد مولى العاضديين وهو ينشد:

إعلم بأن الحق مركبه ... إلا على أهل التقى مستصعب

فاقدر بذرعك في الأمور فإنما ... رزق السلامة من لها يتسبب

فقلت: أبرقت يا جناد؟ قال: وأني ذلك؟ قلت: في هذين البيتين. قال: فلم يستبن ذلك، فتركته وانصرفت.

قال عبد الله: وإنما أنكر عليه أن البيت الأول ينقص من عروضه وتد، والثاني تام فكسره و لم يعلم. والعرب لا تغلط بمثل هذا، وإنما يغلطون بأن يدخلوا عروضين في ضرب واحد من الشعر لتشابههما.. فأما هذا: فالصواب فيه أن يقول:

إعلم بأن الحق مركب ظهره ... إلا على أهل التقى مستصعب

ومعنى قوله أبرقت: خلطت بيتاً مكسوراً ببيت صحيح، فصار كالحبل الأبرق على لوين. والبرقاء من الأرض والحجارة: ذات لونين: سواد وبياض.

جنادة بن محمد بن الحسين الهروي،

أبو أسامة اللغوي النحوي، عظيم القدر، شائع الذكر، عارف باللغة، أخذ عن أبي منصور الأزهري، وروى عن أبي أحمد العسكري وروى عنه كتبه، ثم قدم مصر فأقام بها، إلى أن قتله الحاكم من الملوك المصرية، المنتسبة إلى العلويين، في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة. ذكر ذلك أبو محمد أحمد بن الحسين، بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الروذباري في تاريخه، الذي ألفه في حوادث مصر. وأخذ عنه بمصر أبو سهل الهروي وغيره من أهل مصر وغيرهم، وكان مجلسه بمصر في جامع المقياس، وهو الذي فيه العمود، الذي يعتبرون به زيادة النيل من نقصه.

واتفق في بعض السنين، أن النيل لم يزد زيادة تامة، فقيل للحاكم حينئذ: إن جنادة رجل مشئوم، يقعد في المقياس ويلقي النحو، ويعزم على النيل فلذلك لم يزد. وكان من حدة الحاكم وتهوره، وما عرف من سوء سيرته، لا يتثبت فيما يفعله، ولا يبحث عن صحة ما يبلغه، فأمر من ساعته بقتله، فقتله – رحمه الله – سمعت هذا الحديث في مصر مفاوهة، حكوه عن الأثير بن البيساني، أخي القاضي الفاضل وغيره، واللفظ يزيد ينقص، والله أعلم.

جهم بن خلف المازني الأعرابي،

من مازن تميم، له اتصال في النسب بأبي عمرو بن العلاء المازني المقرئ، وكان جهم راوية، علامة بالغريب والشعر، وكان في عصر خلف الأحمر، والأصمعي، وكانوا ثلاثتهم متقاربين في معرفة الشعر. ولجهم شعر مشهور في الحشرات والجوارح من الطير. وقيل: إن ابن مناذر قال يمدح جهماً:

سميتم آل العلاء لأنكم ... أهل العلاء ومعدن العلم
ولقد بنى آل العلاء لمازن ... بيتاً أحلوه مع النجم

وجههم القائل في رواية المازني يصف الحمامة:

مطوقة كساها الل ... ه طوقاً لم يكن ذهباً
جمود العين مبكاها ... يزيد أخا الهوى نصبا
مفجعة بكت شجواً ... فبت بشجوها وصبا
على غصن تميل به ... جنوب مرة وصبا
ترن عليه إما ما ... ل من شوق أو انتصاب
وما فغرت فماً وبكت ... بلا دمع لها انسكبا

قال: لوه يخاطب المفضل الضبي لما قدم البصرة:

أنت كوفي ولا يح فظ كوفي صديقا

لم يكن وجهك يا كو في للخير خليقا

جودي بن عثمان

مولىً لآل يزيد بن طلحة العنبسيين، من أهل مورور من بلاد الغرب، ذكره الحميدي والزبيدي، رحل إلى المشرق، فلقي الكسائي والفراء وغيرهما. وهو أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الغرب، وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق، وفي حلقته أنكر على عباس بن ناصح قوله:

يشهد بالإخلاص يؤتيها لله فيها وهو نصراني

فلحن حيث لم يشدد ياء النسب. وكان بالحضرة رجل من أصحاب عباس بن ناصح، فساءه ذلك، فقصد عباساً وكان مسكنه بالجزيرة، فلما طلع على عباس قال له: ما أقدمك - أعزك الله - في هذا الأوان؟ قال: أقدمني لحنك. قال له عباس: وأي لحن؟ فأعلمه. فقال له: ألا أنشدهم قول عمران ابن حطان:

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيت معدياً فعدناني

فلما سمع البيت كر راجعاً. فقال له عباس: لو نزلت فأقمت عندنا. فقال: ما بي إلى ذلك من حاجة، ثم قدم قرطبة، واجتمع بجودي وأصحابه، فأعلمهم ما قال ووافقوه.

باب الحاء

حبشي بن محمد، بن شعيب الشيباني

أبو الغنائم النحوي الضرير، من أهل واسط، من ناحية تعرف بالأفشولية. مات في ذي القعدة، سنة خمس وستين وخمسمائة. وكان قد ورد واسط، وقرأ بها القرآن وشيئاً من النحو، ثم قدم بغداد وأقام بها، وقرأ على ابن الشجري العلوي، واللغة على الشيخ أبي منصور الجواليقي، وسمع منهما ومن قاضي المارستان. وكان عارفاً بالنحو واللغة والعربية، تخرج به جماعة من أهل الأدب، كمصدق بن شبيب، وكان يحسن الثاء عليه ويقول: به تخرجت، لأن الشيخ ابن الخشاب، كان مشغولاً عنا، ويض علينا بعلمه، فكان انعكافنا على حبشي. وكان مع هذا العلم، إذا خرج إلى الطريق بغير قائد لا يهتدي كما يهتدي العميا، حتى سوق الكتب الذي كان يأتيه في كل ليلة عشرين سنة، و لم يكن بعيداً عن مترله.

حبيش بن عبد الرحمن أبو قلابة

وقيل: حبيش بن منقذ. كان أحد الرواة الفهمة. وكان بينه وبين الأصمعي مماظة لأجل المذهب، لأن الأصمعي - رحمه الله - كان سنياً حسن الاعتقاد، وكان أبو قلابة شيعياً رافضياً، ولما بلغته وفاة الأصمعي شمت به وقال:

أقول لما جاءني نعيه ... بعداً وسحقاً لك من هالك
يا شر ميت خرجت نفسه ... وشر مدفوع إلى مالك.

وله أيضاً فيه:

لعن الله أعظماً حملوها ... نحو دار البلى على خشبات
أعظماً تبغض النبي وأهل البي ... ت والطيبين والطيبات

وكان أبو قلابة صديقاً لعبد الصمد بن المعذل، وبينهما مجالسة وممازحة، وله معه أخبار.

حدث المرزباني قال: قال أنشدت أبا قلابة قولي فيه:

يا رب إن كان أبو قلابة ... يشتم في خلوته الصحابهْ
فابعث عليه عقرباً دبابهْ ... تلسعه في طرف السبابهْ
واقرن إليه حية منسابهْ ... وابعث على جوخانه سنجابهْ

قال: وابو قلابة ساكت. فلما قلت: وابعث على جوخانه سنجابه، قال: الله الله، ليس مع ذهاب الخير عمل. حدث المبرد في الروضة، حدثني عبد الصمد ابن المعذل قال: جئت أبا قلابة الجرمي، وهو أحد الرواة الفهمة، ومعه الأرجوزة التي نسبت إلى الأصمعي، وهي:

تهزأ مني أخت آل طيسلهْ　　　قالت أراه كاللقي لا شيء لهْ

قال: فسألته أن يدفعها إلي، فأبى. فعملت أرجوزتي التي أولها:

تهزأ مني وهي رود طلهْ　　　أن رأت الأحناء مقفعلهْ

قالت أرى شيب العذار احتلهْ　　　والورد من ماء اليرنا حلهْ

قال: ودفعتها إليه على أنها لبعض الأعراب، وأخذت منه تلك، ثم مضى أبو قلابة إلى الأصمعي يسأله عن غريبها. فقال له: لمن هذه؟ قال: لبعض الأعراب. فقال له: ويحك، هذه لبعض الدجالين دلسها عليك، أما ترى فيها كيت وكيت وكيت؟ قال: فخزي أبو قلابة واستحي.

حبيش بن موسى الضبي

صاحب كتاب الأغاني الذي ألفه للمتوكل، وذكر في هذا الكتاب أشياء لم يذكرها غسحاق، ولا عمرو بن نانة، وذكر من أسماء المغنيين والمغنيات في الجاهلية والإسلام كل طريف غريب. وله: كتاب الأغاني على حروف المعجم، وكتاب مجيدات المغنيات.

حسان بن مالك،اللغوي الأندلسي

بن أبي عبيدة، اللغوي الأندلسي كنيته أبو عبدة الوزير، من أئمة اللغة والأدب، وأهل بيت جلالة ووزارة. مات عن سن عالية. قيل: سنة عشرين وثلاثمائة. له كتاب على مثال كتاب أبي السري سهل بن أبي غالب، الذي ألفه في أيام الرشيد، وسماه كتاب ربيعة وعقيل، وهو من أحسن ما ألف في هذا المعنى، وفيه من أشعاره ثلاثمائة بيت. وذاك أنه دخل على المنصور بن أبي عامر، وبين يديه كتاب السري، وهو معجب به، فخرج من عنده وعمل هذا الكتاب، وفرغ منه تأليفاً ونسخاً، وجاء به في مثل ذلك اليوم من الجمعة الأخرى، وأراه إياه، فسر به ووصله عليه. وكتب أبو عبدة للمستظهر عبد الرحمن ابن هشام، بن عبد الجبار، بن عبد الرحمن التاجر، المسمى بالخلافة أيام الفتنة، وكان استوزره:

إذا غبت لم أحضر وإن جئت لم أسل　　　فسيان مني مشهد ومغيب

فأصبحت تيمياً وما كنت قبلها　　　لتيم ولكن الشبيه نسيب

أشار في هذا لابيت إلى قول الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم　　　ولا يسأذنون وهم شهود

قال ابن خاقان: وكان لأبي عبدة أيام الفتنة حين أدجت الفتنة ليلها، وأزجت إبلها وخيلها. اغتراب كاغتراب الحارث بن مضاض، واضطراب بين الموالي والمواض، كالحية النضناض، ثم اشتهر بعد، وافتر له السعد، وفي تلك المدة يقول يتشوق إلى أهله:

سقى بلداً أهلي به وأقاربي غواد بأثقال الحيا وروائح
وهبت عليهم بالعشي وبالضحى نواسم من برد الظلال فوائح
تذكرتهم، والنأي قد حال دونهم ولم أنس لكن أوقد القلب لافح
ومما شجاني هاتف فوق أيكة ينوح ولم يعلم بما هو نائح
فقلت :اتئد يكفيك أني نازح وأن الذي أهواه عني نازح
ولي صبية مثل الفراخ بقفرة مضى حاضناها فاطحتها الطوائح
إذا عصفت ريح أقامت رؤوسها فلم تلقها إلا طيور بوارح

الحسن بن إبراهيم بن زولاق

أبو محمد، هو الحسن بن إبراهيم، بن الحسين، بن الحسن ابن علي، ب خلف، بن راشد، بن عبد الله، بن سليمان، ابن زولاق المصري الليبي، من أعيان علماء أهل مصر، ووجوه أهل العلم فيهم. وله عدة تصانيف في تواريخ المصرية. مات يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، سنة ست وثمانين وثلاثمائة، في أيام المتلقب بالعزيز بالله. وقيل: إنه مات في ذي القعدة، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، في أيام الحاكم، والأول أظهر. وكان لمحبته للتواريخ، والحرص على جمعها وكتبها، كثيراً ما ينشد:

مازلت تكتب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

وله من الكتب: كتاب سيرة محمد بن طفج الأخشيد، كتاب سيرة جوهر، كتاب سيرة الماذرائيين، كتاب التاريخ الكبير على السنين، كتاب فضائل مصر، كتاب سيرة كافور، كتاب سيرة المعز، كتاب سيرة العزيز، وغير ذلك. وكان قد سمع الحديث ورواه، فسمع منه عبد الله بن وهبان، بن أيوب، بن صدقة وغيره وحدث ابن زولاق في كتاب سيرة العزيز المتغلب على مصر، المتسب إلى العلويين من تصنيفه، حاكياً عن نفسه قال: لما خلع على الوزير يعقوب بن كلس، وكان يهودياً فأسلم، وكان مكيناً من العزيز، فلما أسلم قلده وزارته، وخلع عليه. قال ابن زولاق: وكنت حاضراً مجلسه، فقلت: أيها الوزير، روى الأعمش عن زيد ابن وهب، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: حدثني الصادق رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه". وهذا علو سماوي. فقال

الوزير: ليس الأمر كذلك، وإنما أفعالي وتوفيراتي وكفايتي، ونيابتي ونيتي وحرصي، الذي كان يهجى ويعاب. وقد مات قوم ممن كان، وبقي قوم، وكان هذا القول بحضرة القوم الذين حضروا قراءة السجل، الذي خرج من العزيز في ذكر تشريفه. قال ابن زولاق: فأمسكت وقلت: - وفق الله الوزير-، إنما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً، وقمت وخرجت وهو ينظر إلي، وانصرف الوزير إلى داره بما حباه العزيز به. قال: فحدثني أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الحسيني الزينبي قال: عاتبت الوزير على ما تكلم به وقلت: إنما روى حديثاً صحيحاً بجميع طرقه، وما أراد إلا الخير. فقال لي: خفي عنك، إنما هذا مثل قول المتنبئ:

ولله سر في علاك وإنما كلام العدى ضرب من الهذيان

وأجمع الاس على أن ذلك هجو في كافور، لأنه أعلمه أنه تقدم بغير سبب. وابن زولاق هجاني على لسان صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم، فما أمكني السكوت. وكان في نفسي شيء، فجعلت كلامه سبباً. قال أبو عبد الله الزينبي: فأشهد أن الوزير لم ينقض يومه، حتى تكلم بمثل كلامي، الذي أوردته عن النبي صلى الله عليه وسلم. وذلك أن رجلاً عرض عليه رقعة فقال: كم رقاع، كم حرص هو ذا الرجل، يطوف البلدان، ويتقلب في الدول ويسافر فلا ينجح وآخر يأتيه أمله عفواً، قد فرغ الله من الأرزاق والآجال، والمراتب، ومن الشقاوة والسعادة، ثم التفت إلي وضحك، وقطع كلامه. قال ابن زولاق: وكنت هنأت ابن رشيق بهذه التهنئة، في مجلس عظيم حفل، حي جاءته الخلع من بغداد والتقليد وألبسوه. ورويت له هذا الخبر، فبكى وشكر، وحسدني على ذلك أكثر الحاضرين، وكافأني عليه أحسن مكافأة.

الحسن بن أحمدبابن الحائك الهمداني،

بن يعقوب، يعرف بابن الحائك الهمداني ومن مفاخرها. له: كتاب الإكليل في مفاخر قحطان، وذكر اليمن. وله قصيدة سماها الدامغة في فضل قحطان، أولها:

ألا يا دار لولا تنطقيا فإنا سائلوك فخبرينا

وله كتاب جزيرة العرب وأسماء بلادها، وأوديتها ومن يسكنها. وقرأت بخط الأمير عبد الكريم بن علي البيساني، أخي الفاضل عبد الرحيم في فهرست كتبه، وذكر خبراً من كتاب الإكليل في أنساب حمير وأخبارها، تصيف الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، وكان في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

الحسن بن أحمد،الفارسي،

بن عبد الغفار، ابن سليمان الفارسي،أبو علي الفارسي لامشهور في العالم اسمه، المعروف تصنيفه ورسمه،

أوحد زمانه في علم العربية. كان كثير من تلامذته يقول: هو فوق المبرد. قال أبو الحسن علي ابن عيسى الربعي: هو أبو علي الحسن، بن أحمد، بن عبد الغفار، بن محمد، بن سليمان، بن أبان الفارسي، وأمه سدوسية من سدوس، شيبان من ربيعة الفرس. مات ببغداد، سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، في أيام الطائع لله، عن نيف وتسعين سنة. أخذ النحو عن جماعة من أعيان أهل هذا الشأن، كأبي إسحاق الزجاج، وأبي بكر بن السراج، وأبي بكر مبرمان، وأبي بكر الخياط. وطوف كثيراً في بلاد الشام، ومضى إلى طرابلس، فأقام بحلب مدة، وخدم سيف الدولة بن حمدان، ثم رجع إلى بغداد، فأقام بها إلى أن مات. حدث الخطيب قال: قال التنوخي: ولد أبو علي الفارسي بفسا، وقدم قغداد واستوطها، وعلت متزلته في النحو حتى قال قوم من تلامذته: هو فوق المبرد وأعلم منه. وصنف كتباً عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، واشتهر ذكره في الآفاق، وبرع له غلمان حذاق، مثل عثما بن جني، وعلي بن عيسى الربعي وخدم الملوك ونفق عليهم، وتقدم عند عضد الدولة فكان عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي النحوي في النحو، وغلام أبي الحسين الرازي الصوفي في النجوم. وكان متهماً بالاعتزال.

وذكر أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي، في كتاب شرح الجمل للزجاجي، في باب التصريف منه: يحكى عن أبي علي الفارسي: أنه حضر يوماً مجلس أبي بكر الخياط، فأقبل أصحابه على أبي بكر يكثرو عليه المسائل، وهو يجيبهم ويقيم عليها الدلائل. فلما أنفدوا أقبل على أكبرهم سناً، وأكبرهم عقلاً، وأوسعهم علماً عند نفسه. فقال له: كيف تبني من سفرجل مثل عنكبوت؟ فأجابه مسرعاً سفرروت. فحي سمعها قام من مجلسه وصفق بيديه، وخرج وهو يقول: سفرروت. فأقبل أبو بكر على أصحابه، وقال: - لا بارك الله فيكم، ولا أحسن جزاءكم -، خجلاً مما جرى، واستحياء من أبي علي.

ومما يشهد بصفاء ذهنه وخلوص فهمه: أنه سئل - قبل أن ينظر في العروض - عن خرم متفاعلن، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو فقال: لا يجوز، لأن متفاعلن ينقل إلى مستفعلن إذا أضمر، فلو خرم لتعرض للابتداء بالساكن. إذا الخرم: حذف الحرف الأول من البيت. والإضمار تسكين ثانية. ولما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه عز الدولة، بختيار بن معز الدولة، دخل عليه أبو علي الفارسي فقال له: ما رأيك في صحبتنا؟ فقال له: أنا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء، - فخار الله للملك في عزيمته، وأنجح قصده في نهضته، وجعل العافية زاده، والظفر تجاهه، والملائكة أنصاره -. ثم أنشده:

ودعته حيث لا تودعه — نفسي ولكنها تسير معه
ثم تولى وفي الفراد له — ضيق محل وفي الدموع سعهْ

فقال له عضد الدولة: – بارك الله فيك – فإني واثق بطاعتك، وأتيقن صفاء طويتك، وقد أنشدنا بعض أشياخنا بفارس:

قالوا له إذ سار أحبابه ... فبدلوه البعد بالقرب

والله ما شطت نوى ظاعن ... سار من العين إلى القلب

فدعا له أبو علي، وقال: أيأذن مولانا في نقل هذين البيتين؟ فأذن فاستملاهما منه. وكان مع عضد الدولة يوماً في الميدان فسأله: بماذا ينتصب الاسم المستثنى، في نحو قام القوم إلا زيداً؟ فقال أبو علي: ينتصب بتقدير أستثني زيداً. فقال له عضد الدولة: لم قدرت أستثني زيداً. فقال له عضد الدولة: لم قدرت أستثني زيداً فنصبت؟ هلا قدرت امتنع زيد. فرفعت، فقال أبو علي: هذا الذي ذكرته جواب ميداني، فإذا رجعت قلت لك الجواب الصحيح. وقد ذكر أبو علي في كتاب الإيضاح: أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا. قالوا: ولما صنف أبو علي كتاب الإيضاح، وحمله إلى عضد الدولة، استقصره عضد الدولة، وقال له: ما زدت على ما أعرف شيئاً، وإنما يصلح هذا للصبيان. فمضى أبو علي، وصنف التكملة، وحملها إليه. فلما وقف عليها عضد الدولة قال: غضب الشيخ، وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو. وحكى ابن جني عن أبي علي أنه كان يقول: أخطئ في مائة مسألة لغوية، ولا أخطئ في واحدة قياسية. قال أبو الفتح بن جني: قال لي أبو علي الفارسي: قرأ علي علي بن عيسى الرماني كتاب الجمل وكتاب الموجز لابن السراج في حياة ابن السراج. وكان أبو طالب العبدي يقول: لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه، أحد أبصر بالنحو من أبي علي. قرأت بخط سلامة بن عياض النحوي ما صورته: وقفت على نسخة من كتاب الحجة لأبي علي الفارسي، في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بالري، في دار كتبها التي وقفها الصاحب ابن عباد – رحمه الله – وعلى ظهرها بخط أبي علي ما حكايته هذه: – أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل، أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه –، كتابي في قراء الأمصار، الذين بينت قراءهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى، المعروف بكتاب السبعة، فما تضمن من أثر وقراءة ولغة، فهو عن المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم، وأسندته إليهم، فمتى أثر سيدنا الصاحب الجليل – أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه – حكاية شيء منه عنهم، أو عني لهذه المكاتبة فعل. وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطه: ولأبي علي من التصانيف: كتاب الحجة، كتاب التذكرة، قد ذكرت حاله في ترجمة محمد ابن طوس القصري، كتاب أبيات الإعراب، كتاب الإيضاح الشعري، كتاب الإيضاح النحوي، كتاب مختصر عوامل الإعراب، كتاب المسائل الحلبية، كتاب المسائل البغدادية، كتاب المسائل الشيرازية، كتاب

المسائل القصرية، كتاب الأغفال، وهو مسائل أصلحها على الزجاج، كتاب المقصور والممدود، كتاب نقص الهاذور كتاب الترجمة، كتاب المسائل المنثورة، كتاب المسائل الدمشقية، كتاب أبيات المعاني، كتاب التتبع لكلام أبي علي الجبائي في التفسير، نحو مائة ورقة، كتاب تفسير قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة"، كتاب المسائل البصرية، كتاب المسائل العسكرية، كتاب المسائل المصلحة من كتاب ابن السراج، كتاب المسائل المشكلة، كتاب المسائل الكرمانية، ذكر المعري في رسالة الغفران: أن أبا علي الفارسي كان يذكر أن أبا بكر بن السراج، عمل من الموجز النصف الأول لرجل بزاز، ثم تقدم إلى أبي علي الفارسي بإتمامه. قال: وهذا لا يقال إنه من إنشاء أبي علي، لأن الموضوع في الموجز، هو منقول من كلام ابن السراج في الأصول وفي الجمل، فكأن أبا علي جاء به على سبيل النسخ، لا أنه ابتدع شيئاً من عنده نقلت من خط الشيخ أبي سعيد مع ب خلف البستي، مستوفي بيتي الزرد والفرس الملكشاهي بتوليته من نظام الملك، من كتاب ألفه بخطه، وكان عالماً فاضلاً حاسباً.

قال الأستاذ أبو العلاء الحسين بن محمد، بن مهرويه في كتابه الذي سماه أجناس الجواهر: كنت بمدينة السلام أختلف إلى أبي علي الفارسي النحوي - رحمه الله - وكان السلطان رسمل له أن ينتصب لي كل أسبوع يومين، لتصحيح كتاب التذكرة، لخزانة كافي الكفاة، فكنا إذا قرأنا أوراقاص منه تجارينا في فنون الآداب، واجتنينا من فوائده ثمار الألباب ورتعنا في رياض ألفاظه ومعانيه، والتقطنا الدر المنثور من سقاط فيه، فأجرى يوماً بعض الحاضرين ذكر الأصمعي، وأسرف في الثناء عليه، وفضله على أعيان العلماء في أيامه، فرأيته - رحمه الله - كالمنكر لما كان يورده، وكان فيما ذكر من محاسنه، ونشر من فضائله أن قال: من ذا الذي يجسر أن يخطئ الفحول من الشعراء غيره؟ فقال أبو علي: وما الذي رد عليهم؟ فقال الرجل: أنكر على ذي الرمة مع إحاطته بلغة العرب ومعانيها، وفضل معرفته بأغراضها وماميها، وأنه سلك نهج الأوائل في وصف المفاوز، إذا لعب السراب فيها، ورقص الآل في نواحيها، ونعت الجريال وقد سبح على جدله، والظليم وكيف ينفر من ظله؟. وذكر الركب وقد مالت طلاهم من غلبة المنام، حتى كأنهم صرعتهم كؤوس المدام، فطبق مفصل الإصابة في كل باب، وساوى الصدر الأول من أرباب الفصاحة، وجارى القروم البزل من أصحاب البلاغة، فقال له الشيخ أبو علي: وما الذي أنكر على ذي الرمة؟ فقال قوله: وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم لأنه كان يجب أن ينونه، فقال: أما هذا فالأصمعي مخطئ فيه، وذو الرمة مصيب، والعجب أن يعقوب ب السكيت قد وقع عليه هذا السهو في عبض ما أنشده. فقلت: إن رأى الشيخ أن يصدع لنا بجلية هذا الخطإ تفضل به، فأملى علينا: أنشد ابن السكيت لأعرابي من بني أسد:

وقائلة أسيت فقلت جير | أسى إنني من ذاك إنه
أصابهم الحمى وهم عواف | وكن عليهم نحساً لعنه
فجئت قبورهم بدءاً ولما | فناديت القبور فلم يجبنه
وكيف يجيب أصداء وهام | وأبدان بدرن وما نخرنه

قال يعقوب: قوله جير أي حقاً، وهي مخفوضة غير منوة، فاحتاج إلى التوين: قال أبو علي: هذا سهو منه، لأن هذا يجري منه مجرى الأصوات، وباب الأصوات كلها، والمبنيات بأسرها لا ينون، إلا ما خص منها لعلة الفرقان فيها، بين نكرتها ومعرفتها، فما كان منها معرفة جاء بغير تنوين، فإذا نكرته نونته، ويكون من ذلك أنك تقول في الأمر: صه ومه، تريد السكوت يا فتى، فإذا نكرت قلت: صه ومه، تريد سكوتاً. وكذلك قول الغراب: غاق أي الصوت المعروف من صوته، وقول الغراب غاق، أي صوتاً، وكذلك إيه يا رجل، تريد الحديث، وإيه تريد حديثاً.

وزعم الأصمعي: أن ذا الرمة أخطأ في قوله: وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم. وكان يجب أن ينونه ويقول إيه منونة، وهذا من أوابد الأصمعي، فاحتاج إلى التنوين. قال أبو لعي: هذا سهو من غير علم. فقوله جير بغير تنوين، في موضع قوله الحق، وتجعله نكرة في موضع آخر فتنونه، فيكون معناه: قلت حقاً. ولا مدخل للضرورة في ذلك، إنما التنوين للمعنى المذكور، وبالله التوفيق. وتنوين هذا الشاعر على هذا التقدير.

قال يعقوب: قوله: أصابهم الحمى: يريد الحمام. وقوله بدرن: أي طعن في بوادرهم بالموت. والبادرة: النحر. وقوله: فجئت قبورهم بدءاً: أي سيداً، وبدء القوم: سيدهم. وبدء الجزور: خير أنصبائها. وقوله: ولما أي ولم أك سيداً إلا حين ماتوا فإني سدت بعدهم.

قرأت في معجم الشعراء للسلفي: أنشدني أبو جعفر، أحمد بن محمد بن كوثر، المحاربي الغرناطي بديار مصر، قال: أنشدنا أبو الحسن علي أحمد بن خلف النحوي لنفسه بالأندلس، في كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي النحوي:

أضع الكرى لتحفظ الإيضاح | وصل الغدو لفهمه برواح
هو بغية المتعلمين ومن بغى | حمل الكتاب يلجه بالمفتاح
لأبي علي في الكتاب إمامة | شهد الرواة لها بفوز قداح
يفضي إلى أسراره بنوافذ | من علمه بهرت قوى الأمداح
فيخاطب المتعلمين بلفظه | ويحل مشكله بومضة واحي
مضت العصور فكل نحو ظلمة | وأتى فكان النحو ضوء صباح

أوصى ذوي الإعراب أن يتذاكروا بحروفه في الصحف والألواح

فإذا هم سمعوا النصيحة أنجحوا إن النصيحة غبها لنجاح

وكتب الصاحب إلى أبي علي في الحال المقدم ذكرها: كتابي – أطال الله بقاء الشيخ، وأدام جمال العلم والأدب بحراسة مهجته، وتنفيس مهلته –، وأنا سالم ولله حامد، وإليه في الصلاة على النبي وآله راغب، ولبر الشيخ – أيده الله – بكتابه الوارد شاكر.

فأما أخونا أبو الحسين قريبه – أعزه الله – فقد ألزمي بإخراجه إلى أعظم منة، وأتحفني من قربه بعلق مضنة، لولا أنه قلل المقام، واختصر الأيام. ومن هذا الذي لا يشتاق ذلك المجلس؟ وأنا أحوج من كل حاضريه إليه، وأحق منهم بالمثابرة عليه، ولكن الأمور مقدرة، وبحسب المصالح ميسرة، غير أا ننتسب إليه على البعد وقتبس فوائده عن قرب، وسيشرح هذا الأخ هذه الجملة حق الشرح بإذن الله. والشيخ – أدام الله عزه – يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبته، ويقتصر على الخطاب الوسط دون الخروج في إعطاء الرتب إلى الشطط، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه، ويبسط في حاجاته، فإني أظنني أجدر إخوانه بقضاء مهماته، إن شاء الله تعالى. قد اعتمدت على صاحبي أبي العلاء – أيده الله – لاستساخ التذكرة، وللشيخ – أدام الله عزه – رأيه الموفق في التمكين، من الأصل والإذن بعد النسخ في العرض – بإذن الله تعالى –.

قال حدثني علم الدين، أبو محمد القاسم بن أحمد الأندلسي – أيده الله تعالى – قال: وجدت في مسائل نحوية، ننسب إلى ابن جني قال: لم أسمع لأبي علي شعراً قط، إلى أن دخل إليه في بعض الأيام رجل من الشعراء، فجرى ذكر الشعر، فقال أبو لعي: إني لأغبطكم على قول هذا الشعر، فإن خاطري لا يواتيني على قوله، مع تحققي للعلوم التي هي من موارده. فقال له ذلك الرجل: فما قلت قط شيئاً منه ألبته؟ فقال: ما أعهد لي شعراً إلا ثلاثة أبيات قلتها في الشيب، وهي قولي:

خضبت الشيب لما كان عيباً وخضب الشيب أولى أن يعابا

ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيباً خشيت ولا عتابا

ولكن المشيب بدا ذميماً فصيرت الخضاب له عقابا

فاستحسناها وكتبناها عنه، أو كما قال. لأني كتبتها عن المفاوهة، ولم أنقل ألفاظها. أخبر أبو الحسن علي بن عمر الفراء، عن أبي الحسين، نصر بن أحمد، بن نوح المقرئ، قال: أنبأا أبو الحسن علي بن عبيد الله السمسمي اللغوي ببغداد، أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد، بن عبد الغفار الفارسي النحوي، قال:

جئت إلى أبي بكر السراج لأسمع منه الكتاب. وحملت إليه ما حملت، فلما انتصف الكتاب عسر علي في تمامه، فانقطعت عنه لتمكني من الكتاب، فقلت لنفسي بعد مدة: إن سرت إلى فارس، وسئلت عن تمامه، فإن قلت نعم، كذبت، وإن قلت لا، سقطت الرواية والرحلة. ودعتني الضرورة، فحملت إليه رزمة، فلما ابصرني من بعيد أنشد:

وكم تجرعت من غيظ ومن حزن | إذا تجدد حزن هو الماضي
وكم غضبت فما باليتم غضبي | حتى رجعت بقلب ساخط راضي

قرأت بخط الشيخ أبي محمد ب الخشاب: كان شيخنا، يعني أبا منصور موهوب بن الخضر الجواليقي قلما ينبل عنده ممارس للصناعة النحوية، ولو طال فيها باعه، ما لم يتمكن من علم الرواية، وما تشتمل عليه من ضروبها، ولا سيما رواية الأشعار العربية، وما يتعلق بمعرفتها من لغة وقصة، ولهذا كان مقدماً لأبي سعيد السيرافي، على أبي علي الفارسي – رحمهما الله –. وأبو علي أبو علي في نحوه. وطريقة أبي سعيد في النحو معلومة. ويقول: أبو سعيد أروى من أبي علي، وأكثر تحققاً بالرواية، وأثرى منه فيها: وقد قال لي غير مرة: لعل أبا علي لم يكن يرى ما يراه أبو سعيد، من معرفة هذه الأخباريات والأنساب، وما جرى في هذا الأسلوب – كبير أمر –.

قال الشيخ أبو محمد: ولعمري إنه قد حكي عنه، أعني أبا علي أنه كان يقول: لأ أخطئ في خمسين مسألة مما بابه الرواية، أحب إلي من أن أخطئ في مسألة واحدة قياسية. هذا كلامه أو معناه، على أنه كان يقول: قد سمعت الكثير في أول الأمر، وكنت أستحي أن أقول: أثبتوا اسمي. قال الشيخ أبو محمد وكثيراً ما تحصي السقطات على الحذاق من أهل الصناعة النحوية، لتقصيرهم في هذا الباب، فمنه يذهبون، ونم جهته يؤتو. تمام هذا الكلام في أخبار ابن الخشاب.

وقرأت في تاريخ أبي غالب بن مهذب المعري، قال: حدثني الشيخ أبو العلاء، أن أبا علي مضى إلى العراق، وصار له جاه عظيم عند الملك فناخسرو. فوقعت لبعض أهل المعرة حاجة في العراق، احتاج فيها إلى كتاب من القاضي أبي الحسن سليمان، إلى أبي علي. فلما وقف على الكتاب قال: إني قد نسيت الشام وأهله، و لم يعره طرفه.

وذكر شيخنا أبو علي: أن بعض إخوانه سأله بفارس إملاء شيء من ذلك، فأملى عليه صدراً كثيراً، وتقصى القول فيه، وأنه هلك في جملة ما فقده، وأصيب به من كتبه. قال عثمان بن جي – رحمه الله –: وإن وجدت نسخة وأمكن الوقت، عملت بإذن الله كتاباً أذكر فيه جميع المعتلات في كلام العرب، وأميز

ذوات الهمزة من ذوات الواو والياء، وأعطي كل جزء منهما حظه من القول، مستقصى – إن شاء الله تعالى –.

وحدثني أيضاً أنه وقع حريق بمدينة السلام، فذهب به جميع علم البصريين قال: وكنت قد كتبت ذلك كله بخطي، وقرأنه على أصحابنا، فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئاً ألبتة، إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد ابن الحسن. وسألته عن سلوته وعزائه، فنظر إلي عاجباً ثم قال: بقيت شهرين لا أكلم أحداً حزناً وهماً، وانحدرت إلى البصرة لغلبة الفكر علي، وأقمت مدة ذاهلاً متحيراً انقضى كلامه في هذا الفصل.

قرأت في المسائل الحلبية، نسخة كتاب كتبه أبو علي إلى سيف الدولة جواباً عن كتاب ورد عليه منه، يرد فيه على ابن خالويه في أشياء أبلغها سيف الدولة عن أبي علي نسخته: قرأ – أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة – عبد سيدنا الرقعة النافذة من حضرة سيدنا، فوجد كثيراً منها شيئاً لم تجر عادة عبده به، ولاسيما مع صاحب الرقعة، إلا أنه يذكر من ذلك ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل فيما يقوله، وهو قوله: ولو بقي عمر نوح ما صلح أن يقرأ على السيرافي، مع علمه بأن ابن هزاذ السيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلموهم، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان؟ هذا ما لاخفاء به. كيف وهو قد خلط فيما حكاه عني؟ وأني قلت: إن السيرافي قد قرأ علي و لم أقل هذا. إنما قلت: تعلم مني أو أخذ عني هو وغيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا العل. وليس قول القائل: تعلم مني مثل قرأ علي، لأنه قد يقرأ عليه من لا يتعلم منه وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه. وتعلم ابن بهزاذ مني في أيام محمد بن السري وبعده، لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه، كعلي بن عيسى الوراق، ومحمد بن أحمد اب يونس. ومن كان يطلب هذا الشأن من بي الأزرق الكتاب وغيرهم. وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يرونه يغشاني في صف شويز، كعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، لأنه كان جاري بيت بيت قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه، فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني.

وأما قوله إني قلت: إن ابن الخياط كان لا يعرف شيئاً، فغلط في الحكاية، كيف أستجيز هذا وقد كلمت ابن الخياط في مجالس كثيرة؟. ولكني قلت: إنه لا لقاء له، لأنه دخل إلى بغداد بعد موت محمد بن يزيد، وصادف أحمد بن يحيى وقد صم صمماً شديداً، لا يخرق الكلام معه سمعه، فلم يمكن تعلم النحو منه، وإنما كان يعول فيما كان يؤخذ عنه، على ما يمله دون ما كان يقرأ عليه، وهذا الأمر لا ينكره أهل هذا الشأن ومن يعرفهم. وأما قوله: قد أخطأ البارحة في أكثر ما قاله. فاعتراف بما إن استغفر الله منه كان حسناً، والرقعة طويلة فيها جواب عن مسائل أخذت عليه. كانت النسخة غير مرضية، فتركتها إلى أن يقع ما أرتضيه. وأكثر النسخ بالحلبيات لا توجد هذه الرقعة فيها.

قرأت بخط أبي الفتح عثمان بن جني الذي لا أرتاب به قال: وسألته - يعني أبا علي - فقلت: أقرأت أنت على أبي بكر؟ فقال: نعم قرأته عليه، وقرأه أبو بكر على أبي سعيد يعني السكري. قال: وكان أبو بكر قد كتب من كتب أبي سعيد كثيراً، وكتب أبي زيد. قال: وذاكرته بكتب أبي بكر وقلت: لو عاش لظهر من جهته علم كثير، وكلاماً هذا نحوه فقال: نعم، إلا أنه كان يطول كتبه. وضرب لذلك مثلاً قد ذهب عني، أظنه - بارك الله لأبي يحيى في كتبه - أو شيئاً نحو ذلك.

قال: وفارقت أبا بكر قبل وفاته وهو يشغل بالعلة التي توفي فيها، ورجعت إلى بلاد فارس، ثم عدت وقد توفي. ورأيت في آخر كتابه في معاني الشعر خطي الذي كان يمله علي لأكتبه فيه، فعلمت أنه لم يزد فيه شيئاً. قال: وكان الأصمعي يتهم في تلك الأخبار التي يرويها. فقلت له: كيف هذا؟ وفيه من التورع ما دعاه إلى ترك تفسير القرآن ونحو ذلك. فقال: كان يفعل ذلك رياء وعناداً لأبي عبيدة، لأنه سبقه إلى عمل كتاب في القرآن، فجنح الأصمعي إلى ذلك.

الحسن بن أحمد، أبو محمد الأعرابي

المعروف بالأسود الغندجاني اللغوي النسابة. وغندجان: بلد قليل الماء، لا يخرج منه إلا أديب أو حامل سلاح. وكان الأسود صاحب دنيا وثروة، وكان علامة نسابة عارفاً بأيام العرب وأشعارها، قيماً بمعرفة أحوالها، وكان مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبا الندى، وهذا رجل مجهول لا معرفة لنا به.

وكان أبو يعلى بن الهبارية الشاعر يعيره بذلك ويقول: ليست شعري، من هذا الأسود الذي قد نصب نفسه للرد على العلماء؟ وتصدى للأخذ على الأئمة القدماء، بماذا نصحح قوله؟ ونبطل قول الأوائل ولا تعويل له فيما يرويه إلا على أبي الندى، ومن أبو الندى في العالم؟ لا شيخ مشهور، ولا ذو علم مذكور.

قال المؤلف: ولعمري إن الأمر لكما قال أبو يعلى: هذا رجل يقول: أخطأ ابن الأعرابي في أن هذا الشعر لفلان، إنما هو لفلان بغير حجة واضحة، ولا أدلة لائحة، أكثر من أن يكون ابن الأعرابي قد ذكر من القصيدة أبياتاً يسيرة فينشد هو تمامها، وهذا ما لا يقوم به حجة على أن يكون أعلم من ابن الأعرابي الذي كان يقاوم الأصمعي، وقد أدرك صدراً من العرب الذين عنهم أخذ هذا العلم، ومنهم استمد أولو الفهم. وكان الأسود لا يقنعه أن يرد على أئمة العلم رداً جميلاً، حتى يجعله من باب السخرية والتهكم، وضرب الأمثال والطير. والحكاية عنه مستفاضة في أنه كان يتعاطى تسويد لونه، وأنه كان يدهن بالقطرا، ويقعد في الشمس ليحقق لنفسه التلقيب بالأعرابي، وكان قد رزق في أيامه سعادة، وذاك أنه كان في كنف الوزير العادل أبي منصور بهرام ابن مافنة، وزير الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة، بن بهاء الدولة

بن عضد الدولة بن بويه صاحب شيراز، وقد خطب له ببغداد بالسلطنة. فكان الأسود إذا صنف كتاباً جعله باسمه، فكان يفضل عليه إفضالاً جماً، فأثرى من جهته. ومات أبو منصور الوزير في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

وقرأت في بعض تصانيفه: أنه صنف في شهور سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. وقرئ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. وللأسود من التصانيف: كتاب السل والسرقة، كتاب فرجة الأديب في الرد على يوسف ب أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات سيبويه، كتاب ضالة الأديب في الرد على ابن الأعرابي في النوادر التي رواها ثعلب، كتاب قيد الأوابد في الرد على ابن السيرافي أيضاً في شرح أبيات إصلاح المنطق، كتاب الرد على النمري في شرح مشكل أبيات الحماسة، كتاب نزهة الأديب في الرد على أبي علي في التذكرة، كتاب الخليل مرتب على حروف المعجم، كتاب في أسماء الأماكن:

الحسن بن أحمد، بن عبد الله، بن البناء

أبو علي المقرئ، المحدث الحنبلي. ولد سنة ستوتسعين وثلاثمائة. وقرأ القرآن على أبي الحسن الحمامي وغيره. وسمع الحديث من ابن بشران وغيرهما، وتفقه على القاضي أبي يعلى ب الفراء. ومات في خامس رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. وصنف في كل فن حتى بلغت تصانيفه مائة وخمسين مصنفاً. منها: كتاب شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في النحو، رأيته وكان له حلقة بجامع القصر، يفتي فيها ويقرأ الحديث وحلقة بجامع المنصور.

وحدث السمعاني قال: سمعت أبا القاسم بن السمرقندي يقول: كان واحد من أصحاب الحديث اسمه الحسن بن أحمد بن عبد الله النيسابوري، وكان سمع الكثير، وكان ابن البناء يكشط من التسميع بوري ويمد السين، وقد صار الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا قال: كذا قيل إنه كان يفعل. قال أبو الفرج: وهذا القول بعيد من الصحة، فإنه قال: كذا قيل و لم يحك عن علمه بذلك، فلا يثبت هذا. والثاني أن الرجل مكثر لا يحتاج إلى الاستزادة لما يسمع، ومتدين ولا يحسن أن يظن بالمتدين الكذب. والثالث أنه قد اشتهرت كثرة رواية أبي علي بن البنا، فأين هذا الرجل الذي يقال له: الحسن بن أحمد بن عبد الله النيسابوري؟ ومن ذكره ومن يعرفه؟ ومعلوم أن من اشتهر سماعه لا يخفى. وقال السمعاني ونقلته من خطه: الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا المقرئ الحافظ أبو علي، أحد الأعيان، والمشار إليهم في الزما، له في علوم القرآ والحديث والفقه والأصول والفروع عدة مصنفات. حكى بعض أصحاب الحديث عنه أنه قال: صنفت خمسمائة مصنف، وكان حلو العبارة.

قال السمعاني: وقرأت بخط الإمام والدي: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي علي الهمذاني بها يقول: سمعت أبا علي ابن البنا ببغداد. وقال: ذكرني أبو بكر الخطيب في التاريخ بالصدق أو بالكذب؟ فقالوا: ما ذكرك في التاريخ أصلاً فقال: ليته ذكرني ولو في الكذابين.

قال السمعاني: أنبأنا أبو عثمان العصائدي، أنبأنا أبو علي بن البنا قال: كتب إلي بعض إخواني من أهل الأدب كتاباً وضمنه قول الخليل بن أ؛مد:

إن كنت لست معي فالقلب منك معي ... يراك قلبي وإن غيبت عن بصري
العين تبصر ما تهوى وتفقده ... وباطن القلب لا يخلو من النظر

فكتب إليه أبو علي لنفسه:

إذا غيبت أشباحنا كان بيننا ... رسائل صدق في الضمير تراسل
وأرواحنا في كل شرق ومغرب ... تلاقي بإخلاص الوداد تواصل
وثم أمور لو تحققت بعضها ... لكنت لنا بالعذر فيها تقابل
وكم غائب والصدر منه مسلم ... وكم زائر في القلب منه بلابل
فلا تجزعن يوماً إذا غاب صاحب ... أمين فما غاب الصديق المجامل

^

الجزء الثامن

الحسن بن أحمد الأستراباذي

أبو علي النحوي اللغوي، الأديب الفاضل، حسنة طبرستان، وأوحد ذلك الزمان، وله من التصانيف: كتاب شرح الفصيح. كتاب شرح الحماسة.

الحسن بن أحمد، بن الحسن، بن أحمد

ابن محمد، بن سهل، بن سلمة، بن عثكل، بن حنبل، بن إسحاق العطار الحافظ أبو العلاء الهمذاني، المقرئ من أهل همذان. مات في تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة. وذكره بعض الثقات من أهل العلم، فذكر له مناقب كثيرة، وذكر نسبه وولادته فقال: هو أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن، بن أحمد، ابن محمد، بن سهل، بن سلمة، بن عثكل، بن إسحاق العطار الهمذاني. وكان عثكل من العرب. وأما ولادته: فإنها كانت يوم السبت قبل طلوع الشمس الرابع عشر من ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. بهمذان وذكر من مناقبه قال: سمعته – رحمه الله – يقول: سلمت في صغري إلى رجل معلم. قال: سماه ونسيت اسمه قال: وكنت أحفظ عليه القرآن، فحفظت عليه إلى سورة

يوسف، ثم أجرى الله لساني بحفظ الباقي من القرآن دفعة واحدة، من غير تحفظ وتكرار، فضلاً منه جل جلاله. قال: وسار في ليلة واحدة في طلب الحديث من جرباذقان إلى أصفها.
وسمعته يقول: لما حججت كنت أمشي في البادية راجلاً قدام القافلة، أحياناً مع الدليل، وأحياناً أخلف الدليل، حتى عرفني الدليل واستأنس بي ومال إلي، وهو يسير على ناقة له تكاد ترد الريح، وكنت أرى الدليل يتعجب من قوتي على السير، وكان أحياناً يضرب ناقته ويمعن في السير، وكت لا أخلي الناقة تسبقي. فقال لي الدليل يوماً: تقدر أن تسابق ناقتي هذه؟ فقلت: نعم. فضربها وعدوت معها فسبقتها.
قال: وكان كثير الحفظ للعلوم، كثير المجاهدة في تحصيلها، فسمعته يقول - رحمه الله -: حفظت كتاب الجمل في النحو لعبد القاهر الجرجاني، في يوم واحد من الغداة إلى وقت العصر.

قال: وسمعت الشيخ أبا حفص عمر بن الحسين الوشاء المقرئ يقول: سمعت الإمام الحافظ - رحمه الله - يقول: حفظت يوماً ثلاثين ورقة من القراءة. قال: وسمعت الإمام الحافظ أبا بكر محمد بن شيخ الإسلام الحافظ أبي العلاء قال: سمعت الشيخ الصالح إبراهيم المرجي قال: سمعت الشيخ - رحمه الله - يقول: ولو أن أحداً أتاني بحديث واحد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغني لملأت فاه ذهباً. قال: وكان الشيخ - رحمه الله - حفظ الجمهرة لأبي بكر بن دريد، وكتاب المجمل لابن فارس، وكتاب النسب للزبير بن بكار.
قال: وبلغي عن الثقة أن الحافظ أبا جعفر - رحمه الله - كان يقول: لو أن الله تعالى يقول لي يوم القيامة: ماذا أتيتني به؟ أقول ربي وسيدي، أتيتك بأبي العلاء العطار. قال: وكان الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد ابن الفضل الجوزي - رحمه الله -، يملي يوماً في الجامع بأصفهان وعنده جماعة من المحدثين، إذ دخل الشيخ الحافظ أبو العلاء - رحمه الله - من باب الجامع، فلما نظر الحافظ أبو القاسم إليه أمسك عن الإملاء، ونظر إلى أصحابه وقال: أيها القوم: إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، وهذا الرجل المقبل من جملتهم، قوموا نسلم عليه، فقاموا واستقبلوه، وسلموا عليه واعتنقوه. قال: وكان يقرأ على الشيخ أبي العز المقرئ القلانسي الواسطي - رحمه الله -، وكان يفضله على أصحابه، فشق ذلك عليهم، فاجتمع بعضهم يوماً وفيهم الشيخ أبو العلاء - رحمه الله -، فسألهم الشيخ أبو العز عن اختلاف القراء. في قوله تعالى: "كوكب دري يوقد" وأقاويل الأئمة فيها، فسقط في أيديهم، وتاهوا في شرحها، وما أجابوا بطائل. ثم أقبل الشيخ أبو العز على الشيخ - رحمه الله - وقال: تكلم أنت فيها يا أبا العلاء، فشرع فيها الشيخ وعد فيها بضعة عشر قولاً، وأدى فيها حقاً بأحسن إشارة، وأبلغ عبارة. فلما فرغ، نظر الشيخ أبو العز إلى أصحابه الحاضرين وقال: بهذا أفضله عليكم، لو

أمهلتكم مدة لما قدرتم على الذي ذكر هو بديهة من غير عزيمة سابقة، وروية سالفة.

قال: وكان محترماً عند الخلفاء والسلاطين. كتب إليه المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين كتاباً من جملته: وبعد، فإن الأب القديس النفيس، خامس أولي العزم، وسابع السبعة على الحزم، وارث علم الأنبياء، حافظ شرع المصطفى أبا العلاء، ثم ذكر كلاماً واستدعى منه الدعاء. قال: وسمعت ولده أبا محمد عبد الغني ابن الشيخ الحافظ أبي العلاء – رحمه الله – يقول: لما دخل أبي على أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله – رضي الله عنه – بعد استدعاء أمير المؤمنين إياه، كان يأمره خواص الخليفة بتقبيل الأرض في المواضع، وكان يأبى ذلك، فلما أكثروا عليه قال: دعوني، إنما السجود لله تعالى، فكفوا عنه حتى وصل إليه، وسلم بالخلافة عليه، فقام له أمير المؤمنين وأجلسه، ثم كلمه ساعة وسأل نمه الدعاء، فدعا وأذ له في الرجوع فرجع، وكانوا قد أحضروا الخلعة والصلة فاستعفى من ذلك فأعفي، وخرج من بغداد حذراً من فتنة الدنيا وآفاقها.

وحدثني غير واحد، أن السلطان محمداً لما دخل عليه داره، نصحه كثيراً ووعظه، وكان السلطان جالساً بين يديه، مقبلاً عليه بوجهه، مصغياً إلى كلامه فلما قام ليخرج، أمره بتقدمة رجله اليمنى، وأخذه الطريق من الجانب الأيمن.

وسمعت الإمام أبا بشر – رحمه الله – يقول: سمعت عبد الغني بن سرور المقدسي يقول: كنت يوماً في خدمة الحافظ أبي طاهر السلفي بثغر الإسكندرية، تقرأ الحديث، فجرى ذكر الحفاظ إلى أن انتهى الكلام إلى ذكر الحافظ أبي العلاء – رحمه الله –، فأطرق الحافظ أبو طاهر عند ذكره ساعة، ثم رفع رأسه وقال: قدمه دينه، قدمه دينه.

قال: وسمعت أبا بشر محمد بن محمد، بن محمد ابن منصور المقرئ الخطيب بشيراز، يذكر الحافظ أبا العلاء – رضي الله عنه – ويثني عليه، ثم أنشد يقول:

فسار مسير الشمس في كل موطن وهب هبوب الريح في الشرق والغرب

قال: وسمعت الإمام أبا نصر أحمد بن الإمام الحافظ أبي الفرج بن عبد الملك بن الشعار يقول: سمعت الإمام أبا الحسن الحراني يقول: كنت أطوف بالكعبة، فرأيت شيخاً في الطواف، فلما نظرت إليه تفرست فيه الخير والصلاح، فانتظرته حتى قضى طوافه، فدنوت منه، وسلمت عليه فرد علي السلام، فسألته عن الوطن، فسمى لي موطناً بعيداً، ذكره أبو الحسن، ونسيه أبو نصر. قال أبو الحسن: فقلت: أي شيء المقصد بعد بلوغك بيت ربك؟ فقال: مقصدى الحافظ أبو العلاء، فتعجبت في نفسي وقلت: ستظفر إن شاء الله بمقصودك، وتنال مطلوبك، وبكيت حتى غلبي البكاء. فقال لي: ومم بكاؤك؟ فقلت: إن الحافظ

أبا العلاء الذي تقصده وتأمل بلوغه، قد كنت مستفيداً منه كذا وكذا سنة، قرأت عليه القرآن ختماً، وسمعت منه الحديث الكثير، فتعجب من قولي وقام إلي، وقبل بين عيني، وهو يفديني بأبيه وأمه، وغاب عني.

قال: وسمعت أبا بشر يقول: لما دخلت على الإمام أبي المبارك المقرئ بشيراز، جعل يذكر شيخ الإسلام الحافظ أبا العلاء الهمذاني - رحمه الله - ويثني عليه. ثم أنشد متمثلاً:

فسار مسير الشمس في كل موطن وهب هبوب الريح في الشرق والغرب

قال: رحل إليه رجل من أقصى المغرب، وكان له حظ في كل علم، ومدحه بقصيدة هي من غرر القصائد، وذكر أحواله في سفرته، وما أصابه من التعرب والمشاق. ومن شعره فيه أيضاً:

سعى إليك على قرب ومن بعد من كان ذا رغبة في العلم والسند
حتى أناخ بمغناك الكريم وقد كلت ركائبه في العنف والسند
لذاك أثرى وما أوعت أنامله لكن وعى قلبه ما شاء من مدد
وما أناخ بمغنى غيركم أحد إلا ونودي، ما بالربع من أحد
وقد قصدتك من أقصى المغارب لا أبغي سواك لوحى الواحد الصمد
وما امتطيت سوى رجلي راحلة وقد غنيت عن العيرانة الأجد
وهذه رحلة بكر كشفت لها عن ساق ذي عزمات غير متئد
عناية لم تكن قبلي لذي طلب وحظوة لم تكن في غابر الأبد
هل كان قبلك حبر أمه رجل؟ وسار مدة حول سير مجتهد
أبا العلاء الكل إنك في أقصى العراق مقيم منه في بلد
وقد فشا لك ذكر في البلاد كما فاحت أزاهر روض للغمام ندى

قال: وسمعت الشيخ - رحمه الله - يقول يوماً لمن حضره: إن خلف أبو العلاء ديناراً أو درهماً بعد موته، فلا تصلوا عليه. وقد كان - رحمه الله - لا يبقى على الذهب والفضة، وكل ما آتاه الله منها يصرفه في اليوم، وينفقه في قضاء الديون ومراعاة الناس، فمات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، حتى بيعت داره وقضى منه دينه. قال: وكان - رحمه الله - شديد التمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان لا يسمع باطلاً أو يرى منكراً إلا غضب لله، ولم يصبر على ذلك ولم يداهن فيه. قال: سمعت أبا رشيد راشد بن إسماعيل المعدل يقول: كنت عند الشيخ يوماً فدخل عليه أبو الحسين العبادي الواعظ زائراً، وجلس عنده

زماناً وجعل يكلم الشيخ إلى أن جرى في كلامه، وقد عزمت غير مرة على الإتيان إلى الخدمة، لكن منعني كون الكوكب الفلاني في البرج الفلاني، فزجره الشيخ وقال: السنة أولى أن تتبع، فقام العبادي خجلاً وخرج.

وكان من ورعه في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه ما كان يترجم الحديث للعامة رعاية منه للصدق، واستدعى منه بهمذان أن يفسر للناس حديثاً واحداً فأجاب، وقعد لذلك، فلما شرع في الكلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في الدولة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغفر ثم رجع وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستدعى منه ثانياً بالكرخ كذلك، فروى حديثاً في فضائل الأعمال وفي بعض ألفاظه "حتى يدخل الجنة"، ففسر لفظة الجنة قبل أن يفسر لفظة "حتى يدخل" كأنه قدم لفظة "الجنة" على لفظة "حتى يدخل" في ترجمته، فاستغفر ورجع، وأتى بها على الوجه المنطوق به في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان – رحمه الله – يتحرج عن القصص والكلام فيه والتنمق والتكلف حذراً من الزيادة والنقصان. ولما قصد السلطان محمد بغداد، وحاصرها وخالف الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه. كان الشيخ – رحمه الله – يقرأ صحيح البخاري بهمذان على الشيخ عبد الأول – رحمه الله – على أسلوب. يحضره لسماع الكتاب عامة أهل البلد، من الأمراء والفقهاء والعلماء، والصوفية والعوام، فصرح بالقول قائماً على المنبر، بأن السلطان ومن معه من جنوده خارجة مارقة. ثم قال: لو أن رجلاً من عسكر أمير المؤمنين رمى رجلاً من أصحاب السلطان بسهم، وجاءه آخر من غير الفريقي، فنزع السهم من جراحه، يكون هو أيضاً خارجياً باغياً، وكرر القول في ذلك مراراً. قال: وسئل الشيخ – رحمه الله – عن سبب أكثر اشتغاله بعلم الكتاب والسنة فقال: إني نظرت في ابتداء أمري فرأيت أكثر الناس عن تحصيل هذين العلمين معرضين، وعن دراستهما لاهين، فاشتغلت بهما، وأنفقت عمري في تحصيلها حسبة قال: ورأى – رحمه الله – قلة رغبة الخلق في تحصيل العلم، والرحلة ولقاء الشيوخ، فاتخذ مهداً وعزم على المضي إلى بغداد وأصفهان للرواية، ورفع مناور العلم وإحياء السنة حسبة، فمنعه الضعف والكبر، وأدركته المنية وهو على هذه النية. قال: سمعت الثقة يقول: سمعت الشيخ – رحمه الله – يقول: كنت واقفاً يوماً على باب دار الشيخ أبي العز القلانسي – رحمه الله – في حر شديد أنتظر الإذن، فمر بي إنسان فرآني على تلك الحال واقفاً فقال لي: أيها الرجل، لو أنك تصير إماماً يقرأ عليك، ويقتدى بك، أهكذا كنت تفعل أنت بطلبة العلم ومن يأتيك من الغرباء؟ فذرفت عيناي فقلت: لا إن شاء الله، وأشهدت الله تعالى في نفسي في تلك الحال، على أني لا آخذ على التعليم والإقراء والتحديث أجراً، ولا أبخل بعلمي على أحد، وأبذله حسبة، فكان كما قال،

ويقعد لطلبة العلم من أول النهار إلى آخره.

قال: وكان الشيخ – رحمه الله – لا يرى طول هاره إلا كاتباً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو مطالعاً له، أو مشتغلاً به، أو مصغياً إلى قراءة القرآن وطلبة العلم. هكذا كان دأبه بالنهار، ويجعل ليلته ثلاثة أثلاث، يكتب في ثلث، ويتفكر في ثلث، وينام في ثلث، وكان كثيراً ما يقول عند انتباهه من النوم: يا كريم يا كريم أكرمنا وكان من كرامته على الاس وإقبال الخلق عليه، وتبركهم به، أنه كان يصعب عليه المرور يوم الجمعة في مضيه ورجوعه، لازدحام الخلق عليه. وكان جماعة من الشبا يتحلقون حواليه، يدفعو عنه زحمة الناس وهو يمر في وسطهم مطرقاً، لا يشتغل بأحد وهو يقول: يا من أظهر الجيمل وستر على القبيح.

قال: سمعت العدل عمر بن محمد يقول: دخلنا على الإمام الحافظ أبي العلاء – رضي الله عنه – وهو يكتب، فقعدنا عنده ساعة، فوضع ما في يده، وقام ليتوضأ فنظرا فيما كتب، فإذا هو قد بيض كل موضع فيه اسم من أسماء الله تعالى، أو ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتعجبنا من ذلك، فلما رجع سألناه عن ذلك فقال: إني لما كنت أكتب ذلك شككت في الوضوء، فما جوزت أن أكتب بيدي أسماء الله تعالى، أو ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا شاك في الوضوء.

وكان الشيخ – رحمه الله – إذا نزل بالناس شدة أو بلاء، يجيء إليه الناس ويسألونه الدعاء فيقول: اللهم إني أخاف على نفسي أكثر مما يخافون على أنفسهم. وكان كثيراً ما يقول: ليتني كنت بقالاً أو حلاجاً، ليتني نجوت من هذا الأمر رأساً برأس، لا علي ولا ليا. قال: وسمعت والدي يحكي عن الإمام عبد الهادي بن علي – رحمة الله عليه – أنه قال: كنت أمشي يوماً مع الشيخ الإمام الحافظ – رحمه الله – في الشتاء في وحل شديد في رجليه مداس خفيف، يكاد يدخل فيها الطي، فقلت له يا أخي: لو لبست مداساً غير هذا يصلح للشتاء فقال: إذا لبست غيرها لهت عيني عن النظر إليها، فربما نظرت إلى منكر أو فاحشة، وفي دوام نظري إليها وحفظي لها عن الوحل، شغل عن ذلك وحفظ للبصر. قال: وكراماته مشهورة بين الناس، منها ما كتب به إلى الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقرئ قال: سمعت الأستاذ بهلة الطحا يقول: حملت أحمال الحنطة من دار الشيخ – رضي الله عنه – لأطحنها لأهله، فلما طحنتها ووضعت بعضها على بعض، قصد بعض من في الطاحونة من المستحقين أن يأخذ شيئاً من ذلك الدقيق، ليخبز منه رغيفاً، فصحت عليه ومنعته من الأخذ، فلما رددت الأحمال إلى دار الشيخ من الغد، تبسم الشيخ في وجهي وقال: ويلك يا بهلة، لم منعت الرجل أن يأخذ قبضات من الدقيق؟ فتحيرت من قوله: وقبلت في الحال رجليه، وتبت على يديه، واستغفرت الله عز وجل عما سلف مني من الذنوب، وصرت معتقداً في

كرامات أولياء الله تعالى.

قال: سمعت أبا محمد عبد الله بن عمر يقول: كنت يوماً في خدمة الشيخ – رضي الله عنه – نأكل الغداء، فدق الباب داق، فقمت وفتحت له الباب. فإذا بالشيخ الصالح مسعود النعال، فاستأذنت له، فدخل وقعد عند الشيخ إلى الطعام. فلما كان بعد ساعة نظر إلى مسعود وقال يا مسعود: لو أن النطفة التي قدر الله عز وجل في سابق علمه، أن يخلق منها خلقاً صبت على الأرض، لظهر من ذلك الخلق. فلما سمع مسعود النعال هذا الكلام انزعج وبكى وصاح. فتعجبنا من تلك الحالة فلما سكن، سألته عن سبب انزعاجه وتواجده من كلام الشيخ. فقال لي: اعلم أني تزوجت امرأة منذ سنين كثيرة، وما رزقت منها ولداً، وأني جئت اليوم لأسأل منه الدعاء، حتى يرزقني الله عز وجل ولداً صالحاً. فقبل سؤالي إياه حدثني بما في قلبي، وأظهر لي سري، وأسمعني ما سمعتم، قال: ثم دعاه الشيخ – رضي الله عنه – ودعا له، وسأل الله عز وجل له الولد، وناوله شيئاً من بقية طعامه وقال: أطعمها أهلك. قال: ثم رأيته بعد ذلك بمدة، فقال لي: قد رزقني الله عز وجل، والحمد لله ابناً وبنتاً ببركة دعاء الشيخ وهمته.

قال: وسمعت الشيخ أبا بكر عبد الغفار. بن محمد بن عبد الغفار، وكان خال ولد الشيخ – رضي الله عنه – يقول لي: هل علمت سبب وفاة أختي، يعني التي كانت حليلة الشيخ – رحمة الله عليهما – قلت: لا.

قال: قالت أختي: كان للشيخ في الدار بيت مختص به لا يدخله غيره، وكا يأذن لي في بعض الليالي بدخولي فيه، وفي أكثر الأوقات وأغلب الليالي، يغلق الباب على نفسه ويخلو فيه بنفسه، وأبيت أنا في الدار وحدي، فاشتد ذلك علي، حتى أفلق نهاري، وأسهر ليلي. فبينا أنا متفكرة في بعض تلك الليالي، إذ قلت في نفسي: لم لا أقوم فأرتقي الرواق، وأنظر إليه من كوة البيت لأقف على حاله؟ فقمت وارتقيت الرواق، فقبل بلوغي الكوة رأيت نوراص عظيماً، وضياء ساطعاً من البيت أضاء منه كل شيء، فتقدمت ونظرت في البيت، فرأيت الشيخ جالساً في مكانه، وحوله جماعة يقرءون عليه، وكنت أرى سوادهم، وأسمع حسهم، غير أني لا أرى صورهم. فهالني ذلك، ووقعت مغشياً علي لا أشعر شيئاً، إلا أني رأيت الشيخ واقفاً على رأسي، فأقامني وتلطف بي، وقال لي: ماذا دهاك؟ فقصصت عليه قصتي. فقال لي: كفي عن هذا، ولا تخبري بما رأيت أحداً من الناس، إن كنت تريدين رضاي. فقبلت منه ذلك، وكتمت سره حتى أمرضني، وحملت مريضة إلى دار أبي.

قال الإمام أبو عبد الله: وقال لي الشيخ أبو بكر، واشتد عندا مرضها، وكنا نسألها عن سبب مرضها، وكانت تعلل بأشياء إلى أ وقعت في هول الموت، وسياق النزع فنظرت إلينا وبكت، ثم قالت: أوصيكم بزوجي أبي العلاء واسترضائه، والآن بدا لي أن أخبركم بسبب موتي، ثم قصت علينا هذه القصة، وفارقت الدنيا – رحمها الله –.

قال: وسمعت الشيخ أبا العلاء أحمد بن الحسن الحداد العارف يقول: سمعت الشيخ عمر بن سعد بن عبد الله بن حذيفة، من نسل حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – يقول: كنت مع الحافظ جزءاً من مسموعه وقرأه عليه، ثم سلمنا عليه وارتحلنا من عنده، فوصلنا إلى نهر عظيم، فلما عبرنا النهر، وقع ذلك الجزء منا وضاع، وضاق قلب الحافظ لذلك ضيقاً شديداً. فلما كان بعد ذلك بأيام، استقبلنا رجل حسن الوجه، حسن الشارة، وسلم علينا، ثم أقبل على الحافظ وقال: ما الذي أصابك؟ وما سبب حزنك؟ فقص عليه الحافظ قصة الجزء وكيفية ضياعه، فقال: خذ القلم واكتب عني جميع ما ضاع عنك في ذلك الجزء، وأخذ الحفظ القلم متعجباً ينظر إليه، وهو يملي والحافظ يكتب إلى أن فرغ، فلما فرغ الحافظ أخذ ببعض ثيابه فقال: أنشدك الله من أنت؟ فقال: أنا أخوك الخضر، وبعثت إليك لهذا الأمر. ثم غاب عنا فلم نره.

سمعت الشيخ الصالح سنقر بن عبد الله غلام شيخنا أبي طاهر محمد بن الحسن، بن أحمد العطار – رحمه الله – ابن الشيخ – رضي الله عنه – يقول: إني خدمت الشيخ – رضي الله عنه – سنين كثيرة، فرأيت العجائب الكثيرة في خلواته. منها. أنه قام ليلة ليتوضأ، فقال لي استق الماء من البئر فجئت وأرسلت الدلو فيها، فلما بلغ الدلو إلى رأس البئر نظرت فيها، فإذا الدلو مملوء ذهباً أحمر، أضاء الدار حمرته، فصحت صيحة عظيمة. فقال لي أيها الشيخ: ماذا أصابك؟ فأريته الدلو، فاسترجع ثم استغفر، وقال لي: اقلب الدلو في البئر، فإا نطلب الماء لا الذهب. قال: فقلبتها ثم أخذ الدلو من يدي واستقى الماء وقال لي: يا سنقر، إياك إياك أن تخبر بما رأيت أحداً من الناس ما دمت حياً.

قال: رأيت بخط الثقة ذكر أنه نقل من خط الشيخ أبي الفتح محمد بن الحسين بن وهب: سمعت الشيخ أبا عبد الله الحسين بن إبراهيم، بن الحسين بن جعفر الجوزقاني يقول: كنت نائماً ذات ليلة، فرأيت فيما يرى النائم، كأن الناس يهرعون إلى رباط أبي الفرج، أحمد بن علي المقرئ – رحمة الله عليه – قال: فسألت ما لهؤلاء؟ فقالوا: إن أنس بن مالك – رضي الله عنه –، نزل في رباط المقرئ، ففرحت وأسرعت، وقصدت الإمام الحافظ أبا العلاء وأخبرته بذلك، فلما سمع مني فرح ونشط، وقام وأخذ جزءاً واحداً من أحاديث أس بن مالك – رضي الله عنه – وجاء معي حتى دخلنا الرباط، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في الرباط، ورأينا أنس بن مالك عن يساره، فقدمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمنا عليه، وجلسنا بين يديه، فاستأذنه أبو العلاء في قراءة ذلك الجزء عليه، فأذن له فابتدأ أبو العلاء بالقراءة، وقرأ ذلك الجزء قراءة حسنة مبينة صحيحة، ورأيته صلى الله عليه وسلم يتبسم من الفرح مرة إلى وجهه، ومرة إلى وجهي فلما قرأ الجزء انتبهت من النوم، فقمت وتوضأت وصليت الصلاة شكراً لله تعالى على ما رأيت في المنام.

قال: وسمعت الشيخ عمر بن أبي رشيد بن طاهر الزاهد يقول: رآني يوماً الشيخ علي الشاذاني صاحب الكرامات الظاهرة. فقال لي يا عمر: اذهب إلى الحافظ أبي العلاء وقبل جبنينه عني، فإني رأيت الليلة في المنام أن من قبل جبهته موقناً محتسباً – غفر الله له –.

قال: وسمعت الشيخ الزاهد وكان من الأبدال، إن شاء الله يقول: سمعت الشيخ سعيداً المتقي وكان من الصالحين يقول: رأيت جنات عدن مفتوحة أبوابها، وإذا الناس كلهم وقوف ينظرون دخول شخص، فلما قرب من الباب وكاد يدخل جنة عدن، سألت من هذا الشخص الذي يدخل جنة عدن قبل دخول الخلائق؟ فقالوا: الحافظ أبو العلاء ومن كان يحبه في الله عز وجل، فتضرعت وبكيت وقلت: وأنا أيضاً ممن يحبه في الله عز وجل، دعوني أدخل. فقال شخص: صدق: دعوه يدخل، فدخلت مع القوم وهم يقولون: "أدخلوها بسلام آمنين".

قال المصنف: وحكى لي الشيخ الإمام أبو عبد الله زبير بن محمد بن زبير المشكاني – رحمه الله – فقال: رأيت ليلة من الليالي في المنام كأن الإمام أبا العلاء – رضي الله عنه – يمشي إلى الحج، وهو جالس في المهد مربع، والمهد يمشي في الهواء بين السماء والأرض، فعدوت خلفه، فترل المهد من السماء إلى الأرض وشيء مثل الوتد، وخرج من ذلك المهد فتعلقت به، فقام المهد يمشي في الهواء وأنا متعلق به حتى وصلنا الفرات، فأخذني العطش فقلت للحافظ: إني عطشان أريد أن أشرب، فقال لي: تعال حتى تشرب من زمزم، فمشيا حتى وصلنا مكة فدخلت الحرم، وشربت من ماء زمزم، ورأيت في الحرم خلقاً كثيراً، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الحافظ أبي العلاء، جالساً على تل في الحرم أعلى من سطح الحرم، وما معهما أحد غيرهما، وهما يستقبلان الكعبة، وينظران إلى فوق، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم مع أحد نحو فوق الكعبة، وإذا أراد أن يتكلم قام إليه، ورأيت شيخنا الحافظ أبا العلاء شاخصاً ببصره إلى الذي يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فوق الكعبة، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً، فقلت في نفسي: أذهب فأبصر من الذي يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم معه؟ ويظر إليه الحافظ أبو العلاء، فتقدمت وظرت إلى فوق الكعبة، فرأيت عرش الرحمن – جل جلاله – واقفاً فوق الكعبة، ورأيت الرحمن – جل جلاله – عليه، فأشار إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن اسأل الله تبارك وتعالى، فسألت الله تعالى أربع حاجات، فسمعته يقول بالفارسية كردم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة ففعل، فنويت الرجوع، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية: شكرانه كو. فوقفت وقرأت "قل هو الله أحد" خمسمائة مرة. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن، فرجعت وتركت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً مع الحافظ أبي العلاء على ذلك التل، وينظران إلى الله عز وجل.

وقد مدحه أفاضل عصره بأشعار كثيرة، منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي، وقد خرج الشيخ فحجبت الشمس غيماً فقال في ذلك:

ظهرت فأخفت وجهها الشمس هيبة وشوقاً إلى مرآك أسبلت الدمعا
ولما رأت مسعاك كفت شؤونها لئلا ترى شيئاً يصدك عن مسعى
وقد كان ذاك القطر أيضاً دلالة على أن مولى الجمع قد رحم الجمعا
ولا شك أن الله يرحم أمة حللت بها قطعاً أقول بذا قطعا

وقد مدحه أبو عبد الله المغربي هذا بقصائد حسان، وقد أفردها الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمود، بن أبراهيم، بن الفرج، مؤلف هذه المناقب، - رحمه الله - والأصل يشتمل على ستة أجزاء بخطه كلها - رحمه الله - وقد ذكر فيه بعد ذكر القصائد التي ذكرها: سمعت أبا بشر محمد بن محمد، بن محمد بن هبة الله، بن عبد الله بان سهل - رحمه الله - يقول: كان أبو عبد الله المغربي بأصفهان في مدرسة النظام وهو يقرأ القرآن، فلما بلغ قوله - عز وجل - "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" قام وصرخ، وترك أمتعته وكتبه، وأقبل إلى الصحراء هائماً، وما ربي بعد ذلك، ولا سمع له خيرلا ولا أثر.

وأنشد موفق بن أحمد المكي الخطيب الحافظ في مدحه:

حفظ الإمام أبي العلاء الحافظ بالرجل ينكت هام حفظ الجاحظ
عمرو بن بحر بحره من جدول متشعب من بحر بحر الحافظ
ما إن رأينا قبل بحرك من له بحر طفوح كالأتي اللافظ
أحييت ما قد غاض من سنن العلا والعلم قبلك باليراع الغائظ
بهظ البرايا عبء أدنى علمه أعظم به من عبء علم باهظ
كم واعظ، لي أن أجاوز هجره لو كان ينجع في وعظ الواعظ
غاظ الأعادي جاهه لعلومه فرددت غيظهم بهذا القائظ

وأنشد أيضاً في مدحه:

وليس اعتراف الحاسدين بفضله لشيء سوى أن ليس يمكنهم جحد
بدا كعمود الفجر ما فيه شبهة فهل لهم من أن يقروا به، بد؟

وأنشد الإمام العلامة أفضل الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الملك، بن عبيد الله بن أحمد بن سعيد الدمانجير الكرخي، - رحمة الله عليه - في مدحه:

صبراً فأيام الهموم تزول والدهر يعطيك المنى وينيل
ويئوب من فلك السعادة ثاقباً قمر الآماي والحوس أفول
لا تيأسن إذا ألم ملمة إن الشدائد تعتري وتحول
والفضل لا يزرى به عدم الغنى أوليس يحسن في الرماح ذبول
ما إن يضر الغضب بعد مضائه يوم القراع إذا عرته فلول
لا تشتغل بالعسر واطو مشمراً بسط الفيافي والشباب مقيل
والبس سواد الليل مرتدياً به إن التجلد للرجال جميل
حتى تنيخ العيس في كنف العلا حيث التحرم بالنجي كفيل
كنف الإمام القرم قطب الدين من جوب الفلا إلا إليه فضول
صدر الزمان أبي العلاء سميدع غر المعالي في ذراه تقيل

وهي طويلة.

ولموفق الدين مكي خطيب خوارزم أشعار كثيرة في مدحه. منها:

بقيت بقاء الدهر في الناس خالداً أيا خير من في الأرض خالاً ووالدا
لتروي أحاديث النبي محمد وتحيي مسانيداً وتزوي معاندا
فهذا دعائي بالحجون وبالصفا وهذا مرامي حيثما كنت ساجدا

قال: وسمعت الثقة يقول: سمعت الشيخ - رضي الله عنه - يقول: لما مات فلان أحد أصدقائه ذكر اسمه ونسيه: شق علي موته، وأثر في وفاته، فكنت بعد ذلك أكتب كل سنة كتاب الوصية، وأنا سمعت منه حينئذ صغيراً وهو يقول: غداً من شهر رجب شهر الله الأصم، وأنا أريد أن أجدد مع ربي عهداً، وهذا كتاب وصيته: "بسم الله الرحمن الرحيم" أخبرنا عبد القادر اليوسفي، وهبة الله بن أحمد الشيباني قالا: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، حدثا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل - رضي الله عنهما -، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يوصي فيه، إلا ووصيته مكتوبة عنده". وأخبرنا الشيخ أبو القاسم، زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو عثمان سعد بن محمد النجيرمي، أخبرنا أبو الخير الحنبلي، وأبو بكر محمد ابن أحمد بن عقيل قالا: أخبرنا أبو بكر محمد بن حفص بن جعفر، حدثنا إسحاق بن إبراهيم العصبي، حدثنا

خالد بن يزيد الأنصاري، حدثني محمد بن أبي ذئب، عن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما -، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من لا يحسن الوصية عند الموت، كان نقصاً في مروءته وعقله". قيل: وكيف يوصي؟ قال: يقول: "اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، إني أعهد إليك في دار الدنيا، إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبدك ورسولك، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، والحساب والقدر حق، والميزان حق، وأن الدين كما وصفت، وأن الإسلام كما شرعت، وأن القول كما حدثت، وأن القرآن كما أنزلت، جزى الله محمداً صلى الله عليه وسلم عنا خير الجزاء، وحيا محمداً منا بالسلام. اللهم يا عدتي عند كربتي، ويا صاحبي عند شدتي، ويا ولي نعمي إلهي وإله آبائي، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فإنك إن تكلني إلى نفسي أقرب من الشر، وأتباعد من الخير، فآنسني في قبري من وحشتي، واجعل لي عهداً يوم ألقاك".

ثم يوصي بحاجته. وتصديق هذه الوصية في القرآن: "لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً". فهذا عهد الميت. وهذه وصيته سنة إحدى وعشري وخمسمائة. وقلتها من خطه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسن بن أحمد بن الحسن، بن أحمد بن محمد العطار، طوعاً في صحة عقله وبدنه، وجواز أمره، أوصى وهو يشهد "أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين". ويشهد أن محمداً عبده ورسوله "أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون". صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، ويشهد أن الجنة حق، والنار حق، والبعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وأنه جل وعز جامع الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، ويشهد أن صلاته ونسكه، ومحياه ومماته لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمر وهو من المسلمين، وأنه رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وبالقرآن إماماً، وبالمؤمنين إخواناً، وأنه يدين لله عز وجل بمذهب أصحاب الحديث، ويتضرع إلى الله عز وجل، ويتوسل إليه بجميع كتبه المنزلة، وأسمائه الحسنى، وكلماته التامات، وجميع ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين أن يحييه على ذلك حيا، ويميته على ذلك إذا توفاه، وأن يبعثه عليه يوم الدي، وأوصى نفسه وخاصته وقرابته، ومن سمع وصيته بتقوى الله، وأن يعبدوه في العابدين، ويحمدوه في الحامدين، ويذكروه في الذاكرين، ولا يموتن إلا وهم مسلمون، وأوصى إلى الشيخ أبي مسعود إسماعيل بن أبي القاسم الخاز في جميع تركته، وما يخلفه بعده، وفي قضاء

ديونه، واقتضاء ديونه وإنفاذ وصاياه، وذكره في ذلك بتقوى الله وإيثار طاعته، وحذره أن يبدل شيئاً من ذلك أو يغيره، وقد قال الله تعالى: "فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلوه، إن الله سميع عليم".

وكتب هذه الوصية موصيها الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن العطار، في يوم الثلاثاء السابع من ذي الحجة، سنة إحدى وعشري وخمسمائة.

قال: وحدثني من شهد قبض روح الشيخ - رضي الله عنه - قال: كنا قعوداً في ذلك الوقت، وكنا نحب أن نلقنه كلمة الشهادة رعاية للسنة، ومع هذا كنا نخشى من هيبته، ونحذر سوء الأدب، فبقينا متحيرين حتى قلنا للرجل من أصحاب الشيخ: اقرأ أنت سورة يس. فرفع الرجل صوته يقرأ السورة، وكنا ننظر إليه ونراقب حاله، فدهش القارئ وأخطأ في القراءة، ففتح الشيخ عينه ورد عليه، فسررنا لذلك وحمدا الله عز وجل، ثم جئ إليه بقدح فيه شيء من الدواء، ووضع القدح على شفته، فولى وجهه ورد القدح بفيه، وفتح عينه وقال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، رافعاً بها صوته وفاضت نفسه - رحمه الله، ورضي عنه وأرضاه، وجعل أعلى الجنان مأواه -. وكان ذلك قبيل العشاء الآخرة ليلة الخميس، التاسع عشر من جمادى الأولى، عام تسع وتسعين وخمسمائة، ودفن يوم الخميس في مسجده، وصلى عليه ابنه الإمام ركن الدين شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد، القائم مقامه، وخليفته على أولاده، وأصحابه وأتباعه. - رحمه الله -.

والكتاب الذي يشتمل على مناقبه، كتاب ضخم جليل. وإنما كتبت هذه النبذة ليستدل لها على فضله ومرتبته - رحمة الله عليه -، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين.

الحسن بن أبي عباد، اليمني النحوي

من وجوه اليمن، كان يصحب الفقيه يحي بن أبي الخير، وعمه إبراهيم بن أبي عباد نحوي أيضاً يذكر في موضعه. وصنف الحسن هذا مختصراً في النحو مشهوراً بالمن، يقرؤه المبتدئون وهو قريب العهد، تقارب وفاته سنة تسعين وخمسمائة. وهو القائل:

لعمرك ما اللحن من شيمتي ... ولا أنا من خطأ ألحن

ولكنني قد عرفت الأنا ... م فخاطبت كلاً بما يحسن

الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي

أبو نصر، شاعر رقيق الحواشي، مليح النظم، متمكن من القافية، كثير التجنيس، قلما يخلو له بيت من تصنيع وإحسان وبديع. كان في أيام نظام الملك والسلطان ملكشاه، وشمله منهما الجاه، فخلصه الكامل

الطبيب في أيام نظام الملك، بعد أن قبض عليه وأساء إليه، فإنه كان مستولياً على آمد وأعمالها، مستبداً باستيفاء أموالها. وكان نحوياً رأساً. وإماماً في اللغة يقتدى به. وصنف في الآداب تصانيف تقوم له مقام شاهدي عدل بفضله، وعظم قدره. منها: كتاب شرح اللمع كبير كتاب الإفصاح في شرح أبيات مشكلة.

حدثني الشيخ الإمام موفق الدين أبو لابقاء يعيش ابن لعي بن يعيش النحوي قال: حدثني قاضي عسكر نور الدين محمود بن زنكي قال: قدم على ابن مروان صاحب ديار بكر شاعر من العجم يعرف بالغساني. وكان من عادة ابن مروان إذا قدم عليه شاعر يكرمه ويترله، ولا يجتمع به إلى ثلاثة أيام ليستريح من سفره، ويصلح شعره، ثم يستدعيه. واتفق أن الغصاني لم يكن أعد شيئاً في سفره، ثقة بقريحته، فأقام ثلاثة أيام فلم يفتح عليه بعمل بيت واحد وعلم أنه يستدعى ولا يليق أن يلقى الأمير بغير مديح، فأخذ قصيدة من شعر ابن أسد لم يغير فيها إلا اسمه. وعلم ابن مروان بذلك، فغضب من ذلك وقال: يجيء هذا العجمي فيسخر منا؟ ثم أمر بمكاتبة ابن أسد، وأمر أن يكتب القصيدة بخطه ويرسلها إليه، فخرج بعض الحاضرين، فأنهى القضية إلى الغساني وكان هذا بآمد. وكان له غلام جلد فكتب من ساعته إلى ابن أسد كتاباً يقول فيه: إي قدمت على الأمير، فأرتج علي قول الشعر مع قدرتي عليه، فادعيت قصيدة من شعرك استحساناً لها وعجباً بها، ومدحت بها الأمير. ولا أبعد أن تسأل عن ذلك، فإن سئلت فرأيك الموفق في الجواب فوصل غلام الغساني قبل كتاب ابن مروان. فجحد ابن أسد أن يكون عرف هذه القصيدة، أو وقف على قائلها قبل هذا. فلما ورد الجواب على ابن مروان، عجب من ذلك واساء إلى الساعي وشتمه وقال: إنما قصدكم فضيحتي بين الملوك، وإنما يحملكم على هذا الفعل الحسد منكم لمن أحسن إليه؟ ثم زاد في الإحسان إلى الغساني، وانصرف إلى بلاده، فلم يمض على ذلك إلا مديدة حتى اجتمع أهل ميافارقين إلى ابن أسد، ردعوه إلى أن يؤمروه لعيهم، ويساعدوه على العصيان، وإقامة الخطبة للسلطان ملكشاه وحده، وإسقاط اسم ابن مروان من الخطبة، فأجابهم إلى ذلك، وبلغ ذلك ابن مروان، فحشد له وزل على ميافارقين محاصراً فأعجزه أمرها، فأفذ إلى نظام الملك والسلطان يستمدهما فأنفذا إليه جيشاً ومدداً مع الغساني الشاعر المذكور آنفاً، وكان قد تقدم عند نظام الملك والسلطان، وصار من أعيان الدولة، وصدقوا في الزحف على المدينة حتى أخذوها عنوة، وقبض على ابن أسد، وجيء به إلى ابن مروان فأمر بقتله فقام الغساني وشدد العناية في الشفاعة فيه، فامتنع ابن مروان امتناعاً شديداً من قبول شفاعته وقال: إن ذنبه وما اعتمده من شق العصا، يوجب أن يعاقب عقوبة من عصى، وليس عقوبة غير القتل. فقال: بيني وبين هذا الرجل ما يوجب قبول شفاعتي فيه، وأنا أتكفل به ألا يجري منه بعد شيء يكره. فاستحيى منه وأطلقه له، فاجتمع به الغساني وقال له: أتعرفني؟ قال: لا والله، ولكنني أعرف أنك ملك من السماء،

من الله بك علي لبقاء مهجتي. فقال له: أنا الذي ادعيت قصيدتك وسترت علي، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان. فقال ابن أسد: ما رأيت ولا سمعت بقصيدة جحدت فنفعت صاحبها أكثر من نفعها إذا ادعاها غير هذه. – فجزاك الله عن مروءتك خيراً –، وانصرف الغساني من حيث جاء.

وأقام اب أسد مدة ساءت حاله، وجفاه إخوانه، وعاداه أعوانه، و لم يقدم أحد على مقاربته ولا مرافدته، حتى أضر به العيش، فعمل قصيدة مدح بها ابن مروان، وتوصل حتى وصلت إليه. فلما وقف ابن مروان عليها غضب وقال: ما يكفيه أن يخلص منا رأساً برأس، حتى يريد منا الرفد والمعيشة، لقد أذكرني بنفسه، فاذهبوا به فاصلبوه، فذهبوا به فصلبوه، – رحمه الله –.

ومن شعر الحسن بن أسد الفارقي – رحمه الله –:

بنتم فما كحل الكرى	لي بعد وشك البين عينا
ولقد غدا كلفي بكم	أذناً علي لكم وعينا
فأسلت بعد فراقكم	من ناظري بالدمع عينا
فحكت مدامعها الغزا	ر من الغيوم الغر عينا
جادت على أثر شفى	عيناً لهم لم تلق عينا
من كل واضحة الترا	ئب سهلة الخدين عينا
غراء تحسب وجهها	للشمس حين تراه عينا
أمسيت في حبي لها	عبداً أضام وكنت عيا
لا قر ركب بالركا	ئب إذ يهن سرين عينا
غاظ الحسود لنا الوصا	ل فلا رعاه الله عينا
فذممت حرفاً عاينت	عيناي في أولاه عينا
كانت تناصفنا بصا	في الود لا ورقاً وعينا
لهفي وقد أبصرت في	ميزان ذاك الوصل عينا
كم من أخ فينا وعى	ما لم نكن فيه وعينا
ومصاحب صنفت في	غدراته للعين عينا

وقال في الشمعة:

ونديمة لي في الظلام وحيدة مثل مجاهدة. كمثل جهادي
فاللون لوني، والدموع كأدمعي والقلب قلبي، والسهاد سهادي
لا فرق فيما بيننا لو لم يكن لهبي خفياً وهو منها بادي

وله أيضاً:

أريقاً من رضابك أم رحيقا رشفت فلست من سكري مفيقا
وللصهباء أسماء ولكن جهلت بأن في الأسماء ريقا
حمتني عن حميا الكأس نفس إلى غير المعالي لن تتوقا
وما تركي لها شح ولكن طلبت فما وجدت لها صديقا

وله أيضاً:

وإخوان بواطنهم قباح وإن كانت ظواهرهم ملاحا
حسبت مياه ودهم عذاباً فلما ذقتها كانت ملاحا

وله أيضاً:

ووقت غنمناه من الدهر مسعد معار، وأوقات السرور عواري
معانيه مما نبتغيه جميعها كواس ومما لا نريد عواري
أدار علينا الكاس فيه ابن أربع وعشر له بالكاس أي مدار!
تناولتها منه بكف كأنما أناملها تحت الزجاج مداري

وله أيضاً:

تيم قلبي شادن أغيد ملك فالناس له أعبد
لو جاز أن يعبد في حسنه وظرفه كنت له أعبد

وله أيضاً:

هويت بديع الحسن للغصن قده وللظبي عيناه وخداه للورد
غزال من الغزلان لكن أخافه وإن كنت مقداماً على الأسد الورد

وله أيضاً:

ولرب دان منك يكره قربه وتراه وهو عناء عينك والقذى

فاعرف وخل مجرباً هذا الورى		واترك لقاءك ذا كفافاً والق ذا

وله أيضاً:

أيا ليلة زار فيها الحبيب		أعيدي لنا منك وصلاً وعودي
فإني شهدتك مستمتعاً		به بين رنة ناي وعود
وطيب حديث كزهر الرياض		تضوع ما بين مسك وعود
سقتك الرواعد من ليلة		بها اخضر يابس عيشي وعودي
وفي لي بوعد ولا تخلف		يه إخلاف دهر به في وعودي
فلما تقضيت أمرضتني		فزوري مريضك يوماً وعودي

وله أيضاً:

يا من حكى ثغره الدر النظيم ومن		تخال أصداغه السود العناقيدا
إعطف على مستهام ضم من أسف		على هواك وفي حبل العناقيدا

وله أيضاً:

بنتم فما لحظ الطرف الولوع بكم		شيئاً يسر به قلبي ولا لمحا
فلو محا فيض دمع من تكاثره		إنسان عين إذاً إنسانه لمحا

وله أيضاً:

أياكم أعاني الوجد في كل صاحب		ولست أراه لي كوجدي واجدا
إذا كنت ذا عدم فحرب مجانب		وتلقاه لي سلماً إذا كنت واجداً
أحاول في دهري خليلاً مصافياً		وهيهات خلا صافياً لست واجدا

وله أيضاً:

بعدت فأما الطرف مني فساهد		لشوقي وأما الطرف منك فراقد
فسل عن سهادي أنجم الليل إنها		ستتشهد لي يوماً بذاك الفراقد
قطعتك إذ أنت القريب لشقوتي		وواصلني قوم إلى أباعد

فيأهل ودي إن أبي وعد قربنا		زمان، فأنتم لي به إن أبي عدوا

وله أيضاً:

لا يصرف الهم إلا شدو محسنة أو منظر حسن تهواه أو قدح
والراح للهم أنفاها فخذ طرفاً منها ودع أمة فس شربها قدحوا
بكر تخال إذا ما المزج خالطها سقاتها أنهم زنداً بها قدحوا

وله أيضاً:

بعدت فقد اضرمت ما بين أضلعي ببعدك ناراً شجو قلبي وقودها
وكلفت نفسي قطع بيداء لوعة تكل بها هوج المهاري وقودها

وله أيضاً:

تجلد على الدهر واصبر لكل ما عليك الإله من الرزق أجرى
ولا يسخطنك صرف القضاء فتعدم إذ ذاك حظاً وأجرا
فما زال رزق امرئ طالب بعيداً إليه دجى الليل يسرى
توقع إذا ضاق أمر علي ك خيراً فإن مع العسر يسرا

وله أيضاً:

قد كان قلبي صحيحاً كالحمى زمناً فمذ أباح الهوى منه الحمى مرضا
فكم سخطت على من كان شيمته وقد أبحت له فيك الحمام رضا
يا من إذا فوقت سهماً لواحظه أضحى لها كل قلب قلب غرضا
أنا الذي إن يمت حباً يمت أسفاً وما قضى فيك من أغراضه غرضا
ألبست ثوب سقام فيه صار له جسمي لرقته من سقمه حرضا
وصرت وقفاً على هم يجاذبني أيدي الصبابة فيه كلما عرضا
ما إن قضى الله شيئاً في خليقته أشد من زفرات الحب حين قضى
فلا قضى كلف نحباً فأوجعني أن قيل إن المحب المستهام قضى

وله أيضاً:

نراك يا متلف جسمي ويا مكثر إعلالي وأمراضي
من بعد ما أضنيتني ساخطاً علي في حبك أم راضي؟

الحسن بن بش بن الآمدي، النحوي الكاتب

أبو القاسم صاحب كتاب الموازنة بي الطائيي. كان حسن الفهم، جيد الدراية ولارواية، سريع الإدراك. رأيت سماعه على كتاب القوافي لأبي العباس المبرد، وقد سمعه على نفطويه سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، ثم وجدت خطه على كتاب تبيين قدامة بن جعفر وفي نقد الشعر، وقد ألفه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقد قرأه عليه، وكتب خطه في سنة خمس وستين وثلاثمائة. وقال ابن النديم في الفهرست الذي ألفه في سة سبع وسبعين وثلاثمائة. هو من أهل البصرة، قريب العهد، وأحسبه يحيا إلى الآن، ثم وجدت كتاب القوافي للمبرد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في إسناده: أن عبد الصمد بن حنيش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمدي في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. وفي تاريخ هلال بن المحسن في هذه السنة يعني في سنة سبعين: مات الحسن ابن بشر الآمدي بالبصرة.

وقال أبو القاسم المحسن التنوخي: حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، كاتب القضاء من بني عبد الواحد بالبصرة، وله شعر حسن، واتساع تام في الأدب، ودراية وحفظ، وكتب مصنفة قال: حدثني أبو إسحاق الزجاج قال: كنا ليلة بحضرة القاسم بن عبيد الله نشرب وهو وزير، فغنت بدعة جارية عريب:

أدل فأكرم به من مدل ... ومن ظالم لدمى مستحل

إذا ما تعزز قابلته ... بذل وذلك جهد المقل

وأسلمت خدي له خاضعاً ... ولولا ملاحته لم أذل

فأدت فيه صنعة حسنة جداً، فطرب القاسم عليه طرباً شديداً، واستحسن الصنعة جداً والشعر فأفرط. فقالت بدعة يا مولاي: إن لهذا الشعر خبراً حسناً أحسن منه، قال: وما هو؟ قالت هو لأبي حازم القاضي. قال: فعجبنا من ذلك مع شدة تقشف القاضي أبي حازم وورعه وتقبضه. فقال الوزير: بالله يا أبا إسحاق، اركب إلى أبي حازم واسأله عن هذا الشعر وسببه. فباكرته وجلست حتى خلا وجهه و لم يبق إلا رجل بزي القضاة عليه قلنسوة، فقلت: بيننا شيء أقوله على خلوة؟ فقال: ليس هذا ممن أكتمه شيئاً. فقصصت عليه الخبر، وسألت عن الشعر والخبر، فتبسم ثم قال: هذا شيء كان في الحداثة قلته في والدة هذا، وأومأ إلى القاضي الجالس، وإذا هو ابنه وكنت إليها مائلاً، وكانت لي مملوكة، ولقلبي مالكة، فأما الآن، فلا عهد لي بمثله منذ سنين، ولا عملت شعراً منذ دهر طويل، وأنا أستغفر الله مما مضى. قال: فوجم الفتى حتى ارفض عرقاً، وعدت إلى القاسم فأخبرته، فضحك من خجل الإبن وقال: لو سلم من العشق أحد لكان أبا حازم مع تقبضه، وكنا نتعاود ذلك زماناً.

قال المؤلف: كان هذا الخبر بترجمة إسحاق الزجاج أحرى، إلا أن في أوله من إيضاح حال الآمدي ما

ساق باقي الحديث.

قال أبو علي: كان قد ولي القضاء بالبصرة – في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة – رجل لم يكن عندهم بمزلة من صرف به، لأنه ولي صارفاً لأبي الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي، فقال فيه أبو القاسم الحسن ابن بشر الآمدي، كاتب القاضيين أبي القاسم جعفر، وأبي الحسن محمد بن عبد الواحد:

رأيت قلنسوة تستغي	ث من فوق رأس تنادي خذوني
وقد قلعت وهي طوراً تمي	ل من عن يسار ومن عن يمين
فطوراً تراها فويق القفا	وطوراً تراها فويق الجبين
فقلت لها أي شيء دهاك؟	فردت بقول كئيب حزين
دهاني أن لست في قالبي	وأخشى من الناس أن يبصروني
وأن يعبثوا بمزاح معي	وإ فعلوا ذاك بي قطعوني
فقلت لها مر من تعرفين	من المنكرين لهذي الشؤون
ومن كان يصفع في الدين لا	يملء ويشتد في غير لين
ويلمح ملئك كيل التما	م إما على صحة أو جنون
ففارقها ذلك الإنزعاج	وعادت إلى حالها في السكون

وحدث ابن نصر قال: حدثت يوماً أبا الفرج الببغا الشاعر: أن أبا الفرج منصور بن بشر النصراني الكاتب، كان منقطعاً إلى أبي العباس بن ماسرجس، فأنفذه مرة إلى أبي عمر إسماعيل بن أحمد عامل البصرة في بعض حاجاته، فعاد من عنده مغضباً لأنه لم يستوف له القيام عند دخوله، وأراد أبو العباس إنفاذه بعد أيام، فأبى وقال: لو أعطيتني زورق ابن الخواستيني مملوءاً كيميا، كل مثقال منه إذا وضع على ألف مثقال صفراً صار ذهباً إبريزاً ما مضيت إليه، فأمسك عنه مغيظاً. وهذا زورق معروف بالبصرة، وحمله ثلاثمائة ألف رطل، وقد رأيت دواتي أبي العباس سهل بن بشر. وقد حكى له أن ابن علان قاضي القضاة بالأهواز، ذكر أنه رأى قبجة وزنها عشرة أرطال فقال: هذا محال. فقيل له: ترد قول ابن علان؟ قال: فإن قال ابن علان: إن على شاطئ جيحون نخلاً يحمل غضاراً صينياً مجزعاً بسواد أقبل منه؟ وقلت لأبي الفرج: وللناس عادات في المبالغات، وهذا من أعجبها. فقال لي: كان الآمدي النحوي صاحب كتاب الموازنة، يدعي هذه المبالغات على أبي تمام، ويجعلها استطراداً لعيبه إذا ضاق عليه المجال في ذمه، وأورد في كتابه قوله من قصيدته التي أولها: من سجايا الطلول ألا تجيبا

خضبت خدها إلى لؤلؤ العق　　　د دماً أن رأت شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء له إل　　　لا الفظيعين ميتة ومشيبا

ثم قال: هذه من مبالغاته المسرفة. ثم قال أبو الفرج: هذه والله المبالغة التي يبلغ بها السماء. وله من الكتب: كتاب المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء، كتاب نثر المنظوم، كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري، كتاب في أن الشاعرين لا يتفق خواطرهما، كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطإ، كتاب فرق ما بين الخاص والمشترك من معاني الشعر، كتاب تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين، كتاب في شدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه، كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر، كتاب معاني شعر البحتري، كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام، كتاب فعلت وأفعلت غاية لم يصنف مثله، كتاب الحروف من الأصول في الأضداد رأيته بخطه في نحو مائة ورقة، كتاب ديوا شعره نحو مائة ورقة. وقرأت في كتاب ألفه أحد بني عبد الرحيم الوزراء الذي مدحهم مهيار وغيره و لم يذكر اسمه قال: أخبرني القاضي أبو القاسم التنوخي عن أبيه أبي علي المحسن: أن مولد أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي بالبصرة، وأنه قدم بغداد يحمل عن الأخفش، والحامض، والزجاج، وابن دريد، وبان السراج وغيرهم اللغة والنحو. وروى الأخبار في آخر عمره بالبصرة. وكان يكتب بمدينة لاسلام لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان، بحضرة المقتدر بالله ووزارته، ولغيره من بعده. وكتب بالبصرة لأبي الحسن أحمد، وأبي أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى، وبعدهما لقاضي البلد أبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي على الوقوف التي تليها القضاة ويحضر به في مجلس حكمه، ثم لأخيه أبي الحسن محمد بن عبد الواحد لما ولي قضاء البصرة، ثم لزم بيته إلى أن مات. وكان كثير الشعر، حس الطبع، جيد الصنعة، مشتهراً بالتشبيهات.

ولأبي القاسم تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها. منها: كتاب الموازنة بين البحتري وأبي تمام في عشرة أجزاء، وهو كتاب حسن وإ كان قد عيب عليه في مواضع منه، ونسب إلى الميل مع البحتري فيما أورده، والتعصب على أبي تمام فيما ذكره. والناس بعد فيه على فريقين: فرقة قالت برأيه حسب رأيهم في البحتري وغلبة حبهم لشعره. وطائفة أسرفت في التقبيح لتعصبه، فإنه جد واجتهد في طمس محاسن أبي تمام، وتزيين مرذول البحتري. ولعمري إن الأمر كذلك، وحسبك أنه بلغ في كتابه إلى قول أبي تمام: أصم بك الناعي وإن كان أسمعا وشرع في إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين فتارة يقول: هو مسروق، وتارة يقول: هو مرذول، ولا يحتاج المتعصب إلى أكثر من ذلك إلى غير ذلك من تعصباته، ولو

أنصف وقال في كل واحد بقدر فضائله، لكان في محاسن البحتري كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام. وله أيضاً: كتاب الخاص والمشترك، تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعاني التي تشترك العرب فيها، ولا ينسب مستعملها إلى السرقة وإن كان قد سبق إليها، وبين الخاص الذي ابتدعه الشعراء وتفردوا به ومن اتبعهم، وما قصر في إيضاح ذلك وتحقيقه إلى غير ذلك من تصانيفه التي ذكرنا منها ما قدرنا عليه فيما تقدم. ومن شعره:

يا واحداً كان في الزمان لا من يجاريه أو يداني؟
دعني من نائل جزيل يعجز عن شكره لساني
فلست والله مستميحاً ولا أخا مطمع تراني
وهب إذا كنت لي وهوباً من بعض أخلاقك الحسان

وقال في أبي محمد المافروخي وكان عالماً فاضلاً لا يجارى، لكنه كان تمتاماً:

لا تنظرن إلى تتعتعه إذا رام الكلام ولفظه المعتاص
وانظر إلى المحكم التي يأتي بها تشفيك عند تطلق وخلاص
فالدر ليس يناله غواصه حتى تقطع أنفس الغواص

وفي النشوار: حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي قال: قال أبو أحمد: طلحة بن الحسين بن المثنى، وقد تجارينا على خلوة للحديث عما كان بينه وبين أبي القاسم البريدي، وتدبير كل واحد منهما لصاحبه في القبض عليه، وأشرت عليه بأ يهرب من البصرة ولا يقيم، وأنه يجب أن يغير زيه فقال: لست أفكر في هذا الرجل لأمور كثيرة، منها: رؤيا رأيتها منذ ليال كثيرة. فقلت: ما هي؟ فقال: رأيت ثعباناً عظيماً قد خرج من هذا الحائط، وأوأ بيده إلى حائط في ملجسه وهو يريدني فطلبته فأتيته في الحائط. فتأولت ذلك أن الثعبا البريدي وأني أغلبه. قال: فحين قال: فأتيته في الحائط، سبق إلى قلبي أن البريدي هو الثابت، وأن الحائط حياطة له دون أبي أحمد. فأردت أن أقول له: إن الخبر مستفيض لما كان عبد الملك رأى في منامه، كأنه وابن الزبير اصطرعا في صعيد من الأرض، فطرح ابن الزبير عبد الملك تحته على الأرض، وأوتده بأربعة أوتاد فيها، وأنه أنفذ راكباً إلى البصرة، حتى لقي ابن سيرين، فقص عليه الرؤيا كأنها له، وكتم ابن الزبير. فقال له ابن سيرين: هذه الرؤيا ليست رؤياك، فلا أفسرها لك، فألح عليه فقال له: هذه للرؤيا يجب أن تكون لعبد الملك، فإن صدقتني فسرتها لك، فقال: هو كما وقع لك. فقال: قل له: إن صحت رؤياك هذه فستغلب ابن الزبير على الأرض، ويملك الأرض من صلبك أربعة ملوك. فمضى الرجل إلى

عبد الملك فأخبره، فعجب من فطنة ابن سيرين فقال: ارجع إليه فقل له: من أين قلت ذلك؟ فرجع الرجل إليه، فقال له: إن الغالب في النوم هو المغلوب، وتمكنه على الأرض غلبه عليها، والأوتاد الأربعة التي أوتدها في الأرض: هم ملوك يتمكنو من الأرض كما تمكنت الأوتاد.

قال أبو القاسم الآمدي: فأردت أن أقول لأبي أحمد هذا، وما وقع لي من القياس عليه في تفسير رؤياه، فكرهت ذلك لأنه كان يكون سوء أدب وقباحة عشرة، وعياً لنفسه، فما مضت الأيام حتى قبض البريدي عليه، وكان من أمره ما كان.

أبو الحسن البوراني

معتزلي نحوي، ذكره المقدر عند ذكره لجماعة من المعتزلة النحويين فقال: وأبو الحسن البوراني، ناهيك تدقيقاً في مسائل الكتاب، وكان في أيام أبي علي الفارسي وطبقته.

الحسن بن الحسين بن عبيد الله

ابن عبد الرحمن، ابن العلاء بن أبي صفرة، المعروف بالسكري، أبو سعيد النحوي اللغوي، الراوية الثقة المكثر. مات في سنة خمس وسبعين ومائتين، ومولده في سنة اثنتي عشرة ومائتي. سمع يحيى بن معين، وأبا حاتم السجستاني، والعباس بن الفرج الرياشي، ومحمد بن حبيب، والحارث اب أبي أسامة، وأحمد بن الحارث الخزاز وخلقاً سواهم. وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخي وكان ثقة صادقاً يقرئ القرآن، وانتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظرائه. وكان إذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة.

حدث أبو الكرم خميس بن علي الحوزي النحوي الحافظ الواسطي في أماليه، – وله في هذا الكتاب باب – قال: قدم أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري بغداد، فحضر مجلس أبي زكريا الفراء وهو يومئذ شيخ الناس بها، فأملى الفراء باباً في التصغير قال فيه: العرب تقول: هو الهن وتصغيره الهنى وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجر الهنيين، وأنشد عليه قول القتال الكلابي:

يا قاتل الله صلعاناً تجئ بهم ... أم الهنيين من زند لها وارى

فأمسك أبو سعيد حتى إذا انقضى المجلس، ولم يبق فيه أحد سوى الفراء، تقدم أبو سعيد حتى جلس بين يديه وقال له: – أكرمك الله – أنا رجل غريب وقد مر شيء، أتأذن لي في ذكره؟ فقال اذكره. فقال: إنك قلت هو الهن، وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجر الهنيين، وهذا جميعه كما قلت، ثم أنشدت قول الكلابي:

يا قاتل الله صلعاناً تجئ بهم ... أم الهنيين من زد لها وارى

وليس هكذا أنشدناه أشياخنا. قال الفراء: ومن أشياخك؟ قال: أبو عبيدة، وأبو زيد، والأصمعي. قال الفراء: وكيف أنشده أشياخك؟ فقال: زعموا أن الهنبر بوزن الخنصر: ولد الضبع. وأن القتال قال:

يا قاتل الله صلعاناً تجئ بهم أم الهنيبر من زد لها وارى

على التصغير. ففكر الفراء ساعة وقال: – أحسن الله عن الإفادة بحسن الأدب جزاءك –.

قال المؤلف ياقوت بن عبد الله: هكذا وجدت هذا الخبر في أمالي اجوزي، وهو ما علمت من الحفاظ، إلا أنه غلط فيه من وجوه، وذلك أن السكري لم يلق الأصمعي ولا أبا عبيدة، ولا أبا زيد، وإنما روى عمن روى عنهم: كابن حبيب، وابن أبي أسامة، والخزاز وطبقتهم. ثم إن السكري ولد في سنة اثنتي عشرة ومائتين. وأبو عبيدة مات سنة تسع عشرة ومائتين وأبو زيد مات سنة خمس عشرة ومائتين. والأصمعي مات في سنة ثلاث عشرة ومائتين، أو خمس عشرة ومائتين، فمتى قرأ عليهم؟ وهذه الجماعة المذكورة هم في طبقة الفراء، لأن الفراء مات في سنة سبع ومائتين، ولعل هذه الحكاية عن غير السكري، وأوردها خميس عنه سهواً، وأوردتها أنا كما وجدتها.

وللسكري من الكتب على ما ذكره محمد بن إسحاق النديم: كتاب أشعار هذيل، كتاب النقائص، كتاب النبات، كتاب الوحوش جود في تصنيفه، كتاب المناهل والقرى، كتاب الأبيات السائرة. وعمل أشعار جماعة من الشعراء، منهم: امرؤ القيس، النابغة الذيباني، النابغة الجعدي، زهير، الحطيئة، لبيد، تميم بن مقبل، دريد بن الصمة، الأعشى، مهلهل، متمم بن نويرة، أعشى باهلة، الزبرقان بن بدر، بشر بن أبي حازم، المتلمس، الراعي، الشماخ، الكميت، ذو الرمة، الفرزدق. و لم يعمل شعر جرير، وعمل شعر أبي نواس، وتكلم على معانيه وغريبه في نحو ألف ورقة و لم يتم، وإنما عمل مقدار ثلثيه.

قال محمد بن إسحاق النديم: ورأيته بخط الحلواني، وكان الحلواني قريب أبي سعيد السكري. وعمل شعر قيس بن الخطيم، وهدبة بن خشرم، وابن أحمر العقيلي، والأخطل، وغير هؤلاء.

وأما أشعار القبائل فإنه عمل منهم: أشعار بني هذيل، أشعار بني شيبان، وبني ربيعة، أشعار بني يربوع، أشعار بني طيء، أشعار بني كنانة، أشعار بني ضبة، أشعار بجيلة، أشعار بني العين، أشعار بني يشكر، أشعار بني حنيفة، أشعار بني محارب، أشعار الأزد، أشعار بني نهشل، أشعار بني عدي، أشعار بني أشجع، أشعار بني نمير، أشعار بني عبد ود، أشعار بني مخزوم، أشعار بني سعد، أشعار بني الحارث، أشعار الضباب، أشعار فهم وعدوان، أشعار مزينة.

وحدث الصولي قال: كنت عند أحمد بن يحيى ثعلب فنعي إليه السكري فتمثل:

المرء يخلق وحده ويموت يوم يموت وحده

والناس بعد هالك هل من رأيت الناس بعده

الحسن بن الخطير

أبو علي الفارسي المعروف بالظهير، كان فقيهاً لغوياً نحوياً، مات بالقاهرة من الديار المصرية في شهور سنة ثمان وتسعين وخمسمائة. حدثني بجميع ما أورده عنه ههنا من خبره ووفاته، تلميذه الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي، الحسني الصعيدي بالقاهرة في سنة إثنتي عشرة وستمائة قال: كا الظهير يكتب على كتبه في فتاويه – الحسن النعماني –، فسألته ع هذه النسبة فقال: أنا نعماني، أنا من ولد النعمان بن المنذر، ومولدي بقرية تعرف بالنعمانية، ومنها ارتحلت إلى شيراز، فتفقهت بها فقيل لي الفارسي، وأنتحل مذهب النعمان وأنتصر له فيما وافق اجتهادي. وكان عالماً بفنون من العلم، كان قارئاً بالعشر والشواذ، عالماً بتفسير القرآن وناسخه ومنسوخه، والفقه والخلاف، والكلام والمنطق، والحساب والهيئة والطب، مبرزاً في اللغة والنحو، والعروض والقوافي، ورواية أشعار العرب وأيامها وأخبار الملوك من العرب والعجم. وكان يحفظ في كل فن من هذه العلوم كتاباً، فكان يحفظ في علم التفسير كتاب لباب التفسير لتاج القراء، وفي الفقه كتاب الوجيز للغزالي، وفي فقه أبي حنيفة كتاب الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني نظم النسفي، وفي الكلام كتاب نهاية الإقدام للشهرستاني، وفي اللغة كتاب الجمهرة لابن دريد، كان يسردها كما يسرد القارئ الفاتحة.

وقال لي: كنت أكتب ألواحاً وأدرسها كما أدرس القرآن، فحفظتها في مدة أربع عشرة سنة، وكان يحفظ في النحو كتاب الإيضاح لأبي علي وعروض الصاحب بن عباد، وكان يحفظ في المنطق أرجوزة أبي علي بن سينا، وكان قيماً بمعرفة قانو الطب له، وكان عارفاً باللغة العبرانية، ويناظر أهلها بها، حتى لقد سمعت بعض رؤساء اليهود يقول له: لو حلفت أن سيدنا كان حبراً من أحبار اليهود لحلفت، فإنه لا يعرف هذه النصوص بالعبرانية إلا من تدرب بهذه اللغة.

وكان الغالب عليه علم الأدب، حتى لقد رأيت الشيخ أبا الفتح عثمان بن عيسى النحوي البلطي، وهو شيخ الناس يومئذ بالديار المصرية، يسأله سؤال المستفيد عن حروف من حوشي اللغة، وسأله يوماً بمحضري عما وقع في ألفاظ العرب على مثال شقحطب، فقال: هذا يسمى في كلام العرب المنحوت، ومعناه: أن الكلمة منحوتة من كلمتين، كما ينحت النجار خشبتين، ويجعلهما واحداً فشقحطب منحوت من شق وحطب. فسأله البلطي أن يثبت له ما وقع من هذا المثال ليعول في معرفتها عليه،

فأملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه، وسماها كتاب تنبيه البارعي على المنحوت من كلام العرب.

قال: ورأيت السعيد أبا القاسم هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك، يسأله عن وجه الامتحان عن كلمات من غريب كلام العرب، وهو يجيب عنها بشواهدها وكان القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني قد وضعه على ذلك.

قال: وحدثني عن نفسه قال: لما دخلت خوزستان لقيت بها المجير البغدادي تلميذ الشهرستاني، وكان مبرزاً في علوم النظر فأحب صاحب خوزستان أن يجمع بيننا للمناظرة في مجلسه، وبلغني ذلك، فأشفقت من الانقطاع لمعرفتي بوفور بضاعة المجير من علم الكلام، وعرفت أن بضاعته من اللغة نزرة، فلما جلسنا للمناظرة والمجلس غاص بالعلماء، فقلت له: نعرض الكلام إذاً أفرأيت الطلة إلى قرينها فارهاً في وبصان، أو الجساد إذا تأشب بأبي المغبث؟ فاحتاج إلى أن يستفسر ما قلت، فشنعت عليه وقلت: انظر إلى المدعي رتبة الإمامة يجهل لغة العرب، التي بها نزل كلام رب العالمين، وجاء حديث سيد المرسلي، والمناظرة: إنما اشتقت من النظير، وليس هذا بنظيري لجهله بأحد العلوم التي يلزم المجتهد القيام بها، وكثر لغط أهل المجسل، وانقسموا فريقين فرقة لي، وفرقة علي، وانفض المجلس على ذلك، وشاع في الناس أني قطعته.

وكان الظهير قد أقام بالقدس مدة، فاجتاز به الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف، فرآه عند الصخرة يدرس، فسأل عنه فعرف مترلته من العلم، فأحضره عنده، ورغبه في المصير معه، ليقمع به شهاب الدين أبا الفتح الطوسي لشيء نقمه عليه، فورد معه إلى القاهرة، وأجرى عليه كل شهر ستين دياراً، ومائة رطل خبزاً وخروفاً وشمعة كل يوم، ومال إليه الناس من الجند وغيرهم من العلماء، وصار له سوق قائم، إلى أن قرر العزيز المناظرة بينه وبين الطوسي في غد عيد، وعزم الظهير أن يسلك مع الطوسي وقت المناظرة طريق المجير من المغالطة، لأن الطوسي كان قليل المحفوظ، إلا أنه كان جريئاً مقداماً شديد المعارضة، واتفق أن ركب العزيز يوم العيد، وركب معه الظهير والطوسي، فقال الظهير للعزيز في أثناء الكلام: أنت يا مولانا من أهل الجنة، فوجد الطوسي السبيل فوجد الطوسي السبيل إلى مقتله فقال: وما يدريك أنه من أهل الجنة؟ وكيف تزكي على الله تعالى؟ فقال له الظهير: قد زكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة. فقال: أبيت يا مسكين إلا جهلاً، ما تفرق بين التزكية عن الله، والتكية على الله؟ وأنت من أخبرك أن هذا من أهل الجنة؟ ما أنت إلا كما زعموا: أن فأرة وقعت في دن خمر، فشربت فسكرت، فقالت أين القطاط؟ فلاح لها هر، فقالت: لا تؤاخذ السكارى بما يقولو. وأنت شربت من خمر دن نعمة هذا الملك فسكرت فصرت تقول خالياً: أين العلماء؟ فأبلس ولم يجد جواباً وانصرف، وقد انكسرت حرمته عند العزيز، وشاعت هذه الحكاية بين العوام، وصارت تحكى في الأسواق والمحافل. فكان مآل أمره أن انضوى إلى المدرسة التي أنشأها الأمير تركون

الأسدي، يدرس بها مذهب أبي حنيفة إلى أن مات. وكان قد أملى كتاباً في تفسير القرآن، وصل منه بعد سنين إلى تفسير قوله تعالى: "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" في نحو مائتي ورقة، ومات و لم يختم تفسير سورة البقرة. وله: كتاب في شرح الصحيحين على ترتيب الحميدي سماه كتاب الحجة، اختصره من كتاب الإفصاح في تفسير الصحاح للوزير ابن هبيرة، وزاد عليه أشياء وقع اختياره عليها، وكتاب في اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأنصار و لم يتم. وله خطب وفصول وعظية مشحونة بغريب اللغة وحوشيها.

الحسن بن داود الرقي

أبو علي، لا أعرف من أمره إلا ما وجدته بخط أبي الحسن علي بن عبيد الله الشمسي اللغوي. حدثنا النيسابوري قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف الناقط قال: حدثنا الناقط قال: حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة قال: قال لي أبو أحمد محمد بن موسى البردي: سمعت من الحسن بن داود أبي علي الرقي بسر من رأى، سنة ثمان وثلاثين ومائتين كتابه الذي يسميه كتاب الحلي، وكان وقت كتبنا عنه قد جاز الثمانين، وأخرج إلى أبو أحمد الكتاب، فإذا هو الكتاب الذي سماه أ؛مد بن يحيى فصيح الكلام. قال أبو الحسن الناقط: قال ابن كامل: وكان الحسن بن داود مؤدب عبيد الله ابن سليمان بن وهب وزير المعتضد.

الحسن بن داود بن الحسن القرشي

المعروف بالبقار المقرئ، يكنى أبا علي، أموي كوفي، قرأ على أبي محمد القاسم بن أحمد، المعروف بالخياط التميمي، المعروف بابن القملي أيضاً – عن أبي جعفر محمد ابن حبيب الشموني الكوفي، عن أبي يوسف يعقوب بن خليفة الأعشى، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم – قراءة عاصم. ومات بالكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. وصنف كتباً منها: كتاب قراءة الأعشى، كتاب اللغة في مخارج الحروف وأصول النحو، ذكر الحافظ أبو العلاء الهمذاني في كتاب القراءات العشر له في نسب البقار: الحسن بن داود بن الحسن بن عون بن منذر بن صبيح القرشي النحوي، وكان موصوفاً بحسن القراءة وطيب النغم جداً. وقال ابن النجار في تاريخ الكوفة: ومن خيار رجال عاصم محمد بن غالب الصيرفي، وبينه وبين القملي اختلافات في حروف يسيرة، وقرأ عليه جماعة من أهل الكوفة منهم: أبو علي الحسن بن داود البقار، وكان حاذقاً بالنحو، لفاظاً بالقرآن، صاحب ألحان، وكان يصلي بالناس التراويح بالجامع بالكوفة، وصلى فيه ثلاثاً وأربعين سنة، وكان أ؛د المجودين.

الحسن بن رشيق القيرواني

مولى الأزد، كان شاعراً أديباً، نحوياً لغوياً حاذقاً عروضياً، كثير التصنيف، حسن التأليف، وكان بينه وبين ابن شرف الأديب مناقضات ومحاقدات، وصنف في الرد عليه عدة تصانيف. كان أبوه رشيق رومياً، ذكر ذلك هو في الرد على ابن شرف، بعد ذكره نسب ابن شرف: هو اسم امرأة نائحة ثم قال: وأما أنا - فنضر الله وجه هذا الشيخ في، وأتم به النعمة علي -، فما أبغي به أبا، ولا أرضى بمذهبه مذهباً، رضيت به رومياً، لا دعياً، ولا بدعياً.

تأدب ابن رشيق على أبي عبد الله بن جعفر القزاز، القيرواني النحوي اللغوي، وغيره من أهل القيروان.

ومات بالقيروان سنة ست وخمسين وأربعمائة: عن ست وستين سنة، ذكر ابن رشيق هذا نفسه في كتابه الذي صنفه في شعراء عصره، ووسمه بالنموذج فقال في آخره: صاحب الكتاب هو حسن بن رشيق، مولى من موالي الأزد، ولد بالمحمدية سنة تسعين وثلاثمائة، وتأدب بها يسيراً. وقدم إلى الحضرة سنة ست وأربعمائة، وامتدح سيدنا - خلد الله دولته -.

قال المؤلف يعني المعز بن باديس بن المنصور سنة عشر بقصيدة أولها:

ذمت لعينك أعين الغزلان ... قمر أقر لحسنه القمران

ومشت ولا والله ما حقف النقا ... مما أرتك ولا قضيب البان

وثن الملاحة غير أن ديانتي ... تأبى علي عبادة الأوثان

منها:

يا بن الأعزة من أكابر حمير ... وسلالة الأملاك من قحطان

من كل أبلج واضح بلسانه ... يضع السيوف مواضع التيجان

قال: ومن مدحه القصيدة التي دخل بها في جملته، ونسب إلى خدمته، فلزم الديوان وأخذ الصلة والحملان:

لدن الرماح لما يسقي أسنتها ... من مهجة القيل أو من ثغرة البطل

لو أثمرت من دم الأعداء سمرقناً ... لأورقت عنده سمر القنا الذبل

إذا توجه في أولى كتائبه ... لم تفرق العين بي السهل والجبل

فالجيش ينفض حوليه أسنته ... نفض العقاب جناحيه من البلل

يأتي الأمور على رفق وفي دعة ... عجلان كالفلك الدوار في مهثل

قال: ومن رثائه:

أما لئن صح ما جاء البريد به ليكثرن من الباكي أشياعي
مازلت أفزع من يأس ومن طمع حتى ترفع يأسي فوق أطماعي

فاليوم أنفق كنز العمر أجمعه لما مضى واحد الدنيا بإجماع

قال: ومن هجائه:

قالوا رأينا فراتاً لي سوجعه ما يوجع الناس من هجو إذا قذفا

وله من كتاب سر السرور:

معتقة يعلو الحباب متونها فتحسبه فيها نثير جمان
رأت من لجين راحة لمديرها فطافت له من عسجد ببنان

ومن غير كتابه له:

ومن حسنات الدهر عندي ليلة من العمر لم تترك لأيامها ذنبا
خلونا بها ننفي القذا عن عيوننا بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكبا
وملنا لتقبيل الثغور ولثمها كميل جناح الطير يلتقط الحبا

قال الأبيوردي: هذا أحس من قول ابن المعتز:

كم من عناق لنا ومن قبل مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفةمن النواطير يانع الرطب

وله أيضاً:

قد حنكت مني التجا رب كل شيء غير جودي
أبداً أقول لئن كسب ت لأقبضن بيدي شديد
حتى إذا أثريت عد ت إلى السماحة من جديد
إن المقام بمثل حا لي لا يتم مع القعود
لا بد لي من رحلة تدي من الأمل البعيد

وله أيضاً:

في الناس من لا يرتجى نفعه إلا إذا مس بإضرار

كالعود لا يطمع في طيبه إن أنت لم تمسسه بالنار

ومما أورده ابن رشيق لنفسه في النموذج:

أقول كالمأسور في ليلة ألقت على الآفاق كلكالها
يا ليلة الهجر التي ليتها قطع سيف الهجر أوصالها
ما أحسنت جمل ولا أجملت هذا وليس الحسن إلا لها

وأنشد لنفسه أيضاً:

أحب أخي وإ أعرضت عنه وقل على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطيب راض كما قطبت في وجه المدام
ورب تجهم من غير بغض وضغن كامن تحت ابتسام

وله أيضاً:

من جفاني فإنني غير جاف صلة أو قطيعة في عفاف
ربما هاجر الفتى من يصافي ه ولاقى بالبشر من لا يصافي

وأنشد لنفسه في كتاب فسح اللمح:

المرء في فسحة كما علموا حتى يرى شعره وتأليفه
فواحد منهما صفحت له عنه وجازت له زخاريفه
وآخر نحن منه في غرر إن لم يوافق رضاك تثقيفه
وقد بعثنا كيسي ملؤهما نقد امرئ حاذق وتزييفه
فانظر وما زلت أهل معرفة يا من لنا علمه ومعروفه

ثم قال في ورقة أخرى تمام الأبيات العينية، وما وجدهما أعني الأبيات التي هذه تمامها:

ولو غيرك الموسوم عندي بريبة لأعطيت فيه مدعي القوم ما ادعى
فلا تتخالجك الظنون فإنها مآثم واترك للصنائع موضعا
فوالله ما طولت باللوم فيكم لساناً ولا عرضت للذم مسمعا
ولا ملت عنكم بالوداد ولا انطوت حبالي ولا ولى ثنائي مودعا
بلى ربما أكرمت نفسي فلم تهن وأجللتها عن أن تذل وتخضعا

فباينت لا أن العداوة باينت وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا

وختم كتاب العمدة بهذه الأبيات:

إن الذي صاغت يدي وفمي وجرى لساني فيه أو قلمي

مما عنيت بسبك خالصه واخترته من جوهر الكلم

لم اهده إلا لتكسوه ذكراً يجدده على القدم

لسنا نزيدك فضل معرفة لكنهن مصايد الكرم

فاقبل هدية من أشدت به ونسخت عنه آية العدم

لا تحسن الدنيا أبا حسن تأتي بمثلك فائق الهمم

الحسن بن أبي الحسن صافي

أبو نزار النحوي، وكان أبوه صافي مولى الحسين الأرموي التاجر، وكان لا يذكر اسم أبيه إلا بكنيته، لئلا يعرف أنه مولى، وهو المعروف بملك النحاة. قال أبو القاسم علي بن عساكر الحافظ: ذكر لي أنه ولد ببغداد سنة تسع وثمانين وأربعمائة، في الجانب الغربي بشارع دار الرقيق، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي إلى جوار حرم الخلافة، وهناك قرأ العلم وتخرج. وسمع الحديث من الشريف أبي طالب الرينبي، وقرأ الفقه على أحمد، وأصول الفقه على أبي الفتح بن برهان، والخلاف على أسعد الميهني، والنحو على أبي الحس علي بن أبي زيد الأستراباذي الفصيحي وفتح له الجامع ودرس، ثم سافر إلى بلاد خراسان وكرمان وغزنة، ودخل إلى الشام وقدم دمشق، ثم خرج منها وعاد إليها واستوطنها إلى أن مات بها، في تاسع شوال سنة ثمان وستين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وكان قد ناهز الثمانين، وكان صحيح الاعتقاد كريم النفس، ذكر لي أسماء مصنفاته: كتاب الحادي في النحو مجلدتان، كتاب العمد في النحو مجلدة وهو كتاب نفيس، كتاب المقتصد في التصريف مجلدة ضخمة، كتاب أسلوب الحق في تعليل القراءات العشر، وشيء من الشواذ مجلدتان، كتاب التذكرة السفرية انتهت إلى أربعمائة كراسة، كتاب العروض مختصر محرر، كتاب في الفقه على مذهب الشافعي سماه الحاكم مجلدتان، كتاب مختصر في أصول الفقه، كتاب مختصر في أصول الدين، كتاب ديوان شعره، كتاب المقامات حذا حذو الحريري. ومن شعره يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

يا قاصداً يثرب الفيحاء مرتجياً أن يستجير بعليا خاتم الرسل

خذ عن أخيك مقالاً إن صدعت به مدحت في آخر الأعصار والأول

قل يا من الفخر موقوف عليه فإن   تذوكر الفخر لم يصدف ولم يمل
صيت إذا طلبت غاياته خرقت   سبعاً طباقاً فبذت كل ذي أمل
علوت وازددت حتى عاد منتزحاً   جبريل عما له قد كان لم يطل
وعدت والكبر قد نافى علاك فما   عدوت شيمة سبط الخلق مبتهل
أتتك غر قوافي المدح خاضعة   لديك فاقبل ثناء غير منتحل
ثناء من لم يجد وجناء تحمله   إليك أو صد بالإقتار عن جمل

ومن شعره أيضاً:

حنانيك إن جاءتك يوماً خصائصي   وهالك أصناف الكلام المسخر
فسل منصفاً عن حالتي غير جائر   يخبرك أن الفضل للمتأخر

وقال أحمد بن منير يهجو ملك النحاة، وكان قد كتب أبو نزار إلى بعض القضاة العاصوي:

أيا ملك النحو والحاء من   تهجيهمن تحت قد أعجموها
أنا قياسك هذا الذي   يعجم أشياء قد أعربوها
ولما تصنعت في العاصوي   غدا وجه جهلك فيه وجوها
وقالوا قفا الشيخ إن الملو   ك إذا دخلوا قرية أفسدوها

فبلغت أبياته ملك النحاة فأجابه بأبيات منها:

أيا بن منير حسبت الهجا   ء رتبة فخر فبالغت فيها
جمعت القوافي من ذا وذا   وأفسدت أشياء قد أصلحوها

وفي آخرها:

فقالوا قفا الشيخ إن الملو   ك إذا أخطأت سوقة أدبوها

قال البلطي: كان ملك النحاة قدم إلى الشام، فهجاه ثلاثة من الشعراء، ابن منير والقيسواني والشريف الواسطي. واستخف به ابن الصوفي و لم يوفه قدر مدحه، فعاد إلى الموصل ومدح جمال الدي وجماعة من رؤسائها وقضاتها. فلما نبت به الموصل، قيل له: لو رجعت إلى الشام، فقال: لا أرجع إلى الشام إلا أن يموت ابن الصوفي، وابن منير، والقيسراني، والشريف الواسطي، فقتل الشريف الواسطي، ومات ابن منير والقيسراني في مدة سنة، ومات الصوفي بعدهم بأشهر.

وحدثني شيخنا أبو البقاء. يعيش بن علي ابن يعيش النحوي قال: بلغني أنه كان لملك النحاة غلام وكان سيء العشرة، قليل المبالاة بمولاه ملك النحاة، فأرسله يوماً في شغل ليتعجله في إنجازه، فأبطأ فيه غاية الإبطاء، ثم جاء بعذر غير جميل، وكان يحضر ملك النحاة جماعة من أصدقائه والتلامذة، فغضب ملك النحاة وخرج عن حد الوقار الذي كان يلتزمه ويتوخاه وقال له: ويلك أخبري، ما سبب قلة مبالاتك بي، واطراحك لقبول أوامري؟ أنكتك قط؟ فبادر الغلام وقال: لا والله يا مولاي، معاذ الله أن تفعل ذلك بي، فإنك أجل من ذلك. قال: ويلك، فنكتني قط؟ فحرك الغلام رأسه متعجباً من كلامه وسكت. فقال له: ويلك أدركني بالجواب، هذا موضع السكوت؟ – لا رعاك الله – يا ابن الفاعلة، عجل، قل ما عندك قل، فقال: لا والله. قال: فما السبب في أك لا تقبل قولي، ولا تسرع في حاجتي؟ فقال له إن كان سبب الانبساط لا يكون إلا هذين، فأعدك ألا أعود إلى ما تكره إن شاء الله.

قال العماد: أقام ملك النحاة بالشام في رعاية نور الدين محمود بن زنكي، وكان مطبوعاً متناسب الأحوال والأفعال، يحكم على أهل التميز بحكم ملك فيقيل ولا يستقال، وكان يقول: هل سيبويه إلا من رعيتي؟ ولو عاش ابن جني لم يسع إلا حمل غاشيتي، مر الشكيمة، حلو الشيمة، يضم يده على المائة والمائتين ويمشي وهو منها صفر اليدين، مولع باستعمال الحلاوات السكرية، وإهدائها إلى جيرانه وإخوانه، مغرى بإحساه إلى خلصانه وخلانه. قال العماد: أذكره وقد وصلت إليه خلعة مصرية، وجائزة سنية، فأخرج القميص الدبيقي إلى السوق، فبلغ دو عشرة دنانير، فقال: قولوا: هذا قميص ملك كبير، أهداه إلى ملك كبير، ليعرف الناس قدره، فيحلبوا عليه البدر على البدار، وليجلوا قدره في الأقدار، ثم قال: أنا أحق إذا جهلوا حقه، وتنكبوا فيه سبل الواجب وطرقه.

ومن ظريف ما يحكى عن ملك النحاة: أن نور الدين محموداً خلع عليه خلعة سنية، ونزل ليمضي إلى متزله. فرأى حلقة عظيمة فمال إليها لينظر ما هي؟ فوجد رجلاً قد علم تيساً له استخراج الخبايا وتعريفه ما يقول له من غير إشارة، فلما وقف عليه ملك النحاة، قال الرجل لذلك التيس: في حلقتي رجل عظيم القدر، شائع الذكر ملك في زي سوقة، أعلم الاس، وأكرم الناس، وأجمل الناس، فأرني إياه، فشق ذلك التيس الحلقة، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلعة، ووهبها لصاحب التيس، فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال: استخففت بخلعتنا حتى وهبتها من طرقي؟ فقال يا مولانا: عذري في ذلك واضح، لأن في هذه المدينة زيادة على مائة ألف تيس، ما فيهم من عرف قدري إلا هذا التيس، فجازيته على ذلك. فضحك منه نور الدين وسكت.

وحكي عنه أنه كان يستخف بالعلماء، فكان إذا ذكر واحد منهم يقول: كلب من الكلاب. فقال رجل يوماً: فلست إذا ملك النحاة، إنما أنت ملك الكلاب، فاستشاط غضباً وقال: أخرجوا عني هذا الفضولي.

وقال السمعاني: دخل أبو نزار بلاد غزنة وكرمان، ولقي الأكابر، وتلقى مورده بالإكرام، ولم يدخل بلاد خراسان وانصرف إلى كرمان، وخرج منها إلى الشام. قال: وقرأت فيما كتبته بواسط، ولا أدري عمن سمعته لأبي نزار النحوي:

أراجع لي عيشي الفارط ... أم هو عني نازح شاحط؟؟
ألا وهل تسعفني أوبة ... يسمو بها نجم المنى الهابط؟
أرفل في مرط ارتياح وهل ... يطرق سمعي هذه واسط؟
يا زمني عد لي فقد رعتني ... حتى عراني شيبي الواخط
كم أقطع البيداء في ليلة ... يقبض ظلي خوفها الباسط؟
أأرقب الراحة أم لا وهل ... يعدل يوماً دهري القاسط؟؟
أيا ذوي ودي أما اشتقتم ... إلى إمام جأشه رابط؟
وهل عهودي عندكم غضة ... أم أنا في ظني إذاً غالط؟
ليهنكم ما عشتم واسط ... إني لكم يا سادتي غابط

وأنشد له:

الجيش والبرم الكثير ... منظوم ذلك والنثير
ودخان عود الهند والش ... مع المكفر والعبير
ورشاش ماء الورد قد ... عرفت به تلك النحور
ومثالث العيدان يس ... عد جسها بم وزير

وتخافق النايات يخ ... فق بينها الطبل القصير
والشرب بالقدح الصغ ... ير يحثه القدح الكبير
أحظى لدي من الأبا ... غر والحداة بها تسير
للعبد أ يلتذ في ... دنياه والله الغفور

ومن شعره أيضاً:

يا بن الذين ترفعوا في مجدهم ... وعلت أخامصهم فروع شمام
أنا عالم ملك بكسر اللام ف ... يما أدعيه لا بفتح اللام

أنشدني عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل أحمد بن عبد الوهاب بن الزاكي بن أبي الفوارس، السلمي الحراني المعروف باب الصيفي الدمشقي قال: أنشدني فتيان بن علي بن فتيان الأسدي النحوي في ملك النحاة، وكانت قد عضت يد ملك النحاة سنور فربطها بمنديل عظيم:

عتبت على قط ملك النحاة وقلت :أتيت بغير الصواب
عضضت يداً خلقت للدى وبث العلوم وضرب الرقاب
فأعرض عني وقال اتئد ألي القطاط أعادي الكلاب؟

قال: فبلغته الأبيات فغضب منها، إلا أنه لم يدر من قائلها؟ ثم بلغه أنني قلتها وبلغني ذلك فانقطعت عنه حياء مدة، فكتبت إليه شعراً أعتذر إليه، فكتب إلي:

يا خليلي نلتما النعماء وتسنمتما العلا و العلاء
ألمما بالشاغور و المسجد المعم ور و استمطرا به الأنواء
و امنحا صاحبي الذي كان فيه كل يوم تحية وثناء
ثم قو لا له اعتبرنا الذي فه ت به مادحاً وكان هجاء
وقبلنا فيه اعتذارك عما قاله الجاهلون عنك افتراء

الشاغور محلة بدمشق بالباب الصغير. وقال فتيان ابن المعلم الدمشقي: رأيت أبا نزار في النوم بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أنشدته قصيدة ما في الجنة مثلها، فتعلق بحفظي منها أبيات وهي:

يا هذه أقصري عن العذل فليس في الحق ويك من قبل
يا رب ها قد أتيت معترفاً بما جنته يداي من زلل
ملآن كف بكل مأثمة صفر يد من محاسن العمل
فكيف أخشى ناراً مسعرة و أنت يا رب في القيامة لي

قال: فوالله منذ فرغت من إنشادها ما سمعت حسيس الأرض.

الحسن بن عبد الله،الأصبهاني

المعروف بلغدة ولكذة، أيضاً الأصبهاني أبو علي، قدم بغداد، وكان جيد المعرفة بفنو الأدب، حسن القيام بالقياس، موفقاً في كلامه، وكان إماماً في النحو واللغة، وكان في طبقة أبي حنيفة الديوري، مشياخهما سواء، وكان بينهما مناقضات قال حمزة بن حسن الأصبهاني في كتاب أصبهان: وقدم على اب رستم الديميري من سامراً: إبراهيم بن غيث البغدادي وكان أصبهانياً، فخرج في صغره إلى العراق، فبرع في علم

النحو واللغة، وهو جد عبد الله بن يعقوب الفقيه. وروى عن أبي عبيدة، وأبي زيد، وقدم الخصيب بن أسلم الباهلي صاحب الأصمعي وروى عن أبي إسحاق إبراهيم بن غيث، وأبي عمر الخرقي، وهو أول من قدم أصبهان من أهل الأدب واللغة، وعن الباهلي صاحب الأصمعي، وعن الكرماني صاحب الأخفش: أخذ أبو علي لغدة علم اللغة. وكان أبو علي يحضر مجلس أبي إسحاق ويكتب عنه، ثم خالفه وقعد عنه، وجعل ينقض عليه ما يمليه.

قال حمزة: وقد تقدم من أهل اللغة في أصبهان، – وصار فيها رئيساً يؤخذ عنه – جماعة: منهم أبو علي لغدة، وكان رأساً في اللغة والعلم والشعر والنحو. حفظ في صغره كتب أبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعي، ثم تتبع ما فيها، فامتحن بها الأعراب الوافدين أصبهان، وكانوا يفدون على محمد بن يحيى بن أبان، فيضربون خيمهم بفناء داره، في باغ سلم بن عود، ويقصدهم أبو علي كل يوم، فيلقي عليهم مسائل شكوكه من كتب اللغة، وثبت تلك الأوصاف عن ألفاظهم في الكتاب الذي سماه كتاب النوادر. ثم لم يك له في آخر أيامه ظير بالعراق. قال: وكتاب النوادر هذا كتاب كبير، يقوم بإزاء كل ما خرج إلى الناس من كتب أبي زيد في النوادر، وله من الكتب الصغار: كتاب الصفات، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، وكتب أخر كثيرة من صغار الكتب، وله ردود على علماء اللغة، وعلى رواة الشعر والشعراء، قد جمعناها نحن في كتاب وأنفذناه إلى أبي إسحاق الزجاج – رحمه الله –

قال محمد بن إسحاق النديم: وله من التصانيف: كتاب الرد على الشعراء قضه عليه أبو حنيفة الدينوري، كتاب الطق، كتاب الرد لعى أبي عبيد في غريب الحديث، كتاب علل النحو، كتاب مختصر في النحو، كتاب الهشاشة والبشاشة، كتاب التسمية، كتاب شرح معاي الباهلي، كتاب نقض علل النحو، كتاب الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث.

وأفرد حمزة الأصبهاني في كتاب أصبهان أشعاراً للغدة منها:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضاً ليستر معور عن معور
ما أقرب الأشياء حي يسوقها قدر وأبعدها إذا لم تقدر
الجد أنهض بالفتى من كده فانهض بجد في الحوادث أو ذر
وإذا تعسرت الأمور فأرجها وعليك بالأمر الذي لم يعسر

ومن شعره أيضاً:

خير إخواك المشارك في المر ر وأين الشريك في المر أيا؟؟

الذي إن شهدت سرك في الق وم وإن غبت كان أذناً وعينا
مثل تبر العقيا إن مسه الا ر جلاه الجلاء فازداد زينا
وأخو السوء إن يغب عك يسبع ك وإن يحضر يكن ذاك شيئاً
جيبه غير ناصح ومناه أن يعيب الخليل إفكا ومينا
فاصرمنه ولا تلهف عليه إن صرماً له كنقدك دينا

ومن شعره أيضاً:

بذلت لك الصفاء بكل جهدي وكنت كما هويت فرصت وخزا
جرحت بمدية فحززت أنفي وحبل مودتي بيديك حزا
فلم تترك إلى صحل مجازاً ولا فيه لمطلبه مهزا
ستمكث نادماً في العيش مني وتعلم أن رأيك كان عجزا
وتذكرني إذا جربت غيري وتعلم أنني لك كنت كنزا

الحسن بن عبد الله المرزباني السيرافي

أبو سعيد النحوي القاضي، وسيراف بليد على ساحل البحر من أرض فارس، رأيته أنا وبه أثر عمارة قديمة، وجامع حسن، إلا أنه الآن الغالب عليه الخراب، وقد كان ولي القضاء على بعض الأرباع ببغداد، ومات – رحمه الله – يوم الاثنين ثاني رجب، سنة ثمان وستين وثلاثمائة، في خلافة الطائع ودفن في مقابر الخيزران. وكان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد، فسماه أبو سعيد عبد الله، وكان أبو سعيد يدرس ببغداد القرآن والقراءات، وعلوم القرآن، والنحو، واللغة، والفقه والفرائض. وكان قد قرأ على أبي بكر بن مجاهد القرآن، وعلى أبي بكر بن دريد اللغة، ودرسا جميعاً عليه النحو، وقرأ على أبي بكر بن السراج، وأبي بكر المبرمان النحو، وقرأ أحدهما عليه القرآن، ودرس الآخر عليه الحساب.

قال الخطيب: وكان – رحمه الله – زاهداً ورعاً، لم يأخذ على الحكم أجراً، إنما كان يأكل من كتب يمينه، فكان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس، حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشرة دراهم، تكون بدق رمئونته، ثم يخرج إلى مجلسه. وصنف كتباً منها: شرح كتاب سيبويه.

قال أبو حيان التوحيدي: رأيت أصحاب أبي علي الفارسي يكثرون الطلب لكتاب شرح سيبويه ويجتهدون في تحصيله. فقلت لهم: إنكم لا تزالون تقعون فيه، وتزرون على مؤلف، فما لكم وله؟ قالوا: نريد أن نرد عليه، ونعرفه خطأه فيه.

قال أبو حيان: فحصلوه واستفادوا منه، و لم يرد عليه أحد منهم أو كما قال أبو حيان، فإني لم أنقل ألفاظ الخبر لعدم الأصل الذي قرأته منه، وكان أبو علي وأصحابه كثيري الحسد لأبي سعيد، وكانوا يفضلو عليه الرماني، فحكى ابن جني عن أبي علي: أن أبا سعيد قرأ على اب السراج خمسين ورقة من أول الكتاب ثم انقطع، قال أبو علي: فلقيته بعد ذلك فعاتبته على انقطاعه. فقال لي: يجب على الإنسان أن يقدم ما هو أهم. وهو علم الوقت من اللغة والشعر، والسماع من الشيوخ، فكان يلزم ابن دريد ومن جرى مجراه من أهل السماع.

وقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني يهجو أبا سعيد السيرافي:

لست صدراً ولا قرأت على صد ... ر ولا علمك البكي بكاف

لعن الله كل شعر ونحو ... وعروض يجيء من سيراف

وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال:

قال لي أبو أحمد: ولد أبو سعيد بسيراف، وفيها ابتدأ بطلب العلم، وخرج عنها قبل العشرين، ومضى إلى عمان فتفقه بها، ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى العسكر فأقام بها مدة. قال المؤلف: وبها قرأ فيما أحسب على المبرمان. قال: كان فقيهاً على مذهب العراقيين، وورد إلى بغداد، فخلف أبا محمد بن معروف قاضي القضاة على قضاء الجانب الشرقي، وكان أستاذه في النحو، ثم استخلفه على الجانبي. ومولده قبل التسعين ومائتين. وله من الكتب: كتاب شرح سيبويه، ألفات القطع والوصل، كتاب أخبار النحويين البصريين، كتاب شرح مقصورة ابن دريد، كتاب الإقناع في النحو لم يتم، فتممه ابنه يوسف، وكان يقول: وضع أبي النحو في المزابل بالإقناع، يريد أه سهله حتى لا يحتاج إلى مفسر، كتاب شواهد كتاب سيبويه، كتاب الوقف والابتداء، كتاب صنعة الشعر والبلاغة، كتاب المدخل إلى كتاب سيبويه، كتاب جزيرة العرب.

قرأت بخط أبي حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في تقريظ عمرو بن بحر، وقد ذكر جماعة من الأئمة، كانوا يقدمون الجاحظ ويفضلونه فقال: ومنهم أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة معرفة بالنحو والفقه، واللغة والشعر، والعروض والقوافي، والقرآن والفرائض، والحديث والكلام، والحساب والهندسة. أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة، فما وجد له خطأ، ولا عثر منه على زلة. وقضى ببغداد، وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني، فما جاراه فيه أحد، ولا سبقه إلى تمامه إنسان. هذا مع الثقة والديانة، والأمانة والرواية. صام أربعين سنة، وأكثر الدهل كله.

قال لنا الأندلسي: فارقت بلدي في أقصى الغرب طلباً للعلم، وابتغاء مشاهدة العلماء، فكنت إلى أن دخلت بغداد وتلقيت أبا سعيد، وقرأت عليه كتاب سيبويه نادماً سادماً في اغترابي عن أهلي ووطني، من

غير جدوى في علم أو حظ من الدنيا، فلما سعدت برؤية هذا، علمت أن سعيي قرن بسعدي، وغربتي اتصلت ببغيتي، وأن عنائي لم يذهب هدراً، وأن رجائي لم ينقطع يأساً. قرأت بخط أبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ: قرأنا على أبي سعيد الحسن بن عبد الله في كتاب ما يلحن فيه العامة لأبي حاتم: هو الشمع مفتوح الشين والميم. فسألناه عما يحكى عن أبي بكر بن دريد أنه قال: شمع بكسر الشين.
فقال: لا يعاج عليه. قلنا له: فهو صحيح عن ابن دريد؟ فقال: نعم هو عنه بخطي في كتاب الجمهرة.
قال: وكان أبو الفتح بن النحوي، وأبو الحس الدريدي سألاني عن ذلك، فاستعفيت من الإجابة، لئلا أنسب إلى ابي بكر حرفاً أجمع الناس على خلافه.
وقال أبو حيان في كتاب محاضرات العلماء قثال: وحضرت مجلس شيخ الدهر، وقريع العصر، العديم المثل، المفقود الشكل، أبي سعيد السيرافي، وقد أقبل على الحسين بن مردويه الفارسي، يشرح له ترجمة المدخل إلى كتاب سيبويه من تصنيفه. فقال له: علق عليه، واصرف همتك إليه، فإنك لا تدركه إلا بتعب الحواس، ولا تتصوره إلا بالاعتزال عن الناس. فقال: - أيد الله القاضي -، أنا مؤثر لذلك، ولك اختلال الأمر وقصور الحال يحول بيني وبين ما أريده. فقال له: ألك عيال؟ قال لا. قال: عليك ديون؟ قال: دريهمات. قال: فأنت ريح القلب، حسن الحال، ناعم البال، اشتغل بالدرس والمذاكرة، والسؤال والمناظرة، واحمد الله تعالى على خفة الحاذ، وحسن الحال. وأنشده:

إذا لم يكن للمرء مال ولم يكن ... له طرق يسعى به الولائد
وكان له خبز وملح ففيهما ... له بلغة حتى تجيء الموائد
وهل هي إلا جوعة إن سددتها ... فكل طعام بين جنبيك واحد

قال: وكان يقرأ على أبي سعيد السيرافي الكامل للمبرد، فجاءه أبو أحمد بن مردك وكان هذا من ساوة، واستوطن بغداد وولد بها، وكان له قرب ومنزلة من أبي سعيد يوجب حقه ويرعاه له. فقال: ايها الشيخ عندي ابنة بلغت حد التزويج، وجماعة من الغرباء والبغداديين يخطبونها، فما ترى ومم أزوجها؟ فقال: فمن يخاف الله تعالى، وأكثرهم تقية وخشية منه، فإن من يخاف الله إن أحبها بالغ في إكرامها، وإن لم يحبها تحرج من ظلمها، فاستحسنا ذلك وأثبتناه ثم قال: لا تنسبوا هذا إلي، إنما هذا قول الحسن.

قال: وشبيه هذه الحكاية: أن رجلاً وقف على الحسن فقال: علمني ما يقربني إلى الله تعالى وإلى الناس، قال: أما ما يقربك إلى الله فمسألته. وأما ما يقربك إلى الناس فترك مسألتهم. وقال: وتأخر بعض أصحابه

عن مجلسه في يوم السبت، وكان يرعى حق أبيه فيه، لأنه كان وجيهاً شريفاً، فلما كان يوم الأحد قال له: ما الذي أخرك؟ فأشار إلى شرب الدواء، ولأجله تأخر عن المجلس، فأنشدنا:

لنعم اليوم يوم السبت حقاً | لصيد إن أردت بلا افتراء
وفي الأحد البناء فإن فيه | تبدى الله في خلق السماء
وفي الإثنين إن سافرت حقاً | يكون الأوب فيه بالنماء
وإن ترم الحجامة فالثلاثا | ففي ساعاته درك الشفاء
وإن شرب امرء يوماً دواء | فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج | ففيه الله آذن بالقضاء
ويوم الجمعة التزويج فيه | ولذات الرجال مع النساء

قال: ولما قبل ابن معروف شهادته، عاتبه على ذلك بعض المختصين به وقال: أيها الشيخ، إنك إمام الوقت وعين الزمان، والمنظور إليه والصدر، وإذا حضرت محفلاً كنت البدر، قد اشتهر ذكرك في الأقطار والبلاد، وانتشر علمك في كل محفل وناد، والألسنة مقرة بفضلك، فما الذي حملك على الانقياد لاب معروف واختلافك إلى مجلسه، وصرت تابعاً بعد أن كنت متبوعاً، ومؤتمراً بعد أن كنت آمراً، وضعت من قدرك، وضيعت كثيراً من حرمتك، وأنزلت نفسك منزلة غيرك، وما فكرت في عاقبة أمرك، ولا شاورت أحداً من صحبك. فقال: اعلموا أن هذا القاضي سبب اكتساب ذكر جميل، وصيت حسن، ومباهاة ومنافسة لأقرانه وإخوانه، ومع ذلك له من السلطان منزلة. وبلغني أنه يستضيء برأيه، ويعده من جملة ثقاته وأوليائه، وعرض بي، وصرح في الأمر مرة بعد أخرى، وثانية عقب أولى، فلم أجب إليه، ولم أسلس قيادي له، فخفت مع كثرة الخلاف اعتمادي بما أستضر به وينتفع به غيري. وإذا اتفق أمران، فاتباع ما هو أسلم جانباً وأقل غائلة أولى. وقد كان الآن ما كان، والكلام فيه ضرب من الهذيان. فلما كان بعد هذا بأيام، ورد عليه من آمد صاحب لأبي العباس بن ماهان بكتاب يهنئه فيه بما تلبس به من العدالة، وكان الكتاب يشتمل على كلمات وجيزة، وألفاظ حسنة، ومعان منتقاة. وكان أبو العباس هذا من أصحاب أبي سعيد، وممن لازمه سنين عدة، وعلق عنه على ما ذكره الشاشي، زهاء عشرة آلاف ورقة من شرحه لكتاب سيبويه وغيره، درساً ومذاكرة. وكانت له أيضاً بضاعة قوية في علم الهيئة، وبصر تام بمذهب الكوفيين في النحو، حتى ما كان يطاق وكان من أصدر الكتاب على يده رجلاً كردياً، عليه جبة ثقيلة فوقها صناعة عظيمة، قد أضرت به شمس الهواجر، ومقاساة السفر، وقطع المهامه والمفاوز. وكان الشيخ يبين لبعض أصحابه الفرق في قوله تعالى: "مثل ما أنكم تنطقون". والاحتجاج عمن نصبه ورفعه،

والكردي ما يفهم منه القليل ولا الكثير، ثم التفت إلى أبي سعيد وقال: يا شيخ، في أي شيء أنت؟ وفي ماذا تتكلم؟ فقال: أتكلم في شيء لا يعرفه كل أحد، ولا يتصوره كثير من الناس. قال: ففسره لي لعلي أفهمه. قال: لا يكو ذلك أبداً. قال: أنت عالم، ومن اقتبس منك علماً لزمك الجواب. فقال له: عليك بمجلس يجري فيه حديث الفرض والنفل والسنن وظواهر أمر الشريعة لتستفيد منه، وتنتفع به. فأخذ الكردي في المطاولة، وإيراد الهذيان وما لا محصول له. وسكت عنه أبو سعيد، وصمت هو أيضاً. وجعل أبو سعيد على عادته، يبين ويوضح ويتكلم، وينثر الدر ولا يهدأ ولا يفتر لسانه، ولا يجف ريقه.

والكردي ملازمه، وكأنه كالمتبرم به، والمستثقل لجلوسه، وملازمته إياه إلى أن قام ومضى.

ثم قال أبو سعيد: ما ظننت أن ثقيلاً تمكن من أحد تمكن هذا منا اليوم، وإن ألم ثقله خلص إلى الروح والبدن كما خلص إلي، لقد هممت تارة بضربه فقلت: ربما ضربني أيضاً، ثم هممت بالقيام فقلت: ضرب من الخرق، ثم كدت أصيح فقلت: نوع من الجنون، ثم بقيت أدعو سراً، وأرغب إلى الله تعالى في صرفه، فتفضل الله الكريم علي بذلك، ومع هذه الحالة، لم تزل أبيات محمد بن المرزبان تتردد بين لهاتي ولساني.

فقلنا له: وما الأبيات؟ فقال:

يا شقيق الرصاص والجبل ... وقريع الأيام في الثل

أرح حياتي فقد هجمت على ... نفسي وأشرفت بي على أجلي

والله لو كنت والداً حدباً ... وكنت تحيي الأموات في المثل

وتمزج الثلج في العساس لدى ال ... قيظ وعند الشتاء بالعسل

رحلت عن ذاك عند آخره ... واخترت ألا أراك في الرحل

فخذ طريفي وتالدي فإذا ... لم يبق شيء فخذ إذاً سملي

وارحل إلى الظلمة التي ذكرت ... من خلف قاف يا شر مرتحل

قال: وكان قد ظهر بالعراق رجل من الجراد، فأضرت بالزروع والأثمار، وغلت الأشعار، وأثر في أحوال الاس. فحضرنا مجلس أبي سعيد السيرافي، وكل منا شكا حاله، وذكر خلته، وكان فينا رجل مزارع، ذكر أنه زرع بنواحي النهروان أربعة آلاف جريب ملكاً وضماناً وإجارة رجاء الفائدة، وقد أتى عليها الجراد، وهلك ذلك الرجل لأجله.

ثم قال أبو سعيد: لا يهولنك أمرها، فإنها جند من جنود الله مأمور. بلغنا أن جرادة سقطت بين يدي عبد الله بن عباس، فأخذها ونشر جناحها وقال: أتعلمو ما هو مكتوب عليها؟ قالوا لا، قال: مكتوب عليها: أنا مغلي الأسعار، مع تدفق الأنهار. وأورد في ذكر الجراد ما حير الناظري، ثم قال: ومن أحسن ما

وصف به الجراد، قول بعض الخطباء حيث يقول: إن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً وسماها جراداً، وألبسها أجلاداً، وجندها أجناداً، وأدمجها إدماجاً، وكساها من الوشي ديباجاً، وجعل لها ذرية وأزواجاً، إذا أقبلت خلتها سحاباً أو عجاجاً، وإذا أدبرت حسبتها قوافل وحجاجاً، مزخرفة المقاديم، مزبرجة المآخير، مزقة الأطراف، منقطعة الأخفاف، منمنمة الحواشي، منمقة الغواشي، ذات أردية مزعفرة، وأكسية معصفرة، وأخفية مخططة. معتدلة قامتها، مؤتلفة خلقتها، مختلفة حليتها، موصولة المفاصل، مدرجة الحواصل، تسعى وتحتال، وتميس وتختال، وتطوف وتجتال، فتبارك خالقها، وتعالى رازقها، من غير حاجة منه إليها، رحمة منه عليها، أوسعها رزقاً، وأتقنها خلقاً، وفتق منها رتقاً. ووشج أعراقها، وألجم أعناقها، وطوقها أطواقها، وقسم معايشها وأرزاقها، تنظر شزراً من ورائها، وترقب النازل من سمائها، وتحرس الدائر من حولها. سلاحها عتيد، وبأسها شديد، ومضرتها تعديد تدب على ست وتطير، فسبحان من خلقها خلقاً عجيباً، وجعل لها من كل ثمر وشجر نصيباً، وجعل لها إدباراً وإقبالاً، وطلباً واحتيالاً، حتى دبت ودرجت، وخرجت ودخلت، ونزلت وعرجت، مع المنظر الأنيق، والعصب الدقيق، والبدن الرقيق "هذا خلق الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه".

ثم قال: وماذا تقولون في طير؟ إذا طار بسط، وإذا دنا من الأرض لطع، رجلاه كالمنشار، وعيناه كالزجاج. عينه في جنبه، ورجله أطول من قامته، ألا وهي الجرادة. ثم قال: وأحسن منه: جيدها كجيد البقر، ورأسها كرأس الفرس، وقرنها كقرن الوعل، ورجلها كرجل الحمل، وبطنها كبطن الحية، تطير بأربعة أجنحة، وتأكل بلسانها، فتبارك الله ما أحسنها! وأحس ما فيها: أنها طعام طاهر حياً وميتاً، ونقل تجدب أقواماً وتخصب آخرين. فقلنا له: ما معنى قولك تجدب أقواماً وتخصب آخرين؟ قال: إنها إذا حلت البوادي والفيافي ومواضع الرمال، فهي خصب لهم وميرة، وإذا حلت بمأوى الزرع والأشجار فهي تجدب، لأنها تأتي على الشوك والشجر، والرطب واليابس، فلا تبقي ولا تذر.

قال: وقال أيضاً في تضاعيف كلامه: خادم الملك لا يتقدم في رضاه خطوة، إلا استفاد بها قدمة وحظوة.

قال: وما رأيت أحداً من المشايخ كان أذكر لحال الشباب، وأكثر تأسفاً على ذهابه منه، فإنه إذا رأى أحداً من أقرانه قد عالجه الشيب تسلى به، ولم يزل يسأله عن حاله، كانت في أيام الشباب وزمن الصبا. وإذا ذكر بين يديه ما يتعلق بالشيب والشباب، بكى وجداً وحن، وشكا وأن، وتذكر عهد الشباب. وكان كثيراً ما ينشد مقطعات محمود الوراق في الشيب ويبكي عليها. وأنشد يوماً:

فإن يكن المشيب طرا علينا ... وولى بالبشاشة والشباب

فإني لا أعاقبه بشيء ... يكون على أهون من خضاب

رأيت بأن ذاك وذا عذاب فينتقم العذاب من العذاب

قال: وأنشدنا لمحمود الوراق في الشيب وعيناه تدمعان:

ولو أن دار الشيب قرت بصاحب على ضيقها لم نبغ داراً بداره

ولكن هذا الشيب للموت رائد يخبرنا عنه بقرب مزاره

قال أبو حيان: وكان أبو سعيد يفتي على مذهب أبي حنيفة وينصره، فجرى حديث تحليل اتلنبيذ عنده، فقال له بعض الخراسانيين: أيها الشيخ، دعنا من حديث أبي حنيفة وقول الشافعي. ما ترى أنت في شرب النبيذ والقدر الذي لا يسكر ويسكر؟ فقال: أما المذهب فمعروف لا عدول عنه، وأما الذي يقتضيه الرأي ويجبه العقل، ويلزم من حيث الاحتياط، والأخذ بالأحسن والأولى، فتركه والعدول عنه.

فقال له: بين لنا – عافاك الله –. فقال: العم أنه لو كان المسكر حلالاً في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لكان يجب على العاقل رفضه وتركه، بحجة العقل والاستحسان. فإن شاربه محمول على كل معصية، مدفوع إلى كل بلية، مذموم عند كل ذي عقل ومروءة، يحيله عن مراتب العقلاء والفضلاء والأدباء، ويجعله من جملة السفهاء، ومع ذلك فيضر بالدماغ والعقل، والكبد والذهن، ويولد القروح في الجوف، ويسلب شاربه ثوب الصلاح والمروءة والمهابة، حتى يصير بمنزلة المخبط المخريق والمثبئج، يقول بغير فهم، ويأمر بغير علم، ويضحك من غير عجب، ويبكي من غير سبب، ويخضع لعدوه، ويصول على وليه، ويعطي من لا يستحق العطية، ويمنع من يستوجب الصلة، ويبذر في الموضع الذي يحتاج فيه أن يمسك، ويمسك في الموضع الذي يحتاج فيه أن يبذر، يصير حامده ذاماً، وأفعاله ملاماً، عبده لا يوقره، وأهله لا تقربه، وولده يهرب منه، وأخوه يفزع عنه، يتمرغ في قيئه، ويتقلب في سلحه، ويبول في ثيابه، وربما قتل قريبه، وشتم نسيبه، وطلق امرأته وكسر آلة البيت، ولفظ بالخنى، وقال كل غليظة وفحش، يدعو عليه جاره، ويزرى به أصحابه، عند الله ملوم، وعند الاس مذموم، وربما يستولي عليه في حال سكره مخايل الهموم، فيبكي دماً، ويشق جيبه حزناً، وينسى القريب، ويتذكر البعيد، والصبيان يضحكون منه، والنسوان يفتعلن النوادر عليه. ومع ذلك فبعيد من الله، قريب من الشيطان، قد خالف الرحمن في طاعة الشيطان، وتمكن من ناصيته، وزي في عينه إتيان الكبائر، وركوب الفواحش، واستحلال الحرام، وإضاعة الصلاة، والحنث في الأيمان، سوى ما حل به عند الإفاقة من الندامة، ويستوجب من عذاب الله يوم القيامة.

فقال الرجل: والله إن قولك ووصفك له أعلق بالقلب من كل واضح وبرهان لائح، وحجة وأثر، وقول وخبر. فقال له: لولا ذهاب الوقت لا عوض له، لاستدللت لكل خصلة ذكرتها، ولفظة أوردتها بآية من

كتاب الله، أو خبر مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قلت: إن الألفاظ مشتقة من ذاك مستنبطة منه، ولك الأمر في هذا أظهر وأشهر من أن يبين ويوضح. ولأبي حنيفة مسائل لا أرتضيها له، وقد خالفه فيها أعيان أصحابه، والناقلة لمذهبه، ولكن لكل أريب هفوة، ولكل جواد كبوة، والكلام إذا كثر لا يخلو من الخطإ، والقول إذا تتابع لا يعرى من التناقض، - والله المعين على أمر الدنيا والدين - قال أبو حيان: قال أبو سعيد: دخلت مسجداً بباب الشام يوماً أنظر أبا المنصور العمري فرأيت عربياً قد استلقى ومخلاته تحت رأسه، وهو يترنم بهذه الأبيات بحلق أطيب ما يكون، وصوت أندى ما يسمع:

سماء الحب تهطل بالصدود وعين الحب تأتي بالمنايا وأول من عشقت ظبياً
ونار الحب تحرق من بعيد فتغرسه على قلب عميد له في الصدر قلب من حديد

فقلت له: أعد الأبيات. فقال لي: دخلت علي وشغلتني عما كنت عليه، خلوت بنفسي في هذا المسجد أتمنى أماني دونها خرط القتاد، فأفسدتها علي. فحفظت الأبيات من قوله، وانصرفت وتركته. قال أبو حيان: وأنشدنا أبو سعيد السيرافي:

فكرت في شيب الفتى وشبابه فأيقنت أن الحق للشيب واجب
يصاحبن شرخ الشباب فيقضي وشيبي إلى حين الممات مصاحب

ثم قال: ما رأيت أحداً كان أحفظ لجوامع الزهد نظماً ونثراً، وما ورد في الشيب ولاشباب، من شيخنا أبي سعيد. وذاك أنه كان ديناً، ورعاً تقياً، زاهداً عابداً خاشعاً، له دأب بالنهار من القراءة والخشوع، وورد بالليل من القيام والخضوع، صام أربعين سنة الدهر كله. قال: وقال لي أبو إسحاق المدائني.

ما قرأت عليه خبراً ولا شيئاً قط فيه ذكر الموت والقبر، والبعث والنشور، والحساب والجنة والنار، والوعد والوعيد والعقاب، والمجازاة والثواب، والإنذار، والإعذار، وذم الدنيا وتقلبها بأهلها، وتغيرها على أبنائها، إلا وبكى منها، وجزع عندها، وربما نغص عليه يومه وليلته، وامتنع من عاداته في الأكل والشرب. وكان ينشدنا ويورد علينا من أمثاله، ما كنا نستعين به ونستفيد منه، وما نجعله حظ يومنا. ورأيته يوماً ينشد ويبكي:

حتى الدهر من بعد استقامته ظهري وأفضى إلى تنغيص عيشته عمري
ودب البلى في كل عضو ومفصل ومن ذا الذي يبقى سليماً على الدهر؟

قال: ووصى يوماً بعض أصحابه وكان يقرأ عليه شرح الفصيح لابن درستويه: كن كما قال الخليل بن أحمد: اجعل ما في كتبك رأس مالك، وما في صدرك للتفقه. قال: وأنشدنا:

وذي حيلة للشيب ظل يحوطه ... يقرضه حيناً وحينا ينتف

وما لطفت للشيب حيلة عالم ... من الناس إلا حيلة الشيب ألطف

قال أبو حيان: شكا أبو الفتح القواس إليه طول عطلته، وكساد سوقه، ووقوف أمره، وذهاب ماله، ورقة حاله، وكثرة ديونه وعياله، وتجلف صبيانه، وسوء عشرة أهله معه، وقلة رضاهم به، ومطالبتهم له بما لا يقوم به، وأنه يقع ويقوم، ويدخل كل مدخل، حتى يحصل لنفسه وعياله بعض كفايتهم. فقال له: ثق بالله خالقك، وكل أمرك إلى رازقك وأقلل من شنبك وأجمل في طلبك، واعلم أنك بمرأى من الله ومسمع، قد تكفل برزقك، فيأتيك من حيث لا تحتسبه، وضمن لك ولعيالك قوتهم، فيدر عليك منم حيث لا ترتقبه، وعلى حسب الثقة بالله يكون حسن المعونة، وبمقدار عدولك عن الله إلى خلقه يكون كل المئونة. وأنشد وذكر أنه لبعض المحدثين:

يا طالب الرزق إن الرزق في طلبك ... والرزق يأتي وإن أقللت من تعبك

لا يملكنك لا حرص ولا تعب ... فيسلماك ولا تدري إلى عطبك

إن تخف أسباب هذا الرزق عنك فكم ... للرزق من سبب يغنيك عن سببك

بل إن تكن في أعز العز ذا أرب ... فلا يكن زاد من لم تبل من أربك

لا تعرضن لزاد لست تملكه ... واقنع بزادك أو فاصبر على سغبك

ولست تحمد أن تعزى إلى نشب ... إذا عزيت إلى بخل على نشبك

هب جاهل القوم غرته جهالته ... ألست ذا أدب فاعمل على أدبك؟

لا تكلب على عرض الكرام تعش ... والكلب أحسن حالاً منك في كلبك

ولا تعب عرض من في عرضه جرب ... إلا وأنت نقي العرض من جربك

وإنما الناس في الدنيا ذوو رتب ... فانهض إلى الرتبة العلياء من رتبك

قال أبو حيان: وكان يختلف إلى مجلس أبي سعيد علي ابن المستنير، وكان هذا اب بنت قطرب، وكان أبو سعيد يعرف له تقدمه على كثير من أصحابه، وكان يرجع إلى وطأة خلق وحسن عشرة، وحلاوة كلام وفقر مدقع، وضر ظاهر وحالة سيئة، وأمر مختل ومعيشة ضيقة، وكثرة عيال ومئونة مع نشاط القلب، وثبات النفس وطلاقة الوجه، وكثرة المرح والطرب والارتياح.

وقرأ يوماً على أبي سعيد ديوان المرقش وأخذ خطه بذلك، وعجل الانصراف من عنده. فقال له أبو سعيد: أين عزمت؟ قال: أذهب لأصلح أمر العيال، وأتمحل وأحتال، فدعا له بالرزق والسعة والمعونة والكفاية، وهو مع ذلك ضاحك السن، قرير العين، فلما انصرف. قلنا له: هذا الرجل مع ما فيه، لا يعرف الحزن في وجهه، ولا يشتد همه، ويقدر على دفعه. فالتفت بعضهم فقال: أيها الشيخ: وراءه حال يخفيها عنا، ويطويها منا؟ قال: ما أظن الأمر على ذلك، لكن الرجل عاقل، والعاقل يعلو على همه وحزنه، فيقهرهما بعقله وعلمه، والجاهل يشتد همه وحزنه، ويرى ذلك في وجهه، ولا يقدر على دفعه لجهله. فاستحسنا ذلك وأثبتناه.

قال في كتاب الإمتاع: فقال لي الوزير: أين أبو سعيد من أبي علي؟ وأين علي بن عيسى منهما؟ وأين ابن المارغي أيضاً من الجماعة؟ وكذلك المرزباني وابن شاذا، وابن الوراق واب حيويه. فكان من الجواب: أبو سعيد أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب وأدخل في كل باب، وأخرج من كل طريق، وألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق، وأروى للحديث، وأقضى في الأحكام، وأفقه في الفتوى، وأحضر بركة على المختلفين، وأظهر أثراً في المقتبسة. ولقد كتب إليه نوح بن نصر وكان من أدباء ملوك آل سامان، سنة أربعين وثلاثمائة كتاباً خاطبه فيه بالإمام، وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة الغالب عليها الحرا وما أشبه الحران. وباقي ذلك أمثال مصنوعة على العرب شك فيها فسأله عنها. وكان هذا الكتاب مقروناً بكتاب الوزير البلعمي خاطبه فيه بإمام المسلمين، ضمنه مسائل القرآن وأمثالاً للعرب مشكلة.
وكتب إليه المرزبان بن محمد ملك الديلم من أذربيجان كتاباً خاطبه فيه بشيخ الإسلام، سأل عن مائة وعشرين مسألة أكثرها في القرآ، وباقي ذلك في الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة.
وكتب إليه ابن حترابة من مصر كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الجليل، وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف. وقال لي الدارقطني سنة سبعين: أنا جمعت ذلك لابن حترابة على طريق المعونة.
وكتب إليه أبو جعفر ملك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الفرد. سأل عن سبعين مسألة في القرآن. ومائة كلمة في العربية، وثلاثمائة بيت من الشعر، هكذا حدثني به أبو سليمان، وأربعين مسألة في الأحكام، وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين.
قال الوزير: وهذه المسائل والجوابات عندك؟ قلت نعم: قال: في كم تقع؟ قلت لعلها تقع في الأف وخمسمائة ورقة، لأ أكثرها في الظهور. قال: ما أحوجنا إلى النظر إليها، والاستمتاع بها، والاستفادة منها، وأين الفراغ وأين السكو؟؟ ونحن في كل يوم ندفع إلى طامة تنسى ما سلف، وتوعد بالداهية ثم

قال: صل حديثك. قلت: وأما أبو علي: فأشد تفرداً بالكتاب وأكثر إكباباً عليه، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد وأطرافاً لغيره، وهو متقد بالغيظ على أبي سعيد وبالحسد له. كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره؟ بغريبه وأمثاله، وشواهده وأبياته. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، لأن هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج، ولا لابن السراج ولا لابن درستويه، مع سعة علمهم، وقبض بنانهم.

ولأبي علي أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها و لم يأتل، ولكنه قعد عن الكتاب على النظم المعروف.

وحدثني أصحابنا: أن أبا علي اشتري شرح أبي سعيد بالأهواز - في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين، لاحقاً بالخدمة الموسومة به والندامة الموقوفة عليه - بألفي درهم، وهذا حديث مشهور وإن كان أصحابه يأبون الإقرار به، إلا من يزعم أنه أراد النقض عليه وإظهار الخطإ.

وقد كان الملك السعيد هم بالجمع بينهما فلم يقض له. ذلك، لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة. وأبو علي يشرب ويخالع، وما هذي سجية أهل العلم وطريقة الديانين. وأبو سعيد يصوم الدهر كله، ولا يصلي إلا في الجماعة، ويفتي على مذهب أبي حنيفة، ويلي القضاء سنين، ويتأله ويتحرج، وغيره بمعزل عن هذا، ولولا الإبقاء لأهل العلم لكان القلم يجري بما هو خاف، ويخبر بما هو مجمجم ولكن الأخذ بحكم المروءة أولى، والإعراض عما يوجب اللائمة أحرى، وكان أبو سعيد حسن الخط، ولقد أراده الصيمري أبو جعفر على الإنشاء والتحرير فاستعفى وقال: هذا يحتاج فيه إلى دربة وأنا عار منها، وسياسة وأنا غريب فيها. ومن العناء رياضة الهرم.

وحدثنا النصري أبو عبد الله وكان يكتب النوبة للمهلبي قال: كنت أخط بين يدي الصيمري أبي جعفر محمد بن أحمد بن محمد، فالتمسني يوماً لأ أجيب ابن العميد أبا الفضل عن كتاب فلم يجدني، وكان أبو سعيد السيرافي بحضرته، فظن أنه لفضل العلم أقوم بالجواب من غيره، فتقدم إليه أن يكتب ويجيب، فأطال في عمل نسخة كثر فيها الضرب والإصلاح، ثم أخذ يحرر والصيمري يقرأ ما يكتبه، فوجده مخلفاً لجاري العادة لفظاً، مباياً لمأثوره ترتيباً. قال: ودخلت في تلك الحال فتمثل الصيمري بقول الشاعر:

يا باري القوس برياً ليس يصلحه   لا تظلم القوس أعط القوس باريها

ثم قال لأبي سعيد: خفف عنك أيها الشيخ، وادفع الكتاب إلى أبي عبد الله تلميذك ليجيب عنه، فخجل من هذا القول. فلما ابتدأت الجواب من غير نسخة تحير مني أبو سعيد.

ثم قال للصيمري أيها الأستاذ: ليس بمستنكر ما كان مني، ولا بمستكبر ما كان منه، إن مال الغني لا يصح

في بيت المال إلا بين مستخرج وجهبذ، والكتاب جهابذة الكلام، والعلماء مستخرجوه. فتبسم الصيمري وأعجبه ما سمع وقال: على كل حال ما أخليتنا من فائدة.

وكان أبو سعيد بعيد القرين، لأنه كان يقرأ عليه القرآن والتفسير، والفقه والفرائض، والشروط والنحو، واللغة والعروض، والقوافي والحساب، والهندسة والشعر، والحديث والأخبار، وهو في كل هذا، إما في الغاية وإما في الوسط.

وأما علي بن عيسى: فعلي الرتب في النحو واللغة، والكلام والمطق، ولا عيب به إلا أنه لم يسلك طريق واضع المنطق، بل أفرد له صناعة وأظهر براعة، وقد عمل في القرآن كتاباً نفيساً، هذا مع الدين الثخين، والعقل الرزين.

وأما ابن المراغي: فلا يلحق بهؤلاء مع براعة اللفظ، وسعة الحفظ وقوة النفس، وغزارة النفث، وكثرة الرواية، ومن نظر له في كتاب البهجة عرف ما أقول، واعتقد فوق ما وصفت.

وأما المرزباني وابن شاذان، والقرميسيني وابن الخلال، وابن حيويه: فلهم رواية وجمع، ليس لهم في شيء من ذلك نقط ولا إعجام، ولا إسراج ولا إلجام.

وحدثني الشيخ الإمام علم الدين لاقاسم بن أحمد الأندلسي شيخنا قال: حدثن تاج الدين أبو اليمن زيد ابن الحسن الكدي شيخنا قال: بلغني أن أبا سعيد دخل على ابن دريد وهو يقول: أول من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح

فقال أبو سعيد: يمكن إنشاده على وجه لا يكون فيه إقواء. فقال: وكيف ذلك؟ قال: بأن تنصب بشاشة على التمييز، وترفع الوجه المليح بقل، ويكون قد حذف التنوين لالتقاء الساكنين كما حذف في قوله:

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلاً

وقال أبو حيان: جرى ليلة ذكر أبي سعيد السيرافي في مجلس ابن عباد، وكان ابن عباد يتعصب له ويقدمه على أهل زمانه، ويزعم أنه حضر مجلسه وأبان عن نفسه، وصادف من أبي سعيد بحر علم وطود حلم. فقال أبو موسى الخشكي: إلا أنه لم يعمل في كتاب شرح سيبويه شيئاً، فنظر إليه ابن عباد متنمراً ولم يقل حرفاً، فعجبت من ذلك. ثم إني توصلت ببعض أصحابه، حتى سأل عن حلمه عن أبي موسى مع ذبه عن أبي سعيد فقال: والله لقد ملكني الغيظ عن ذلك الجاهل حتى عزب عي رأيي، ولم أجد في الحال شيئاً يشفي غيظي وغلتي منه، فصار ذلك سبباً لسكوتي عنه، فشابهت الحال الحلم وما كان ذلك حلماً، ولكن

طلباً لنوع من الاستخفاف لائق به. فوالله ما يدري ذلك الكلب ولا أحد ممن خرج من قريته ورقة من ذلك الكتاب. وهل سبق أحد إلى مثله من أول الكتاب إلى آخره، مع كثرة فنونه، وخوافي أسراره؟ وكان أبو موسى هذا من طبرستان، فعد هذا التعصب من مناقب ابن عباد، وحجب أبا موسى بعد ذلك.

ومن عجيب ما مر بي: ما قرأته في كتاب الانتصار المنبي عن فضائل المتنبي، لأبي الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد المغربي راوية المتنبي، وكان قد رد فيه على بعض من زعم أن شعر المتنبي مسروق من أبي تمام والبحتري. وله قصيدة عارض بها بعض قصائد المتننبي، وأخذ المغربي يرد عليه فقال: ورأيته قود استشهد بأبي سعيد السيرافي مؤدب الأمير أبي إسحاق بن معز الدولة أبي الحس بن بويه، وذكر أنه أعطاه خطه بأن قصيدته خير من قصيدة أبي الطيب. قال: ومن جعل الحكم في هذا إلى أبي سعيد؟ إنما يحكم في الشعر الشعراء لا المؤدبة. وبمثل هذا جزت سنة العرب في القديم، كات تضرب للنابغة خيمة من أدم بسوق عكاظ، وتأتي الشعراء من سائر الآفاق فتعرض أشعارها عليه، فيحكم لمن أجاد، وخبره مع حسان وغيره معروف. ولو كان أعلم الناس بالنحو أشعرهم، لكان أبو علي الفسوي أشعر الناس. وما عرف له من ظم بيت ولا أبيات ولا سمع ذلك منه.

وأما إعطاء أبي سعيد خطه، فيوشك أن يكون من جنب ما حدثني به المعروف بابن الخزاز الوراق ببغداد، وأبو بكر القنطري، وأبو الحسين بن الخراساني، وهما وراقان أيضاً من جلة أهل هذه الصنعة: أن أبا سعيد إذا أراد بيع كتاب - استكتبه بعض تلامذته - حرصاً على النفع منه، ونظراً في رق المعيشة. كتب في آخره وإن لم ينظر في حرف منه.

قال الحسن بن عبد الله: قد قرئ هذا الكتاب علي وصح، ليشترى بأكثر من ثمن مثله. قلت: وهذا ضد ما وصفه به الخطيب من متانة الدين، وتأبيه من أخذ رزق على القضاء، وقناعته بما يحصل من نسخه هذه، والله أعلم بما كان.

مناظرة جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي - رحمة الله عليه -

قال أبو حيان: ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى. واختصرتها فقال لي: اكتب هذه المناظرة على التمام، فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه، وبين هذين الشخصين بحضرة أولئك الأعلام، ينبغي أن يغتنم سماعه، وتوعى فوائده، ولا يتهاون بشيء منه. فكتبت: حدثني أبو سعيد بلمع من هذه القصة، فأما علي ابن عيسى النحوي الشيخ الصالح، فإنه رواها مشروحة قال: لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلاثمائة، قال الوزير ابن الفرات

للجماعة وفيهم الخالدي، وابن الإخشيد، والكندي، وابن أبي بشر، وابن رباح، وابن كعب، وأبو عمرو قدامة بن جعفر، والزهري، وعلي بن عيسى ابن الجراح، وأبو فراس، وابن رشيد، وابن عبد العزيز الهاشمي، وابن يحيى العلوي، ورسول بن طنج من مصر، والمرزباني صاحب بني سامان: أريد أن ينتدب منكم إنسان لمناظرة متى في حديث المنطق فإنه يقول: لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل، والصدق من الكذب، والخير من الشر، والحجة من الشبهة، والشك من اليقين، إلا بما حويناه من المنطق، وملكناه من القيام عليه، واستفدناه من مواضعه على مراتبه وحدوده، واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه، فأحجم القوم وأطرقوا فقال ابن الفرات: والله إن فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته، وكسر ما يذهب إليه، وإني لأعدكم في العلم بحاراً، وللدي وأهله أنصاراً، وللحق وطلابه مناراً، فما هذا التغامز والتلامز اللذان تجلون عنهما؟. فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه وقال: اعذر أيها الوزير، فإن العلم المصو في الصدور، غير العلم المعروض في هذا المجلس على الأسماع المصيغة، والعيون المحدقة، والعقول الجامدة، والألباب الناقدة، لأن هذا يستصحب الهيبة والهيبة مكسرة، ويجتلب الحياء، والحياء مغلبة، وليس البراز في معركة غاصة، كالصراع في بقعة خاصة.

فقال ابن الفرات: أنت لها يا أبا سعيد، فاعتذارك عن غيرك، يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار لنفسك راجع على الجماعة بفضلك. فقال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما يأمر به هجنة، والاحتجان عن رأيه إخلاد إلى التقصير، -ونعوذ بالله من زلة القدم، وإياه نسأل حسن التوفيق والمعونة في الحرب والسلم -. ثم واجه متى فقال: حدثني عن المنطق ما تعني به؟ فإنا إذا فهمنا مرادك فيه، كان كلامنا معك في قبول صوابه، ورد خطئه على سنن مرضي، وعلى طريقة معروفة. قال متى: أعني به أنه آلة من الآلات، يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه كالميزان، فإني أعرف به لارجحان من النقصان، والشائل من الجانح.

فقال أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل إن كنا نبحث بالعقل. هبك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن، من لك بمعرفة الموزون؟ أهو حديد أم ذهب، أم شبه أم رصاص؟ وأراك بعد معرفة الوزن فقيراً إلى معرفة جوهر الموزو وإلى معرفة قيمته، وسائر صفاته التي يطول عدها. فعلى هذا لم ينفعك الوز الذي كان عليه اعتمادك، وفي تحقيقه كان اجتهادك إلا نفعاً يسيراً من وجه واحد، وبقيت عليك وجوه، فأنت كما قال الأول: حفظت شيئاً وضاعت منك أشياء وبعد: فقد ذهب عليك شيء ههنا، ليس كل ما في الدنيا يوزن، بل فيها ما يكال، وفيها ما يوزن، وما يذرع، وفيها ما يسمح، وفيها ما يحزر.

وهذا، وإن كان هكذا في الأجسام المرئية، فإنه أيضاً على ذلك في المعقولات المقروءة، والأجسام ظلال العقول، وهي تحكيها بالتبعيد والتقريب مع الشبه المحفوظ، والمماثلة الظاهرة، ودع هذا إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها، وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها، من أين يلزم الترك، والهند، والفرس، والعرب أن ينظروا فيه، ويتخذوه حكماً لهم وعليهم، وقاضياً بينهم، ما شهد له قبلوه، وما أنكره رفضوه؟ قال متى: إنما لزم ذلك، لأن المنطق بحث عن الأغراض المعقولة، والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السانحة، والسوانح الهاجسة، والناس في المعقولات سواء.

ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطبوعات بالعقل، والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة، وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة، في أربعة وأربعة أنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا.

ولقد موهت بهذا المثال، ولكم عادة في مثل هذا التمويه، ولكن ندع هذا أيضاً إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال نعم. قال: أخطأت، قل في هذا الموضع بلى. قال متى: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا.

قال أبو سعيد: فأنت إذاً لست تدعونا إلى علم المنطق، بل إلى تعلم اللغة اليونانية، وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تفي بها، وقد عفت منذ زمان طويل وباد أهلها، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصرفها، على أنك تنقل من السريانية، فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى لغة أخرى عربية؟ قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإ الترجمة قد حفظت الأغراض وأدت المعاني، وأخلصت الحقائق.

قال أبو سعيد: إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت، وقومت وما حرفت، ووزنت وما جزفت، وأنها ما لاتاثت ولا حافت، ولا نقصت ولا زادت، ولا قدمت ولا أخرت، ولا أخلت بمعنى الخاص والعام، ولا بأخص الخاص، ولا بأعم العام، وإن كان هذا لا يكون، وليس في طبائع اللغات ولا مقادير المعاني، فكأنك تقول بعد هذا: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه. قال متى: لا، ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة، والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه، وعن كل ما يتصل به وينفصل عنه، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر، وانتشر ما انتشر، وفشا ما فشا، ونشأ ما نشأ من أنواع العلم، وأصناف الصناعة، و لم نجد هذا لغيرهم.

قال أبو سعيد: أخطأت وتعصبت، وملت مع الهوى، فإن العلم مبثوث في العالم، ولهذا قال القائل:

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الأرض، ولهذا غلب علم في مكان دون مكان، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة. وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة، ومع هذا فإنما كان يصح قولك وتسلم دعواك، لو كانت يونان معروفة بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة، والفطرة الظاهرة، والبنية لامخالفة، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا ما قدروا، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم، والحق تكفل بهم، والخطأ تبرأ منهم، والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم، والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم، وهذا جهل ممن يظنه بهم، وعناد ممن يدعيه عليهم، بل كانوا كغيرهم من الأمم، يصيبون في أشياء ويخطئو في أشياء، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور، ويحسنون في أحوال ويسيئون في أحوال. وليس واضع المنطق يونان بأسرها، إنما هو رجل منهم، وقد أخذ عم قبله، كما أخذ عنه من بعده، وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير. وله مخالفون منهم ومن غيرهم، ومع هذا: فالاختلاف في الراي والنظر، والبحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلحله أو يؤثر فيه، هيهات هذا محال. ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان قبل منطقه، فامسح وجهك بالسلوة عن شيء لا يستطاع، لأنه مفتقد بالفطرة والطباع، وأنت فلو فرغت بالك، وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها، وتجارينا فيها، وتدرس أصحابك بمفهوم أهلها، وتشرح كتب يونان بعادة أصحابها، لعلمت أنك غني عن معاني يوان، كما أنك غني عن لغة يونان وههنا مسألة: أتقول إن الناس عقولهم مختلفة وأنصباؤهم منها متفاوتة؟ قال متى: نعم. قال: وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة أو الاكتساب؟ قال: بالطبيعة. قال: فكيف يجوز أن يكون ههنا شيء يرتفع به الاختلاف الطبيعي، والتفاوت الأصلي؟ قال متى: هذا قد مر في جملة كلامك آنفاً.

قال أبو سعيد: فهل وصلته بجواب قاطع، وبيان ناصع؟ ودع هذا، أسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدل به، وتباهى بتفخيمه، وهو الواو، وما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجه واحد أو وجوه؟ فبهت متى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إلى النحو، وبالنحوي حاجة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عبر النحوي بالمعنى فبالعرض، والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأن المنطق والنحو، واللفظ والإفصاح، والإعراب والبناء، والحديث والإخبار

والاستخبار، والعرض والتمني، والحض والدعاء، والنداء والطلب، كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة. ألا ترى أن رجلاً لو قال: نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح، وأبان المراد ولكن ما أوضح أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ، لكان في جميع هذا مخرفاً ومناقضاً، وواضعاً للكلام في غير حقه، ومستعملاً للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره، والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى، أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان، يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان، لأ مستملي المعنى عقل، والعقل إلهي، ومادة اللفظ طينية، وكل طيي متهافت، وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التي تنتحلها، وآلتك التي تزهى بها، إلا أن تستعير من العربية لها اسماً فتعار، ويسلم لك بمقدار، وإن لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة، واجتلاب الثقة، والتوقي من الخلة اللاحقة لك. قال متى: يكفيني من لغتكم هذه: الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان.

قال أبو سعيد أخطأت: لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وضعها وبنائها، على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، وكذلك أنت محتاج بعد هذا، إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف، فإن الخطأ والتحريف في الحركات، كالخطإ والفساد في المتحركات. وهذا باب أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة، على أن ههنا سراً ما علق بك، ولا أسفر لعقلك، وهو: أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها، بحدود صفاتها في أسمائها وأفعالها، وحروفها وتأليفها، وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها، ونظمها ونثرها، وسجعها ووزنها وميلها، وغير ذلك مما يطول ذكره، وما أظن أحداً يدفع هذا الحكم أو يسأل في صوابه ممن يرجع إلى مسكة من عقل، أو نصيب من إنصاف، فمن أين يجب أن نثق بشيء ترجم لك على هذا الوصف، بل أنت إلى أن تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى أن تعرف المعاني اليونانية، على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية، كما أن الأغراض لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركية. ومع هذا، فإنك تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر، فلم يبق إلا أحكام اللغة، فلم تزرى على العربية؟ وأنت تشرح كتب أرسطاطاليس بها مع جهلك بحقيقتها.

وحدثني عن قائل قال لك: حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث عنها، حال قوم كانوا قبل واضع المنطق، أنظر كما نظروا، وأتدبر كما تدبروا، لأن اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة، والمعاني نقرت عنها بالنظر والرأي، والاعتقاب والاجتهاد، ما تقول له؟ لا يصح له هذا الحكم، ولا يستتب هذا الأمر، لأنه لم

يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفتها أنت، ولعلك تفرح بتقليدك وإن كان على باطل، أكثر مما يفرح باستبداده وإ كان على حق، وهذا هو الجهل المبين، والحكم غير المستبين، ومع هذا فحدثني عن الواو ما حكمه؟ فإني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئاً، وأن تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها إلى الحكمة اليونانية، ومن جهل حرفاً واحداً أمكن أن يجهل آخر أو اللغة بكمالها، وإن كان لا يجهلها كلها وإنما يجهل بعضها، فلعله يجهل ما يحتاج إليه ولا ينفعه فيه علم بما لا يحتاج. وهذه رتبة العامة، أو هي رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير؟ فلم يتأبى على هذا وينكر؟ ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة، وأنه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة، وخفي القياس وصحيح البرهان. وإنما سألتك عن معاني حرف واحد. فكيف لو نثرت عليك الحروف كلها وطالبتك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق، والتي لها بالتجوز؟ وسمعتكم تقولون في لا يعلم النحويون مواقعها، وإنما يقولون: هي للوعاء، كما يقولون: إن الباء للإلصاق. وإن في تقال على وجوه، يقال: الشيء في الوعاء، والإناء في المكان، والسائس في السياسة، والسياسة في السائس. ألا ترى هذا التشقيق هو من عقول يونان، ومن ناحية لغتها، ولا يجوز أن يعقل هذا بعقول الهند، والترك، والعرب، فهذا جهل من كل من يدعيه، وخطل من القول الذي أفاض النحوي إذا قال: في للوعاء فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح، وكنى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل، ومثل هذا كثير، وهو كاف في موضع السكيت.

فقال ابن الفرات: أيها اشيخ الموفق، أجبه بالبيان عن مواقع الواو، حتى تكو أشد في إفحامه، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه، ومع ذلك فهو متشيع له.

فقال أبو سعيد: للواو وجوه ومواقع: منها معنى العطف في قولك: أكرمت زيداً وعمرواً. ومنها القسم في قولك: والله لقد كان كذا وكذا. ومنها الإستئناف كقولك: خرجت وزيد قائم، لأ الكلام بعده ابتداء وخبر، ومنها معنى رب التي هي للتقليل، نحو قوله: وقاتم الأعماق خاوي المخترق. ومنها: أن تكون أصلية في الاسم كقولك: واقد، واصل، وافد. وفي الفعل كقولك: وجل يوجل. ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله تعالى: "فلما أسلما وتله للجبين وناديناه"، أي ناديناه. ومثله قول الشاعر:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى   بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

المعنى انتحى بها. ومنها معنى الحال في قوله عز وجل: "ويكلم الناس في المهد وكهلاً"، أي يكلم الناس حال صغره بكلام الكهل في حال كهولته. ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر كقولك: استوى الماء والخشبة، أي مع الخشبة.

فقال ابن الفرات لمتى. يأبا بشر، أكان هذا في نحوك؟ ثم قال أبو سعيد: دع هذا، ههنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي، ما تقول في قول القائل: زيد أفضل الإخوة؟ قال صحيح. قال: فما تقول إن قال زيد أفضل إخوته؟ قال صحيح. قال: فما الفرق بينهما مع الصحة؟ فبلح وجنح وعصب ريقه.

فقال أبو سعيد: أفتيت على غير بصيرة ولا استبانة. المسألة الأولى: جوابك عنها صحيح، وإن كنت غافلاً عن وجه صحتها. والمسألة الثانية: جوابك عنها غير صحيح، وإن كنت أيضاً ذاهلاً عن وجه بطلانها. قال متى: بين، ما هذا التهجين؟ قال أبو سعيد: إذا حضرت المختلفة استفدت، ليس هذا مكان التدريس، بل هو مجلس إزالة التلبيس، مع من عادته التمويه والتشبيه. والجماعة تعلم أنك أخطأت، فلم تدعى أن النحوي إنما ينظر في اللفظ لا في المعني؟ والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ. هذا كان يصح لو كان المنطقي يسكت ويجيل فكره في المعاني، ويرتب ما يريد في الوهم السياح، والخاطر العارضي، والحدس الطارئ.

وأما وهو يريغ أن يبرز ما صح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر، فلابد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقاً لغرضه، وموافقاً لقصده.

قال ابن الفرات: يا أبا سعيد، تمم لنا كلامك في شرح المسألة، حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس، والتبكيت عاملاً في نفس أبي بشر. فقال: ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا ملل الوزير، فإن الكلام إذا طال مل.

قال ابن الفرات: ما رغبت في سماع كلامك، وبيني وبين الملل علاقة، فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر. فقال أبو سعيد: إذا قلت: زيد أفضل إخوته لم يجز، وإذا قلت: زيد أفضل الإخوة جاز، والفصل بينهما: أن إخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج من جملتهم، دليل ذلك، أنه لو سأل سائل فقال: من إخوة زيد؟ لم يجز أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد، وإنما تقول: بكر وعمرو وخالد، ولا يدخل زيد في جملتهم فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن يكون أفضل إخوته، كما لم يجز أن يكون حمارك أفضل البغال، لأن الحمار غير البغال. كما أن زيداً غير إخوته. فإذ قلت: زيد أفضل الإخوة جاز. لأنه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة. ألا ترى أنه لو قيل من الإخوة؟ عددته فيهم، فقلت زيد وعمرو وبكر وخالد، فيكون بمنزلة قولك: حمارك أفره الحمير. فلما كان على ما وصفنا، جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس فتقول: زيد أفضل رجل، وحمارك أفره حمار، فيدل رجل على الجنس كما دل الرجال، وكما في عشرين درهماً ومائة درهم.

فقال ابن الفرات: ما بعد هذا البيان مزيد، ولقد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الانقياد.

فقال أبو سعيد: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطإ في ذلك وإن زاغ شيء عن النعت، فإنه لا يخلو من أن يكون سائغاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرهم. فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل، فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عليهم، وكل ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع، والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف، وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تعرف ولا تستوضح إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم. فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون، بترجمة أخرى هم فيها ضعفاء ناقصون وجعلوا تلك الترجمة صناعة، وادعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى.

ثم أقبل أبو سعيد على متى فقال: ألا تعلم يا أبا بشر أن الكلام اسم واقع على أشياء قد ائتلفت بمراتب؟ مثال ذلك أنك تقول: هذا ثوب، والثوب يقع على أشياء بها صار ثوباً، ثم به نسج بعد أن غزل، فسداته لا تكفي دون لحمته، ولحمته لا تكفي دون سداته، ثم تأليفه كنسجه، وبلاغته كقصارته، ودقة سلكه كرقة لفظه، وغلظ غزله ككثافة حروفه، ومجموع هذا كله ثوب، ولكن بعد تقدمة كل ما يحتاج إليه فيه.

قال ابن الفرات: سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى، فإن هذا كلما توالى عليه بان انقطاعه، وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره، والحق الذي لا ينصره. قال أبو سعيد: ما تقول في رجل قال: لهذا علي درهم غير قيراط؟ قال متى: مالي علم بهذا النمط. قال: لست ازعاً عنك حتى يصح عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة وزرق، ههنا ما هو أخف من هذا.

قال رجل لصاحبه: بكم الثوبان المصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغين؟ بين هذه المعاني التي تضمنها لفظاً لفظاً. قال متى: لو نثرت أنا أيضاً عليك من مسائل المنطق شيئاً لكان حالك كحالي.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه، فإن كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية أجبت، ثم لا أبالي أن يكون موافقاً أو مخالفاً، وإن كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك، وإن كان متصلاً باللفظ ولكن على موضع لكم في الفساد على ما حشوتم به كتبكم رددته أيضاً، لأنه لا سبيل إلى إحداث لغة مقررة بين أهلها، ما وجدنا لكم إلا ما استعرتم من لغة العرب، كالسبب والآلة، والموضوع والمحمول، والكون والفساد، والعموم والخصوص، وأمثلة لا تنفع ولا تجدي، وهي إلى العي أقرب، وفي الفهاهة أذهب. ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي

مشروحة، وتدعون الشعر ولا تعرفونه، وتدعو الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب، وقد سمعت قائلكم يقول: الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان، فإن كان كما قال، فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب؟، وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان، فهي أيضاً ماسة إلى ما بعد البرهان، وإلا فلم صنف ما لا يحتاج إليه ويستغنى عنه؟ هذا كله تخليط وزرق، وتهويل ورعد وبرق. وإنما بودكم أن تشغلوا جاهلاً، وتستذلوا عزيزاً. وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع، والخاصة والفصل، والعرض والشخص، وتقولوا: الهلية والأيية، والماهية والكيفية والكمية، والذاتية والعرضية، والجوهرية والهيولية، والصورية والإنسية، والكسبية والنفسية ثم تنمطون وتقولو: جئنا بالسحر في قولنا: لا شيء من باء وواو وجيم، في بعض باء وفاء في بعض جيم، وإلا في كل ب و ج في كل ب، فا، إذاً لا في كل ج، وهذا بطريق الخلف، وهذا بطريق الاختصاص، وهذه كلها جزافات وترهات، ومغالق، وشبكات، ومن جاد عقله وحسن تمييزه، ولطف نظره، وثقب رأيه، وأنارت نفسه، استغنى عن هذا كله، بعون الله وفضله. وجودة العقل وحسن التمييز، ولطف النظر وثقوب الرأي، وإنارة النفس من منائح الله الهنية، ومواهبه السنية، يختص بها من يشاء من عباده. وما أعرف لاستطالتكم بالمنطق وجهاً، وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم، وتتبع طريقكم، وبين خطأكم، وأبرز ضعفكم، و لم تقدروا إلى اليوم أ تردوا عليه كلمة واحدة مما قال، وما زدتم على قولكم: لم يعرف أغراضنا، ولا وقف على مرادنا، وإنما تكلم على وهم، وهذا منكم لجاجة ونكول، ورضىً بالعجز والكلول، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض. هذا قولكم في فعل وينفعل، و لم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما، و لم تقفوا على مقاسمهما، لأنكم قنعتم فيهما بوقوع الفعل من يفعل، وقبول الفعل من ينفعل، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم، ومعارف ذهبت عنكم، وهذا حالكم في الإضافة.

فأما البدل ووجوهه، والمعرفة وأقسامها، والنكرة ومراتبها، وغير ذلك مما يطول ذكره، فليس لكم فيه قال ولا مجال، وأنت إذا قلت لإنسان: كن منطقياً فإنما تريد: كن عقلياً أو عاقلاً، أو اعقل ما تقول، لأن أصحابك يزعمون أن المنطق هو العقل، وهذا قول مدخول، لأن المنطق على وجوه أنتم منها في سهو. وإذا قال لك آخر: كن نحوياً لغوياً فصيحاً، فإنما يريد: افهم عن نفسك ما تقول، ثم رم أن يفهم عنك غيرك، وقدر اللفظ على المعنى فلا ينقص عنه. هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به، فأما إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد، فاجل اللفظ بالروادف الموضحة، والأشباه المقربة، والاستعارات الممتعة، وسدد المعاني بالبلاغة، أعني لوح منها شيئاً حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه، عز وجل، وكرم وعلا، واشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمترى فيه، أو

يتعب في فهمه، أو يترح عنه لاغتماضه، فبهذا المعنى يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشباه الحقائق، وهذا باب إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس، على أني لا أدري، أيؤثر ما أقول أم لا؟ ثم قال: حدثنا، هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين، أم رفعتم الخلاف بين اثنين؟؟ أتراك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه، والحق ما تقوله؟ هيهات، ههنا أمور ترفع عن دعوى أصحابك وهذياهم، وتدق عن عقولهم وأذهانهم، ودع هذا. ههنا مسألة قد أوقعت خلافاً، فارفع ذلك الخلاف بمنطقك. قال قائل: لفلان من الحائط إلى الحائط. ما الحكم فيه وما قدر المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس: له الحائطان معاً وما بينهما. وقال آخرون: له النصف من كل منهما. وقال آخرو: له أحدهما. هات الآن آيتك الباهرة، ومعجزتك القاهرة، وأنى لك بهما؟ وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك. ودع هذا أيضاً. قال قائل: من الكلام ما هو مستقيم حسن، ومنه ما هو مستقيم كذب، ومنه ما هو خطأ، فسر هذه الجملة.

واعترض عليه عالم آخر فاحكم أنت بين القائل والمعترض، وأرنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب، وبين الحق والباطل. فإن قلت: كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعت مقالته، والآخر لم أحصل على اعتراضه؟. قيل لك: استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتملاً له، ثم أوضح الحق منهما، لأ الأصل مسموع لك حاصل عندك. وما يصح به أو يطرد عليه يجب أن يظهر منك، فلا تتعاسر علينا، فإن هذا لا يخفى على أحد من الجماعة، فقد بان الآن أن مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل.

والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أي لغة كان، أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سوراً، ولا يدع شيئاً من داخله أن يخرج، ولا شيئاص من خارجه أن يدخل، خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد، أعني أن ذلك يخلط الحق بالباطل، ويشبه الباطل بالحق، وهذا الذي وقع الصحيح منه في الأول قبل وضع المنطق، وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق، وأنت لو عرفت العلماء والفقهاء ومسائلهم، ووقفت على غورهم في فكرهم، وغوصهم في استنباطهم، وحسن تأويلهم لما يرد عليهم، وسعة تشقيقهم للوجوه المحتملة، والكنايات المفيدة، والجهات القريبة والبعيدة، لحقرت نفسك، وازدريت أصحابك، ولكان ما ذهبوا إليه وتتابعوا عليه، أقل في عينك من السها عند القمر، ومن الحصا عند الجبل. أليس الكندي وهو علم من أصحابكم، يقول في جواب مسألة: هذا من باب عدة. فعد الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوهم بلا ترتيب، حتى وضعوا له مسائل من هذا، وغالطوه بها، وأروه من الفلسفة الداخلة، فذهب عليه ذلك الوضع، فاعتقد أنه مريض العقل، فاسد المزاج، حائل الغريزة، مشوش اللب، قالوا له: أخبرنا عن اصطكاك الأجرام وتضاغط الأركان، هل يدخل في باب وجوب الإمكان، أو يخرج من باب الفقدان إلى ما يخفى عن الأذهان؟.

وقالوا له أيضاً: ما تشبيه الحركات الطبيعية إلى الصور الهيولانية؟ وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان، أو مزايلة له على غاية الإحكام؟ ما تأثير فقدان الوجدان في عدم الإمكان، عند امتناع الواجب من وجوبه، في ظاهر ما لا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله. وعلى هذا، فقد حفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الركاكة، والضعف والفساد، والفسالة والسخف، ولولا التوقي من التطويل، لسردت ذلك كله. ولقد مر بي في خطة: التفاوت في تلاشي الأشياء غير محاط به، لأنه يلاقي الاختلاف في الأصول، والاتفاق في الفروع. وكل ما يكون على هذا النهج، فالنكرة تزاحم عليه المعرفة، والمعرفة تناقض النكرة، على أن النكرة والمعرفة من باب الألسنة العارية من ملابس الأسرار الإلهية، لا من باب الإلهية العارضة في أحوال السرية. ولقد حدثني أصحابنا الصابئون عنه بما يضحك الثكلى، ويشمت العدو، ويغم الصديق، وما ورث هذا كله إلا من بركات اليونان وفوائد الفلسفة والمنطق. ونسأل الله عصمة وتوفيقاً نهتدي بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل، والفعل الجاري على التعديل - إنه سميع مجيب -.

قال أبو حيان: هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسي اشيخ الصالح بإملائه، وكان أبو سعيد روى لمعاً من هذه القصة، وكان يقول: لم أحفظ على نفسي كل ما قلت، ولكن كتب ذلك القوم الذي حضروا في ألواح كانت معهم ومحابر أيضاً، وقد اختل كثير منه.

قال علي بن عيسى: وتقوض المجلس، وأهله يتعجبون من جأش أبي سعيد ولسانه المتصرف، ووجهه المتهلل، وفوائده المتتابعة. وقال له الوزير ابن الفرات: عين الله عليك أيها الشيخ، فقد نديت أكباداً، وأقررت عيوناً، وبيضت وجوهاً، وحكت طرازاً لا تبليه الأزمان، ولا يتطرقه الحدثان.

قال: قلت لعلي بن عيسى: وكم كان سن أبي سعيد يومئذ؟ قال: مولده سنة ثمانين ومائتين، وكان له يوم المناظرة أربعون سنة، وقد عبث الشيب بلهازمه، هذا مع السمت والوقار، والدين والجد، وهذا شعار أهل الفضل والتقدم، وقل من تظاهر وتحلى بحليته إلا جل في العيون، وعظم في الصدور والنفوس، وأحبته القلوب، وجرت بمدحه الألسنة. وقلت لعلي بن عيسى، أكان أبو علي الفسوي حاضراً في المجلس؟ قال: لا، كان غائباً وحدث بما كان. وكان الحمد لأبي سعيد على ما فاز به من هذا الخبر المشهور، والثناء المذكور.

قال أبو حيان: وقال لي الوزير عند منقطع هذا الحديث: ذكرتني شيئاً كان في نفسي، وأحببت أن أسألك عنه وأقف عليه، أين أبو سعيد من أبي علي؟ وأين علي بن عيسى منهما؟ وأين المراغي أيضاً من الجماعة؟ وكذلك المرزباني وابن شاذان؟ وابن الوراق وابن حيويه؟ فكان من الجواب ما تقدم ذكره.

ونظير خبر أبي سعيد مع متى، خبره أيضاً مع أبي الحسن العامري الفيلسوف النيسابوري، ذكره أبو حيان

أيضاً قال: لما ورد أبو الفتح بن العميد إلى بغداد، وأكرم العلماء استحضرهم إلى مجلسه، ووصل أبا سعيد السيرافي، وأبا الحسن علي بن عيسى الرماني بمال، كما ذكرنا في باب أبي الفتح علي بن محمد ابن العميد.
قال أبو حيان: انعقد المجلس في جمادى الأولى سنة أربع وستين وثلاثمائة، وغص بأهله، فرأيت العامري وقد انتدب فسأل أبا سعيد السيرافي فقال: ما طبيعة الباء من بسم الله؟ فعجب الناس من هذه المطالبة، ونزل بأبي سعيد ما كاد به يشك فيه، فأنطقه الله بالسحر الحلال، وذلك أنه قال: ما أحسن ما أدبنا به بعض الموفقين المتقدمي!. فقال:

وإذا خطبت على الرجال فلا تكن ... خطل الكلام تقوله مختالا
واعلم بأن مع السكوت لبابة ... ومن التكلم ما يكون خبالا

والله يا شيخ، لعينك أكبر من فرارك، ولمرآك أوفى من دخلتك، ولمنشورك أبين من منظومك، فما هذا الذي طوعت له نفسك، وسدد عليه رأيك؟ إني أظن أن السلامة بالسكوت تعافك، والغنيمة بالقول ترغب عنك، والله المستعان. فقال ابن العميد، وقد أعجب بما قال أبو سعيد:

فتى كان يعلو مفرق الحق قوله ... إذا الخطباء الصيد عضل قيلها
جهير وممتد العنان مناقد ... بصير بعورات الكلام خبيرها

وقوله:

القائل القول الرفيع الذي ... يمرع منمه البلد الماحل

والتفت إلى العامري فقال:

وإن لساناً لم يعنه لبابه ... كحاطب ليل يجمع الرذل حاطبه
وذي خطل بالقول يحسب أنه ... مصيب فما يلمم به فهو قائله
وفي الصمت ستر للغبي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما
وفي الصمت ستر وهو أولى بذي الحجى ... إذا لم يكن للنطق وجه ومذهب

ثم أقبل على ابن فارس معلمه فقال: لسنا من كلام أصحابك في الفريضة.
قال أبو حيان: فلما خرجنا قلت لأبي سعيد: أرأيت أيها الشيخ ما كان من هذا الرجل الخطير عندنا؟ الكبير في أنفسنا، قال: ما دهيت قط بمثل ما دهيت به اليوم، لقد جرى بيني وبين أبي بشر صاحب شرح كتاب المنطق سنة عشرين وثلاثمائة، في مجلس أبي جعفر ابن الفرات مناظرة، كانت هذه أشوس وأشرس منها.

الحسن بن عبد الله بن سعيد،

ابن زيد بن حكيم العسكري، أبو أحمد اللغوي العلامة. مولده يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال، سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ومات سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة. قال السلفي الحافظ: على ما سمعت أبا عامر غالب بن علي بن غالب الفقيه الأستراباذي بقصر روناش يقول: رأيت بخط أبي حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان اللغوي العسكري مكتوباً: توفي أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري يوم الجمعة، لسبع خلون من ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.

قال مؤلف الكتاب: وطال تطوافي وكثر تسآلي عن العسكريين، أبي أحمد وأبي هلال، فلم ألق من يخبرني عنهما بجلية خبر، حتى وردت دمشق في سنة اثنتي عشرة وستمائة في جمادى الآخرة، ففاوضت الحافظ تقي الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن الأنماطي، النضاري المصري، – أسعده الله بطاعته فيهما – فذكر لي أن الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السلفي الأصبهاني لما ورد إلى دمشق، سئل عنهما فأجاب فيهما بجواب لا يقوم به إلا مثله من أئمة العلم، وأولي الفضل والفهم، فسألته أن يفيدني في ذلك ففعل متفضلاً، فكتبته على صورة ما أورده السلفي غير المولد والوفاة، فإنه كان في آخر أخبار أبي أحمد، فقدمته على عادتي. وأخبرني بذلك عن السلفي جماعة: منهم الأسعد محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الله العامري المقدسي، والنبيه أبو طاهر إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاعري، وغيرهما إجازة: قال أبو طاهر السلفي: دخل إلى الشيخ الأمين أبو محمد هبة الله بن أحمد بن الأكفاني بدمشق، سنة عشرة وخمسمائة، وجرى ذكر أبي أحمد العسكري، فذكرت فيه ما يحتمل الوقت، وبعد خروجه كتبت إليه بعد البسملة: أما بعد حمد الله العي، والصلاة على المصطفى النبي، فقد جرى اليوم ذكر الشيخ المرضي، أبي أحمد العسكري، وأنشدت للصاحب الكافي لله شعراً، خاله سيدي سحراً، ورام – حرس الله نمته، وكبت بالذل عندته – إثباته بتمامه، فاشتغلت به بعد نهوضه وقيامه، وأضفت إليه وإلى ذكر الشيخ أبي أحمد زيادة تعريف ليقف على جلية حاله، كأنه ينظر إليه نم وراء ستر لطيف. فليعلم – أطال الله لكافة الأنام بقاءه، ولا سلبهم ظله وبهاءه –: أن الشيخ أبا أحمد هذا، كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع الفنون، والتبحر في فنو الفهوم، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف. ومن جملته: كتاب صناعة الشعر رأيته، كتاب الحكم والأمثال، كتاب راحة الأرواح، كتاب الزواجر والمواعظ، كتاب تصحيح الوجوه والنظائر. وكان قد سمع ببغداد والبصرة وأصبهان وغيرها من شيخته، وفي عدادهم أبو القاسم البغوي، وابن أبي داود السجستاني، وأكثر عنهم وبالغ في الكتابة، وبقي حتى علا به السن، واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان، وانتهت إليه رياسة التحديث، والإملاء للآداب والتدريس، بقطر خوزستان. ورحل الأجلاء إليه للأخذ عنه، والقراءة عليه. وكان يملي بالعسكر، وتستر ومدن ناحيته: ما يختاره من عالي روايته عن متقدمي شيوخه. ومنهم أبو محمد عبدان الأهوازي، وأبو بكر

بن دريد، ونفطويه، وأبو جعفر ابن زهير ونظراؤهم.

ومن متأخري أصحابه الذين رووا عنه الحديث ومتقدميهم أيضاً فإني ذكرهم على غير رتبهم كما جاء لا كما يجب: أبو عباد الصائغ التستري، وذو النون بن محمد، والحسين بن أحمد الجهرمي، وابن العطار الشروطي الأصبهاني، وأبو بكر أحمد بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف باليزدي، وأبو الحسين علي بن أحمد بن الحسن البصري المعروف بالنعيمي الفقيه الحافظ، وأبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقرئ الأهوازي نزيل دمشق، إلا أنه قد انقلب عليه اسمه فيقول في تصانيفه: أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن الحسن بن سعيد النحوي بعسكر مكرم قال: أخبرنا محمد بن جرير الطبري ونميره، وهو الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري لا عبد الله بن الحسن: وقد روى عنه أبو سعد أحمد بن محمد بن عبد الله بن الخليل الماليني، وأبو الحسين محمد ابن الحسن بن أحمد الأهوازي شيخاً أبي بكر الخطيب الحافظ البغدادي، وخلق سواهم لا يحصون كثرة، لم أثبت اسماءهم احترازاً من وهم ما، واحتياطاً لبعد العهد بروايات تلك الديار. والنعيمي والأهوازي روى عنهما الخطيب أيضاً، وكذلك روى عن أبي نعيم الأصفهاني الحافظ. وقد روى أبو نعيم عن أبي أحمد كثيراً.

وممن روى عن أبي أحمد من أقران أبي نعيم: أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الوادعي، وعبد الواحد بن أحمد ابن محمد الباطرقاني، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن زنجويه الأصفهانيون، وأبو عبد الله محمد بن منصور بن جيكان التستري، والقاضي أبو الحسن علي بن عمر بن موسى الأيذجي، وأبو سعيد الحسن بن علي بن بحر السقطي التستري.

وروى عنه ممن هو أكبر من هؤلاء سناً وأقدم موتاً: أبو محمد خلف بن محمد بن علي الواسطي، وأبو حاتم محمد بن عبد الواحد الرازي المعروف باللبان، وهما من حفاظ الحديث.

وقد روى عنه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي بخراسان بالأجازة، وكذلك القاضي أبو بكر بن الباقلاني المتكلم بالعراق، وقد وقع حديثه لي عالياً من طرق عدة. فمن ذلك حكاية رأيتها الآن معي في جزء من تخريجي بخطي وهي: أخبرنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن أحمد الصيرفي ببغداد، حدثنا الحسن بن علي بن أحمد التستري من لفظه بالبصرة، حدثنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري إملاء بتستر، حدثنا العباس ابن الوليد بن شجاع بأصبهان، حدثنا محمد بن يحيى النيسابوري حدثنا محمد بن عمرو بن مكرم، حدثني عتبة بن حميد قال: قال بشر بن الحارث لما ماتت أخته: إذا قصر العبد في طاعة ربه سلبه أنيسه. قال أبو أحمد العسكري في كتاب شرح التصحيف من تصنيفه، وقد ذكر ما يشكل ويصحف من أسماء الشعراء فقال: وهذا باب صعب لا يكاد يضبطه إلا كثير الرواية، غزير

الدراية.

وقال أبو الحسن علي بن عبدوس الأرجاني – رحمه الله – وكان فاضلاً متقدماً وقد نظر في كتابي هذا، فلما بلغ إلى هذا الباب قال لي: كم عدة أسماء الشعراء الذين ذكرتهم. قلت: مائة ونيف. فقال: إني لأعجب كيف استتب لك هذا؟! فقد كنا ببغداد والعلماء بها متوفرون. وذكر أبا إسحاق الزجاج، وأبا موسى الحامض، وأبا بكر الأنباري، واليزيدي، وغيرهم. فاختلفنا في اسم شاعر واحد وهو حريث بن مخفض، وكتبنا أربع رقاع إلى أربعة من العلماء، فأجاب كل واحد منهم بما يخالف الآخر. فقال بعضهم: مخفض بالخاء والضاد المعجمتين. وقال بعضهم: محفص بالحاء والصاد غير معجمتين، وقال آخر: ابن مخفض. فقلنا: ليس لهذا إلا أبو بكر بن دريد، فقصدناه في مترله وعرفناه ما جرى.

فقال ابن دريد: أين يذهب بكم؟ هذا مشهور، هو حريث بن محفض بالحاء غير معجمة مفتوحة والفاء مشددة والضاد منقوطة، هو من بني تميم، ثم من بني مازن بن عمرو بن تميم وهو القائل:

ألم تر قومي إن دعوا لملمة أجابوا، وإن أغضب على القوم يغضبوا

هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً لقومي أخرى مثلها إن تغيبوا

بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

وتمثل الحجاج بهذه الأبيات على منتزه فقال: أنتم يأهل الشاعم كما قال حريث بن محفض – وذكر هذه الأبيات – فقام حريث بن محفض فقال: أنا والله حريث ابن محفض. قال: فما حملك أن سابقتني؟ قال: لم أتمالك إذ تمثل الأمير بشعري حتى أعلمته مكاني.

ثم قال أبو الحسن بن عبدوس: فلم يفرج عنا غيره. قال أبو أحمد: واجتمع يوماً في مترلي بالبصرة أبو رياش وأبو الحسين بن لنكك – رحمهما الله – فتقاولا، فكان فيما قال أبو رياش لأبي الحسين: أنت كيف تحكم على الشعر والشعراء وليس تفرق بين الزفيان والرقبان؟ فأجاب أبو الحسين و لم يقنع ذاك أبا رياش، وقاما على شغب وجدال.

قال أبو أحمد: فأما الرقبان بالراء والقاف وتحت الباء نقطة: فشاعر جاهلي قديم يقال له أشعر الرقبان وأما الزفيان بالزاي والفاء وتحت الياء نقطتان: فهو من بني تميم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم يعرف بالزفيان السعدي، راجز كثير الشعر، وكان على عهد جعفر بن سليمان، وهو الزفيان بن مالك بن عوافة القائل:

وصاحبي ذات هباب دمشق كأنها بعد الكلال زورق

قال: وذكر أبو حاتم آخر يقال له الزفيان، وأنه كان مع خالد بن الوليد حين أقبل من البحرين، فقال:

تهدى إذا خوت النجوم صدورها ببنات نعش أو بضوء الفرقد

فقد أخبرنا به أبو الحسين بن الطيوري ببغداد قال: حدثنا أبو سعيد السقطي بالبصرة قال: أخبرنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم العسكري إملاء سنة ثمانين وثلاثمائة بتستر، فذكر مجالس من أماليه هي عندي، وقرأت على أبي علي أحمد بن الفضل بن شهريار بأصبها عن السقطي: هذه فوائد عن أبي أحمد وغيره. وأما الأبيات المقصودة فعندي في أجزاء أذربيجان على نسق لا أذكر موضعها، إلا أن فيها قصة معناها: أن الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الوزير، كان يتمنى لقاء أبي أحمد العسكري، ويكاتبه على ممر الأوقات، ويستميل قلبه فيعتل عليه بالشيخوخة والكبر، إذ عرف أنه يعرض بالقصد إليه والوفود عليه. فلما يئس منه احتال في جذب السلطان إلى ذلك الصوب وكتب إليه حين قرب من عسكر مكرم كتاباً يتضمن علوماً نظماً ونثراً، ومما ضمنه من المنظوم قوله:

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم ضعفنا فما نقوى على الوخدان

أتيناكم من بعد أرض نزوركم وكم منزل بكر لنا وعوان

نسائلكم هل من قرىً لنزيلكم؟ بملء جفون لا بملء جفان

فلما قرأ أبو أحمد الكتاب، أقعد تلميذاً له فأملى عليه الجواب عن النثر نثراً، وعن النظم نظماً، وبعث به إليه في الحال، وكان في آخر جواب أبياته التي ذكر على الحال: وقد حيل بين العير والنزوان وهو تضمين، إلا أن الصاحب استحسنه ووقع ذلك منه موقعاً عظيماً وقال: لو عرفت أن هذا المصراع يقع في هذه القافية لم أتعرض لها، وكنت قد ذهلت عنه وذهب علي. ثم إن أبا أحمد قصده وقت حلوله بعسكر مكرم بلده ومعه أعيان أصحابه وتلامذته في ساعة لا يمكن الوصول إليه إلا لمثله، وأقبل عليه بالكلية بعد أن أقعده في أرفع موضع من مجلسه، وتفاوضا في مسائل فزادت منزلته عنده، وأخذ أبو أحمد منه بالحظ الأوفر، وأدر على المتصلين به إدراراً كانوا يأخذونه إلى أن توفي. – وبعد وفاته أيضاً فيما أظن –، ولما نعي إليه أنشد فيه:

قالوا مضى الشيخ أبو أحمد وقد رثوه بضروب الندب

فقلت: ما من فقد شيخ مضى لكنه فقد فنون الأدب

ثم ذكر السلفي وفاته كما تقدم، هذا آخر ما ذكره من خبر أبي أحمد، هذا كله من كتاب السلفي، ثم وجدت ما أنبأني به أبو الفرج بن الجوزي عن ابن ناصر ع أبي زكريا التبريزي، وعن أبي عبد الله بن الحسن الحلواني، عن أبي الحسن علي بن المظفر البندنيجي قال: كنت أقرأ بالبصرة على الشيوخ، فلما

دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة إلى الأهواز، بلغني حال أبي أحمد العسكري، فقصدته وقرأت عليه، فوصل فخر الدولة والصاحب بن عباد، فبينا نحن جلوس نقرأ عليه وصل إليه ركابي ومعه رقعة ففضها وقرأها وكتب على ظهرها جوابها، فقلت أيها الشيخ: ما هذه الرقعة؟ فقال: رقعة الصاحب كتب إلي:

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم ... ضعفنا فما نقوى على الوخدان

الأبيات الثلاثة المتقدمة. قلت: فما كتبت إليه في الجواب؟ قال قلت:

أروم نهوضاً ثم يثني عزيمتي ... تعوذ أعضائي من الرجفان

فضمنت بيت ابن الشريد كأنما ... تعمد تشبيهي به وعناني

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

قال: ثم نهض وقال: لابد من الحمل على النفس، فإن الصاحب لا يقنعه هذا، وركب بغلة وقصده، فلم يتمكن من الوصول إلى الصاحب لاستيلاء الحشم، فصعد تلعة ورفع صوته بقول أبي تمام.

مالي أرى القبة الفيحاء مقفلة ... دوني وقد طال ما استفتحت مقفلها

كأنها جنة الفردوس معرضة ... وليس لي عمل زاك فأدخلها

قال: فناداه الصاحب: ادخلها يا أبا أحمد فلك السابقة الأولى، فتبادر إليه أصحابه فحملوه حتى جلس بين يديه، فسأله عن مسألة فقال أبو أحمد: الخبير صادفت، فقال الصاحب يا أبا أحمد: تغرب في كل شيء حتى في المثل السائر؟ فقال: تفاءلت عن السقوط بحضرة مولانا وإنما كلام العرب سقطت، ووجدت بعد ذلك أنه توفي في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

وحدث ابن نصر قال: حدثني أبو أحمد العسكري بالبصرة، قال: كان أبو جعفر المجوسي عامل البصرة رجلاً واسع النفس، وكان يتعاهد الشعراء ويراعيهم، مثل العصفري والنهرجوري وغيرهم وهم يهجونه، وكان هذا – وهذان خصوصاً – من أوضاعهم، وقد رأيت النهرجوري قال: فلما مات أبو الفرج رثاه النهرجوري بقوله:

يا ليت شعري وليت ربما ... صحت فكانت لنا من العبر

هل أرين شوثناً وأمته ... رابكة حوله على البقر

يقدمهم أربعون لبسهم ... مع حلية الحرب حلة النمر

وأنت فيهم قد ابترزت لنا ... كالشمس في نروها أو القمر

قد نكحوا الأمهات واتكلوا على عقيق الأبوال في الطهر
وشارفوا والنساء قد ولدت غسل مضاريطها من الوضر
وأصبحوا أشبه البرية بالظ ظرف وأولى بكل مفتخر

شوثن عند المجوس، يجري مجرى المهدي، ويزعمون أنه يخرج وقدامه أربعون نفساً، على كل منهم جلد النمر، فيعيدون دين النور. قال: فقلت يا أبا أحمد، هذه بالهجاء أشبه منها بالمرثية بكثير. قال: هكذا قصد النهرجوري – لا بارك الله فيه – وقد عاتبته وقلت له: ما استحق أبو جعفر هذا منك. فقال: ما تعديت مذهبه الذي يعترف به.

ووجدت في تاريخ أصفهان من تأليف الحافظ أبي نعيم قال: الحسن بن عبد الله بن سعيد بن الحسين، ابو أحمد العسكري الأديب أخو أبي علي قدم أصبهان قديماً، وسمع من الفضل بن الخصيب وسمع عنه أبي وابن زهير وغيرهما، تأخر موته توفي في صفر سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

الحسن بن عبد الله بن سهل

ابن سعيد بن يحيى، بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري. قال أبو طاهر السلفي: وكان لأبي أحمد تلميذ وافق اسمه اسمه، واسم أبيه اسم أبيه، وهو عسكري أيضاً، فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكري الأديب، فهو أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري، سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردي – رحمه الله – بهمذان عنه، فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه معاً وقال: كان يبرز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل، وذك فيه فصلاً هو في سؤالاتي عنه، وكان الغالب عليه الأدب والشعر. وله في اللغة: كتاب سماه بالتلخيص وهو كتاب مفيد، وكتاب صناعتي النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً، ومن جملة من روى عنه أبو سعد السمان الحافظ بالري، وأبو الغنائم بن حماد المقرئ إملاء.

وأنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري لنفسه:

قد تخطاك شباب وتغشاك مشيب
فأتى ما ليس يمضي ومضى ما لا يئوب
فتأهب لسقام ليس يشفيه طبيب
لا توهمه بعيداً إنما الآتي قريب

ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد الحنفي بتستر قال: أنشدنا ابو حكيم أحمد ابن إسماعيل العسكري قال: أنشدناه أبو هلال الحسن ابن عبد الله بن سهل اللغوي لنفسه بالعسكر:

إذا كان مالي مال من يلقط العجم   وحالي فيكم حال من حاك أو حجم
فأين انتفاعي بالأصالة والحجى   وما ربحت كفي من العلم والحكم؟
ومن ذا الذي في الناس يبصر حالتي   فلا يلعن القرطاس والحبر والقلم

ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الحنفي بتستر قال: أنشدنا أبو حكيم اللغوي قال: أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه:

جلوسي في سوق أبيع وأشتري   دليل على أن الأنام قرود
ولا خير في قوم تذل كرامهم   ويعظم فيهم نذلهم ويسود
ويهجوهم عني رثاثة كسوتي   هجاء قبيحاً ما عليه مزيد

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضي بالسوس قال: أنشدنا المظفر بن طاهر بن الجراح الأستراباذي قال: أنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل اللغوي العسكري لنفسه:

يا هلالاً من القصور تدلى   صام وجهي لمقلتيه وصلى
لست أدري أطال ليلي أم لا   كيف يدري بذاك من يتقلى؟؟
لو تفرغت لاستطالة ليلى   ولرعي النجوم كنت مخلاً

هذا آخر ما ذكره السلفي من حال أبي هلال. قال مؤلف الكتاب: وهذه الأبيات الأخيرة التي منها:

لست أدري أطال ليلي أم لا

والبيت الذي بعده رأيته في بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم. هذا عن السلفي. وذكر غيره: أن أبا هلال كان ابن أخت أبي أحمد، وله من الكتب بعد ما ذكره السلفي: كتاب جمهرة الأمثال، كتاب معاني الأدب، كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة، كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد، كتاب شرح الحماسة، كتاب الدرهم والدينار، كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات، كتاب العمدة، كتاب فضل العطاء على العسر، كتاب ما تحلن فيه الخاصة، كتاب أعلام المعاني في معاني الشعر، كتاب الأوائل، كتاب ديوان شعره، كتاب الفرق بين المعاني، كتاب نوادر الواحد والجمع. قال المؤلف: وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء، غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. ولبعضهم:

وأحسن ما قرأت على كتاب   بخط العسكري أبي هلال

فلو أني جعلت أمير جيش لما قاتلت إلا بالسؤال
فإن الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطراف العوالي

وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمة:

فترت صبوتي وأقصر شجوي وأتاني السرور من كل نحو
إن روح الشتاء خلص روحي من حرور تشوي الوجوه وتكوي
برد الماء والهوا وكأن قد سرق البرد من جوانح خلو
ريحه تلمس الصدور فتشفي وغماماته تصوب فتروي
لست أنسى منه دماثة دجن ثم من بعده نضارة صحو
وجنوباً يبشر الأرض بالقط ر كما بشر العليل ببرو
وغيوماً مطرزات الحواشي بوميض من البروق وخفو
كلما أرخت السماء عراها جمع القطر بين سفل وعلو
وهي تعطيك حين هبت شمالاً برد ماء فيها ورقة جو
وترى الأرض في ملاءة ثلج مثل ريط لبسته فوق فرو
فاستعار العرار منها لباساً سوف يمنى من الرياح بنضو
فكأن الكافور موضع ترب وكأن الجمان موضع فرو
وليال أطلن مدة درسي مثلما قد مددن في عمر لهوي
مر لي بعضها بفقه وبعض بين شعر أخذت فيه ونحو
وحديث كأنه عقد ريا بت أرويه للرجال وتروى
في حديث الرجال روضة أنس بات يرعى بأهل نبل وسرو

الحسن بن عبد الله العثماني

أبو علي النيسابوري. ذكره عبد الغافر في كتاب السياق وقال: إنه مات في شهور سنة نيف وسبعين وأربعمائة. ووصفه فقال: هو الإمام الكامل البارع في فنه، المعجز في نكته، له التصانيف المشهورة في التذكير والخطب وطرف الأشعار والرسائل والموشحات الغريبة، والصناعات البديعة، والترصيعات الرشيقة في النظم والنثر، بحيث يستفيد منها الأكابر والأماثل، ويستضيء بنورها البلغاء في المحافل. تفقه

على الجويني، ثم انتقل إلى ناحية بشت وسكنها، ووافق بها قبولاً بالغاً، فصار مشاراً إليه في عصره تحترمه الصدور. قال: وافيت الناحية فرأيت ازدحاماً على قبره في الموسم وتناحراً عليه، وكان أكثر ميله إلى مقولاته في تصانيفه ومجموعاته نظماً ونثراً دون المنقول.

٨

الجزء التاسع

الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي

أبو محمد القاضي. ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: هو حسن التصنيف مليح التأليف، سلك طريقة الجاحظ وكان شاعراً، وقد سمع الحديث ورواه.

مات في حدود سنة ستين وثلاثمائة. قال: وله من الكتب: كتاب ربيع المتيم في أخبار العشاق. كتاب الفلك في مختار الأخبار والأشعار. كتاب أمثال النبي صلى الله عليه وسلم. كتاب الريحانتين الحسن والحسين. كتاب إمام التنزيل في علم القرآن. كتاب النوادر والشوارد. كتاب أدب الناطق. كتاب المرائي والتعازي. كتاب رسالة السفر. كتاب مباسطة الوزراء. كتاب المناهل والأعطان والحنين إلى الأوطان. كتاب الفاصل بين الراوي والواعي.

وكان القاضي الخلادي من أقران القاضي التنوخي، وقد مدح عضد الدولة أبا شجاعٍ بمدائح، وبينه وبين الوزير المهلبي وأبي الفضل بن العميد مكاتبات ومجاوبات، منها ما نقلته من مزيد التاريخ لأبي الحسن محمد بن سليمان بن محمد، الذي زاده على تاريخ السلامي في ولاة خراسان.

قال: حدثني عبد الله بن إبراهيم قال: لما استوزر أبو محمد المهلبي كتب إليه أبو محمد الخلادي في التهنئة: " بسم الله الرحمن الرحيم " الحمد لله مانح الجزيل، ومعود الجميل، ذي المن العظيم، والبلاء الجسيم:

الآن حين تعاطى القوس باريها ... وأبصر السمت في ظلماء ساريها
الآن عاد إلى الدنيا مهلبها ... سيف الخلافة بل مصباح داجيها
أضحى الوزراة تزهى في مواكبها ... زهو الرياض إذا جاءت غواديها
تاهت علينا بميمون نقيبته ... قلت لمقداره الدنيا وما فيها
موفق الرأي مقرون بغرته ... نجم السعادة يرعاها ويحميها
معز دولتها هنئتها فلقد ... أيدتها بوثيق من رواسيها

تهنئة مثلي من أولياء الوزير - أطال الله بقاءه - الدعاء أفضله ما صدر عن نيةٍ لا يرتاب بها ولا يخشى مذقها، وكان غيب صاحبه أفضل من مشهده، فهنأ الله الوزير كرامته، وأحلى له ثمرة ما منحه، وأحمد

بدأه وعاقبته، ومفتتحه وخاتمته، حتى تتصل المواهب عنده اتصالاً في مستقبله ومستأنفه يوفى على متقدمه بمنه.

وكتابي هذا - أيد الله الوزير - من المترل برامهرمز، وأنا عقيب علةٍ ومنحةٍ، ولولا ذلك لم أتأخر عن حضرته - أجلها الله - مهنئاً ومسلماً، فإن رأى الوزير شرفني بجواب هذا الكتاب. فكتب إليه المهلبي جوابه: بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتابك يا أخي - أطال الله بقاءك، وأدام عزك وتأييدك ونعماك - المتضمن نفيس الجواهر من بحار الخواطر، الحاوي ثمار الصفاء من منبت الوفاء وفهمته، ووقع ما أهديته من نظمٍ ونثرٍ وخطابٍ وشعرٍ، موقع الري من ذي الغلة، والشفاء من ذي العلة، والفوز من ذي الخيبة، والأدب من ذي الغيبة، وما ضاءت حال إلا وأنت الأولى بسرورها، والأغبط بحبورها، إذ كنت شريك النفس في السراء وماسيها في الضراء، وتكلفت الإجابة عما نظمت على كثرة من الشغل ألا عنك، وزهدٍ في المطاولة إلا فيك. والعذر في تقصيرها عن الغاية واضح، ودليل العجلة فيها لائح، وأنت بمواصلتي بكتبك وأخبارك وأوطارك مسؤول، والجرى على عادتك المأثورة وسيرتك المشكورة مأمول، وأنا والله على أفضل عهدك، وأحسن ظنك، وأوكد ثقتك، ومشتاق إليك:

مواهب الله عندي لا يوازيها ... سعي ومجهود وسعى لا يدانيها

لكن أقصى المدى شكري لأنعمه ... وتلك أفضل قربى عند مؤتيها

والله أسأل توفيقاً لطاعته ... حتى يوافق فعلى أمره فيها

وقد أتتني أبيات مهذبة ... ظريفة جزلة وقت حواشيها

ضمنتها حسن أوصافٍ وتهنئةٍ ... أنت المهنى بباديها وتاليها

ودعوة صدرت عن نيةٍ خلصت ... لا شك فيها أجاب الله داعيها

وأنت أوثق موثوقٍ بنيته ... وأقرب الناس من حالٍ نرجيها

فثق بنيل المنى في كل منزلةٍ ... أصبحت تعمرها عندي وتبنيها

وكتب أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد إلى القاضي أبي محمد الخلادي: بسم الله الرحمن الرحيم: أيها القاضي الفاضل - أطال الله بقاك، وأدام عزك ونعماك -. من أسر داءه وستر ظماءه، بعد عليه أن يبل من غلته، وقد غمرني منذ قرأت كتابك إلى الشريف - أيده الله - شوق استجذب نفسي واستفزها، ومد جوانحي وهزها، ولا شفاء إلا قربك ومجالستك، ولا دواء إلا طلعتك ومؤانستك، ولا وصول إلى ذلك إلا بزيارتك أو استزارتك، فإن رأيت أن تؤثر أخفهما عليك، وتعلمني آثرهما لديك، وتقوم ما

ألبسته في ذلك فعلت، فإني أراعيه أشد المراعاة، وأتطلعه في كل الأوقات، وأعد على الفوز به الساعات. فأجابه الخلادي: "بسم الله الرحمن الرحيم": قرأت التوقيع – أطال الله الأستاذ الرئيس – فشحذ الفطنة وآنس الوحدة، وألبس العزة وأفاد البهجة، وقلت كما قال رؤبة، لما استزاره أبو مسلمٍ صاحب الدعوة:

لبيك إذا دعوتني لبيكا — أحمد ربي سابقاً إليكا

فأما الإجابة عن أفصح بيانٍ خط بأكرم بنانٍ، وأوضح للزهر المؤنق لمالك رقاب المنطق، فما أنا منها بقريب وهيهات وأنى لي التناوش من مكانٍ بعيدٍ لكني على الأثر، ولا أتأخر عن الوقت المنتظر، إن شاء الله تعالى.

قال: وكان أبو محمدٍ الخلادي ملازماً لمترله، قليل البروز لحاجته. وقيل له في ذلك: فروى عن أبي الدرداء: نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيه سمعه وبصره. وروى عن ابن سيرين أنه قال: العزلة عبادة. وقال: خلاؤك أقنى لحياتك. وقال: عز الرجل في استغنائه عن الناس، والوحدة خير من جليس لبسوء. وأنشد لابن قيس الرقيات:

اهرب بنفسك واستأنس بوحدتها — تلق السعود إذا ما كنت منفردا

ليت السباعلنا كانت معاشرةً — وإننا لا نرى ممن نرى أحدا

إن السباع لتهدا في مرابضها — والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا

ثم صار الخلادي إلى أبي الفضل بن العميد، فلما فتشه شاهد منه علماً غزيراً، وقبس أدباً كثيراً. وقال الخلادي: إن أعجب الأستاذ معرفتي صحبته، وتعلقت به وأقمت عنده وبين يديه. وكتب الخلادي إلى مترله برامهرمز: " بسم الله الرحمن الرحيم ": قد وردت من الأستاذ الرئيس على ضياء باهرٍ، وربيع زاهرٍ، ومجلس قد استغرق جميع المحاسن، وحف بالأشراف والأكارم، وجلساء أقران أعداد عامٍ، كأنهم نجوم السماء، ومن طالبيٍ أرج المعاطف، وصلب المكاسر، جامعٍ إلى شرف الحسب ديناً وظرفاً، وإلى كرم المحتد رحمةً وفضلاً، وكاتبٍ حصيفٍ، وشاعرٍ مفلقٍ، وسميرٍ آنق وفقيهٍ جدلٍ، وشجاعٍ بطلٍ:

كرام المساعي لا يخاف جليسهم — إذا نطق العوراء غرب لسان

إذا حدثوا لم تخش سوء استماعهم — وإن حدثوا أدوا بحسن بيان

ووضعنا الزيارة حيث لا يزرى بنا كرم المزور ولا يعاب الزور. يجد الأستاذ عندي كل يومٍ مكرمةً وميرةً تطويان مسافة الرجاء، وتتجاوزان غايات الشكر والثناء، والبشر والدعاء، فزاد الله في تبصيره حقوق زواره، وتيسيري لشكري مباره.

قال الثعالبي: ومن ملح ما قيل في ابن خلادٍ قوله:

قل لابن خلادٍ إذا جئته مستنداً في المسجد الجامع

ها زمان ليس يحظى به حدثنا الأعمش عن نافع

ومن ملحه قوله وقد طولب بالخراج:

يا أيها المكثر فينا الزمجرة ناموسه دفتره والمحبره

قد أبطل الديوان كتب الشجره والجامعين كتاب الجمهره

هيهات لن يعبر تلم القنطره نحو الكسائي وشعر عنتره

ودغفل وابن لسان الحمره ليس سوى المنقوشة المدوره

ذكر السمعاني في كتاب النسب، قال القاضي أبو محمدٍ الحسن بن عبد الرحمن بن خلادٍ الرامهرمزي: كان فاضلاً مكثراً من الحديث، ولي القضاء ببلاد الخوز ورحل قبل التسعي ومائتين، وكتب عن جماعةٍ من أهل شيراز، ذكره أو عبد الله محمدبن عبد العزيز الشيرازي القصار في تاريخ فارس وقال: بلغني أنه عاش برامهرمز إلى قرب الستين وثلاثمائةٍ.

الحسن بن عثمان بن حماد

بن حسان بن عبد الرحمن ابن يزيد، أبو حسان الزيادي البغدادي القاضي، من أعيان أصحاب الواقدي، وروى عن الهيثم بن عدي، وهشيم بن بشير وغيرهما، وكان أديباً فاضلاً نسابةً، أخبارياً جواداً كريماً سمحاً. مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين، أو ثلاثٍ وأربعين ومائتين عن تسعً وثمانين سنةً، مات هو والحسن بن علي بن الجعد في وقتٍ واحد، وكان الزيادي حينئذٍ على قضائه مدينة المنصور، وكان الزيادي يصنف الكتب ويصنف له، وكانت له خزانة كتبٍ حسنةٍ كثيرةٍ، وله من الكتب على ما ذكر محمد بن إسحاق: كتاب عروة بن الزبير. كتاب طبقات الشعراء. كتاب الآباء والأمهات. وقال الحافظ أبو القاسم: سمع بدمشق الوليد بن مسلمٍ، وشعيب بن إسحاق، وعمر بن عبد الواحد، وعمر بم سعيدٍ، والوليد بن محمدٍ الموقري، ومعروف بن عبد الله الخياط، وهارون بن عمر الدمشقي، ومحمد بن إسحاق بن بلال بن أبي الدرداء، وسعيد بن عيينة، وشعيب بن صفوان، وابن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وجرير بن عبد الحميد، وحماد بن زيدٍ، ووكيع بن الجراح، وأبا داود الطيالسي. روى عنه أبو العباس الكديمي، وإسحق بن الحسن الحربي، ومحمد بن محمدٍ الباغندي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وذكر الجهشياري في كتاب الوزراء: أن رجلاً من أهل خراسان أودع أبا حسان الريادي القاضي عشرة آلاف درهمٍ، وأنها صادفت منه خلةً فأنفقها، وقدّر أن يأتي ما يرد على الخراساني مكانها إلى أن ينصرف الخراساني من الحج،

فحدث للخراساني أمر قطعه عن الحج وعزم على الانصراف إلى بلده، فصار إلى أبي حسان يلتمس ماله، فتعلل عليه ودافعه وتحير، وضاقت الحيلة عليه، وعاد الخراساني مراراً فدافعه، ثم وعده في يومٍ بعينه، واشتد غمه وقلقه، وأجنع على بذل وجهه إلى بعض إخوانه، فلما كان في ليلة اليوم الذي وعد الرجل فيه، امتنع عليه النوم من شدة قلقه، فقام في بعض الليل فقصد دينار بن عبد الله، فلما صار في بعض الطريق تلقاه رسول لدينارٍ يسأل عن أبي حسان، فلما سمع ذكره سأله عن سببه، وتعرف إليه فقال له: أبو عليٍ دينار يقرأ عليك السلام ويقول لك: قسمت شيئاً على عيالنا، وذكرت من في مترلك منهم، فوجهت إليهم بعشرة آلاف درهمٍ، فقبلها وحمد الله وصار إلى مترله فسلمها إلى الخراساني، وصار إلى دينار بن عبد الله شاكراً له وعرفه خبره. فقال له دينار: فأرانا إنما وجهنا بمال الخراساني، فعلى ماذا يعتمد العيال؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى.

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين: كتب المأمون من الثغر إلى إسحاق بن ابراهيم المصعبي وإلى بغداد، في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن، فمن أقر أنه خلوق محدث خلى سبيله، ومن أبى عليه أعلمه به ليأمر فيه برأيه، فأحضر إسحاق أبا حسانً الزيادي، وبشر بن الوليد الكندي، وعلي بن أبي مقاتلٍ، والفضل بن غانمٍ، والذيال بن هيثمٍ وسجادة، والقواريري، وأحمد بن حنبلٍ، وقتيبة، وسعدويه الواسطي، وعلي بن الجعد، وسعد بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن علية الأكبر، ويحيى بن عبد الرحمن الرياشي، وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي الرقة، وأبا نصير التمار وأبا معمرٍ القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمونٍ ومحمد بن نوحٍ المضروب، وابن فرحان وجماعةً، ومنهم النضر ابن شميلٍ، وأبو عليٍ عاصم، وأبو العوام البزاز، وابن شجاعٍ، وعبد الرحمن بن إسحاق، فأدخلوا على إسحاق فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه، ثم كلم رجلاً رجلاً منهم، فيجيب بما يغالط به أو يصرح، حتى قال لأبي حسانٍ الزيادي: ما عندك؟ وقرأ عليه كتاب المأمون فأقر بما فيه ثم قال: من لم يقل هذا القول فهو كافر.

فقال له إسحاق: القرآن مخلوق هو؟ قال: القرآن كلام الله، والله خالق كل شيءٍ، وأمير المؤمنين إمامنا، وبسببه سمعنا عامة العلم، وقد سمع ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، وقد قلده الله أمرنا، فصار يقيم حجنا وصلاتنا، ونؤدي إليه زكوات أموالنا، ونجاهد معه، ونرى إمامته، فإن أمرنا ائتمرنا، وإن نهانا انتهينا. قال: القرآن مخلوق؟ فأعاد مقالته. قال إسحاق: فإن هذه مقالة أمير المؤمنين. قال: قد تكون مقالته ولا يأمر بها الناس، وإن أخبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول: قلت ما أمرتني به، فإنك الثقة فيما أبلغتني عنه. قال: ما أمرني أن أبلغك شيئاً. قال أبو حسان: وما عندي إلا السمع والطاعة، فأمرني آتمر. قال: ما

أمرني أن آمركم، وإنما أمرني أن أمتحنكم، فتركه والتفت إلى أحمد بن حنبل فسأله. قال الحافظ أبو القاسم: وليس كما يظنه الناس من ولد زياد بن أبيه، وإنما تزوج أجداده أم ولدٍ لزيادٍ، فقيل له الزيادي، قال ذلك أحمد بن أبي طاهرٍ صاحب كتاب بغداد.

الحسن بن علي بن الحرمازي

أبو عليٍ، هو مولى لبني هاشمٍ، ثم مولى آل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباسٍ، وإنما نزل بالبصرة في بني حرمازٍ فنسب إليهم، والحرماز لقب واسمه الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم بن مرٍ بالبادية، نأ ثم قدم البصرة فأقام بها.

وحدث المبرد قال: كان التوزي والحرمازي والحرمي يأخذون عن أبي عبيدة وأبي زيدٍ سعيد بن أوسٍ الأنصاري والأصمعي، وكان هؤلاء الثلاثة أكبر أصحابه، وكان من هؤلاء في السن: إبراهيم الزيادي والمازني والرياشي. قال أبو الطيب اللغوي صاحب كتاب مراتب النحويين: كان الحرمازي في ناحية همرو بن مسعدة، فخرج عمرو إلى الشام فقال الحرمازي:

أقام بأرض الشام فاختل جانبي ... ومطلبه بالشام غير قريب

ولا سيما من مفلسٍ حلف نقرسٍ ... أما نقر في مفلسٍ بعجيب

وحدث أبو العيناء قال: اعتل الحرمازي وكان له صديق من الهاشميين، فمل يعده فكتب إليه:

متى تشفيك واجبة الحقوق ... إذا كان اللقاء على الطريق؟

إذا ما لم يكن إلا سلام ... فما يرجو الصديق من الصديق؟

مرضت ولم تعدني عمر شهرٍ ... وليس ذاك فعل أخٍ شقيق

وقال الحرمازي وكتب بها إلى محمد بن عبيد الله العتبي:

بنفسي أنت قد جاء ... ك ما عندي من كتبك

فلا تبعد من الإفضا ... ل ما نرجوه من قربك

فما زلت أخا جودٍ ... وإفضالٍ على صحبك

وسل قلبك عما ل ... ك في قلبي من حبك

فقد أخبرني القلب ... بما قد حل في قلبك

فها إني لك الراضي ... وها إني لراضٍ بك

وكان بعض الهاشميين قد وعد الحرمازي وعداً فأخره، فكتب إليه:

رأيت الناس قد صدقوا ومانوا ووعدك كله خلف ومين
وعدت فما وفيت لنا بوعدٍ وموعود الكريم عليه دين
ألا يا ليتني استبقيت وجهي فإن بقاء وجه الحر زين

الحسن بن علي المدائني النحوي

قال أبو إسحاق بن إبراهيم بن سعيدٍ الحبال: مات لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى سنة تسعٍ وسبعين وثلاثمائةٍ. وكان إماماً فاضلاً تخرج به جماعة وافرة في العددد.

الحسن بن علي بن عمر ويقال عمار

المعروف بابن المصحح، أبو محمدٍ التيمي النحوي، سمع أبا بكرٍ عبد الله الجناني، وأبا بكر بن أبي الحديد. وأبا نصرٍ حديد بن جعفر الرماني. روى عنه عبد العزيز الكتاني، ونجاء بن أحمد، وأبو القاسم النسيب، وسئل عنه فقال: ثقة. ومات لسبعٍ بقين من رجبٍ سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائةٍ. ذكر ذلك كله أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر في تاريخ دمشق.

الحسن بن علي بن مقلة

بن الحسن بن عبد الله بن مقلة أبو عبد الله، ومقلة اسم أمٍ لهم كان أبوها يرقصها. فيقول يا مقلة أبيها فغلب عليها، وأبو عبد الله هو أخو الوزير أبي عليٍ محمد بن عليٍ، وهو المعروف بجودة الخط الذي يضرب به المثل. كان الوزير أوحد الدنيا في كتبه فلم الرقاع والتوقيعات، لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضلٍ بارعٍ، وكان أبو عبد الله هذا أكتب من أخيه في قلم الدفاتر والنسخ، مسلماً له فضلته غير مفاضلٍ في كتبته. ومولد أبي عبد الله في سلخ رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين، ومات في شهر ربيعٍ الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ. ومات أبوه أبو العباس علي بن الحسن في ذي الحجة سنة تسعٍ وثلاثمائةٍ. وله يوم مات سبع وستون سنةً وأشهر. وصلى عليه ابنه أبو عليٍ.

ولأخيه أبي علي ترجمة في بابه مفردة، لما اشترطنا في ذكر أرباب الخطوط المنسوبة وكان أبوهما الملقب بمقلة أيضاً كاتباً مليح الخط. وقد كتب في زمانهما وبعدهما، جماعة من أهلهما وولدهما و لم يقاربوهما وإنما يندر الواحد منهم الحرف بعد الحرف، والكلمة بعد الكلمة، وإنما كان الكمال لأبي عليٍ وأبي عبد الله أخيه. فممن كتب من أولادهما: أبو محمدٍ عبد الله، وأبو الحسن ابنا أبي عليٍ، وأبو أحمد سليمان بن أبي الحسن، وأبو الحسين علي بن أبو عليٍ، وأبو الفرج العباس بن علي بن مقلة. ومات أبو الحسن علي

بالفالج والسكتة، في سنة ستٍ وأربعين وثلاثمائةٍ، ومولده سنة خمسٍ وثلاثمائةٍ.

حدث ابن نصرٍ قال: وجدت بخط أبي عبد الله بن مقلة على ظهر جزءٍ، وغنتني ابنة الحفار:

إلى سامع الأصوات من أبعد المسرى شكوت الذي ألقاه من ألم الذكرى

فيا ليت شعري والأماني ضلة أيشعر بي من بت أرعى له الشعرى؟

قال ابن نصرٍ: فقلت كفى ابنة الحفار هذا الصوت أن يذكرها ويكتبها أبو عبد الله بن مقلة بخطه.

وحدث أبو نصرٍ قال: حدثني أبو القاسم بن الرقي منج سيف الدولة قال: كنت في صحبة سيف الدولة في غداة المصيبة المعروفة، وكان سيف الدولة قد انكسر يومئذٍ كسرةً قبيحةً، ونجا بحشاشته بعد أن قتلت عساكره قال: فسمعت سيف الدولة يقول وقد عاد إلى حلب: هلك مني من عرض ما كان في صحبتي خمسة آلاف ورقةٍ بخط أبي علي بن مقلة. قال: فاستعظمت ذلك وسألت بعض شيوخ خدمه الخاصة عن ذلك. فقال لي: كان أبو عبد الله منقطعاً إلى بني حمدان سنين كثيرةً يقومون بأمره أحسن القيام، وكان ينزل في دارٍ قوراء حسنةٍ، وفيها فرش تشاكلها ومجلس دست، وله شيء للنسخ وحوض فيه محابر وأقلام، فيقوم ويتمشى في الدار إذا ضاق صدره، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالس وينسخ ما يخف عليه، ثم ينهض ويطوف على جوانب البستان، ثم يجلس في مجلسٍ آخر وينسخ أوراقاً أخر على هذا، فاجتمع في خزائنهم من خطه ما لا يحصى.

وجدت بعض أهل الفضل عن بعضهم قال: حضرت مجلس أبي عليٍ محمد بن علي بن مقلة في أيام وزارته وقد عرضت عليه رقاع، وتوقيعات وتسبيبات قد رد عليها بخطه أخوه أبو عبد الله، ثم رفعت إلى أبي عليٍ فكان ينظر فيها ويمضيها وقد عرف صورها. وكان أبو عبد الله حاضراً، فلما فرغ منها التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله قد خففت عنا حتى أثقلت، وخشينا أن نثقل عليك، فأرح نفسك من هذا التعب. فضحك أبو عبد الله وقال: السمع والطاعة.

وقال ثابت بن سنانٍ: لما ولي أبو علي بن مقلة الوزارة للمقتدر في سنة ست عشرة وثلاثمائة، قلد أخاه أبا عبد الله الحسن بن عليٍ ديوان الضياع الخاصة، وديوان الضياع المستحدثة، وديوان الدار الصغيرة.

وصودر أبو عبد الله في أيام القاهر على خمسين ألف دينارٍ بعد أن حلف أنه لا يملك إلا بساتين وما ورثه من زوجته، وقيمة الجميع نحو مائة ألف درهمٍ.

الحسنبن يزداد بن هرمز

ابن شاهوه، أبو عليٍ الأهوازي المقرئ، صاحب التصانيف المشهورة. قال ابن عساكر: قدم دمشق في ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائةٍ وسكنها، وقرأ القرآن برواياتٍ كثيرةٍ وأقرأه، وصنف كتاباً في

القرآن، وحدث عن خلقٍ كثيرٍ، منهم نصر بن أحمد المرجي، وأبو حفصٍ الكتاني، والمعافا بن زكريا بن طرارٍ، وروى عنه الخطيب أبو بكرٍ ثابت وغيره.

قال ابن عساكر: أنبأنا أبو طاهر بن الحنائي، أنبأنا أبو عليٍ الأهوازي، حدثنا أبو زرعة أحمد بن محمد بن عبد الله بن سعيدٍ القشيري، حدثني جدي لأمي الحسن بن سعيدٍ، حدثنا أبو عليٍ الحسين بن إسحاق الدقيقي، حدثنا أبو زيدٍ حماد بن دليلٍ عن سفيان الثوري، عن قيس بن مسلمٍ، عن عبد الرحمن بن سابطٍ، عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كانت عشية عرفة هبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيطلع إلى أهل الموقف فيقول: مرحباً بزواري الوافدين إلى بيتي، وعزتي لأنزلن إليكم، ولأساوي مترلكم بنفسي، فيترل إلى عرفة فيعممه بمغفرته، ويعطيهم ما يسألون إلا المظالم ويقول: يا ملائكتي، لنشهدكم أني قد غفرت لهم، ولا يزال كذلك إلى أن تغيب الشمس، ويكون أمامهم إلى المزدلفة، ولا يعرج إلى السماء تلك الليلة، فإذا أسفر الصبح ووقفوا عند المشعر الحرام غفر لهم حتى المظالم، ثم يعرج إلى السماء إلى منى ". هذا حديث منكر، وفي إسناده غير واحدٍ من المجهولين.
وللأهوازي أمثاله في كتابٍ جمعه في الصفات سماه كتاب البيان، في شرح عقود أهل الإيمان، أودعه أحاديث منكرة، كحديث: " إن الله تعالى لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتى عرقت، ثم خلق نفسه من ذلك العرق " مما لا يجوز أن يروى ولا يحل أن يعتقد، وكان مذهبه مذهب السالمية، يقول بالظاهر، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة التي تقوي له رأيه، وحديث إجراء الخيل موضوع، وضعه بعض الزنادقة ليشنع بهعلى أصحاب الحديث في رواياتهم المستحيلة، فيقبله بعض من لا عقل له ويراه، وهو مما يقطع ببطلانه شرعاً وعقلاً. قال الأهوازي: ولدت في سابع عشر من المحرم سنة اثنتين وستين وثلاثمائةٍ. ومات في رابع ذي الحجة سنة ستٍ وأربعين وأربعمائة.
قال ابن عساكر: وسمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن منصور يحكي عن أبيه قال: لما ظهر من الأهوازي الإكثار من الروايات في القراءات اتهم في ذلك، فسار رشاء بن نظيف، وأبو القاسم بن الفرات، وابن القماح إلى العراق لكشف ما وقع في نفوسهم منه، ووصلوا إلى بغداد وقرؤوا على بعض الشيوخ الذين روى عنهم الأهوازي، وجاءوا بالإجازات عنهم وبخطوطهم، فمضى الهوازي إليهم وسألهم أن يروه تلك الخطوط التي معهم، ففعلوا ودفعوها إليه، فأخذها وغير أسماء من سمى ليستر دعواه فعادت عليه بركة القرآن فلم يفتضح. وبلغني أنهم سالوا عنه بعض المقرئين الذي ذكر أنه قرأ عليهم وحكوه له، فقال: هذا الذي تذكرونه قد قرأ علي جزءاً أو نحوه. قال: وقال حدثني أبي قال: عاتبت أو عوتب أبو طاهرٍ الواسطي المقرئ في القراءة على الأهوازي فقال: أقرأ عليه العلم ولا أصدقه في حرفٍ واحدٍ. قال وحدثني

أبو طاهرٍ محمد بن الحسن بن علي بن المليحي قال: كنت عند رشاء بن نظيف في داره على باب الجامع، – وله طاقة إلى الطريق – فاطلع فيها وقال: قد عبر رجل كذاب، فاطلعت فوجدت الأهوازي. قال: وقال ابن الأكفاني قال لنا الكتاني: كان الأهوازي مكثراً من الحديث، وصنف الكثير في القراءات، وكان حسن التصنيف، وجمع في ذلك شيئاً كثيراً، وفي أسانيد القراءات غرائب كان يذكر في مصنفاته أنه أخذها روايةً وتلاوةً، وأن سيوخه أخذوها روايةً وتلاوةً. ولما توفي كانت له جنازة عظيمة.

الحسن بن علي بن بركة بن عبيدة

أبو محمدٍ المقرئ النحوي الفرضي، من ساكني الكرخ بدرب رباحٍ، مات في ثامن عشر شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائةٍ. وكان فاضلاً قارئاً نحوياً لغوياً فرضياً. قرأ القرآن بالروايات على الشيخ أبي محمد بن بنت الشيخ، وبالكوفة على عمر بن ابراهيم العلوي، وقرأ النحو على أبي السعادات بن الشجري، ولازمه حتى برع في فنه، وتصدر مدةً طويلةً لإقراء القرآن والنحو واللغة والفرائض، وأنشد له العماد في الخريدة شعراً قاله في المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين، وهو:

يا خير مستخلفٍ عمت نوافله ... وطبق الأرض بعد المحل نائله
أحيت لنا سيرة المهدي سيرته ... عدلاً وبذلاً فما تحصى فواضله
إمام حقٍ بعهد الله محتفظ ... وكل شيءٍ حواه فهو باذله
خير الخلائق أضحى لا ينازعه ... منهم إمام وإن جلت أوائله

فالمصطفى جاء بعد الأنبياء وما ... فيهم على فضلهم خلق يعادله

وله في المستضيء أيضاً:

هذه دولة تخيرها الل ... ه فدامت لنا سجيس الليالي
دونة روضة رباها وجادت ... من لهاها بوابلٍ متوالي
واستعادت صعب المقادة بالعد ... ل ودانت لها قلوب الرجال
وأضاءت بالمستضيء بأمر الل ... ه لا زال ملكه في اتصال
ملك عم بره كل برٍ ... وأباح الآمال في الأحوال
وأغاث الأنام منه سجال ... بعد إمحالهم عقيب سجال
طبق الأرض منهم فضل عدلٍ ... وكفاها بوائق الزلزال

جعل الله ودكم يا نبي العب | باس فرضاً من أشرف الأعمال
وعليكم صلاتنافي التحيا | ت توالى لأنكم خير آل
يا بني عم أحمد طاب محيا | كم ومن قبل طبتم في الظلال

الحسن بن عليٍ الجويني الكاتب

أبو علي صاحب الخط المنسوب، كان مقيماً ببغداد، ولا أدري أولد بها أم انتقل إليها، لأنه لما انتقل إلى مصر كان يعرف بها بالبغدادي، وكان يلقب فخر الكتّاب. مات بمصر لعشرٍ خلون من صفرٍ سنة ستٍ وثمانين وخمسمائة.

سمعت جماعةً من أهل الكتابة المتحققين بها يقولون: لم يكتب أحد بعد أبي الحسن علي بن هلال بن البواب أجود من الجويني، وكان أستاذه في الكتابة، يعقوب الغزنوي، كتب عليه ببغداد إلا أنه أبرّ عليه، وزاد حتى لا تناسب بين خطيهما، وكان من شيمة الجويني أنه ما كتب شيئاً قط بخطه كثر أو قل، دق أو جل، إلا ويكتب في آخره: " كتبه علي بن الحسن الجويني " وكتب عليه جماعة من الكتاب وافتخروا بأستاذينه، كابن القيسراني وغيره، وكان ينتقل في البلاد حتى حط بركه بالديار المصرية، ونفق بها سوقه، وعلا على أبناء جنسه قدره، وعظم شأنه، وارتفع مكانه، وكان مع ذلك لا يترك هيئته وسمته، فإنه كان يتزيا زي أهل التصوف، وبلغ من علو قدره بالديار المصرية إلى أن ولي ولده عز الدين إبراهيم ولاية القاهرة، بعد ما ولي ولاية الإسكندرية مدةً، وكان محمود السيرة رأيت أهل مصر ممن شاهد ولايته يحسن الثناء عليه، وكان ملوكي الهمة، شريف النفس – أعني ولده عز الدين إبراهيم – وكان فخر الكتاب يقول الشعر ويتعاناه، إلا أنه لم يكن فيه بذاك. ومن شعره يمدح القاضي الفاضل وهو من أجود شعره:

لولا انقطاع الوحي كان منزلاً | في الفاضل بن عليٍ البيساني
نثني عليه بمثل ما تثني على | أفعاله المرضية الملكان

ومن شعره في الزهد:

كم كادت الأوطان تشغلنا | بزخارف الدنيا عن الله
حتى تغربنافكم غيرٍ | يقطعن عقل الغافل اللاهي

الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير

أبو محمدٍ المصري، أخو الرشيد أحمد بن عليٍ وقد تقدم ذكره، وكان من أهل أسوان من غسان، وكان الحسن هذا يلقب القاضي المهذب. مات في ربيعٍ الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائةٍ بمصر، وكان كاتباً

مليح الخط فصيحاً جيد العبارة، وكان أشعر من أخيه الرشيد، وكان قد اختص بالصالح بن رزيك وزير المصريين، وقيل: إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو عمل المهذب بن الزبير، وحصل له من الصالح مال جم، و لم ينفق عنده أحد مثله وكان القاضي عبد العزيز بن الحباب المعروف بالجليس هو الذي قرظه عند الصالح حتى قدمه، فلما مات الجليس شمت به ابن الزبير ولبس في جنازته ثياباً مذهبةً، فنقص بهذا السبب واستقبحوا فعله، و لم يعش بعد الجليس إلا شهر واحداً. وصنف المهذب كتاب الأنساب، وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلداً، كل مجلد عشرون كراساً، رأيت بعضه فوجدته مع تحققي هذا العلم وبحثي عن كتبه غايةً في معناه لا مزيد عليه، يدل على جودة قريحة مؤلفه، وكثرة اطلاعه، إلا أنه حذا فيه حذو أحمد بن يحيى بن جابرٍ البلاذري، وأوجز في بعض أخباره عن البلاذري، إلا أنه إذا ذكر رجلاً ممن يقتضي الكتاب ذكره، لا يتركه حتى يعرفه بجهده من إيرادشيءٍ من شعره وخبره. وكان المهذب قد مضى إلى بلاد اليمن في رسالةٍ من بعض ملوك مصر، واجتهد هناك في تحصيل كتب النسب، وجمع منها ما لم يجتمع عند أحدٍ، حتى صح له تأليف هذا الكتاب.

وكان أخوه الرشيد لما مضى إلى اليمن وادعى الخلافة كما ذكرناه في ترجمته نمي خبره إلى المعروف بالداعي، فقبض عليه قبضاً لا نعلم كيفيته وهم بقتله، فكتب المهذب هذا إلى الداعي بقصيدته المشهورة يمدحه ويستعطفه حتى أطلقه. والقصيدة:

يا ربع أين ترى الأحبة يمموا ... هل أنجدوا من بعدنا أم اتهموا؟
رحلوا وقد لاح الصباح وإنما ... يسري إذا جن الظلام الأنجم
وتعوضت بالأنس روحي وحشةً ... لا أوحش الله النازل منهم
لولاهم ما قمت بين ديارهم ... حيران أستاف الديار وألثم
أمنازل الأحباب أين هم وأي ... ن الصبر من بعد التفرق عنهم؟
يا ساكني البلد الحرام وإنما ... في الصدر مع شحط المزار سكنتم
يا ليتني في النازلين عشيةً ... بمنىً وقد جمع الرفاق الموسم
فأفوز إن غفل الرقيب بنظرةٍ ... منكم إذ لبى الحجيج وأحرموا
لإني لأذكركم إذا ما أشرقت ... شمس الضحى من نحوكم فأسلم
لا تبعثوا لي في النسيم تحيةً ... إني أغار من النسيم عليكم
إني امرؤ قد بعت حظي راضياً ... من هذه الدنيا بحظي منكم

فسلوت إلا عنكم وقنعت إل ... ا منكم وزهدت إلا فيكم
ورأيت كل العالمين بمقلةٍ ... لو ينظر الحساد ما نظرت عموا
ما كان بعد أخي الذي فارقته ... ليبوح إلا بالشكاية لي فم
هو ذاك لم يملك علاه مالك ... كلا ولا وجدي عليه متيم
أقوت مغانيه وعطل ربعه ... ولربما هجر العرين الضيغم
ورمت به الأهوال همة ماجدٍ ... كالسيف يمضي عزمه ويصمم
يا راحلاً بالمجد عنا والعلا ... أترى يمون لكم إلينا مقدم؟
يفديك قوم كنت واسط عقدهم ... ما إن لهم مذ غبت شمل ينظم
لك في رقابهم وإن هم أنكروا ... منن كأطواق الحمام وأنعم
جهلوا فظنوا أن بعدك مغنم ... لما رحلت وإنما هو مغرم
فلقد أقر العين أن عداك قد ... هلكوا ببغيهم وأنت مسلم
لم يعصم الله ابن معصومٍ من ال ... آفات واخترم اللعين الأخرم
واعتضت بعدهم بأكرم معشرٍ ... بدؤوا لك الفعل الجميل وتمموا
فلعمر مجدك إن كرمت عليهم ... إن الكريم على الكرام مكرم
أقيال بأسٍ خير من حملوا القنا ... وملوك قحطان الذين هم هم
متواضعون ولو ترى ناديهم ... ما اسطعت من إجلالهم تتكلم

وكفاهم شرفاً ومجداً أنهم ... قد أصبح الداعي المتوج منهم
هو بدر تمٍ في سماء علاهم ... وبنو أبيه بنو رويعٍ أنجم
ملك حماه جنة لعفاته ... لكنه للحاسدين جهنم
أثني عليك بما مننت وأنت من ... أوصاف مجدك يا مليكاً أعظم
فاغفر لي التقصير فيه وعده ... مع ما تجود به علي وتنعم
مع أنني سيرت فيك شوارداً ... كالدر بل أبهى لدى من يفهم
تغدو وهوج الذاريات رواكد ... وتبيت تسري والكواكب نوم

وإذا المآثر عددت في مشهدٍ فبذكرها يبدا المقال ويختم
وإذ تلا الراوون محكم آيها صلى عليك السامعون وسلموا
وكفى برأي إمام عصرك ناقضاً ما أحكم الأعداء فيك وأبرموا

وأنشدني أبو طاهرٍ إسماعيل بن عبد الرحمن الأنصاري المصري بمصر في سنة اثنتي عشرة وستمائةٍ، قال: أنشدني أبو محمدٍ الحسن بن علي بن الزبير مطلع قصيدةٍ:

أعلمت حين تجاور الحيان أن القلوب مواقد النيران
وعلمت أن صدورنا قد أصبحت في القوم وهي مرابض الغزلان
وعيوننا عوض العيون أمدها ما غادروا فيها من الغدران
ما الوجد هز قناتهم بل هزها قلبي لما فيه من الخفقان
وتراه يكره أن يرى أظعانهم فكأنما أصبحت في الأظعان

وكان لما جرى لأخيه الرشيد ما جرى من اتصاله بالملك صلاح الدين يوسف بن أيوب عند كونه محاصراً للإسكندرية كما ذكرنا في بابه، قبض شاور على المهذب وحبسه، فكتب إلى شاور شعراً كثيراً ليستعطفه فلم ينجع حتى التجأ إلى ولده الكامل أبي الفوارس شجاع بن شاورٍ مدحه بأشعارٍ كثيرةٍ وهو في الحبس حتى قام بأمره واستخرجه من حبسه، وضمه إليه واصطنعه فمن ذلك قوله من قصيدة:

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا نسيم الصبا يرسل إلى كبدي نفحا
فإن تحبساني في النجوم تجبراً فلن تحبس مني له الشكر والمدحا

وكتب إليه:

وما كنت أخشى قبل سجنكما على دموعي أن يقطرن خوف المقاطر
وما لي من أشكو إليه أذاكما سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

ومما قاله فيه وهو لعمري من رائق الشعر وجيده:

إذا أحرقت في القلب موضع سكناها فمن ذا الذي من بعد يكرم مثواها؟
وإن نزفت ماء العيون بهجرها فمن أي عينٍ تأمل العيس سقياها؟
وما الدمع يوم البين إلا لآلئ على الرسم في رسم الديار نثرناها
وما أطلع الزهر الربيع وإنما رأى الدمع أجياد الغصون فحلاها
ولما أبان البين سر صدورنا وأمكن فيها العين النجل مرماها

عددنا دموع العين لما تحدرت دروعاً من الصبر الجميل نزعناها
ولما وقفنا للوداع وترجمت لعيني عما في الضمائر عيناها
بدت صورة في هيكلٍ فلو أننا ندين بأديان النصارى عبدناها
وما طرباً صغنا القريض وإنما جلا اليوم مرآة القرائح مرآها
وليالي كانت في ظلام شبيبتي سراي وفي ليل الذوائب مسراها
تأرج أرواح الصبا كلما سرى بأنفاس ريا آخر الليل رياها
ومهما أدرنا الكأس باتت جفونه من الراح تسقينا الذي قد سقيناها

ومنها:

ولو لم يجد يوم الندى في يمينه لسائله غير الشبيبة أعطها
فيا ملك الدنيا وسائس أهلها سياسة من قاس الأمور وقاساها
ومن كلف الأيام ضد طباعها فعاين أهوال الخطوب فعاناها
عسى نظرة تجلو بقلبي وناظري صداه فإني دائماً أتصداها

وحدثني الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي أن السبب في حبسه كان: أنه كاتب شيركوه الملقب بأسد الدين وهو نازل على بلبيس بعساكره في محاربة شاور، فلما رحل أسد الدين عن بلبيس، ومن شعره:

يجور على العشاق والعدل دأبه ويقطعني ظلماً وصنعته الوصل

ومن شعره أيضاً:

ولئن ترقرق دمعه يوم النوى في الطرف منه وما تناثر عقده
فالسيف أقطع ما يكون إذا غدا متحيراً في صفحتيه فرنده

ومنه أيضاً:

لقد طال هذا الليل بعد فراقه وعهدي به قبل الفراق قصير
فكيف أرجي الصبح بعدهم وقد تولت شموس بعدهم وبدور

ومنه أيضاً:

يعنفني من لو تحقق ما الهوى لكان إلى من قد هويت رسولي

بنفسي بدر لو رآه عواذلي على الحب فيه فاد كل عذول

ومنه أيضاً:

أقصر فديتك عن لومي وعن عذلي أو لا فخذ لي أماناً من ظبا المقل

من كل طرفٍ مريض الجفن ينشدني يا رب رامٍ بنجدٍ من بني ثعل

إن كان فيه لنا وهو السقيم شفا فربما صحت الأحسام بالعلل

وقال يرثي صديقاً له وقد وقع المطر يوم موته:

بنفسي من أبكى السموات فقده بغيثٍ ظنناه نوال يمينه

فما استعبرت إلا أسىً وتأسفاً وإلا فماذا القطر في غير حينه

وله أيضاً:

لا ترج ذا نقصٍ ولو أصبحت من دونه في الرتبة الشمس

كيوان أعلى كوكبٍ موضعاً وهو إذا أنصفته نحس

وله أيضاً:

فدع التمدحبالقديم فكم عفا في هذه الآكام قصردائر

لإيوان كسرى اليوم عند خرابه خير لعمرك منه قصر عامر

الحسن بن علي بن أبي مسلم

المعمر بن عبد الملك بن ناهوج الإسكافي الأصل، البغدادي المولد والدار، أبو البدر بن أبي منصورٍ، من أهل باب الأزج، أحد الكتاب المتصرفين في خدمة الديوان الإمامي هو وأبوه، وكان فيه فضل وأدب بارع، وعربية وتصرف في فنوهما، ويكتب خطاً على طريقة أبي علي بن مقلة قل نظيره فيه، وله خصائص، ولقي المشايخ، وصنف عدة تصانيف في الأدب حسنةً، وتنقل في الولايات إلى أن رتب مشرفاً بالديوان العزيز في سادس شهر رمضان سنة ستٍ وثمانين وخمسمائة، فكان على ذلك إلى أن عزل في سابع ذي الحجة سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائةٍ، وكان صحب أبا محمد بن الخشاب النحوي وقرأ عليه وبحث معه، وعلق عنه تعاليق وقفت على بعضها فوجدها منبئةً عن يد باسطةٍ في هذا الفن من العلم، ورأيت بخطه في حلب تعاليق وكتباً واختيارات ونظماً ونثراً تدل على قريحةٍ سالمةٍ، ونفسٍ عالمةٍ، تقلل النظير، وتؤذن بالعلم الغزير. ومما بلغني من شعره:

وعلى الكثيب مخمر من تيهه كالبدر من حسنٍ وليس بآفل

حجبوه بالبيض الفواصل ما دروا	من حسنه وسيوفهم كالقاصل
رشأ كأن لحاظه مطرورة	قذفت بها غرضاً حنية نابل
وكأن سحر بلاغةٍ في لفظه	أخذ يعقدها نوافث بابل

وكان خرج من بغداد حاجاً سنة تسعٍ وثمانين وخمسمائةٍ أو نحوها فجاور بمكة، ثم صار منها إلى الشام وأقام بحلب مدةً، ثم انتقل إلى مصر فسكنها إلى أن مات بها في ثامن عشر رمضان سنة ستٍ وتسعين وخمسمائةٍ، عن سبعٍ وستين سنةً، ودفن بالقرافة، وحدث بذلك ابنه أبو منصورٍ علي.

وقرأت بخط ابن أبي سالمٍ الذي لا أرتاب به ما صورته: نسخة كتابٍ كتبته إلى القاضي الفاضل عند قدومي من الحجاز إلى مصر في جمادى الآخرة، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائةٍ: لو كانت المودات - أطال الله بقاء المجلس السامي - في نعمةٍ خصيبة المرتع، وعيشةٍ عذبة المنبع - وأدام علاه في سعادةٍ لا تتطرق إلى صافي بردها السابغ حوادث الأقدار - و لا يتطرق صافي وردها السائغ بحوادث الأكدار، وحرسمواهبه لديه ما لزم السكون أول المشددين، ولا زالت ثاويةً بجنابه حتى يلتقي المخففان من كلمتن، ولا فتئت منح التوفيق مصاحبةً له ما اشتبه الذاتي بالعرض اللازم، وذم المفرط في أمره وأحمد الحازم، لا تقرع أبوابها، ولا تتدرع زينة لبوسها وأثوابها إلا عن معرفةٍ في المشاهد سابقةٍ، أو ماتةٍ قائدةٍ، أو ذريعةٍ سائقةٍ والتعاضد والتضافر سابق للصفة، وإنما للنفوس سرائر أهواءٍ تحن إلى التداني إن تباعدت الشعوب وتنازحت الديار، كما لتباينها أسباب تتنافر من أجلها وإن تقاربت الأنساب، وتنازحت المقار، والفضائل الفاضلية القريرة، والمناقب الشهيرة التي قد سار ذكرها في الآفاق سير القمر، وعطلت مزيتها مروي السير، وتليت محاسنها كما تتلى السور، وصار الفوز بمناسمة رياها من أفضل ما أسفر عنه سفر، ولو عاينها الصدر الأول لمدح في دراستها السهر، وما جدب السمر، فلا غرو أن تحن النفوس إلى محل كمالها، ومأوى تضافر أضدادها التي انفرد بجمالها ومثوى مواهبها التي هبطت إليه من المحل الأرفع لما سمي لها وسما لها، ومن هو أمينها المصدق لظنونها، ويمينها إذا كان غيره يمينها وشمالها، وقد زادها إفراط حسن التبيان، فلله در ذلك البيان، فلكم استفادت حجته إلى أمر الله من اطوائف والفرق، وكم قص كتابه من كتائب الضلال وفرق.

ثم ذكر وصف بلاغته بما أطال فيه، ووصف البحر ركبه حتى خلص إلى مصر، ثم قال: وقد أرسل هذه الخدمة مستخرجة للإذن في الحضور والتشرف بميمون اللقاء، وإن زاحم به أوقات الطاعات ومواقيت الأذكار. وشغل على اختصاره عن شيء من المهام والأوطار. وللمتوكل لنفسه أن يدعي أن في ذلك

ضرباً من ضروب البر، فإنه قد أصبح ولله الحمد في هذا الطرف لقاطنيه وطارقيته كالأب البر. والمنشود من الأريحية الكريمة إكرام مثوى خدمته، وتلقيها بما يزيل عنها انقباض الغريب ووحشته، وحيرة القادم ودهشته، فعنده حياء طبيعي لعلةٍ متجاوزةٍ للقدر المحمود غذيت به طفلاً،فإن رمت غيره عصاني وأعرتني به ألفة المهد. وكتب إليه بعد الحضور عنده رقعةً منها: وحضر الشيخ النفيس وصحبته ما قابل كريم الاهتمام الذي صدر عنه من الأدعية والأثنية بما لا يزال يواليه ويرفعه ويهديه، ولق أخجله أن يرى نفسه في صورة مثقلٍ، أو يرى بعين غير موحدٍ في دين هواه متنقلٍ. ومقترحه أن يخص من حسن الرأي العالي بشعار يبهج ولا ينهج، ويشرع له سبيلاً في الفخر وينهج، وأن يشير بأسطرٍ بالخط الكريم يفوق المال، ويبقى الجمال، فأبقى السمات ما خطته يمينه، وأثبت الصفات ما دل عليه تزيينه، وأزكى الشهادات ما تطوع به كرمه، وأعطر رياض الحمد ما أنبتته ديمه. وقد حصل الخادم بين نزاع يحضه على حضور الخدمة وينشطه، وخوف إبرامٍ يقبضه ويثبطه. وقد ترجم عن حاله هذه بأبيات الشاعر أبي عبد الله وهي:

حالة قد حصلت للخوف منها ... حول دار الأستاذ في عشواء
لإن تأخرت أو تقدمت فيها ... ساء ظني في الموضعين برائي
لست أدري من الضلال أقدا ... مي خير في ذاك أم من ورائي؟
أوثر الخدمة التي تؤثر اسمي ... عندكم في جريدة الأولياء
ثم أخشى أني أعد إذاجئ ... ت من المبرمين والثقلاء
قد تحيرت فاجعلوا أنتم اسمي ... حيث شئتم من هذه الأسماء

ومن خطه: ومن عبث الخاطر وهوسه أبيات تشوفت فيها الحجاز بعد مجاورتي بالحم الشريف بمكة – قدسها الله – سنة اثنتين أو ثلاثٍ وسبعين وهي:

خليلي هل يشفي من الوجد وقفة ... بخيف منىً والسامرون هجوع؟
وهل للبيلات المحصب عودة ... وعيشٍ مضى بالمأزمين رجوع؟
وهل سرحة بالسفح من أيمن الصفا ... رعت من عهودي ما أضاع مضيع؟

وهل قوضت خيم على أبرق الحما ... وما ذاك من غدر الزمان بديع؟
وهل تردن ماءً بشعب ابن عامرٍ ... حوائم لو يقضى لهن شروع؟
وما ذاك إلا عارض من طماعةٍ ... له بقلوب العاشقين ولوع

وإني متى أعص التجلد والأسى فللشوق مني والغرام مطيع

فيا جيرتي إذ للزمان نضارة وعودي نضار والخيام جميع

بنعمان والأيام فينا حميدة ووادي الهوى للنازلين مريع

وما أزمع الحي اليمانون نيةً ولا ريع بالبين المشت مروع

كفى حزناً أني أبيت وبيننا من البيد معدو الفجاج وسيع

أعالج نفساً قد تولى بها الأسى وطرفاً يجف المزن وهو هموع

ومن خطه أيضاً بيتان صدرت بهما كتاباً في هذه الرقعة إلى بعض الخوان بمكة – حرسها الله تعالى –:

ألا قل لجيران الصفا ليت داعي الت فرق أعمي يوم راح مناديا

لعمري لقد ودعت يوم وداعكم بشعب المنقى شعبةً من فؤاديا

ومن خطه رسالة كتبها إلى الفاضل أيضاً يسأله شيئاً من رسائله، قال في آخرها: فصار العوارف التي اقتصر في ذكرها على الإيماء وقوفاً مع محتد سيدنا – أطال الله بقاءه – مبسوط اليد في عباد الله بالفرض، مقرضاً له عناء همه فيهم أحسن القرض، منجزاً لهم ما وعد. " وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض " عند الخادم. ومثله كالبيت من القريض قبل القافية، والمريض الذي مطلته الأيام بالعافية، فلا يكمل ذاك ولا يتطرب به المشوق، ولا يترنم به الكئيب، ولا يتسلى به الغريب دون تمامه، وتكافؤ أجزاء نظامه، وعبقه بمسك ختامه، ولا يحس هذا بلذة على الحقيقة – وإن شرفت – حتى يجد روحه روح الشفاء فيدرك مزيتها بطرق الصحة، ومروءتها بحلسة سمعها، وتساعفه الأقدار بتكميلها لك وجمعها.

وما أسفي إلا عليها فإنني بقرطاسها لا بالدنانير أكلف

فجد لي بما أهواه منها فإنني سألحف في استيهابها وأكلف

وما هذه الأهواء إلا غرائز قبيح لدى نقادها المتكلف

وإن كان الخادم عن حال من شرف بهذا من أفناء الناس، ولم يكمل بعدته الإستئناس، فليس له أن يكون معترضاً، ولا أن يتلقى ذلك بغير التسليم والرضا، فإن الخدمة السامية هي التي تبين لديها الأقدار، وبأفعالها تترتب المنازل وتتفات الأخطار.

وكنت عند كوني بمرو عرض علي شيخنا فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن تاج الإسلام أبي سعد السمعاني – تغمده الله برحمته – جزءاً يشتمل على رسائل للحسن القطان إلى الرشيد الوطواط محشوة

بالسب له والثلب تصريحاً لا تعريضاً، ويلزمه الحجة في أنه نهب كتبه وسلبه نتيجة عمره، ويستحسب الله عليه. وضاق نطاق الزمان من تحصيلها وكتبها، وقلت:

وكم منيةٍ خلفت خلفي وبغية ... ومن حاج نفسٍ حال من دونها الترك

إذا ذكرتها تانفس حنت وأرزمت ... وودت لفرط الوجد أدركها الفتك

سلام على تلك الديار وقدست ... نفوس بمثواها ثوى العلم والنسك

وبقيت نفسي إليها متطلعة، وإلى مكنونها متلفتةً، فظفرت برسائل الرشيد محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري البلخي المعروف بالوطواط، متضمنة لأجوبة يدل آخرها على إضراب القطان عن تهمته، والإذعان بإبراء ساحته: نسخة الرسالة الأولى:

"بسم الله الرحمن الرحيم" قرع سمعي من أفواه الواردين وألسنة الطارئين على خوارزم أن سيدنا – أدام الله فضله – كلما تفرغ من مهمات نفسه، ووظائف درسه أقبل بمجامعه على أكل لحمي، والإطناب في سبي وشتمي، وينسبني إلى الإغارة على كتبه، ويبالغ في هتك أستار الكرم وحجبه. أهذا يليق بالفضل والمروءة؟ أو يجمل بالكرم والفتوة أن يفتري على أخيه الميلم بمثل هذا الكذب المقلق، والبهتان المؤلم، والله إذا نفخ في الصور يوم النشور، وبعثت هذه الرمم البالية، من الأجداث متدرعةٍ ملابس الحياة الثانية، وجمعت عباد الله في مواقف العرصات، وتطايرت صحائف الأعمال إلى أربابها، وسئلت كل نفسٍ عما كسبت، فمن مسيءٍ يسحب على وجهه إلى النار، ومن محسن يحمل على أعطاف الملائكة إلى الجنة، لم يتعلق في ذلك المقام الهائل أحد بذيلي طالباً مني ملكاً غصبته، ولا مالاً نهبته، أو دماً سفكته، أو ستراً هتكته، أو شخصاً قتلته، أو حقاً أبطلته، وهاأنذا قد آتاني الله من الوجه الحلال قريباً من ألف مجلدٍ من الكتب النفيسة، والدفاتر الفائقة، والنسخ الشريفة، ووقفت كلها على خزائن الكتب المبنة في بلاد الإسلام – عمرها الله – لينتفع المسلمون بها، ومن كانت عقيدته هكذا كيف يستجيز من نفسه أن يغير على كتب إمامٍ من شيوخ العلم، أنفق جميع عمره حتى حصل أوراقاً يسيرة، لو بيعت في الأسواق لما أحضر بثمنها مائدة لئيمٍ، الله الله، لا يفترين سيدنا – أدام الله فضله –، فافتراء الكذب على مثلي ذنب يتعثر في أذياله يوم القيامة، وليخافن الله الذي لا إله إلا هو، وليتذكرن يوماً يثاب الصادق فيه على صدقه، ويعاقب الكاذب على كذبه، والسلام. فورد على الرشيد جواب عن هذه الرسالة يكون في نحو كراستين يغلظ له في القول، ويصرح فيه بالسب والتهمة، فكتب الرشيد:

"بسم الله الرحمن الرحيم" ورد كتاب سيدنا – أطال الله بقاءه في دولة مفترة المباسم، ونعمةٍ متجددة المراسيم – مشتملاً من الإيذاء والإيحاش، والإبذاء والإفحاش على كلماتٍ، بل على ظلماتٍ، لو أطفأ –

أدام الله علوه – بعض لهبه، وسكن نائرة غضبه، ثم عاد إليه متصفحاً لألفاظه ومبانيه، لما ارتضى ذلك من دينه وعقله، ولكا استحسنه من كرمه وفضله، إلا أني أعذره فيما قال، قصر كلامه أو طال، لعلمي أنه – أدام الله علوه – مسلوب مغلوب، جريح أسنة القهر، طريح صدمات الدهر، عضته أنياب النوائب، وخدشته أظفار المصائب، نهبت كتبه وأمواله، وغصبت رحاله وأثقاله، وطالب الثأر يقصد كل راجلٍ وفارسٍ، وصاحب الضالة يتهم كل قائمٍ وجالسٍ، ولقد علم سيدنا – أدام الله علوه – أن وقعة مرو عمرها الله كانت واقعةً عامةً، شملت كل جبهةٍ وحافرٍ، وطبقت كل صائحٍ وصافرٍ، وكان قد لحقت في ذلك الوقت بعسكر خوارزمشاه من طبقات الناس أوزاع وأخياف، ومن حشرات الأرض أنواع وأصناف، قصارى هممهم القتل والإغارة، ومنتهى أربهم الإحراق والإبارة وأوباش مرو أيضاً كانوا يخرجون من مكامنهم في الليالي، ويتعرضون لبيوت السادات والموالي، فليسس بمستبعدٍ أن يكون قد ظفر بكتبه من أولئك الأقوام أحد لا يعرف شأنه، ولا يعلم مكانه، أما أنا فالله تعالى يعلم – وقد خاب من استشهده باطلاً – أني ما فتحت للإغارة بابه، ولا نهبت كتابة، بل ذهبت يوماً على مقتضى إشارته الكريمة لأحمل كتبه إلى المعسكر، فلما دخلت داره الرفيعة، ورأيت كتباً كثيرةً فوق ما يحيط به عد، أو يشتمل عليه حد، فقلت: تقل هذه أمر مشكل، وحمل هذه خطب معضل، فتركتها بحالها في أماكنها، وخليتها برمتها في معادنها، وخرجت كما دخلت خالي الحقائب، فارغ الزكائب، فإن كنت غصبت يوم وقعة مرو أو قبلها أو بعدها من كتبه – أدام الله علوه – كتاباً أو جزءاً أو دفتراً أو من سائر أمواله شيئاً صغر أو جل، كثر أو قل، أو رضيت أن يغصبه أحد من أتباعي والمنتمين إلي، أو عرفت غاصباً غصبه، أو ناهباً نهبه، فأخفيت ذلك عنه، أو كتمته منه، فأنا بريء من الله وهو بريء مني، وإن كنت فعلت بنفسي شيئاً مما ذكرت، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي، أو عرفت فاعلاً فعله، فعلي لله أن أحج بيته المعظم المكرم راجلاً راجلاً حافياً، وعلى عاتقي الزاد والمزادة عشر مراتٍ، وإن كنت فعلت شيئاً من ذلك، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي، أو عرفت فاعلاً فعله، فكل مالٍ ملكته يميني فهو في سبيل الله على مساكين الحرمين، وإن كنت فعلت شيئاً من ذلك، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي أو عرفت فاعلاً فعله، فكل عبدٍ ملكته أو أملكه فهو حر، وإن كنت فعلت شيئاً من ذلك، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي أو عرفت فاعلاً فعله، فكل امرأة تزوجتها أو أتزوجها فهي طالق مني ثلاث طلقاتٍ، هذه الأيمان والنذور كتبتها ببناني، وأجريتها على لساني، لا خوفاً من غوائله، ولا هرباً من حبائله، فإن الصلح آمن أهله، والإسلام جب ما قبله، ولكن إظهاراً لخلو راحتي، وبراءة ساحتي، وشفقةً عليه – أدام الله علوه – وصيانةً لفاضلٍ مثله لا مثيل له في أقطار الشرق والغرب، وأقاصي البر والبحر، أن يسلك طريقةً غير مستصوبةٍ ويختار شريعةً غير مستعذبةٍ. – عصمنا الله وإياه – مما يورث ذماً، ويعقب

إثما.

وقد بعث في قران هذه الخدمة خدمةً أخرى مفرطةً في الطول، مجررةً للذيول، منسوجةً على منوال آخر، كالكي للداء إذا استحكمت شدته، وتطاولت مدته، وعجز الأساة عن معالجته، والأطباء عن مداواته، وهديته - أدام الله علوه - فيها النجدين، وأريته الطريقين، ودفعت عنان الإختيار إليه، ووضعت زمام الإسار في يديه، ليسلك منهما ما يشاء، إما ما يسر به وإما ما يساء. - وفقه الله للصواب والأصلح، وأسعدة بالأرشد والأنجح، وجعله من الصالحين المصلحين، والفائزين المعليمن - إن شاء الله تعالى والسلام.

وكتب إليه مع الكتاب المتقدم ذكره:

" بسم الله الرحمن الرحيم ": صادفني - أطال الله بقاك في دولةٍ مشرقة الكواكب، ونعمةٍ هاطلة السحائب، وسلامةٍ طيبة المشارع والمشارب - خطابه الكريم وكتابه الشريف بخوارزم، وأنا ناعم البال منتظم الحال، ومنة النفس في دعةٍ، ومن العيش في سعةٍ، والحمد لله على ذلك، وبه الثقة والحول، وله المنة والطول، وحين تنسمت من يد حامله رياه، وثبت من مكاني مستقبلاً إياه، ومددت إليه يميني مد معزٍ مكرمٍ. وأخذته بطرف كمي أخذ مجلٍ معظمٍ، وقلت في نفسي: كرامة ساقها الله تعالى إلي، وسعادة ألقت أنوارها علي، وأرسلت في الحال قاصداً ذروات الأشراف، وسروات الأطراف، وبعثت في الساعة مرعاً إلى رجالات الأخبية والأبنية، وساكنة الأباطح والأودية، ودعوت من كل حلةٍ رئيسها وزعيمها، ومن كل خطةٍ كبيرها وعظيمها، حتى اجتمع عندي البدوي والحضري، واحتشد في ربعي الربعي والمضري، ثم عرضت عليهم كتاباً شريفاً بختمه، وحنيت ظهري لتقبيله ولثمه، وطلبت خطيباً مصقعاً من بلغاء بني معدٍّ صحيح اللسان، فصيح البيان، ووضعت له في منزلي منبراً من الساج، مغشى بالدرر والديباج، ليصعد به ذرا الأعواد، ويقرأه على رؤوس الأشهاد، فرفع الكل أصواتهم يمنةً ويسرةً، وسألوني خفيةً وجهرةً، ما هذا الذي تظهره لنا وتعرضه؟ وتوجب علينا سماعه وتفرضه؟ فقلت: كتاب إمامٍ لم تلمح عين الزمان لمثله، ولم تسمح يد الليالي بشكله، كتاب إمامٍ هو في العلم صاحب آياتٍ، وفي الفضل سابق غاياتٍ، إمام تطلع نجوم الجو دون قدره، وتحسد رياض الخلد أطايب صدره، كتاب إمامٍ تم به حساب العلماء، كما تم برسول الله صلى الله عليه وسلم حساب الأنبياء، صحيفة فخرٍ حررتها يد بيضاء، وقلادة مجدٍ رصعتها همة روعاء، ونشرت من معالي سيدنا - أدام الله علوه ومفاخره - وذكرت من مناقبه ومآثره، ما امتلأ بنشره النادي، وسال من ذكره الوادي، فسكنوا وسكتوا، وأصغوا وأنصتوا، فلما فضضت ختامه، وحدرت لثامه، وشاهدت في أثنائه من الفزع الأكبر، وعاينت في أدراجه من أهوال يوم المحشر، ما أطال السهاد، وأطار الرقاد، وشق جلباب الصبر ومريطاء الجلد، وجرح سواد العين وسويداء الخلد، حسبته حلةً

خسروانيةً، فوجدته حربةً هندوانيةً، كتاب لا بل كتائب تفل كل جيشٍ، وخطاب لا بل خطوب تكدر كل عيشٍ، وكلام لا بل في الأضالع كلام، وفصول لا بل في الجوانح نصول، وأسجاع مؤنقة لا بل أوجاع موبقة، كله كأنه نازلة الدهر، وقاصمة الظهر، كأنما ألفاظه أنياب الأراقم، ومعانيه أظفار الضراغم، وهو – أدام الله علوه – دفاع الأمراض بطبه، فلم أمرضني بفضائح سبه؟ ونطاسي الجراح بعلمه، فلم جرحني بقبائح ظلمه؟

ومن أرجى شفاء السقام ومسقمتي جفوات الطبيب

ما هذا الإنذار والإيعاد؟ وما هذا الإبراق والإرعاد؟ كأنه صاحب دلدل وفارس يليلٍ، أو كأنه من أقيال اليمن، وأبطال الزمن، أو كأنه ثعبان الحرب، وشيطان الطعن والضرب، وذكر البول، أولى به من ذكر الهول. وحديث البراز أولى به من حديث البراز:

إن للهجر رجالاً ورجالاً للوصال

قال – أدام الله علوه –: مصصت دمي من عرقي، أوليس يدري أن امتصاص الدماء من خصائص بضاعته، والتصرف في اللحوم والعظام من لوازم صناعته؟ – رحم الله – امرأً عرف قدره، و لم يتعد طوره، وشر ما في بني آدم من الخصال الذميمة، والأفعال اللئيمة، إيذاء الصغار والكبار، وإيحاش العبيد والأحرار. وهذا له: – أدام الله فضله – جبلة فطر عليها، وطبيعة استرسل معها، وسجية شهر بين العامة والخاصة بها، يشتم كل يوم في مترله ومكانه، وعلى سدة داره وطرف دكانه، خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً، من الرافعين قصصاً إليه، والعارضين عللهم عليه، فيرجعون وجفوهم تتصوب عبراها، وقلوهم تتصعد زفراها، لما يلاقون من سوء خلقه، ويقاسون من خشونة نطقه، ويقفلون وألم ذلك التهجم والإعراض، والوقيعة في الأحشاب والأعراض، أشد عليهم من ألم الأسقام والأمراض ولهذا جعل شخصه وصير نفسه، – مع أنه أفضل زمانه، وأعلم أولاد قرانه – ضحكة الأداني والأقاصي، وسخرةً للأذناب والنواصي، حتى صار بحيث إذا مشى في الأسواق تعادى صبيان البلد حوله فيسخرون منه، ويضحكون عليه، وينعرون في قفاه، ولا أقول فيه – أدام الله علوه – إلا ما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في ابن المقفع حين رأى كمال فضله، ونقصان عقله: علم وافر، وعقل قاصر. ومن قصور عقل ابن المقفع: أنه مر ببيت النار وكان من أولاد كسرى، فتنفس الصعداء، وتمثل ببيت الأحوص بن محمدٍ الأنصاري:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل

فاهم بالمجوسية، فألقى في تنورٍ مسجورٍ فأحرق، وما أصدق من قال: قيراط عقلٍ، خير من قنطار فضلٍ ومثقال حلمٍ، أنفع من مكيال علمٍ. أنكر – أدام الله علوه – رشاد مذهبي وإنكاره ضلال، وجحد سداد سيرتي وجحوده باطل محال، فيا طير الله جمجمة فرخت فيها الأضاليل وباضت، ويا أسكت الله شقشقةً دفعت منها الأباطيل وفاضت، ولا أعني بهذه الجمجمة إلا جمجمته التي لا عقل فيها، ولا أريد بهذه الشقشقة إلا شقشقته التي يباينها الصدق وينافيها. حتى متى يتهمني بظنه؟ وإلى كم يجرعني دردي دنه؟ أيحسب – أدام الله علوه – أن ظنه الباطل، وخياله الفاسد، ووهمه الكاذب، وحي من السماء إلهي، أو إلهام في الحقيقة رباني، أو آية نفث بها روح القدس في روعه، لا بل هو واحد من أبناء زماننا، وهذا شر الأزمنة، عجم الشيطان عوده فاستلانه، فصير خزانة خياله مكانه، فهذه الخطرات التي تختلج في جنانه وتدور حول حسبانه من تلك الخيالات الشيطانية، لا من الإلهامات الربانية. ولقد بلغني من أفواه الرواة وألسنة الثقات، أنه: – أدام الله علوه – أخذ بعين هذه التهمة الكاذبة قبل هذا واحداً من أعيان جلدته، وسكان بلدته، وهو مسعود بن المنتخب، – رحمه الله – فأغار على أهله وبيته، وتعرض لحيه وميته، وخرب دوره ورباعه، وغصب أثاثه وباعه، من غير حجةٍ صححها، ولا بينةٍ أوضحها، – اللهم اصرع الظالم على الهامة، وخذ منه للمظلوم حتى يرضى عنه يوم القيامة – ومما أقضى منه العجب أن عهدي به – أدام الله عزه – قد كان يخرب الأبدان، فها هو الآن يخرب الأوطان، وما أسرع الدهرإلى تغير البشر، وما أقدره على تبديل الصور والسير.

قرأت في بعض الكتب أن خليفةً من الخلفاء رأى في منامه أن واحداً من ندمائه وثب عليه ليقتله، فلما أصبح استدعى النديم وأمر بقتله، فقال له النديم: ماذا فعلت من الذنب حتى استوجبت هذه العقوبة؟ قال الخليفة: ما فعلت شيئاً، ولكني رأيت في المنام أنك تقتلني، فقال له النديم: إن يوسف بن يعقوب – صلوات الله وسلامه عليهما – مع كونه صديقاً نبياً احتاجت رؤياه إلى تعبيره، وافتقرت أحاديثه إلى تأويلٍ وتفسيرٍ. أفتستغني رؤياك عن مثل ذلك؟ فضحك الخليفة وخلاه. وأنا أقول: هكذا ظنون جميع ذوي الألباب، معرضة للخطأ والصواب، كأنه – أدام الله علوه – تفرد بينهم بذاته، وتوحد بعظمة صفاته، فتنزهت ظنونه عن السهو، وتقدست أحاديثه عن اللغو، عصمنا الله من الكبر البائن والعجب الشائن، أما حان أن ينتبه – أدام الله علوه – من غفلته ويستيقظ من رقدته، وقد بلغ غاية شيبه، وأخذ الموت بلحيته وجيبه، يقرع كل ساعةٍ منادى الفناء في أذنه الصماء، أن أترك أوطانك، واهجر أهلك وجيرانك، وارحل إلى جهنم بخيلك ورجلك، فإنها قد أوقدت نيرانها لأجلك، وما حرص جهنم على شيء كحرصها على إحراق شيخٍ غويٍ، وهمٍ غبيٍ، سيئ الخليقة، مذموم الطريقة، يتظاهر بالإثم

والعدوان، ويتبع خطوات الشيطان، وهو – أدام الله علوه – بلغ ساحل الحياة، ووقف على ثنية الوداع، وهم بحر عمره بالنضوب ومال نجم بقائه للغروب، فما ظنه؟ هل في الحياة طمع وقد بليت جدته وفنيت مدته، وتراجع أمره، وأربي على الثمانين عمره؟:

أيرجو الفتى عوداً إلى طيباته وقد جاوزت رأس الثمانين سنه

كتبت هذه الأحرف على سبيل النموذج والجواب بعد في الجراب، والسيف لم يسل من القراب فإن انزجر – أدام الله علوه – واتعظ، وترك الفظاظة والغلظ، وعاد إلى كرم العهد، وصفاء الود فأنا خادم مخلص، وعبد مطيع، وتلميذ معتقد:

وإلا فعندي للعدو وقائع تريه المنايا لا ينادي وليدها

الحسن بن محمدٍ المهلبي أبو محمدٍ

قد سقطت من نسختنا أوائل الترجمة قصيدة يخاطب فيها أبا جعفرٍ الصيمري، ويذكر المهلبي – وكان في صحبته –:

ماذا لقينا من القاطول لا هطلت فيه السحاب ولا سقته تهتانا
فقد سددناه وارتدت غواديه حسرى ولم نأل إحكاماً وإتقاناً
وقد دعمنا له سكراً سما وطما حتى توهمه راوه ثهلانا
واستفرغ الوسع حتى طم خادمك ال مهلبي وقاسى فيه أشجانا
نجاه منه بآراءٍ مثقفة تخالها في ظلام الليل نيرانا
رميت بحرأ بطودٍ فاستكانله كرهاً وأيقظت فيما بات يقظانا
وما تقابل بالإقبال ممتنعاً إلا تبدل بالعصيان إذعانا

ثم خرج معز الدولة والصيمري إلى الموصل لقتال ناصر الدولة، فاستخلف الصيمري المهلبي وأبا الحسن طازاد بن عيسى على الأمور بمدينة السلام إلى أن عاد، ثم خرج الصيمري إلى البطيحة لطلب عمران بن شاهين، واستناب بحضرة معز الدولة أبا محمدٍ وحد في سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ، فخدم أبو محمدٍ معز الدولة خدمة خفف بها عنه وخف على قلبه، فقبله ومال إليه، وبلغ أبا جعفرٍ ذلك فثقل عليه، فتطلب لأبي محمدٍ الذنوب وتحمل ما أنكره عليه، وأطلق فيه لسانه بالوقيعة والتهدد، وبلغ أبا محمدٍ ذلك، فقلق واستشعر النكبة والهلكة، لأنه لم طمع من معز الدولة في نصرته عليه، وعصمته منه، فما راعه إلا ورود

كتاب الطائر بوفاة الصيمري، فجلس له في العزاء، وأظهر له الحزن الشديد ولزم منزله، واستدعاه معز الدولة وأمره بالحضور وتمشية الأمور، إلى أن يقلد من يرى تقليده الوزارة وترشح للوزارة جماعة، منهم أبو عليٍ الحسن بن هارون بن نصرٍ، وأبو عليٍ الحسن بن محمد الطبري، وأبو الحسن محمد بن أحمد المافروخي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الخوميني وبذلوا البذول، وضمنوا الأموال، ووسط أبو عليٍ الطبري في أمره والدة معز الدولة، وبذل مائتي ألف درهمٍ عاجلةً على سبيل الهدية بمطالبه معز الدولة، فحمل منه مائةً وثمانين ألف درهمٍ وقال: قد بقي بقية يسيرة إذا ظهر أمري حملتها، فقال معز الدولة: لا أفعل إلا بعد استيفاء المال، فعلم الطبري أنه خدع، وندم على ما حمله. ثم حضر الجماعة المترشحون الخاطبون وكل منه يعتقد أنه المختار المقلد، وجلسوا في خركاةٍ ينتظرون الإذن، ثم وصل القوم ووقفوا على مراتبهم، ودخل أبو محمد بعدهم وقام في أخرياتهم، فلما تكامل الناس أسر معز الدولة إلى أبي عليٍ الحسن بن إبراهيم الخازن قولاً لم يسمع، فمشى إلى أبي محمدٍ المهلبي وقبل يده، وخاطبه بالأستاذية على ما كان أبو جعفرٍ يخاطب به، وحمله إلى الخزانة فخلع عليه القباء والسيف والمنطقة.

قال هلال: قال جدي: فوالله يا بني لقد رأيت الناس على طباقاتهم ممن أسميناه ومن يتلوهم من الجند وغيرهم، والسعيد من وصل إلى يده فقبلها. وعاد أبو محمد إلى حضرة معز الدولة فخاطبه بالتعويل عليه ف تقلد وزارته وتدبير دولته، وشكره أبو محمدٍ شكراً أطال فيه، وخرج منصرفاً إلى داره، فقدم له شهري بمركبٍ ذهبٍ، وسار أبو محمدٍ سبكتكين الحاجب بين يديه والقواد والناس في موكبه، وذلك لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ، ثم جددت له الخلع من دار الخلافة بالسواد والسيف والمنطقة، فأثقلته هذه الخلع – وكان ذا جثة و الزمان صيف – وقد مشى في تلك الصحون الكثيرة، فسقط عند دخوله إلى حضرة المطيع لله ووقع على ظهره فأقيم، وظن أنه يحصر لما جرى، فقال: يا أمير المؤمنين:

خرسنوه وما درى ما خراسا ... ن بلبس القباء والمزجين

ثم أكثر الشكر وأطال فيه، فاستحسنت منه هذه البديهة على تلك الصورة، وركب إلى داره وجميع الجيش معه وحجاب الخلافة ومعز الدولة بين يديه، فلما كانت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائةٍ، لهج معز الدولة بذكر عمان، وحدث نفسه بأخذها، وأغراه بذلك المعروف بكرك أحد النقباء الأصاغر، فأمر المهلبي بالخروج إليها فدافعه ووضع عليه من يزهده فيها فلم يزدد إلا لجاجاً، وكان أبو محمدٍ يؤذي حاشية معز الدولة فإنه ألزمهم تقسيطاً في نفقة البناء الذي استحدثه من غير أن يخرج بأحدٍ منهم

إلى عسف، فأحفظهم فعله، فبعثوا معز الدولة على إخراجه، فما ألح عليه ضمن له أن يستخرج من هؤلاء جملةً كبيرةً يستعين بها في هذا الوجه، فمكنه من ذلك بعد أن شرط عليه أخذ العفوة تجنب الإجحاف، فقبض على جماعةٍ وأخذ منهم ألفي درهمٍ، منها خمسمائة ألف درهمٍ من أبي عليٍ الحسن بن إبراهيم النصراني الخازن، ومعز الدولة على غاية العناية بأمره والثقة بأنه لا مال له، وأظهر أبو عليٍ الفقر وسوء الحال، وأنه اقترض المال الذي أداه من الناس، فشق ذلك على معز الدولة وظنه حقاً، واعتل أبو عليٍ عقيب ذلك ومات، فاعتقد معز الدولة أن أبا محمدٍ قتله لما عامله به، وأقبل عليه يلومه ويحلف له أنه يقيده به،، فلم يلتفت أبو محمدٍ إلى ذلك، وبادر إلى دار أبي عليٍ وقبض على خادمٍ له صغيرٍ كان يختصه ويثق به، ومناه ووعده، فدله على دفينٍ كان لأبي عليٍ في الدار فاستخرج منه عدة قماقم فيها نيف وتسعون ألف دينارٍ، وحملها إلى معز الدولة وقال له: هذا قدر أمانة خازنك الذي ظننت أني قد قتلته باليسير الذي أخذته لك منه، وما فيه درهم من مالك، وإنما اقترضه من أولادك وحرمك وغلمانك وشنع عليك. ثم تتبع أسبابه وأخذ منهم تمام مائتي ألف دينار، وقدر أبو محمدٍ أن معز الدولة يمكنه من الحاشية الباقين ويعفيه من الخروج فلم يفعل، وجد به جداً شديداً في الإنحدار، فانحدر في جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائةٍ، وتمادت أيامه بالبصرة للتأهب والاستعداد، وامتنع العسكر المجرد من ركوب البحر، فبلغ معز الدولة ذلك، فاتهمه بأنه بعث العسكر على الشغب، فكاتبه بالجد والإنكار عليه في توقفه وإلزام المسير، ووجد أعداؤه طريقاً للطعن عليه، واغتنموا تنكر معز الدولة عليه، وأقاموا في نفسه أنه انحدر من مدينة السلام وهو لا يعتقد العود إليها، وأنه سيغلب على البصرة كما تغلب البريديون، وأن العسكر الذي معه والعشائر هناك على طاعةٍ له، وعظموا عنده أحواله، فتدوخ معز الدولة بأقاويلهم، وعرف أبو محمدٍ ذلك فأطلق لسانه فيهم، وخرق الستر بينه وبينهم، وتطابقت الجماعة في المشورة على معز الدولة بالقبض عليه والإعتياض بأمواله عما يقدر حصوله من عمان، وجعلوه على ثقةٍ من أنهم يسدون مسده، فمال إلى قولهم وكتب إلى أبي محمدٍ يعفيه من الإتمام إلى عمان، ويرسم له الإنكفاء إلى مدينة السلام، وعلم أبو محمدٍ بالحال، ووطن نفسه على الصبر وركوب أصعب المراكب فيه، وأن يدخل فيما دخل فيه القوم، ويتولى هو مصادرة نفسه وأصحابه وخصومه وأعدائه، وكان ملياً بذلك، فهجمت عليه علته التي مات منها، وتردد بين إفاقةٍ ونكسةٍ إلى أن وردت الكتب باليأس منه، فأنفذ معز الدولة حينئذ أحد ثقاته على ظاهر العيادة له، وباطب الاستظهار على ماله وحاشيته، فألقاه في طريقه محمولاً في محفةٍ كبيرةٍ مملوءةٍ بالفرش الوثيرة، ومعه فيها من يخدمه ويعلله، ويتناوب في حملها جماعة من الحمالين، فلما انتهى إلى زواطا قضى نحبه ومضى لسبيله، وسقط الطائر بمدينة السلام بذلك، فقبض على أسبابه وحرمه وولده،

فصودرت الجماعة، ووقع السرف في الاستقصاء عليهم، فلم يظهر لأبي محمدٍ مال صامت ولا ذخيرة

باطنة، وبانت لمعز الدولة نصيحته، وبطلان النكير عليه، وقد كان يصل إليه من حقوق الرقاب في ضياعه وما يأخذه من إقطاعه، ويستثني به على عماله مال كثير يستوفيه جهراً من غير أن توقع فيه أمانة، وبصرف جميعه في مئونته ونفقاته وصلاته وهباته، وإلى هدايا جليلةٍ كان يتكلفها لمعز الدولة في أيام النواريز والمهاريج.

وعطف معز لدولة على الجماعة يطالبهم بالضمانات التي ضمنوها فاحتجوا بوفاته، ووعدوا بالبحث عن ودائعه، وتدافعت الأيام واندرج الأمر، فكان الذي صح من مال أبي محمدٍ ومال حرمه وأولاده وأسبابه خمسة آلاف درهمٍ، فيها الصامت والناطق والباطن، وأثمان الغلات وارتفاق الأملاك والأموال، وأموال جماعةٍ من التجار أخذت بالتأويلات، وكانت وفاته سبباً لصيانته عن عاجل ابتذالهم له، وصيانتهم عن آجل بلواهم به، وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهرٍ، ووفاته في يوم السبت لثلاث ليالٍ بقين من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائةٍ. ولأبي محمدٍ:

قضيت نحبي فسر قوم حمقى لهم غفلة ونوم

كأن يومي على حتم وليس للشامتين يوم

قال هلال: وحدثني أبو إسحاق جدي قال: صاغ أبو محمدٍ دواة ومرفعاً وحلاهما حليةً كثيرةً مشرقةً وكانت ذراعاً وكسراً في عرض شبر، وكذلك كانت آلاته عظاماً، حتى إن آلة دسته مثل مخاده مساند الدسوت إلى ما يجري هذا المجرى من آلات الاستعمال، وقدمت الدواة بين يديه في مرفعها وأبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي وأنا إلى جانبه، فتذاكرنا سراً حسن الدواة وجلالتها وعظمتها، ثم قال لي: ما كان أحوجني إليها لأبيعها وأتسع بثمنها، فقلت: وأي شيء يعمل الوزير؟ قال: يدخل في حر أمه وسمع أبو محمدٍ ما جرى بيننا بالإصغاء منه إلينا، وذهب ذاك علينا، فاجتمعت مع أبي أحمد من غدٍ فقال لي: عرفت خبر الدواة؟ قلت: لا. قال: جاءني البارحة رسول الوزير ومعه الدواة ومرفعها، ومنديل فيه عشر قطع ثياباً حساناً وخمسة آلاف درهمٍ وقال: الوزير يقول لك: أنا عارف بأمرك في قصور المواد عنك، وتضاعف المؤن عليك، وأنت تعرف شغلي وانقطاعي به عن كل حقٍ يلزمني، وقد آثرتك بهذه الدواة لما ظننته من استحسانك إياها اليوم عند مشاهدتك، وحملت معها ما تجدد به كسوتك وتصرفه في بعض نفقتك، وانصرف الرسول، وبقيت متحيراً متعجباً من اتفاق ما تجارينا به أمس زحدوث هذا على أثره، وتقدم أبو محمدٍ بصياغة دواةٍ أخرى على شكلها ومرفعٍ مثل مرفعها، فصيغت في أقرب مدةٍ، ودخلنا إلى مجلسه وقد فرغ منها وتركت بين يديه وهو يوقع منها.

ونظر أبو محمدٍ إلى وإلى أبي أحمد ونحن نلحظها فقال: هيه من منكما يريدها بشرط الإعفاء من الدخول فخجلنا وعلمنا أنه كان قد سمع قولنا. وقلنا: بل يمتع الله مولانا وسيدنا الوزير بها، ويبقيه حتى يهب ألفاً مثلها، اللهم أنت جدد الرحمة والرضوان عليه في كل ساعة، بل لحظةٍ بل لمحةٍ، وعلى كل نفسٍ شريفةٍ وهمةٍ عاليةٍ، إنك العلي تحب معالي الأمور وأشرافها، وتبغض سفسافها.

قال: وحدث إبراهيم بن هلالٍ قال: كان أبو محمدٍ المهلبي يناصف العشرة أوقات خلوته، ويبسطنا في المزح إلى أبعد غايةٍ، فإذا جلس للعمل كان امرأً وقوراً، ومهيباً ومحذوراً، آخذاً في الجد الذي لا يتخونه نقص، ولا يتداخله ضعف، فاتفق أن صعد يوماً من طيارةٍ إلى داره – وقد حقنه البول وما كان يعتريه من سلسه – فقصد بعض الأخلية فوجده مقفلاً – وكذاك كانت عادته جاريةً في أخلية داره حفاظاً لها عن الابتذال – فأبى أن يدعو الفراش ويحضر، فقال لي متبادراً على نفسه:

فهبك طعامك استوثقت منه — فما بال الكنيف عليه قفل؟

فقلت: لعمري إنه موضع عجبٍ، وإذا وقع الاحتياط في الأصل فقد استغنى عنه في الفرع، فضحك وقال: أوسعتنا هجاءً. فقلت: وجدت مقالاً. فقال: اسكت يا فاعل يا صانع.

قال أبو إسحق: وأجلسني معز الدولة لأكتب بين يديه وأبو محمدٍ المهلبي قائم فحجبني عن الشمس، فقال: كيف ترى هذا الظل؟ فقلت: ثخين. فقال: واعجباً! أحسن وتسيء. وضحك! ومن شعر المهلبي:

يا هلالاً يبدوا لتهتاج نفسي — وهزاراً يشدو فيزداد عشقي

زعم الناس أن رقك ملكي — كذب الناس أنت مالك رقي

وحدث أبو محمدٍ المهلبي قال: كنت أيام حداثتي وقصر حالي، وصغر تصرفي أسكن داراً لطيفةً – ونفسي مع ذلك تنازع في الأمور العظيمة، إلا أن الجد قاعد، والمقدور غير مساعدٍ – فأصبحت يوماً وقد جاء المطر وازدادت الحجرة إظلاماً، وصدري بها ضيقاً، فقلت:

أنا في حجرةٍ تجل عن الوص — اف ويعمى البصير فيها نهارا

هي في الصبح كالظلام وفي اللي — ل يولي الأنام عنها فرارا

أنا منها كأنني جوف بئرٍ — أتقي عقرباً وأحذر فارا

وإذا ما الرياح هبت رخاءً — خلت حيطانها تميد انهيارا

ورب عجل خرابها وأرحني — من حذاري فقد مللت الحذارا

تحدث أبو الحسين هلال بن المحسن قال: حدث القاضي أبو بكر بن عند الرحمن بن خزيمة قال: كنت مع الوزير المهلبي بالأهواز، فاتفق أن حضرت عنده في يومٍ من شهر رمضان، والزمان صائف والحر شديد، ونحن في خيشٍ باردٍ، فسمع صوت رجلٍ ينادي على الناطف فقال: أما تسمع أيها القاضي صوت هذا البائس في مثل هذا الوقت؟ والشمس على رأسه، وحرها تحت قدميه، ونحن نقاسي في مكاننا هذا البارد ما يقاسيه من الحر؟ وأمر بإحضاره فأحضر، فرآه شيخاً ضعيفاً عليه قميص رث وهو بغير سراويل وفي رجله تاسومة مخلقة، وعلى رأسه مئزر، ومعه نبيخة فيها ناطف لا تساوي خمسة دراهم، فقال له: ألم يكن لك أيها الشيخ في طرفي النهار مندوحة عن مثل هذا الوقت؟ فتنفس الرجل وقال: ما أهون على الراقد سهر الساهد! وقال:

ما كنت بائع ناطفٍ فيما مضى ... لكن قضت لي ذاك أسباب القضا
وإذا المعيل تعذرت طلباته ... رام المعاش ولو على جمر الغضا

فقال له الوزير: أراك متأدباً، فمن أين لك ذلك؟ فقال: إني أيها الوزير من أهل بيتٍ لم يكن فيهم من صناعته ما ترى – وأسر إليه أنه من ولد معن بن زائدة – فأعطاه مائة دينارٍ وخمسة أثوابٍ، وجعل ذلك رسماً له في كل سنةٍ.

وحدث القاضي أبو عليٍ التنوخي قال: شاهدت أبا محمدٍ المهلبي قد ابتيع له في ثلاثة أيامٍ ورد بألف دينارٍ فرش به مجالس وطرحه في بركةٍ عظيمةٍ كانت في داره، ولها فوارات عجيبة يطرح الورد في مائها وينفضه، وبعد شرابه عليه وبلوغه ما أراده منه أنهبه، ولأبي عبيد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يرثي أبا محمدٍ:

يا معشر الالشعراء دعوة موجعٍ ... لا يرتجى فرح السلو لديه
عزوا القوافي بالوزير فإنها ... تبكي دماً بعد الدموع عليه
مات الذي أمسى الثناء وراءه ... وجميل عفو الله بين يديه
هدم الزمان بموته الحصن الذي ... كنا نفر من الزمان إليه
وتضاءلت همم المكارم والعلا ... وانبت حبل المجد من طرفيه
عمري لئن قادته أسباب الردى ... مثل الجواد يقاد في شطنيه
فليعلمن بنو بويهٍ أنما ... فجعت به أيام آل بويه

ولأبي محمدٍ المهلبي:

أمثلي يا أخي وقسيم نفسي | يفارق عهده عند الفراق؟
ويسلو سلوةً من بعد بعدٍ | وينسبه الشقيق إلى الشقاق
فأقسم بالعناق وتلك أشفى | واوفى من يميني بالعتاق
لقد ألصقت بي طلباً قبيحاً | تجافى جانباه عن التصاق

وحدث أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزري الشاعر الملقب بالظاهر قال: كنت كثير الملازمة للوزير محمدٍ المهلبي، فاتفق أني غسلت ثيابي وأنفذ إلي يدعوني، فاعتذرت بعذرٍ فلم يقبله وألح في استدعائي، فكتبت إليه:

عبدك تحت الحبل عريان | كأنه لا كان شيطان
يغسل أثواباً كأن البلى | فيها خليط وهي أوطان
أرق من ديني إن كان لي | دين كما للناس أديان
كأنها حالي من قبل أن | يصبح عندي لك إحسان
يقول من يبصرني معرضاً | فيها وللأقوال برهان
هذا الذي قد نسجت فوقه | عناكب الحيطان إنسان؟

فأنفذ لي جبةً وقميصاً وعمامةً وسراويل وكيساً فيه خمسمائة درهمٍ وقال: قد أنفذت لك ما تلبسه وتدفعه إلى الخياط ليصلح لك الثياب على ما تريده، فإن كنت غسلت التكة واللالكة فعرفني لأنفذ لك عوضها. ولأبي محمدٍ المهلبي:

ويومٍ كأن الشمس والغيم دونها | حجاب به صينت فما يتهتك
عروس بدت في زرقة من ثيابها | تجللها فيها رداء ممسك

قرأت بخط المحسن بن إبراهيم الصابئ: أنشدني والدي قال: أنشدني الوزير أبو محمدٍ المهلبي لنفسه:

إذا تكامل لي ما قد ظفرت به | من طيب مسمعةٍ وصوت رنان
وقهوةٍ لو تراها خلت رقتها | ديني ومن حاجزٍ إن شئت أغناني
فما أبالي بما لاقى الخليفة من | بغي الخصي وعصيان ابن حمدان

وقال الصاحب بن عبادٍ: أنشدني الأستاذ أبو محمدٍ المهلبي لنفسه:

قال لي من أحب والبين قد جد | د وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي | قلت أبكي عليك طول الطريق؟

حدث أبو عليٍ التنوخي قال: كان أبو محمدٍ المهلبي يكثر الحديث على طعامه وكان طيب الحديث، وأكثره مذاكرة بالأدب وضروب الحديث على المائدة لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتاب والندماء، وكنت كثيراً ما أحضر، فقدم إليه في بعض الأيام حجل فقال لي: أذكرني هذا حديثاً طريفاً، وهو ما أخبرني به بعض من كان يعاشر الراسبي الأمير قال: كنت آكل معه يوماً وعلى المائدة خلق عظيم فيهم رجل من رؤساء الأكراد المجاورين لعمله، وكان ممن يقطع الطريق، ثم استأمن إليه فآمنه واختصه، وطالت أيامه معه وكان في ذلك اليوم على مائدته إذ قدم حجل فألقى الراسبي منه واحدةً إلى الكردي كما تلاطف الرؤساء مؤاكليهم، فأخذها الكردي فجعل يضحك، فتعجب الراسبي من ذلك وقال: ما سبب هذا الضحك وما جرى ما يوجبه؟ فقال: خبر كان لي، فقال: أخبرني به، فقال: شيء ظريف ذكرته لما رأيت هذه. قال: فما هو؟ قال: كنت أيام قطع الطريق قد اجتزت في المحجة الفلانية في الجبل الفلاني وأنا وحدي في طلب من آخذ ثيابه، فاستقبلني رجل وحده، فاعترضته وصحن عليه فاستسلم إلي ووقف، فأخذت ما كان معه وطالبته أن يتعرى ففعل ومضى لينصرف، فخفت أن يلقاه في الطريق من يستفزه علي فأطلب وأنا وحدي فأوخذ، فقبضت عليه وعلوته بالسيف لأقتله، فقال: يا هذا أي شيءٍ بيني وبينك؟ أخذت ثيابي ولا فائدة لك في قتلي، فكتفته و لم ألتفت إلى قوله، وأقبلت أقنعه بالسيف، فالتفت كأنه يطلب شيئاً فرأى حجلةً قائمةً على الجبل فصاح: يا حجلة اشهدي لي عند الله تعالى أني أقتل مظلوماً، فما زلت أضربه حتى قتلته، وسرت فما ذطرت هذا الحديث حتى رأيت هذه الحجلة، فذكرت حماقة هذا الرجل فضحكت، فانقلب عليه الراسبي في رأسه حرد وقال: لا جرم والله إن شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم في الدنيا قبل الآخرة، وما آمنتك إلا على ما كان منك من إفساد السبيل، فاما الدماء فمعاذ الله أن أسقطها عنك يابن الفاعلة بالأمان، وقد أجرى الله على لسانك الإقرار عندي. يا غلمان اضربوا عنقه، قال: فبادر الغلمان إليه بسيوفهم يخبطونه حتى تدحرج رأسه بين أيديهم على المائدة وجرت جثته، ومضى الراسبي حتى أتم غداءه.

قال قال أبو عليٍ: حضرت أبا محمدٍ في وزارته، وقد دفع إليه شاعر رقعة صغيرة فقرأها وضحك وأمر له بألف درهمٍ، وطرح الرقعة فقرأتها وإذا فيها:

يا من إليه النفع والضر	قد مس حال عبيدك الضر
لا تتركن الدهر يظلمني	ما دام يقبل قولك الدهر

قال إبراهيم بن هلالٍ الصابئ: كان أبو محمدٍ يخاطب بالأستاذية. قال أبو عليٍ: كنت في سنة اثنتين

وخمسين وثلاثمائةٍ ببغداد، فحضر أول يومٍ من شهر رمضان، فاصطحبت أنا وأبو الفتح عبد الواحد بن أبي عليٍ الحسين بن هارون الكاتب في دار أبي الغنائم الفضل بن الوزير أبي محمدٍ المهلبي لنهنئه بالشهر عند نوجه أبيه إلى عمان، وبلغ أبو محمدٍ إلى موضعٍ من أنهار البصرة يعرف بعلياباذ، ففترت نيته عن الخروج إلى عمان، واستوحش معز الدولة منه وفسد رأيه فيه، واعتل المهلبي هناك، ثم أمره معز الدولة بالرجوع من علياباذ، وألا يتجاوزه، وقد اشتدت علته والناس بين مرجفٍ بأنه يقبض عليه إذا حصل بواسط أو عند دخوله إلى بغداد، وقوم يرجفون بوفاته، وخليفته إذ ذاك على الوزارة ببغداد: أبو الفضل العباس بن الحسين بن عبد الله، وأبو الفرج محمد بن العباس بن الحسين، فجئنا إلى أبي الغنائم، ودخلنا إليه وهو جالس في عرضي داره التي كانت لأبيه على دحلة على الصراة عند شباك على دجلة، وهو في دست كبير عالٍ جالس وبين يديه الناس على طبقاتهم، فهنأناه بالشهر وجلسنا، وهو إذا ذاك صبي غير بالغ إلا أنه محصلٌ، فلم يلبث أن جاءه أبو الفضل وأبو الفرج فدخلا إليه وهنآه بالشهر، فأجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره على طرف دسته في الموضع الذي فيه فضلة المخاد إلى الدست، ما تحرك لأحدهما ولا انزعج ولا شاركاه في الدست، وأخذا معه في الحديث، وزادت مطاولتهما، وأبو الفضل يستدعي خادم الحرم فيساره فيمضي ويعود ويخاطبه سراً، إلى أن جاءه بعد ساعةٍ فساره فنهض، فقال له أبو الفرج: إلى أين يا سيدي؟ فقال: أهنئ من يجب تهنئته واعود إليك، فكن مكانك، وكان أبو الفضل زوج زينة ابنة أخت أبي الغنائم من أبيه وأمه تجني، فحين دخل واطمأن قليلاً وقع الصراخ وتبادر الخدم والغلمان، ودعي الصبي وكان يتوقع أن يرد عليه خبر موت أبيه، لأنه كان عالماً بشدة علته، فقام فأمسكه أبو الفرج وقال: اجلس - وقبض عليه - وخرج أبو الفضل وقد قبض على تجني أم الصبي ووكل بها خدماً وختم الأبواب، ثم قال للصبي: قم يا أبا الغنائم إلى مولانا - يعني معز الدولة - فقد طلبك، وقد مات أبوك، فبكى الصبي وسعى إليه وعلق بدراعته وقال: يا عم الله الله في - يكررها - فضمه أبو الفضل إليه واستعبره وقال: ليس عليك بأس ولا خوف، وانحدروا إلى زبازبهم، فجلس أبو الفرج في زبزبه، وجلس أبو أبو الفرج في زبزبه وأجلس الغلام بين يديه، وأصعدت الزبازب تريد معز الدولة بباب الشماسية.

فقال أبو الفتح بن الحسين بن هارون: ما رأيت مثل هذا قط ولا سمعت، لعن الله الدنيا، أليس الساعة كان هذا الغلام في الصدر معظماً وخليفتا أبيه بين يديه، وما افترقا حتى صار بين أيديهما ذليلاً حقيراً، ثم جرى من المصادرات على أهله وحاشيته ما لم يجر على أحدٍ.

قال أبو عليٍ محمد بن وشاحٍ الكاتب: قال لي أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن سكرة الهاشمي من ولد المهدي:خرجت إلى الأهواز قاصداً للوزير أبي محمدٍ الحسن بن محمدٍ المهلبي مادحاً له، فلما وصلت إليه أنشدته:

ففي حيث انتهيت من الصدود ... ولا تتعمدي قتل العميد
فقد وهواك أجل حلفي ... حميت نظيرتيك من الهجود
هجرت مقيمةً وظعنت غضبي ... فخربت الحديد على الحديد
فراق ظعينةٍ وفراق رأيٍ ... يكرهما علي فراق جود
ثلاث ما اجتمعن على ابن حبٍ ... صدود في صدودٍ في صدود

قال وانصرفت، فلما كان من الغد استدعاني وقال: اسمع وأنشدني لنفسه:

أتاني في قميص اللاذ يمشي ... عدو لي يلقب بالحبيب
فقلت له فديتك كيف هذا ... بلاواشٍ أتيت ولا رقيب؟
فقال الشمس أهدت لي قميصاً ... رقيق الجسم من شفق الغروب
فثوبي والمدام ولون خدي ... قريب من قريبٍ من قريب

الحسن بن محمدبن أبي الشخباء

بن عبد الصمد بن أبي الشخباء أبو عليٍ العسقلاني صاحب الرسائل، مات فيما ذكره علي بن بسامٍ في كتاب الذخيرة في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائةٍ معتقلاً بمصر في خزانة البنود.

وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين، أحد البلغاء الفصحاء الشعراء، له رسائل مدونة مشهورة، قيل: إن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن البيساني منها منها استمد، وبها اعتد، وأظنه كتب في ديوان الرسائل للمستنصر صاحب مصر، لأن في رسائله جواباتٍ إلى الفساسيري، إلا أن أكثر رسائله أخوانيات، وما كتبه عن نفسه إلى أصدقائه ووزراء أمراء زمانه، وها انا أكطتب منها ما سنح لتعرف قدر بضاعته، ومغزى صناعته نظماً ونثراً. قال من قصيدة:

أخذت لحاظي من جنا خديك ... أرش الذي لاقيت من عينيك
هيهات، إني وزنت بمهجتي ... نظري إليك فقد ربحت عليك
غضي جفونك وانظري تأثير ما ... صنعت لحاظك في بنان يديك
وهو ويك نضح دمي وعز علي أن ... ألقاك في عرض الخطاب بويك
فسلكت في فيض الدموع مسالكاً ... قصرت بها يد عامرٍ وسليك
صانوك بالسمر اللدان وصنتهم ... بنواظرٍ فحميتهم وحموك

لو يشهرون سيوف لحظك في الوغى لاستقرؤوا فيها قنا أبويك

وقد كتب إلى صديقٍ له: لما حديت ركاب مولاي أخذ صبري معه، وصحبه قلبي وتبعه:

فعجبت من جسمٍ مقيمٍ سائرٍ كمسير بيت الشعر وهو مقيد

وبقيت أقاسي أموراً تخف الحليم، وترعي الهشيم، إن رجوت منها غفلةً اقتحمت، وإن رمت منها فرجةً تضايقت والتحمت، وأما الوحشة فقد اصطحبت منها كأساً مترعةً، وتجرعت من صابها أم جرعةً، ورأيت فؤادي إذا مر ذكر مولاي، يكاد يخرج من خدره، ويرغب في مفارقة صدره، حنيناً يجدده السماع، وصدوداً ينتفض منه الأضلاع وزفرةً يدمي في غرارها، ويطلع في الترائب شرارها:

أداري شجاها كي تخلي مكانها وهيهات ألقت رحلها واطمأنت

وأما ما أعاني بعد مسيره فأشياء: منها عيث الألم مرةً، وزوال الاستمتاع بما يعرفه من تلك المسرة، ومنها اضطراري إلى كثرة مكابرة من أعلم دخل سرائره، واختلاف باطنه وظاهره، وتكلف اللقاء له بصفحة مستبشرةٍ، وأخلاقٍ غير متوعرةٍ، والله يعلم نفور طباعي ممن رآه أهل الأدب من الأدب غفلاً، ومن ذخائره مقفلاً، لكن السياسة تقتضي اعتماد ما ذكرت ما ذكرت وتوجب قصد ما شرحت، وإن كان مورداً غير عذبٍ، وثقيلاً على العين والقلب:

ولربما ابتسم الفتى وفؤاده شرق الضلوع برنةٍ وعويل

ومنها انعكاس كثيرٍ من الآمال، وارتشاف الصبابة الباقية من الحال، بجوائح مصريةٍ وشاميةٍ، وفوادح أرضيةٍ وسماويةٍ، ولا أشكو بل أسلم له مذعناً، وأرى فعله كيف تصرفت الأحوال جميلاً حسناً:

ومن لم يسلم للنوائبأصبحت خلائقه طراً عليه نوائبا

والله تعالى المسؤول أن يهب لي من قرب مولاي ما يأسو هذه الكلوم، ويجددمن المسرة عافي الرسوم، فجميع الحوادث، وسائر النوائب الكوارث، إذا قربت الخطوة، واستجييت هذه الدعوة، تمسي غير مذكورةٍ، وبجناح التجاوز مكفورةً.

وكتب إلى أبي الفرج الموفقي جواباً عن رقعة: وصلت رقعة مولاي والصبح قد سل على الأفق مقضبه، وأزال بأنوار الغزالة غيهبه، فكانت بشهادة الله صبح الآداب ونهارها، وثمار البلاغة وأزهارها، قد توشحت بضروبٍ من الفضل تقصر قاصية المدى، ويجري به في مضمار الأدب مفرداً:

فكان روض الحسن تنثره الصبا فأطلت من قرطاسها أتصفح

فأما ما تضمنته من وصفي، فقد صارت حضرته السامية تتسمح في الشهادة بذلك مع مناقشتها في هذه الطريقة، وانها لا توقع ألفاظها إلا مواقع الحقيقة. فإن كنت قد بهرجت عليها فلتراجع نقدها تجدني لا

أستحق من ذلك الإسهاب فصلاً، ولا أعد لكلمةٍ واحدةٍ منه أهلاً، وبالجملة فالله ينهضني بشكر هذا الإنعام الذي يقف عنده الثنا، ويضلع، ويحصر دونه الخطيب المصقع:

هيهات تعيي الشمس كل مرامقٍ ويعوق دون منالها العيوق

واما الفضل الذي أودعه الرقعة الكريمة من قوله: " فأما فلان فيحل في قومه، ويفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد، قدوره عمارية، وعطسات جواريه أسدية، ويهوين لو خلق الرجال خلق الضباب، يتضوعن النشر العبقسي، ويرضعن مراضع ثعالة المجاشعي " وما أمرت حضرته السامية من ذكر ما عندي فيه فقد تأملته طويلاً، وعثر الخادم فيه بما أنا ذاكره، رغباً في الرضا بما بلغت إليه المقدرة، وتحليل ذلك بسجوف الصفح.

أما قوله: " يفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد " فيقع لي أنه أراد خالد بن الوليد المخزومي، وذلك أن مسيلمة الحنفي كان قد تنبأ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وحديثه المشهور - فبعث إليه أبو بكرٍ - رضي الله عنه - خالد بن الوليد المقدم ذكره في جيشٍ كثيفٍ من المسلمين، ففتح اليمامة وقتل مسيلمة وأباد جماعةً كثيرةً من بني حنيفة. وأما قوله " قدوره عمارية " فإن هذا الفصل اما كان مبنياً على الذم وجب أن يتطلب لهذا السبب معنىً يجب حمله عليه، و لم نجد ما ينسب إليه إلا قول الفرزدق:

لو أن قدراً بكت من طول ما حبست عن الحقوق بكت قدر ابن عمار

ما مسها دسم مذ فض معدنها ولا رأت بعد نار اليقين من نار

وأما قوله: " عطسات جواريه أسدية " فيقوى وهمي أنه أراد قول الأول في هجائه:

إذا أسدية عطست فنكها فإن عطاسها طرق الوداق

واما قوله: " يهوين لو خلق الرجل خلق الضباب فإن الجاحظ ذكر في كتاب الحيوان، أن للضب أيرين وللضبة حرين، وحكى أن أير الضب أصله واحد، وإنما تفرق فيصير أعلاه اثنين، واستشهد على ذلك بقول الفرزدق:

رعين الدبا والبقل حتى كأنما كساهن سلطان ثياب مراجل

سبحل له نزكان كانا فضيلةً على كل حافٍ في البلاد وناعلٍ

والنزك: اسم أير الضب. وأنشد الأصمعي لابن دزماء فيما رواه أبو خالدٍ النميري:

تفرقتم لا زلتم قرن واحدٍ تفرق أير الضب والصل واحد

ومن هنا قالت حبى المدنية لما عذلها أبوها في تزوجها ابن أم كلابٍ:

وددت بأنه ضب وأني ضبيبة كديةٍ وجدت خلاء

وأما قوله " يتضوعن النشر" فمن أمثال العرب: هو أخسر صفقة من شيخ مهوٍ، وهو بطن من عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن نزار بن معد بن عدنان، وكان من خبره أن إياداً كانت أفسى العرب، فوفد وافدهم إلى الموسم بسوق عكاظ ومعه حلة نفيسة فقال: يا معشر العرب، من يشتري مني مثلبة قومٍ لا تضره بحلتي هذه؟ فقال الشيخ المهوي: أنا أشتريها. فقال الإيادي: أشهدكم يا معشر العرب أني قد بعت فساء إيادٍ لوافد عبد القيس بحلتي هذه، وتصافحا متراضين وقد شهد عليهما أهل الموسم، فصارت عبد القيس أفسى العرب. وقيل لابن مناذرٍ: كيف الطريق إلى عبد القيس؟ فقال شم ومر:

فإن عبد القيس من لؤمها تفسو فساءً ريحه تعبق

من كان لا يدري لها منزلاً فقل له يمشي ويستنشق

وأما قوله: أعطش من ثعالة المجاشعي، فمن أمثال العرب فيما ذكره الكلبي قال: هما رجلان من بني مجاشع عطشا فالتقم كل واحدٍ منهما أير صاحبه يشرب بوله، فلم يغن عنهما شيئاً، وماتا عطشاً ووجدا على تلك الحال. قال جرير يهجو بني دارمٍ:

رضعتم ثم بال على لحاكم ثعالة حين لم يجدا الشرابا

هذا ما وقع لي في هذا الفصل، وأرجو أن أكون قد ذهبت إلى ما قصده قائله.

ومن كلامه يهنئ بكسر أتسز بن أوقٍ الغزي، وكان ذلك لثمان ساعاتٍ مضين من يوم الاثنين في العشر الأخيرة من جمادى الآخرة، سنة تسعٍ وستين وأربعمائة:

" الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضلٍ عظيمٍ " قد ارتفع الخلاف بين الكافة أن الله ذخر للدولة الفاطمية - ثبت الله أركانها، من الحضرة العلية المنصورة الجيوشية - خلد الله سلطانها، من حمى سوادها، ونصر أعلامها، وضم نشرها، وحفظ سريرها ومنبرها، بعد أن كان العداء الذين ارتضعوا در أنعامها، وتوسموا بشرف أيامها، فطردت يد الاصطناع إملاقهم، وأثقلت قلائد الإحسان أعناقهم، فخفروا ذمم الولاء، وكفروا سوابغ الآلاء، ففجأتهم الحوادث من كل طريق، زنعب بهم غراب الشتات والتفريق، واستباحتهم يد الشدائد " واتى الله بنيانهم من القواعد "، ولم تزل النفوس منذ طرق أتسز اللعين هذه البلاد، وأنجم فيها الفساد، وتعدى حدود الله وكلماته، وتعرض لمساخطته ونقماته. عالمةً بأن إملاء الحضرة العلية - مد الله ظلها على الكافة - لم يكن عن استعمال رخصةٍ في هذه الحال، ولا سكونٍ إلى عوارض من الإغفال والإهمال، بل هو أمر ركب فيه متن التدبير،

وجرت بمثله المقادير، واتبع فيه قوله تعالى: " فأمليت للذين كفروا، ثم أخذهم فكيف كان نكير" وحين خدعته المطامع المردية إلى الأعمال القاهرة مؤملاً انفصام عروة الله المتينة، وأفول ما توقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ، سكنت النفوس إلى أن الحضرة العلية – ثبت الله مجدها – ستجرد له من عزماتها الماضية ما يعجل دماره، وتنتضي له من آرائها الكاملة ما يعفي آثاره، وحين اصطدمت الرجال، وتوالت الأنباء بانكسار اللعين، وما منحته الحضرة من النصر المبين، حتى نهبت الأموال وتحكمت السيوف بحكم القاد الغالب. وأكلتهم الحرب أكل الغرثان الساغب، وأنشبت فيهم أظفارها المنية، وكسيت الأرض من دمائهم حلةً عسجديةً، وولى المخذول على أدباره، ونكص على أعقابه بوبيل أوزاره، يخاف من نجوم الليل أن ترجمه، ومن شمس النهار أن تصطلمه، وترك ما معه يقسم يميناً وشمالاً، ومن حشده يقتل ركباناً ورجالاً، علم أن لله تعالى عنايةً بالدولة الزاهرة، وتحقق أن له سبحانه رعايةً بالملة الطاهرة، تحوط أقطارها، وتضاعف أنوارها، ولطفاً خفياً بهذه الرعية، ومشيئةً نافذةً في هذه البرية، التي لولا مقام الحضرة العلية لمزق أديمها، واستبيح حريمها، والله المحمود على ما منح من هذه النعمة، والمسؤول أن يشد ببقاء الحضرة العلية قواعد الإسلام والأقلام، ويسم بمحامدها أغفال الأيام، ويستخدم لها السيوف والأقلام، حتى لا يبقى على وجه الأرض مفحص قطاةٍ إلا وقد دوخها سنابك خيولها، ولا مسقط نواة إلا وقد ركزت فيه صدور رماحها ونصولها، فقد دفعت – أدام الله جمال الدنيا ببقائها، وأعز كمال الدين بيأسها وأصالة رأيها – خطباً جسيماً، واستلقحت من السياسة أمراً عقيماً، وأعادت شمل الأمة ملموماً نظيماً " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وكان فضل الله عليك عظيماً " فأما العبد المملوك فقد تلاعبت به أيدي الأقدار، وقذفته العطلة في هوةٍ بعيدة الأقطار، وهو يعد نفسه ويوقيها، ويسوفها ويمنيها، أن مراحم الحضرة نصر الله أعلامها، تعيد كساد بضاعته نفاقاً، واضطرب حاله انتظاماً واتساقاً، وسكون ريحه خفوقاً، وغروب حظه شروقاً، إن شاء الله تعالى.

زكتب إلى بعض إخوانه: أغب كتاب مولاي حتى أضرم ناراً في الفؤاد، وحالف بين جفني والسهاد:

ثم وافى بلفظه الرائق العذ ... ب وأغنى عن الزلال البرود

وقوله أيضاً:

وقرأته متنزهاً ... في روضه وغديره
جمع البلاغة كلها ... تختال بين سطوره
فالدر في منظومه ... والسحر في منثوره

وعرفت ذكر الشوق الذي هيج أحزاناً، ونكأ قرحاً لا يندمل زماناً، وإن عندي بشهادة الله ما يضرم ناره، ويشب أواره، والله تعالى، يسهل من ألطافه الخفية ما يجمع الشمل، ويصل الحبل، ويقرب الدار، ويدني المزار، بمحمدٍ وآله والأئمة الأطهار.

وأما حالي بعده، وارتياحي إلى ما عنده، وتأسفي على الفائت من أخلاقه التي هي من الحسن أدق، ومن الماء أصفى وأرق: فحال صبٍ أخذ ما في فؤاده، وحولف بين طرفه وسهلاده، فحرم لذلك لذيذ رقاده، وأما عتبه علي لتأخر كتبي عنه، وبعدها منه: فهو يعلم – حرس الله مدته – أنني إذا واصلت أو أغببت أنه سمير لخاطري، وإن غاب عن ناظري، وهو نازل بضمائري، وإن بان من بين مخالطي ومعاشري:

يا غائباً عن ناظري وحاضراً في خاطري
لا تخش مني جفوةً فباطني كالظاهر

والله يعلم أني لم أغفل كتابه صرماً وهجراً، ولا أهملت مجاوبته نقضاً لمودته الكريمة ولا غدراً، فإنه من العين بمكان من السواد، ومن الصدر بموضع الفؤاد، وبسبب هذا الاعتقاد وما ذكرت من محض الوداد، أبثه أشجاناً، وأطلعه على أسراري إسراراً وإعلاناً، ثقةً بوده، وتمسكاً بوثيق عهده وعقده، لو رآني فسح الله مدته، وضاعف علي مودته، لرأى صباً قلبه خفيق، ودمعه طليق:

قلق الضمير بظبيةٍ وهنانةٍ فلها بقلبي هزة وعلوق
الوجه طلق والوشاح مهفهف والردف دعص والقوام رشيق
وتبسمت عن واضحٍ فضحت به سطع البروق ونم منه رحيق

هذه الأبيات تغني عما أردت أن أشرحه، وتنبيء عن مكنون ما سبيلي أن أثبته واوضحه، والله المسؤول أن يقضي مأربي بسعادة جده، ويزيل عني ما أخشاه بتمام إقباله ومجده، وكتابه هو فسحة للصدر، ومنية ما يطلب من الدهر، ولرأيه علوه في إمضائه إلي ووفوده علي.

وكتب إلى ابن المغربي يهنئه بالفتوح، – أدام الله بقاء سيدنا الوزير الأجل، وما سطع الصبح بعموده، وهمهم السحاب برعوده، وطلعت في الأفق أنجم سعوده –:

نعتده ذخر العلا وعتادها ونراه من كرم الزمان وجوده
الدهر يضحك من بشاشة بشره والعيش يطرب من نضارة عوده

فقد ألبس الله الدهر من مناقب الحضرة السامية ما أخرس الأئمة، وأفاض على الكلفة من آلائها ما تملك به رق المآثر، ويعجز عنه كل ناظمٍ وناثرٍ، يقصر عنه لسان البليغ ويفضل عن مقلة الناظر، فما ينفك –

خلد الله أيامه – يذود عن الدولة برأيٍ صائبٍ، وحسامٍ قاضبٍ يتحاسد عليه الدرع والدراعة، ويتنافس فيه الصمصامة واليراعة، والملك بين هذين متين العماد، مستبحر الثماد:

ما زال قائد كتيبةٍ وكتيبةٍ | بأصيل رأيي منصلٍ وفؤاد
شبهان من قلمٍ ومن صمصامةٍ | شهراً ليوم ندىً ويوم جلاد

وما وقفت في هذا المقام موقفاً وحشياً، ولا وقع عندها موقعاً أجنبياً، بل اقتفت آثار أسلافٍ خفقت عليهم ألوية المعالي وبنودها، ووسمت بأسمائهم جباه الممالك وخدودها، وتحيف الكرم أموالهم وهي أثيثة الجناح، وذللت عزامهم النوب وهي شديدة الجماح:

كتاب ملكٍ يستقيم برأيهم | أود الخلافة أو أسود الصباح
بصدور أقلام ترد إليهم | سرف الرياسة أو صدور رماح

كان العبد خدم المجلس السامي بخدمةٍ قصدها التهنئة بما فتح الله تعالى من الظفر بالعدو الذي أطاع شيطانه، ومد في مضمار الغي أشطانه، واتبع ما أسخط الله وكره رضوانه، وجرى الله على جميل عادته في زلزلة أطواده، واستئصال أحزابه وأجناده، الذين غدت الرماح تستقي مياه نحورهم، والسيوف تنتهب ودائع صدورهم، والحمام يجول عليهم كل مجالٍ، ويستدني إليهم نوازح الآجال:

ما طال بغي قط إلا غادرت | فعلاته الأعمار غير طوال
فتح أضاء به الزمان وفتحت | فيه الأسنة زهرة الآمال

وأرجو أن يكون التوفيق قضى بوصولها، وأذن في قبولها، فيمتد ظل، ويثري مقل، ويصوب عارض مستهل.

أيعجز فضلك عن خادمٍ | وأنت بأمر الورى مستقل؟

وبحكم ما العبد عليه من تطلع الأمل القوي، وتوقع الإنعام الكسروي، عززها بهذه المناجاة، وإن كان على ثقةٍ أن رشاه قد ألقي في الغدير القريب، ورائده قد خيم بالمرتع الخصيب:

لو رأينا التوكيد خطة عجزٍ | ما شفعنا الأذان بالتثويب

ولع – أدام الله عزه – الرأي العالي فيه، إن شاء الله تعالى.

وكتب إلى صارم الدولة بن معروف: – أدام الله بقاء الحضرة الصارمية – يجري القدر على حسب أهويتها، ويعقد الظفر بعزائم ألويتها، ويحلى بذكرها ترائب الأيام العاطلة، وينجز بكرمها عدات الحظوظ المماطلة، ما أصحب الجامح، وأضاء السماك الرامح، وعافت الماء الإبل الطوامح.

وما سحبت في مفرق الأرض ذيلها خوافق ريحٍ للسحاب لواقح
إذا رفض الناس المديح وطلقوا بنات العلا زفت إليه المدائح

أيام الناس شهود مختلفة في الأقوال، وصنوف متباينة الأحوال، فيوم تؤرخ السير بسودده وسنائه، وينطق بمحامد قومٍ ألسنة أبنائه، ويوم يخبو في موقف الجد شهابه، ويعبق بمسك المدام إهابه، فالحمد لله الذي جعل الحضرة سامية عقال الخطوب العوارم، ونظام المحاسن والمكارم، يعتدها الزمن نسيم أصائله، وزهر خمائله، وشموس مشارقه، وتيجان مفارقه، فيجب على كل من ضم اليراعة بنانه، وأطلق في ميدان البراعة عنانه، ألا يخلي مجلسه من مدحٍ معروضةٍ، وخدمٍ مفروضةٍ، يسهب فيها الواصف ويوجبها الإنعام المتراصف:

عسى منة تقوى على شكر منه وهيهات أعيا البحر من هو راشف
ولو كنت لا تولي يداً مستجدةً إلى أن توفى شكر ما هو سالف
حميت حريم المال من سطوة الندى وغاضت وحاشاها لديك العوارف
وكم عزمةٍ في الشكر كانت قويةً فأضعفها إحسانك المتضاعف
رعى الله من عم البرية عدله فأنصف مظلوم وأومن خائف
له منن في حرب خطبٍ عواطف دماث وفي صدر الخطوب عواصف

فكم أهلٍ هدته نصر الله عزائمها بعد الضلال، وحرٍ استنقذته من حبائل الإقلال، ومرهقٍ خففت عنه وطأة الزمن المتثاقل، وطريدٍ بوأته من حرمها أمنع المعاقل:

منازل عزٍ لو يحل ابن مزنةٍ بها لسلا عما له من منازل
فيا صارماً يعطي وينسى عطاءه ولم نر سيفاً ذا وفاء ونائل
يكاد يفيض البرق من وجناته إذا ما أتاه سائل بوسائل
إذا هو عرى سيفه من عموده وأفضي بفضفاضٍ من السرد ذابل
وقد صبغ النقع النهاربصيغةٍ ترى ناصلاً منها بياض المناصل
رأيت متون الخيل تحمل ضيغماً مرير مذاق الكيد حلو الشمائل
يلذ له طعم الكماة كأنما جرى الشنب المعسول فوق العواسل
وكم أخرست أطرافها من غماغمٍ لأقرابه واستنطقت من ثواكل
من القوم تترك لهم عند كاشحٍ طوال ردينياتهم من طوائل

إذا ما سروا خلف العدو وهجروا | تظلل من أرماحهم في ظلائل
وما ذبلت يوماً خميلة عزةٍ | إذا زرعت فيها كعوب الذوابل
أوائل مجدٍ لم يزل فاخراً بها | تميم بن مرٍ أو كليب بن وائل

ثم جاءته مناقب الحضرة العلية، فتم بها مناقب تميمٍ، وحكم لآل القعقاع أمر حكيم، ونصر لواء بني نصرٍ، وأبدرت أهلة بني بدرٍ، ونبه منبه هوازن، وظهرت مزينة ومازن، وضحك لعبسٍ عابس الدهر، وراحت الكملة كاملة الفخر، وزادت مغايظ الأزد، وقشرت قشيراً عن بلوغ المجد، وأغمدت سيوف بني غامدٍ، وصارت همدان كالجمر الهامد، ومذحج كالعنس مذللةً، وحمير بالراية الحمراء متظللةً، وطوت طيئ عملها استخذاءً، وغصت جفنة جفوها استحياءً - فحرس الله محاسن الحضرة السامية - التي جباه الأنام بها موسومة، وتمم نعمها التي هي بينها وبين الناس مقسومة، ولا زالت الدولة الفاطمية تحمد عزائمها التي شهدت لها بمداومة الكفاءة وأنشرت من النصائح كل رميمٍ رفاتٍ:

كأنك حين ضل الناس عنها | هديت إلى رضا هادي الرعاة
مزيل المال من ملك الأعادي | وناظم شمله بعد الشتات
سيينطق بالثناء على عليٍ | وعترته المنابر صامتات
فقاد له إلى بغداد قوداً | تجلى لحمها جنب الفرات
عليها كل داني الحلم ثبتٍ | سفيه السيف من بعد الثبات

كأنهم إذا التحموا المنايا | يقيدون الحياة من الممات

يسابقون إلى العدو الأعنة، فتطعن عزائمهم قبل الأسنة، ويقتدون بالحضرة السامية في خوض الرهج، وإرخاص المهج، وتحكل الأعباء، في موالاة أصحاب العباء - ولا سلب الله هذا الثغر وأهله -: ما وهب لهم من إنعامه الذي يتهافت إليهم متناسقاً، ويعيد غصن مجدهم ناصراً باسقاً:

إذا ما فلي الناس السماح عشقته | وأحسن ما تسدى المكارم عاشقا
حمى الله من كيد الزمان خلائقاً | وسعت بها يا بن الكرام خلائقا
إذا ظلموا كانت شموساً طوالعاً | وإن أجدبوا كانت غيوثاً دوافقا
وقد زاد شهر الصوم ربعك صابحاً | له بأفاويق السعود وغابقا
تنور بالقرآن أسداف ليله | فيبيض منها كل ما كان غاسقا

تأرج من تقواك فيه لطائم	يظل لها عرنين عامك ناشقا
فعش أبداً ما شوهد الأفق أورقا	وراح قضيب الأيك أخضر أورقا
إذا عد قوم للمعالي أخامصاً	عددناك تيجاناً لها ومفارقا

الحسن بن محمدبن حمدون

بن الحسن بن محمد بن حمدون أبو سعد بن أبي المعالي بن أبي سعدٍ الكاتب. قد تقدم ذكر أبيه صاحب الديوان بهاء الدين أبي المعالي، وذكر عمه أبي نصرٍ محمد بن الحسن كاتب الإنشاء، وكان أبو سعدٍ هذا في حادي عشر المحرم سنة ثمانٍ وستمائةٍ كما نذكره فيما بعد. ومولدهفي صفرٍ سنة سبعٍ وأربعين وخمسمائةٍ. وكان - رحمه الله - من الأدباء العلماء الذين شاهدناهم، زكي النفس، طاهر الأخلاق، عالي الهمة، حسن الصورة، مليح الشيبة، ضخم الجثة، كث اللحية طويلها، طويل القامة، نظيف اللبسة، ظريف الشكل، وهو ممن صحبته فحمدت صحبته، وشكرت أخلاقه، وكان قد ولي عدة ولاياتٍ عاينت منها النظر في البيمارستان العضدي، وكانت هيبته فيه ومكانته منه أعظم من مكانة أرباب الولايات الكبار، لأن الناس يرونه بعين العلم والبيت القديم في الرياسة، ثم ولي عند الضرورة كتابة السكة بالديوان العزيز ببغداد، يرزق عشرة دنانير في الشهر، وسألته: فقلت حمدون الذي تنسبون إليه، أهو حمدون نديم المتوكل ومن بعده من الخلفاء؟ فقال: لا، نحن من آل سيف الدولة بن حمدان بن حمدون من بين تغلب، هذا صورة لفظه.

وكان من المحبين للكتب واقتنائها، والمبالغين في تحصيلها وشرائها، وحصل له من أصولها المتقنة وأمهاتها المعينة، ما لم يحصل أحد للكثير، ثم تقاعد به الدهر وبطل عن العمل، فرأيته يخرجها ويبيعها وعيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله العزاء، والمفجوع بأحبابه الأوداء. فقلت له: هون عليك - أدام الله أيامك - فإن الدهر ذو دولٍ، وقد يسعف الزمان ويساعد وترجع دولة العز وتعاود، فتستخلف ماهو أحسن منها وأجود. فقال: حسبك يا بني: هذه نتيجة خمسين سنةً من العمر أنفقتها في تحصيلها، وهب أن المال يتيسر. والأجل يتأخر - وهيهات - فحينئذٍ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق، الذي ليس بعده تلاقٍ، وأنشد بلسان الحال:

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه	وأعقب بالحسنى وفك من الأسر
فمن لي بأيام الشباب التي مضت	ومن قبل بما قد مر في البؤس من عمري؟؟

ثم أدركته منيته و لم ينل أمنيته، وكان حرصاً على العلم، فجمع من أخبار العلماء، وصنف من أخبار الشعراء وألف كتباً كان لا يجسر على إظهارها خوفاً مما طرق أباه مع شدة احترازٍ، وبالجملة: فعاش في زمن سوءٍ وخليفةٍ غشومٍ جائرٍ، كان إذا تنفس خاف أن يكون على نفسه رقيب يؤدي به إلى العطب، وهو كان آخر من بقي من هذا البيت القديم، والركن الدعيم، و لم يخلف إلا ابنةً مزوجةً من ابن الدوامي، وما أظنها معقبةً أيضاً، وكان مع اغتباطه بالكتب ومنافسته ومناقشته فيها جواداً بإعارتها، ولقد قال لي يوماً – وقد عجبت من مسارعته إلى إعارتها للطلبة –: ما بخلت بإعارة كتابٍ قط ولاأخذت عليه رهناً. ولا أعلم أنه مع ذلك فقد كتاباً في عاريةٍ قط. فقلت: الأعمال بالنيات، وخلوص نيتك في إعارتها لله حفظها عليك.

وكتب بخطه الرائق طرائف الكتب الكثيرة الكبار والصغار المروية، وقابلها وصححها وسمعها على المشايخ. فكان ممن لقي من المشايخ: أبو بكرٍ محمد بن عبيد الله الزاغوني، والنقيب أبو جعفرٍ أحمد بن محمد بن عبدٍ العباسي المكي، وأبو حامدٍ محمد بن الربيع الغرناطي مغربي قدم عليهم، وأبو المعالي محمد بن محمد بن النحاس العطار، ووالده أبو المعالي بن حمدون، وأبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان المعروف بابن البطي، وجماعة بعدهم كثيرة كابن كليب الحراني، وابن بوشٍ وغيرهم.
وروى شيئاً من مسموعاته يسيراً، وكان مؤيد الدين محمد بن محمدٍ القمئ نائب الوزارة ببغداد: قد خرج إلى ناحية خوزستان حيث عصى سنجر مملوك الخليفة بها حتى قبض عليه وعاد به وفي صحبته عز الدين نجاح الشرابي، فخرج الناس لتلقيه عند عوده في المحرم سنة ثمانٍ وستمائة، وكان تاج الدين فيمن يخرج خرج لتلقيه عند عوده في المحرم سنة ثمانٍ وستمائة، وكان عبلاً ترفاً معتاداً للدعة والراحة، ملازماً لعقر داره، وكان الحر شديداً والوقت صائفاً، فلما انتهى إلى المدائن اشتد عليه الحر وتكاثف، حتى أفضى به إلى التلف، فمات – رحمه الله – في الوقت المقدم ذكره بالمدائن، بينه وبين بغداد سبعة فراسخ، فحمل إلى بغداد ودفن بمقبرة موسى بن جعفرٍ بباب التين ت رحمه الله، ورضي عنه.

الحسن بن محمدٍ الصغاني النحوي

ويقال صاغان – من بلاد ما وراء النهر – قدم العراق وحج، ثم دخل اليمن ونفق له بها سوق، وكان وروده إلى عدن سنة عشرٍ وستمائة، وله تصانيف في الأدب، منها: تكملة العزيزي، وكتاب في التصريف ومناسك الحج ختمه بأبياتٍ قالها وهي:

شوقي إلى الكعبة الغراء قد زادا ... فاستحمل القلص الوخادة الزادا

أراقك الحنظل العامي منتجعاً وغيرك انتجع السعدان وارتادا

أتعبت سرحك حتى آض عن كثبٍ نياقها رزحاً والصعب منقادا

فاقطع علائق ما ترجوه من نشب استودع الله أموالاً وأولادا

وكان يقرأ عليه بعدن معالم السنن للخطابي، وكان معجباً بهذا الكتاب وبكلام مصنفه ويقول: إن الخطابي جمع لهذا الكتاب جراميزه، وقال لأصحابه: احفظوا غريب أبي عبيدٍ القاسم بن سلامٍ، فمن حفظه ملك ألف دينارٍ، فإني حفظته فملكتها، وأشرت على بعض أصحابي بحفظه وملكها. وفي سنة ثلاث عشرة وستمائةٍ كان بمكة، وقد رجع من اليمن وهو آخرالعهد به.

الحسن بن المظفر النيسابوري

أبو عليٍ، أديب نبيل، شاعر مصنف، ذكره أبو أحمد بن أرسلان في تاريخ خوارزم فقال: مات أبو عليٍ الحسن بن المظفر الأديب الضرير النيسابوري ثم الخوارزمي في الرابع من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائةٍ، وأثنى عليه ثناءً طويلاً زعم فيه أنه كان مؤدب أهل خوارزم في عصره، ومخرجهم وشاعرهم ومقدمهم والمشارإليه منهم، وهو شيخ أبي القاسم الزمخشري قبل أبي مضر، وله نظم ونثر. وذكر أن له ولداً اسمه عمر وكنيته أبو حفصٍ، أديب فقيه فاضل، وله شعر منه:

سبحان من ليس في السماء ولا في الأرض ند له وأشباه

أحاط بالعالمين مقتدراً أشهد أن لا إله إلا هو

وخاتم المرسلين سيدنا أحمد رب السماء سماه

أشرقت الأرض بعد بعثته وحصحص الحق من محياه

ومات أبو حفصٍ هذا في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائةٍ ووجدت للحسن بن المظفر من التصانيف: كتاب تهذيب ديوان الأدب، وكتاب تهذيب إصلاح المنطق، وكتاب ذيله على تتمة اليتيمة لم أقف على اسمه، كتاب ديوان شعره مجلدتان، كتاب ديوان رسائله، كتاب محاسن من اسمه الحسن، كتاب زيادات أخبار خوارزم. نقلت من الكتاب الذي وصل به تتمة اليتيمة، وذكر فيه أشياء من شعره ورسائله ختم بها كتابه، وهو أنه قال: الحسن بن المظفر النيسابوري مؤلف الكتاب: نيسابوري المحتد، خوارزمي المولد، وممن كان عارفاً بنفسه، غير مفتونٍ بنظمه ونثره، فإنه سلك طريق أبي منصور الثعالبي – رحمه الله – فيما أورده من شعره في آخر كتاب تتمة اليتيمة، فأورد نبذاً مما يستحسن من كلامه، ويستبدع مننظامه، فمن نثره الساذج رقعة له:

عرف الله الشيخ الرئيس بركة شهر رمضان، ووفقه من طاعته لما يكتسب به من العفو، ولولا العذر

الواقع من الوصول لقصدت مجلسه – أعلاه الله – بالتهنئة والتسليم وقضاء حقه العظيم، هذا – أدام الله تمكينه – وعهدي به يعدني من جملة عياله، ويخصني كل وقتٍ بأفضاله، فليت شعري لم عدل إلى الفطام من ذلك الإنعام؟ فإن كان نسيان فقد جاءه ذكرى، وإن كان هجران فحاشاه من هجري. وله من أخرى: الشيخ يسترق الأحرار بعوائد فضله وبواديه، حتى لا حر بواديه. ومن نظمه:

أهلاً بعيشٍ كان جد موات ... أحيا من اللذات كل موات

أيام سرب الأنس غير منفرٍ ... والشمل غير مروعٍ بشتات

عيش تحسر ظله عنا فما ... أبقى لنا شيئاً سوى الحسرات

ولقد سقاني الدهر ماء حياته ... والآن يسقيني دم الحيات

لهفي لأحرارٍ منيت ببعدهم ... كانوا على غير الزمان ثقاتي

قد زالت البركات غنى كلها ... بزيال سيدنا أبي البركات

ركن العلا والمجد والكرم الذي ... قد فات في الحلبات أي فوات

فارقت طلعته المنيرة مكرهاً ... فبقيت كالمحصور في الظلمات

أضحي وأمسي صاعداً زفراتي ... لفراقه متحدراً عبراتي

وأنشد فيه لنفسه:

جبينك الشمس في الأضواء والقمر ... يمينك البحر في الإرواء والمطر

وظلك الحرم المحفوظ ساكنه ... وبابك الركن للقصاد والحجر

وسيبك الرزق مضمون لكل فمٍ ... وسيفك الأجل الجاري به القدر

أنت الهمام بل البدر التمام بل الس ... يف الحسام بل الصارم الذكر

وأنت غيث الأنام المستغاث به ... إذا أغارت على أبنائها الغير

وأنشد انفسه:

أريا شمالٍ أم نسيم من الصبا ... أتانا طروقاً أم خيال لزينبا؟

أم الطالع المسعود طالع أرضنا ... فأطلع فيها للسعادة كوكباً؟

قال أبو عليٍ الضرير: رأيت ابن هودار في المنام بعد موته فقلت له: لقد تحولت من دارٍ إلى دارٍ، فهل رأيت قراراً يا بن هودار؟ قال: فأجابني:

لا بل وجدت عذاباً لا انقطاع له ... مدى الليل ورباً غير غفار

ومنزلاً مظلماً في قعر هاويةٍ   قرنت فيها بكفارٍ وفجار

فقل لأهلي موتوا مسلمين فما   للكافرين لدي الباري سوى النار

الحسن بن ميمونٍ النصري

أحد بني نصر بن قعين بن طريف بن أسد بن خزيمة. روى عنه محمد بن النطاح، وكان أخيارياً عارفاً، ذكره محمد بن إسحاق وقال: له من الكتب كتاب الدولة، كتاب المآثر.

الحسن بن أبي المعالي

ابن مسعود بن الحسين أبو عليٍ الحلي المعروف بابن الباقلاني النحوي. ولد سنة ثمانٍ وستين وخمسمائةٍ، وهو أحد أئمة العربية في العصر، سمع من أبي الفرج بن كليبٍ وغيره، وقرأ العربية على أبي البقاء العكبري، واللغة على أبي محمد بن المأمون، وقرأ الكلام والحكمة على الإمام نصير الدين الطوسي، وانتهت إليه الرياسة في هذه الفنون وفي علم النحو، وأخذ فقه الحنفية عن أبي المحاسن بن إسماعيل الدانغاني الحنفي، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي، وكان ذا فهمٍ ثاقبٍ وذكاءٍ وحرصٍ على العلم، وكان كثير المحفوظ - وكتب الكثير بخطه - ذا وقارٍ مع التواضع ولين الجانب، لقيته ببغداد سنة سبعٍ وثلاثين وستمائةٍ، وكان آخر العهد به.

أبو الحسن البوراني النحوي

ذكره محمد بن إسحاق في نحاة المعتزلة ووصفه بالتدقيق في مسائل الكتاب لسيبويه، وكان من طبقة أبي عليٍ الفارسي.

الحسين بن أحمد بن بطويه

أبو عبد الله النحوي لا أعلم من أمره شيئاً، ومن شعره:

وماذا عليهم لو أقاموا فسلموا   وقد علموا أني مشوق متيم

سروا ونجوم الليل زهر طوالع   على أنهم في الليل للناس أنجمد

وأخفوا على تلك المطايا مسرهم   فنم عليهم في الظلاء التبسم

وقال:

وإذا الدر زان حسن وجوهٍ   كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيدين أطيب الطيب طيباً   إن تمسيه أين مثلك أينا؟

الحسين بن أحمد بن خالويه

ابن حمدان أبو عبد الله اللغوي النحوي من كبار أهل اللغة والعربية أصله من همذان، ودخل بغداد طالباً للعلم سنة أربع عشرة وثلاثمائة، فلقي فيها أكابر العلماء وأخذ عنهم، فقرأ القرآن على الإمام ابن مجاهدٍ، والنحو والأدب على أبي بكر بن دريدٍ وأبي بكر بن الأنباري ونفطويه، وأخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد، وسمع من محمدٍ بن مخلدٍ العطار وغيره.

وقرأ على أبي سعيدٍ السيرافي، وأخذ عنه المعافا بن زكريا النهرواني وآخرون، وانتقل إلى الشام ثم إلى حلب فاستوطنها، وتقدم في العلوم حتى كان أحد أفراد عصره، وكانت الرحلة إليه من الآفاق، واختص بسيف الدولة بن حمدان وبنيه، وقرأ عليه آل حمدان، وكانوا يجلونه ويكرمونه، فانتشر علمه وذاع صيته وله مع أبي الطيب المتنبي مناظرات. ودخل يوماً على سيف الدولة فلما مثل بين يديه قال له: اقعد و لم يقل اجلس. قال ابن خالويه: فعلمت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب، واطلاعه على أسرار كلام العرب. قلت " قال ابن خالويه ذلك هذا، " لأنه يقال للقائم اقعد، وللنائم والساجد اجلس ".

وقال أبو عمروٍ الداني في طبقات القراء: كان ابن خالويه عالماً بالعربية، حافظاً للغة، بصيراً بالقراءة ثقةً مشهوراً، روى عنه غير واحدٍ من شيوخنا عند المنعم بن غلبون، والحسن بن سليمان وغيرهما. وروى أن رجلاً جاء إلى ابن خالويه وقال له: أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لساني، فقال: أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لساني.

وذكر ابن خالويه في أماليه: أن سيف الدولة سأل جماعةً من العلماء بحضرته ذات ليلةٍ: عل هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور؟ فقالوا: لا، فقال لي: ما تقول أنت؟ قلت: أنا أعرف اسمين، قال: ما هما؟ قلت: لا أقول لك إلا بألف درهمٍ لئلا تؤخذ بلا شكرٍ، وهما الصحراء وصحارى، وعذراء وعذارى. قال: سمعت ابن الأنباري يقول: اللئيم الراضع الذي يتخلل ويأكل خلالته.

وقال: حدثنا نفطويه عن أبي الجهم عن الفراء أنه سمع أعرابياً يقول: قضت علينا السلطان. قلت: السلطان يذكر ويؤنث والتذكير أعلى، ومن أنثه ذهب به إلى الحجة، وحكي عن أبي عمر الزاهد أنه قال في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا أكلتم فرازموا " أي افصلوا بين اللقمة والطعام باسم الله تعالى.

وحكى عنه أبو بكرٍ الخوارزمي وهو من تلامذته أنه قال: كل عطرٍ مائعٍ فهو الملاب، وكل عطر يابسٍ فهو الكباء، وكل عطرٍ يدق فهو الألنجوج. ولابن خالويه من التصانيف: كتاب أسماء الأسد ذكر له فيه خمسمائة اسمٍ، وإعراب ثلاثين سورةً، والبديع في القراءات، وكتاب اشتقاق خالويه، وكتاب " ليس " وهو كتاب نفيس، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الحمل في النحو، وكتاب المقصود والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وشرح مقصورة ابن دريدٍ، وكتاب الألفات، وكتاب الآل، ذكر في أوله أن الآل ينقسم

إلى خمسةٍ وعشرين قسماً، وذكر فيه الأئمة الاثني عشر ومواليدهم ووفياتهم وغير ذلك. مات ابن خالويه في حلب سنة سبعين وثلاثمائةٍ. ومن شعره:

ألجود طبعي وليس لي مال ... فكيف يبذل من القرض يحتال؟
فهاك حظي فخذه اليوم تذكرةً ... إلى اتساعي فلي في الغيب آمال

وقال:

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً ... فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائلٍ مالي رأيتك راجلاً ... فقلت له من أجل أنك فارس

وقال:

أيا سائلي عن قد محبوبتي الذي ... كلفت به وجداً وهجت غراما
أبى قصر الأغصان ثم رأى القنا ... طوالاً فأضحى بين ذاك قواما

الحسين بن أحمد بن محمد

ابن جعفر بن محمدٍ المعروف بابن الحجاج الكاتب الشاعر أبو عبد الله شاعر مفلق قالوا إنه في درجة امرئ القيس، لم يكن بينهما مثلهما وإن كان جل شعره مجون وسخف، وقد أجمع أهل الأدب على أنه مخترع طريقته في الخلاعة والمجون لم يسبقه إليها أحد، ولم يلحق شأوه فيها لاحق، قدير على ما يريده من المعاني الغاية في المجون مع عذوبة الألفاظ وسلاستها، وله مع ذلك في الجد أشياء حسنة لكنها قليلة، ويدخل شعره في عشر مجلدات أكثره هزل مشوب بألفاظ المكدين والخلديين والشطار ولكنه يسمعه أهل الأدب على علاته، ويتفكهون بثمراته، ويستملحون بنات صدره المتهتكات، ولا يستنقلون حركاتهن لخفتها وإن بلغت في الخفة غاية الغايات.

وإني لأقول كما قال أبو منصورٍ: لولا قول إبراهيم بن المهدي: إن جد الأدب جد وهزله هزل، لصنت كتابي هذا عن مثل هذا المجون. وحديثٍ كله ذو شجونٍ.

ولقد مدح الملوك والمراء والوزراء والرؤساء، فلم يخل شعره فيهم من هيبة المقام من هزلٍ وخلاعةٍ. فلم يعدوه مع ذلك من الشناعة، وكان عندهم مقبولاً مسموعاً غالي المهر والسعر، وكان يتحكم على الأكابر والرؤساء بخلاعته، ولا يحجب عن المراء والوزراء مع سخافته، يستقبلونه بالبشاشة والإكرام، ويقابلون إساءته بالإحسان والإنعام، وناهيك برجلٍ يصف نفسه بمثل قوله:

رجل يدعي النبوة في السخ ... ف ومن ذا يشك في الأنباء

جاء بالمعجزات يدعو إليها　　　فأجيبوا يا معشر السخفاء

حدث السن لم يزل يتلقى　　　علمه بالمشايخ الكبراء

خاطر يصفع الفرزدق في الشع　　　ر ونحو ينيك أم الكسائي

غير أني أصبحت أضيع في القو　　　م من البدر في ليالي الشتاء

وقوله في وصف شعره:

بالله يا أحمد بن عمروٍ　　　تعرف للناس مثل شعري؟

شعر يفيض الكنيف منه　　　من جانبي خاطري وفطري

فلفظه منتن المعاني　　　كأنه فلتة بجحر

لو جد شعري رأيت فيه　　　كواكب الليل كيف نتسري

وإنما هزله مجون　　　يمشي به في المعاش أمري

وقال:

فإن شعري ظريف　　　من بابة الظرفاء

ألذ معنىً وأشهى　　　من أسماع الغناء

وقال:

إن عاب ثعلب شعري　　　أو عاب خفة روحي

خرئت في باب أفعل　　　ت من كتاب الفصيح

وقال في الأمير عز الدولة بختيار:

فديت وجه الأمير من قمرٍ　　　يجلو القذى نوره عن البصر

فديت من وجهه يشككني　　　في أنه من سلالة البشر

إن زليخا لو أبصرتك لما　　　ملت إلى الحشر لذة النظر

ولم تقس يوسفاً إليك كما　　　نجم السهى لا يقاس بالقمر

وكان يا سيدي قميصك إن　　　هربت منها ينقد من دبر

بل وحياتي لوكنت يوسفها　　　لم تك من تهمة العزيز بري

لأنني عالم بأنك لو　　　شممت ريا نسيمها العطر

سنقتها وانزلقت تتبعها ما بين تلك البيوت و الحجر
وقد علمنا بأن سيدناال أمير ممن يقول بالبظر
ولم تكن تلك تشتكي أبداً ما كان من يوسفٍ من الحذر
طبعك كالماء في سهولته لكن أبو الزبرقان من حجر
إن الملوك الشباب ما خلقوا إلا صلاب الفياش والكمر

وقال يشكو سوء وابعث بها إلى ابن العميد:

فداؤك نفس عبدٍ أنت مولىً له يرجوك يا خير الموالي
حديثي منذ عهدك بي طويل فهل لك في الأحاديث الطوال؟
فإني بين قومٍ ليس فيهم فتىً ينهي إلى الملك اختلالي
فلحمي ليس تطبخه قدوري وحوتي ليس تقليه المقالي
وماءئ قد خلت منه جبابي وخبزي قد خلت منه سلالي
وكيسي الفارغ المطروح خلفي بعيد العهد بالقطع الحلال
أفكر في مقامي وهو صعب وأصعب منه عن وطني ارتحالي

فبي مرضان مختلفان حالي ال عليلة منهما تمسي بحال
إذا عالجت هذا جف كبدي وإن عالجت ذلك ربا طحالي

وقال في مثل ذلك أيضاً:

يا سيد عشت في نعمٍ تأوي إليها موابذ العجم
بديهتي في الخصام حاضرة أشهر في الخافقين من علم
والخط خطي كما تراه ولا ال زهرة بين القرطاس والقلم
هذا وخبزي حافٍ بلا مرقٍ فكيف لو ذقت لذة الدسم؟
مالي وللحم إن شهوته قد تركتني لحماً على وضم
وما لحلقي والخبز يجرحه بالملح يشكو مرارة اللقم

وقال في مثل ذلك:

خليلي قد اتسعت محنتي علي وضاقت بها حيلتي
عذرت عذاري في شيبه وما لمت إذ شمطت لمتي
إلى كم يخاسسني دائماً زماني المقبح في عشرتي
تحيفني ظالماً غاشماً وكدر بعد الصفا عيشتي
وكنت تماسكت فيما مضى فقد خانني الدهر في مسكتي
إلى منزلٍ لا يوارى إذا تربعت فيه سوى سوءتي
مقيماً أروح إلى حجرةٍ كقبري وما حضرت ميتتي
إذا ما لم ألم صديقي به على رغبةٍ منه في زورتي
فرشت لع فيه بسط الحدي ث من باب بيتي إلى صفتي
ومعدته في خلال الكلا م تشكو خواها إلى معدتي
وقد فت في عضدي ما به ولكن به غلبت علتي
وأغدو غدواً خليقاً بأن يزيد به الله في شقوتي
فأية دارٍ تيممتها تيمم بوابها حجتي
وإن أنا زاحمت حتى أموت دخلت وقد زهقت مهجتي
فيرفعني الناس عند الوصول إليهم وقد سقطت عمتي
وإن نهضوا بعد للإنصرا ف أسرعت في إثرهم نهضتي
وإن قدموا خيلهم للركوب خرجت فقدمت لي ركبتي
وفي جمل الناس غلمانهم وليس سوائي في جملتي
ولا لي غلام فأدعو به سوى من أبوه أخو عمتي
وكنت مليحاً أروق العيو ن قبلاً فقد قبحت خلقتي
وقوسني الهم حتى انطويت فصرت كأني أبو جدتي
وكان المزين فيما مضى تكسر أمشاطه طرتي
وكنت برأسٍ كلون الغداف فقد صرت أصلع من فيشتي
ويا رب بيضاء رود الشبا ب كانت تحن إلى وصلتي

فصارت تصد إذا أبصرت مشيبي وتغضبت من صلعتي
على أنني قلت يوماً لها وقد أمضت العزم في هجرتي
دعي عنك ما فوقه عمتي فإن جمالي ورا تكتي
هناك سيء يسر العيو ن طويل عريض على دقتي

وقال:

ويحكم يا كهول أو يا شيوخ ال فسق أو يا معشر الفتيان
إشربوها حمراء مما اقتناها آل دير العاقول للقربان
بكؤوسٍ كأنها ورق النس رين فيها شقائق النعمان
إشربوها وكل إثمٍ عليكم إن شربتم بالرطل في ميزاني
في ليالٍ لو أنها دفعتني وسط ظهري وقعت في رمضان

وقال يستهدي أبا تغلب بن حمدان فرساً:

اسمع المدح الذي لو قيل في أحدٍ غيرك قالوا سرقا
جاء يهديك مهراً أدهماً يركب الفارس منه غسقا
كالدجى تبصر من غرته فوق أطباق دجاه فلقا
جل أن يلحق مطلوباً ومن طلب الريح عليه لحقا
فتراه واقفاً في سرجه يتلظى من ذكاه قلقا
فإذا طاب به المشي مضى وهو كالريح يشق الطرقا
كالسحاب الجون إلا أنه ليس يسفي الأرض إلا عرقا
جمع الأمرين يعدو المرطي في مدى السبق ويمشي العنقا

واستدعاه الوزير للخروج معه إلى القتال فقال من قصيدةٍ:

يا سائلي عن بكاي حين أرى دموع عيني تسابق المطرا
ساعة قيل الوزير منحدر أسرع دمعي وفاض منحدرا
وقلت يا نفس تصبرين وهل يعيش بعد الفراق من صبرا؟
شاورته والهوى يفتنه والرأي رأي الصواب قد حضرا

أهوى انحداري والحزم يكرهه | وتارك الحزم يركب الغررا
لأنني عاقل ويعجبني | لزوم بيتي وأكره السفرا
الخيش نصف النهار يعجبني | والماء بالثلج بارداً خصرا
والشرب في روشني أقول به | كيما أرى منه والقمرا
ولا أقود الخيل العتاق بلى | أسوق بين الأزقة البقرا
من كل جاموسةٍ لعنبلها | رأس بقرنيه يفلق الحجرا
قد نفخ الشحم جوفها فغدا | كأنه بطن ناقةٍ عشرا
تركض مثل الحصان نافرةً | ومن يرد الحصان إن نفرا؟
أحسن في الحرب من صفوفكم | غداً قعودي أصفف الطررا
هيهات أن أحضر القتال وأن | ترى بعينيك فيه لي أثرا
بل الذي لا يزال يعجبني ال | دبيب بالليل خاءفاً حذرا
الدف عند الصباح دبدبتي | وبوقي الناي كلما زمرا
هذا اعتقادي وهكذا أبداً | أرى لنفسي وأنت كيف ترى؟

ومن مقطعاته:

ملك لو لم يكن من ملكه | غير دارٍ وشحت بالنعم
لو رمى شداد فيها طرفه | زهدته بعدها في إرم

وقال:

صنعت في دارك فوارةً | أغرقتفي الأرض بها الأنجما
فاض على نجم السهى ماؤها | فأصبحت أرضك تسقي السما

وقال:

واستوفعمر الدهر في نعمةٍ | دون مداها موقف الحشر
مصيبة الحاسد في مكثها | مصيبة الخنساء في صخر

وقال:

هذا حديثي تنمي عجائبه | بكثرة القال فيه والقيل

أعجزني دفنه فشاع كما أعجز قابيل دفن هابيل

وقال:

قد رفع الصلح على غلتي واقتسموها كارةً كارةً

لا يفلس البقال إلا إذا تصالح السنور والفارة

وقال:

عجبت من الزمان وأي شيءٍ عجيبٍ لا أراه من الزمان

يصادر قوت جرذانٍ عجافٍ فيجعله لأوعالٍ سمان

وقال:

يا رائحاً في داره غادياً بغير معنىً وبلا فائده

قد جن أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائده

وقال:

فديت من لقبني مثل ما لقبته والحق لا يغضب

إن قلت يا عرقوب خادعتني يقول لم نفسك يا أشعب

وقال:

قد قلت لما غدا مدحي فما شكروا وراح ذمي فما بالوا ولا شعروا

علي نحت القوافي من معادنها وما علي إذ لم تفهم البقر

وقال:

الصبح مثل البصير نوراً والليل في صورة الضرير

فليت شعري بأي رأيٍ يختارأعمى على بصير؟

وقال:

إن بني برمك لو شاهدوا فعلك بالغائب والشاهد

ما اعترف الفضل بيحيى أباً ولا انتمى يحيى إلى خالد

وقال:

مولاي يا من كل شيءٍ سوى نظيره في الحسن موجود

إن كنت أذنبت بجهلي فقد أذنب واستغفر داود

ولطائف ابن الحجاج كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية. توفي يوم سابع عشر جمادى الآخرة، سنة إحدى وتسعين وثلاثمائةٍ، ودفن في بغداد عند مشهد موسى الكاظم بن جعفرٍ الصادق - رضي الله عنهما - وكان أوصى أن يدفن عند رجليه ويكتب على قبره: "وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد". وكان من كبار شعراء الشيعة وقد رآه بعض أصحابه في المنام بعد موته فقال له: ما حالك فأنشد:

أفسد سوء مذهبي في الشعر حسن مذهبي

لم يرض مولاي على سبي لأصحاب النبي

ورثاه الشريف الرضي الموسوي بقصيدةٍ ارتجلها حين أتاه نعيه فقال:

نعوه على ضن قلبي به فلله ماذا نعى الناعيان

رضيع صفاء له شعبة من القلب مثل رصيع اللبان

بكيتك للشرد السائرا ت تعبث ألفاظها بالمعاني

مواسم ينهل منها الحيا بأشهر من مطلع الزبرقان

جوائف تبقى أخاديدها عماقاً وتعفو ندوب الطعان

تبض إلى اليوم آثارها بأحمر من عائد الطعن قاني

قعاقعهن تشن الحتوف إذا هن أوعدن لا بالشنان

وما كنت أحسب أن المنون تفل مضارب ذاك اللسان

لسان هو الأزرق القعضبي تمضمض في ريقه الأفعواني

له شفتا مبرد الهالكي أنحى بجانبه غير واني

إذا لز بالعرض مبراته تصدع صدع الرداء اليماني

يرى الموت أن قد طوى مضغةً ولم يطو إلا غرار السنان

فأين تسرعه للنضال وهباته للطزال اللدان

يشل الجوائح شل السياط ويلوي الجوانح لي العنان

فإن شاء كان حران الجماح وإن شاء كان جماح الحران

يهاب الشجاع غذاميره على البعد منه مهاب الجبان

وتعنو الملوك له خيفةً إذا راع قبل اللظى بالدخان

وكم صاحب كمناط الفؤاد عناني من يومه ما عناني
قد انتزعت يدي من المنون ولم يغن ضمي عليه بناني
فزال زيال الشباب الرطيب وخانك يوم لقاء الغواني
ليبك الزمان طويلاً عليك فقد كنت خفة روح الزمان

الحسين بن الحسن بن واسان

ابن محمدٍ أبو القاسم الواساني الدمشقي توفي سنة أربعٍ وتسعين وثلاثمائةٍ، شاعر مجيد برع وبرز في الهجاء، له فيه نفس طويل، فهو في عصره كابن الرومي في زمانه، وله أهاجٍ كثيرة في ابن القزاز لعداوةٍ تأصلت بينهما، وكان هجاؤه له سبباً لعزل الواساني عن عمله، ومن أجود شعره قصيدته النونية التي وصف بها دعوةً عملها في حمرايا من قرى دمشق قال:

من لعينٍ تجود بالهملان ولقلبٍ مدلهٍ حيران؟
يا خليلي أقصرا عن ملامي وارثيا لي في نكبتي وارحماني
ومتى ما ذكرت دعوة أبنا ء البغايا والعاهرات الزواني
فانتفا لحيتي وجزا سبالي وبنعلي الكثيف فاستقبلاني
ما الذي ساقني لحيني إلى حت في وما غالني وماذا دهاني؟
من عذيري من دعوةٍ أوهنت عظ مي وهدت بوقعها أركاني؟
كنت في منظرٍ ومستمعٍ من ها ومن ذا ينجو من الحدثان؟
فترت فطنتي وهجت على نف سي بلاءً ما كان في حسباني
كان عيشي صافٍ فكدره أه ل صفائي بنو أبي صفوان
فارثوا لي معاشر الناس من ض ري ومن طول محنتي وامتحاني
ضرب البوق في دمشق ونادوا لشقائي في سائر البلدان
النفير النفير بالخيل والرج ل إلى قفر ذا الفتى الواساني
جمعوا لي الجموع من جيل جيل ن وفرغانةٍ ومن ديلمان
ومن الروم والصقالب والتر ك وبعض البلغار واليونان
ومن الهند والأعاجم والبر بر والكيلجوج والبلقان
لم يحاشوا ممن عددت من الآ فاق من مسلمٍ ولا نصراني

والبوادي من الحجاز إلى نج | دِ معديها مع القحطاني
كل شكلٍ ما بين حدبٍ وحولٍ | وأصمٍ والعمى والعوران
وشيوخٍ قب البطون وشبا | نِ رحاب الأشداق والمصران
كل ذي معدةٍ تقعقع جوعاً | وهو شاكي السلاح بالأسنان
كل ذي اسمٍ مستغرب أعجميٍ | منعت صرف إسمه علتان

كمرندٍ وطغتكين وطرخا | ن وكسرى وخرمٍ وطغاني
وخمارٍ وزيركٍ وخوندٍ | ومميشٍ وطشلمٍ وجوان
وطرادٍ وجهبلٍ وزيادٍ | وشهابٍ وعامرٍ وسنان
غمر جمعوا بغير عقولٍ | وازعاتٍ عني ولا أديان
هل سمعتم بمعشرٍ جمعوا الخي | يل وساروا بالرجل والفرسان
رحلوا من بيوتهم ليلة المر | فع من أجل أكلةٍ مجان
شره بارد وحرص على ال | كل فويلي من معشرٍ مجان
لست أنسى مصيبتي يوم جاؤو | ني وقد ضاق عنهم الواديان
وردوا ليلة الخميس علينا | في خميسٍ ملء الربا والمغاني
متوالٍ كالسيل لا يلتقي من | ه لفرط انتشاره الطرفان
أشرفوا بي على زروعٍ وأحطا | بٍ وبيتٍ بخيره ملآن
لبنٍ فارسٍ وخبزٍ طريٍ | وقدورٍ تغلي على الداركان
وشواءٍ من الجراء ومعل | ف دجاجٍ وفائق الحملان
وشرابٍ ألذ من زورة المع | شوق بعد الصدود والهجران
يخجل الورد في الروائح والطع | م ويحكي شقائق النعمان
أذكرتني جيوشهم يوم جاؤو | ني بيوم الكلاب والرحرحان
يقدم القوم أرحبي هريت الش | شدق رحب المعي طويل اللسان
هو نمس الدجاج والبط والوز | ز وذئب النعاج والخرفان

بسوادٍ من عظمه طبق الأر ض وخيلٍ يهوين كالظلمان
وأبو القاسم الكبير على طر فٍ كميتٍ أقب كالسرحان
وأخوه الصغير يعترض الخي ل على قارحٍ عريض اللبان
وهما يهويان بالساق والرج ل إلى ما يسوؤني مسرعان
والسري الذي سرى في جيوشٍ أضعفتني وقصرت من عناني
بفمٍ واسعٍ وشدقٍ رحيبٍ وبكفٍ تجول كالصولجان
وأخوه الفضل الذي بان للعا لم من فضله شفا النقصان
والشمولي حلقه حلق حما ل عريض الأكتاف عبل الجران
لست أنساه جاثياً جاحظ ال عين عبوساً في صورة الغضبان
كالعقاب الغرثان يقتنص اللح م ويهوى إلى طيور الخوان
والأديب الذي به كنت أعت د غزاني في الحين فيمن غزاني
وكذا الكاتب الذي كان جاري وصديقي ومشتكى أحزاني
وصديق الأشراف أخنى على خم ري وأفنى بالكرع ما في دناني
كلما شقق الفراريج شقق ت لغيظي من فعله قمصاني
وهو من أمره مجر رخى الب ال لم يعنه الذي قد عناني
مجرهد كالسوس في الصوف في الص يف بقلبٍ خالٍ من الإيمان
قلت قل لي يابن المبشر ما شأ نك من بين من غزاني وشأني؟
ليس هذا من شهوة الأكل هذا من طريق البغضاء والشنآن
قلت للفيلسوف لما غدا في ال أكل أعني فتى أبي عدنان
وأستحث الكؤوس صرفاً بلا مز جٍ ولاءً كالهائم الظمآن
ليت شعري أذاك من طب بقرا ط تعلمته وسمع الكيان؟
وبهذا تزداد بالعالم الجس مي علماً والعالم الروحاني
ثم لا تنس ما لقيت وما سم ت هواناً من عسكر الفرغان
أعجمي اللسان أفصح من ق سٍ إذا ما انتشى ومن سحبان

قال :قم فأتنا بخبزٍ ولحمٍ ونبيذٍ معتقٍ في الدنان
وغلامٍ مهفهفٍ حسن الوج ه يحاكي جماله غصن بان
لم توكل فرغان إلا بتفري غ دناني وصبها في القناني

إن من أعظم المصائب ياق م بلائي بذلك الطرمذان
رجل كالغنيق فدم بلا ل بٍ طويل في صورة الشيطان
بقفاً كالحديد يصمد للصف ع ورأسٍ أصم كالسندان
واسع الحلق ناقص الخلق والدي ن غليظ القذال كالفلتان
يبلع المطجنات بلعاً بلا مض غٍ ويحثو النبيذ كالعطشان
وأتوني بزامرٍ زمره يح كي ضراط العبيد والرعيان
ومغنٍ عناؤه يجشيء النف س ويأتي بالقيء والغثيان
قصدت هذه الطوائف خمرا يا ابتلاءً ونكبةً لامتحاني
قلت ما شأنكم فقالوا أغثنا ما طعمنا الطعام منذ ثمان
وأناخوا بنا فيالك من يو مٍ عصيبٍ من حادثات الزمان
نزلوا ساحتي وأطلقت الخي ل بزرع الحقول والبستان
أفقروني وغادروني بلا دا رٍ ولا ضيعةٍ ولا صيوان
أدهشوني وحيروني وقد صر ت ذهولاً أهيم كالسكران
أسمع اللفظ كالطنين فهم أل فاظهم ما لها لدى معاني
تركوني يا قوم أجرد من فر خٍ وأعرى ظهراً من الأفعوان
أكلوا لي من الجرادق ألفي ن بدبسٍ يسيل كالقطران
أكلوا لي ما حولها ثم مالوا كذئابٍ إلى سميد الفران
أكلوا لي من الجداء ثلاثي ن وسبعاً بالخل والزعفران
أكلوا ضعفها شواءً وضعفي ها طبيخاً من سائر الألوان
أكلوا لي تبالةً تبلت عق لي بعشرٍ من الدجاج سمان

أكلوا لي مضيرةً ضاعفت ضر ري بروس الجداء والحملان

أكلوا لي كشكيةً كشكت قل بي وهاجت بفقدها أشجاني

أكلوا لي سبعين حوتاً من النع ر طرياً من أعظم الحيتان

أكلوا لي عدلاً من المالح المق لو ملقىً في الخل والأذنان

أكلوا لي من القريشاء والبر ني والمعقلي والصرفان

ألف عدلٍ سوى المصغر والبر دي واللؤلؤي والصيخاني

أكلوا لي من الكزامخ والجو ز معاً والخلاط والأجبان

ومن البيض والمخلل ما تع جز عن جمعه قرى حوران

فتتوا لي من السفرجل والتف اح والرازقي والرمان

والرياحين ما رهنت عليه جبتي عند أحمد الفاكهاني

أذبلوا لي من البنفسج والنر جس ما ليس مثله في الجنان

ذبحوا لي بالرغم يا معشر النا س ثمانين رأس معزٍ وضان

ما كفاه تذبيحهم غنم الر ية حتى أتوا على الثيران

أكلوا كل ما حوته يميني وشمالي وما حوى جيراني

ثم قالوا هلم شيئاً فناديـ ت غلامي قم ويك فاخبأ حصاني

لم تدع لي بطونكم يا بني البظ ر سواه وذا شطوبٍ يماني

فتمالوا علي شتماً ولعناً واستباحوا عرضي بكل لساني

ثم جاء المعقبون من السا سة والشاكري والعبدان

فرأيت الصراع والدفع واللط م وخرم النوف والآذان

ثم لما أتوا على كل شيء ختموا محنتي بكسر الأواني

ثم قاموا مثل البزاة إلى العص فور والعصفري والزربطان

فرأيت الطيور بعضاً على بع ضٍ وبعضاً ملقىً على الأغصان

أكلوا ما ذكرت ثم أراقوا يا صحابي كرا من الأشنان

ومن المحلب المطيب بالبا ن وماء الكافور سبع براني

شربوا لي عشرين ظرفاً من الرا ح لذيذ المذاق أحمر قاني

فأقاموا سواسهم والمكارو ن إلى أن سمعت صوت الأذان

يجمعون الأحطاب من حيث وافو ها فللظهر ضاع لي غيضتان

ومنها:

قطعوا اللوز والسفرجل أحطا باً ومالوا بها على غلماني

والنواطير مددوا وعلوهم حنقاً بالعصي والقضبان

طالبوني " بالشيء " في آخر اللي، ل وجمع النساء والمردان

قم فأسرع فبعضنا يطلب المر د وبعض مستهتر بالغواني

فتوهمته مزاحاً فجدوا قلت هذا ضرب من الهذيان

ليس يبقى على أرامل خمرا يا سوى بذلهن للضيفان

لو سمعتم يا قوم في غسق اللي ل بكاء النسوان والولدان

يتنادون بالعويل وبالوي ل وراء الأبواب والجدران

ومنها:

ثم راحوا بعد العشاء إلى دا ري فلم يتركوا سوى الحيطان

كان لي مفرش وكل مليحٍ فوقه مطرح من الميساني

وبساط من أحسن البسط مذخو ر لعرسٍ أو دعوةٍ أو ختان

غرقوه بالبصق والقيء والبو ل فأضحى وقدره بعرتان

أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كي لٍ يكيلونه ولا ميزان

خلت داري يا إخوتي المسجد الجا مع ليلاً للنصف من شعبان

ثم لما انتهت بهم شدة الكظ ظة خروا صرعى إلى الأذقان

هوموا ساعةً كتهويمة الخا ئف في غير أرضه الفزعان

ثم قاموا ليلاً وقد جنح النس ر ومال السماك والفرقدان

يصرخون الصبوح يا صاحب البي ت فأبكوا عيني وراعوا جناني

سحبوني من عقر داري على وج هي كأني أدعى إلى السلطان

ومنها:

هل سمعتم فيما سمعتم بإنسا نٍ عراه في دعوةٍ ما عراني

أسعدوني يا إخوتي وثقاتي بدموعٍ يجري في الأجفان

إخوتي من لواكف الدمع محزو نٍ كئيبٍ مولهٍ حيران؟

هائم العقل ساهر الليل باكي ال عين واهي القوى ضعيف الجنان

لم يكن ذا القران إلا على شؤ مي فويلي من نحس ذاك القران

والقصيدة كلها غرر ولطائف، أجاد وأحسن فيها كل الإحسان، وأبان عن مقاصده بها أحسن بيانٍ. ومن شعر أبي القاسم أيضاً قوله:

لا تصغ للوم إن اللوم تضليل واشرب ففي الشرب للأحزان تحويل

فقد مضى القيظ واحتثت رواحله وطابت الراح لما آل أيلول

وليس في الأرض نبت يشتكي رمداً إلا وناظره بالطل مكحول

وقال:

ولما نضا وجه الربيع نقابه وفاحت بأطراف الرياض النسائم

فطارت عقول الطير لما رأينه وقد بهتت من بينهن الحمائم

وهمن جنوناً بالرياض وحسنها صدحن وفي أعناقهن التمائم

وقال:

أنلني بالذي استقرضت خطاً وأشهد معشراً قد شاهدوه

فإن الله خلاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه

يقول :إذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه

وقال:

إذا دنت السحب الثقال وحثها من الرعد حادٍ ليس يبصر أكمه

أحاديثه مستهولات وصوته إذا انخفضت أصواتهن مقهقه

إذا صاح في آثارهن حسبته يجاوبه من خلفه صاحب له

وقال يهجو منشا بن إبراهيم القزاز:

إن منشا قد زاد في التيه وزاد في شامنا تعديه

فلا ابن هندٍ ولا ابن ذي يزنٍ ولا ابن ماء السما يدانيه

وهو مغيظ على الوصي ومن يعزى إليه ومن يواليه

يذكر أيام خيبرٍ بهم فهم قذىً جال في أماقيه

وقد حكى أن فاه أطيب من سرمي وأني ممن يعاديه

ومن يقول القبيح فيه ومن أصبح بالمعضرت يرميه

فسوكوه بكل طيبة الر ريح تعفى على مساويه

ومضمضوه بالخل واجتهدوا معاً بكل اجتهادكم فيه

وأطعموه من الجوارش ما يعمل بالمسك والأفاويه

وأنهلوه من خمرٍ معتقةٍ قد صانها القس في خوابيه

واستفقحوني واستنكهوه تروا أن لسرمي فضلاً على فيه

وأحملوا الكلب والحمار على عياله واصفعوا محبيه

وقال يهجو أبا الفضل يوسف بن عليٍ، ويعرض فيها أيضاً بمنشا بن إبراهيم القزاز، وكانت هذه القصيدة سبب عزله عن عمله:

يا أهل جيرون هل أسامركم إذا استقلت كواكب الحمل؟

بمالحٍ كالرياض باكرها نوء الثريا بعارضٍ هطل

أو مثل نظم الجمان ينظم في ال عقد ووشي البرود والحلل

يلذ للسامع الغناء بها على خفيف الثقيل والرمل

كنت على باب منزلي سحراً أنتظر الشاكري يسرج لي

وطال ليلي لحاجةٍ عرضت باكرتها والنجوم لم تزل

فمر بي في الظلام أسود كال أقيل عريض الأكتاف والعضل

أشغى له منخر ككوة تنورٍ وعين كمقلة الجمل

ومشفر مسبل كخر رحى على نيوبٍ مثل المدى عضل

مشقق الكعب أفدع اليد والر رجل طويل الساقين كالسبل
فأهدت الريح منه لي أرجاً مثل جني الروض في ندىً خضل
مسكاً وقفصيةً معتقةً شيبا ببانٍ وعنبرٍ شمل
فقلت ما هكذا يكون إذا انفض ض الندامى روائح السفل
أسود غادٍ من الأتون له عرف أميرٍ نشوان ذي ثمل
هذا ورب السماء أعجب من حمار وحشٍ في البر منتعل
أردده يا نصر كي أسائله فشأنه عضلة من العضل
فقال يخشى فوات حاجتنا وليس هذا من أكبر الشغل
فقلت ترك الفضول نصر وإن أنجاك عين الخمول والكسل
بادره من قلب أن يفوتك في مسيره بين هذه السبل
فصد عني تغافلاً ومضى يعجب من عقله ومن خللي
وصاح من خلفه رويدك يا أسود مالي بالعدو من قبل
إرجع إلى ذلك الرقيع وإن أطال في هذره فلا تطل
أجب إذا ما سئلت مقتصداً في القول واسكت إن أنت لم تسل
وهو بترك الفضولأجدر لو سلم من خفةً ومن خطل
فكر نحوي عجلان يعثر في مرطٍ كسيه مبرغثٍ قمل
وقد مذى والمذى يقطر من غرموله في الذيول كالوشل
وظن أني صيد فأبرز لي فيشلةً مثل ركبة الجمل
وقال لج داركم لأولجها فيك وإن كنت لم تبل فبل

ومنها:

قلت له لا عدمت برك قد بذلت ما لم يكن بمبتذل
لكنني والذي يمد لك ال عمر ويعطيك غاية الأمل
ما شق دبري مذ كنت فيشلة ولا انتخاب الأيور من عملي
ولا لهذا دعيت فابغ لمي لوخك من يستلذه بدلي

وهات قل لي من أين جئت ومن ... أين أقبلت يا أبا جعل؟
فقال لي: بت عند عاملكم ... هذا أبي الفضل يوسف بن علي
فصاك بي طيبه وصكت به ... مني صناناً في حدة البصل
تركته في النهار أخفش لا ... ينظر في خدمةٍ ولا عمل
قلت تطاولت وافتريت على ... شيخٍ نبيلٍ ينمى إلى نبل

أبوه قسطاً وجده صمع ... يدعى حنيناً وعمه الصملي
لعل ذا غيره فصفه فما ... يخدع مثلي بهذه الحيل
فإن تكن صادقاً نجوت وأنحي ... ت عليه باللوم والعذل
وإن تكن كاذباً صفعتك بالن ... عل فإن كنت قائلاً فقل
فقال يا سيدي عجلت بمك ... روهي وكان الإنسان من عجل
هذا الذي بت عنده نصف ... دون عجوزٍ وفوق مكتهل
في فيه نتن وتحت عصعصه ... عين تمج الصديد في دغل
أنتن من كل ما يقال إذا ... بالغ في الوصف ضارب المثل
وهو على ذاك مولع أبداً ... لشؤم بختي بالعض والقبل
له إذا ما علوته نفس ... أمضى من السيف في يدي بطل

والقصيدة طويلة نحو مائةٍ وأربعين بيتاً، وفيها من الفحش ما لا يجمل بالأديب ذكره، وفيما أوردناه كفاية، ومن شعره:

ومهفهفٍ يزهو علي بجيده ... وبخصره وبردفه وبساقه
وافى إلي وقلبه متخوف ... كتخوف المعشوق من عشاقه
حتى إذا مددته وحللت عن ... كفلٍ مباح الحل بعد وثاقه
فاحت على أصنة من ردفه ... بخلاف ما قد فاحمن أطواقه
فسألته ماذا فقال بحرقةٍ ... ودموعه تنهل من آماقه
هذا ابن بسطامٍ أتانيطارقاً ... بلطيف حيلته وحسن نفاقه

وعلا على ظهري ويلقم مثقبي برياله المنهل من أشداقه
فبقي صنان رضابه في فقحتي زمناً لحاه الله بعد فراقه
فالله يحرمه معيشته كما قد سد مكسب مثقبي ببصاقه

الحسين بن سعد بن الحسين بن محمدٍ

أبو عليٍ الآمدي اللغوي الشاعر الأديب، توفي ليلة الخميس خامس ربيعٍ الآخر سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائةٍ. ولد بآمد ونشأ بها، ثم قدم بغداد فأخذ بها عن أبي يعلى الفراء، وأبي طالب بن غيلان، وأخذ بالشام عن جماعةٍ. ودخل أصبهان فاستوطنها ومات ودفن بها، وله مؤلفات. ومن شعره:

وأهيف مهزوز القوام إذا انثنى وهبت لعذري فيه ذنب اللوائم
بثغرٍ كما يبدو لك الصبح باسمٍ وشعرٍ كما يبدو لك الليل فاحم
مليح الرضا والسخط تلقاه عاتباً بألفاظ مظلومٍ وألحاظ ظالم
ومما شجاني أنني يوم بينه شكوت الذي ألقى إلى غير راحم
وحملت أثقال الهوى غير حاملٍ وأودعت أسرار غير كاتم
وأبرح ما لاقيته أن متلفي بما حل بي في حبه غير عالم
ولو أنني فيه سهرت لساهرٍ لهان ولكني سهرت لنائم

وقال:

أتنسب لي ذنباً ولم أك مذنباً وحماتنيفي الحب مالا أطيقه
وما طلبي للوصل حرص على البقا ولكنه أجر إليك أسوقه

وقال:

نوهم واشينا بليلٍ مزاره فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقاً فلما أتانا ما رأى غير واحد

وقال:

بنفسي وروحي ذلك العارض الذي غدا مسكه تحت السوالف سائلا
درى خده أني أجن من الهوى فهيأ لي قبل الجنون سلاسلا

وقال:

تصدر للتدريس كل مهوسٍ بليدٍ تسمى بالفقيه المدرس

فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيتٍ قديمٍ شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس

^

الجزء العاشر

الحسين بن الضحاك

ابن ياسرٍ البصري المعروف بالخليع أبو عليٍ، أصله من خراسان، وهو مولىً لولد سلمان بن ربيعة الباهلي الصحابي، فهو مولىً لا باهلي النسب كما زعم ابن الجراح، بصري المولد والمنشأ، وهو شاعر ماجن، ولذلك لقب بالخليع، وعداده في الطبقة الأولى من شعراء الدولة العباسية المجيدين، ولد سنة اثنتين وستين ومائةٍ، وتوفي في بغداد سنة خمسين ومائتين، وقد ناهز المائة، وكان شاعراً مطبوعاً حسن التصرف في الشعر، وكان أبو نواسٍ يغير على معانيه في الخمر، فإذا قال شيئاً فيها نسبه الناس إلى أبو نواسٍ، وله غزل كثير أجاد فيه، وهو أحد الشعراء المطبوعين الذين أغناهم عفو قرائحهم عن التكلف، وقد اتصل الحسين بن الضحاك بالخلفاء من بني العباس ونادمهم، وأول من جالس منهم: محمد الأمين بن هارون الرشيد، وكان اتصاله به سنة ثمانٍ وتسعين ومائةٍ، وهي السنة التي قتل فيها الأمين، وتنقل بعده في مجالس الخلفاء ونادمهم إلى الحين الذي مات فيه في زمن المستغين، وقيل في زمن المنتصر.

حدث الصولي عن عبد الله بن محمدٍ الفارسي عن ثمامة بن أشرس قال: لما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد، وأمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك، فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم الحسين فقال: أليس هو الذي يقول في الأمين يعني أخاه:

هلا بقيت لسد فاقتنا ... أبداً وكان لغيرك التلف

فلقد خلفت خلائفاً سلفوا ... ولسوف يعوز بعدك الخلف

لا حاجة لي فيه، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق، ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به. قال: وانحدر إلى البصرة فاقام بها طول أيام المأمون، واستقدمه المعتصم من البصرة حين ولي الخلافة بعد موت المأمون، فلما دخل عليه استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده يمدحه:

هلا سألت تلدد المشتاق ... ومننت قبل فراقه بتلاق

إن الرقيب ليستريب تنفس الص ... صعدا إليك وظاهر الإقلاق

ولئن أربت لقد نظرت بمقلةٍ ... عبري عليك سخينة الآماق

نفسي الفداء لخائفٍ مترقبٍ جعل الوداع إشارة بعناق
إذ لا جواب لمفحمٍ متحيرٍ إلا الدموع تصان بالإطراق

ومنها:

خير الوفود مبشر بخلافةٍ خصت ببهجتها أبا إسحاق
وافته في الشهر الحرام سليمةً من كل مشكلةٍ وكل شقاق
أعطته صفقتها الضمائر طاعةً قبل الأكف بأوكد الميثاق
سكن الأنام إلى إمامٍ سلامةٍ عف الضمير مهذب الأخلاق
فحمي رعيته ودافع دونها وأجار مملقها من الإملاق
قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى متعسفين تعسف المراق
إني أحذركم بوادر ضيغمٍ دربٍ بخطم موائل الأعناق
متأهبٍ لا يستفز جنانه زجل الرعود ولامع الإبراق
لم يبق من متعزمين توثبوا بالشام غير جماجمٍ أفلاق
من بين منجدلٍ تمج عروقه علق الأخادع أو أسير وثاق
وثنى الخيول إلى معاقل قيصرٍ تختال بين أجرةٍ ودفاق
يحملن كل مشمرٍ متغشمٍ ليثٍ هزبرٍ أهرت الأشداق
حتى إذا أم الحصون منازلاً والموت بين ترائبٍ وتراق
هرت بطارقها هرير ثعالب بدهت بزأر قساورٍ طراق
ثم استكانت للحصار ملوكهم ذلاً ونيط حلوقهم بخناق
هربت وأسلمت البلاد عشيةً لم تبق غير حشاشة الأرماق

فلما أتمها قال له المعتصم، ادن مني، فدنا منه فملأفمه جوهراً من جوهرٍ كان بين يديه، ثم أمره بأن يخرجه من فيه،فأخرجه فأمر بأن ينظم ويدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلما موقعه منه ويعرفوا له فضله. وحدث الصولي عن عون بن محمدٍ الكندي قال: لما ولي المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهنأه بالخلافة وأنشده:

تجددت الدنيا بملك محمدٍ فأهلاً وسهلاً بالزمان المجدد
هي الدولة الغراء راحت وبكرت مشمرةً بالرشد في كل مشهدٍ

لعمري لقد شدت عرى الدين بيعة | أعز بها الرحمن كل موحد
هنتك أمير المؤمنين خلافة | جمعت بها أهواء أمة أحمد

فأظهر إكرامه والسرور به وقال له: إن في بقائك بهاءً للملك، وقد ضعفت عن الحركة، فكاتبني بحاجتك ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة، ووصله بثلاثة آلاف دينارٍ ليقضي بها ديناً بلغه أنه عليه، وقال في المنتصر أيضاً وهو آخر شعرٍ قاله:

ألا ليت شعري أبدر بدا | نهاراً أم الملك المنتصر؟؟
إمام تضمن أثوابه | على سرجه قمراً من بشر
حمى الله دولة سلطانه | بجند القضاء وجند القدر
فلا زال ما بقيت مدة | يروح بها الدهر أو يبتكر

واصطبح عند عبد الله بن العباس بن الفضل وخادم له قائم بين يديه يسقيه، فقال عبد الله: يا أبا عليٍ قد استحسنت سقي هذا الخادم، فإن حضرك شيء في هذا فقل، فقال:

أحيت صبوحي فكاهة اللاهي | وطاب يومي بقرب أشباهي
فآثر اللهو في مكامنه | من قبل يومٍ منغصٍ ناهي
بابنةِ كرمٍ من كف منتطقٍ | مؤتزرٍ بالمجون تياه
يسقيك من طرفه ومن يده | سقي لطيفٍ مجربٍ داهي
كأساً وكأساً كأن شاربها | حيران بين الذكور والساهي

وذكر الصولي في نوادره قال: حدثني علي بن محمد بن نصرٍ قال: حدثني خالي أحمد بن حمدون قال: قال الحسين بن الضحاك من أبياتٍ وقد عمر:

أما في ثمانين وفيتها | عذير وإن أنا لم أعتذر
وقد رفع الله أقلامه | عن ابن ثمانين دون البشر
وإني لمن أسراء الإله | في الأرض نصب حروب القدر
فإن يقض لي عملاً صالحاً | أثاب وإن يقض شراً غفر

وقال:

أصبحت من أسراء الله محتسباً | في الأرض نحو قضاء الله والقدر
إن الثمانين إذ وفيت عدتها | لن تبق باقيةً مني ولم تذر

قلت: والأصل في قول الحسين بن الضحاك هذا، الحديث الذي رواه ابن قتيبة في غريب الحديث. قال: حدثنا أبو سفيان الغنوي، حدثنا معقل بن مالكٍ عن عبد الرحمن بن سليمان، عن عبيد الله بن أنسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا بلغ العبد ثمانين سنةً فإنه أسير الله في الأرض، تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات". وقال:

وصف البدر حسن وجهك حتى ... خلت أني وما أراك أراكا
وإذا ما تنفس النرجس الغض ... ض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللني في ... ك بإشراق ذا وبهجة ذاكا

وقال:

لا وحبيك لا أصا ... فح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استرا ... ح وإن كان موجعا
كبدي في هواك أس ... قم من أن تقطعا
لم تدع صورة الضنى ... في للسقم موضعا

وقال:

ألا إنما الدنيا وصال حبيب ... وأخذك من مشمولةٍ بنصيب
ولم أر في الدنيا كخلوة عاشقٍ ... وبذلة معشوقٍ ونوم رقيب

وقال يمدح الوزير الحسن بن سهلٍ:

أرى الآمال غير معرجاتٍ ... على أحدٍ سوى الحسن بن سهل
يباري يومه غده سماحاً ... كلا اليومين بان بكل فضل
أرى حسناً تقدم مستبداً ... ببعدٍ من رياسته وقبل
فإن حضرتك مشكلة بشكٍ ... شفاك بحكمةٍ وخطاب فصل
سليل مرازبٍ ترعوا حلوماً ... وراح صغيرهم بسداد كهل
ملوك إن جريت بهم أبروا ... وعزوا أن توازيهم بعدل
ليهنك أن ما أرجيرشد ... وما أمضيت من قولٍ وفعل
وأنك مؤثر للحق فيما ... أراك الله في قطعٍ ووصل
وأنك للجميع حيا ربيعٍ ... يصوب على قرارة كل محل

وقال يمدح الواثق لما ولي الخلافة:

أكتم وجدي فما ينكتم　　بمن لو شكوت إليه رحم
وإني على حسن ظني به　　لأحذر إن بحت أن يحتشم
ولي عند لحظته روعة　　تحقق ما ظنه المتهم
وقد علم الناس أني له　　محب وأحسبه قد علم
وإني لمغضٍ على لوعةٍ　　من الشوق في كبدي تضطرم
وعشية ودعت عن مدمعٍ　　سفوحٍ وزفرة قلب سدم
فما كان عند النوى مسعد　　سوى الدمع يغسل طرفاً كلم
سيذكر من بان أوطانه　　ويبكي المقيمين من لم يقم

ومنها في المديح:

إلى خازن الله في خلقه　　سراج النهار وبدر الظلم
ركبنا غرابيب زفافةٍ　　بدجلة في موجها الملتطم
إذا ما قصدنا لقاطولها　　ودهم قراقيرها تصطدم
وصرنا إلى خير مسكونةٍ　　تيممها راغب أو ملم
مباركةٍ شاد بنيانها　　بخير المواطن خير الممم
كأن بها نشر كافورةٍ　　لبرد نداها وطيب النسم
كظهر الأديم إذا ما السحا　　ب صاب على متنها وانسجم
مبرأةٍ من وحول الشتاء　　إذا ما طمى وحله وارتكم
فما إن يزال بها راجل　　يمر الهوينا ولا يلتطم
ويمشي على رسله آمناً　　سليم الشراك نقي القدم
وللنون والضب في بطنها　　مراتع مسكونة والنعم

ومنهم:

يضيق الفضاء به إن عدا　　بطودي أعاريبه والعجم
ترى النصر يقدم راياته　　إذا ما خفقن أمام العلم

وفي الله دوخ أعداءه | وجرد فهم سيوف النقم
وفي الله يكظم من غيظه | وفي الله يصفح عمن ظلم
رأى شيم الجود محمودةً | وما شيم الجود إلا قسم
فراح على نعمٍ واغتدى | كأن ليس يحسن إلا نعم

وقال:

أتاني منك ما ليس | على مكروهه صبر
فأغضيت على عمدٍ | وقد يغضي الفتى الحر
وأدبتك بالهجر | فما أدبك الهجر
ولا ردك عما كا | ن منك النصح والزجر
فلما اضطرني المكر | ه واشتد بي الأمر
تناولتك من ضري | بما ليس له قدر
فحركت جناح الذل | ل لما مسك الضر
إذا لم يصلح الخير ام | رأً أصلحه الشر

وغضب عليه المعتض لشيءٍ جرى منه على النبيذ، فكتب إليه يسترضيه:

غضب الإمام أشد من أدبه | وقد استجرت وعذت من غضبه
أصبحت معتصماً بمعتصمٍ | أثنى الإله عليه في كتبه
لا والذي لم يبق لي سبباً | أرجو النجاة به سوى سببه
مالي شفيع غير حرمته | ولكل من أشفى على عطبه

الحسين بن عبد اله بن يوسف

ابن أحمد بن شبلٍ أبو عليٍ البغدادي. ولد في بغداد وبها نشأ، وبها توفي سنة أربعٍ وسبعين وأربعمائةٍ. كان متميزاً بالحكمة والفلسفة، خبيراً بصناعة الطب، أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً، أخذ عن أبي نصرٍ يحيى بن جريرٍ التكريتي وغيره. وهو صاحب القصيدة الرائية التي نسبت للشيخ الرئيس ابن سينا وليست له، وقد دلت هذه القصيدة على علو كعبه في الحكمة والاطلاع على مكنوناتها، وقد سارت بها الركبان وتداولها الرواة، وهي:

بربك أيها الفلك المدار | أقصد ذا المسير أم اضطرار؟؟

مدارك قل لنا في أي شيءٍ ففي أفهامنا منك انبهار؟
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء سوى هذا الفضاء به تدار؟
وعندك ترفع الأرواح أم هل مع الأجساد يدركها البوار؟
وموج ذي المجرة أم فرند على لجج الذراع لها مدار
وفيك الشمس رافعةً شعاعاً بأجنحةٍ قوادمها قصار
وطوق النجوم إذا تبدى هلالك أم يد فيها سوار

وأفلاذ نجومك أم حباب تؤلف بينه لجج غزار
وتنشر في الفضا ليلاً وتطوى نهاراً مثلماً يطوى الإزار
فكم بصقالها صدئ البرايا وما يصدأ لها أبداً غرار
تبادي ثم تخنس راجعاتٍ وتكنس مثلما كنس الصوار
فبينا الشرق يقدمها صعوداً تلقاها من الغرب انحدار
على ذا قد مضى وعليه يمضي طوال منىً وآجال قصار
وأيام تعرفنا مداها لها أنفاسنا أبداً شفار
ودهر ينثر الأعمار نثراً كما للورد في الروض انتثار
ودنيا كلما وضعت جنيناً غذته من نوائبها ظؤار
هي العشواء ما خبطت هشيم هي العجماء ما جرحت جبار
فمن يومٍ بلا أمسٍ ويومٍ بغير غدٍ إليه بنا يسار
ومن نفسين في أخذٍ وردٍ لروح المرء في الجسم انتشار
وكم من بعد ما كانت نفوسٍ إلى أجسامها طارت وطاروا
ألم تك بالجوارح آنساتٍ فأعقب ذلك الأنس النفار
فإن يك آدم أشقى بنيه بذنبٍ ماله منه اعتذار
ولم ينفعه بالأسماء علم وما نفع السجود ولا الجوار
فأخرج ثم أهبط ثم أودى فترب الساقيات له شعار

فأدركه بعلم الله فيه ... من الكلمات للذنب اغتفار
ولكن بعد غفرانٍ وعفوٍ ... يعير ما تلا ليلاً نهار
لقد بلغ العدو بنا مناه ... وحل بآدمٍ وبنا الصغار
وتهنا ضائعين كقوم موسى ... ولا عجل أضل ولا خوار
فيا لك أكلة لا زال منها ... علينا نقمة وعليه عار
نعاقب في الظهور وما ولدنا ... ويذبح في حشا الأم الحوار
وتنتظر البلايا والرزايا ... وبعد فللوعيد لنا انتظار
ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضب أخرجه الوجار
فماذا الإمتنان على وجودٍ ... لغير الموجدين به الخيار
وكان وجودنا خيراً لو أنا ... نخير قبله أو نستشار
أهذا الداء ليس له دواء ... وهذا الكسر ليس له انجبار؟
تحير فيه كل دقيقٍ فهمٍ ... وليس لعمق جرحهم انسبار
إذا التكوير غال الشمس عنا ... وغال كواكب الأفق انتثار
وبدلنا بهذي الأرض أرضاً ... وطوح بالسموات انفطار
وأذهلت المراضع عن بنيها ... لدهشتها وعطلت العشار
وغشي البدر من فرقٍ وذعرٍ ... خسوف ليس يجلى أو سرار
وسيرت الجبال فكن كثباً ... مهيلاتٍ وسجرت البحار
فأين ثبات ذي الألباب منا ... وأين مع الرجوم لنا اصطبار
وأين عقول ذي الأفهام مما ... يراد بنا وأين الإعتبار؟
وأين يغيب لب كان فينا ... ضياؤك من سناه مستعار؟
ولا أرض عصته ولا سماء ... ففيما يغول أنجمها انكدار
وقد وافته طائعةً وكانت ... دخاناً ما لقاتره شرار
قضاها سبعةً والأرض مهداً ... دحاها فهي للأموات دار
فما لسمو ما أعلى انتهاء ... وما لعلو ما أرسى قرار

ولكن ذا التهويل فيه لمن يخشى اتعاظ وازدجار

وقال:

بنا إلى الدير كوثاً صبابات فلا تلمني فما تغني الملامات
لا تبعدن وإن طال الزمان بها أيام لهوٍ عهدناها وليلات
فكم قضينا لبانات الشباب بها غنماً وكم بقيت عندي لبانات
ما مكنت دولة الأيام مقبلةً فانعم ولذ فإن العيش تارات
قبل ارتجاع الليالي فهي عارية فإنما منح الدنيا غرامات

قم فاجل في فلك البستان شمس ضحىً بروجها الزهر والجامات دارات
لعله إن دعا داعي الحمام بنا نقضي وأنفسنا منها رويات
بم التعلل لولا الراح في زمنٍ أحياؤه في سبات الهم أموات؟
بدت تحيي فقابلنا تحيتها وقد عراها لخوف المزج روعات
مدت أشعة برقٍ من أبارقها على مقابلها منها شعاعات
فلاح في ساق ساقيها خلاخل من تيرٍ وفي أوجه الندمان شارات
قد وقع الصفو سطراً من فواقعها لا فارقت شارب الراح المسرات
خذ ما تعجل واترك ما وعدت به وكن لبيباً فللتأخير آفات
وللسعادة أوقات مقدرة فيها السرور وللأحزان أوقات

وقال:

أيا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارةً على كبدٍ لم يبق إلا صميمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنفست على كبدٍ حراء قلت همومها

وقال:

ليكفكم ما فيكم من جوىً نلقى فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقا
وحرمة وجدي لا سلوت هواكم ولا رمت منه لا فكاكاً ولا عتقا

سأزجر قلباً رام في الحب سلوةً	وأهجره إن لم يمت بكم عشقا
صحبت الهوى يا صاح حتى ألفته	فأضناه لي أشفى وأفناه أي لأبقى
فلا الصبر موجود ولا الشوق بارح	ولا أدمعي تطفي لهيبي ولا ترقا
أخاف إذا ما الليل أخى سدوله	على كبدي حرقاً ومن مقلتي غرقا
أيجمل أن أجزي من الوصل بالجفا	فينعم طرفي والفؤاد بكم يشقي؟
أحظي هذا أم كذا كل عاشقٍ	يموت ولا يحيا ويظمي فلا يسقي
سل الدهر عل الدهر يجمع شملنا	فلم أر ذا حالٍ على حاله يبقى

وقال:

إذا كان دوني من بليت بجهله	أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
وإن كنت أدنى منه في الحلم والحجا	عرفت له حق التقدم والفضل
وإن كان مثلي في الفطانة والحجا	أردت لنفسي أن أجل عن المثل

وقال:

وفي اليأس إحدى الراحتين لذي الهوى	على أن إحدى الراحتين عذاب
أعف وبي وجد وأسلو وبي جوىً	ولو ذاب مني أعظم وإهاب
وآنف أن تصطاد قلبي كاعب	بلحظٍ وأن يروي صداي رضاب
فلا تنكروا عن الكريم على الأذى	فحين تجوع الضاريات تهاب

وقال:

وكأنما الإنسان منا غيره	متكون والحس منه معار
متصرف وله القضاء مصرف	ومسير وكأنه مختار
طراً تصوبه الحظوظ وتارةً	خطأ تحيل صوابه الأقدار
تعمى بصيرته ويبصر بعدما	لا يسترد الفائت استبصار
وتراه يؤخذ قلبه من صدره	ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يوسع بالملامة نفسه	ندماً إذا عبثت به الأفكار
لا يعرف الإفراط في إيراده	حتى يبينه له الإصدار

وقال:

تلق بالصبر ضيف الهم حيث أتى — إن الهموم ضيوف أكلها المهج
فالخطب إن زاد يوماً فهو منتقص — والأمر إن ضاق يوماً فهو منفرج
فروح النفس بالتعليل ترض به — واعلم إلى ساعةٍ من ساعةٍ فرج

وقال:

إحفظ لسانك لا تبح بثلاثةٍ — سرٍ ومالٍ ما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثةٍ — بمعكرٍ وبحاسدٍ ومكذب

وقال:

وعلى قدر عقله فاعتب المر — ء وحاذر براً يصير عقوقا
كم صديقٍ بالعتب صار عدواً — وعدوٍ بالحلم صار صديقا

وقال:

ثقلت زجاجات أتتنا فرغاً — حتى إذا مثلت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت — وكذا الجسوم تخف بالأرواح

وقال:

تسل عن كل شيءٍ بالحياة فقد — يهون بعد بقاء الجوهر العرض
يعوض الله مالاً أنت متلفه — وما عن النفس إن أتلفتها عوض

وقال:

قالوا اقناعة عز والكفاف غنىً — والذل والعار حرص المرء والطمع
صدقتم من رضاه سد جوعته — إن لم يصبه فماذا منه يقتنع؟

وقال:

إن لم تكن تجزع من دم — عي إذا فاض فصنه
أو تكن مجدت يوماً — سيداً يعفو فكنه
أنا لا أصبر عمن — لا يجوز الصبر عنه
كل ذنبٍ في الهوى يغ — فر لي ما لم أخنه

وقال يرثي أخاه أحمد بن عبد الله بن يوسف:

غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحيٍ من بعد ميتٍ بقاء
لا لبيد بأربدٍ مات حزناً وسلت صخراً الفتى الخنساء
مثل ما في التراب يبلى الفتى فال حزن يبلي من بعده والبكاء
غير أن الأموات زالوا وأبقوا غصصاً لا يسيغها الأحياء
إنما نحن بين ظفرٍ وناب من خطوبٍ أسودهن ضراء
وتتمنى وفي المنى قصر العم ر فنغدو بما نسر نساء
صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي تغتذي نموت ونحيا أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دبيا فلا كا نت ولا كان أخذها والعطاء
راجع جودها عليها فمهما يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلماً تمر بنا الأي يام أم ليس تعقل الأشياء
من فسادٍ يجنيه للعالم الكو ن فما للنفوس منه اتقاء
قبح الله لذةً لشقانا نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفق ر فإيجادنا علينا بلاء
وقليلاً ما تصحب المهجة الجس م ففيم الأسى وفيم العناء؟
ولقد أيد الإله عقولاً حجة العود عندها الإبداء
غير دعوى قومٍ على الميت شيئاً أنكرته الجلود والأعضاء
وإذا كان في العيان خلاف كيف في الغيب يستبين الخفاء؟
ما دهانا من يوم أحمد إلا ظلمات وما استبان ضياء
يا أخي عاد بعدك الماء سماً وسموماً ذاك النسيم الرخاء
والدموع الغزار عادت من الأن فاس ناراً تثيرها الصعداء
وأعد الحياة غدراً ولو كا نت حياةً يرضى بها الأعداء
أين تلك الخلال والحزم أين ال عزم أين السناء أين البهاء؟
كيف أودى النعيم من ذلك الظل ل وشيكاً وزال ذاك الغناء؟

أين ما كنت تنتضي من لسانٍ | في مقامٍ ما للمواضي انتضاء؟
كيف أرجو شفاء ما بي؟ وما بي | دون سكناي في ثراك شفاء
أين ذاك الرواء والمنطق الجز | ل وأين الحياء أين الإباء؟
إن محا حسنك التراب فما للد | دمع يوماً من صحن خدي انمحاء
أو تبن لم يبن قديم ودادي | أو تمت لم يمت عليك الثناء
شطر نفسي دفنت والشطر باقٍ | يتمنى ومن مناه الفناء
إن تكن قدمته أيدي المنايا | فإلى السابقين تمضي البطاء
يدرك الموت كل حيٍ ولو أخ | فته عنه في برجها الجوزاء
ليت شعري وللبلا كل مخلو | قٍ بماذا تميز الأنبياء؟
موت ذي الحكمة المفضل بالنط | ق وذي العجمة البهيم سواء
لا غوى لفقده تبسم الأر | ض ولا للتقي تبكي السماء
كم مصابيح أوجهٍ أطفأتها | تحت أطباق تربها البيداء

كم بدورٍ وشموسٍ وكم أط | واد مجدٍ أمست عليها العفاء
كم محا عزة الكواكب غيم | ثم أخفت ضياءها الأنواء
إنما الناس قادم إثر ماضٍ | بدء قومٍ للآخرين انتهاء

وقال:

قالوا وقد مات محبوب فجعت به | وفي الصبا وأرادوا عنه سلواني
ثانيه في الحسن موجود فقلت لهم | من أين لي في الهوى الثاني صباً ثاني

وقال:

ولو أنني أعطيت من دهري المنى | وما كل من يعطي المنى بمسدد
لقلت لأيامٍ مضين ألا ارجعي | وقلت لأيامٍ أتين ألا ابعدي

الحسين بع عبد الله بن رواحة

ابن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة أبو عليٍ الأنصاري الحموي، الأديب الفقيه الشاعر المجيد، ولد بحماة ونشأ بها، ورحل إلى دمشق فأقام بها مدةً واشتغل بالفقه، وسمع الحديث من الحافظ أبي القاسم بن عساكر ومن عمه وآخرين.

ورحل إلى مصر فسمع بها وبالإسكندرية. ثم عاد إلى دمشق فشهد واقعة مرج عكا فقتل فيها شهيداً يوم الأربعاء من شعبان سنة خمسٍ وثمانين وخمسمائةٍ. وله من قصيدةٍ مهنئاً بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب بعيد النحر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائةٍ، وكان السلطان مخيماً بمرج فاقوس:

لقد خبر التجارب منه حزم … وقلب دهره ظهراً لبطن
فساق إلى الفرنج الخيل براً … وأدركهم على بحرٍ بسفن
وقد جلب الجواري بالجواري … يمدن بكل قدٍ مرجحن
يزيدهم اجتماع الشمل بؤساً … فمرنان ينوح على مرن
زهت إسكندرية يوم سيقوا … ودمياط إلى المينا بغبن
يرون خياله كالطيف يسري … فلو هجعوا أتاهم بعد وهن
أبادهم تخوفه فأمسى … مناهم لو يبيتهم بأمن
تملك جيشاً شرقاً وغرباً … فصاروا بين مملوكٍ ورهن
أقام بآل أيوبٍ رباطاً … رأت منه الفرنجة ضيق سجن
رجا أقصى الملوك السلم منهم … ولم ير جهده في الحرب يغني
فألقى السلم بعد الحرب كرهاً … ولم ير من مناه سوى التمني

وقال يرثي الحافظ أبا القاسم بن عساكر، وأنشدها بجامع دمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائةٍ:

ذرا السعي في نيل العلا والفضائل … مضى من إليه كان شد الرواحل
فقولا لساري البرق إني معينه … بنار أسىً أو سحب دمعٍ هواطل
وتمزيق جلباب العزاء لفقده … بزفرة باكٍ أو بحسرة ثاكل
فأعلن به للركب واستوقف السرى … لقصاده من قبل طي المراحل
وقل غاب بدر التم عن أنجم الدجى … وأشرق منهم بعده كل آفل
وما كان إلا البحر غار ومن يرد … سواحله لم يلق غير الجداول
وهبكم رويتم علمه من رواته … فليس عوالي صحبه بنوازل

فقد فاتكم نور الهدى بوفاته ونور التقى منه ونجح الوسائل
وما حظ من قد غره نصل صارمٍ رجا نصره من غمده والحمائل
ليبك عليه من رآه ومن حوى هداه بأيامٍ لديه قلائل
ويقض أسىً من فاته الفضل عاجلاً برؤيته والفوز في كل عاجل
أسفت لإرجائي قدوم أعزةٍ عليه وتسويفٍ إلى عام قابل
ولو أنهم فازوا بإدراك مثله لأزروا على سن الصبا بالأمائل
فيا لمصائبٍ عم سنة أحمدٍ وأحرم منها كل راوٍ وناقل
خلا الشام من خيرٍ خلت كل بلدةٍ بها من نظيرٍ للإمام مماثل
وأصبح بعد الحافظ العلم شاغراً بلا حافظٍ يهذي به كل باقل
وكم من نبيهٍ ضل مذ مات جاهه وقدم لما أن مضى كل خامل
خلت سنة المختار من ذب ناصرٍ فأيسر ما لاقته بدعة جاهل

نمى للإمام الشافعي مقالةً فأصبح يثني عنه كل مجادل
وأيد قول الأشعري بسنةٍ فكانت عليه من أدل الدلائل
وكم قد أبان الحق في كل محفلٍ فأورى بما يروي ظماء المحافل
وسد من التجسيم باب ضلالةٍ ورد من التشبيه شبهة باطل
وإن يك قد أودى فكم من أسنةٍ مركبةٍ من قوله في عوامل
وإن مال قوم واستمالوا رعاعهم بإضلالهم عنه فلست بمائل
أرى الأجر في نوحي عليه ولا أرى سوى الإثم في نوح البواكي الثواكل
وليس الذي يبكي إماماً لدينه كباكٍ لدنياه على فقد راحل
فيا قلب واصله بأعظم رحمةٍ ويا عين فاسقيه بأغزر وابل
وحيي ثراه الدهر أهنى تحيةٍ مكررةٍ عند الضحى والأصائل
أعني على نوحي عليه فإنه قريب ثواءٍ في الثرى والجنادل
ولو لم يكن بالدمع سيل لحبه لضن على لحدٍ به كل باخل

مضى من حديث المصطفى كان شاغلاً | له باجتهادٍ فيه عن كل شاغل
لقد شمل الإسلام فيه رزية | وكان له بالنصح أفضل شامل
وفضل بين السالفين اطلاعه | عليهم فذب النقص عن كل فاضل
وأصبح في نقد الرجال مميزاً | بغير نظيرٍ في الورى ومساجل
وأكمل تاريخاً لجلق جامعاً | لمن جلها من كل شهمٍ وكامل
فأزرى بتاريخ الخطيب وقد عدا | بخطيته في الكتب أخطب قائل

ومنها:

طوى الموت منه العلم والزهد والنهي | وكسب المعالي واجتناب الرذائل
وأفجع فيه العالمين بمقدمٍ | صبورٍ على حرب الضلال حلاحل
وكان غيوراً ذب عن دين أحمدٍ | وأدفع عنه من شجاعٍ مقاتل
وأحرم منه الدين أشرف صائنٍ | له ولدفع الزيغ أعظم صائل
ولم أر نقص الأرض يوماً كنقصها | بموت إمامٍ عالمٍ ذي فضائل
أبا القاسم الأيام قسمة حاكمٍ | قضى بالفنا فينا قضية عادل
بماذا أعزي المسلمين ولا أرى | عزاءً سوى من قد مضى من أفاضل
عليك سلام الله ما انتفع الورى | بعلمك واستعلى على المتطاول

وقال:

إن كان يحلو لديك قتلي | فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني | وبينك الله في الحساب

وقال:

لاموا عليك وما دروا | أن الهوى سبب السعادة
إن كان وصل فالمنى | أو كان هجر فالشهادة

وعكسه فقال:

يا قلب دع عنك الهوى قسراً | ما أنت منه حامد أمرا
أضعت دنياك بهجرانه | إن نلت وصلاً ضاعت الأخرى

وقال:

وللزنبور والبازي جميعاً لدى الطيران أجنحة وخفق

ولكن بين ما يصطاد بازٍ وما يصطاده الزنبور فرق

الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد

الأستاذ مؤيد الدين أبو إسماعيل الأصبهاني المعروف بالطغرائي نسبته إلى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب ف أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن اسم الملك وألقابه، وهي كلمة أعجمية محرفة من الطرة، كان آيةً في الكتابة والشعر، خبيراً بصناعة الكيمياء، له فيها تصانيف أضاع الناس بمزاولتها أموالاً لا تحصى، وخدم السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان، وكان منشيء السلطام محمدٍ مدة ملكه متولي ديوان الطغراء، وصاحب ديوان الإنشاء. تشرفت به الدولة السلجوقية، وتشوقت إليه المملكة الأيوبية، وتنقل في المناصب والمراتب، وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة، ولم يكن في الدولتين السلجوقية والإمامية من يماثله في الإنشاء سوى أمين الملك أبي نصرٍ العتبي. وله في العربية والعلوم قدر راسخ، وله البلاغة والمعجزة في النظم والنثر.

قال الإمام محمد بن الهيثم الأصفهاني: كشف الأستاذ أبو إسماعيل بذكائه سر الكيمياء، وفك رموزها واستخرج كنوزها، وله فيها تصانيف منها: جامع الأسرار وكتاب تراكيب الأنوار، وكتاب حقائق الاستشهادات وكتاب ذات الفوائد، وكتاب الرد على ابن سينا في إبطال الكيمياء، ومصابيح الحكمة، وكتاب مفاتيح الرحمة. وله ديوان شعرٍ وغير ذلك. ولد سنة ثلاثٍ وخمسين وأربعمائةٍ، وقتل في الوقعة التي كانت بين السلطان مسعود بن محمودٍ وأخيه السلطان محمودٍ سنة خمس عشرة وخمسمائةٍ، وقد جاوز الستين، وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغرائي أمر به أن يشد إلى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة بالسهام، وأن يقف إنسان خلف الشجرة يكتب ما يقول. وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير إليكم، فوقفوا والسهام مفوقة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحالة:

وقد أقول لمن يسدد سهمه نحوي وأطراف المنية شرع

والموت في لحظات أحور طرفه دوني وقلبي دونه يتقطع

بالله فتش عن فؤادي هل يرى فيه لغير هوى الأحبة موضع

أهون به لو لم يكن في طيه عهد الحبيب وسره المستودع

فرق له وأمر بإطلاقه، ثم إن الوزير أغراه بقتله بعد حينٍ فقتله. ومن شعر مؤيد الدين الطغرائي قصيدته التي تداولها الرواة وتناقلتها الألسن المعروفة بلامية العجم، وقد رأيت أن أوردها بتمامها إعجاباً بها قال:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل	وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع	والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الإقامة بالزوراء لا سكني	بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
ناءٍ عن الأهل صفر الكف منفرد	كالسيف عري متناه عن الخلل
فلا صديق إليه مشتكى حزني	ولا أنيس إليه منتهى جذلي
طال اغترابي حتى حن راحلتي	ورحلها وقرا العسالة الذبل
وضج من لغبٍ نضوى وعج لما	يلقى ركابي ولج الركب في عذلي
أريد بسطة كفٍ أستعين بها	على قضاء حقوقٍ للعلا قبلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعني	من الغنيمة بعد الجد بالقفل
وذي شطاطٍ كصدر الرمح معتقلٍ	لمثله غير هيابٍ ولا وكل
حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت	بشدة البأس منه رقة الغزل
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته	والليل أغرى سوام النوم بالمقل
والركب ميل على الأكوار من طربٍ	صاحٍ وآخر من خمر الهوى ثمل
فقلت أدعوك للجلى لتنصرني	وأنت تخذلني في الحادث الجلل
تنام عيني وعين النجم ساهرة	وتستحيل وصبغ الليل لم تحل
فهل تعين على غيٍ هممت به	والغي يزجر أحياناً عن الفشل
إني أريد طروق الحي من إضيمٍ	وقد حماه رماة من بني ثعل
يحمون بالبيض والسمر اللدان به	سود الغدائر حمر الحلي والحلل
فسر بنا في ذمام الليل معتسفاً	فنفخة الطيب تهدينا إلى الحلل
فالحب حيث العدا والأسد رابضة	حول الكناس لها غاب من الأسل
نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت	نصالها بمياه الغنج والكحل
قد زاد طيب أحاديث الكرام بها	ما بالكرائم من جبنٍ ومن بخل

تبيت نار الهوى منهن في كبدٍ حرى ونار القرى منهم على القلل
يقتلن أنضاء حبٍ لا حراك به ويحتوين كرام الخيل والإبل
يشفى لديغ العوالي في بيوتهم بنهلةٍ من غدير الخمر والعسل
لعل إلمامةً بالجزع ثانيةً يدب منها نسيم البرء في عللي
لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت برشقةٍ من نبال الأعين النجل

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني باللمح من خلل الأستار والكلل
ولا أخل بغزلانٍ تغازلني ولو دهتني أسود الغيل بالغيل
حب السلامة يثني هم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً في الأرض أو سلماً في الجو فاعتزل
ودع غمار العلا للمقدمين على ركوبها واقتنع منهن بالبلل
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنةً والعز تحت رسيم الأينق الذلل
فادرأ بها في نحور البيد جافلةً معارضاتٍ مثاني اللجم بالجدل
إن العلا حدثتني وهي صادقة فيما تحدث أن العز في التنقل
لو أن في شرف المأوى بلوغ منىً لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً والحظ عني بالجهال في شغل
لعله إن بدا فضلي ونقصه لعينه نام عنهم أو تنبه لي
أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
لم أرض بالعيش والأيام مقبلة فكيف أرضى وقد ولت على عجل؟
غالى بنفسي عرفاني بقيمتها فصنتها عن رخيص القدر مبتذلي
وعادة النصل أن يزهى بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل
ما كنت أؤثر أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
تقدمتني أناس كان شوطهم وراء خطوي إذ أمشي على مهل
هذا جزاء امرئٍ لأقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل

وإن علاني من دوني فلا عجب ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبرلها غير محتال ولا ضجرٍ ... في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
أعدى عدوك أدنى من وثقت به ... فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وإنما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول في الدنيا على رجل
وحسن ظنك بالأيام معجزة ... فظن شراً وكن منها على وجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت ... مسافة الخلف بين القول والعمل
وشان صدقك عند الناس كذبهم ... وهل يطابق معوج بمعتدل
إن كان ينجع شيءٍ في ثباتهم ... على العهود فسبق السيف للعذل
يا وارداً سؤر عيشٍ كله كدر ... أنفقت صفوك في أيامك الأول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه ... وأنت يكفيك منه مصة الوشل؟
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا ... يحتاج فيه إلى الأنصار والخول
ترجو البقاء بدارٍ لا ثبات لها ... فهل سمعت بظلٍ غير منتقل؟
ويا خبيراً على الأسرار مطلعاً ... اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل
قد رشحوك لأمرٍ لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وقال يسلي معين الملك فضل الله في نكبته ويحضه على الصبر:

تصدى وللحي المنيع ... غزال أحم المقلتين كحيل
تصدى وأمر البين قد جد جده ... وزمت جمال واستقل حمول
وفي الصدر من نار الصبابة جاحم ... وفي الخد من ماء الجفون مسيل
غزال له مرعى من القلب مخصب ... وظل صفيق الجانبين ظليل
تناصف فيه الحسن أما قوامه ... فشطب وأما خصره فنحيل
قريب من الرائين يطمع قربه ... وليس إليه للمحب سبيل
إذا سار لحظ المرء في وجناته ... تضاءل عند الطرف وهو كليل
ولما استقل الحي وانصدعت به ... نوىً عن وداع الظاعنين عجول

تراءى لنا وجه من الخد نير وضاءت علينا نضرة وقبول
فصبراً معين الملك إن عن حادث فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا تيأسن من صنع ربك إنه ضمين بأن الله سوف يديل
فإن الليالي إذ يزول نعيمها تبشر أن النائبات تزول
ألم تر أن الشمس بعد كسوفها لها منظر يغشي العيون صقيل
وأن الهلال النضو يغمر بعدما بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
ولا تحسبن السيف يقصر كلما تعاوده بعد المضاء كلول
ولا تحسبن الدوح يقلع كلما يمر به نفح الصبا فيميل
فقد يعطف الدهر الأبي عنانه فيشفي عليل أو يبل غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما تساقط ريش واستطار نسيل
ويستأنف الغصن السليب نضارةً فيورق ما لم يعتوره ذبول
وللنجم من بعد الرجوع استقامة وللحظ من بعد الذهاب قفول
وبعض الرزايا يوجب الشكر وقعها عليك وأحداث الزمان شكول
ولا غرو إن أخنت عليك فإنما يصادم بالخطب الجليل جليل
وأي قناةٍ لم ترنح كعوبها وأي حسامٍ لم يصبه فلول؟
أسأت إلى الأيام حتى وترتها فعندك أضغان بها وذحول
وصارفتها فيما أرادت صروفها ولولاك كانت تنتحي وتصول
وما أنت السيف يسكن غمده ليردى به يوم النزال قتيل
أمالك بالصديق يوسف أسوة فتحمل وطء الدهر وهو ثقيل؟
وما غض منك الحبس والذكر سائر طليق له في الخافقين زميل
فلا تذعنن للخطب آدك ثقله فمثلك للأمر العظيم حمول
ولا تجزعن للكبل مسك وقعه فإن خلاخيل الرجال كبول
وصنع الليالي ما عدتك سهامها وإن أجحفت بالعالمين جميل
وإن امرأً تعدو الحوادث عرضه ويأسى لما يأخذنه لبخيل

وقال:

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي منها فما أحتاج أن أتعلما
وعرفت أسرار الخليقة كلها علماً أنار لي البهيم المظلما
وورثت هرمس سرحكمته الذي ما زال ظناً ف الغيوب مرجما
وملكت مفتاح الكنوز بحكمةٍ كشفت لي السر الخفي المبهما
لولا التقية كنت أظهر معجزاً من حكمتي تشفي القلوب من العمى
أهوى التكرم والتظاهر بالذي علمته والعقل ينهي عنهما
وأريد لا ألقى غبياً موسراً في العالمين ولا لبيباً معدما
والناس إما جاهل أو ظالم فمتى أطيق تكرما وتكلما؟

وقال:

أيكية صدحت شجواً على فننٍ فأشعلت ما خبا من نار أشجاني
ناحت وما فقدت إنساً ولا فجعت فذكرتني أوطاري وأوطاني
طليقة من إسار الهم ناعمة أضحت تجدد وجد الموثق العاني
تشبهت بي في وجدٍ وفي طربٍ هيهات ما نحن في الحالين سيان
ما في حشاها ولا في جفنها أثر من نار قلبي ولا من ماء أجفاني
يا ربة البانة الغناء تحضنها خضراء تلتف أغصاناً بأغصان
إن كان نوحك إسعاداً لمغترب ناءٍ عن الهل ممني بهجران
فقارضيني إذا ما اعتادني طرب وجداً بوجدٍ وسلواناً بسلوان
ما أنت مني ولا يعنيك ما أخذت مني الليالي ولا تدرين ما شاني
كلي إلى السحب إسعادي فإن لها دمعاً كدمعي وإرناناً كإرناني

وقال:

أقول لنضوي وهي من شجني خلو حنانيك قد أدميت كلمي يا نضو
تعالى أقاسمك الهموم لتعلمي بأنك مما تشتكي كبدي خلو

تريدين مرعى الريف والبدو أبتغي وما يستوي الريف العراقي والبدو

هناك هبوب الريح مثلك لاعب ومثلي ماء المزن مورده صفو

ومحجوبةٍ لو هبت الريح أرقلت إليها المهارى بالعوالي ولم يلووا

صوت إليها وهي ممنوعة الحمى فحتام؟ أصبو نحو من لا له نحو

هوىً ليس يسلى القرب عنه ولا النوى وشجو قديم ليس يشبهه شجو

فأسر ولا فك ووجد ولا أسىً وسقم ولا برء وسكر ولا صحو

عناء معن وهو عندي راحة وسم زعاف طعمه في فمي حلو

ولولا الهوى ما شاقني لمع بارقٍ ولا هدني شجو ولا هزني شدو

وقال:

خبروها أني مرضت فقالت أضنىً طارفاً شكا أم تليدا؟

وأشاروا بأن تعود وسادي فأبت وهي تشتهي أن تعودا

وأتتني في خفيةٍ وهي تشكو رقبة الحي والمزار البعيدا

ورأتني كذا فلم تتمالك أن أمالت علي عطفاً وجيداً

ثم قالت لتربها وهي تبكي ويح هذا الشباب غضا جديدا

زورة ما شفت عليلاً ولكن زيدت جمرة الفؤاد وقودا

وتولت بحسرة البين تخفي زفراتٍ أبين إلا صعودا

وقال:

أنظر ترى الجنة في وجهه لا ريب في ذاك ولا شك

أما ترى فيه الرحيق الذي ختامه من خاله مسك

الحسين بن علي بن الحسن

ابن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن باذام بن ساسان بن الحرون من ولد بهرام جور ملك فارس، أبو القاسم المعروف بالوزير المغربي الأديب اللغوي الكاتب الشاعر، ولد فجر يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة، سنة سبعين وثلاثمائة. وحفظ القرآن وعدة كتبٍ في النحو واللغة وكثيراً من الشعر، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة، ولم يبلغ العمر أربعة عشر ربيعاً، وكان حسن الخط سريع البديهة في النظم والنثر. ولما قتل الحاكم العبيدي أباه وعمه وأخويه هرب من مصر، فلما بلغ الرملة

استجار بصاحبها حسان بن الحسن بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي ومدحه فأجاره، وسكن جأشه وأزال خوفه ووحشته، فأقام عنده مدةً في خلالها نيته على الحاكم صاحب مصر، ثم رحل عنه متوجهاً إلى الحجاز مجتازاً بالبلقاء من أعمال دمشق، فلما وصل إلى مكة أطمع صاحبها بالحاكم ومملكة الديار المصرية، وجد في ذلك حتى أقلق الحاكم وخاف على ملكه، فاضطر إلى إرضاء ابن الجراح صاحب الرملة واستمالته ببذل الأموال، حيث بايع صاحب مكة أبا الفتوح الحسن بن جعفرٍ بالخلافة، فلما استمال الحاكم ابن الجراح هرب أبو الفتوح إلى مكة، وهرب الوزير أبو القاسم إلى العراق، وقصد فخر الملك أبا غالب بن خلفٍ الوزير فأقام عنده بواسط مكرماً بعد أن رفع عنه طلب القادر بالله له، حيث اتهم أنه ورد لإفساد الدولة العباسية، فلما توفي فخر الملك مقتولاً عاد الوزير المغربي إلى بغداد، ثم شخص إلى الموصل فاتفق وفاة أبي الحسن كاتب قرواش بن هانئ بني عقيلٍ، فتولى الكتابة مكانه ووزر لقرواشٍ، ثم وزر بعد حينٍ لمشرف الدولة بن بويه مكان مؤيد المكل أبي عليٍ، ثم فارق مشرف الدولة وعاد إلى خدمة مخدومه الأول قرواشٍ، ثم تجدد للقادر سوء رأيٍ فيه، ففارق قرواشاً متوجهاً إلى ديار بكرٍ، فوزر فيها لسلطانها أحمد بن مروان، وأقام عنده إلى أن توفي في ثالث عشر من شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربعمائة، وكانت وفاته بميافارقين، وحمل بوصيةٍ منه إلى الكوفة ودفن بها في تربةٍ مجاورةٍ لمشهد عليٍ - رضي الله عنه - واوصى أن يكتب على قبره:

كنت في سفرة الغواية والجه ... ل مقيماً فخان مني قدوم

تبت من كل مأتم فعسى يم ... حى بهذا الحديث ذاك القديم

بعد خمسٍ وأربعين لقد ما ... طلت إلا أن الغريم كريم

وللوزير أبي القاسم رواية عن الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حترابة، حكى عنه بسنده إلى المدائني أنه قال: كان رجل بالمدينة من بني سليمٍ يقال له جعدة، كان يتحدث إليه النساء بظهر المدينة فيأخذ المرأة فيعقلها إلى الحيطان ويثبت العقال، فإذا أرادت أن تثب سقطت وتكشفت، فبلغ ذلك قوماً في بعض المغازي فكتب رجل منهم إلى عمر - رضي الله عنه - بهذه الأبيات:

ألا أبلغ أبا حفصٍ رسولاً ... فداً لك من أخي ثقةٍ إزاري

قلائصنا هداك الله إناشغلنا عنكم زمن الحصار

لئن قلص تركن معقلاتٍ ... قفا سلعٍ بمختلف البحار

يعقلهن جعدة من سليمٍ ... وبئس معقل الذود الطوار

يعقلهن لأبيض شيظمي ... معر يبتغي بسط العرار

فلما قرأ عمر الأبيات قال: علي بجعدة من سليمٍ فأتوه به، فكان سعيد يقول: إني لفي الأغيلمة إذا جروا جعدة إلى عمر، فلما رآه قال: أشهد أنك شيظمي كما وصفت، فضربه مائةً ونفاه إلى عمان. ومن شعر الوزير المغربي:

خف الله واستدفع سطاه وسخطه ... وسائله فيما تسأل الله تعطه
فما تقبض الأيلم في نيل حاجةٍ ... بنان فتىً أبدى إلى الله بسطه
زكن بالذي قد خط باللوح راضياً ... فلا مهرب مما قضاه وخطه
وإن مع الرزق اشتراط التماسه ... وقد يتعدى إن تعديت شرطه
ولو شاء ألقى في فم الطير قوته ... ولكنه أوحى إلى الطير لقطه
إذ ما احتملت العبء فانظر قبيل أن ... تنوء به ألا تروم محطه
وأفضل أخلاق الفتى العلم والحجا ... إذا ما صروف الدهر أخلقن مرطه
فما رفع الدهر امرأً عن محله ... بغير التقى والعلم إلا وحطه

وقال:

حلقوا شعره ليكسوه قبحاً ... غيرةً منهم عليه وشحا
كان صبحاً عليه ليل بهيم ... فنحرا ليله وأبقوه صبحا

وقال:

لي كلما ابتسم النهار تعلة ... بمحدثٍ ما شاء قلبي شأنه
فإذا الدجى وافى وأقبل جنحه ... فهناك يدري الهم أين مكانه؟

وقال:

إذا ما الأمور اضطربن اعتلى ... سفيه يضام العلا باعتلائه
كذا الماء إن حركته يد ... طفا عكر راسب في إنائه

وقال:

أرى الناس في الدنيا كراعٍ تنكرت ... مراعيه حتى ليس فيهن مرتع
فماء بلا مرعىً ومرعً بغير ماء ... وحيث ترى ماءً ومرعىً فمسبع

وقال:

سأعرض كل منزلةٍ تعرض دونها العطب
فإن أسلم رجعت وقد ظفرت وأنجح الطلب
وإن أعطب فلا عجب لكل منيةٍ سبب

وقال:

لو كنت أعرف فوق الشكر منزلةً أعلى من الشكر عند الله في الثمن
إذاً منحتكما مني مهذبةً حذواً على حذو ما واليت من حسن

وقال:

أقول لها والعيس تحدج للسرى عدي لفقدي ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبيبة آنفاً على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخسران أن لياليا تمر بلا نفعٍ وتحسب من عمري

وقال:

الدهر سهل وصعب والعيش مر وعذب
فاكسب بمالك حمداً فليس كالحمد كسب
وما يدوم سرور فاغنم وقلبك رطب

وقال:

من بعد ملكي ومتم أن تغدروا ما بعد فرقة ما ملكت تخير
ردوا الفؤاد كما عهدتم للحشا ولطرفي الساهي الكرى ثم اهجروا

وقال:

لا تشاور من ليس يصفيك وداً إنه غير سالكٍ بك قصداً
واستشر في الأمور كل لبيبٍ ليس يأتوك في النصيحة جهدا

وقال:

تأمل من أهواه صفرة خاتمي فقال بلطفٍ لم تجنبت أحمره؟
فقلت :لعمري كان أحمر لونه ولكن سقامي حل فيه فغيره

وقال:

إني أبثك من حديث ي و الحديث له شجون
فارقت موضع مرقدي ليلاً ففارقني السكون
قل لي فأول ليلةٍ في القبر كيف ترى أكون؟

الحسين بن عبد الله بن أحمد

ابن عبد الجبار الأمير أبو الفتح المعروف بابن أبي حصينة المعري، الأديب الشاعر، توفي بسروج في منتصف شعبان سنة سبعٍ وخمسين وأربعمائةٍ وكان سبب تقدمه ونواله الإمارة: أن الأمير تاج الدولة بن مرداسٍ إلى حضرة المستنصر العبيدي رسولاً سنة سبعٍ وثلاثين وأربعمائةٍ، فمدح المستنصر بقصيدةٍ قال فيها:

ظهر الهدى وتجمل الإسلام وابن الرسول خليفة وإمام
مستنصر بالله ليس يفوته طلب ولا يعتاص عنه مرام
حاط العباد وبات يسهر عينه وعيون سكان البلاد نيام
قصر الإمام أبي تميمٍ كعبة ويمينه ركن لها ومقام
لولا بنو الزهراء ما عرف التقى فينا ولا تبع الهدى الأقوام
يا آل أحمد ثبتت أقدامكم وتزلزلت بعداكم الأقدام
لستم وغيركم سواءً، أنتم للذين أرواح وهم أجسام
يا آل طه حبكم وولاؤكم فرض وإن عذل اللحاة ولاموا

وهي طويلة. ثم مدحه سنة خمسين وأربعمائةٍ، فوعده بالإمارة، وأنجز له وعده سنة إحدى وخمسين، فتسلم سجل الإمارة من بين يدي الخليفة في ربيعٍ الآخر من السنة، فمدحه بقصيدةٍ منها:

أما الإمام فقد وفى بمقالةٍ صلى الإله على الإمام وآله
لذنا بجانبه فعم بفضله وببذله وبصفوه وجماله
لا خلق أكرم من معدٍ شيمةً محمودة في قوله وفعاله
فاقصد أمير المؤمنين فما ترى بؤساً وأنت مظلل بظلاله
زاد الإمام على البحور بفضله وعلى البدور بحسنه وجماله
وعلا سرير الملك من آل الهدى من لاتمر الفاحشات بباله
النصر والتأييد في أعلامه ومكارم الأخلاقفي سرباله

مستنصر بالله ضاق زمانه عن شبهه ونظيره ومثاله

وكان الذي سعى في تأميره وكتب له سجل الإمارة أبو عليٍ صدقة بن إسماعيل بن فهدٍ الكاتب، فمدحه الأمير أبو الفتح بقصيدةٍ منها:

قد كان صبري عيل في طلب العلا حتى استندت إلى ابن إسماعيلا
فظفرت بالخطر الجليل ولم يزل يحوي الجليل من استعان جليلا
لولا الوزير أبو علي لم أجد أبداً إلى الشرف العلي سبيلا
إن كان ريب الدهر قبح ما مضى عندي فقد صار القبيح جميلا
وأجل ما فعل الرجال صلاتهم للراغبين العز والتبجيلا
اليوم أدركت الذي أنا طالب والأمس كان طلابه تعليلا

وقال يمدح أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداسٍ:

سرى الطيف هندٍ والمطي بنا تسري فأخفى دجى ليلٍ وأبدى سنا فجر
خليلي فكاني من الهم واركبا فجاج البوادي الغبر في النوب الغمر
إلى ملكٍ من عامرٍ لو تمثلت مناقبه أغنت عن الأنجم الزهر
إذا نحن أثنينا عليه تلفتت إلينا المطايا مصغياتٍ إلى الشكر
وفوق سرير الملك من آل صالحٍ فتىً ولدته أمه ليلة القدر
فتىً وجهه أبهى من البدر منظراً وأخلاقه أشهى من الماء والخمر
أبا صالحٍ أشكو إليك نوائباً عدتني كما يشكو النبات إلى القطر
لتنظر نحوي نظرةً إن نظرتها إلى الصخر فجرت العيون من الصخر
وفي الدار خلفي صبية قد تركتهم يطلون إطلال الفراخ من الوكر
جنيت على روحي بروحي جنايةً فأثقلت ظهري بالذي خف من ظهري

فهب هبةً يبقى عليك ثناؤها بقاء النجوم الطالعات التي تسري

قال المير أسامة بن منقذ: فلما فرغ من إنشاده أحضر الأمير أسد الدولة القاضي والشهود، وأشهد على نفسه بتمليك الأمير أبي الفتح بن أبي حصينة ضيعةً من ضياعه لها ارتفاق كبير، وأجازه فأحسن جائزته

فأثرى وتمول، ولما ملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداسٍ حلب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائةٍ، مدحه بقصيدة منها:

كفي ملامك فالتبريح يكفيني أو جربي بعض ما ألقى ولوميني
برمل يبرين أصبتم فهل علمت رمال يبرين أن الشوق يبريني
أهوى الحسان وخوف الله يردعني عن الهوى والعيون النجل تغويني
ما بال أسماء تلويني مواعدها أكل ذات جمالٍ ذات تلوين؟
كان الشباب إلى هندٍ يقربني وشاب رأسي فصار اليوم يقصيني
يا هند إن سواد الرأس يصلح للد دنيا وإن بياض الرأس للدين
لست امرءاً غيبة الأحرار من شيمي ولا النميمة من طبعي ولا ديني
دعني وحيداً أعاني العيش منفرداً فبعض معرفتي بالناس تكفيني
ما ضرني ودفاع الله يعصمني من بات يهدمني فالله يبنيني
وما أبالي وصرف الدهر يسخطني وسيب نعماك يا ابن الصيد يرضيني
أبا سلامة عش واسلم حليف علاً وسؤددٍ بشعاع الشمس مقرون
أشنا عداكم وأهوى أن أدين لكم فللعدى دينهم فيكم ولي ديني

فلما أتم إنشادها قال له تمنَّ، قال: أتمنى أن أكون أميراً، فجعله أميراً يجلس مع الأمير، ويخاطب بالأمير وقربه، وقد تقدم أن الإمارة وجهت إليه سنة إحدى وخمسين من ديوان المستنصر بمصر، ولا منافاة بين الروايتين، إذ يمون توجيه الإمارة إليه من الأمير محمود بن نصرٍ تالياً لتوجيهها إليه من جانب المستنصر ومؤكداً مؤيداً له، ووهبه صاحب حلب محمود أيضاً مكاناً بحلب تجاه حمام الواساني فجعله داراً وزخرفها، فلما تم بناؤها نقش على دائرة الذرابزين فيها:

دار بنيناها وعشنا بها في دعةٍ من آل مرداس
قوم محوا بؤسي ولم يتركوا علي في الأيام من باس
قل لبني الدنيا ألا هكذا فليحسن الناس إلى الناس

ولما تكامل البناء عمل دعوةً حضرها الأمير محمود بن نصرٍ، فلما رأى حسن الدار وقرأ الأبيات المتقدمة قال: يا أبا الفتح كم صرفت على بناء الدار؟ قال: يا مولاي هذا الرجل تولى عمارتها. ولا أدري كم

صرف عليها؟ فسأل المعمار فقال: غرم عليها ألفا دينارٍ مصريةٍ، فأمر بإحضار ألفي دينارٍ وثوبٍ أطلسٍ وعمامةٍ مذهبةٍ وحصانٍ بطوقٍ مذهبٍ وسرفسارٍ ذهبٍ فسلمها إلى ابن أبي حصينة وقال له:

قل لبني الدنيا ألا هكذا ... فليحسن الناس إلى الناس

وحضر بعد أيامٍ رجل من أهل المعرة يقال له الزقوم من رعاع الناس وأسافلهم، فطلب رزق جنديٍ فأعطى ذلك وجعل من أجناد المعرة، فقال أحمد بن محمدٍ المعروف بابن الزويدة المعري في ذلك:

أهل المعرة تحت أقبح خطةٍ ... وبهم أناخ الخطب وهو جسيم

لم يكفهم تأمير ابن حصينةٍ ... حتى تجند بعده الزقوم

يا قوم قد سئمت لذاك نفوسنا ... يا قوم أين الترك أين الروم؟

فشاعت الأبيات وسمعها الأمير أبو الفتح، فذهب إلى بيت ابن الزويدة فلما دخل عليه قال له ابن الزويدة: الآن والله كان عندي الزقوم وقال لي: والله ما بي من الهجو ما بي من أنك قرنتني بابن أبي حصينة، فقال له ابن حصينة: قبحك الله وهذا وهذا هجو ثانٍ وقال يمدح قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب صاحب نصيبين:

أبت عبراته إلا انهمالاً ... عشية أزمع الحي ارتحالا

أجدك كلما هموا بنأيٍ ... ترقرق ماء عينك ثم سالا

تقاضينا مواعد أم عمروٍ ... فضنت أن تنيل وأن تنالا

وسار خيالها الساري إلينا ... فلو علمت لعاقبت الخيالا

ومنها:

إذا بلغت ركائبنا قريشاً ... فقد بلغت بنا الماء الزلالا

فتىً لو مد نحو الجو باعاً ... وهم بأن ينال الشهب نالا

إذا انتسب ابن بدرانٍ وجدنا ... مناسبه الملية لا تعالى

تتيه بها إذا ذكرت معد ... وتكسب كل قيسيٍ جمالا

أيا علن الهدى نجوى محبٍ ... يحبكم اعتقاداُ لا انتحالا

مننت فلم تجشمني عناءً ... وجدت فلم تكلفني سؤالا

إذا عدم الزمان مسيبياً ... أتاح الله للدنيا وبالا

وهي طويلة اكتفينا منها بما ذكرناه.

وقال يرثي زعيم الدولة أبا كاملٍ بركة بن المقلد بن المسيب. وتوفي بتكريت سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائةٍ:

من عظيم البلاء موت العظيم ... ليتني مت قبل موت الزعيم

يا جفوني سحي دماً أو فحمي ... صحن خدي بعبرةٍ كالحميم

بعد خرقٍ من الملوك كريمٍ ... ما زمان أودى به بكريم

جعفري النصاب من صفوة الصف ... وة في الفخر والصميم الصميم

يا أبا كاملٍ برغمي أن يشقي ... ك سكنى التراب بعد النعيم

أو تبيت القصور خاليةً من ... ك ومن وجهك الوضيء الوسيم

وانقراض الكرام من شيم الده ... ر ومن عادة الزمان اللئيم

قد بكت حسرةً عليه المذاكي ... وشكت فقده بنات الرسيم

وهي قصيدة طويلة، وقال يرثي أبا العلاء المعري:

العلم بعد أبي العلاء مضيع ... والأرض خالية الجوانب بلقع

أودى وقد ملأ البلاد غرائباً ... تسري كما تسري النجوم الطلع

ما كنت أعلم وهو يودع في الثرى ... أن الثرى فيه الكواكب تودع

جبل ظننت وقد تزعزع ركنه ... أن الجبال الراسيات تزعز

وعجبت أن تسع المعرة قبره ... ويضيق بطن الأرض عنه الأوسع

لو فاضت المهجات يوم وفاته ... ما استكثرت فيه فكيف الأدمع؟

تتصرم الدنيا ويأتي بعده ... أمم وأنت بمثله لا تسمع

لا تجمع المال العتيد وجد به ... من قبل تركك كل شيءٍ تجمع

وإن استطعت فسر بسيرة أحمدٍ ... تأمن خديعة من يضر ويخدع

رفض الحياة ومات قبل مماته ... متطوعاً بأبز ما يتطوع

عين تسهد للعفافوللتقى ... أبداً وقلب للمهيمن يخشع

شيم تجمله فهن لمجده ... تاج ولكن بالثناء يرصع

جادت ثراك أبا العلاء غمامة كندى يديك ومزنة لا تقلع

ما ضيع الباكي عليك دموعه إن البكاء على سواك مضيع

قصدتك طلاب العلوم ولا أرى للعلم باباً بعد بابك يقرع

مات النهى وتعطلت أسبابه وقضى العلا والعلم بعدك أجمع

وقال يرثي أبا يعلى حمزة بن الحسين بن العباس الحسيني الدمشقي، وكان يوم وفاته بدمشق:

هوى الشرف العالي بموت أبي يعلى ولا غرو أن جلت رزية من جلى

سيصلى بنار الحزن من كان آمناً به أنه في الحشر بالنار لا يصلى

تحلت به الدنيا فحل به الردى فعطلها من ذلك الحلي من حلى

فقدناه فقد الغيث أقلع وبله عن الأرض لما أنفدت ذلك الوبلا

لقد فل منه الدهر حد مهندٍ تركنا به كل حدٍ له فلا

فلست أبالي بعده أي عابرٍ من الناس أملى الله مدته أم لا

تقل دموعي والهموم كثيرة كذاك دخان النار إن كثرت قلا

وآنف أن أبكي عليك بعبرةٍ إذا لم يكن غرباً من الدمع أو سجلا

وقال يرثي معتمد الدولة قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل، توفي مسجوناً بقلعة الجراحية. وقيل: قتله ابن أخيه قريش في مستهل رجبٍ سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائةٍ، ودفن بتل توبة من مدينة نينوى:

أمثل قرواشٍ يذوق الردى يا صاح ما أوقح وجه الحمام

حاشا لذاك الوجه أن يعرف ال بؤس وأن يحثى عليه الرغام

وللجبين الصلت أن يسلب ال بهجة أو يعدم حسن الوسام

يا أسف الناس على ماجدٍ مات فقال الناس مات الكرام

غير بعيدٍ يا بعيد الندى ولا ذميم يا وفي الذمام

زلت فلا القصر بهي ولا بابك معمور كثير الزحام

ولا الخيام البيض منصوبة بوركت يا ناصب تلك الخيام

قبحاً لدنيا حطمت أهلها وآخذتهم باكتساب الحطام

تأخذ ما تعطي فما بالنا نكثر فيما لا يدوم الخصام
يا قبر قرواشٍ سقيت اليا ولا تعدتك غوادي الغمام
قضى ولم أقض على إثره إني لمن ترك الوفا ذو احتشام
أنظم شعراً والجوى شاغلي يا عجباً كيق استقام الكلام

ولما وصل أرمانوس ملك الروم إلى حلب سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، ومعه ملك الروس وملك البلغار والألمان و البلجيكوالخزر والأرمن في ستمائة ألفس من الفرنج، قاتلهم شبل الدولة نصربن صالحٍ صاحب حلب. فهزمهم وتبعهم إلى عزازٍ وأسر جماعةً من أولاد ملوكهم، وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمةً، فقال ابن أبي حصينة في ذلك وأنشدها شبل الدولة بظاهر قنسرين:

ديار الحي مقفرة يباب كأن رسوم دمنتها كتاب
نأت عنها الرباب وبات يهمي عليها بعد ساكنها الرباب
تعاتبني أمامة في التصابي وكيف به وقد فات الشباب؟
نضا مني الصبا ونضوت منه كما ينضو من الكف الخضاب

زمنها:

إلى نصرٍ وأي فتىً كنصرٍ إذا حلت بمغناه الركاب
أمنتهك الفرنج غداة ظلت حطاماً فيهم السمر الصلاب؟
جنودك لا يحيط بهن وصف وجودك لا يحصله حساب
وذكرك كله ذكر جميل وفعلك كله فعل عجاب
وأرمانوس كان أشد بأساً وحل به على يدك العذاب
أتاك يجر بحراً من حديدٍ له في كل ناحيةٍ عتاب
إذا سارت كتائبه بأرضٍ تزلزلت الأباطح والهضاب
فعاد وقد سلبت الملك عنه كما سلبت عن الميت الثياب
فما أدناه من خيرٍ مجيء ولا أقصاه عن شرٍ ذهاب
فلا تسمع لطنطنة الأعادي فإنهم إذا طنوا ذباب
ولا ترفع لمن عاداك رأساً فإن الليث تنبحه الكلاب

وقال:

أشد من فاقة الزمان		مقام حرٍ على هوان
فاسترزق الله واستعنه		فإنه خير مستعان
وإن نبا منزل بحرٍ		فمن مكانٍ إلى مكان

وقال:

بكت على غداة البين حين رأت		دمعي يفيض وحالي حال مبهوت
فدمعي ذوب ياقوتٍ على ذهبٍ		ودمعها ذوب درٍ فوق ياقوت

وقال:

لا تخدعنك بعد طول تجاربٍ		دنيا تغر بوصلها وستقطع
أحلام نومٍ أو كظلٍ زائلٍ		إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وقال يمدح ثابت بن شمال بن صالح بن مرداسٍ:

لو أن داراً أخبرت عن ناسها		لسألترامة عن ظباء كناسها
بل كيف تخبر دمنة ما عندها		علم بوحشتها ولا إيناسها؟
ممحوة العرصات يشملها البلى		عن ساحبات المرط فوق دهاسها

ومنها:

وزمان لهوٍ بالمعرة مونقٍ		بشياتها وبجانبي هرماسها
أيام قلت لذي المودة اسقني		من خندريس حناكها أو حاسها
حمراء تغنينا بساطع لونها		في الليلة الظلماء عن نبراسها
وكأنما حبب المزاج إذا طفا		در ترصع في جوانب طاسها
رقت فما أدرى زجاجها		في جسمها أم جسمها في كأسها؟؟

وكأنما زرجونة جاءت بها		سقيت مذاب التبر عند غراسها
فأتت مشعشعةً كجذوة قابسٍ		راعت أكف القوم عند مساسها
لله أيام الصبا ونعيمها		وزمان جدتها ولين مراسها
مالي تعيب البيض بيض مفارقي		وسبيلها تصبو إلى أجناسها

نور الصباح إذا الدجنة أظلمت	أبهى وأحسن من دجى أغلاسها
إن الهوى دنس النفوس فليتني	طهرت هذي النفس من أدناسها
ومطامع الدنيا ولا أرى	شيئاً أعز لمهجةٍ من ياسها
من عف لم يذمم ومن تبع الخنا	لم تخله التبعات من أوكاسها
زين خصالك بالسماح ولا ترد	دنيا تراك وأنت بعض خساسها
ومتى رأيت يد امرئٍ ممدودةً	تبغي مؤاساة الكريم فواسها
خير الأكف السابقات بجودها	كف تجود عليك في إفلاسها

ومنها في المدح:

أما نزار فكلها لكريمة	لكن أكرمها بنو مرداسها

وقال:

إذا المرء لم يرض ما أمكنه	ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره	سيضحك يوماً ويبكي سنه

وقال:

الدهر خداعة خلوب	وصفوه بالقذى مشوب
فلا تغرنك الليالي	فبرقها خلب كذوب
وأكثر الناس فاعتزلهم	قوالب مالها قلوب

الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد

ابن عثمان بن جعفرٍ، أبو عبد الله الكلابي المعروف بابن الزلازل من بني جعفر بن كلابٍ اللغوي الأديب الكاتب الشاعر. أخذ عن أبي القاسم الزجاجي وأبي بكرٍ الخرائطي وغيرهما. توفي سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمائةٍ.

وله مصنفات منها: كتاب أنواع الأسجاع، ابتدأ بتأليفه في دمشق سنة ثلاثٍ وأربعين وثلاثمائةٍ، وروى فيه عن شيوخه وغيرهم، وهو كتاب ممتع أجاد وضعه وتأليفه.

ومن شعر ابن أبي الزلازل:

لقد عرفتك الحادثات نفوسها	وقد أدبت إن كان ينفعك الأدب
ولو طلب الإنسان من صرف دهره	دوام الذي يخشى لأعياه ما طلب

وقال:

فتىً لرغيفه قرط وشنف — وإكليلان من خزرٍ وشزر
إذا كسر الرغيف بكى عليه — بكا الخنساء إذ فجعت بصخر

وقال مهنئاً بعض الأمراء بالعيد:

عيد يمنٍ مؤكد بأمان — من تصاريف طارق الحدثان
جعل الله عيد عامك هذا — خير عيدٍ وذاك خير التهاني
ثم لا زلت من زمانك في صف — وٍ ومن شرب صرفه في أمان
آخذاً ذمةً من الدهر لا تخ — فر معقودةً بأوفى ضمان
نافذ الأمر عالي القدر محمو — د المساعي مؤيد السلطان

وقال:

ثمانية قام الوجود بها فهل — ترى من محيصٍ للورى عن ثمانيه؟
سرور وحزن واجتماع وفرقة — وعسر ويسر ثم سقم وعافيه
بهن انقضت أعمار أولاد آدمٍ — فهل من رأى أحوالهم متساويه؟

الحسين بن عبد السلام

أبو عبد الله المصري المعروف بالجمل، الشاعر المشهور، كان شاعراً مفلقاً مدح الخلفاء والأمراء. توفي في ربيع الآخر سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين. قدم دمشق وافداً على أحمد بن المدبر، وكان أحمد يقصده الشعراء، فمن مدحه بشعرٍ جيدٍ أجزل صلته، ومن مدحه بشعرٍ رديءٍ وجه به مع خادمٍ له إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلي مائة ركعةٍ ثم يصرفه. فدخل عليه الجمل وأنشده:

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً — كما بالمدح تنتجع الولاة
فقالوا أكرم الثقلين طراً — ومن جدواه دجلة والفرات
وقالوا يقبل الشعراء لكن — أجل صلات مادحه الصلاة
فقلت لهم وما يغني عيالي — صلاتي؟ إنما الشأن الزكاة
فيأمر لي بكسر الصاد منها — فتصبح لي الصلاة هي الصلات

وروى الجمل عن بشر بن بكرٍ عن الأوزاعي أنه قال: كان قوم كسالى ينامون تحت شجرة كمثرى

يقولون: إن سقط في أفواهنا شيء أكلنا وإلا فلا، فسقطت كمثراة إلى جانب أحدهم، فقال له الذي يليه: ضعها في فمي. قال: لو استطعت أن أضعها في فمك وضعتها في فمي. قال ابن يونس في تاريخ مصر: كان الجمل شرهاً في الطعام دنئ النفس وسخ الثوب هجاءً، ولد قبل سنة سبعين ومائة، وعلت سنه، ومدح المأمون بمصر لما ورد إليها لجوب البيمارستان، ومدح الأمراء مثل عبد الله بن طاهرٍ وغيرهم، وتوفي في ربيعٍ الآخر سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين، ومن شعر الجمل أيضاً:

إذا أظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعاً وريا

فكن رجلاً رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

أبيا لنائل ذي ثروةٍ ... تراه بما في يديه أبيا

فإن إراقة ماء الحيا ... ة دون إراقة ماء المحيا

الحسين بن عقيل بن محمد

ابن عبد المنعمبن هاشمٍ البزار الواسطي القرشي. كان أديباً شاعراً وله عناية بالحديث، روى عنه الخطيب البغدادي، والحافظ أبو القاسم بن عساكر. توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، ومن شعره:

لقد كمل الرحمن شخصك في الورى ... فلا شاب شيئاً من كمالك بالنقص

ومن جمع الآفاق في العين قادر ... على جمع أشتات الفضائل في شخص

وقال:

ولما حدا البين المشت بشملنا ... ولم يبق إلا أن تثار الأيانق

ولم نستطع عند الوداع تصبراً ... وقد غالنا دمع عن الوجد ناطق

وقفنا لوديعٍ فكادت نفوسنا ... لأجسادنا قبل الوداع تفارق

فباكٍ لما يلقاه من فقد إلفه ... وشاكٍ له قلب به الوجد عالق

وقال:

أقلي النهار إذا أضاء صباحه ... وأظل أنتنظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكاً ... والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وقال:

على لام العذار رأيت خالاً ... كنقطة عنبرٍ بالمسك أفرط

فقلت لصاحبي هذا عجيب ... متى قالوا بأن اللام تنقط؟

الحسين بن علي بن أحمد

ابن عبد الواحد بن بكر بن شبيبٍ النصيبي النديم، نديم المستنجد بالله، ولد سنة خمسمائة، وتوفي سنة ثمانين وخمسمائة، كان أديباً كاتباً شاعراً له اليد الطولى في حل الألغاز العويصة، تفاوض أبو منصورٍ محمد بن سليمان بن قتلمش وأبو غالب بن الحصين في سرعة خاطر ابن شبيبٍ وتقدمه في حل الألغاز، فعمل ابن قتلمش أبياتاً على صورة الألغاز، و لم يلغز فيها بشيءٍ وأسلاها إلى ابن شبيبٍ يمتحنانه بها وهي:

وما شيءٍ له في الرأس رجل ... وموضع وجهه منه قفاه؟

إذا أغمضت عينك أبصرته ... وإن فتحت عينك لا تراه

ونظم أيضاً:

وجارٍ وهو تيار ... ضعيف العقل خوار

بلا لحمٍ ولا ريشٍ ... وهو في الرمز طيار

بطبعٍ باردٍ جداً ... ولكن كله نار

فكتب ابن شبيبٍ على الأول: هو طيف الخيال، وكتب على الثاني: هو الزئبق. فجاء أبو غالبٍ وأبو منصورٍ إليه وقالا: هب اللغز الأول طيف الخيال، والبيت الثاني يساعدك على ما قلت، فكيف تعمل بالبيت الأول؟ فقال: لأن المنام يفسر بالعكس، لأن من بكى يفسر بكاؤه بالضحك والسرور، ومن مات يفسر موته بطول العمر.

وأما اللغز الثاني: فغن أصحاب صناعة الكيمياء يرمزون للزئبق بالطيار والفرار والآبق وما أشبه ذلك، لأنه يناسب صفته، وأما برده فظاهر، ولإفراط برده ثقل جسمه وجرمه، وكله نار لسرعة حركته وتشكله في افتراقه والتئامه، وعلى كل حالٍ ففي ذلك تسامح يجوز في مثل هذه الصور الباطلة إذا طبقت على الحقيقة.

ودخل ابن شبيبٍ يوماً على الخليفة المستنجد بالله فقال الخليفة: أإبن شبيبٍ؟ فقال: عبدك يا أمير المؤمنين، فأعجبه هذا التصحيف منه. ومن شعر ابن شبيبٍ في المستنجد:

أنت الإمام الذي يحكي بسيرته ... من ناب بعد رسول الله أو خلفا

أصبحت لب بني العباس كلهم ... إن عددت بحروف الجمل الخلفا

فإن جمل حروف لب اثنان وثلاثون، والمستنجد هو الثاني والثلاثون من الخلفاء. ومن شعره أيضاً:

ومحترسٍ من نفسه خوف زلةٍ ... تكون عليه حجةً هي ما هيا

يصون عن الفحشاء نفساً كريمةً ... أبت شرفاً إلا العلا والمعاليا

صبور على ريب الزمان وصرفه | كتوم لأسرار الفؤاد مداريا
له همة تعلو على كل همةٍ | كما قد علا البدر النجوم الدراريا

وقال:

أغصان وردٍ زينت درر الندى | أجيادها بمخانقٍ وعقود
فتوهجت كمسارجٍ وتأرجت | كنوافجٍ وتدبجت كبرود
وتبلجت ككواكبٍ وتبرجت | ككواعبٍ وتضرجت كخدود

وقال:

تبوح بسرك ضيقاً به | وتبغي لسرك من يكتم
وكتمانك السر ممن تخاف | ومن لاتخاف هو الأحزم
وإن ذاع سرك من صاحبٍ | فأنت وإن لمته ألوم

الحسين بن علي بن محمد

ابن مموية أبو عبد الله المعروف بابن قمٍ الزبيدي اليمني، ولد سنة ثلاثين وخمسمائةٍ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائةٍ، كان أديباً كاتباً شاعراً من أفاضل اليمن المبرزين في النظم والنثر والكتابة، ومن شعره:

ألأحبابنا من بالقطيعة أغراكم | وعن مستهام في المحبة ألهاكم
صددتم وأنتم تعلمون بأننا | لغير التجني والصدود وددناكم
كشفت لكم سري على ثقةٍ بكم | فصرت بذاك السر من بعض أسراكم
جعلناكم للنائبات ذخيرة | فحين طلبناكم لها ما وجدناكم
قطعتم وصلناكم نسيتم ذكرناكم | عققتم بررناكم أضعتم حفظناكم
وفي النفس سر لا تبوح بذكره | ولو تلفت وجداً إلى يوم لقياكم
فإن تجمع الأيام بيني وبينكم | غفرت خطاياكم لحرمة رؤياكم

وقال:

خير ما ورث الرجال بنيهم | أدب صالح وحسن ثناء
ذاك خير من الدنانير والأو | راق في يوم شدةٍ ورخاء
تلك تفنى والدين والأدب الص | صالح لا يفنيان حتى اللقاء

ولابن قمٍ رسالة كتب بها إلى أبي حمير سبأ بن أبي السعود أحمد بن المظفر بن عليٍ الصليحي اليماني بعد انفصاله عن اليمن، ورواها الحافظ أبو طاهرٍ السلفي سنة ثمانٍ وستين وخمسمائةٍ وهي:

كتب عبد حضرة السلطان الأجل مولاي ربيع المجدبين، وقريع المتأدبين، جلوة الملتبس، وجذوة المقتبس، شهاب المجد الثاقب، ونقيب ذوي الرشد والمناقب، - أطال الله بقاءه، وأدام علوه و ارتقاءه، ما قدمت العارية للمستعير، ولزمت الياء للتصغير، - وجعل رتبته في الأولية عالية المقام كحرف الاستفهام، وكالمبتدأ إن تأخر في البنية فإنه مقدم في النية، ولا زالت حضرته من الحادثات حمىً، وللوفود مزدحماً وملتزماً، حتى يكون في العلا بمنزلة حرف الاستعلا وهو من حروف اللين في حصونٍ، وما جاورها من الإمالة مصون، ولا زال عدوه كالألف حالها يختلف، تسقط في صلة الكلام ولاسيما مع اللام، فإنه - أدام الله علوه - أحسن من إلى ابتداءً، ونشر علي من فضله رداءً، أراد أن يخفى وكيف يخفى؟ لأن من شرف الإحسان، سقوط ذكره عن اللسان، كالمفعول رفع رفع الفاعل الكامل، لما حذف من الكلام ذكر الفاعل، يهدي إليه سلاماً ما الروض ضاحكه النوض، غرس وحرس وسقي ووقي وغيب وصيب، فأخذ من كل نوء بنصيبٍ، زهاه الزهر، وسقاه النهر، جاور الأضا، فحسن وأضا، رتع فيه الشحرور ومرح العصفور، فنظر إلى أقاحيه تفتر في نواحيه وإلى البهار، يضاحك شمس النهار، فجعل فجعل يلثم من ورده خدوداً، ويضم من أغصانه قدوداً، ويقتبس النار من الجلنار ويلتمس العقيق من الشقيق، فتثنى ثملاً، وغنى خفيفاً ورملاً، بأطيب من نفحته المسكية، وأعطر من رائحته الذكية، وإني وإن أهديته في كل أوانٍ، من أداء ما يجب غير وانٍ، أعد نفسي السكيت في السبق لتقصيري لما علي من الحق، أثرت فعثرت، وجهدت فما سعدت، فأنا بحمد الله بخنوعٍ وقنوعٍ، وجنابٍ عن غين العين ممنوعٍ، فارقت المثول ولا أزال، ولزمت الخمول والاعتزال، سعيي سعي الجاهد، وعيشي عيش الزاهد، ببلدٍ الأديب فيه غريب، والأريب مريب، إن تكلم استثقل، وإن سكت استقلل، منزله كبيوت العناكب، ومعيشته كعجالة الراكب، فهو كما قال أبو تمامٍ:

أرض الفلاحة لو أتاها جرول   أعني الحطيئة لاغتدى حراثا

ما جئتها من أي بابٍ جئتها   إلا حسبت بيوتها أجداثا

تصدا بها الأفهام بعد صقالها   وترد ذكران العقول إناثا

أرض خلعت اللهو خلعي خاتمي   فيها وطلقت السرور ثلاثا

وأما حال عبده بعد فراقه في الجلد. فما حال أم تسعةٍ من الولد ذكورٍ، كأنهم عقبان وصقور، كنوا في وكور، اخترم منهم ثمانية، وهي على التاسع حانية، نادى النذير: العربان في البادية للعادية يا للعادية، فلما سمعت الداعي، ورأت الخيل وهي سراع، جعلت تنادي ولدها الأناة الأناة، وهو ينادي العياة العياة:

بطل كأن ثيابه في سرحةٍ يحذى نعال السبت ليس بتوأم

فحين رأته يختال في غصون الزرد المصون. أنشأت تقول:

نشدت أضبطاً يميل بين طرفاء وغيل
لباسه من نسج دا ود كضحضاح يسيل

فعرض له في البادية أسد هصور. كأن ذرعه مسد مضفور:

فتطاعنا وتوافقت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مقنع

فلما سمعت صياح الرعيل، برزت من الخدر بصبرٍ قد عيل. فسألت عن الواحد. فقيل لها لحده اللاحد.

فكرت تبتغيه فصادفته على دمه ومصرعه السباعا
عبثن به فلم يتركن إلا أديماً قد تمزق أو كراعا

بأشد من عبدك تأسفاً. ولا أعظم كمداً ولا تلهفاً، وإنه ليعنف نفسه دائماً، ويقول لها لائماً، لو فطنت لقطنت. ولو عقلت لما انتقلت. ولو قنعت لرجعت وما هجعت.

يقيم الرجال الموسرون بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا
وما تركوا أوطانهم عن ملالةٍ ولكن حذاراً من شملتي الأعاديا

أيها السيد: أمن العدل والإنصاف. ومحاسن الشيم والأوصاف. إكرام المهان. وإذلال جواد الرهان يشبع في ساجوره كلب الزبل ويسغب في خيسه أبو الشبل:

إذا حل ذو نقصٍ مكانة فاضلٍ وأصبح رب الجاه غير وجيه
فإن حياة الحر غير شهيةٍ إليه وطعم الموت غير كريه

أقول لنفسي الدنية هبي طال نومك، واستيقظي لا عز قومك، أرضيت بالعطاء المتزور؟ وقنعت بالمواعيد الزور، يقظةً فإن الجد قد هجع، ونجعةً فمن أجدب انتجع. أعجزت في الأدباء عن خلق الحرباء؟ ولي لسان كالرشاء. تنسم أعلى السماء. ناط همته بالشمس، مع نعدها عن اللمس، أنف من ضيق الوجار، ففرخ في الأشجار، فهو كالخطيب على الغصن الرطيب.

وإن صريح الرأي والحزم لمرئٍ إذا بلغته الشمس أن يتحولا

وقد أصحب عبده هذه الأسطر شعراً يقصر فيه عن واجب الحمد، وإن بنيت قافيته على المد، وما يعد نفسه إلا كمهدي جلد السبتي الأسمر إلى الديباج الأحمر. أين ذو الحباب من ثغور الأحباب؟. وأين السراب من الشراب؟. والركي البكي من الواد ذي المواد. أتطلب الفصاحة من الغنم؟ والصباحة من المغتم؟ غلط من رأى الآل في القي فشبهه بهلهال الدبيقي. هيهات مناسج الرياط. تسبق تنيس ودمياط. ولا أقول كما قال القائل:

من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب

بل أضع نفسي في أقل المواضع، وأقول لمولاي قول الخاضع:

فأسبل عليها ستر معروفك الذي سترت به قدماً مخازي عوراتي

وها هي هذه:

فيك برحت بالعذول إباء وعصيت اللوام والنصحاء
فانثنى العاذلون أخيب مني يوم أزمعتم الرحيل رخاء
من مجيري من فاتر اللحظ ألمي جمع النار خده والماء؟
فيه لليل والنهار صفات فلهذا سر القلوب وساء
لازم شيمة الخلاف فإن لذ ت قسا أو دنوت منه تناءى
يا غريب الصفات حق لمن كا ن غريباً أن يرحم الغرباء
من صدودٍ ولوعتي وتجني ه وإشماته بي الأعداء
وإذا ما كتمت ما بي من وج د أذاعته مقلتاي بكاء
كعطايا سبأ بن أحمد يخفي ها فترداد شهرةً ونماء
نرتجيه بهذه المدح الجو د وإن لم نمدحه جاد ابتداء
ألمعي يكاد ينبيك عما كان في الغيب فطنةً وذكاء
وإذا أخلف السماء بأرضٍ أخلفت راحتاه ذاك السماء
بندىً يخجل الغيوث انهمالاً وجدىً ينهل الرماح الظماء
ما أبالي إذ أحسن الدهر فيه أحسن الدهر للورى أم أساء
أيها المجدب الضريك انتجعه فعطاياه تسبق الأنواء

تلق منه المهذب الماجد الند ... ب الكريم السميذع الأباء
راحة في الندى تنيل نضاراً ... وحسام في الروع يهمي دماء
يا أبا حميرٍ دعوتك لله ... ر فكنت امرأً يجيب الدعاء
فأبى البخل أن يكون أماماً ... وأبى الجود أن يكون وراء
أنا أشكو إليك جور زمانٍ ... دأبه أن يعاند الأدباء
أهملتني صروفه وكأني ... ألف الوصل ألغيت إلغاء
إن سطا أرهب الضراغم في الآ ... جام أو جاد بخل الكرماء
شيم من أبيه أحمد لا ين ... فك عنها تتبعاً واقتفاء
قد تعاطى في المجد شأوك قوم ... عجزوا واحتملت فيه العناء
شرفاً شامخاً ومجداً منيفاً ... حميرياً وغيرةً قعساء
مال عني بما أؤمل فيه ... كلما قلت سوف يأسو أساء
رهن بيتٍ لو استقر به البر ... بوع لم يرضه له نافقاء
نفضتني نفض المرجم حتى ... خلتني في فم الزامن نداء
منعتني من التصرف منع ال ... تعلل التسع صرفها الأسماء
يا أبا حميرٍ وحرمة إحسا ... نك عندي ما كان حبي رياء
ما ظننت الزمان يبعدني عن ... ك إلى أن أفارق الأحياء،
غير أني فدتك نفسي من السو ... ء وإن قلت أن تكون فداء

ضاع سعيي وخبت خابت أعا ... ديك ومن يبتغي لك الأسواء
واحتملت الزمان والنقص وال ... إبعاد والذل والعنا والجفاء
وتجملت واضطربت فما أب ... قى على عودي الزمان لحاء
أعلى هذه المصيبة صبر ... لا ولو كنت صخرةً صماء؟
ولو أني لم أعتمد دون غيري ... لتأسيت أن أموت وفاء
غير أن التصريح ليس بخافٍ ... عند من كان يفهم الإيماء

غير أني متنٍ عليك وما لم ت على ما لقيت إلا القضاء

وسيأتيك في البعاد وفي القر ب مديح يستوقف الشعراء

فبشكرٍ رحلت عنك وألقا ك به إن قضى الإله لقاء

ليس يبقى في الدهر غير ثناءٍ فاكتسب ما استطعت ذاك الثناء

وقال:

تشكي المحبون الصبابة ليتني تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

فكانت لنفسي لذة الحب كلها فلم يدرها قبلي محب ولا بعدي

وقال:

هدايا الناس بعضهم لبعضٍ تولد في قلوبهم الموده

وتزرع في النفوس هوىً وحباً لصرف الدهر والحدثان عده

وتصطاد القلوب بلا شراكٍ وتسعد حظ صاحبها وجده

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

ابن محمد نب الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله ابن الوزير سليمان بن وهبٍ الحارثي البكري الدباس المعروف بالبارع البغدادي، كان لغوياً نحوياً مقرئاً قرأ القرآن على أبي علي بن البناء وغيره، وأقرأ خلقاً كثيراً. وسمع القاضي أبي يعلى الموصلي وغيره وروى عنه الحافظ أبو القاسم بن عساكر، وكان حسن المعرفة بصنوف الآداب فاضلاً، وله مصنفات حسان في القراءات وغيرها، وله ديوان شعرٍ جيد. وهو من بيت الوزارة، فإن جده القاسم بن عبيد الله كان وزير المعتضد والمكتفي بعده، وعبيد الله بن القاسم كان وزير المعتضد أيضاً قبل ابنه القاسم. وكان بين البارع وابن الهبارية الأديب الشاعر مداعبات، فإنهما كانا رفيقين منذ نشأا، وأضر البارع في آخر حياته، وسمع منه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي، وأبو عبد الله الحسيني بن علي بن مهجلٍ الضرير الباقدرائي، وقرأ عليه بالروايات أبو جعفرٍ عبد الله بن أحمد بن جعفرٍ الواسطي المقرئ الضرير وغيره. وكان مولده سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائةٍ ببغداد، وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربعٍ وعشرين وخمسمائةٍ، ومن شعره:

لم لا أهيم إلى الرياض وحسنها وأظل منها تحت ظلٍ ضافي؟

والزهر حياني بثغرٍ باسمٍ والباء وافاني بقلبٍ صافي

وقال:

يوم من الزمهرير مقرور عليه ثوب الضباب مزرور

كأنما حشو جوه إبر وأرضه فرشها قوارير

وشمسه حرة مخدرة ليس لها من ضبابه نور

وحج البارع بن الدباس، فلما رجع من الحج ذهب إليه الشريف أبو يعلى بن الهبارية مرةً فلم يجده، فكتب إليه بقصيدةٍ طويلةٍ يعاتبه بها مطلعها:

يابن ودي وأين مني ابن ودي غيرت طبعه الرياسة بعدي؟

وفيها مداعبة بلغت حد السخف، فأجابه البارع بقصيدةٍ طويلةٍ أيضاً مطلعها:

وصلت وقعة الشريف أبي يع لى فحلت محل لقياه عندي

فتلقيتها بأهلاً وسهلاً ثم ألصقتها بعيني وخدي

وفضضت الختام عنها فما ظن نك بالصاب إذ يشاب بشهد

بين حلوٍ من العتاب ومرٍ هو أولى به وهزلٍ وجد

وتجنى علي من غير جرمٍ بملامٍ يكاد يحرق جلدي

يدعي أنني احتجبت وقد زا ر مراراً حاشاه من قبح رد

دعك من ذمك الرياسة والحج ج وقل لي بغير حلٍ وعقد

فبماذا علمت بالله أني قد تنكرت أو تغير عهدي؟

من تراني أعامل أم وزير لأميرٍ أم قائد جيش جند؟

أنا ذاك الخل الخليع الذي تع رف أرضي ولو بخبزٍ وردي

وإذا صح لي نديم فذاك ال يوم عيدي وصاحب الدست عبدي

أتراني لو كنت في النار مع ها مان أنساك أو بجنة خلد؟

أو لو أتى عصبت بالتاج أسلو ك ولو كنت غائباً عن رشدي

أنا أضعاف ما عهدت على العه د وإن كنت لا تكافي بود

وفي القصيدة أبيات تتضمن سخفاً فاحشاً ضربنا عن ذكرها صفحاً. ومنها:

أم لأني قنعت من سائر النا س بفردٍ بين الأكارم فرد

صان وجهي عن اللئام وأولا ... ني جميلاً منه إلى غير حد

أم لأني قنعت حتى لقد صر ... ت بقنعي نسيج دهري ووحدي

أم لأني أنفت مع ذا من الكد ... ية أين الكرام قل لي لأكدي؟

وقال:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ... ولم ينهها تاقت إلى كل باطل

وساقت إليه الإثم والعار بالذي ... دعته إليه من حلاوة عاجل

وقال أيضاً:

أفنيت ماء الوجه من طول ما ... أسأل من لا ماء في وجهه

أنهي إليه حالي الذي ... يا ليتني مت ولم أنهه

فلم ينلني أبداً رفده ... ولم أكد أسلم من جبهه

والدهر إذ مات ممارِيده ... قد مد أيديه إلى بلهه

وقال:

تنازعني النفس أعلى مقامٍ ... ولست من العجز لا أنشط

ولكن بقدر علو المكان ... يكون هبوط الذي يسقط

الحسين بن محمد بن جعفر

ابن محمد بن الحسين الرافقي المعروف بالخالع، أحد كبار النحاة، كان إماماً في النحو واللغة والأدب، وله شعر. توفي سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة، أخذ عن أبي عليٍ الفارسي وأبي الحسن السيرافي وغيرهما. ويقال إنه من ذرية معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - وله من التصانيف: كتاب الأودية والجبال والرمال، وكتاب الأمثال، وكتاب تخيلات العرب، وشرح شعر أبي تمامٍ، وكتاب صناعة الشعر وغير ذلك. ومن شعره:

رأيت العقل لم يكن انتهاباً ... ولم يقسم على قدر السنينا

فلو أن السنين تقسمته ... خوى الآباء أنصبة البنينا

وقال:

خطرت فقلت لها مقالة مغرمٍ ... ماذا عليك من السلا؟ فسلمي

قالت بمن تعنى؟ فحبك بين ... من سقم جسمك قلت بالمتكلم

فتبسمت فبكيت قالت لا ترع فلعل مثل هواك بالمتبسم

قلت اتفقنا في الهوى فزيارةً أو موعداً قبل الزيارة قدمي

فتضاحكت عجباً وقالت يا فتىً لو لم أدعك تنام بي لم تحلم

وقال:

أما لظلام ليلي من صباحٍ أما للنجم فيه من براح

كأن الأفق سد فليس يرجى به نهج إلى كل النواحي

كأن الشمس قد مسخت نجوماً تسير مسير رواد طلاح

كأن الصبح مهجور طريد كأن الليل مات صريع راح

كأن بنات نعشٍ متن حزناً كأن النسر مكسور الجناح

وقال:

لا تعبسن بوجه عافٍ سائلٍ خير المواهب أن ترى مسؤولاً

لا تجبهن بالرد وجه مؤملٍ فبقاء عزك أن ترى مأمولا

يلقى الكريم فيستدل ببشره ويرى العبوس على اللئيم دليلا

واعلم بأنك لا محالة صائر خبرا ًفكن خبراً يروق جميلا

الحسين بن محمد

ابن الحسين بن حيٍ التجيبي القرطبي. كان أديباً فاضلاً عالماً بالهندسة والهيئة، كلفاً بصناعة التعديل، أخذ علم العدد والهندسة والهيئة عن أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمدٍ المعروف بابن برغوثٍ الرياضي الفلكي المتوفى سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائة. ولحق بمصر بعد أن نالته بالأندلس وفي طريقه بالبحر محن شديدة، ثم رحل من القاهرة إلى اليمن واتصل بأميرها الصليحي القائم بالدعوة للمنتصر بالله معد بن الظاهر عليٍ، فحظي عنده وبعثه رسولاً إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله الخليفة العباسي في هيئةٍ فخمةٍ، فنال إقبالاً ودنيا عريضةً. وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد إليها سنة ستٍ وخمسين وأربعمائةٍ. وله من التصانيف: زيج مختصر على طريقة السند هند وغير ذلك. ومن شعره:

تأمل بصورة العدد فمن ينظر إليه هدى

كما الأعداد راجعة وإن كثرت إلى الأحد

كذاك الخلق مرجعهم لربٍ واحدٍ صمد

وقال:

تحفظ من لسانك فهو عضو أشد عليك من وقع السنان

فلا والله ما في الخلق خلق أحق بطول سجنٍ من لسان

وقال:

ورأيت السماء كالبحر إلا أن ما سطه من الدر طافي

فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك صافي

وقال:

ودعته حيث لا تودعه وحي ولكنها تسير معه

ثم تولى وفي العيون له ضيق مجالٍ وفي القلوب سعه

وقال:

إذا ما كثرت عى صاحب وقد كان يدنيك من نفسه

فلا بد من مللٍ واقعٍ يغير ما كان من أنسه

الحسين بن محمد

أبو عليٍ السهواجي أديب شاعر لبيب مشهوروسهواجمن قرى مصر، صنف كتاب القوافي، وتوفي بمصر سنة أربعمائةٍ - رحمه الله تعالى -، ومن شعره:

وقد كنت أخشى الحب لو كان نافعي من الحب أن أخشاه قبل وقوعه

كما حذر الإنسان من نوم عينيه ونام ولم يشعر أوان هجوعه

وقال:

كرام المساعي في اكتساب محامدٍ وأهدى إلى طرق المعالي من القطا

وأبوابهم معمورة بعفاتهم وأيديهم لا تستريح من العطا

ومن شعره أيضاً:

وهتوفٍ أيكيةٍ ذات شجوٍ سجعت ثم رجعت ترجيعا

ذكرت إلفها فحنت إليه فبكينا من الفراق جميعا

ومنه أيضاً:

قوم كرام إذا سلوا سيوفهم في الروع لم يغمدوها في سوى المهج
إذا دجا الخطب أو ضاقت مذاهبه وجدت عندهم ما شئت من فرج

وقال:

شخوص الفتى عن منزل الضيم واجب وإن كان فيه أهله والأقارب
وللحر أهل إن نأى عنه أهله وجانب عزٍ إن نأى عنه جانب
ومن يرض دار الضيم داراً لنفسه فذلك في دعوى التوكل كاذب

وقال:

توخ من الطرق أوساطها وعد عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه

الحسين بن محمدٍ أبو الفرج

النحوي المعروف بالمستور، كان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً. توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائةٍ، ومن شعره:

أمسى يحن لوجهه قمر الدجا وغدا يلين للحنه الجلمود
فإذا بداف كأنما هو يوسف وإذا شدا فكأنه داود

وقال:

فكأنما الشمس المنيرة إذ بدت والبدر يجنح للغروب وما غرب
متحاربان لذا مجن صاغه من فضةٍ ولذا مجن ممن ذهب

وله مزدوجة أنشدها بعض الدمشقيين سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائةٍ:

الحب بحر زاخر راكبه مخاطر
جنوده المحاجر والحدق السواحر
ركبته على غرر وخطرٍ على خطر
في واضحٍ يحكي القمر وكان حتفي في النظر
حلفته لما بدا كغصنٍ غب ندى
ريان بالحسن ارتدى وبالبها تفردا

بحق بيت المقدس — والبلد المقدس
وبالتي لم تدنس — لا تك منك مؤيسي
بحق قدس مريم — وبطرس المعظم
بعادلٍ لم يظلم — رق لصبٍ مغرم
بالدير بالرهبان — بحرمة القربان
ببولصٍ ذي الشان — كن حسن الإحسان
بالطور بالزبور — بساكن القبور
بشاهدٍ مشهور — إعطف على المهجور
بحرمة المسيح — وبالفتى الذبيح
بالفصح بالتسبيح — أبق علي روحي
بليلة الميلاد — وحرمة الأعياد
ولابسي السواد — إجعل رضاك زادي

وهي طويلة اكتفينا منها بهذا المقدار. ومن شعره أيضاً:

كانت بلهنية الشبيبة سكرة — فصحوت واستبدلت سيرة مجمل
وقعدت أنتظر الفناء كراكبٍ — عرف المجل فيات دون المنزل

الحسين بن مطير بن مكملٍ

الأسدي مولى بني أسد بن خزيمة، وكان جده مكمل عبداً فعتق وقيل كوتب. وابن مطيرٍ من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، فصيح متقدم في الرجز والقصيد يعد من فحول المحدثين، يشبه كلامه كلام الأعراب وأهل البادية، وفد على الأمير معن بن زائدة الشيباني لما ولي اليمن، فلما دخل عليه أنشده:

أتيتك إذ لم يبق غيرك جابر — ولا واهب يعطي اللها والرغائبا

فقال له: يا أخا بني ليس أسدٍ هذا بمدحٍ، إنما المدح قول نهار بن توسعة في مسمع بن مالكٍ:

قلدته عرى الأمور نزار — قبل أن يهلك السراة البحور

فغدا إليه بأرجوزةٍ يمدحه بها فاستحسنها وأجزل صلته. وحدث جعفر بن منصورٍ قال: حدثني أبي قال: حج المهدي فنزل زبالة فدخل الحسين بن مطيرٍ الأسدي عليه فقال:

أضحت يمينك من جودٍ مصورةً لا بل يمينك منها صورة الجود

من حسن وجهك تضحي الأرض مشرقةً ومن بنانك يجري الماء في العود

فقال المهدي كذبت، قال و لم يا امير المؤمنين؟ قال: هل تركت في شعرك موضعاً لأحدٍ بعد قولك في معنٍ بن زائدة:

ألما على معنٍ وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا

فيا قبر معنٍ أنت أول حفرةٍ من الأرض خطت للمكارم وضجعا

ويا قبر معنٍ كيف واريت جوده وقد كان من البر والبحر مترعا؟

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا

ولما مضى معن مضى الجود وانقضى وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وما كان إلا الجود صورة وجهه فعاش ربيعاً ثم ولى وودعا

وكنت لدار الجود يا معن عامراً وقد أصبحت قفراً من الجود بلقعا

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

تمنى أناس شأوه من ضلالهم فأضحوا على الأّذقان صرعى وظلما

تعز أبا العباس عنه ولا يكن جزاؤك من معنٍ بأن تتضعضعا

أبى ذكر معنٍ أن يميت فعاله وإن كان قد لاقى حماماً ومصرعها

فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي له مثل ما أبقى أبوك وما سعى

فقال: يا أمير المؤمنين إنما معن حسنة من حسناتك، وفعلة من فعلاتك، فأمر لع بألف دينارٍ ثم قال: سل حاجتك فقال:

بيضاء تسحب من قيامٍ فرعها وتغيب فيه وهو جعد أسحم

فكأنها منه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم

قال: خذ بيدها لجاريةٍ كانت على رأسه فأولدها مطير بن الحسين بن مطيرٍ.

وقال الرياشي: حدثني أبو العالية عن أبي عمران المخزومي قال: أتيت مع أبي والياً كان بالمدينة من قريشٍ، وعنده ابن مطيرٍ، وإذا بمطرٍ جودٍ، فقال له الوالي: صف لي هذا المطر، قال: دعني أشرف عليه، فأشرف عليه ثم نزل فقال:

كثرت لكثرة قطره أطباؤه فإذا تحلب فاضت الأطباء

وله رباب هيدب لدفيفه قبل التبعق ديمة وطفاء

وكأن ريقه ولما يحتفل ودق السماء عجاجة كدراء

وكأن بارقه حريق تلتقي ريح عليه عرفج وألاء

مستضحك بلوامعٍ مستبصر بمدامعٍ لم تمرها الأقذاء

فله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ضحك يؤلف بينه وبكاء

حيران متبع صباه تقوده وجنوبه كنف له ووعاء

غدق ينتج في الأباطح فرقاً تلد السيول وما لها أسلاء

غر محجلة دوالج ضمنت حمل اللقاح وكلها عذراء

سحم فهن إذا كظمن سواجم سود وهن إذا ضحكن وضاء

لو كان من لجج السواحل ماؤه لم يبق في لجج السواحل ماء

وقال ابن دريدٍ: أنشدنا أبو حاتمٍ السجستاني، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه للحسين بن مطيرٍ الأسدي، وقال عبد الرحمن قال عمي: لو كان شعر العرب هكذا ما أثم منشده:

ألا حبذا البيت الذي أنت هاجره وأنت بتلماحٍ من الطرف ناظره

لإنك من بيتٍ لعيني معجبٍ وأملح في عيني من البيت عامره

أصد حياء أن يلم بي الهوى وفيك المنى لولا عدو أحذره

وفيك حبيب النفس لو تستطيعه لمات الهوى والشوق حين تجاوره

فإن آته لم أنج إلا بظنةٍ وإن يأته غيري تنط بي جزائره

وكان حبيب النفس للقلب واتراً وكيف يحب القلب من هو واتره

فإن يكن الأعداء أحموا كلامه علينا فلن يحمى علينا مناظره

أحبك يا سلمى على غير ريبةٍ ولا بأس في حبٍ تعف سرائره

ويا عاذلي لولا نفاسة حبها عليك لما باليت أنك خائره

بنفسي من لا بد أني هاجره وما أنا في الميسور والعسر ذاكره

ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم ببغضي إلا ما تجن ضمائره

أحبك حباً لن أعنف بعده		محباً ولكني إذا ليم عاذره
لقد مات قبلي أول الحب فانقضى		ولو مت أضحى الحب قد مات آخره
كلامك يا سلمى وإن قل نافعي		فلا تحسبي أني وإن قل حاقره
ألا ل أبالي أي حيٍ تحملوا		إذا أثمد البرقاء لم يخل حاضره

وحدث المرزباني عن الأخفش قال: أنشدنا أبو العباس ثعلب عن ابن الأعرابي لحسين بن مطيرٍ الأسدي:

لقد كنت جلداً قبل أن توقد النوى		على كبدي ناراً بطيئاً خمودها
ولو ترتكت نار الهوى لتصرمت		ولكن شوقاً كل يومٍ وقودها
وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي		إذا قدمت أيامها وعهودها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا		عهاد تولاها بشوقٍ يعيدها
بمرتجة الأرداف هيف خصورها		عذاب ثناياها عجاف قيودها
وصفر تراقيها وحمر أكفها		وسود نواصيها وبيض خدودها
مخصرة الأوساط زانت عقودها		بأحسن مما زينتها عقودها
يمنينا حتى ترف قلوبنا		رفيف الخزامى بات طل يجودها
وفيهن مقلاق الوشاح كأنها		مهاة بتزبانٍ طويل عقودها
وكنت أذود العين أن ترد البكا		فقد وردت ما كنت عنه أذودها
هل الله عافٍ عن ذنوبٍ تسلفت		أم الله إن لم يعف عنها معيدها؟

وقال:

رأت رجلاً أودى بوافر لحمه		طلاب المعالي واكتساب المكارم
خفيف الحشا ضرباً كأن ثيابه		على قاطعٍ من جوهر الهند صارم
فقلت لها لا تعجبن فإنني		أرى سمن الفتيان إحدى المشائم

وأنشد له ابن قتيبة:

يضعفني حلمي وكثرة جهلهم		علي وأني لا أصول بجاهل
دفعتكم عني وما دفع راحةٍ		بشيءٍ إذا لم تستعن بالأنامل

وأنشد له المبرد:

ولي كبد مقروحة من يبيعني | بها كبداً ليست بذات قروح؟
أباها على الناس لا يشترونها | ومن يشتري ذا علةٍ بصحيح؟

الحسين بن هبة الله ضياء الدين

أبو علي بن زاهرٍ الموصلي الملقب بدهن الخصا، أحد نحاة العصر، تصدر لإقراء العربية في بلده، وتقدم عند صاحب الموصل، ثم تغير عليه فرحل إلى الملك الناصر صلاح الدين، ثم وفد على ابنه في حلب فقربه ورتب لع معلوماً على إقراء العربية، وكان أديباً شاعراً متفنناً لقيته بحلب وبها مات سنة ثمانٍ وستمائةٍ.

ومن شعره:

مرضت ولي جيرة كلهم | عن الرشد في صحبتي حائد
فأصبحت في النقص مثل الذي | ولا صلة لي ولا عائد

وقال:

يبتهج الناس بأعيادهم | لأجل ذبحٍ أو لإفطار
وإنما عظم سروري بها | للثم من أهوى بلا عار
أرقبها حولاً إلى قابلٍ | لأنها غاية أوطاري

وقال:

وإني وإن أخرت عنكم زيارتي | لعذرٍ فإني في المودة أول
فما الود تكيري الزيارة دائماً | ولكن على ما في القلوب المعول

الحسين بن هداب بن محمد

ابن ثابت الديري الأصل، نسبة إلى الدير، قرية من قرى النعمانية، ويعرف بالنوري، والنورية قرية من قرى الحلة السيفية من سيف الفرات، نزل بها أبو عبد الله الضرير. توفي يوم الأربعاء ثاني عشر رجب سنة اثنتين وستين وخمسمائةٍ، كان نحوياً لغوياً مقرأً فقيهاً شاعراً متفنناً، قرأ بالروايات على أبي العز محمد بن الحسين بن بندارٍ الواسطي، وأبي بكرٍ محمد بن الحسين بن عليٍ المزرفي. سكن بغداد منعكفاً على نشر العلم والإقراء، فكان يقرئ النحو واللغة والقراءات، وكان يحفظ عدة دواوين من شعر العرب، وكان كثير الإفادة والعبادة، عفيفاً ديناً، وله شعر جيد منه:

فيك يا أغلوطة الفكر | تاه عقلي وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما | ربحت إلا عنا السفر

رجعت حسرى وما وقفت　　　لا على عينٍ ولا أثر

وقال:

بأبي رئم تبلج لي　　　عن رضىً في طيه غضب
وأراني صبح طلعته　　　بظلام الصدغ ينتقب
وسقى بالكأس مترعةً　　　صهباء مثل الشمس تلتهب
فهي شمس في يدي قمرٍ　　　وكلا عقديهما الشهب
ولها من ذاتها طرب　　　ولهذا يرقص الجبب

وقال:

قال لي من رأى صباح مشيبي　　　عن شمال من لمتي ويمين؟
أي شيءٍ هذا فقلت مجيباً　　　ليل شكٍ محاه صبح يقين

الحسين بن الوليد بن نصرٍ

أبو القاسم المعروف بابن العريف، النحوي الأديب الشاعر، له شرح كتاب الجمل في النحو للزجاج، وكتاب الرد على أبي جعفرٍ النحاس في كتابه الكافي، وغير ذلك، وكان مقدماً في العربية إماماً فيها، عارفاً بصنوف الآداب، أخذ العربية عن ابن القوطية وغيره، ورحل إلى المشرق فأقام بمصر مدةً طويلةً، وسمع فيها من الحافظ بن رشيقٍ، وأبي طاهرٍ الذهلي وغيرهما، ثم عاد إلى الأندلس فاختاره المنصور محمد بن أبي عامرٍ صاحب الأندلس مؤدباً لأولاده، وكان يحضر مجالسه، ومناظرته مع أبي العلاء صاعدٍ اللغوي البغدادي مشهورة، فمن ذلك أن المنصور جلس يوماً وعنده أعيان مملكته من أهل العلم، كالزبيدي صاحب الطبقات، والعاصمي وابن العريف صاحب الترجمة وغيرهم فقال لهم المنصور: هذا الرجل الوافد علينا يزعم أنه متقدم في هذه العلوم، وأحب أن يمتحن، فوجه إليه، فلما مثل بين يديه والمجلس قد غص بالعلماء والأشراف، خجل صاعد واحتشم، فأدناه المنصور ورفع محله، وأقبل عليه وسأله عن أبي سعيدٍ السيرافي، فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره جوابها، واعتذر بأن النحو ليس جل بضاعته، فقال له الزبيدي: فما تحسن أيها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب. قال: فما وزن أولق؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا، إنما يسأل عنه صبيان المكتب. قال الزبيدي: قد سألناك ولا نشك أنك تجهله، فتغير لونه فقال: وزنه أفعل. فقال الزبيدي: صاحبكم ممخرق فقال له صاعد: إخال الشيخ صناعته الأبنية، فقال له: أجل، فقال صاعد: وبضاعتي أنا

حفظ الأشعار ورواية الأخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى. قال فناظره ابن العريف – صاحب الترجمة – فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعراً شاهداً وأتى بحكايةٍ تناسبها، فأعجب المنصور فقربه وقدمه، وكان يوماً بمجلس المنصور أيضاً فأحضرت إليه وردةً في غير أوانها لم يكمل فتح وراقها، فقال فيها صاعد مرتجلاً:

أتتك أبا عامرٍ وردة يذكرك المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضراً فحسده وجرى إلى مناقضته، وقال للمنصور هذاالبيتان لغيره، وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على ظهر كتابٍ بخطه، فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدرٍ، وكان أحسن أهل زمانه بديهةً فوصف له ما جرى، فقال ابن بدرٍ هذهالأبيات ودس فيها بيتي صاعدٍ:

غدوت إلى قصر عباسةٍ وقد جدل النوم حراسها

فألفيتها وهي في خدرها وقد صدع السكر أناسها

فقالت أسرت على هجعةٍ فقلت بلى فرمت كاسها

ومدت يديها إلى وردةٍ يحاكي لك الطيب أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكمامها رأسها

وقالت خف الله لا تفضح ن في ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على خجلةٍ وما خنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتابٍ بخطٍ مصريٍ ومدادٍ أشقر ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه وقال للحاضرين غداً أمتحنه،فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد و لم يبق في موضعٍ لي عليه سلطان. فلما أصبح أرسل إليه فأحضر وحضر جميع الندماء والجلساء فدخل بهم إلى مجلسٍ قد أعد فيه طبقاً عظيماً فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائف لعب من ياسمينٍ في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماءٍ قد ألقى فيها اللآلئ مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح، فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور: إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا وإما أن تشقى، لأنه قد زعم هؤلاء القوم أن كل ما تأتي به دعوى، وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملكٍ قبلي شكله، فصفه بجميع ما فيه، فقال له صاعد على البديهة:

أبا عامرٍ هل غير جدواك واكف ... وهل غير من عاداك في الأرض خائف

يسوق إليك الدهر كل غريبةٍ ... وأعجب ما يلقها عندك واصف

وشائع نورٍ صاغها هامر الحي ... على حافتيها عبقر ورفارف

ولما تناهى الحسن فيها تقابلت ... عليها بأنواع الملاهي وصائف

كمثل الظباء المستكنة كنساً ... تظللها بالياسمين السقائف

وأعجب منها أنهن نواظر ... إلى بركةٍ ضمت إليها الطرائف

حصاها اللآلئ سابح في عبابها ... من الرقش مسموم الثعابين زواحف

ترى ما تراه العين في جنباتها ... من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربوا له تلك البديهة في مثل ذلك الموضع، وكتبها المنصور بخطه، وكان إلى ناحيته نت تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهبٍ لم يرها صاعد، فقال له المنصور: أحسنت إلا أنك أغفلت ذكر السفينة والجارية، فقال للوقت:

وأعجب منها غادة في سفينةٍ ... مكللة تصبو إليها الهواتف

إذا راعها موج من الماء تتقي ... بسكانها ما هيجته العواصف

متى كانت الحسناء ربان مركبٍ ... تصرف في يمنى يديه المجاذف

ولم تر عيني في البلاد حديقةً ... تنقلها في الراحتن الوصائف

ولا غرو أن أنشت معاليك روضةً ... وشتها أزاهير الربا والزخارف

فأنت امرؤ لو رمت نقل متالعٍ ... ورضوى ذرتها من سطاك نواسف

إذا قلت قولاً أو بدهت بديهةً ... فكلني له لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينارٍ ومائة ثوبٍ، ورتب له في كل شهرٍ ثلاثين ديناراً وألحقه بندمائه. توفي أبو القاسم ابن العريف بطليطلة في رجبٍ سنة تسعين وثلاثمائةٍ.

حرملة بن المنذر بن معد يكرب

ابن حنظلة بن النعمان بن حبة بن سعنة بن الحارث بن ربيعة، ويتصل نسبه بيعرب بن قحطان أبو زبيدٍ الطائي شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة، وعداده في المخضرمين، أدرك الإسلام و لم يسلم ومات نصرانياً.

وكان أبو زبيدٍ طزالاً من الرجال ينتهي إلى ثلاثة عشر شبراً، وكان حسن الصورة فكان إذا دخل مكة دخلها متنكراً لجماله. وكان أبو زبيدٍ يزور الملوك وملوك العجم خاصةً، وكان عالماً بسيرهم، ووفد على الحارث بن أبي شمر الغساني والنعمان بن المنذر. حدثعمارة بن قابوس قال: لقيت أبو زبيدٍ الطائي فقلت له: يا أبا زبيدٍ هل أتيت النعمان بن المنذر؟ قال: إي والله لقد لقد أتيته وجالسته. قلت: فصفه لي فقال: كان أحمر أزرق أبرش قصيراً. فقلت له: أيسرك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حمر النعم؟ قال: لا والله ولا سودها، فقد رأيت ملوك حمير في ملكها، ورأيت ملوك غسان في ملكها، فما رأيت أشد عزاً منه.

كان ظهر الكوفة منبت الشقائق فحمى ذلك المكان فنسب إليه، فقيل سقائق النعمان. فجلس ذات يومٍ هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطير، فقام رجل من الناس فقال له: أبيت اللعن، أعطني فإني محتاج، فتأمله طويلاً ثم أمر به فأدني حتى قعد بين يديه، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأبها وجهه حتى سمعنا قرع العظام وخضب بالدم، ثم أمر به فنحي. ومكثنا ملياً فنهض رجل آخر فقال له: أبيتاللعن، أعطني فتامله ساعةً ثم قال: أعطوه ألف درهمٍ فأخذها وانصرف، ثم التفت النعمان عن يمينه ويساره وخلفه فقال: ما قولكم في رجلٍ أزرق أحمر يذبح على هذه الأكمة؟ أترون دمه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي؟ فقلنا له: أنت - أبيت اللعن - أعلى برأيك فدعا برجلٍ على هذه الصفة فأمر به فذبح ثم قال: ألا تسألوني عما صنعت؟ فقلنا: ومن يسألك عن أمرك وما تصنع؟ فقال: أما الأول فإني خرجت مع أبي نتصيد فممرنا به وهو بفناء بابه وبين يديه عس من لبنٍ فتناولته لأشرب منه، فثار إلي فهراق الإناء فملأ وجهي وصدري فأعطيت الله عهداً لئن أمكنني من لأخضبن لحينه وصدره من دم وجهه. وأما الآخر فكانت له عندي يد فكافأته بها. وأما الذي ذبحته فإن عيناً لي بالشام كيب علي: أن جبلة بن الأيهم بعث إليك برجلٍ صفته كذا وكذا ليقتلك، فطلبته فلم أقدر عليه حتى كان اليوم فرأيته بين القوم فأخذته.

وكان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يقرب أبا زبيدٍ ويدني مجلسه لمعرفته بسير من أدركهم من ملوك العرب والعجم، فدخل عليه يوماً وعنده المهاجرون والنصار، فتذاكروا مآثر العرب وأخبارها وأشعارها، فالتفت إليه عثمان وقال له: يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك، فقد أنبئت أنك تجيد الشعر، فأنشده قصيدته التي أولها:

من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا ... أن الفؤاد إليهم شيق ولع

ووصف فيها الأسد فقال له عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت، والله إني لأحسبك جباناً هداناً.

قال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت منه منظراً وشهدت مشهداً لا يبرح يتجدد في قلبي، ومعذور أنا بذلك يا أمير المؤمنين غير ملومٍ. فقال له عثمان: وأين كان ذلك وأنى؟ فقال: خرجت في صيابةٍ من أشراف العرب وفتيانهم ذوي هيبةٍ وشارةٍ حسنةٍ ترمي بنا المهري بأكسائها والقيروانات على قنو البغال تسوقها العبدان، ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام، فاخروط بنا السير في حمارة القيظ، حتى إذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه، وذكت الجوناء والمعزاء، وذاب الصيهب وصر الجندب، وضاف العصفور الضب في وجره وجاوره في جحره. قال قائل: أيها الركب تغوروا بنا في ضوج هذا الوادي، وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدغل، دائم الغلل، صحراؤه مغنة، وأطياره مرنة، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلاتٍ، وأصبنا من فضلات المزاود وأتبعناها الماء البارد. فلما انتصف حر يومنا ذلك، وبينما نحن كذلك إذ صر أقصى الخيل أذنيه، وفحص الأرض بيديه، فوالله ما لبث أن حال، ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الذي يليه واحداً فواحداً، فتضعضعت الخيل، وتكعكعت الإبل، وتقهقرت البغال، فمن نافرٍ بشكاله، وشاردٍ بعقاله، فعلمنا أنه السبع، ففزع كل منا إلى سيفه فسله من قرابه، ثم وقفنا رزدقاً فأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع في مشيته كأنه مجنون، أو في وجار مسجون، لطرفه وميض ولصدره شحيط، ولبلعومه غطيط، ولأرساغه قضيض كأنما يخبط هشيماً، أو يطأ رميماً، له هامة كالمجن، وخد كالمسن، وعينان سجروان كأنهما سراجان يتقدان، وقصرة ربلة، ولهزمة رهلة، وكتد معبط، وزند مفرط، وساعد مجدول، وعضد مفتول، وكف شثنة البراثن، إلى مخالب كالمحاجن، فضرب بيديه فأرهج، وكشر فأفرج عن أنيابٍ كالمعاول مصقولةٍ غير مفلولةٍ، وفمٍ أشدق كالغار الأخرق، ثم تمطى بيديه وحفز بوركيه حتى صار ظله مثيله، ثم أقعى فاقشعر، ثم أقبل فاكفهر، ثم تجهم فازبأر، فلا وذو بيته في السماء، ما اتقيناه إلا بأخٍ لنا من فزارة، كان ضخم الجزارة، فوقصه فوقصه ثم نفضه نفضةً فقضقض متنيه وجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي، فبعد لأيٍ ما استقدموا فجهجهنا به، فكر مقشعراً بزبرته كأن به شهماً حولياً فاختلج رجلاً أعجر ذا حوايا، فنفضه نفضة تزايلت بها مفاصله، ثم همهم ففرفر وزفر فبربر، ثم زأر فجرجر، ثم لحظ فأشزر، فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ومن يمينه، فأرعشت الأيدي واصطكلت الأرجل وأطت الأضلاع، وارتجت الأسماع وشخصت العيون، وساءت الظنون، فظنت المنون فقال له عثمان: اسكت قطع الله لسانك، فقد أرعبت قلوب المسلمين.

وقال يصف الأسد:

فباتوا يدلجون وبات يسري بصير بالدجى هادٍ هموس

إلى أن عرسوا وأغب عنهم قريباً ما يحس له حسيس

خلا أن العتاق من المطايا حسين به فهن إليه شوس

فلما أن رآهم قد تدانوا أتاهم بين رحلهم يريس

فثار الزاجرون فزاد قرباً إليهم ثم واجهه ضبيس

بنصل السيف ليس له مجن فصد ولم يصادفه جسيس

فيضرب بالشمال إلى حشاه وقد نادى وأخلفه النيس

يشتر كالمحملق في عيونٍ تقيه الأرض الربيس

فخر السيف واختلجت يداه وكان بنفسه وقيت نفوس

وطار القوم شتىً والمطايا وغودر في مكرهم الرسيس

وجال كأنه فرس صنيع يجر جلاله ذيل شموس

كأن بنحره و بساعديه عبيراً بات تعبؤه عروس

فذلك إن تلاقوه تفادوا ويحدث عنكم أمر شكيس

وقال ابن الأعرابي: كان لأبي زبيدٍ كلب يقال له الأكدر، وكان له سلاح يلبسه إياه فكان لا يقوم له الأسد، فخرج ليلةً و لم يلبسه سلاحه فلقيه الأسد فقتله، فقال أبو زبيدٍ:

أجال أكدر مشياً لا كعادته حتى إذا كان بين البئر والطعن

لاقى لدى ثلل الأطواء داهيةً سرت وأكدر تحت الليل في قرن

حفت به شيمة ورهاء تطرده حتى تناهى إلى الجولان في سنن

إلى مقابل فتل الساعدين له فوق السراة كذفرى الفالج القمن

ريبال غابٍ فلا قحم ولا ضرع كالفيل يختطم الفحلين في شطن

وهي قصيدة طويلة، فلامه قومه على كثرة وصفه للأسد وقالوا: قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له. فقال: لو رأيتم منه ما رأيت، أو لقيتم منه ما لقي أكدر لما لمتموني، ثم أمسك عن وصفه حتى مات. وقال ابن الأعرابي: مان أبو زبيدٍ يقيم أكثر أيامه في أخواله بني تغلب، وكان له غلام يرعى إبله فغزت بهراء وهم من قضاعة بني تغلب، فمروا بغلامه فدفع إليهم إبل أبي زبيدٍ وانطلق معهم يدلهم على عورة القوم ويقاتل معهم، فهزمت تغلب بهراء وقتل الغلام. فقال أبو زبيدٍ في ذلك:

هل كنت في منظرٍ ومستمعٍ في نصر بهراء غير ذي فرس

تسعى إلى فتية الأراقم واس		تعجلت قبل الجمان والقبس
في عارضٍ من جبال بهرائها ال		ألى مرين الحرون عن درس
فبهرة إذ لقوا حسبتهم		أحلى وأشهى من بارد الدبس
لا ترة عندهم فتطلبها		ولا هم نهزة لمختلس
جود كرام إذا هم ندبوا		غير لئام ضجرٍ ولا خسس
صمت عظام الحلوم إن سكتوا		من غير عيٍ بهم ولا خرس
تقود أفراسهم نساؤهم		يزجون أجمالهم مع الغلس
صادقت لما خرجت منطلقاً		جهم المحيا كباسلٍ شرس
تخال في كفه مثقفةً		تلمع فيها كشعلة القبس
بكف حران ثائرٍ بدمٍ		طلاب وترٍ في الموت منغمس
إما تقاذفبك الرماح فلا		أبكيك إلا للدلو والمرس
حمدت أمري ولمت إذ		أمسك جلز السنان بالنفس
وقد تصليت حر نارهم		كما تتصلى المقرور من قرس
تذب عنه كف بها رمق		طيراً عكوفاً كزور العرس
عما قليلٍ علون جثته		فهن من والغٍ ومنتهس

فلما بلغ شعره بني تغلب بعثوا إليه بدية غلامه وما نهب من إبله. فقال في ذلك:

ألا بلغ بني عمرو رسولاً		فإني في مودتكم نفيس
فما أنا بالضعيف فتظلموني		ولا حقي اللفاء ولا خسيس
أفي حقٍ مواساتي أخاكم		بمالي ثم يظلمني السريس

وحدث ابن الأعرابي قال: كان أبو زبيدٍ الطائي نديماً للوليد بن عقبة والي الكوفة من قبل عثمان، فلما شهدوا عليه بشرب الخمر وعزل عن عمله وخرجمن الكوفة قال أبو زبيدٍ:

من يرى العير لابن أروى على ظه		ر المرورى حداتهن عجال
مصعداتٍ والبيت بيت أبو وه		بٍ خلاء تحن فيه الشمال
يغرف الجاهل المضلل أن الد		دهر فيه النكراء والزلزال

ليت شعري كذاكم العهد أم كا نوا أناساً ممن يزول فزالوا؟
بعد ما تعلمين يا أم زيدٍ كان فيهم عز لنا وجمال
ووجوه بودنا مشرقات ونوال إذا أريد النوال
أصبح البيت قد تبدل بالحي ي وجوهاً كأنها الأقتال
كل شيءٍ يختال فيه الرجال غير أن ليس للمنايا احتيال
ولعمر الإله لو كان للسي ف مصال أو للسان مقال
ما تناسيتك الصفاء ولا الود د ولا حال دونك الأشغال
ولحرمت لحمك المتصي ضلةً ضل حلمهم ما اقتالوا
قولهم شربك الحرام وقد كا ن شراباً سوى الحرام حلال
وأبى الظاهر العداوة إلا شنآناً وقول ما لا يقال
من رجالٍ تقارضوا منكراتٍ لينالوا الذي أرادوا فنالوا
غير ما طالبين ذحلا ولكن مال دهر على أناسٍ فمالوا

من يخنك الصفاء أو يتبدل أو يزل مثل ما تزول الظلال
فاعلمن أنني أخوك أخو الد د حياتي ختى تزول الجبال
ليس بخل عليك عندي بمالٍ أبداً ما أقل نعلاً قبال
ولك النصر باللسان وبالكف ف إذا كان لليدين مصال

ولأبي زبيدٍ في مدح الوليد بن عقبة شعر كثير تركناه خوف الإطالة، ومن جيد شعره:

إن نيل الحياة غير سعود وضلال تأميل نيل الخلود
علل المرء بالأماني ويضحي غرضاً للمنون نصباً لعود
كل يومٍ ترميه منها برشقٍ فمصيب أوصال غير بعيد
كل ميتٍ قد اغتفرت فلا وا جع من والدٍ ومن مولود
غير أن الجلاح هذا جناحي يوم فارقته بأعلى الصعيد

وكان أبو زبيدٍ يحمل في كل أحد إلى البيع مع النصارى، فبينا هو يوم أحدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر نظراً طويلاً، ثم رمى الكأس من يده فقال:

إذا جعل المرء الذي كان حازماً يحل به حل الحوار ويحمل

فليس له في العيش خير يريده وتكفينه ميتاً أعف وأجمل

أتاني رسول الموت يا مرحباً به وإني لآتيه أما سوف أفعل

ثم مات فجأةً ودفن هناك.

حفص الأموي مولاهم

شاعر من شعراء الدولة الأموية، عاش حتى ادرك دولة بني العباس، ولحق بعبد الله بن عليٍ فاستأمنه، فهو من مخضرمي الدولتين، وكان يختلف إلى كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة الشاعر يروي عنه شعره، وكان حجاءً لبني هاشمٍ، فطلبه عبد الله بن عليٍ فلم يقدر عليه، ثم جاءه حفص مستأمناً فقال: أنا عائد بالأمير، فقال له: ومن أنت؟ قال: حفص الأموي، فقال: أنت الهجاء لبني هاشمٍ؟ فقال: أنا الذي أقول - أعز الله الأمير -:

وكانت أمية في ملكها تجور وتكثر عدوانها

فلما رأى الله أن قد طغت ولم يحمل الناس طغيانها

رماها بسفاح آل الرسول فجذ بكفيه أعيانها

ولو آمنت قبل وقع العذاب لقد يقبل الله إيمانها

فلما أتم الإنشاد، قال له عبد الله بن عليٍ: اجلس، فجلس فتغدى بين يديه، ثم دعا عبد الله خادماً له فساره بشيء ففزع حفص وقال: أيها الأمير، قد تحرمت بك وبطعامك وفي أقل من هذا كانت العرب تهب الدماء. فقال له عبد الله: ليس شيء مما ظننت، فجاء الخادم بخمسمائة دينارٍ فقال: خذها ولا تقطعنا، وأصلح ما شعثت منا. وروى ابن السائب الكلبي أن هشام بن عبد الملك قال يوماً لقوامه على خيله: كم أكثر ما ضمت حلبة من الخيل في الجاهلية والإسلام؟ قالوا: ألف فرسٍ وقيل ألفان، فأمر أن يؤذن بالناس بحلبةٍ تضم أربعة آلاف فرسٍ، فقيل له: يا أمير المؤمنين يحطم بعضها بعضاً فلا يتسع لها طريق، فقال: نطلقها ونتوكل على الله، والله الصانع. فجعل الغاية خمسين ومائتي غلوةٍ، والقصب مائةً، والمقوس ستة أسهمٍ، وقاد إليه الناس من كل أوبٍ، ثم برز هشام إلى دهناء الرصافة قبيل الحلبة بأيامٍ، فأصلح طريقاً واسعاً لا يضيق بها، فأرسلت يوم الحلبة بين يديه وهو ينظر إليها تدور حتى ترجع، وجعل الناس يتراؤونها حتى أقبل الزابد كأنه ريح لا يتعلق به شيء حتى دخل سابقاً وأخذ القصبة، ثم جاءت

الخيل بعد ذلك أفذاذاً وأفواجاً، ووثب الرجاز يرتجزون، منهم المادح للزابد، ومنهم المادح لفرسه، ومنهم المادح لخيل قومه، فوثب حفص الأموي مولاهم وقام مرتجزاً يقول:

إن الجواد السابق الإمام ... خليفة الله الرضي الهمام
أنجبه السوابق الكرام ... من منجباتٍ ما لهن ذام
كرائم يجلى بها الظلام ... أم هشامٍ جدها القمقام
وعائش يسمو بها الأقوام ... خلائف من نجلها أعلام
إن هشاماً جده هشام ... مقابل مدابر هضام
جرى به الأخوان والأعمام ... فحل كفحل كلهم قدام
سنوا له السبق وما استقاموا ... حتى استقام حيث استقاموا

وأحرز المجد الذي أقاموا ... أطلق وهو يفع غلام
في حلبةٍ تم لها التمام ... من آل فهرٍ وهم السنام
فبذها سبقاً وما ألاموا ... كذلك الزابد يوم قاموا
أتى ببدء الخيل ما يرام ... مجلياً كأنه حسام
سباق غايات لها ضرام ... لا يقبل العفو ولا يضام
ويل الجياد منهماذا راموا ... سهم تفر دونه السهام

فأعطاه هشام يومئذٍ ثلاثة آلاف درهمٍ، خلع عليه ثلاث حللٍ من جيد وشي اليمن، وحمله على فرسٍ من خيله السوابق، وانصرف معه ينشده الرجز حتى قعد في مجلسه، وأمره بملازمته. فكان أثيراً عنده، وقال حفص أيضاً:

لا خير في الشيخ إذا ما اجلخا ... وسال غرب دمعه فلخا
وكان أكلاً كله وشخاً ... تحت رواق البيت يخشى الدخا

حفص بن سليمان بن المغيرة

أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الفاخري البزاز نسبته لبيع البر، وهو الإمام القارئ راوي عاصم بن أبي النجود، كان ربيب عاصم – ابن زوجته – فأخذ عنه القراءة عرضاً وتلقينا. قال حفص: قال لي عاصم: القراءة التي أقرأتك بها فهي التي قرأتها عرضاً على أبي عبد الرحمن السلمي عن عليس، والتي أقرأتها

أبا بكرٍ بن عياشٍ فهي التي كنت أعرضها على زر بن حبيشٍ عن ابن مسعودٍ. ولد حفص سنة تسعين، ونزل بغداد فأقرأ بها وأخذ عنه الناس قراءة عاصمٍ تلاوةً، وجاور بمكة فأقرأ بها أيضاً. قال يحيى بن معينٍ: الرواية الصحيحة من قراءة عاصمٍ رواية حفصٍ، وكان أعلمهم بقراءة عاصمٍ، وكان مرجحاً على شعبة بضبط القراءة، وتوفي حفص بن سليمان سنة ثمانين ومائةٍ.

حفص بن عمر بن عبد العزيز

ابن صهبان بن عيسى بن صهبان، ويقال صهيب أبو عمر الدوري الأزدي البغداي المقرئ النحوي الضرير نزيل سامراً، راوي الإمامين أبي عمرو والكسائي، إمام القراء وشيخ العراق في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط، رحل في طلب القراءات، وقرأ بالحروف السبعة و بالشواذ وسمع من ذلك شيئاً كثيراً، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والكسائي وروى عنهما، وقرأ العربية على أبي محمدٍ يحيى بن المبارك اليزيدي. قال أبو داود: رأيت أحمد بن حنبلٍ يكتب عن عمر الدوري. وصنف كتاب: ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن، وكتاب أجزاء القرآن وغير ذلك. والدوري نسبته إلى أبو عمر الدوري سنة ستٍ وأربعين ومائتين.

أبو حفصٍ الزكرمي العروضي

الأديب الشاعر، قال الحافظ أبو طاهرٍ السلفي في معجم الشعراء: أنشدني أبو القاسم ذربان ابن عتيق بن تميمٍ الكاتب قال: أنشدني أبو حفصٍ الزكرمي بإفريقية مما له بالأندلس وقد طولب بمكسٍ يتولاه يهودي:

ياأهل دانيةٍ لقد خالفتم	حكم الشريعة والمروءة فينا
مالي أراكم تأمرون بضد ما	أمرت ترى نسخ الإله الدينا
كنا نطالب لليهود بجزيةٍ	وأرى اليهود بجزيةٍ طلبونا
ما إن سمعنا مالكاً أفتى بذا	كلا ولا من بعده سحنونا
لا هؤلاء ولا الأئمة كلهم	حاشاهم بالمكس قد أمرونا
أيجوز مثلي أن يمكس عدله	لو كان يعدل وزنه قاعونا
ولقد رجونا أن ننال بعدلكم	رفداً يكون على الزمان معينا
فالآن تقنع بالسلامة منكم	لا تأخذوا منا ولا تعطونا

حفصة بنت الحاج الركوني

شاعرة أديبة من أهل غرناطة، مشهورة بالحسب والأدب والجمال والمال. جيدة البديهة رقيقة الشعر أستاذة. وليت تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن عليٍ، وسألها يوماً أن تنشده فقالت ارتجالاً:

يا سيد الناس يا من ... يؤمل الناس رفده

أمنن على بطرسٍ ... يكون للدهر عده

تخط يمناك فيه ... الحمد لله وحده

أشارت بذلك إلى العلامة السلطانية، فإن السلطان كان يكتب بيده في رأس المنشور بخطٍ غليظٍ "الحمد لله وحده" فمن عليها وكتب لها بيده ما طلبت، وتولع بها أمير المؤمنين عبد المؤمن المذكور، وتغير بسببها على أبي جعفرٍ أحمد بن عبد الملك بن سعيدٍ العنسي، وكان عاشقاً لها متصلاً بها يتبادلان رسائل الغرام، ويتجاوبان بحاو بالحمام، وقد أدى ولع عبد المؤمن بها إلى قتل أبي جعفرٍ. ومما كتبته حفصة إلى أبي جعفرٍ:

رأست فما زال العداة بظلمهم ... وحقدهم النامي يقولون لم رأس؟

ومل منكر أن ساد أهل زمانه ... جموح إلى العليا نقي من الدنس؟

وبات معها أبو جعفرٍ في بستانٍ بحوزٍ مؤملٍ، فلما حان وقت الفراق قال:

رعى الله ليلاً لم يرع بمذممٍ ... عشية وارانا بحوز مؤمل

وقد خفقت من نحو نجدٍ أريجة ... إذا نفحت جاءت بريا القرنفل

وغرد قمري على الدوح وانثنى ... قضيب من الريحان من فوق جدول

يرى الروض مسروراً بما قد بدا له ... عناقٍ وضمٍ وارتشاف مقبل

فقالت:

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا ... ولكنه أبدى لنا الغل والحسد

ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا ... ولا غرد القمري إلا لما وجد

فلا تحسن الظن الذي أنت أهله ... فما هو في كل المواطن بالرشد

فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه ... لأمرٍ سوى كيما يكون لنا رصد

وقالت:

سلوا البرق الخفاق والليل ساكن ... أظل بأحبابي يذكرني وهنا

لعمري لقد أهدى لقلبي خفوقه | وأمطر كالمنهل من مزنه الجفنا

وبلغها أن أبا جعفر بن سعيدٍ علق بجاريةٍ سوداء فأقام معها أياماً فكتبت إليه:

يا أظرف الناس قبل حالٍ | أوقعه وسطه القدر
عشقت سوداء مثل ليلٍ | بدائع الحسن قد ستر
لا يظهر البشر في دجاها | كلا ولا يبصر الخفر
بالله قل لي وأنت أدرى | بكل من هام في الصور
من الذي حب قبل روضاً | لا نور فيه ولا زهر؟

فكتب إليها معتذراً:

لا حكم إلا لأمر ناهٍ | له من الذنب يعتذر
له محيا به حياتي | أعيذ مجلاه بالسور
كضحوة العيد في ابتهاجٍ | وطلعة الشمس والقمر
بسعده لم أمل إليه | إلا طريفاً له خبر
عدمت صبحي فاسود عشقي | وانعكس الفكر والنظر
إن لم تلح يا نعيم روحي | فكيف لا تفسد الفكر؟

وكتبت إلى بعض أصحابها:

أزورك أم تزور فإن قلبي | إلى ما تشتهي أبداً يميل
فثغري مورد عذب زلال | وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وهل تخشى بأن تظما وتضحى | إذا وافى إليك بي المقيل
فعجل بالجواب فما جميل | إباؤك عن بثينة يا جميل

وكان أبو جعفر بن سعيدٍ يوماً في مترله، وقد خلا ببعض أصحابه وجلسائه، فضرب الباب فخرجت جاريته تنظر من بالباب؟ فوجدت امرأةً فقالت لها: ما تريدين؟ فقالت: ادفعي لسيدك هذه البطاقة، فإذا فيها:

زائر قد أتى بجيد غزالٍ | طامع من محبه بالوصال
بلحاظٍ من سحر بابل صيغت | ورضابٍ يفوق بنت الدوالي
يفضح الورد ما حوى منه خد | وكذا الثغر فاضح للآلئ

أتراكم بإذنكم مسعفيه ... أم لكم شاغل من الأشغال

فلما قرأ الرقعة قال: ورب الكعبة ما صاحب هذه الرقعة إلا حفصة، فبادر إلى الباب فلم يجدها فكتب إليها:

أي شغلٍ عن المحب يعوق ... يا صاحباً قد آن منه الشروق؟

صل وواصل فأنت أشهى إلينا ... من لذيذ المنى فكم ذا نشوق؟

لا وحبيك لا يطيب صبوح ... غبت عنه ولا يطيب غبوق

لا وذل الجفا وعز التلاقي ... واجتماعٍ إليه عز الطريق

وقالت:

أغار عليك من عيني وقلبي ... ومنك ومن زمانك والمكان

ولو أني جعلتك في عيوني ... إلى يوم القيامة ما كفاني

ماتت حفصة بمراكش سنة ستٍ وثمانين وخمسمائةٍ.

الحكم بن عبدل بن جبلة

ابن عمرو بن ثعلب بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال بن نصر بن غاضرة، وينتهي نسبه إلى خزيمة بن مدركة، الأسدي الفاخري الكوفي، شاعر مجيد هجاء من شعراء الدولة اللأموية، كان ممن نفاه ابن الزبير من العراق كما نفى منها عمال بني أمية، فقدم دمشق ونال من عبد الملك بن مروان حظوةً فكان يدخل عليه ويسمر عنده، فقال ليلةً لعبد الملك:

يا ليت شعري وليت ربما نفعت ... هل أبصرن بني العوام قد شملوا

بالذل والأسر والتشريد إنهم ... على البرية حتف حيثما نزلوا

أم هل أراك بأكناف العراق وقد ... ذلت لعزك أقوام وقد نكلوا؟

فقال عبد الملك:

إن يمكن الله من قيسٍ ومن جدسٍ ... ومن جذامٍ ويقتل صاحب الحرم

نضرب جماجم أقوامٍ على حنقٍ ... ضرباً ينكل عنا غابر الأمم

ودخل يوماً على عبد الملك فقعد بين السماطينوقال: - أصلح الله الأمير -، رؤيا رأيتها بالمنام أقصها عليك؟ فقال: هات، فأنشا يقول:

طلعت الشمس بعد غضارةٍ في نومةٍ ما كنت قبل أنامها
فرأيت أنك جدت لي بوليدةٍ مغنوجةٍ حسنٍ علي قيامها
وببدرةٍ حملت إلي وبغلةٍ شهباء ناجيةٍ يصل لجامها
فسألت ربي أن يثيبك جنةً يلقاك فيها روحها وسلامها

فقال: كل ما رأيت عندنا إلا البغلة فإنها دهماء فارهة فقال: امرأته طالق إن كان رآها إلا دهماء، ولكنه نسي فأمر عبد الملك أن يحمل إليه كل ما ذكر في شعره. ودخل ابن عبدلٍ على محمدٍ بن حسان بن سعدٍ وكان على خراج الكوفة، فكلمه في رجلٍ من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خراجه، فقال محمد بن حسانٍ: أماتني الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً، فانصرف ابن عبدلٍ وهو يقول:

دع الثلاثين لا تعرض لصاحبعا لا بارك الله في تلك الثلاثينا
لما علا صوته في الدار مبتكراً كإشتفانٍ يرى قوماً يدوسونا
أحسن فإنك قد أعطيت مملكةً إمارةً صرت فيها اليوم مفتونا
لا يعطك الله خيراً مثلها أبداً أقسمت بالله إلا قلت آمينا

ولما لم يضع من خراج الرجل شيئاً، قال ابن عبدلٍ فيه:

رأيت محمداً شرهاً ظلوماً وكنت أراه ذا ورعٍ وقصد
يقول أماتني ربي خداعاً أمات الله حسان بن سعد
ركبت إليه في رجلٍ أتاني كريمٍ يبتغي المعروف عندي
فقلت له وبعض القول نصح ومنه ما أسر له وأبدي
توق كرائم البكري إني أخاف عليك عاقبة التعدي
فما صادفت في قحطان مثلي ولا صادفت مثلك في معد
أقل براعةً وأشد بخلاً وألأم عند مسألةٍ وحمد
فقدت محمداً ودخان فيه كريح الجعر فوق عطين جلد
فأقسم غير مستنٍ يميناً أبا بخرٍ لتتخمن ردى
فلو كنت المهذب من تميمٍ لخفت ملامتي ورجوت حمدي
نكهت علي نكهة أخدريٍ شتيمٍ أعصل الأنياب ورد

فما يدنو إلى فمه ذئاب ولو طليت مشافره بتند

فإن أهديت لي من فيك حتفاً فإني كالذي أهديت مهدي

ولولا ما وليت لكنت فسلاً لئيم الكسب شأنك شأن عبد

وخطب محمد بن حسانٍ هذا بنتاً لطلبة بن قيس بن عاصمٍ المنقري فقال ابن عبدلٍ:

لعمري ما زوجتها لكفاءةٍ ولكنما زوجتها للدراهم

وما كان حسان بن سعدٍ ولا ابنه أبو البخر من أكفاء قيس بن عاصم

ولكنه رد الزمان على استه وضيع أمر المحصنات الكرائم

له ريقة بخراء تصرع من دنا وتنتن خيشوم الضجيع الملازم

خذي ديةً منه تكوني غنيةً وروحي إلى باب الأمير فخاصمي

وكان بالكوفة امرأة موسرة لها على الناس ديون كثيرة بالسواد، فأتت الحكم بن عبدلٍ وعرضت له بأنها تتزوجه إذا اقتضى لها ديونها، فقام ابن عبدلٍ بدينها حتى اقتضاه ثم طالبها بالوفاء فكتبت إليه:

سيخيطك الذي حاولت مني فقطع حبل وصلك من حبالي

كما أخطاك معروف ابن بشرٍ وكنت تعد ذلك رأس مال

وكان ابن عبدلٍ يأتي ابن بشرٍ بن مروان بالكوفة فيسأله فيقول له: أخمسمائةً أحب إليك العام أم ألف في قابلٍ؟ فيقول ألف في قابلٍ، فإذا أتاه من قابلٍ قال له: ألف إليك العام أم ألفان في قابلٍ؟ فيقول ألفان، فلم يزل كذلك حتى مات ابن بشرٍ ولم يعطه شيئاً. فدخل ابن عبدلٍ على عبد الملك بن مروان بعد ما جرى من المرأة، فقال له عبد الملك: ما أحدثت بعدي، قال: خطبت امرأةً من قومي فردت علي ببيتي شعرٍ، قال: وما هما؟ قال: قالت:

سيخيطك الذي حاولت مني

البيتان، فضحك عبد الملك وقال له: - لحاك الله - أذكرت بنفسك، وأمر له بألفي درهمٍ. وعن ابن الكلبي قال: كان الحكم بن عبدلٍ منقطعاً إلى بشر بن مروان وكان يأنس به ويقربه، وأخرجه معه إلى البصرة لما وليها، فرأى منه الحكم جفاءً لشغلٍ عرض عرض له فانقطع عنه شهراً ثم أتاه، فلما دخل عليه قال له بشر: يابن عبدلٍ ما لك انقطعت عنا وقد كنت لنا زواراً، فقال ابن عبدلٍ:

كنت أثني عليك خيراً فلما أضمر القلب من نوالك ياسا

كنت ذا منصبٍ قنيت حيائي لم أقل غير أن هجرتك باسا

لم أطق ما أردت بي يابن مروا ن ستلقى إذا أردت أناسا

يقبلون الخسيس منك ويثنو ن ثناء مدخمساً دخماسا

فقال له: لا نسومك الخسي ولا نريد منك ثناءً مدخمساً ووصله وكساه، ولما مات بشر جزع ابن عبدلٍ فقال يرثيه:

أصبحت جم البلابل الصدر متعجباً لتصرف الدهر

ما زلت أطلب في البلاد فتىً ليكون لي ذخراً من الذخر

ويظل يسعدني وأسعده في كل نائبةٍ من الأمر

حتى إذا ظفرت يداي به جاء القضاء بحينه جري

إني لفي همٍ يباكرني منه وهمٍ طارقٍ يسري

فلأصبرن وما رأيت دوا للهم غير عزيمة الصبر

والله ما استعظمت فرقته حتى أحاط بفضله خبري

وعن النضر بن شميلٍ قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو فقال: أنشدني أقنع بيتٍ للعرب، فأنشدته قول الحكم بن عبدلٍ:

إني امرؤ لم أزل وذاك من ال له أديباً علم الأدبا

أقيم بالدار ما اطمأنت بي الد دار وإن كنت نازعاً طربا

لا أحتوي خلة الصديق ولا أتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا

أطلب ما يطلب الكريم من الر رزق بنفسي وأجمل الطلبا

وأحلب الثرة الصفي ولا أجهد أخلاف غيرها حلبا

إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنيعةٍ رغبا

والعبد لا يحسن العطاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا ذهبا

مثل الحمار الموقع السوء لا يحسن مشياً إلا إذا ضربا

ولم أجد عزة الخلائق إل لا الدين لما اعتبرت والحسبا

قد يرزق الخافض المقيم وما شد بعنسٍ رحلاً ولا قتبا

ويحرم الرزق ذو المطية والر ... رحل ومن لا يزال مغتربا

وكان الحكم بن عبدلٍ أعرج، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أعرج أيضاً وكان صاحب شرطته أعرج كذلك فقال:

ألق العصا ودع التعارج والتمس ... عملاً فهذي دولة العرجان

لأميرنا وأمير شرطتنا معاً ... لكليهما يا قومنا رجلان

فإذا يكون أميرنا ووزيرنا ... وأنا فجئ بالرابع الشيطان

وقال في بشر بن مروان:

ولو شاء بشر كان من دون بابه ... طماطم سود أو صقالبة حمر

ولكن بشراً سهل الباب للتي ... يكون لبشرٍ بعدها الحمد والأجر

بعيد مراد العين ما رد طرفه ... حذار الغواشي باب دارٍ ولا ستر

الحكم بن معمر بن قنبر

ابن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب الخضري شاعر إسلامي، وكان مع تقدمه في الشعر سجاعاً كثير السجع، وكان هجاءً خبيث اللسان، وكان بينه وبين الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجاة ومواقف كان الغلب في أكثرها على الرماح فتهاجيا زماناً طويلاً، ثم كف ابن ميادة وسلأله الصلح، فصالحه الحكم. وكان أول ما بدأ الهجاء بينهما أن ابن ميادة مر بالحكم وهو ينشد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعةٍ من الناس قوله:

لمن الديار كأنها لم تعمر ... بين الكناس وبين برق محجر؟

حتى انتهى إلى قوله:

يا صاحبي ألم تشما بارقاً ... نضح الصراد به فهضب المنحر

قد بت أرقبه وبات مصعداً ... نهض المقيد في الدهاس الموقر

فقال له ابن ميادة: ارفع إلى رأسك أيها المنشد، فرفع الحكم رأسه فقال له: من أنت؟ قال: أنا الحكم ابن معمرٍ الخضري، قال:: فوالله ما أنت في بيت حسبٍ ولا في أرومة الشعر، فقال له الحكم: وماذا عبت في شعري؟ قال: عبت أنك أدهست وأوقرت. قال له الحكم: ومن أنت؟ قال: أنا ابن ميادة. قال: ويحك فلم رغبت عن أبيك وانتسب إلى أمك راعية الضأن، وأما إدهاسي وإيقاري، فإني لم آت خيبر لا ممتاراً ولا متحاملاً وما عدوت أن حكيت حالك وحال قومك، فلو سكت عن هذا كان خيراً لك وأبقى

عليك، فلم يفترقا إلا عن هجاء.

وقال الحكم يهجو أم جحدرٍ بنت حسانٍ المرية وكانت فضلت ابن ميادة عليه:

ألا عوقبت في قبرها أم جحدرٍ ولا لقيت إلا الكلاليب والجمرا
كما حادثت عبداً لئيماً وخلته من الزاد إلا حشو رياطته صفرا
فيا ليت شعري هل رأت أم جحدرٍ أكنك أو ذاقت مغابنك الشقرا؟
وهل أبصرت أرساغ أبرد أو رأت قفا أم رماحٍ إذا ما استقت دفرا
وبالغمر قد صرت لقاحاً وحادثت عبيداً فسل عن ذاك نيان والغمرا

ومما قاله الحكم في ابن ميادة:

خليلي عوجا حييا الدار بالجفر وقولا لها سقياً لعصرك من عصر
وماذا تحيي من رسومٍ تلاعبت بها حرجف تذري بأذيالها الكدر
إذا يبست عيدان قومٍ وجدتنا وعيداننا تغشى على الورق الخضر
إذا الناس جاؤوا بالقروم أتيتهم بقرمٍ يساوي رأسه غرة البدر
لنا الغور والأنجاد والخيل والقنا عليكم وأيام المكارم والفخر
فيامر قد أخزاك في كل موطنٍ من اللؤم خلات يزدن على العشر
فمنهن أن العبد حامي ذماركم وبئس المحامي العبد عن حوزة الثغر
ومنهن أن لم تمسحوا وجه سابقٍ جوادٍ ولم تأتوا حصاناً على طهر
ومنهن أن الميت يدفن منكم فيفسو على دفانه وهو في القبر
ومنهن أن الجار يسكن وسطكم بريئاً فيرمى بالخيانة والغدر
ومنهن أن عذتم بأرقط كودنٍ وبئس المحامي أنت يا ضرط الجفر
ومنهن أن الشيخ يوجد منكم يدب إلى الجارت محدودب الظهر
يبيت ضباب الضغن يخشى احتراشها وإن هي أمست دونها ساحل البحر

أبو الحكم بن غلندو الإشبيلي

ولد بإشبيلية وبها نشأ، وكان أديباً شاعراً جيد الشعر متفنناً بصناعة الطب، خدم بها المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن سعيدٍ فحظي عنده وقدم، وكان أبوه أيضاً في خدمة أبي يعقوب والد المنصور، وكان أبو

الحكم حسن الحظ يكتب الخطين الأندلسي والمشرقي، وتوفي بمراكش سنة سبعٍ وثمانين وخمسمائةٍ. ومن شعره:

ماست فأزرت بالغصون الميس وأتتك تخطر في غلالة سندس

وتبرجت جنح الظلام كأنها شمس تجلت في دياجي الحندس

تختال بين لداتها فتخالها بدراً بدا بين الجواري الكنس

أرجت برياها الصبا فتضوعت أنفاسها والصبح لم يتنفس

وسرت إلينا في ملاءة سندسٍ بترفلٍ وتدللٍ وتبهنس

وتزلفت والليل مسبل جنحه والجو داجٍ من ظلام الحندس

وله:

لئن غبت عن عيني وشط بك النوى فأنت بقلبي حاضر وقريب

خيالك في وهمي وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب؟

حكيم بن عياشٍ المعروف بالأعور الكلبي

شاعر مجيد كان منقطعاً إلى بني أمية بدمشق وسكن المزة بها ثم انتقل إلى الكوفة، وكان بينه وبين الكميت بن زيدٍ مفاخرة. وقدم أسامة خال الأعور على معاوية فقال له: اختر لك مترلاً فاختار المزة واقتطع فيها هة وعترته، فقال الأعور:

إذا ذكرت أرض لقومٍ بنعمةٍ فبلدة قومي تزدهي وتطيب

بها الدين والإفضال والخير والندى فمن ينتجعها للرشاد يصيب

ومن ينتجع أرضاً سواها فإنه سيندم يوماً بعدها ويخيب

تأتي بها خالي أسامة منزلاً وكان لخير العالمين حبيب

حبيب رسول الله وابن رديفه له ألفة معروفة ونصيب

فأسكنها كلباً فأضحت بليدة بها منزل رحب الجناب خصيب

فنصف على برٍ فسيحٍ رحابه ونصف على بحرٍ أغر يطيب

وكان الأعور يتعصب لليمن على مضر فقال:

ما سرني أن أمي من بني أسدٍ وأن ربي نجاني من النار

وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يومٍ ألف دينار

وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفرٍ فقال له: يابن رسول الله هذا حكيم الكلبي ينشد الناس هجاءكم بالكوفة فقال: هل حفظت منه شيئاً؟ قال: نعم وأنشده:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

وقستم بعثمانٍ علياً سفاهةً وعثمان خير من علي وأطيب

فرفع عبد الله يديه إلى السماء وهما ينتفضان رعدةً فقال: اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً، فخرج حكيم من الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله، وأتى البشير عبد الله وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخر لله تعالى ساجداً وقال: الحمد لله الذي صدقنا وعده.

حماد بن عمر بن يونس بن كليبٍ

الكوفي المعروف بحماد عجردٍ مولى بني سوءة بن عامر بن صعصعة، شاعر مجيد من طبقة بشارٍ، وكان بينهما مهاجاة، وهو أحد الحمادين الثلاثة، قال إبراهيم العامري: كان بالكوفة ثلاثة نفرٍ يقال لهم الحمادون: حماد عجردٍ، وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان، يتنادمون ويتعاشرون معاشرةً جميلةً ويتناشدون الأشعار، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكان يرمون بالزندقة جميعاً، وحماد عجردٍ من مخضرمي الدولتين، نادم الوليد بن يزيد و لم يشتهر إلا في الدولة العباسية، قدم بغداد في أيام المهدي هو ومطيع بن إياسٍ ويحيى بن زيادٍ فاشتهروا بها، وكان حماد ماجناً ظريفاً متهماً في دينه، وكان أحد الأئمة ينتقصه فلما بلغه ذلك كتب إليه:

إن كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي

فاقعد وقم بي حيث شئت لدى الأداني والأقاصي

فلطالما زكيتني وأنا المقيم على المعاصي

أيام تأخذها وتعطى في أباريق الرصاص

وسبب تسميته بعجردٍ أن إعرابياً مر به وهو غلام يلعب مع الصبيان في يومٍ شديد البرد وهو عريان فقال له الأعرابي: تعجردت يا غلام فسمي عجرداً، والمتعجرد: المتعري. وكتب لأبو النضير الجمحي الشاعر إلى حمادٍ يسأله عن حاله في الشراب ومن يعاشر عليه، فكتب إليه حماد:

أبا النضير اسمع كلامي ولا تجعل سوى الإنصاف في بالكا

سألت ما حالي وما حال من لم يلق إلا عابداً ناسكا؟

يظهر نسكاً ومتى يفترص يكن علي عادياً فاتكا

ومرض حماد فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مطيع بن إياسٍ، فكتب إليه حماد:

كفاك عيادتي من كان يرجو ثواب الله في صلة المريض

فإن تحدث لك الأيام سقماً يحول جريضه دون القريض

يكن طول التأوه منك عندي بمنزلة الطنين من البعوض

ومن شعر حماد عجردٍ:

إني أجحبك فاعلمي إن لم تكوني تعلمينا

حباً أقل قليله كجميع حب العالمينا

وقال:

فأقسمت لو أصبحت في قبضة الهوى لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري

ولكن بلائي منك أنك ناصح وأنك لا تدري بأنك لا تدري

وقال في أبي العباس الطوسي:

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا يا أكرم الناس أعزاقاً وعيدانا

فأنت أكرم من يمشي على قدمٍ وأنضر الناس عند المحل أغصانا

لو مج عود على قومٍ عصارته لمج عودك فينا المسك والبانا

وكان بين حمادٍ وبشار بن بردٍ ومطيع بن إياسٍ أهاجٍ كثيرة أعرضنا عن ذكرها لما فيها من السخف والمجون وتوفي حماد عجردٍ بالبصرة سنة إحدى وستين ومائةٍ في أصح الروايات.

حماد بن سلمة بن دينارٍ

الإمام أبو سلمة البصري، شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه، أخذ عنه يونس بن حبيبٍ النحوي، وسئل أيما أسن أنت أم حماد؟ فقال: حماد أسن مني، ومنه تعلمت العربية. وكان سيبويه يستملي على حمادٍ فقال حماد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من أحدٍ من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه علماً ليس أبا الدرداء". فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء. فقال له حماد: لحنت يا سيبويه، ليس أبا الدرداء. فقال: لا جرم لأطلبن علماً لا تلحنني فيه أبداً، فطلب النحو ولزم الخليل بن أحمد، وكان أبو عمرو الجرمي يقول: ما رأيت فقيهاً قط أفصح من عبد الوارث إلا حماد بن سلمة.

وكان حماد يقول: من لحن في حديثي فقد كذب علي. وكان يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم. وكان مع تقدمه في العربية إماماً في الحديث ثقةً، ثبتاً حتى قالوا: إذا رأيت الرجل يقع في حمادٍ فاتهمه على الإسلام.

روى حماد عن ثابتٍ وأبي عمران الجوني وعبد الله بن كثير وابن مليكٍ وخلقٍ. وروى عنه مالك وسفيان وشعبة وابن مهدي وعفان وأمم. وقال عمرو بن سلمة: كتبت عند حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث. وقال ابن المديني: كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديثٍ. وقال يحيى بن معينٍ: هو أعلم الناس بثابتٍ. وقال أحمد بن حنبل: حماد أعلم الناس بحديث خاله حميدٍ الطويل وأثبتهم فيه. وقال أحمد ويحيى: هو ثقة الناس. وقال رجل لعفان: أحدثك عن حمادٍ؟ قال: من حماد ويلك؟ قال: ابن سلمة، قال: هلا هلا قلت أمير المؤمنين. وقال ابن عديٍ: حماد إمام جليل، وهو مفتي أهل البصرة مع سعيد بن أبي عروبة.

وقال إسحاق بن الطباع: قال لي سفيان بن عيينة: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبالعلم، وعالم بالله ليس بعالمٍ بالعلم، وعالم بالعلم ليس بعالمٍ بالله. قال ابن الطباع: الأول كحماد بن سلمة، والثاني مثل أبي الحجاج والثلث كأبي يوسف.

وقال ابن المديني: من سمعتموه يتكلم في حمادٍ فاتهموه. واحتج مسلم بحماد بن سلمة في أحاديث عدةٍ في الأصول من حديثه عن ثابتٍ، وأخرج له الأربعة إلا البخاري، فنكت ابن حيان على البخاري، ولم يسمه، حيث احتج بابن دينارٍ وابن عياشٍ وابن أخي الزهري وترك حماداً فقال: لم ينصف من جانب حديث حمادٍ، واحتج بأبي بكر بن عياش وعبد الرحمن بن دينارٍ وابن أخي الزهري. وقالحماد بن زيدٍ: ما كنا نرى أحداً يتعلم بنيةٍ غير حمادٍ، وما نرى اليوم من يعلم بنيةٍ غيره. وقال وهيب: كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا، وكان إماماً في العربية فصيحاً مفوهاً، مقرئاً فقيهاً، شديداً على المبتدعة، وله تآليف، ولم يكن له كتاب غير كتاب قيس بن سعدٍ، يعني كان يحفظ علمه. مات حماد في ذي الحجة سنة سبعٍ وستين ومائةٍ، وقيل سنة تسع وستين في خلافة المهدي، ورثاه اليزيدي بأبياتٍ أولها:

يا طالب النحو ألا فابكه ... بعد أبي عمرو وحماد

يعني حماد بن سلمة وأبا عمرو بن العلاء.

حماد بن ميسرة بن المبارك

ابن عبيدٍ الديلمي، مولى بني بكر بن وائلٍ، وقيل مولى مكنف بن زيد الخيل، الكوفي المعروف بالرواية.

قال المدائني: كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره، فيفد عليهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها، ويجزلون صلته وعن الهيثم بن عديٍ صاحبه وروايته قال: قال الوليد بن يزيد لحمادٍ الراوية: بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: بأني أروي لكل شاعرٍ تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن أعرف أنك لم تعرفه و لم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً لقديمٍ ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث. فقال: إن هذا لعلم وأبيك كبير، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيراً، ولكني أنشدك على كل حرفٍ من حروف المعجم مائة قصيدةٍ كبيرةٍ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام. قال: سأمتحنك في هذا وأمره يالإنشاد، فأنشد حتى ضجر الوليد، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلين وأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهمٍ.

وروى عن حمادٍ الراوية أنه قال: كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك، وكان أخوه هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إليه إلى هشامٍ خفته، فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سراً، فلما لم أسمع أحد يذكرني أمنت فخرجت وصليت الجمعة في الرصافة، ثم جلست عند باب الفيل، فإذا شرطيان قد وقفا علي فقالا: يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر، فقلت في نفسي: هذا الذي كنت أحذره، ثم قلت لهما: هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إلى الأمير؟ فقالا: ما إلى ذلك سبيل، فاستسلمت إليهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر فسلمت عليه، فرمى إلي كتاباً فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم" من عبد الله هشامٍ أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد: فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حمادٍ الراوية من يأتيك به غير مروعٍ ولا متعتعٍ وادفع إليه خمسمائة دينارٍ وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق، فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول، فركبته وسرت اثنتي عشرة ليلةً حتى وافيت باب هشامٍ، فاستأذنت فأذن لي فدخلت عليه في دارٍ قوراء مفروشةٍ بالرخام. وهو في مجلسٍ مفروشٍ بالرخام بين كل رخامتين قضيب ذهبٍ، وهشام جالس على طنفسةٍ حمراء، وعليه ثياب خزٍ حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهبٍ يقلبه بيده فيفوح، فسلمت عليه بالخلافة فرد علي السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط وفي أذني كل واحدةٍ منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان، فقال لي: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت: بخيرٍ يا أمير المؤمنين. قال: أتدري فيم بعثت إليك؟ قلت: لا، قال: بعثت إليك بسبب بيتٍ خطر ببالي لا أعرف قائله. قلت: وما هو؟ قال:

ودعوا بالصبوح يوماً قينة في يمينها إبريق

فقلت: هذا يقوله عدي بن زيدٍ المبادي في قصيدةٍ له، قال: فأنشدنيها فأنشدته:

بكر العاذلون في وضح الب ح يقولون لي ألا تستفيق؟

ويلومون فيك يا ابنة عبد الل ه و القلب عندكم موهوق

لست أدري إذ أكثروا العذل فيها أعدو يلومني أم صديق؟

زانها حسنها وفرع عميم وأثيث صلت الجبين أنيق

وثنايا مفلجات عذاب لا قصار ترى ولا هن روق

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريق

قدمته على عقارٍ كعين الد ديك صفى سلافها الراووق

مرة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق

وطفا فوقها فقاقيع كالد در صغار يثيرها التصفيق

ثم كان المزاج ماء سحابٍ لا صرىً آجن و لا مطروق

قال: فطرب هشام ثم قال: أحسنت يا حماد. يا جارية اسقيه، فسقتني شربةً ذهبت بثلث عقلي وقال: أعد فأعدت فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه، فسقتني شربةً ذهبت بثلث عقلي الثاني، فقلت: إن سقتني الثالثة افتضحت، فقال لي هشام: سل حاجتك، قلت: كائنةً ما كانت؟ قال: نعم، قلت: إحدى الجاريتين، فقال: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتني شربةً لم أعقل بعدها حتى أصبحت، فإذا بالجاريتين عند رأسي وعدةٍ من الخدم مع كل واحد منهم بدرة، فقال لي أحدهم: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذه فأصلح بها شأنك، فأخذتها والجاريتين وانصرفت إلى أهلي. قال الهيثم بن عديٍ: ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حمادٍ، وقال الأصمعي: كان حماد أعلم الناس إذا نصح يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار، فإنه كان متهماً بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب، وقال المفضل الضبي: قد سلط على الشعر من حمادٍ الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً، فقيل له: وكيف ذلك؟ أيخطئ في روايةٍ أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجلٍ، ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في

الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالمٍ ناقدٍ وأين ذلك؟. وذكر أبو جعفرٍ أحمد بم محمدٍ النحاس أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال و لم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقةً على الكعبة.

ولحمادٍ أخبار طوال اقتصرنا على ما ذكرناه منها، وكانت ولادته في سنة خمسٍ وتسعين، وتوفي سنة خمسٍ وخمسين ومائةٍ. رثاه ابن كناسة الشاعر بقوله:

لو كان ينجي من الردى حذر ... نجاك مما أصابك الحذر
يرحمك الله من أخي ثقةٍ ... لم يك فس صفو وده كدر
فهكذا يفسد الالزمان ويف ... نى فيه ويدرس الأثر

حماس بن ثاملٍ مولى عثمان بن عفان

شاعر إسلامي من مخضرمي الدولتين أدرك أيام السفاح، وكان يوماً في مجلسه فذكر إسماعيل بن عبد الله القسري بني أمية فذمهم وسبهم، فقال حماس للسفاح: يا أمير المؤمنين، أيسب هذا بني عمك وعمالهم وهو رجل اجتمع والخريت في نسبٍ؟ إن بني أمية لحمك ودمك فكلهم ولا تأكلهم، فقال له: صدقت، وأمسك إسماعيل فلم يحر جواباً. ومن شعر حماسٍ:

الله نجى قلوصي بعد ما علقت ... من الأمير ومن عمرو بن سيار
بحلفةٍ من يمينٍ غير صادقةٍ ... حلفتها ثم لم تلحقن بالنار
إحلف يميناً ما خفت مضلعةً ... وتب إلى غافرٍ للذنب غفار

حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب

الخطابي، من ولد زيدٍ بن الخطاب أبو سليمان البستي، نسبة إلى مدينة بست في بلاد كابل، كان محدثاً فقيهاً أديباً شاعراً لغوياً، أخذ اللغة والأدب عن أبي عمر الراهد، وأبي عليٍ إسماعيل الصفار، وأبي جعفرٍ الزاز وغيرهم من علماء العراق، وتفقه بالقفال الشاشي، وروى عنه الحافظ أبو عبد الله بن البيع المعروف بالحاكم النيسابوري، والحافظ المؤرخ عبد الغفار بن محمدٍ الفارسي صاحب السياق لتاريخ نيسابور، وأبو القاسم عبد الوهاب الخطابي وخلق.

قال الحافظ أبو المظفر السمعاني: كان حجةً صدوقاً رحل إلى العراق والحجاز، وجال في خراسان وخرج إلى ما وراء النهر. وقال الثعالبي: كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً. وكان أبو عبيدٍ مفحماً. ولأبي سليمان كتب من تآليفه أشهرها وأسيرها: كتاب غريب الحديث، و وهو غاية الحسن والبلاغة، وله أعلام السنن في شرح

صحيح البخاري، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود، وكتاب إصلاح غلط المحدثين، وكتاب العزلة، وكتاب شأن الدعاء، وكتاب الشجاج وغير ذلك. ولد في رجبٍ سنة تسع عشرة وثلاثمائةٍ، وتوفي ببلده بست سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائةٍ، وقيل سنة ستٍ وثمانين، والأول أصح. ومن شعره:

إذا خلوت صفا ذهني وعارضني خواطر كطراز البرق في الظلم
وإن توالى صياح الناعقين على أذني عرتني منه لكنة العجم

وقال:

لعمرك ما الحياة وإن حرصنا عليها غير ريحٍ مستعاره
وما للريح دائمةً هبوب ولكن تارةً تجري وتاره

وقال:

وما غمة الإنسان من شقة النوى ولكنها والله من عدم الشكل
وإني غريب بين بست وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وقال:

تسامح ولا تستوف حقك كله وأبق فلم يستقص قط كريم
ولا تغل في شيءٍ من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال:

قد أولع الناس بالتلاقي والمرء صب إلى هواه
وإنما منهم صديقي من لا يراني ولا أراه

وقال:

شر السباع الضواري دونه وزر والناس شرهم ما دونه وزر
كم معشرٍ سلموا لم يؤذهم سبع وما ترى بشراً لم يؤذه بشر

وقال:

ما دمت حياً فدار الناس كلهم فإنما أنت في دار المداراة
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى عما قليلٍ نديماً للندامات

حمدان بن عبد الرحيم الأثاربي

كان طبيباً أديباً شاعراً دائباً في طلب العلم، يحضر مجالس العلماء وأهل الأدب ويصحب من لقيه منهم ويلازمه. مات بعد سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائةٍ. ومن شعره:

لا جلق رقن لي معالمها ... ولا أطبتني أنهار بطنان

ولا ازدهتني بمنبجٍ فرص ... راقت لغيري من آل حمدان

لكن زماني بالجزر ذكرني ... طيب زماني وفيه أبكاني

يا حبذا الجزر كم نعمت به ... بين جنانٍ ذوات أفنان

واجتاز بحمدان في بعض السنين الأمير مهند الدولة ابن الخشيني فأنزله في الأثارب وأقام عنده أشهراً، فلما وافى هلال رمضان قال الأمير:

لله من قمرٍ رآني معرضاً ... عنه وإعراضي حذار وشاته

طلع الهلال فقلت أعمل حيلةً ... في قبلةٍ أجني جنى وجناته

فمضى وقال تصدين قمر الهوى ... لترى الهلال رقي إلى درجاته

فأنا وحق هواك أبعد مرتقىً ... منه وتأثيري كتأثيراته

أنا كامل أبداً وذلك ناقص ... فاجهد بوصفي ممعناً وصفاته

حمدة ويقال حمدونة

بنت زياد بن تقيٍ من قرية بادي من أعمال وادي آشٍ، كان أبوها زياد مؤدباً وكانت أديبةً نبيلةً شاعرةً ذات جمالٍ ومالٍ مع العفاف والصون، إلا أن حب الأدب كان يحملها على مخالطة أهله مع نزاهة موثوقٍ بها، وكانت تلقب بخنساء المغرب وشاعرة الأندلس. وروى عنها أبو القاسم بن البراق قال: أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهةً بالرملة من نواحي وادي آشٍ، فرأت ذات وجهٍ وسيمٍ أعجبها فقالت:

أباح الدمع أسراري بوادي ... له في الحسن آثار بوادي

فمن نهرٍ يطوف بكل روضٍ ... ومن روضٍ يرف بكل وادي

ومن بين الظباء مهاة إنسٍ ... سبت لبىً وقد ملكت فؤادي

لها لحظ ترقده لأمر ... وذاك الأمر يمنعني رقادي

إذا سدلت ذوائبها عليها ... رأيت البدر في أفق السواد

كأن الصبح مات له شقيق ... فمن حزن تسربل بالسواد

وقد نسب إليها أهل المغرب الأبيات الشهيرة المنسوبة للمنازي الشاعر وهي:

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإٍ زلالاً ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حاليةً العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

أجمع أدباء المشرق على نسبة هذه الأبيات للمنازي وهو أحمد بن يوسف المنازي المتوفي سنة سبعٍ وثلاثين وأربعمائةٍ، وأنه عرضها على أبي العلاء المعري فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الأول من كل بيتٍ سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني كما نظمه المنازي، ونسبها أدباء الأندلس ومؤرخوها إلى حمدة وجزم بذلك طائفة منهم، وفيهم من رواها لها قبل أن يخلق المنازي والله تعالى أعلم. ومن شعر حمدة أيضاً:

ولما أبى الواشون إلا فراقنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارةٍ وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

حمزة بن أسد بن علي بن محمدٍ

أبو يعلى المعروف بابن القلانسي التميمي الأديب الشاعر المؤرخ، كان من أعيان دمشق ومن أفاضلها المبرزين ولي رياسة ديوانها مرتين، وبها توفي سنة خمسٍ وخمسين وخمسمائةٍ. وله تاريخ للحوادث ابتدأ به من سنة إحدى وأربعين وأربعمائةٍ إلى حين وفاته، وكانت له عناية بالحديث، وله كتب عليها سماعه، ومن شعره:

إياك تقنط عند كل شديدةٍ فشدائد الأيام سوف تهون
وانظر أوائل كل أمرٍ حادثٍ أبداً فما هو كائن سيكون

وقال أيضاً:

يا من تملك قلبي طرفه فغدا معذباً بين أشواقٍ وأشجان
أمنن بوصلٍ لعلي أستجير به من سطوة النين في صدٍ وهجران
مالي منيت بممنوعٍ يعذبني ولا يزيد فؤادي غير أحزاني
لا برد الله قلبي من تحرقه إن شبت حبي له يوماً بسلوان

إذا ترنم قمري على فننٍ في ليلةٍ زاد في حزني وأشجاني

وكم أسر غرامي ثم أعلنه وليس يخفى بكم سري وإعلاني

لا برد الله شوقي إن نويت لكم تغيراً ما بأشكال وألوان

وقال:

يا نفس لا تجزعي من شدةٍ عظمت وأيقني من إله الخلق بالفرج

كم شدةٍ عرضت ثم انجلت ومضت من بعد تأثيرها في المال والمهج

حمزة بن بيضٍ الحنفي الكوفي

أحد بني بكر بن وائلٍ، شاعر مقدم مجيد من شهراء الدولة الأموية، كان منقطعاً إلى المهلب وولده، ثم انقطع إلى الأمير بلال بن أبي بردة، ووفد على سليمان بن عبد الملك وامتدحه قبل الخلافة فقال:

أتينا سليمان الأمير نزوره وكان أمرأً يحبى ويكرم زائره

إذا كنت بالنجوى به متفرداً فلا الجود مخليه ولا البخل حاضره

كفى سائليه سؤلهم من ضميره عن البخل ناهيه وبالجود آمره؟

ودخل عليه وعنده يزيد بن المهلب فقال:

حاز الخلافة والداك كلاهما ما بين سخطة ساخطٍ أو طائع

أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً وعلى جبينك نورملكٍ رابع

سريت خوف بني المهلب بعدما نظروا السبيل بسم موتٍ ناقع

ليس الذي أولاك ربك منهم عند الأله وعندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألف درهمٍ، وقال في سليمان أيضاً:

لم تدر ما لا فلست قائلها عمرك ما عشت آخر الأبد

ولم تؤامر بتلك ممترياً فيها وفي أختها ولم تكد

وهي على أنها الخفيفة أث قل حملاً عليك من أحد

لما تعودت من نعم فنعم ألذ في فيك من جني الشهد

إلا يكن عاجل تعجله لنا لئلا تقول لا فعد

وما تعد في غدٍ يكن غدك ال وافد للسائلين خير غد

ودخل على يزيد بن المهلب يوم جمعةٍ وهو يتأهب للمضي إلى المسجد وجاريته تعممه فضحك، فقال له يزيد: مم تضحك؟ قال: من رؤيا رأيتها، إن أذن الأمير قصصتها، قال قل: فأنشأ يقول:

رأيتك في المنام سننت خزاً على بنفسجاً وقضيت ديني

فصدق يا هديت اليوم رؤيا رأتها في المنام كذا عيني

قال: كم دينك؟ قال: ثلاثون ألفاً، قال: قد أمرنا لك بها ومثلها، ثم قال: يا غلمان فتشوا الخزائن فجيئوه بكل جبة خزٍ بنفسجٍ تجدونها فجاؤوا بثلاثين جبةً، فنظر إليه يلاحظ الجارية فقال: يا جارية عاوني عمك على قبض الجباب، فإذا وصلت إلى مترله فأنت له، فأخذها والجباب وانصرف، وقال في يزيد بن المهلب أيضاً:

ومتى يؤامر نفسه مستخلياً في أن تجود لدى السؤال تقول جد؟

أة أن يعود لنا بنفحة نائلٍ بعد الكرامة والحباء تقول عد

أو في الزيادة بعد جزل عطائه للمستزيد من العفاة تقول زد

أو في الوفود على فقيرٍ موبقٍ بخلت أقاربه عليه تقول فد

أو في ورود شريعةٍ محفوفةٍ بالمشرفية والرماح تقول رد

ونعم بفيه ألذ حين يقولها طعماً من العسل المدوف بماء ورد

ولما خرج زيد بن عليٍ على هشامٍ منع أهل مكة والمدينة أعطياهم سنةً، فقال حمزة بن بيضٍ في ذلك:

وصلت سماء الضر بالضر بعد ما زعمت سماء الضر عنا ستقلع

فليت هشاماً كان حياً يسوسنا وكنا كما كنا نرجى ونطمع

ولما ولي أبو لبيدٍ البجلي - ابن أخت خالدٍ القسري - أصبهان، وكان رجلاً متنسكاً خرج حمزة بن بيضٍ في صحبته فقيل له: إن مثل حمزة لا يصحب مثلك، لأنه صاحب كلابٍ ولهوٍ، فبعث إليه ثلاثة آلاف درهمٍ وأمره بالانصراف فقال:

يابن الوليد المرتجى سيبه ومن يجلي الحندس الحالكا

سبيل معروفك مني على بالٍ فما بالي على بالكا؟

حشو قميصي شاعر مفلق والجود أمسى حشو سربالكا

يلومك الناس على صحبتي والمسك قد يستصحب الرامكا

إن كنت لا تصحب إلا فتىً	مثلك لن تؤتى بأمثالكا

إني امرؤ حيث يريد الهوى	فعد عن جهلي بإسلامكا

قال له أبو لبيدٍ: صدقت وقرب مترلته. وقال النضربن شميلٍ دخلت على المأمون بمرو فقال: يا نضر أنشدني أخلب بيتٍ للعرب، قلت هو قول ابن بيضٍ في الحكم بن مروان:

تقول لي والعيون هاجعة	أقم علينا يوماً فلم أقم

أي الوجوه انتجعت؟ قلت لها	وأي وجهٍ إلا إلأى الحكم؟

متى يقل حاجباً سرادقه	هذا ابن بيضٍ بالباب يبتسم

قد كنت أسلمت قبل مقتبلاً	والآن إذ حل فاعطني سلمي

فقال المأمون: لله درك! فكأنما شق لك عن قلبي. وأودع حمزة عند ناسكٍ ثلاثين ألفاً، ومثلها عند نباذٍ، فأما الناسك فبنى بها داراً وزوج بناته فانفقها وجحدها، وأما النباذ فأدى إليه ماله، فقال في ذلك:

ألا لا يغرك ذو سجدةٍ	يظل بها دائماً يخدع

كأن بجبهته حبةً	تسبح طوراً وتسترجع

وما للتقى لزمت وجهه	ولكن ليغتر مستودع؟

ولا تنفرن من أهل النبيذ	وإن قيل يشرب لا يقلع

فعندك علم بما قد خبر	ت إن كان علمي بها ينفع

ثلاثون ألفاً حواها السجود	فليست إلى أهلها ترجع

بنى الدار من غير أمواله	فأصبح في بيته يرتع

مهائر من مالهم قد حرم	ن ظلماً فهم سغب جوع

وأدى أخو الكأس ما عنده	وما كنت في رده أطمع

ونزل بقومٍ فأساؤوا لبغلته وطرحوا لبغلته تبناً رديئاً فعافته، فأشرف عليها فشحجت حين رأته فقال:

إحسبيها ليلةً أدلجتها	فكلي إن شئت تبناً أو ذري

قد أتى مولاك خبز يابس	فتغدى فتغدي واصبري

ولحمزة بن بيضٍ أخبار حسان مع عبد الملك بن مروان وابنه وآل المهلب يطول ذكرها. توفي سنة ست عشرة ومائةٍ، وقيل عشرين ومائةٍ، والأول أصح.

حمزة بن حبيب بن عمارة

ابن إسماعيل الإمام أبو عمارة التيمي تيم الله ولاءً وقيل نسباً، الكوفي المعروف بالزيات، وقيل له الزيات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة: وهو الإمام الحبر شيخ القراء وأحد السبعة الأئمة، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم. أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش والإمام جعفر بن محمدٍ الصادق وابن أبي ليلى، وحمران بن أعين. وروى عن الحكم وعدي ابن ثابت وحبيب بن أبي ثابتٍ وطلحة بن مطرفٍ. وأخذ القراءة عنه إبراهيم بن أدهم، وسفيان الثوري، وشريك بن عبد الله، وعلي بن حمزة الكسائي وغيرهم. وروى عنه يحيى ابن آدم، وحسين الجعفي وخلق، وإليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى، وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصمٍ والأعمش، وكان إماماً حجةً ثقةً ثبتاً رضياً قيماً بكتاب الله، بصيراً بالفرائض، خبيراً بالعربية، حافظاً للحديث، عابداً زاهداً خاشعاً قانتاً لله ورعاً عديم النظير. قال الأعمش يوماً وقد رأى حمزة مقبلاً: "وبشر المحسنين" وقال ابن فضيلٍ: ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة. وعن شعيب بن حربٍ أنه قال: ألا تسألوني عن الدر يعني قراءة حمزة؟ وكان شيخه إذا رآه مقبلاً يقول: هذا حبر القرآن. وقال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض. وقال له أبو حنيفة: شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض. وقد وثقه يحيى بن معينٍ وقال: حسن الحديث عن ابن إسحاق يعني ابن أبي ليلى، ووثقه آخرون. وقال النسائي: ليس به بأس. وأما ما ذكر عن أحمد بن حنبلٍ وأبي بكر بن عياشٍ ويزيد بن هارون وعبد الرحمن بن مهديٍ وعبد الله بن إدريس وحماد بن زيدٍ من كراهتهم لقراءة حمزة لما فيها من المد المفرط والسكت واعتبار الهمزة في الوقف والإمالة ونحو ذلك من التكلف، فإن حمزة أيضاً كان يكره ذلك وينهى عنه، وروي أنه كان يقول لمن يفرط في المد والهمز لا تفعل، أما علمت أن ما فوق البياض فهو برص، وما فوق الجعودة فهو قطط، وما فوق القراءة فهو ليس بقراءةٍ. وبعد: فقد انعقد الإجماع على تلقي قراءة حمزة بالقبول والإنكار على من تكلم فيها. توفي حمزة بحلوان مدينته في آخر سأواد العراق سنة ستٍ وخمسين ومائةٍ، وقيل سنة ثمانٍ وخمسين ومائةٍ، وله ست وسبعون سنة.

^

الجزء الحادي عشر

حمزة بن علي أبو يعلى

ابن العين زربي نسبةً إلى عين زربي، الأديب الشاعر. قتل في الوقعة التي كسر فيها أتسز بن أوق سنة ستٍ وخمسين وخمسمائةٍ، ومن شعره هذه القصيدة وهي من بحر السلسلة قال:

هل تأمنُ يبقى لك الخليط إذا بان ... للهم فؤاداً وللمدامع أجفان؟
أتطمع في سلوة وجسمك حالٍ ... بالسقم ومن حبهم فؤاده ملآن؟
تبغي أملاً دونهُ حشاشة نفسٍ ... وفي الحشى مني هوى تضاعف أشجان
اعتل لأجفاني القريحة أجفان ... إذ بان ركابٌ من العقيق إلى البان
فالدمع إذا ما استمر فاض نجيعاً ... والحب إذا ما استمر ضاعف أشجان
لله وجوه بدت لنا كبدور ... حسناً وقدودٌ غدت تميس كأغصان
إذا عزموا عزمة الفراق أعاروا ... للقلب هموماً تحل فهي وأحزان
سقياً لزمانٍ مضى ففرق شملاً ... أيام حلا لي العيش والوصال بحلوان
يا ساكنة في الحشا ملكت فؤاداً ... أضحت حرق الوجد فهي تضرم نيران
حتام تمنى الفؤاد منك بوعدٍ؟ ... هل ينقع لمع السراب غلة عطشان؟
حتام أرى راجياً وصال حبيب ... قد أسرف في هجره وأصبح خوان

وقال:

تناسيتم عهد الوفا بعد تذكار ... فأجرى حديثي فيكم دمعي الجاري
وأنكرتموني بعد عرفان صبوني ... فهيجتم وجدي وأضرمتم ناري
وهل دام في الأيام وصلٌ لهاجرٍ ... وود لخوانٍ وعهد لغدار؟
ألا حاكم لي في الغرام يقيلني ... ألا آخذ لي بعد سفك دمي ثاري؟؟
وإني لصبار على ما ينويني ... ولكن على هجرانكم غير صبار

وقال:

يا راكباً عرض الفلاة ألا ... بلغ أحباي الذي تسمع
وقل لهم ما جف لي مدمع ... ولم يطب لي بعد كم مضجع
ولا لقيت الطيف مذ غبتم ... وإنما يلقاه من يهجع

وقال:

ألمال يرفع ما لا يرفع الحسب | والود يعطف ما لا يعطف النسب
والحلم آفته الجهل المضر به | والعقل آفته الإعجاب والغضب

حميد بن ثور بن عبد الله

وقيل ابن حزن بن عامر بن أبي ربيعه بن نهيك بي هلال الهلالي، ويتصل نسبه بنزار بن معد أبو المثني أحد المخضرمين من الشعراء، أدرك الجاهلية والإسلام، وقيل إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن مندة لما أسلم حميد أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأنشده:

أصبح قلبي من سليمى مقصداً | إن خطأ منها وإن تعمدا
فحمل الهم كنازاً جلعدا | ترى العليفي عليه موكدا
وبين نسعيه خدباً ملبداً | إذا السراب بالفلاة اطردا
ونجد الماء الذي توردا | تورد السيد أراد المرصدا
حتى أراد ربنا محمدا

وقيل إن حميداً قال الشعر في أيام عمر رضي الله عنه. حدث محمد بن فضالة النحوي قال: عمر بن الخطاب إلى الشعراء ألا يشبب أحد بامرأةٍ، فقال حميد بن ثورٍ:

أبي الله إلا أن سرحة مالكٍ | على كل أفنان العضاة تروق
فقد ذهبت عرضاً وما فوق طولها | من السرح إلا عشة وسحوق
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه | ولا الفيء من بعد العشي تذوق
فهل أنا إن عللت نفس بسرحةٍ | من السرح مسدود علي طريق؟

كنى عن المرأة التي أرادها بالسرحة، والعرب تكنى عن النساء بها. وقال:

لقد أمرت بالبخل أم محمدٍ | فقلت لها حتى على البخل أجمدا
فإني امرؤ عودت نفسي عادةً | وكل امرئٍ جارٍ على ما تعودا
أحين بدا في الرأس شيب وأقبلت | إلى بنو عيلان مثنى وموحدا
رجوت سقاطي واعتلالي ونبوتي | وراءك عني طالقاً وارحلي غدا

وقال:

فلا يبعد الله الشباب وقولنا | إذا ما صبونا صبوةً سنتوب
ليالي سمع الغانيات وطرفها | إلى وإذ ريحي لهن جنوب

وقال:

لو لم يوكل بالفتى إلا السلامة والنعم
وتناوباه لأوشكا أن يسلماه إلى الهرم

وقال:

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة دعت ساق حرٍ مغرمٍ فترنما
بكت مثل ثكلى قد أصيب حميمها مخافة بين يترك الحبل أجذما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها ولا عربياً شافه صوت أعجما

وقال أيضاً لما حظر عمر على الشعراء ذكر النساء:

تجرم أهلوها لأن كنت مشعراً جنوناً بها يا طول هذا التجرم
ومالي من ذنب إليهم علمته سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلمي
بلى فاسلمي ثمت اسلمي ثلاث تحياتٍ وإن لم تكلمي

وقال لزوجته:

فاقسم لولا أن حدباً تتابعتْ على ولم أبرح بدينٍ مطردا
لزاحمت مكسالاً كأن ثيابها تجن غزالاً بالخميلة أغيدا
إذا أنت باكرت المنيئة باكرت مداكاً لها من زعفرانٍ وإنمدا

مات حميد بن ثورٍ في خلافة عثمان - رضي الله عنه -.

حميد بن مالكٍ الأرقط

ولقب بالأرقط لآثار كانت بوجهه، وهو شاعر إسلامي مجيد وكان بخيلاً. قال أبو عبيدة: بخلاء العرب أربعة: الحطيئة، وحميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان. ومن شعر حميد:

وقد اغتدى والصبح محمر الطرر والليل يحدوه تباشير السحر
وفي تواليه نجوم كالشرر بسحق الميعة ميال العذر
كأنه يوم الرهان المحتضر وقد بدا أول شخص ينتظر
دون أثابي من الخيل زمر ضارٍ غدا ينفض صيبان المطر
عن زف ملحاح بعيد المنكدر أقنى تظل طيره على حذر

يلذن منه تحت أفنان الشجر من صادق الودق طروحٍ بالبصر

بعيد توهيم الوقاع والنظر كأنما عيناه في حرفي حجر

بين مآقٍ لم تخرق بالإبر

وقال في وصف أفعى:

منهرت الشدق رقود الضحى سارٍ طمور بالدجنات

وتارة تحسبه ميتاً من طول إطراق وإخبات

يسبته الصبح وطوراً له نفخ ونقب في المغارات

حميد بن مالك بن مغيث

ابن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذٍ مكين الدولة أبو الغنائم الكناني. ولد بشيزر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وبها نشأ، ثم انتقل إلى دمشق وسكنها وكتب في الجيش وكان يحفظ القرآن، وكان أديباً شاعراً. توفي بحلب في شعبان سنة أربع وسنين وخمسمائة.

ومن شعره:

أدنو بودي وحظي منك يبعدني هذا لعمرك عين الغبن والغبن

وإن توخيتني يوماً بلائمةٍ رجعت باللوم إبقاءً على الزمن

وحسن ظني موقوف عليك فهل عدلت في الظن بي عن رأيك الحسن؟

وقال:

وقهوةٍ كدموع الصب صافيةٍ تكاد في الكأس عند الشرب تلتهب

يطفو الحباب عليها وهي راسبة كأنه فضة من تحتها ذهب

وقال:

وسلامة أزرى احمرار شعاعها بالورد والوجنات والياقوت

جاءت مع الساقي تنير بكأسها فكأنها اللاهوت في الناسوت

وقال:

ما بعد جلق للمرتاد منزلة ولا كسكانها في الأرض سكان

فكلها لمجال الطرف منتزه وكلهم لصروف الدهر أقران

وهم وإن بعدوا مني بنسبتهم إذا بلوتهم بالود إخوان

وقال:

وبلدةٍ جمعت من كل مبهجة ... فما يقوت لمرتادٍ بها وطر

بكل مشترفٍ من ربعها أفق ... وكل مشترف من أفقها قمر

حميدة بنت النعمان بن بشيرٍ الأنصاري

شاعرة ابنة شاعرٍ، كانت تحت خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد، تزوج بها بدمشق لما قدم علي عبد الملك ابن مروان فقالت فيه:

نكحت المديني إذ جاءني ... فيا لك من نكحةٍ غاليهْ

كهولُ دمشق وشبانها ... أحب إلينا من الجالية

صنان لهم كصنان التيو ... س أعي على المسك والغاليه

فقال يجيبها:

أسنا ضوء نار ضمرة بالقف ... رة أبصرت أم سنا ضوء برق؟ !

قاطنات الحجون أشهى إلى قل ... بي من ساكنات دور دمشق

يتضوعن لو تضمخن بالمس ... ك صناناً كأنه ريح مرق

ثم طلقها فخلفه عليها روح بن زنباعٍ فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه جذامٍ وقد اجتمعوا عنده فلامها فقالت: وهل أرى إلا جذاماً، فو الله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام؟ وقالت تهجوه:

بكي الخز من روحٍ وأنكر جلده ... وعجت عجيجاً من جذام المطارف

وقال العبا قد كنت حيناً لباسهم ... وأكسية كردية وقطائف

فقال روح يجيبها:

فإن تبك منا تبك ممن يصونها ... وما صانها إلا اللئام المقارف

وقال لها:

أثني علي بما علمت فإنني ... مثنٍ عليك لبئس حشو المنطق

فقالت:

أثني عليك بأن باعك ضيق ... وبأن أصلك في جذامٍ ملصق

فقال روحٌ:

أثني علي بما علمت فإنني ... مئنٍ عليك بنتن ريح الجورب

باب الخاء

خالد الزبيدي اليمني

شاعر إسلامي مقل. قال أبو عبيدة معمر بن المثني: قدم خالد الزبيدي في جماعة معه من زبيد إلى سنجار ومعه ابنا عمٍ له يقال لأحدهما ضابيء وللآخر عويد، فشربوا يوماً من شراب سنجار فحنوا إلى بلادهم فقال خالد:

أيا جبلي سنجار ما كنتما لنا ... مصيفاً ولا مشتى ولا متربعاً

ويا جبلي سنجار هلا بكيتما ... لداعي الهوى منا شتيتين أدمعا

فلو جبلا عوجٍ شكونا إليهما ... جرت عبرات منهما أو تصدعا

بكي يوم تل المحلبية ضابيء ... وألهي عويداً بثه فتقنعا

فانبرى له رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار أحد بني حيي فقال:

أيا جبلي سنجار هلا دققتما ... بركنيكما أنف الزبيدي أجمعا

لعمرك ما جاءت زبيد لهجرةٍ ... ولكنها كانت أرامل جوعا

تبكي علي أرض الحجاز وقد رأت ... جرائب خمساً في جدال فأربعا

فأجابه خالد يقول:

وسنجار تبكي سوقها كلما رأت ... بها نمرياً ذا كساوين أيفما

إذا نمري طالب الوتر غره ... من الوتر أن يبقى طعاماً فيشبعا

إذا نمري ضاق بيتك فاقره ... مع الكلب زاد الكلب واجرهما معا

أمن أجل مدٍ من شعيرٍ قريته ... بكيت وناحت أمك الحول أجمعا؟

بكى نمري أرغم الله أنفه ... بسنجار حتى تنفذ العين أدمعا

خالد بن صفوان بن عبد الله

ابن عمرو بن الأهتم أبو صفوان التميمي المنقري، أحد فصحاء العرب وخطبائهم، كان رواية للأخبار خطيباً مفوهاً بليغاً، وكان يجالس هشام بن عبد الملك وخالداً القسري.

حدث العتبي قال: قال هشام بن عبد الملك لسبه ابن عقال وعنده الفرزدق وجرير والأخطل وهو يومئذٍ أمير: ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم، وأغروا بين عشائرهم في غير خير

ولا برٍ ولا نفعٍ أيهم أشعر؟ فقال سبة: أما جرير فيغرف من بحرٍ، وأما الفرزدق فينحت من صخرٍ، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر. فقال هشام: ما فسرت لنا شيئاً نحصله. فقال: ما عندي يغر ما قلت. فقال لخالد لن صفوان: صفهم لنا يا بن الأهتم، فقال: أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم عذراً وأشدهم ميلاً وأقلهم غزلاً وأحلامهم عللاً، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زأر، والسامي إذا خطر، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، فالفرزدق، وأما أحسنهم نعتاً وأمدحهم بيتاً وأقلهم فوتاً، الذي إن هجا وضع، وإن مدح رفع، فالأخطل، وأما أغزرهم بحراً وأرقهم شعراً وأهتكهم لعدوه ستراً، الأغر الأبلق الذي إن طلب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق، فجرير، وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماء، وارى الزناد. فقال له مسلمة بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين، ولا رأينا في الآخرين. وأشهد أنك أحسنهم وصفاً، وألينهم عطفاً، وأعفهم مقالاً، وأكرمهم فعالاً. فقال خالد: – أتم الله عليكم نعمه وأجزل لديكم قسمه وآنس بكم الغربة وفرج بكم الكربة –، وأنت والله ما علمت أيها الأمر كريم الغراس، عالم بالناس، جواد في المحل، بسام عند البذل، حليم عند الطيش، في ذروة قريشٍ، ولباب عبد شمس، ويومك خير من أمس. فضحك هشام وقال: ما رأيت كتخلصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً.

وعن عمر بن شبه قال: مر خالد بن صفوان بابي نخيلة الشاعر الراجز وقد بني داراً فقال له أبو نخيلة: يا أبا صفوان، كيف ترى داري؟ قال رأيتك سألت فيها إلحافاً، وأنفقت ما جمعت لها إسرافاً، جعلت إحدى يديك سطحاً وملآت الأخرى سلاحاً. فقلت: من وضع في سطحي وإلا ملأته بسلحي، ثم ولي وتركه فقيل له: ألا تهجوه؟ فقال: إذن والله يركب بغلته ويطوف في مجالس البصرة ويصف ابنتي بما يعيبها.

عن يونس بن حبيب النحوي قال: قال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو فقال: لا تقل ذاك، فو الله ما أبي عن عيٍ ولكنه كان يترفع عن الجاء ويراه ضعةً كما يرى تركه مروةً وشرفاً، ثم قال:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب ... على عيب الرجال أولو العيوب

حدث شبيب بن شيب عن خالد بن صفوان قال: أوفدني يوسف بن عمر الثقفي إلى هشام بن عبد الملك في وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج متبدياً بأهله وقرابته وحشمه وجلسائه وغاشيته، فترل في أرضٍ قاعٍ صحصح تنائف أفيح في عام قد بكر وسميه، وتتابع وليه، وأخذت الأرض فيه زينتها من اختلاف

ألوان نبتها من نور ربيعٍ مونقٍ، فهو في أحسن منظر ومخبرٍ وأحسن مستمطر، بصعيدٍ كأن ترابه قطع الكافور، حتى لو أن قطعةً ألقيت فيه لم تترب، وقد ضرب له سرادق من حبر كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن، في فسطاط فيه أربعة أفرشةٍ من خزٍ أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعه من خزٍ مثلها عمامتها، وقد أخذ الناس مجالسهم فأخرجت رأسي من ناحية السماط فنظر إلى مثل المستنطق لي، فقلت – أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه، وسوغكها بشكره، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشداً، وعاقبة ما تئول إليه حمداً، وأخلصه لك بالتقى، وكثره لك بالنما، ولا كدر عليك منه ما صفا، ولا خلط سروره بالردى –، فلقد أصبحت للمسلمين ثقةً ومستراحاً، إليك يفزعون في مظالمهم، وإياك يقصدون في أمورهم، وما أجد يا أمير المؤمنين – جعلني الله فداءك – شيئاً هو أبلغ في قضا حقك وتوقير مجلسك، وما من الله به علي من مجالستك والنظر إلى وجهك، من أن أذكرك نعمة الله عليك فأنبهك على شكرها. وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديثٍ من سلف قبلك من الملوك، فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته. وكان متكئاً فاستوى قاعداً وقال: هات يا بن الأهتم، فقلت يا أمير المؤمنين: إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامنا هذا إلى الخورنق والسدير في عامٍ قد بكر وسميه وتتابع وليه، وأخذت الأرض زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيعٍ مونق في أحسن منظر وأحسن مخبر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور، وقد كان أعطى فتاء السن مع الكثيرة والغلبة والقهر، فنظر فأبعد النظر، فقال لمن حوله: هل رأيتم مثل ما أنا فيه؟ وهل أعطى أحد مثل ما أعطيت؟ فكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومناهجه، و لم تخل الأرض من قائم لله بالحجة في عباده، فقال: أيها الملك، إنك سألت عن أمرٍ، أفتأذن لي في الجواب عنه؟ قال نعم: قال: أرأيت هذا الذي أنت فيه؟ أشيءٌ لم تتزل فهي أم شيءٌ صار إليك ميراثاً؟ وهو زائل عنك، وصائر إلى غيرك كما صار إليك ميراثاً من لدن غيرك؟ قال: كذلك هو. قال: فلا أراك إلا أعجبت بشيء يسيرٍ تكون فيه قليلاً، وتغيب عنه طويلاً وتكون غداً بحسابه مرتهناً. قال: ويحك، فأين المهرب وأين المطلب؟؟ قال: فإما أن تقيم في ملكك وتعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك ومضك وأرمضك، وإما أن تضع تاجك وتخلع أطمارك وتلبس مسوحك وتعبد ربك في جبل حتى يأتيك أجلك. قال: فإذا كان السحر فاقرع علي بابي، فإني مختار أحد الرأيين، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا يعصى، وإن اخترت خلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفقاً لا يخالف. فلما كان السحر قرع عليه بابه، فإذا قد وضع تاجه وخلع أطماره ولبس المسوح وتهيأ للسياحة، فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما، فذلك حيث يقول أخو بني تميمٍ عدي بن زيدٍ العبادي:

أيها الشامت المعير بالده ... ر أأنت المبرأ الموفور؟

أم لديك العهد الوثيق من الأي ام بل أنت جاهل مغرور؟
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير؟
أين كسرى كسرى الملوك أن وشروان أم أين قبله سابور؟
وبنو الأصفر الكرام ملوك ال روم لم يبق منهم مذكور
وأخو الخضر إذ نباه وإذ دج له تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كل ساً فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد ال ملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أش رف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يم لك وابحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غب طه حيٍ إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والنع مة وارثهم هناك قبور
ثم صاروا كأنهم ورق ج ف فألوت به الصبا والدبور

قال: فبكى هشام حتى اخضلت لحيته وبلت عمامته، وأمر بترع أبنيته ونقل قرابته وأهله وحشمه وجلسائه وغاشيته ولزم قصره. فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا: ما أردت بأمير المؤمنين؟ نغصت عليه لذاته وأفسدت مأدبته. فقال لهم: إليكم عني فإني عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل.

وتقدم في ترجمة حميدٍ الأرقط من كلام أبي عبيدة أن خالد بن صفوان مع فضله وجلالته أحد بخلاء العرب الأربعة. وروى أنه أكل يوماً خبزاً وجبناً فرآه أعرابي فسلم عليه، فقال له خالد: هلم إلى الخبز والجبن فانه حمض العرب، وهو يسيغ اللقمة، ويفتق الشهوة، وتطيب عليه الشربة، فانحط الأعرابي فلم يبق شيئاً منهما. فقال خالد: يا جارية زيدينا خبزاً وجبناً، فقالت: ما بقي عندنا منه شيء. فقال خالد: الحمد لله الذي صرف عنا معرته وكفانا مئونته، والله إنه لم علمته ليقدح في السن، ويخشن الحلق، ويربو في المعدة، ويعسر في المخرج، فقال الأعرابي: والله ما رأت قط قرب مدحٍ من ذمٍ أقرب من هذا.

ومن حكم خالد بن صفوان: إن جعلك الأمر أخاً فاجعله سيداً، ولا يحدثن لك الاستئناس به غفلة عنه ولا تهاوناً. وقال: ابذل لصديقك مالك، ولمعرفتك بشرك وتحيتك. وللعامة رفدك وحسن محضرك،

ولعدوك عدلك، واصنن بدينك وعرضك عن كل أحدٍ. وقال: إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه. وقال لا تطلبوا الحوائج في غير حينها، ولا تطلبوها إلى غير أهلها، ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع أهلاً. توفي خالد بن صفوان سنة خمس وثلاثين ومائة.

خالد بن يزيد بن معاوية

ابن أبي سفيان. الأمير أبو هاشم الأموي: كان من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة وقوة المارضة، علامة خبيراً بالطب والكيمياء شاعراً. قال الزبير بن مصعب: كان خالد بن يزيد بن معاوية موصوفاً بالعلم حكيماً شاعراً. وقال ابن أبي حاتم: كان خالد من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام. وقيل عنه: قد علم علم العرب والعجم. روى خالد الحديث عن أبيه وعن دحية بن خليفة الكلبي - رضي الله عنه - وروى عنه الزهري وغيره. وأخرج البيهقي والخطيب البغدادي والعسكري والحافظ بن عساكر عنه عدة أحاديث. وكان إذا لم يجد أحداً يحدثه حدث جواريه، وكان من صالحي القوم، وكان يصوم الجمعة والسبت والأحد. وكان يقول: كنت معنياً بالكتب، وما أنا من العلماء ولا من الجمال. وكان خالد جواداً ممدحاً جاءه رجل فقال له: إني قد قلت فيك بيتين ولست أنشدهما إلا بحكمي، فقال له قل، فقال:

سألت الندى والجود حران أنتما؟ فقالا بلى عبدان بين عبيد

فقلت ومن مولاكما فتطاولا علي وقالا خالد بن يزيد

فقال له تحكم. فقال: مائة ألف درهمٍ، فأمر له بها. وكان خالد شجاعاً جريئاً وكان بينه وبين عبد الملك ابن مروان مناظرات، هدده عبد الملك مرةً بالسطوة والحرمان فقال له: أتهددني ويد الله فوقك مانعة، وعطاؤه دونك مبذول؟ وأجرى أخوه عبد الله بن يزيد الخيل مع الوليد بن عبد الملك فسبقه عبد الله، فدخل الوليد على خيل عبد الله فنقرها ولعب بها فجاء عبد الله إلى أخيه خالدٍ فقال: لقد هممت اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين، قال: إنه لقى خيلي فنفرها وتلاعب بها، فقال له خالد: أنا أكفيكه فدخل خالد على عبد الملك وعنده الوليد وقال له أمير المؤمنين: إن الوليد بن أمير المؤمنين لقي خيل ابن عمه عبد الله فنرها وتلاعب بها فشق ذلك على عبد الله. فقال عبد الملك: إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوا وجعلوا أعزة أهلها أذلةً، وكذلك يفعلون. فقال له خالد: وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً. فقال له عبد الملك: أما والله لنعم المرء عبد الله على لحن فيه. فقال له خالد: أفعلى الوليد تعول مع

اللحن. فقال عبد الملك إن يكن الوليد لحاناً فأخوه سليمان. قال خالد: وإن يكن عبد الله لحاناً فأخوه خالد. فقال عبد الملك: مدحت والله نفسك يا خالد. قال: وقبلي والله مدحت نفسك يا أمير المؤمنين، قال: ومتى؟ قال: حين قلت أنا قاتل عمرو بن سعيدٍ، حق والله لمن قتل عمراً أن يفخر بقتله، قال: أما والله لمروان كان أطولنا باعاً، قال: أما إني أرى ثأري في مروان صباح مساء، ولو أشاء أن أديله لأدلته؟ قال ما أجرأك علي يا خالد خلني عنك. قال لا والله، قال الشاعر:

ويجر اللسان من أسلات ال … حرب ما لا يجر منها البنان

فقال عبد الملك: يا وليد أكرم ابن عمك، فقد رأيت أباه يكرم أباك، وجده يكرم جدك. وقيل لخالد: ما أقرب شيء؟ قال: الأجل. قيل: فما أرجى شيءٍ؟ قال: العمل. قيل فما أوحش شيء؟ قال الميت. قيل فما آنس شيء؟ قال الصاحب المؤاتي. وقيل له: ما الدنيا؟ قال ميراث. قيل: فالأيام؟ قال دول.
قيل: فالدهر؟ قال أطباق والموت يكمل سبيله، فليحذر العزيز الذل، والغنى الفقر، فكم عزيزٍ قد ذل، وكم من غنى قد افتقر. وقال: إذا كان الرجل ممارياً لجوجاً معجباً برأيه فقد تمت خسارته. ولما لزم بيته قيل له: كيف تركت الناس ولزمت بيتك؟ فقال: هل بقي إلا حاسد نعمةٍ أو شامت بنكبة؟ ومن شعر خالد بن يزيد:

أتعجب أن كنت ذا نعمةٍ … وأنك فيها شريف مهيب؟
فكم ورد الموت من ناعمٍ … وحب الحياة إليه عجيب
سقته ذنوباً من أنفاسها … ويذخر للحى منها ذنوب

وقال في رملة بنت الزبير بن العوام:

أليس يزيد السير في كل ليلة … وفي كل يومٍ من أحبتنا قربا
أحن إلى بنت الزبير وقد عدت … بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقبا
إذا نزلت أرضاً نحبب أهلها … إلينا وإن كانت منازلها حربا
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها … مليحاً وجدنا ماءه بارداً عذبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى … لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا
أقلوا علي اللوم فيها فإنني … تخيرتها منهم زبيرية قلبا
أحب بني العوام طرا لحبها … ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

وقال:

إن سرك الشرف العظيم مع الغنى وتكون يوم أشد خوفٍ وائلا
يوم الحساب إذا النفوس تفاضلت في الوزن إذ غبط الأخف الأثقلا
فاعمل لما بعد الممات ولا تكن عن حظ نفسك في حياتك غافلا

ومما نسبوا إليه من التصانيف في الكيمياء. السر البديع في فك الرمز المنيع، وكتاب الفردوس ورسائل أخرى. توفي خالد بن يزيد سنة تسعين، وقيل سنة خمسٍ وثمانين، وشهده الوليد بن عبد الملك وقال: لتلق بنو أمية الأردية على خالدٍ فلن يتحسروا على مثله أبداً.

خالد بن يزيد

مولى بني المهلب، ويقال له خالويه المكدي، كان أديباً ظريفاً بلغ في البخل والتكدية وكثرة المال المبلغ الذي لم يبلغه أحد، وكان متكلماً بليغاً قاصاً داهياً، وكان أبو سليمان الأعور وأبو سعيدٍ المدائني القاصان من غلمانه، وله أخبار حسان، ومن لطائفه وصيته لابنه عند موته، وفيها لطائف وغرائب قال فيها: إني قد تركت لك ما تأكله إن حفظته، وما لا تأكله إن ضيعته، ولما أورثتك من العرف الصالح وأشهدتك من صواب التدبير، وعودتك من عيش المقتصدين خير لك من هذا المال، وقد دفعت إليك آلةً لحفظ المال عليك بكل حيلةٍ، ثم إن لم يكن لك معين من نفسك فما انتفعت بشيء من ذلك، بل يعود ذلك النهي كله اعتزالاً لك، وذلك المنع تهجيناً لطاعتك، وقد بلغت في البر منقطع العمران، وفي البحر أقصى مبلغ السفن، فلا عليك إذ رأيتني ألا ترى ذا القرنين، ودع عنك مذاهب ابن شرية فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر، ولو رآني تميم الداري لأخذ عني صفة الروم، ولأنا أهدى من القطا، ومن دعيميص ومن رافعٍ المخش، إني قد بت في القفر مع الغول، وتزوجت السعلاة، وجاوبت الهاتف، ورغت عن الجن إلى الجن، واصطدت الشق وجاورت النسناس، وصحبني الرئي وعرفت خدع الكاهن وتدسيس العراف، وإلى م يذهب الخطاط والعياف، وما يقول أصحاب الأكناف، وعرفت التنجيم والزجر، والطرق والفكر. إن هذا المال لم أجمعه إلا من القص والتكدية ومن احتيال النهار ومكابدة الليل، ولا يجمع مثله أبداً إلا من معاناة ركوب البحر، ومن عمل السلطان أو من كيمياء الذهب والفضة، قد عرفت الأس حق معرفته، وفهمت سر الإكسير على حقيقته، ولولا علمي بضيق صدرك، ولولا أن أكون سبباً لتلف نفسك لعلمتك الساعة الشيء الذي بلغ به قارون ما بلغ، وبه تبنكت خاتون، والله ما يتسع صدرك عندي لسر صديقٍ فكيف ما لا يحتمله عزم ولا يتسع له صدر، وخزن سر الحديث وحبس كنوز الجواهر أهون من خزن العلم، ولو كنت عندي مأموناً على نفسك لأجريت الأرواح في الأجساد، وأنت تبصر ما كنت لا

تفهمه بالوصف ولا تحقه بالذكر، ولكني سألقي عليك علم الإدراك وسبك الرخام وصنعة الفسيفساء وأسرار السيوف القلعية وعقاقير السيوف اليمانية وعمل الفرعوني وصنعة التلطيف على وجهه إن أقامني الله من صرعتي هذه، ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين ولا أثق بك وإن كنت لاحقاً بالآباء لأني لم أبالغ في محبتك، إني قد لابست السلاطين والمساكين، وخدمت الخلفاء والمكدين، وخالطت النساك والفتاك، وعمرت السجون كما عمرت مجالس الذكر، وحلبت الدهر أشطره، وصادفت دهراً كثير الأعاجيب، فلولا أني دخلت من كل بابٍ وجريت مع كل ريحٍ في السراء والضراء حتى مثلت لي التجارب عواقب الأمور، وقربتني من غوامض التدبير، لما أمكنني جمع ما أخلفه لك، ولا حفظ ما حبسته عليك، و لم أحمد نفسي على جمعه كما حمدتها على حفظه، لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس وإنما حفظته لك من فتنة الأبناء ومن فتنة النساء ومن فتنة الثناء ومن فتنة الرياء ومن أيدي الوكلاء فإنهم الداء العياء. والوصية كلها على هذا النمط وفيها غرائب وهي طويلة تقع في كراسةٍ.

خالد بن زيد الكاتب

أبو الهيثم من أهل بغداد، وأصله من خراسان، شاعر مشهور رقيق الشعر. كان من كتاب الجيش ثم ولاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات عملاً ببعض الثغور، فخرج فسمع في طريقه مغنيةً تغني:

من كان ذا شجنٍ بالشام يطلبه ... ففي سوى الشام أمسى الأهل والشجن

فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه فأفاق مختلطاً ووسوس. وقال قوم: كان يهوى جاريةً لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها فاختلط، وقيل إن السوداء غلبت عليه، وقيل كان خالد مغرماً بالغلمان ينفق عليهم كل ما يستفيد، فهوى غلاماً يقال له عبد الله، وكان أبو تمامٍ الطائي الشاعر يهواه. فقال فيه خالد:

قضيب بانٍ جناه ورد ... تحمله وجنة وخد
لم أثن طرفي إليه إلا ... مات عزاء وعاش وجد
ملك طوع النفوس حتى ... علمه الزهو حين يبدو
واجتمع الصد فيه حتى ... ليس لخلقٍ سواه صد

فبلغ ذلك أبا تمامٍ فقال فيه أبياتاً منها:

شعرك هذا كله مفرط ... في برده يا خالد البارد

فعلمها الصبيان فما زالوا يصيحون به يا خالد البارد حتى وسوس:

وهجا أبا تمامٍ في هذه القصة فقال:

يا معشر المرد إني ناصح لكم والمرء في القول بين الصدق والكذب

لا ينكحن حبيباً منك كم أحد فإن وجعاءه أعدى من الجرب

لا تأمنوا أن تعودوا بعد ثالثةٍ فتركبوا عمداً ليست من الخشب

وحدث ابنأبي سلالة الشاعر قال: دخلت بغداد في بعض السنين فينا أنا مار في طريقٍ إذا أنا برجلٍ عليه مبطنه وعلى رأسه قلنسوة سوداء وهو راكب على قصبةٍ والصبيان خلفه يصيحون: يا خالد البارد، فإذا آذوه حمل عليهم بالقصبة، فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرقوا وأدخلته بستاناً هناك فجلس واستراح، واشتريت له رطباً فأكل واستنشدته فأنشدني:

قد حاز قلبي فصار يملكه فكيف أسلو وكيف أتركه؟؟

رطيب جسمٍ كالماء تحسبه يخطر في القلب منه مسكله

يكاد يجري من القميص من الن نعمة لولا القميص يمسكه

ومن شعر خالدٍ أيضاً:

كبد شفها غليل التصابي بين عتبٍ وجفوةٍ وعذاب

كل يوم تدمي بجرح من الشو ق ونوعٍ مجددٍ من عتاب

يا سقيم الجفون أسقمت جسمي فاشفني كيف شئت لابك ما بي

إن أكن مذنباً فكن حسن العف و أو اجعل سوى للصدود عتابي

وقال:

يا تارك الجسم بلا قلب إن كنت أهواك فما ذنبي؟

يا مفرداً بالحسن أفردتني منك بطول الشوق والحب

إن تك عيني أبصرت فتنةً فهل على قلبي من عتب؟

فحسبك الله لما بي كما أنك في فعلك بي حسبي

توفي خالد الكاتب ستة تسعٍ وستين ومائتين ببغداد.

خداش بن بشر بن خالد

ابن الحارث أبو زيد التيميمي المعروف بالبعيث البصري، وكان خطيباً شاعراً مجيداً، وكان بينه وبين جريرٍ مهاجاة، فلج الهجاء بينهما نحواً من أربعين سنةً ولم يتغلب واحد منها على صاحبه، ولم يتهاج

شاعران في العرب في جاهلية ولا إسلام بمثل ما تهاجيا به، وكان الفرزدق يعين البعيث، والبعيث، يعين ابن أم غسان على جريرٍ. فمما قاله البعيث لجرير:

إذا طلع العيوق أول كوكبٍ ... كفى اللؤم عند النازحين جرير

ألست كليباً ثم أمك كلبة ... لها بين أطناب البيوت هرير

ولو عند غسان السليطي عرست ... رغا قرن منها وكاس عقير

أتنسى نساءً باليمامة منكم ... نكحن عبيداً ما لهن مهور؟

وقال له أيضاً:

كليب لئام الناس قد يعلمونها ... وأنت إذا عدت كليب ليئمها

أترجو كليب أن يجيء حديثها ... بخير وقد أعيا كليباً قديمها

وقال له أيضاً:

ألأن أمرعت معزى عطية وارتعت ... تلاعاً من المروت أحوى جميعها

تعرضت لي حتى صككتك صكةً ... على الوجه يكبو للدين أميمها

أليست كلب ألأم الناس كلهم ... وأنت إذا عدت كليب لئيمها؟

وقال له أيضاً:

أشاركتني في ثعلبٍ قد أكلته ... فلم يبق إلا رأسه وأكارعه

فدونك خصييه وما ضمت استه ... فإنك رمام خبيث مراتعه

وقال جرير له:

ألم تر أني قد رميت ابن فرتني ... بصماء لا يرجو الحياة أميمها

له أم سوء بئس ما قدمت له ... إذا فرط الأحساب عد قديمها

وأهاجيهما ونقائضهما كثيرة اكتفينا بما أوردناه منها. توفي البعيث سنة أربعٍ وثلاثين ومائةٍ بالبصرة في خلافة الوليد بن عبد الملك.

خرقة بن نباتة

ابن الزيد، عمرو بن عبد مناة الكلبي. شاعر إسلامي، قدم على حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية في دمشق، فجفاه حرب ولم يصله شيء، فهجاه فقال:

كأني ونضوى عند حرب بن خالدٍ ... من الجوع ذئبا قفرةٍ علزان

وباتت علينا جفوة ما نحبها وبتنا نقاسي ليلةً كثمان

وقال:

أجيري يا جميل دمي وهزي سناناً تطعنين به ونابا
لتعلم عامر الأجواد أنا إذا غضبت نبيت لها غضاباً

وقال:

وأرهبنا الخليفة واستمرت وجوه الأرض تغتصب اغتصابا
وقتلنا القبائل من عليمٍ وبيحنا قنافة والربابا

وقال:

كسع الشتاء بسبعةٍ غبر أيام شهلتنا من الشهر
فإذا انقضت أيام شهلته صن وصنبر مع الوبر
ويأمر وأخيه مؤتمرٍ ومعللٍ وبمطفيء الجمر
ذهب الشتاء مولياً عجلاً وأتتك واقدة من الحر

وقال:

إلى الله أشكو عبرةً قد أطلت ونفساً إذا ما عزها الشوق ذلت
تحن إلى أرض العراق ودونها تنائف لو تسري بها الريح ضلت

وقال:

يا عارم بن عقيلٍ كيف كفر كم كعباً ومنكم إليه ينتهي الشرف؟
أفنيتم الحر من سعدٍ ببارقةٍ يوم الغرابة ما في برقها خلف

مات سنة خمس عشرة ومائةٍ.

الخضر بن مروان

ابن أحمد بن أبي عبد الله الثعلبي أبو العباس الضرير التوماثي، بضم التاء المثناة وسكون الواو بعدها ميم وألف ثم ثاء مثلثة: بلد من بلاد الجزيرة، التارقي الجزري. ولد بالجزيرة ونشأ بميافارقين، وأصله من توماثا. وكان عالماً بالنحو مقرئاً فاضلاً أديباً عارفاً حسن الشعر كثير المحفوظ، قرأ اللغة على ابن الجواليقي والنحو على ابن الشجري، والفقه على أبي الحسن الأبنوسي، وكان ببغداد، وله محفوظات كثيرة منها:

المجمل، وشعر الهذليين، وشعر رؤبة وذي الرمة. لقيته بمرو وسرخس وينسابور في سنة أربعٍ وأربعين وخمسمائةٍ، وسألته عن مولده فقال سنة خمسٍ وخمسمائةٍ، وأنشدني لنفسه:

كتبت وقد أودى بمقلتي البكا ... وقد ذاب من شوقٍ إليك سوادها
فما وردت لي نحوكم من رسالةٍ ... وحقكم إلا وذاك سوداها

وقال أيضاً:

أنت في غمرة النعيم تعون ... لست تدري بأن ذا لا يدوم
كم رأينا من الملوك قديماً ... همدوا فالعظام منهم رميم؟
ما رأينا الزمان أبقى على شخ ... صٍ شقاءً فهل يدوم النعيم؟
والغني عند أهله مستعار ... فحميد به ومنهم ذميم

وقال:

مواعظ الدهر أدبتي ... وإنما يوعظ الأديب
لم يمض بؤس ولا نعيم ... إلا ولى فيهما نصيب

بلغتنا وفاته ببخارى سنة ثمانين وخمسمائة.

الخضر بن هبة الله الطائي

ابن أبي الهمام الطائي الشاعر البغدادي، دخل مصر وحضر بين يدي أمير المؤمنين الراشد بالله ابن المسترشد بالله، فأنشده على البديهة:

ولما شأوت الحاسدين إلى مدىً ... رفيعٍ تزل العصم دون مرامه
ورفعت الأستار لي دون سيدٍ ... شفى غلتي من بشره وسلامه
سطوت على صرف الزمان ببأسه ... وصلت على كيد العدا بانتقامه

ودخل علي الأمير علي بن صدقة فقال على البديهة أيضاً:

سأسكر ما أوليتني من منائحٍ ... زماني وإن كنت العيي المقصرا
نمتك قروم في الملاحم والندى ... إذا انتسبت كانت أسوداً وأبحرا
فكل كريمٍ غادرته مبخلاً ... وكل قديمٍ غادرته مؤخرا

وقدم الطائي إلى دمشق وامتدح بها واليها محمد بن بورى بن طغتكين، ومدح أبا الفتح نصر الله بن صالحٍ الهاشمي، ودخل عليه يوماً وقد افتصد فقال بديهةً:

لما مددت إليه راحة راحةٍ
من شأنها الإعطاء والإعدام

وحسرت ردن ملاءةٍ عن ساعدٍ
لا ساعدت أعداءه الأيام

أكبرت ما فعل الطبيب وهالني
من فعله التغرير والإقدام

وعجبت كيف جرى الحديد بمفصلٍ
في مدحه تتفاخر الأوهام

لكن أمرت ولو أشرت بنقمةٍ
يوماً لذاب بغمده الصمام

يا من له في كل قلبٍ هيبة
وله بكل رواجبٍ إنعام

أغنيت زين الدين طلاب الندى
وتباشرت بقدومك الأيتام

مض العراق فراق ظلك عنهم
وتهنأت بك جلق والشام

فبنو المكارم في البرية كلها
صنف وأنت مقدم وإمام

ولد الخضر البغدادي سنة تسعٍ وتسعين وأربعمائةٍ ومات سنة أربعٍ وستين وخمسمائةٍ.

خلف بن أحمد

القيرواني الشاعر. قال ابن رشيقٍ في النموذج: شاعر مطبوع بأدب إفريقية ودخل مصر وله شعر معروف جيد. مات بزويله المهدية سنة أربع عشرة وأربعمائةٍ ومن شعره.

هل الدهر يوماً بليلي يجود
وأيامنا باللوى هل تعود؟

عهود تقضت وعيش مضى
بنفسي ولله تلك العهود

ألا قل لسكان وادي الحمى
هنيئاً لكم في الجنان الخلود

أفيضوا علينا من الماء فيضاً
فنحن عطاش وأنتم ورود

خلف بن حيان

أبو محرزٍ البصري المعروف بالأحمر، مولى أبي بردة بلا لبن أبي موسى الأشعري أعتق بلال أبوية وكانا فرغانيين. قال أبو عبيدة معمر بن المثني: خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة. وقال الأخفش: لم أدرك أحداً أعلم با لشعر من خلفٍ الأحمروالأصمعي.

وقال ابن سلام: أجمع أصحابنا أن الأحمر كان أفرس الناس ببيت شعرٍ وأصدق لساناً وكنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه. وقال شمر: خلف الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة، وذلك أنه جاء إلى حمادٍ الراوية فسمع منه وكان ضنيناً بأدبه. وقال أبو الطيب عبد الواحد

اللغوي: كان خلف يضع الشعر وينسبه إلى العرب فلا يعرف، ثم نسك، وكان يختم القرآن كل ليلةٍ، وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً على أن يتكلم في بيت شعرٍ شكوا فيه فأبى. ولخلفٍ ديوان شعر حمله عنه أبو نواسٍ، وكتاب جبال العرب. توفي في حدود الثمانين ومائةٍ.

حدث الأصمعي قال: حضرنا مأدبةً ومعنا أبو محرز خلف الأحمر وحضرها ابن مناذرٍ الشاعر فقال لخلفٍ الأحمر: يا أبا محرز، إن يكن النابغة وامر القيس وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة، فقس شعري إلى شعرهم، واحكم فيها بالحق، فغضب خلف ثم أخذ صحفةً مملوءةً مرقاً فرمى بها عليه، فقام ابن مناذر مغضباً وأظنه هجاه بعد ذلك.

وحدث ابن سلامٍ قال: قال لي خلف الأحمر: كنت أسمع ببشار بن بردٍ أن أراه، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره، فاستنشدهم شيئاً من شعره فأنشدوني شيئاً لم أحمده فقلت: والله لآتينه ولأطأطئن منه، فأتيته وهو جالس على بابه فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة. فقلت: - لعن الله - من يبالي بهذا، فوقفت أتأمله طويلاً فبينا أنا كذلك إذ جاءه رجل فقال: إن فلاناً سبك عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك. فقال: أو قد فعل؟ قال: نعم. فأطرق وجلس الرجل عنده وجلست، وجاء قوم فسلموا عليه فلم يردد عليهم، فجعلوا ينظرون إليه وقد درت أوداجه، فلم يلبث إلا ساعةً حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفجمه فقال:

نبئت نائك أمه يغتابني	عند الأمر وهل علي أمير؟
ناري محرقة وبيتي واسع	للمعتفين ومجلسي معمور
ولي المهابة في الأحبة والعدا	وكأنني أسد له تامور
غرثت حليلته وأخطأ صيده	فله على لقم الطريق زئير

قال: فارتعدت والله فرائصي، واقشعر جلدي، وعظم في عيني جداً حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعدني من شرك. وكان بين خلفي الأحمر وبينأبي محمدٍ اليزيدي مهاجاة، فقال أبو محمدٍ فيه:

زعم الأحمر المقيت لدينا	والذي أمه تقر بمقته
أنه علم الكسائي نحواً	فلئن كان ذا كذاك فباسته

وهجا خلف أبا محمدٍ اليزيدي بقصيدة فائيةٍ تداولها الأفواه والأسماع، نسبه فيها إلى اللواطة مطلعها:

إني ومن وسج المطي له	حدب الذري إرقالها رجف
والمحرمين لصوتهم زجل	بفناء كعبته إذا هتفوا
مني إليه غير ذي كذبٍ	ما إن رأى قوم ولا عرفوا

في غابر الناس الذين بقوا　　والفرط الماضين من سلفوا

أحداً كيحى في الطعان اذا اف　　ترش القنا وتضعضع الحجف

في معركٍ يلقى الكمى به　　للوجه منبطحاً وينحرف

وإذا أكب القرن يتبعه　　طعناً دوين صلاه ينخسف

وهي طويلة نحو أربعين بيتاً اكتفينا بهذا المقدار منها؟

الخليل بن أحمد

ابن عمر بن تميمٍ أبو عبد الرحمن الفراهيدي، ويقال: الفرهودي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله ابن مالك بن مضر الأزدي البصري، سيد الأدباء في علمه وزهده.

قال السيرافي: كان الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله. أخذ عن أبي عمرو بن العلا وروى عن أيوب وعاصمٍ الأحول وغيرهما، وأخد عنه الأصمعي، وسيبويه، والنضر بن شميلٍ، وأبو فيد مؤرج السدوسي، وعلي بن نصرٍ الجهضمي وغيرهم، وهو أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب، يقال إنه دعا بمكة أن يرزقه الله تعالى علماً لم يسبق به، فرجع وفتح عليه بالعروض وكانت معرفته بالإيقاع هو الذي أحدث له علم العروض، وكان يقول الشعر فينظم البيتين والثلاثة ونحوها.

وكان سفيان النوري يقول: من أحب أن ينظر إلى رجلٍ خلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد، ويروي عن النضر بن شميلٍ أنه قال: كنا نمثل بين ابن عونٍ والخليل بن أحمد أيهما نقدم في الزهد والعبادة، فلا ندري أيهما نقدم؟ وكان يقول: ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة بعد ابن عونٍ من الخليل بن أحمد. وكان يقول: أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خصٍ لا يشعر به، وكان يحج سنةً ويغزو سنةً، وكان من الزهاد المنقطعين إلى الله تعالى، وكان يقول: إن لم تكن هذه الطائفة أولياء الله تعالى فليس لله ولي. وللخليل من التصانيف: كتاب الإيقاع، وكتاب الجمل، وكتاب الشواهد، وكتاب العروض، وكتاب العين في اللغة، ويقال: إنه لليث بن نصر بن سيارٍ عمل الخليل منه قطعةً وأكمله الليث. وله كتاب فائت العين، وكتاب النغم، وكتاب النقط والشكل وغير ذلك. وروى أنه كان يقطع بيتاً من الشعر فدخل عليه ولده في تلك الحالة فخرج إلى الناس وقال: إنأبي قد جن فدخل الناس عليه وهو يقطع البيت فأخبروه بما قال ابنه فقال له:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني　　أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني　　وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ووجه إليه سليمان بن علي وإلى الأهواز لتأديب ولده، فأخرج الخليل لرسوله سليمان خبزاً يابساً وقال: ما دمت أجده فلا حاجة بي إلى سليمان، فقال الرسول: فما أبلغه عنك؟ فقال:

أبلغ سليمان أني عنه في سعةٍ — وفي غنىً غير أني لست ذا مال
سخى بنفسي أني لا أرى أحداً — يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه — ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
فالرزق عن قدرٍ لا العجز ينقصه — ولا يزيدك فيه حول محتال

ومن شعره أيضاً:

وقبلك داوى الطبيب المريض — فعاش المريض ومات الطبيب
فكن مستعداً لدار الفناء — فإن الذي هو آتٍ قريب

توفي سنة ستين ومائةٍ وقيل سبعين ومائةٍ، وله أربع وسبعون سنةً.

الخليل بن أحمد بن محمد

ابن الخليل بن موسى السجزي. كان فقيهاً شاعراً محدثاً رحل في طلب الحديث إلى نيسابور ودمشق. قال الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور: كان الخليل شيخ أهل الرأي في عصره، وكان من أحسن الناس كلاماً في الوعظ والذكر مع تقدمه في الفقه والأدب، وكان ورد نيسابور قديماً مع محمد بن إسحق بن خزيمة وأقرانه، وسمع بالري والعراق والحجاز، وورد نيسابور محدثاً ومفيداً سنة تسعٍ وخمسين وثلاثمائةٍ، وسكن سجستان ثم انتقل إلى بلخٍ وسكنها، ومن شعره في مدحأبي حنيفة النعمان بن ثابتٍ وصاحبيه والأئمة القراء:

سأجعل لي النعمان في الفقه قدوةً — وسفيان في نقل الأحاديث سيداً
وفي ترك ما لم يعنني من عقيدةٍ — سأتبع يعقوب العلا ومحمدا
وأجعل حزبي من قراءة عاصمٍ — وحمزة بالتحقيق درساً مؤكدا
وأجعل في النحو الكسائي عمدتي — ومن بعده الفراء ما عشت سرمدا
وإن عدت للحج المبارك مرةً — جعلت لنفسي كوفة الخير مشهدا
فهذا اعتقادي وهو ديني ومذهبي — فمن شاء فليبرز ليلقى موحدا
ويلقي لساناً مثل سيفٍ مهندٍ — يفل إذا لاقي الحسام المهندا

وقال:

إذا ضاق باب الرزق عنك ببلدةٍ فثم بلاد رزقها غير ضيق
وإياك والسكني بدار مذلةٍ فتسقي بكأس الذلة المتدفق
فما ضاقت الدنيا عليك برحبها ولا باب رزق الله عنك بمغلق

وقال:

ليس التطاول رافعاً من جاهلٍ وكذا التواضع لا يضر بعاقل
لكن يزاد إذا تواضع رفعةً ثم التطاول ماله من حاصل

وقال:

رضيت من الدنيا بقوتٍ يقيمني ولا أبتغي من بعده أبداً فضلا
ولست أروم القوت إلا لأنه يعين على علمٍ أرد به جهلا
فما هذه الدنيا يكون نعيمها لأصغر ما في العلم من نكتةٍ عدلا

وقال:

ألله يجمع بيننا في غبطةٍ ويزيل وحشتنا بوشك تلاقٍ
ما طاب لي عيش فديتك بعدما ناحت علي حمامة بفراق
إن الإله لقد قضى في خلقه ألا يطيب العيش للمشتاق

توفي القاضي السجزي بسمرقند وهو قاضٍ بها سنة ثمانٍ وسبعين وثلاثمائةٍ، وقال أبو بكرٍ الخوارزمي يرثيه:

ولما رأينا الناس حيرى لهدةٍ بدت بأساس الدين بعد تأطد
أفضنا دموعاً بالدماء مشوبةً وقلنا: لقد مات الخليل بن أحمد

خميس بن علي

ابن أحمد بن علي بن إبراهيم بن الحسن أبو الكرم الواسطي الحوزي الحافظ النحوي الأديب الشاعر المحدث، حدث عن أبي القاسم عبد العزيز بن علي الأنماطي، وأبي منصورٍ محمد النديم العكبري، وأبي القاسم علي بن أحمد البشري وغيرهم من البغداديين والواسطيين، قال الحافظ أبو طاهرٍ السلفي: كان خميس من حفاظ الحديث المحققين بمعرفة رجاله، ومن أهل الأدب البارع، وله شعر غاية في الجودة، وفي شيوخه كثرة، وقد عقلت عنه فوائد وسألته عن رجالٍ من الرواة فأجاب بما أثبته في جزء ضخم وهو عندي وقد أملي علي نسبه وهو: خميس بن علي ابن أحمد بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن سلامويه الحوزي، ومولده سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة، وكان إتقانه مما يعول عليه. وفي كتاب ابن نقطة مولده

سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في شعبان، ومات في شعبان أيضاً بواسط سنة عشرس وخمسمائةٍ. ومن شعره:

تركت مقالات الكلام جميعها لمبتدعٍ يدعو بهن إلى الردى

ولازمت أصحاب الحديث لأنهم دعاة إلى سبل المكارم والهدى

وهل ترك الإنسان في الدين غايةً إذا قال قلدت النبيمحمدا؟

وقال:

من كان يرجو أن يرى من ساقطٍ أمراً سنيا

فلقد رجا أن يجتنى من عوسجٍ رطباً جنيا

خويلد بن خالد

ابن محرز بن زبيد بن أسد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن غنم بن سعد بن هذيلٍ الهذلي أبو ذؤيبٍ شاعر مجيد مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، قدم المدينة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه. روى عنه أنه قال: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلوا بالإحرام فقلت: مه؟ فقالوا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي روايةٍ أنه قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل وقع ذلك إلينا عن رجلٍ من الحي قدم معتماً فأوجس أهل الحي خيفةً وأشعرنا حزناً، فبت بليلةٍ باتت النجوم بها طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها، ولا يطلع نورها، فظللت أقاسي طولها وأقارع غولها حتى إذ كان دوين السمر وقرب السحر، خفت فهتف هاتف وهو يقول:

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبي محمد فعيوننا تذري الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيبٍ: فوثبت من نومي فزعاً فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعداً الذابح، فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض، أو أنه ميت فركبت ناقتي فسرت، فلما أصبحت طلبت شيئاً أزجره فعن لي القنفذ قد قبض على صلٍ – يعني حيةً – فهي تلتوي عليه والقنفذ يقضمه حتى أكله، فزجرت ذلك وقلت تلوي الصل انفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله، ثم أولت أكل القنفذ له غلبة القائم على الأمر. والحديث طويل ذكر فيه حضوره في سقيفة بني ساعدة، ومبايعة أبي بكرٍ – رضي الله عنه – وروى ابن سلامٍ عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: سئل حسان بن

ثابتٍ من أشعر الناس؟ قال: أحيا؟ قالوا: حياً، قال: أشعر الناس حياً هذيل، غير مدافعٍ أبو ذؤيبٍ. وقال ابن شبة: تقدم أبو ذؤيبٍ جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنية، ومطلعها:

أمن المنون وريبه تتوجع ... والدهر ليس بمعتبٍ من يجزع
قالت أميمة ما لجسمك شاحباً ... منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع؟
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعاً ... إلا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها أما لجسمي إنه ... أودي بني من البلاد فودعوا
أودي نبي فأعقبوني حسرةً ... بعد السرور وعبرةً ما تقلع

ومنها:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم ... وإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمةٍ لا تنفع
وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع
لابد من تلفٍ مقيمٍ فانتظر ... أبأرض قومك أم بأخرى المضجع؟

ومنها:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليلٍ تقنع
كم من جميعي الشمل ملتئمي الهوى ... كانوا بعيشٍ ناعمٍ فتصدعوا

وهي نحو سبعين بيتاً أورد ابن رشيقٍ أبياتاً منها في العمدة، وعدها في المطبوع من شعر العرب. ومن شعره ما أنشده له ثعلب:

وعيرها الواشون أني أحبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
فإن أعتذر منها فإني مكذب ... وإن تعتذر يردد علي اعتذارها

وشعرأبي ذؤيب كله على نمطٍ في الجودة وحسن السبك، وتوفي في غزوة إفريقية مع ابن الزبير، وقال وهو يجود بنفسه مخاطباً ابن أخيه أبا عبيدٍ:

أبا عبيدٍ وقع الكتاب ... واقترب الوعيد والحساب
وعند رحلي جملٌ منجاب ... أحمر في حاركه انصباب

ثم قضى نحبه ودلاه ابن الزبير في حفرته.

خيار بن أوفى النهدي

شاعر إسلامي دخل على معاوية فقال له: ما صنع بك الدهر؟ فقال يا أمير المؤمنين. صدع قناتي، وشيب سوادي، وأفنى لذاتي، وجرأ علي أعدائي، ولقد بقيت زماناً آنس بالأصحاب. وأسبل الثياب. وآلف الأحباب. فبادوا عني، ودنا الموت مني. فقال له أنشدني ما قلت في الخمر والنهي عنها، فقال:

أنهد بن زيدٍ ليس في الخمر رفعة | فلا تقربوها إنني غير فاعل
فأني وجدت الخمر شيئاً ولم يزل | أخو الخمر حلالاً شرار المنازل
فكم قد رأينا من فتى ذي جهالةٍ | صحا بعد أزمان وطول تجاهل
ومن سيدٍ قد قنعته مذلة | فعاش ذليلاً ضحكةً في المحافل
فلله أقوام تمادوا بشربها | فأضحوا وهم أحدوثة في القوافل

فقال معاوية: صدقت والله لكم من سيدٍ أدمنها فتركته ضحكةً وأحدوثةً، ومن ذي رغبةٍ فيها قد صحا عنها فصار سيد قومه، والله ما وضع شيء الرجل كما وضعه الشراب، والله لهي الداء العياء. مات خيار النهدي في خلافة يزيد بن معاوية.

باب الدال

داود بن القاضي

أحمدبن أبي داود. كان أديباً شاعراً فاضلاً، وكان صديقاً لمحمد بن بشيرٍ الرياضي الشاعر المشهور، وكان ابن بشيرٍ كثير التردد عليه، ففقد ابن بشيرٍ يوماً أهلوه، وطلبوه فلم يجدوه، وكان مع أصحاب له خرج معهم للنزهة فجاءوا إلى القاضي داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم اطلبوه في منزل حسنٍ المغنية، فإن وجدتموه وإلا فهو في حبسأبي شجاعٍ صاحب شرطة خمار التركي. فلما كان بعد أيامٍ جاء ابن بشيرٍ إليه فقال له: إيهٍ أيها القاضي، كيف دللت على أهلي؟ قال: كما بلغك، وقد قلت في ذلك أبياتاً، قال: أو فعلت ذلك أيضاً؟ زدني من برك، هات، أي شيء قلت؟ فأنشده:

ومرسلةٍ توجه كل يومٍ ... إلي وما دعا للصبح داعٍ

تسائلني وقد فقدوه حتى ... أرادوا بعده قسم المتاع

إذا لم تلقه في بيت حسنٍ ... مقيماً للشراب وللسماع

ولم ير في طريق بني سدوسٍ ... يخط الأرض منه بالكراع

يدف حزونها بالوجه طوراً ... وطوراً باليدين وبالذراع

فقد أعياك مطلبه وأمسى ... بلا شكٍ بحبسأبي شجاع

فجعل ابن بشيرٍ يضحك ويقول: أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف مصيره، ثم يبرح حتى أعطاه داود مائتي درهمٍ وخلع عليه.

داود بن أحمد بن يحيى

ابن الخضر أبو سليماني الداوودي الضرير الملهمي البغدادي المقريء الأديب. قرأ القرآن بالروايات على أبي الحسن علي بن عساكر البطائحي، وأبي الفضل أحمد بن محمد بن شفيف، وبرع في الأدب وكان مولعاً بشعرأبي العلاء المعري يحفظ منه جملةً صالحةً، ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة، توفي أبو سليمان ببغداد سنة خمس عشرة وستمائة، ومن شعره:

أعلل القلب بذكراكم ... والقلب يأبى غير لقياكم

حللتم قلبي وبنتم فما ... أدناكم كم مني وأقصاكم؟

يا حبذا ريح الصبا إنها ... تروح القلب برياكم

وقال:

إلى الرحمن أشكو ما ألاقي غداة غدٍ على هوج النياق
نشدتكم بمن زم المطايا أمر بكم أمر من الفراق؟
وهل داء أمر من التنائي وهل عيش ألذ من التلاقي؟

داود بن سلم

مولى بني تميم بن مرة شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان يسكن المدينة، وكان يقال له: الآدم لشدة سواده، وكان من أقبح الناس وجهاً وأشدهم بخلاً، طرقه قوم بالعقيق فصاحوا به العشاء والقرى يا بن سلمٍ، فقال لهم: لا عشاء لكم عندي ولا قرىً، قالوا: فأين قولك إذ تقول؟

يا دار هندٍ ألا حييت من دار لم أقض منك لباناتي وأوطاري
عودت فيها إذا ما الضيف نبهني عقر العشار على يسر وإعسار

قال: لستم من أولئك الذين عنيت.

وقدم داود دمشق فترل على حرب بن خالد بن يزيد ابن معاوية، فلما دخل داره قام غلمانه إلى متاعه فأدخلوه وحطوا عن راحلته، ثم دخل على حربٍ فأنشده:

فلما دفعت لأبوابهم ولاقيت حرباً لقيت النجاحا
وجدناه يحمده المجتدو ن، ويابي على العسر إلا سماحا
يغشون حتى ترى كلبهم يهاب الهرير وينسى النباحا

فأنزله وأكرمه وأجازه بجائزة عظيمةٍ، ثم استأذنه للخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار وقال له: لا إذن لك علي متى جئت، فوده وخرج من عنده وغلمانه جلوس فلم يقم إليه منهم أحد، فظن أن حرباً ساخط فرجع فقال له: إنك على موجدةٍ؟ قال: لا وما ذاك؟ فأخبره أن غلمانه لم يعينوه على رحله، فقال له: ارجع إليهم فسلهم، فرجع إليهم فقالوا له: إنا نترل من جاءنا ولا نخرج من خرج من عندنا. وكان داود منقطعاً إلى قثم بن العباس وفيه يقول:

نجوت من حلٍ ومن رحلةٍ يا ناق إن قربتني من قثم
إنك إن بلغتنيه غداً حالفني اليسر ومات العدم
لم يدر ما لا وبلى قد درى فعافها واعتاض منها نعم
أصم عن قيل الخنا سمعه وما عن الخير به من صمم

توفي داود بن سلمٍ في حدود سنة عشرين ومائةٍ.

داود بن الهيثم

ابن إسحاق بن البهلول بن حسان بن حسان بن سنانٍ أبو سعدٍ التنوخي الأنباري. قال الخطيب البغدادي في تاريخ مدينة السلام: كان نحوياً لغوياً حسن المعرفة بالعروض واستخراج المعمى، فصيحاً كثير الحفظ للنحو واللغة والأدب والأشعار، وله شعر جيد، أخذ عن ابن السكيت وثعلب، وسمع من جده إسحق وابن شبة، وأخذ عنه ابن الأزرق وجماعة، وله كتاب في النحو على مذهب ابن الأزرق وجماعة، وله كتاب في النحو على مذهب الكوفيين، وكتاب خلق الإنسان في اللغة وغير ذلك. مات بالأنبار سنة ست عشرة وثلاثمائة، وله ثمان وثمانون سنةً. ومن شعره:

بساتيها للمسك فيها روائح ... وأشجارها للريح فيها ملاعب
كأن هزيز الريح بين غصونها ... ضرائر أضحى بينهن تعاتب
كأن القباب الغر فيها مواكب ... تضيء كما أمست تضيء الكواكب
كأن فتيت المسك بين ترابها ... إذا ما تهادته الصبا والجنائب
ومن تحتها الأنهار تجري مياهها ... ففائضة منها ومنها سواكب
كأن مجاريها سبائك فضةٍ ... تذاب وأسياف تهز قواضب

دعبل بن علي

ابن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن أنس بن خزيمة. كذا قال أبو الفرج، وقال آخرون: دعبل بن علي بن رزين بن عثمان ابن عبد الله بن بديل بن ورقاء يتصل نسبه بمضر، أبو عليٍ الخزاعي، وعلى هذا الأكثر. شاعر مطبوع مفلق يقال: إن أصله من الكوفة وقيل من قرقيسيا وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلاد فدخل دمشق ومصر، وكان هجاءً خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من الوزراء ولا من أولادهم، ولا ذو نباهةٍ أحسن إليه أو لم يحسن، وكان بينه وبين الكميت بن زيدٍ وأبي سعدٍ المخزومي مناقضات، وكان من مشاهير الشيعة، وقصيدته التائية في أهل البيت من أحسن الشعر، وأسنى المدائح قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرةً آلاف درهمٍ وخلع عليه بردةً من ثيابه، فأعطاه بها أهل قمٍ ثلاثين ألف درهم فلم يبعها، فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم: إنها تراد لله عز وجل وهي محرمة عليكم، فدفعوا له ثلاثين ألف درهمٍ فحلف كما واحداً فكان في أكفانه، ويقال: إنه كتب القصيدة في ثوبٍ وأحرم فيه وأوصى

بأن يكون في أكفانه، ونسخ هذه القصيدة مختلفة، في بعضها زيادات يظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة، وإنا موردون هنا ما صح منها، قال:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ... ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منىً ... وبالركن والتعريف والجمرات
ديار عليٍ والحسين وجعفرٍ ... وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار عفاها كل جونٍ مباكر ... ولم تعف للأيام والسنوات
قفا نسأل الدار التي خف أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلوات؟
وأين الأولى شطت بهم غربة النوى ... أفانين في الآفاق مفترقات
هم أهل ميراث النبيإذا اعتزوا ... وهم خر قاداتٍ وخير حماة
وما الناس إلا حاسد ومكذب ... ومضطغن ذو إحنةٍ وترات
إذا ذكروا قتلى ببدرٍ وخيبرٍ ... ويوم حنين أسبلوا العبرات
قبور بكوفاتٍ وأخرى بطيبةٍ ... وأخرى بفخٍ نالها صلواتي
وقبر ببغداد لنفسٍ زكيةٍ ... تضمنها الرحمن في الغرفات
فأما المصمات التي لست بالغاً ... مبالغها مني بكنه صفات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً ... يفرج منها الهم والكربات
نفوس لدى النهرين من أرض كربلا ... معرسهم فيها بشط فرات
تقسمهم ريب الزمان كما ترى ... لهم عمرة مغشية الحجرات
سوى أن منهم بالمدينة عصبةً ... مدى الدهر أنضاء من الأزمات
قليلة زوارٍ سوى بعض زور ... من الضبع والعقبان والرخماتٍ

لهم كل حينٍ نومة بمضاجعٍ ... لهم في نواحي الأرض مختلفات
وقد كان منهم بالحجاز وأهلها ... مغاوير يختارون في السروات
تنكب لاواء السنين جوارهم ... فلا تصطليهم جمرة الجمرات
إذا وردوا خيلاً تشمس بالقنا ... مساعر جمر الموت والغمرات

وإن فخروا يوماً أتوا بمحمدٍ وجبريل والفرقان ذي السورات
ملامك في أهل النبيفإنهم أحباي ما عاشوا وأهل ثقاتي
تخيرتهم رشداً لأمري فإنهم على كل حالٍ خيرة الخيرات
فيا رب زدني من يقيني بصيرةً وزد حبهم يا رب في حسناتي
بنفسي أنتم من كهولٍ وفتيةٍ لفك عناةٍ أو لحمل ديات
أحب قصي الرحم من أجل حبكم وأهجر فيكم أسرتي وبناتي
وأكتم حبيكم مخافة كاشحٍ عنيدٍ لأهل الحق غير موات
لقد حفت الأيام حولي بشرها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أني من ثلاثين حجةً أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات
فآل رسول الله نحف جسومهم وآل زيادٍ حفل القصرات
بنات زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم أكفاً عن الأوتار منقبضات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ لقطع قلبي إثرهم حسراتي
خروج لا محالة خارج يقوم علي اسم الله والبركات
يميز فينا كل حقٍ وباطلٍ ويجزي على النعماء والنقمات
سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم كفاني ما ألقى من العبرات
فيا نفسس طيبي ثم يا نفس أبشري فغير بعيدٍ كل ما هو آت
فإن قرب الرحمن من تلك مدتي وأخر من عمري لطول حياتي
شفيت ولم أترك لنفسي رزيةً ورويت منهم منصلي وقناتي
أحاول نقل الشمس من مستقرها وأسمع أحجاراً من الصلدات
فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ يميل مع الأهواء والشبهات
قصاراى منهم أن أموت بغصةٍ تردد بين الصدر واللهوات
كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها لما ضمنت من شدة الزفرات

ومما يختار من شعر دعبلٍ قصيدته العينية التي رثي بها الحسين عليه السلام قال.

رأس ابن بنت محمدٍ ووصيه يا للرجال على قناةٍ ترفع
والمسلمون بمنظرٍ وبمسمعٍ لا جازع من ذا ولا متخشع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظرك العيون عمايةً وأصم نعيك كل أذنٍ تسمع
ما روضة إلا تمنت أنها لك مضجع ولخط قبرك موضع

ومن مختاراته أيضاً قوله:

خليلي ماذا أرتجي من غد امريءٍ طوى الكشح عني اليوم وهو مكين
وإن أمرأ قد ضن منه بمنطقٍ يسد به فقر امرئٍ لضنين

ومن مختار شعره قوله:

أين الشباب وأيةً سلكا؟ لا أين يطلب ضل بل هلكا؟؟
لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى
لا تأخذوا بظلامتي أحداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا

ولد عبل كتاب طبقات الشعراء. وديوان شعرٍ. مات سنة ستٍ وأربعين ومائتين.

دعوان بن علي

ابن حماد بن صدقة الجبائي أبو محمدٍ الضرير المقريء، كان من أعيان القراء ببغداد متميزاً بالقراءة، بصيراً بالعربية، حسن الطريقة والسمت. قرأ القرآن بالروايات على أبي طاهرٍ أحمد بن علي بن سوارٍ، وأبي الخطاب علي ابن عبد الرحمن، وأبي القاسم يحيى بن أحمد السبي، وسمع عن الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة النعالي، والحسين بن علي بن أحمد بن البسري، وأبي المعالي ثابت بن بندارٍ. وقرأ عليه القرآن خلق كثير، وروى عن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي، توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.

دكين بن رجاءٍ الفقيمي

راجز مشهور، وفد على الوليد بن عبد الملك وكان الوليد متأهباً لسباق الخيل فقاد دكين فرسه للسباق، فلما رآه الوليد وكان الفرد دميماً قال: أخرجوه من الحلبة، قبح الله هذا، فقال دكين يا أمير المؤمنين:

والله مالي مال غيره، فإن لم يسبق خيلك فهو حبيس في سبيل الله. فضحك الوليد وأمر بختمه وأرسلت الخيل فجاء سابقاً فقال دكين:

قد أغتدي والطير في أكنات ... يخدوني الشمأل في الفلاة
والليل لم يحسر عن القناة ... وللندى لم على لماتي
بذي شنيبٍ سابغ الصلعات ... ناتي المعد مشرف القطاة
من قارحٍ وأمنٍ وآت ... ومن رباعٍ ورباعيات
ومن ثنيٍ ومثنيات ... وجذعٍ عبلٍ ومجذعات
بتن على الجبل مسطرات ... حتى إذا انشقت دجى الظلمات
ووضع الخيل على اللبات ... وفرق الغلمان بالوصاة
من كل ذي قرطٍ مقزعات ... أرسلن يعبطن ذرى الصعدات
يسرى دوين الشمس ملخصات ... من قسطلان القاع مسحلات
حتى إذا كن بمهويات ... بالنصف بين الخط والغايات
عضبن أبيه على الشبات ... وسط سنا ضنطٍ ملحمات
مثل السراحين مصليات ... جاء أمام سبق الغايات
منهن من عرض للذمات

وقال يمدح مصعب بن الزبير:

يا ناق خبى بالقيود خببا ... حتى تزوري بالعراق مصعبا
قد علم الأنام إذ ينتخبا ... بيانه ورأيه المجربا
وفي الأمور عقله المؤدبا ... يامرسل الريح الجنوب والصبا
وآذاناً للفلك تجري خببا ... وخالق الاء وشيجاً نسبا
يعيد خلقاً بعد خلقٍ عجبا ... عظماً ولحماً ودماً وعصبا
خالاً وعما وابن عمٍ وأبا ... أعط الميأر مصعباً ما احتسبا
واجعل له من سلسبيلٍ مشربا ... فرعاً يزين المنبر المنصبا
قلباً دهياً ولساناً قصعبا ... هذا وإن قيل له هب وهبا

جوارياً وفضةً وذهبا والخيل يعلكن الحديد المنشبا
فوراً تلجلجن أبازيم الشبا قد جعل الناس إليه سببا

مات دكين بن رجاء سنة خمسٍ ومائةٍ.

دكين بن سعيدٍ الدارمي

التميمي الراجز، وهو غير دكين بن رجا المتقدم واشتبها على ابن قتيبة في طبقات الشعراء فجعلهما واحداً، ودكين بن سعيد هذا هو الذي كان منقطعاً إلى عمر بن عبد العزيز حين كان والياً بالمدينة يسامزه معأبي عونٍ وسالم بن عبد الله، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة قصده، فلما استأذن عليه قال له الحاجب: إنه في شغل برد المظالم، فترقب خروج عمر للصلاة فلما خرج ناداة فقال:

يا عمر الخيرات والمكارم وعمر الدسائع العظائم
إني امرؤ من قطن بن دارم أسد حق المسلم المسالم
بيع يمينٍ بالإخاء الدائم إذ تنتحى والله غير نائمٍ
ونحن في ظلمة ليلٍ عاتم عندأبي عونٍ وعند سالمٍ

فدخل عمر على أمهات أولاده فما زال يجمع من عندهن العشرة والعشرين حتى جمع له ثلاثمائة فأعطاه إياها. مات دكين هذا سنة تسعٍ ومائةٍ.

باب الذال

ذو القرنين بن ناصر الدولة

أبي محمدٍ الحسن بن عبد الله، أبو المطاع بن حمدان التغلبي المعروف بوجيه الدولة. كان أديباً فاضلاً شاعراً ولي إمرة دمشق سنة اثنتي عشرة وأربعمائةٍ. ثم عزل ثم وليها سنة خمس عشرة وأربعمائةٍ، وبقي إلى سنة تسع عشرة وأربعمائةٍ. ومن شعره:

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا — وشهدت حين نكرر التوديعا

أيقنت أن من الدموع محدثا — وعلمت أن من الحديث دموعا

وقال:

يا غانياً عن خلتي — أنا عنك إن فكرت أغنى

إن التقاطع والعقو — ق هما أزالا الملك عنا

وأظن أن لن يتركا — في الأرض مؤتلفين منا

يفنى الذي وقع التنا — زع بيننا فيه ونفنى

وقال:

بأبي من هويته فافترقنا — وقضى الله بعد ذاك اجتماعا

فافترقنا حولاص فلما التقينا — كان تسليمه علي وداعا

وقال:

أفدي الذي زرته بالسيف مشتملاً — ولحظ عينيه أمضى من مضاربه

فما خلعت نجادى للعناق له — حتى لبست نجاداً من ذوائبه

فإن أسعدنا في نيل بغيته — من كان في الحب أشقانا بصاحبه

وقال:

من كان يرضى بذلٍ في ولايته — خوف الزوال فإني لست بالراضى

قالوا فتركب أحياناً فقلت لهم — تحت الصليب ولا في موكب القاضي

توفي أبو المطاع بمصر في صفرٍ سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة.

باب الراء

راشد بن إسحاق بن راشد

أبو حليمة الكاتب، كان أديباً كاتباً شاعراً، ذكره ابن المرزبان في طبقات الشعراء وقال: كان أكثر شعره في رثاء متاعه، وإنما كان يقول ذلك لتهمة لحقته من الأمير عبد الله بن طاهرٍ - أيام كتابته له - في خادمٍ لعبد الله، واتصل راشد بالوزير محمد بن عبد الله الزيات، وله معه أخبار حسان.

حدث يحيى بن عبادٍ قال: حج محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون، فلما قدم من الحج كتب إليه راشد الكاتب يقول:

لا تنسى عهدي ولا مودتيه ... واشتق إلى طلعتي ورؤيتيه
فإن تجاوزت ما أقول إلى ال ... عصب فذاك المأمول منك ليه

فأجابه محمد بن عبد الملك.

إنك مني بحيث يطرد الن ... اظر من تحت ماء دمعتيه
ولا ومن زادني تودده ... على صحابي بفضل غيبتيه
ما أحسن الترك والخلاف لما ... تريد مني وماتقول ليه!
يابأبي أنت ما نسيتك في ... يوم دعائي ولا هديتيه
ناجيت بالذكر والدعاء لك الل ... ه لك الله رافعاً يديه
حتى إذا ما ظننت بالملك ال ... قادر أن قد أجاب دعوتيه
قمت إلى وضع النعال وقد ... أقمت عشرين صاحباً معيه
وقلت لي صاحب أريد له ... نعلاً ولو من جلود راحتيه
فانقطع القول عند واحدةٍ ... قال الذي اختارها بشارتيه
فقلت عندي البشارة والش ... شكر وقلا في جنب حاجتيه
ثم تخيرت بعد ذاك من ال ... عصب اليماني بفضل خبرتيه
موشيةً لم أزل ببائعها ... أرغب حتى زها علي بيه
يرفع في سومه وأرغبه ... حتى التقي زهده ورغبتيه
وقد أتاك الذي امرت به ... فاعذر بكثر الإنعام قلتيه

وقال راشد الكاتب وهو يجود بنفسه في مرضه الذي مات فيه بطريق مكة. و لم أقف له على شعرٍ خالٍ من الفحش والمجون غيرها:

أطبقت للنوم جفناً ليس ينطبق وبت والدمع في خدي يستبق
لم يسترح من له عين مؤرقة وكيف يعرف طعم الراحة الأرق؟
وددت لو تم لي حجي ففزت به ما كل ما تشتهيه النفس يتفق

ربيعة بن عامر

ابن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله ابن عدس بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميمٍ، الملقب بمسكينٍ، قال أبو عمرٍ الشيباني: وإنما لقب مسكيناً لقوله:

أنا مسكين لمن أنكرنى ولمن يعرفني جد نطق
لا أبيع الناس عرضي إننى لو أبيع النسا عرضي لنفق

وقال ابن قتيبة: وسمي المسكين لقوله:

وسميت مسكيناً وكانت لجاجةً وإني لمسكين إلى الله راغب

وكان مسكين شاعراً مجيداً سيداً شريفاً، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاةٌ، فدخل بينهما شيوخ بني عبد الله وبني مجاشعس فتكافا، واتقاه الفرزدق خشية أن يستعين عليه بجرير، واتقى مسكين الفرزدق خوفاً من أن يعينه عليه عبد الرحمن بن حسانٍ.

وقال الفرزدق: نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوت من زيادٍ حين طلبنى، ونجوت من ابني رميلة وقد نذرا دمى، وما فاتهما أحد طلباه، ونجوت من مهاجاة مسكينٍ الدارمى، لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدم شطر حسبى، لأنه من بحبوحة نسبي وأشراف عشيرتى، فكان جرير حينئذٍ ينتصف مني بيدي ولسانى.

ومن مختارات شعر مسكينٍ الدارمي قوله:

ولست إذا ما سرني الدهر ضاحكاً ولا خاشعاً ما عشت من حادث الدهر
ولا جاعلاً عضي لمالي وقايةً ولكن أقي عرضي فيحرزه وفرى
أعف لدي عسري وأبدى تجملاً ولا خر في من لا يعف لدى العسر
وإني لأستحي إذا كنت معسراً صديقي وإخواني بأن يعلموا فقرى
وأقطع إخواني وما حال عهدهم حياءً وإعراضاً وما بي من كبر

ومن يفتقر يعلم مكان صديقه		ومن يحيى لا يعدم بلاء من الدهر

ومن مستحسن شعره:

إتق الأحمق أن تصحبه		إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانباً		حركته الريح وهناً فانخرق
أو كصدعٍ في زجاج بينٍ		أو كفتقٍ وهو يعيى من رتق
وإذا جالسته في مجلسٍ		أفسد المجلس منه بالخرق
وإذا نهنهته كي يرعوى		زاد جهلاً وتمادى في الحمق
وإذا الفاحش لاقى فاحشاً		فهنا كم وافق الشن الطبق
إنما الفحش ومن يعتاده		كغراب السوء ما شاء نعق
أو حمار السوء إن اشبعته		رمح الناس وإن جاع نهق
أو كعبد السوء إن جوعته		سرق الجار وإن يشبع فسق
أو كغيرى رفعت من ذيلها		ثم أرخته ضراراً فانخرق
أيها السائل عما قد مضى		هل جديد مثل ملبوسٍ خلق

وقدم على معاوية فسأله أن يفرض له فأبى، فخرج من عنده وهو يقول.

أخاك أخاك إن من لا أخا له		كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحٍ
وإن ابن عم المر فاعلم جناحه		وهل ينهض البازي بغير جناح؟

وقال:

ناري ونار الجار واحدة		وإليه قبلي تنزل القدر
ماضر جاراً لي أجاوره		ألا يكون لبيته ستر
أغضى إذا ما جارتي برزت		حتى يواري جارتي الخدر
ويصم عما كان بينهما		سمعي وما بي غيره وقر

ربيعة بن يحيى

ابن معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب المعروف بأعشى بني تغلب، شاعر من شعراء الدولة الأموية، كان نصرانياً وعلى النصرانية مات سنة اثنتين وتسعين، وكان يتردد بين البداوة والحضارة،

فإذا حضر سكن الشام، وإذا بدا نزل بنواحي الموصل ودار ربيعة حيث منازل قومه. ومن شعره قوله يمدح بني عبد المدان الحارثيين:

فكعبة نجران حتم علي ... ك حتى تناخى بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيح ... وقيساً همو خير أربابها

يبادرنا الورد والياسم ... ين والمسمعات بأقصابها

وبربطنا دائم معمل ... فأي الثلاثة أزرى بها؟

ولما التقينا على آلةٍ ... ومدت إلى بأسبابها

إذا الخير آتٍ فلوت بهم ... وجروا أسافل هدابها

وقال:

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس فيها كوكب شرق ... موزر بعميم النبت مشتمل

يوماً بأطيب منها نشر رائحةٍ ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

ربيعة بن ثابت

ابن لجإ بن العيزار بن لجأٍ الأسدي أبو ثابت الرقي الشاعر، استقدمه أمير المؤمنين المهدي فمدحه بعدة قصائد مشهورةٍ فأجازه وأجزل صلته، وهو الذي قال في يزيد بن حاتمٍ المهلبي ويزيد بن أسيدٍ السلمي:

لشتان ما بن اليزيدين في الندى ... يزيد سليمٍ والأغر ابن حاتم

يزيد سليمٍ سالم المال والغنى ... أخو الأزد للأموال غير مسالم

فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله ... وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

وهو الذي يقول في العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قصيدته المشهورة التي لم يسبق إليها إجادةً ومنها:

لو قيل للعباس يا بن محمدٍ قل ... لا وأنت مخلد ما قالها

ما إن أعد من المكارم خصلةً ... إلا وجدتك عمها أو خالها

وإذا الملوك تسايروا في بلدةٍ ... كانوا كواكبها وكنت هلالها

إن المكارم لم تزل معقولةً ... حتى حللت براحتيك عقالها

فبعث إليه العباس بدينارين فقال:

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحةً ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافتريت
فأنت المرء ليس له وفاء كأني إذ مدحتك قد رثيت

فلما بلغت العباس غضب وتوجه إلى الرشيد فقال: إن ربيعة الرقي قد هجاني فأحضره وهم بقتله: فقال يا أمير المؤمنين: مره بإحضار القصيدة فأحضرها، فلما سمعها استحسنها وقال: والله ما قال أحد في الخلفاء مثلها فكم أثابك؟ قال: دينارين، فغضب الرشيد بن العباس وقال: يا غلام أعط ربيعة ثلاثين ألف درهمٍ وخلعةً واحمله على بغلةٍ. وقال له: بحياتي لا تذكره في شعرك لا تعريضاً ولا تصريحاً. وكان الرشيد قد هم بأن يزوج العباس ابنته ففتر عنه لذلك. توفي ربيعة الرقي سنة ثمانٍ وتسعين ومائةٍ.

رزق الله بن عبد الوهاب

التميمي البغدادي. أديب شاعر مجيد لا أعرف من أمره غير هذا، توفي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائةٍ.

ومن شعره:

بأبي حبيب زارني متنكراً فبدا الوشاة له فولي معرضا
فكأنني وكأنه وكأنهم أمل ونيل حال بينهما القضا

وقال:

شارع دار الرقيق أرقني فليت دار الرقيق لم تكن
به فتاة للقلب فاتنة أنا فداء لوجهها الحسن

رزين العروضي الشاعر

أخذ عن عبد الله بن هارون بن السميدع البصري العروضي مؤدب آل سليمان، وكان عبد الله بن هارون يقول أوزاناً غريبةً من العروض، فنحا رزين نحوه في ذلك، فأتى فيه ببدائع جمةٍ، وكان رزين من أصحاب دعبلٍ الخزاعي الشاع. حدث دعبل أنه نزل هو ورزين بقومٍ من بني مخزومٍ فلم يقروهما ولا أحسنوا ضيافتهما، قال دعبل فقلت فيهم:

عصابة من بني مخزوم بت بهم بحيث لا تطمع المسحاة في الطين

ثم قلت لرزين أجز، فقال:

في مضغ أعراضهم من خبزهن عوض بني النفاق وأبناء الملاعين

ومن شعر رزينٍ أيضاً:

كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل

تؤدي إليه أن كل ثنيةٍ ... تيممها ترمي غليه بقاتل

وقال:

خير الصديق هو الصدوق مقالةً ... وكذاك شرهم المنون الأكذب

فإذا غدوت له تريد نجازه ... بالوعد راغ كما يروغ الثعلب

توفي رزين العروضي سنة سبعٍ وأربعين ومائتين

رسته بن أبي الأبيض الأصبهاني

الضرير الشاعر. ذكره حمزة بن الحسن الأصبهاني في تاريخ أصبهان فقال: كان مليح الشعر أشبه الناس شعراً ببشار بن برد، حمل من أصبهان إلى بغداد وأدخل على زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد وكان دميماً فلما رأته قالت: تسمع بالمعدي خير من أن تراه. فقال رشته: أيتها السيدة، إنما المرء بأصغريه، ثم أنشدها وأخذ جائزتها. وله شعر كثير ومنه قوله:

أيها الإخوة الذين لساني ... من قديم الزمان عنهم كليل

جئتكم للسلام حتى إذا ما ... صحت شهراً كما يصيح الدليل

قيل قد أدخل الخوان عليهم ... قلت مالي إذا إليهم سبيل

وقال:

قد مات كل نبيلٍ ... ومات كل نبيه

وما كل أديبٍ ... وفاضلٍ وفقيه

لا يوحشنك طريق ... كل الخلائق فيه

مات رستة سنة خمس وسبعين ومائةٍ

رمضان بن رستم

ابن محمد بن عليبن رستم بن هردوز، فخر الدين ابن الساعاتي الخراساني الأصل الدمشقي، وهو أخو بهاء الدين أبي الحسن علي بن رستم بن الساعاتي الشاعر المشهور، وكان فخر الدين هذا طبيباً فاضلاً أديباً شاعراً. وله معرفة تامة بالمنطق والعلوم الحكمية، وكان يكتب خطا منسوباً في غاية الجودة، وتلقى صناعة

الطب عن رضي الدين أبي الحجاج يوسف بن حيدرٍ الرحبي الموجود الآن في دمشق، ولازمه زماناً طويلاً، والعلوم الأدبية عن تاج الدين زيدٍ الكندي، وكان خبيراً بعلم الموسيقى ويحسن الضرب بالعود، لقيته بدمشق وحضرت مجالسه غير مرة، وبلغتنا وفاته سنة ثماني عشرة وستمائةٍ. وله من التصانيف: حواش على القانون لابن سينا، وتكملة كتاب القولنج له، والمختار من الأشعار، وغير ذلك، ومن شعره:

وروضةٍ زاد بالأترج بهجتها ... في صفرة اللون يحكي لون مسكين

عجبت منه فما أدرى أصفرته ... من فرقة الغصن أم من خوف سكين؟؟

وقال:

يحسدني قومي على صنعتي ... لأنني بينهم فارس

سهرت في ليلى واستنعسوا ... لن يستوي الدارس والناعس

وقال:

حسب المحب تلذذ بغرامه ... من كل ما يهوي وما يتحبب

راح المحبة لا تريح بروحها ... من كان في شئ سواها يرغب

الرماح بن أبرد

أبن ثوبان بن سراقة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوعٍ أو شرحبيل المري المعروف بابن ميادة وهي أمه وكانت صقلبيةً، وكان يزعم أنها فارسية. وهو شاعر مجيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. مات في خلافة المنصور سنة تسعٍ وأربعين ومائةٍ، ومن شعره يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمه في العجم:

أليس غلام بين كسرى وظالمٍ ... بأكرم من نيطت عليه التمائم؟

لو أن جميع الناس كانوا بتلعةٍ ... وجئت بجدي ظالمٍ وابن ظالم

لظلت رقاب الناس خاضعةً لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

ومن مختار شعره قصيدته البائية التي مدح بها الوليد ابن يزيد ومطلعها:

هل تعرف الدار بالعلياء غيرها ... سافي الرياح ومستن له طنب

دار لبيضاء مسود مسائحها ... كأنها ظبية ترعى وتنتصب

تحنو لأكحل ألقته بمضيعةٍ ... فقلبها شفقاً من حوله يجب

يا أطيب الناس ريقاً بعد هجعتها ... وأملح الناس عيناً حين تنتقب

ليست تجود بنيلٍ حين أسألها ... ولست عند خلاء اللهو أغتصب
في مرفقيها إذا ما عولجت حجم ... على الضجيج وفي أنيابها شنب
وليلةٍ ذات أهوالٍ كواكبها ... مثل القناديل فيها الزيت واللهب
قد جبتها جوب ذي المقراض ممطرةٍ ... إذا استوى مغفلات البيد والحدب
بعنتريسٍ كأن الدبر يلسعها ... إذا ترنم حادٍ خلفها طرب
إلى الوليد أبي العباس قد عجلت ... ودونه المعط من لبنان والكتب
أعطيتني مائةً صفراً مدامعها ... كالمخل زين أعلى نبته الشرب
يسوقها يافع جعد مفارقه ... مثل الغراب غزاه الصر والحلب
وذا سبيبٍ صهيبياً له عرف ... وهامة ذات فرقٍ نابها صخب
لما أتيتك من نجد وساكنه ... نفحت لي نفحةً طارت بها العرب
إني امرؤ أعتفي الحاجات أطلبها ... كما اعتفي سنق يلقي له العشب
ولا ألح على الخلان أسألهم ... كما يلح بعظم القارب القتب
ولا أخادع ندماني لأخدعه ... عن ماله حين يسترخي به لبب

وأنت وابناك لم يوجد لكم مثل ... ثلاثة كلهم بالتاج معتصب
ألطيبون إذا طابت نفوسهم ... شوس الحواجب والأبصار إن غضبوا
قسني إلى شعراء الناس كلهم ... وادع الرواة إذا ما غب ما اجتلبوا
إني وإن قال أقوام مديحهم ... فأحسنوه وما مانوا وما كذبوا
أجري أمامهم جري امرئٍ فلجٍ ... عنانه حين يجري ليس يضطرب

وقال أيضاً:

لقد سبقتك اليوم عيناك سبقةً ... وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه
وتذكار عيشٍ قد مضى ليس راجعاً ... لنا أبداً أو يرجع الدر حالبه
كأن فؤادي في يدٍ خبثت به ... محاذرةً أن يقضب الحبل قاضبه
وأشفق من وشك الفراق وإنني ... أظن لمحمول عليه فراكبه

فو الله ما أدرى أيغلبني الهوى إذا جد جد البين أم أنا غالبه

فإن أستطيع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

وشعر ابن ميادة كثير اكتفينا بما ذكرناه منه

رؤبة بن العجاج

واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن أسد بن صخر بن كنيف بن عميرة يتصل نسبة بزيد بن مناة، الراجز المشهور من مخضرمي الدولتين ومن أعراب البصرة. سمع من أبي هريرة – رضي الله عنه – والنسابة البكري، وعداده في التابعين. وروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى، والنضر بن شميلٍ وخلف الأحمر وغيرهم. وله رجز مشهور مات في زمن المصور سنة خمسٍ وأربعين ومائةٍ. ومن رجزه:

إذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضاها ولا تملق

واعمد لأخرى ذات دلٍ مونق لينة المس كمس الخرنق

إذا مضت مثل السياط المشق

ومنه وهو مشهور:

من يك ذا بتٍ فهذا بتى مقيظ مصيف مشتى

أخذته من نعجات ست

وله شعر قليل منه:

أيها الشامت المعير الشي ب أقلن بالشباب افتخارا

قد لبست الشباب غضا طريفاً فوجدت الشباب ثوباً معارا

باب الزاء

زاكي بن كامل بن علي

أبو الفضائل المعروف بالمهذب الهبتي القطيفي الملقب بأسير الهوى. كان أديباً فاضلاً شاعراً رقيق الشعر. مات سنة ستٍ وأربعين وخمسمائةٍ. ومن شعره:

عيناك لحظهما أمضى من القدر ومهجتي منهما أضحت على خطر
يا أحسن الناس لولا أنت أبخلهم ماذا يضرك لو متعت بالنظر؟
جد بالخيال وإن ضنت يداك به فقد حذرت وما وقيت من حذر
يا من تمكن في قلبي الغرام به لا تبتلي مقلتي بالدمع والسهر
زود بتوديعةٍ أو وقفةٍ فعسى تحيى بها نضو أشواقٍ على سفر

وقال:

أفعال ألحاظه المرضى الصحاح بنا أضعاف ما يفعل الصمصامة الذكر
عجبت من جفنة بالضعف منتصراً على القلوب ويقوى وهو منكسر
ومن لهيب خدودٍ كلما سقيت ماء الشباب بنار الحسن تستعر
إن مج في الشرق من فيه الرضاب ترى من عرف رياه أهل الغرب قد سكروا
شهود صدق غرامي فيك أربعة الوجد والدمع والأسقام والسهر

وقال:

سيدي ما عنك لي عوض طال بي في حبك المرض
كم بلا ذنبٍ تهددني فجفوني ليس تغتمض
أبغير الهجر تقتلنى؟ لا أبالي، هجرك الغرض
ورضائي في رضاك فقل ما تشاء لست أعترض
أنت لي داء أموت به كم أداويه وينتقض

زائدة بن نعمة بن نعيمٍ

أبو نعمة التتري المعروف بالمحفحف، كان شاعراً جيد الشعر نقي الألفاظ مختارها، رقيق المعاني، يمدح السادات وأهل البيوتات، لقيته بحلب سنة ثمانين وخمسمائةٍ، وتوفي سنة ست وثمانين وخمسمائة، ومن شعره:

أصبح الربع من سمية خالي غير هين وناشط وغوال
وثلاث كأنهن حمام في رمال وأشعث الرأس بال

هللته الرياح مما توالى نسجها بالغدو والآصال
من قبول ومن دبورٍ سنوجٍ وجنوبٍ ومن صباً وشمال
يجلب الغيث غير سيب حياه برسوم الديار والأطلال
كل نبتٍ من الربيع وزهرٍ مثل جيدٍ من العرائس حالي
وكذاك الذي عهدنا لديه في ظلال الخيام أو في الحجال
كل براقة الثنايا تراها برقيق الغروب عذبٍ زلال
وكأن الغمام من بعد وهنٍ مازجته بقرقفٍ جريال
كنت في عينها كمرود كحلٍ صرت في عينها كشوك السبال
حيث صار السواد مني بياضاً وتبدلت أرذل الإبدال

زبان بن العلاء

ابن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث ابن جلهمة بن حجر بن خزاعة بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان، الإمام أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة. واختلف في اسمه على أحدٍ وعشرين قولاً، والصحيح أنه زبان لما روي أن الفرزدق جاء معتذراً إليه من أجل هجوٍ بلغه عنه، فقال له أبو عمروٍ:

هجوت زبان ثم جئت معتذراً من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

ولد أبو عمروٍ بمكة سنة ثمانٍ أو خمسٍ وستين، ومات بالكوفة سنة أربعٍ وخمسين ومائة، أخذ بمكة: والمدينة والكوفة والبصرة عن شيوخٍ كثيرةٍ منهم أنس بن مالكٍ، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد. وأخذ النحو عن نصر بن عاصمٍ الليثي، وأخذ عنه القراءة عرضاً وسماعاً جماعة كثيرون منهم: عبد الله ابن المبارك واليزيدي، وأخذ عنه النحو الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيبٍ البصري، وأبو محمد اليزيدي، وأخذ عنه الأدب وغيره طائفة منهم: أبو عبيدة معمر ابن المثنى، والأصمعي، ومعاذ بن مسلمٍ النحوي وغيرهم. وروى عنه الحروف سيبويه، وكان أعلم الناس بالعربية والقرآن، وأيام العرب والشعر. وكان يونس بن حبيبٍ يقول: لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شئ كان ينبغي أن

يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء، وقال أبو عبيدة: أبو عمروٍ أعلم الناس بالقراءات العربية وأيام العرب والشعر، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف ثم تنسك فأحرقها، وأما حاله في أهل الحديث فقد وثقه يحيى بن معينٍ وغيره وقالوا: صدوق حدة في القراءة وله أخبار حسان، وروى عنه فوائد كثيرة يطول ذكرها.

الزبير بن كبار بن عبد الله

ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله القرشي لأسدي، كان علامةً نسابةً أخبارياً وعلى كتابه في أنساب قريش الاعتماد في معرفة نساب القرشيين، أخذ عن سفيان بن عيينة وغيره، وروى عنه ابن ماجة وابن أبي الدنيا وغيرهما. وكان ثقةً من أوعية العلم ولا يلتفت لقول أحمد بن علي السلماني فيه: إنه منكر الحديث حدث موسى بن هارون قال: كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر فاستأذن عليه الزبير بن بكارٍ، فلما دخل عليه أكرمه وعظمه وقال له: إن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب، وإن أمير المؤمنين أمرني أن أدعوك وأقلدك القضاء، فقال له الزبير بن بكارٍ: أبعد ما بلغت هذا السن ورويت أن من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكينٍ أتولى القضاء؟ فقال له: فتلحق بأمير المؤمنين بسر من رأى فقال له: أفعل، فأرم له بعشرة آلاف درهمٍ وعشرة تخوت ثيابٍ وظهرٍ حمله ويحمل ثقله إلى حضرة سر من رأى، فلما أراد الانصراف قال له: إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شياً نرويه عنك ونذكرك به، قال نعم. انصرفت من عمرة المحرم فبينا أنا بأثاية العرج إذ أنا بجماعةٍ مجتمعةٍ فأقبلت إليهم، وإذا برجلٍ كان يقنص الظباء وقد وقع ظبي في حبالته، فذبحه فانتقض في يده فضرب بقرته صدره فنشب القرن فيه فمات، وإذا بفتاةٍ أقبلت كأنها الملهاة. فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت:

يا خشن لو بطل لكنه أجل ... على الأثاية ما أودى به البطل
يا خشن جمع أحشائي وأقلقها ... وذاك يا خشن لولا غيره جلل
أضحت فتاة بني نهدٍ علانيةً ... وبعلها في أكف القوم محتمل

وكنت راغبةً فيه أضن به ... فحال من دون ظبي الريمة الأجل

ثم شهقت فماتت، فما رأيت أعجب به من الثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل جريح ميت، والفتاة ميتة. فلما خرج قال الأمير محمد بن عبد الله: أي شيء أفدنا من الشيخ؟ قالوا: الأمير أعلم، قال: قوله:

أضحت فتاة بني نهدٍ علانية

أي ظاهرةً وهذا حرف لم أسمعه في كلام العرب قبل اليوم. ثم ولى الزبير بن بكارٍ قضاء مكة، ومات بها وهو قاض عليها ليلة الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ستٍ وخمسين ومائتين، وللزبير بن بكار من

التصانيف: كتاب أنساب قريشٍ وأخبارها. وكتاب أخبار العرب وأيامها. وكتاب نوادر أخبار النسب. وكتاب الموفقيات في الأخبار، ألفه للموفق بالله، وكتاب مزاح النبي صلى الله عليه وسلم. وكتاب وفود النعمان على كسرى: وكتاب الأوس والخزرج. وكتاب النخل. قال ابن النديم: رأيته بخط ابن السكري، وكتاب نوادر المدنيين: وكتاب الاختلاف. وكتاب العقيق وأخباره. وكتاب إغارة كثير على الشعراء. وأخبار ابن ميادة. وأخبار ابن الدمينة. وأخبار ابن قيس الرقيات. وأخبار أبي دعبلٍ الجمحي. وأخبار أبي السائب. وأخبار الأشعث. وأخبار الأحوص. وأخبار ابن هرمة. وأخبار توبة بن الحمير وليلى الأخيلية وأخبار أمية بن أبي الصلت. وأخبار حاتمٍ. وأخبار حسانٍ، وأخبار جميل، وأخبار عبد الرحمن بن حسان وأخبار العرجي، وأخبار عمر بن أبي ربيعة، وأخبار كثيرٍ، وأخبار المجنون، وأخبار نصيبٍ، وأخبار هدبة ابن الخشرم، وأخبار زيادٍ وغير ذلك.

زند بن الجون

المعروف بأبي دلامة الكوفي، أسود، من موالي بني أسدٍ، أدرك آخر أيام بني أمية، ونبغ في أيام بني العباس، وانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي، ومات في خلافة المهدي سنة إحدى وستين ومائتين. وله مع الخلفاء والأمراء أخبار كثيرة ونوادر جمة، فمن ذلك أنا أبا جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال، ودراريع كتب عليها: "فسيكفيكم الله وهو السميع العليم". وأن يعلقوا السيوف في المناطق، فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي، فقال له المنصور: كيف أصبحت يا أبا دلامة؟ قال: بشر حالٍ يا أمير المؤمنين، قال: كيف ذلك ويلك؟ قال: وما ظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه في وسطه، وسيفه على استه، ونبذ كتاب الله وراء ظهره، وصبغ بالسواد ثيابه، فضحك المنصور ووصله، وأمر بتغيير ذلك الزي، وفي ذلك يقول أبو دلامة:

وكنا نرجى من إمامٍ زيادةً ... فجاد بطولٍ زاده في القلانس
نراها على هام الرجال كأنها ... دنان يهودٍ جللت بالبرانس

وخرج أبو دلامة مع روح بن حاتمٍ المهلبي في بعث لقتال الشراة، فلما نشبت الحرب أمره روح بمبارزة فارس من الشراة يدعو إلى البراز، فقال أبو دلامة:

أني أعوذ بروحٍ أن يقدمني ... إلى البراز فتخزي بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه ... مما يفرق بين الروح والجسد
قد خالفتك المنايا إن صمدت لها ... وإنها لجميع الخلق بالرصد
إن المهلب حب الموت أورثكم ... وما ورثت اختيار الموت عن أحد

لو أن لي مهجةً أخرى لجدت بها لكنها خلقت فرداً فلم أجد

فضحك منه روح وأعفاه. ولأبي دلامة شعر كثير كله جيد وفيما أوردناه منه كفاية.

زياد بن سلمى

أبن عبد القيس، أبو أمامة العبدي، المعروف بزيادٍ الأعجم، مولى عبد القيس، قيل له الأعجم للكنةٍ كانت فيه. أدرك أبا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص، وشهد معهما فتح إصطخر. عده ابن سلامٍ في الطبقة السادسة من شعراء الإسلام، وهم الفرزدق بهجاء عبد القيس، فأرسل إليه زياد: لا تعجل حتى أهدي إليك هديةً، فبعث إليه:

فما ترك الهاجون لي إن هجوته مصحاً أراه في أديم الفرزدق

وما تركوا عظماً يرى تحت لحمه لكاسره أبقوه للمتعرق

سأكسر ما أبقوه لي من عظامه وأنكت مخ الساق منه وأنتقي

وإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فلما بلغ الفرزدق الشعر قال: ما إلى هجاء هؤلاء من سبيلٍ ما عاش هذا العبد.

ودخل زياد على عبد الله بن جعفر فسأله في خمس دياتٍ فأعطاه، ثم عاد فسأله في خمس دياتٍ أخر فأعطاه، ثم عاد فسأله في عشر دياتٍ فأعطاه، فأنشأ يقول:

سألناه الجزيل فما تلكا وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا فأحسن ثم عدت له فعادا

مراراً لا أعود إليه إلا تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

وقال يرثي المغيرة بن المهلب:

إن السماحة والمروءة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح

مات المغيرة بعد طول تعرضٍ للموت بين أسنةٍ وصفائح

فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرفٍ سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخا دمٍ وذبائح

وهي من أحسن المراثي. توفي زياد في حدود المائة.

زيد بن الحسن

ابن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث ذي رعينٍ، تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي ثم الدمشقي النحوي، اللغوي المقرئ المحدث. ولد ببغداد سنة عشرين وخمسمائة. وتوفي بدمشق سنة سبع وتسعين وخمسمائة. قرأ النحو على أبي محمدٍ سبط أبي منصورٍ الخياط، وعلى أبي السعادات هبة الله بن الشجري وابن الخشاب، واللغة على أبي منصورٍ موهوبٍ الجواليقي، ومع الحديث من ابن عبد الباقي وآخرين. قدم دمشق فتقدم فيها وتصدر وازدحم عليه الطلاب، وانتقل من مذهب الحنابلة إلى مذهب الحنفية، فتوغل فيه وأفتى واستوزره فروخ شاه، ثم اتصل بأخيه صاحب حماة. واختص به وقرأ عليه الملك المعظم عيسى العربية، فأقرأه كتاب سيبويه والإيضاح لأبي علي الفارسي، وشرح سيبويه لابن درستويه. وقرأ عليه جماعة القراءة والنحو واللغة. وكتب الخط المنسوب وكانت له خزانة كتب جليلة في جامع بني أمية. وله تعليقات على ديوان المتنبي وأخرى على خطب ابن نباتة وكتاب نتف اللحية من ابن دحية رد فيه على ابن دحية الكلبي في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي، وكتاب في الفرق بين قول القائل طلقتك إن دخلت الدار وبين إن دخلت الدار طلقتك، ألفه جواباً لسؤالٍ ورد عليه، وله غير ذلك: ومن شعره:

لامني في اختصار كتبي حبيب ... فرقت بينه الليالي وبيني
ليتني قد أطلت لكن عذرى ... فيه أن المداد إنسان عيني

زيد بن الحسن

الأحاظي التميمي، أديب شاعر كان بعد الخمسمائة، ومن شعره قوله في سلطان شاحط من بلاد اليمن:

قالوا لنا السلطان في شاحطٍ ... يأتي الزما من موضع الغائط
قلت هل السلطان من فوقه ... قالوا بل السلطان من هابط؟

زيد بن علي

ابن عبد الله أبو القاسم الفارسي الفسوي، كان علامةً فاضلاً نحوياً لغوياً مشاركاً في عدة علومٍ، أخذ النحو عن أبي الحسين ابن أخت أبي عليٍ الفارسي، وروى عنه الإيضاح لخاله، وقرأ على الشريف أبي البركات عمر بن إبراهيم الكوفي، وأخذ الحديث عن أبي ذرٍ الهروي وغيره، وأقرأ العربية بحلب ودمشق، وله شرح الإيضاح في النحو لأبي عليٍ الفارسي، وشرح الحماسة لأبي تمامٍ وغير ذلك. مات بطرابلس في ذي الحجة سنة سبعٍ وستين وأربعمائة.

باب السين

سالم بن أحمد

ابن سالمٍ شيخنا أبو المرجي بن أبي الصقر التميمي الحاجب المعروف بالمنتخب، النحوي العروضي البغدادي، كان أديباً فاضلاً نحوياً منفرداً بالعروض، سمع صحيح مسلمٍ من المؤيد الطوسي، وكان محبوباً حسن الأخلاق. قرأت عليه العربية والعروض ببغداد، وله أرجوزة في النحو، وكتاب في العروض، وكتاب في القوافي، وكتاب في صناعة الشعر وغير ذلك. مات ببغداد يوم الأحد خامس ذي القعدة سنة إحدى عشرة وستمائةٍ.

السائب بن فروخ

أبو العباس الضرير المكي الشاعر، مولى بني جذيمة ابن عدي بن الديل. سمع عبد الله بن عمرو بن العاص، وروى عنه عطاء وحبيب بن أبي ثابتٍ وعمرو بن دينار ووثقه أحمد، وروى له البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة، وكان منحرفاً عن آل أبي طالبٍ مائلاً إلى بني أمية مادحاً لهم، وهو القائل لأبي الطفيل عامر بن واثلة وكان شيعياً:

لعمرك إنني وأبا طفيل ... لمختلفان والله الشهيد

لقد ضلوا بحب أبي تراب ... كما ضلت عن الحق اليهود

وهو القال رثى بني أميةً عند انقضاء دولتهم:

أمست نساء بني أمية أيماً ... وبناتهم بمضيعةٍ أيتام

نامت جدودهم وأسقط نجمهم ... والنجم يسقط والجدود تنام

خلت المنابر والأسرة منهم ... فعليهم حتى الممات سلام

توفي أبو العباس الأعمى بعد سنة ستٍ وثلاثين ومائةٍ.

سحيم بن حفصٍ

أبو اليقظان الأخباري النسابة. توفي سنة تسعين ومائة، ذكره ابن النديم وذكر له من المصنفات: كتاب أخبار تميمٍ، كتاب حلق تميمٍ بعضها بعضاً، كتاب نسب خندفٍ وأخبارها، كتاب النسب الكثير كتاب النوادر.

سراج بن عبد الملك بن سراج

أبو الحسين بن أبي مروان النحوي اللغوي الأخباري الأديب الشاعر، كان عالم الأندلس في وقته، كان يجتمع إليه مهرة النحاة كابن الأبرش وابن البادش ومن في طبقتهما يتلقون عنه لوقوفه على دقائق النحو ولغات العرب وأشعارها وأخبارها، روى عنه القاضي عياض وابن خيرة وغيرهما. ومن شعره:

بث الصنائع لا تحفل بموقعها ... في آملٍ شكر المعروف أو كفرا

كالغيث ليس يبالي حينما انكسبت ... منها الغمائم ترباً كان أو حجرا

مات ابن أبي مروان سنة ثمانٍ وخمسمائة.

السري بن أحمد بن السري

أبو الحسن الكندي المعروف بالسري الرفاء الموصلي الشاعر المشهور. أسلمه أبوه صبياً للرفائين بالوصل فكان يرفو ويطرز، وكان مع ذلك ينظم الشعر ويجيد فيه. كتب إليه في ذلك الحال صديق له يسأل عن خبره وحاله في حرفته فكتب إليه:

يكفيك من جملة أخباري ... يسري من الحب وإعساري

في سوقةٍ أفضلهم مرتدٍ ... نقصاً ففضلي بينهم عاري

وكانت الإبرة فيما مضى ... صائنةً وجهي وأشعاري

فأصبح الرزق بها ضيقاً ... كأنه من ثقبها جاري

فلما جاد شعره انتقل من حرفة الرفو إلى حرفة الأدب، واشتغل بالوراقة فكان ينسخ ديوان شعر كشاجم وكان مغري به، وكان يدس فيما يكتبه منه أحسن شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه، ويشنع بذلك على الخالديين لعداوةٍ كانت بينه وبينهما فكان يدعى عليهما سرقة شعره وشعر غره، فكان فيما يدسه من شعرهما في ديوان كشاجم، يتوخى اثبات مدعاة، ولم يزل السرى في ضنكٍ من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ومدحه وأقام بحضرته فاشتهر وبعد صيته، ونفق سوق شعره عند أمراء بني حمدان ورؤساء الشام والعراق، ولما مات سيف الدولة انتقل السري إلى بغداد ومدح الوزير المهلبي وغيره من الأعيان والصدور فارتفق وارتزق، وحسنت حاله وسار شعره في الآفاق، وللسري تصانيف منها: كتاب الديرة، وكتاب المحب والمحبوب. والمشموم والمشروب وديوان شعرٍ يدخل في مجلدين. وكانت وفاته ببغداد سنة اثنتين وستين وثلاثمائةٍ. ومن مدائحه لسيف الدولة قوله:

أعزمتك الشهاب أم النهار ... وراحتك السحاب أم البحار؟؟

خلقت منيةً ومنىً وتضحى ... تمور بك البسيطة أو تمار

تحلى الدين أو تحمى حماه فأنت عليه سور أو سوار

ومنها:

حضرنا والملوك له قيام تغض نواظراً فيها انكسار
وزرنا منه ليث الغاب طلقاً ولم نر قبله ليثاً يزار
فعشت مخيراً لك في الأماني وكان على العدو لك الخيار
وضيفك للحيا المنهل ضف وجارك للربيع الطلق جار

ومن غرر شعره في الغزل قوله.

بلاني الحب فيك بما بلاني فشأني أن تفيض غروب شاني
أبيت الليل مرتقباً أناجي بصدق الوجد كاذبة ذ
فتشهد لي على الأرق الثريا ويعلم ما أجن الفرقدان
إذا دنت الخيام به فأهلاً بذاك الخيم والخيم الدواني
فبين سجوفها أقمار تمٍ وبين عمادها أغصان بان
ومذهبة الخدود بجلنارٍ مفضضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من رياك ريا وحيانا بأوجهك الحسان

ستصرف طاعتي عمن نهاني دموع فيك تلحى من لحاني
ولم أجهل نصيحته ولكن جنون الحب أحلى في جناني
فيا ولع العواذل خل عنى ويا كف الغرام خذي عناني

وقال في الورد:

لو رحبت كأس بذي زورةٍ لرحبت بالورد إذ زارها
جاء فخلناها خدوداً بدت مضرمةً من خجل نارها
وعطر الدنيا فطابت به لا عدمت دنياه عطارها

وقال:

وروضةٍ بات طل الغيث ينسجها حتى إذا نسجت أضحى يديجها

إذا تنفس فيه ريح نرجسها ... ناغى جنى خزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفي يده ... كأس كشعلة نارٍ إذ يؤججها
لا تمزجنها بغير الريق منك وإن ... تبخل بذاك فدمعي سوف يمزجها
أقل ما بي من حبيك أن يدي ... إذا دنت من فؤادي كان ينضجها

سعدان بن المبارك

أبو عثمان الضرير النحوي الراوية مولى عاتكة مولاة المهدي امرأة المعلى بن طريفٍ الذي ينسب إليه نهر المعلى ببغداد. كان من رواة العلم والأدب كوفي المذهب. روى عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، وروى عنه محمد بن الحسن بن دينارٍ الهاشمي. وله من المصنفات: كتاب النقائض، وكتاب الأمثال. مات سنة عشرين ومائتين.

سعد بن أحمد بن مكي

النيلي المؤدب الشيعي. كان نحوياً فاضلاً عالماً بالأدب مغالياً في التشيع، له شعر جيد أكثره في مديح أهل البيت، وله غزل رقيق. مات سنة خمسٍ وستين وخمسمائةٍ وقد ناهز المائة. ومن شعره:

قمر أقام قيامتي بقوامه ... لم لا يجود لمهجتي بذمامه؟
ملكته كبدي فأتلف مهجتي ... بجمال بهجته وحسن كلامه
وبمبسمٍ عذبٍ كأن رضابة ... شهد مذاب في عبير مدامه
وبناظرٍ غنجٍ وطرفٍ أحورٍ ... صمى القلوب إذا رمى بسهامه
وكأن خط عذاره في خده ... شمس تجلت وهي تحت لثامه
فالصبح يسفر من ضياء جبينه ... والليل يقبل من أثيث ظلامه
والظبي ليس لحاظه كلحاظه ... والغصن ليس قوامه كقوامه
قمر كأن الحسن يعشق بعضه ... بعضاً فساعده على قسامه
فالحسن من تلقائه وورائه ... ويمينه وشماله وأمامه
ويكاد من ترفٍ لرقة خصره ... ينقد بالأرداف عند قيامه

سعد بن الحسن بن سليمان

أبو محمد النوراني الحراني النحوي الأديب الشاعر، كان تاجراً يسافر إلى الشام والعراق ومصر وخراسان، وسكن بغداد مرةً وأخذ فيها عن أبي منصورٍ موهوبٍ الجواليقي وغيره، وكان عارفاً بالنحو جيد النظم والنثر. مات سنة ثمانين وخمسمائةٍ ومن شعره.

ولست كمن أخنى عليه زمانه فظل على أحداثه يتعتب

تلذ له الشكوى وإن لم يجد بها شفاءً كما يلتذ بالحك أجرب

وقال:

جاءت تسائل عن ليلى فقلت لها وصورة الهم تمحو صورة الجذل

ليلى بكفك بأغنى عن سؤالك لي إن بنت طال وإن واصلت لم يطل

سعد بن الحسن بن شدادٍ

أبو عثمان المعروف بالناجم، كان أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً، وكان بينه وبين ابن الرومي صحبة ومودة ومخاطبات توفي سنة أربع عشرة وثلاثمائةٍ ومن شعره:

شدو ألد من ابتدا ء العين في إغفائها

أحلى وأشهى من منى نفسٍ ونيل رجائها

وقال:

علمي بأنك جاهل هو جنة لك من غيابي

والصمت عنك وصرم حب لى منك أبلغ من عتابي

وجواب مثلك أن يقا بل بالسكوت عن الجواب

ما زلت أعلم عن كلا ب الناس فعل أخي اجتناب

وأبيحهم صفح الذنوب فكيف عن كلب الكلاب؟

وقال:

لئن كان عن عيني أحمد غائباً فما هو عن عين الضمير بغائب

له صورة في القلب لم يقصها النوى ولم تتخطفها أكف النوائب

إذا ساءني منه نزوح دياره وضاقت علي في نواه مذاهبي

عطفت على شخصٍ له غير نازحٍ محلته بين الحشا والترائب

وقال:

قالوا اشتكت وجنتنا وجهه		قلت لهم أحسن ما كان
حمرة ورد الخد أعدتهما		والصبغ قد ينفذ أحيانا

سعد بن علي بن القاسم

ابن علي بن القاسم، أبو المعالي الأنصاري الحظيري ثم البغدادي المعروف بالوراق دلال الكتب، كان أديباً فاضلاً شاعراً رقيق الشعر، وله مصنفات منها: زينة الدهر وعصرة أهل العصر في ذكر لطائف شعراء العصر، ذيل به دمية القصر للباخرزي الذي جعله ذيلاً على يتيمة الدهر للثعالبي، وله كتاب لمح الملح، وديوان الشعر توفي ببغداد يوم الاثنين خامس عشر من صفرٍ سنة ثمانٍ وستين وخمسمائةٍ، ومن شعره:

اشرب على طرب من كف ذي طربٍ		قد قام في طربٍ يسعى إلى طرب
من خندريسٍ كعين الديك صافيةٍ		و ما تخيرها كسرى من العنب
فالراح من ذهبٍ والكأس من ذهبٍ		يا من رأى ذهباً يسقي على ذهب!

وقال:

ومعذرٍ في خده		ورد وفي فمه مدام
ما لان لي حتى تغ		شى صبح طلعته ظلام
كالمهر يجمح تحت را		كبه ويعطفه اللجام

وقال:

وددت من الشوق المبرح أنني		أعار جناحي طائرٍ فأطير
فما لنعيمٍ لست به لذاذة		ولا لسرورٍ لست فيه سرور

وقال.

قل لمن عاب شامةً لحبيبي		دون فيه دع الملامة فيه
إنما الشامة التي قلت عنها		فص فيروزجٍ بخاتم فيه

سعد بن محمد بن علي

ابن الحسن بن سعيد بن مطر بن مالك بن الحارث ابن سنان الأزدي أبو طالبٍ المعروف بالوحيد البغدادي، كان عالماً بالنحو واللغة والعروض بارعاً في الأدب، أخذ عنه أبو غالب بن بشران النجوى وغيره، وله شرح ديوان المتنبي. مات سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائةٍ. ومن شعره:

ليس الأديب أخا الروا يةِ للنوادر والغريب
ولشعر شيخ المحدثي نَ أبي نواسٍ أو حبيب
بل ذو التفضل والمرو ءة والعفاف هو الأديب

وقال:

لو تجلى لي الزمان للاقى مسمعيه مني عتاب طويل
إنما نكثر الملامة للده ر لأن الكرام فيه قليل

سعد بن محمد بن سعد

ابن الصيفي التميمي، شهاب الدين أبو الفوارس، المعروف بحيص بيص، الفقيه الأديب الشاعر، كان من أعلم الناس بأخبارالعرب ولغاتهم وأشعارهم، أخذ عنه الحافظ أبو سعدٍ السمعاني وقرأ عليه ديوان شعره وديوان رسائله، وذكره في ذيل مدينة السلام وأثنى عليه، وأخذ الناس عنه علماً وأدباً كثيراً، وكان لا يخاطب أحداً إلا بكلام مغربٍ، وإنما قيل له حيص بيص، لأنه رأى الناس يوماً في أمر شديدٍ، فقال: ما للناس في حيص بيص، فبقي عليه هذا اللقب.

مات ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربعٍ وسبعين وخمسمائةٍ ببغداد، ومن تقعر الحيص بيص في كتابته: ما حدث به بعض أصحابه أنه نقه من مرضٍ فوصف له صاحبه هبة الله البغدادي الطبيب أكل الدراج فمضى غلامه واشترى دراجاً واجتازعلي باب أميرٍ وغلمانه بالعيون، فخطف أحدهم الدراج فأتى الغلام الحيص بيص وأخبره الخبر فقال له: ائتني بدواةٍ وقرطاسٍ فأتاه بهما فكتب إلى ذلك الأمير: لو كان مبتز دراجةٍ فتخاءٍ كاسرٍ وقف بها السغب بين التدويم والتمطر فهي تعقى وتسف وكان بحيث تنقل أخفاف الإبل لوجب الإغذاذ إلى نصرته، فكيف وهو ببحبوحة كرمك والسلام. ثم قال لغلامه: امض بها وأحسن السفارة بإيصالها للأمير، فمضى بها ودفعها للحاجب فدعا الأمير بكاتبه وناوله الرقعة فقرأها ثم فكر ليعبر له عن المعنى فقال له الأمير: ما هو؟ فقال: مضمون الكلام أن غلاماً من غلمان الأمر أخذ دراجاً من غلامه. فقال: اشتر له قفصاً مملوءاً دراجاً واحمله إليه ففعل.

وكتب إلى أمين الدولة ابن التلميذ يطلب منه شياف أبارٍ. أزكنك أيها الطب اللب الآسى النطاسي النفيس النقريس، أرجنت عندك أم خنورٍ، وسكعت عنك أم هوبرٍ، أني مستأخذ أشعر في حنادري رطباً ليس كلب شبوةٍ ولا كنخر المنصحة ولا كنكز الحضب بل كسفع الزخيخ، فأنا من التباشير إلى الغباشير، لا أعرف ابن سميرٍ من ابن جميرٍ، ولا أحس صفوان من همام، بل آونةً أرجحن شاصباً وفينةً أحنبطي

مقلولياً وتارةً أعرنزم، وطوراً أسلنقي، كل ذلك مع أخٍ وأخٍ، وهم قرونتي أن أرفع عقيرتي بعاطٍ عاطٍ إلى هياط، ومياطٍ وهالى أول وأهون، وجبار ودبار ومؤنس وعروبة وشيار، ولا أحيص ولا أليص، ولا أغر ندي ولا أسرندي، فبادرني بشياف الأبار، النافع لعلتي النافع لغلتي.

فلما قرأ أمين الدولة رقعته نهض لوقته وأخذ حفنة شياف أبارٍ، وقال لبعض أصحابه: أوصلها إليه عاجلاً ولا تتكلف قراءة ورقةٍ ثانية.

ومن شعره يمدح المقتفي لأمر الله:

ماذا أقول إذا الرواة ترنموا ... بفصيح شعري في الإمام العادل
واستحسن الفصحاء شأن قصيدةٍ ... لأجل ممدوحٍ وأفصح قائل
وترنحت أعطافهم فكأنما ... في كل قافيةٍ سلافة بابل
ثم انثنوا غب القريض وصنعه ... يتساءلون عن الندى والنائل
هب يا أمير المؤمنين بأننى ... فس الفصاحة ما جواب السائل؟

ودخل ابن القطان يوماً على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال: قد عملت بيتين هما نسيج وحده، وأنشد:

زار الخيال بخيلاً مثل مرسله ... فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط إلا كي يوافيني ... على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما: تقول في دعواه؟ هذه فقال: إن أنشدهما ثانيةً سمع لهما ثالثاً، فأنشدهما فقال الحيص بيص:

وما درى أن نومي حيلة نصبت ... لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل؟

وحدث نصر الله بن مجلي قال: رأيت في المنام علي ابن أبي طالبٍ – رضي الله عنه – فقلت له يا أمير المؤمنين: تفتحون مكة فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ماتم؟ فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا؟ فقلت لا، فقال اسمعا منه. فلما استيقظت بادرت إلى دار الحيص بيص، فخرج إلي فذكرت له الرؤيا فأجهش بالبكاء وحلف بالله أنه ما سمعها منه أحد وأنه نظمها في ليلته هذه ثم أنشدني:

ملكنا فكان العفو منا سجيةً ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا عن الأسرى نعف وتصفح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

ومن شعره أيضاً:

ألعين تبدي الذي في قلب صاحبها من الشناءة أو حبٍ إذا كانا

إن البغيض له عين تكشفه لا تستطيع لما في القلب كتمانا

فالعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

سعد بن هاشم بن سعيد

وينتهي نسبه إلى عبد القيس، أبو عثمان الخالدي البصري، كان وأخوه أبو بكرٍ أديبي البصرة وشاعريها في وقتهما، وكان بينهما وبين السري الرفاء الموصلي ما يكون بين المتعاصرين من التغاير والتضاغن، فكان يدعي عليهما سرقة شعره وشعر غيره ويدس شعرهما في ديوان كشاجم ليثبت مدعاه كما بينا ذلك في ترجمة السري. وقال ابن النديم: قال لي الخالدي وقد تعجبت من كثرة حفظه: أنا أحفظ ألف سفرٍ كل سفرٍ مائة ورقةٍ، وكان هو وأخوه مع ذلك إذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه حياً كان أو ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر، ولكن كذا كان طبعهما، وكلام ابن النديم هذا فيه موافقة للسري الرفاء أو مجاراة له والله أعلم. ثم قال ابن النديم: وقد عمل أبو عثمان شعره وشعر أخيه قبل موته، وله تصانيف: منها حماسة شعر المحدثين وغير ذلك. توفي أبو عثمان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائةٍ، ومن شعره:

يا قضيباً يميس تحت هلالٍ وهلالاً يرنو بعيني غزال

منك يا شمسنا تعلمت الشم س دنو السنا وبعد المنال

وقال:

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها قهوةً تترك الحليم سفيها

لست تدري لرقةٍ وصفاءٍ هي في كأسها أم الكأس فيها؟

وقال:

بغداد قد صار خيرها شراً صيرها الله مثل سامرا

أطلب وفتش واحرص فلست ترى في أهلها حرةً ولا حرا

وقال:

فهاتها كالعروس قانية ال خدين في معجزٍ من الحبب

كادت تكون الهواء في أرج ال | عنبر لو لم تكن من العنب
فلو ترى الكاس حين تمزجها | رأيت شيئاً من أعجب العجب
نار حواها الزجاج يلهبها ال | ماء ودر يدور في لهب

وقال:

يا راقداً عارياً من ثوب أسقامي | هب الرقاد لعينٍ جفنها دامي
لا خلص الله قلبي من يدي رشأٍ | رؤيا رجائي له أضغاث أحلام

وقال:

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسى | كأنه أنا مقياساً بمقياس
قطر كدمعي وبرق مثل نار جوىً | في القلب مني وريح مثل أنفاسي

سعيد بن الحكم

أبو عبد الله بن أبي مريم النسابة: ذكره ابن النديم وقال: له من التصانيف كتاب المآثر. وكتاب النسب. وكتاب نواقل العرب.

سعيد بن أوس بن ثابت

ابن بشير بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج أبو زيدٍ الأنصاري الخزرجي البصري النحوي اللغوي الإمام الأديب، وإنما غلبت عليه اللغة والغريب والنوادر فانفرد بذلك. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلامٍ وعمرو بن عبيدٍ وأبو العيناء، وأبو حاتمٍ السجستاني وعمر ابن شبة، ورؤبة بن العجاج وغيرهم، وروى الحديث عن ابن عونٍ وجماعةٍ، وكان ثقةً ثبتاً، قرأ عليه خلف البزار وكان يرمي بالقدر، ولكن دفع ذلك عنه أبو حاتمٍ وقال: هو صدوق، وروى الحسين بن الحسن الرازي عن ابن معين أنه صدوق، ووثقه خزرة وغيره. ولينه ابن حيان لأنه وهم في سند حديث "أسفروا بالفجر"، وروى له أبو داود في سننه والترمذي في جامعه.
وكان سفيان الثوري يقول: قال لي ابن مناذر: أصف لك أصحابك؟ أما الأصمعي فأحفظ الناس، وأما أبو عبيدة فأجمعهم، وأما أبو زيدٍ الأنصاري فأوثقهم، وقال صالح بن محمد: أبو زيدٍ النحوي ثقة.
ويروى عن أبي عبيدة والأصمعي أنهما سئلا عن أبي زيدٍ الأنصاري فقالاً: ما شئت من عفاف وتقوى وإسلامٍ، وكان سيبويه إذا قال سمعت الثقة يريد به أبا زيدٍ الأنصاري، وقال المبرد: كان أبو زيدٍ عالماً بالنحو و لم يكن مثل الخليل وسيبويه، وكان يونس من باب أبي زيدٍ في العلم واللغات، وكان أعلم من أبي زيدٍ بالنحو، وأبو زيد أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو.

وقال أبو عثمان المازني: كنا عند أبي زيدٍ فجاء الأصمعي وأكب على رأسه يقبلها وجلس وقال: هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة. توفي أبو زيد بالبصرة سنة خمس عشرة ومائتين في خلافة المأمون وقد جاوز التسعين. وله من التصانيف: كتاب الإبل والشاء، وكتاب إيمان عثمان، وكتاب بيوتات العرب، وكتاب تخفيف الهزة، وكتاب الجمع والتثنية، وكتاب حيلة ومحالةٍ، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الجود والبخل، وكتاب الأمثال، وكتاب الحلبة، وكتاب التضارب، وكتاب التثليث، وكتاب الغرائز، وكتاب غريب الأسماء، وكتاب الفرق، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب قراءة أبي عمرٍ، وكتاب القوس والترس، وكتاب اللامات، وكتاب اللغات، وكتاب اللبن، وكتاب المطر، وكتاب المياه، وكتاب المقتضب وكتاب المصادر، وكتاب المكتوم، وكتاب المنطق، وكتاب النبات والشجر، وكتاب النوادر، وكتاب الهمزة، وكتاب الوحوش وغير ذلك.

سعيد بن سعيدٍ

الفارقي أبو القاسم النحوي. أخذ عن الربعي وابن خالويه، وكان بارعاً في العربية أديباً فاضلاً، له تصانيف منها: كتاب تقسيمات العوامل وعللها، وكتاب تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب للمبرد وغير ذلك. مات مقتولاً بالقاهرة عند بستان الخندق يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائةٍ. ومن شعره:

من آنسته البلاد لم يرم ... منها ومن أوحشته لم يقم
ومن يبث والهموم قادحة ... في صدره بالزناد لم ينم

سعيد بن عبد العزيز

ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد المؤمن بن طيفور أبو سهلٍ النيلي. كان أديباً شاعراً نحوياً فقيهاً طبيباً عالماً بصناعة الطب. وله من التصانيف: اختصار كتاب المسائل لحنينٍ، وتلخيص شرح فصول بقراط لجالينوس مع نكتٍ من شرح أبي بكر الرازي وغير ذلك. مات سنة عشرين وأربعمائةٍ ومن شعره:

يا مفدي العذار والجد والقد ... بنفسي وما أراها كثيرا
ومعيري من سقم عينيه سقماً ... دمت مضنيً به ودمت معيرا
اسقني الراح تشف لوعة قلبٍ ... بات مذ بنت للهموم سميرا
هي في الكأس خمرة فإذا ما ... أفرغت في الحشا استحالت سرورا

سعيد بن الفرج

أبو عثمان الرشاشي مولى بني أمية، كان أديباً فاضلاً عالماً باللغة والشعر، وكان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة للعرب، ويضرب المثل بفصاحته، إلا أنه كان كثير التقعر في كلامه، رحل إلى المشرق ودخل بغداد ومصر فأقام بها مدةً. توفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين.

سعيد بن المبارك

ابن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر ابن عاصم بن عباد بن عاصمٍ، وينتهي نسبه إلى كعب ابن عمروٍ الأنصاري أبو محمدٍ المعروف بابن الدهان النحوي، كان من أعيان النحاة وأفاضل اللغويين، أخذ عن الرماني اللغة والعربية، وسمع الحديث من أبي غالبٍ أحمد بن البناء، وأبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين وغيرهما، وأخذ عنه الخطيب التبريزي وجماعته، ولد سنة أربعٍ وتسعين وأربعمائةٍ، بنهر طابقٍ، وتوفي بالموصل ليلة عيد الفطر سنة تسعٍ وستين وخمسمائةٍ، وله تصانيف منها: تفسير القرآن أربع مجلداتٍ، وشرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في أربعين مجلدةً، وشرح اللمع في العربية لابن جني سماه الغرة، وكتاب الأضداد وإزالة المراء في الغين والراء، وكتاب الدروس في النحو، وكتاب الدروس في العروض، وكتاب الرياضة، وكتاب الضاد والظاء وسماه الغنية، وكتاب المعقود في المقصور والممدود، وتفسير الفاتحة، وتفسير سورة الإخلاص، والفصول في النحو، والمختصر في القوافي، وشرح بيتٍ من شعر الملك الصالح بن رزيك في عشرين كراسةٍ، والنكت والإشارات على ألسنة الحيوانات، وديوان شعرٍ، وديوان رسائل.

وكان مع سعة علمه سقيم الحظ كبير الغلط، وهذا عجيب منه، وخرج من بغداد إلى دمشق فاجتازعلى الموصل وبها وزيرها الجواد المشهور فارتبطه وصدره وغرقت كتبه في بغداد وهو غائب فحملت إليه فبخرها باللادن ليقطع الرائحة الرديئة عنها إلى أن بخرها بنحو ثلاثين رطلاً، فطلع ذلك إلى رأسه وعينه فأحدث له العمى. ومن شعره:

لا تحسبن أن بالكت ... ب مثلنا ستصير

فللدجاجة ريش ... لكنها لا تطير

وقال:

وأخٍ رخصت عليه حتى ملني ... والشيء مملول إذا ما يرخص

ما في زمانك من يعز وجوده ... إن رمته إلا صديق مخلص

سعيد بن محمد بن جريج

أبو عقالٍ القيرواني الكاتب الأديب. كاتب القاضي سليمان بن عمران قاضي إفريقية. مات سنة تسعٍ وسبعين ومائتين، ومن شعره أبيات رثي بها القاضي سليمان المذكور قال:

عجباً لموضع لحده في قبره ... للعلم والعرفان كيف توسعا؟

رجع الخصوم وخلفوا علم الهدى ... في باب سلمٍ لا يزال ممنعا

أتت المنية من تلبب قاضياً ... خمسين عاماً واثنتين وأربعا

سعيد بن مسعدة

أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط البصري مولى بني مجاشع ابن دارمٍ بطن من تميمٍ. أحد أئمة النحاة من البصريين، أخذ عن سيبويه وهو أعلم من أخذ عنه وكان أخذ عمن أخذ عن سيبويه لأنه أسن منه، ثم أخذ عن سيبويه أيضاً وهو الطريق إلى كتاب سيبوية، فإنه لم يقرأ الكتاب على سيبويه أحد و لم يقرأه سيبويه على أحد، وإنما قرئ على الأخفش بعد موت سيبويه. وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني، وكان الأخفش يستحسن كتاب سيبويه كل الاستحسان، فتوهم الجرمي والمازني أن الأخفش قد هم أن يدعي الكتاب لنفسه، فتشاوروا في منع الأخفش من ادعائه فقالا نقرؤه عليه، فإذ قرأناه عليه أظهرناه وأشعنا أنه لسيبويه فلا يمكنه أن يدعيه، فأرغبا الأخفش، وبذلا له شيئاً من المال على أن يقرأاه عليه فأجاب وشرعا في القراءة، وأخذا الكتاب عنه وأظهراه للناس. وكان الأخفش يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه علي، وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه. وحكى ثعلب أن الفراء دخل على سعيد بن سالم فقال: قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية، فقال الفراء: أما ما دام الأخفش يعيش فلا. وحكى الأخفش قال: لما ناظر سيبويه الكسائي ورجع وجه إلي فعرف خبره معه ومضى إلى الأهواز، فوردت بغداد فرأيت مسجد الكسائي فصليت خلفه الغداة، فلما انفتل من صلاته وقعد وبين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان، سلمت وسألته عن مائة مسألة فأجاب بجوابات خطأته في جميعها، فأراد أصحابه الوثوب علي فمنعهم و لم يقطعني ما رأيتهم عليه عما كنت فيه، فلما فرغت قال لي: بالله أما أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة؟ قلت نعم، فقام إلي وعانقني وأجلسني إلى جنبه ثم قال: لي أولاد أحب أن يتأدبوا بك، ويتخرجوا عليك، وتكون معي غير مفارقٍ لي فأجبته إلى ذلك، فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألني أن أؤلف له كتاباً في معاني القرآن فألفته، فجعله إمامه وعمل عليه كتاباً في المعاني. وقرأ علي كتاب سيبويه سراً ووهب لي سبعين ديناراً. وكان أبو العباس ثعلب يفضل الأخفش ويقول: هو أوسع الناس علماً.

وقال المبرد: احفظ من أخذ عن سيبويه الأخفش ثم الناشئ ثم قطرب، كان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل. توفي سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل سنة إحدى وعشرين. وله من التصانيف: كتاب الأربعة، كتاب الاشتقاق، كتاب الأصوات، كتاب الأوسط في النحو، كتاب تفسير معاني القرآن، كتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسبابها، كتاب العروض، كتاب القوافي، كتاب المسائل الكبير، كتاب المسائل الصغير، كتاب معنى الشعر، كتاب المقاييس، كتاب الملوك، كتاب وقف التمام.

سعيد بن هارن

أبو عثمان الاشنانداني، كان نحوياً لغوياً من أئمة اللغة، أخذ عن أبي محمدٍ التوزي، وأخذ عنه أبو بكر ابن دريد.

قال ابن دريدٍ: سألت أبا حاتم السجستاني عن اشتقاق ثادقٍ اسم فرسٍ، فقال لا أدري: وسألت الرياشي فقال: يا معشر الصبيان إنكم تتعمقون بالعلم وقال: سألت أبا عثمان الأشنانداني فقال: هو من ثدق المطر بالسحاب: إذا خرج خروجاً سريعاً نحو الودق.

وحكى ابن دريدٍ أيضاً قال: سألت أبا حاتمٍ السجستاني عن قول الشاعر:

وجفر الفحل فأضحى قد هجف ... واصفر ما اخضر من البقل وجف

فقلت ما هجف؟ فقال لا أدرى، فسألت الاشنانداني فقال: هجف: إذا التحقت خاصرتاه من التعب وغيره. وله من التصانيف: كتاب معاني الشعر يرويه عنه ابن دريدٍ. وكتاب الأبيات وغير ذلك. مات سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين. والأشنانداني نسبة إلى أشنان محلة ببغداد وزادوا الدال فيها كما زادوا الهاء في الأشنهي نسبةً إلى أشنا.

سلامة بن عبد الباقي بن سلامة

أبو الخير الأنباري المقرئ النحوي الضرير، كان عالماً بالقراءات والعربية وفنون الأدب. قرأ علي ابن طاوسٍ المقرئ، وحدث عنه بجزء هلال الحفار عن طرادٍ الزينبي عن هلالٍ. ثم رحل إلى مصر وسكن بها وتصدر بجامع عمرو بن العاص يقرأ القرآن والنحو، وله مصنفات منها: شرح علي مقامات الحريري. ولد سنة ثلاث وخمسمائةٍ، ومات بمصر في ذي الحجة سنة تسعين وخمسمائة.

سلامة بن غياض بن أحمد

أبو الخير الكفرطابي النحوي، ذكره صاحبنا ابن النجار في تاريخه فقال: قدم بغداد سنة ستٍ وعشرين وخمسمائةٍ، وكتب عنه أبو محمد بن الخشاب، وقرأ الأدب بمصر على أبي القاسم علي بن جعفر بن

القطاع السعدي. وله مصنفات في النحو منها: التذكرة عشر مجلداتٍ، وكتاب ما تلحن فيه العامة في زمانه، ورسالة في الحض على تعليم العربية، مات سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائةٍ، ومن شعره:

إقنع لنفسك فالقناعة ملبس لا يطمع الأشرار في تخريقه
فلرب مغرورٍ غدا تغريقه في حرصه سبباً إلى تغريقه

سلمان بن عبد الله بن محمدٍ

أبو عبد الله بن أبي طالبٍ الحلواني النهرواني، قال صاحبنا ابن النجار: قدم بغداد وقرأ بها النحو على الثمانيني واللغة على ابن الدهان وغيره، وبرع في النحو وكان إماماً فيه وفي اللغة، وسمع الحديث من القاضي أبي الطيب الطبري وغيره، وجال في العراق ونشر بها النحو واستوطن أصبهان، وروى عنه السلفي وصنف تفسير القرآن، وكتاباً في القراءات، والقانون في اللغة عشر مجلدات لم يصنف مثله، وشرح الإيضاح لأبي عليٍ الفارسي، وشرح ديوان المتنبي، والآمالي وغير ذلك. مات في ثاني عشر من صفرٍ سنة ثلاثٍ وتسعين وأربعمائةٍ. وقيل سنة أربعٍ وتسعين وأربعمائةٍ. ومن شعره:

إن خانك الدهر فكن عائذاً بالبيض والإدلاج والعيس
ولا تكن عبد المنى إنها رؤوس أموال المفاليس

وقال:

تقول بنيتي أبتي تقنع ولا تطمح إلى الأطماع تعتد
ورض باليأس نفسك فهو أحرى وأزين في الورى وعليك أعود
فلو كنت الخليل وسيبويه أو الفراء أو كنت المبرد
لما ساويت في حيٍ رغيفاً ولا تبتاع بالماء المبرد

سلم بن عمرو بن حمادٍ

مولى بني تيم بن مرة، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية، كان منقطعاً إلى البرامكة وكان يلقب بالخاسر، لأن أباه خلف له مالاً فأنفقه على الأدب فقال: له بعض أهله: إنك الخاسر الصفقة فلقب بذلك. ثم مدح الرشيد فأمر له بمائة ألف درهمٍ وقال له: كذب بهذا المال من لقبك بالخاسر، فجاءهم بها وقال: هذا ما أنفقته على الأدب ثم ربحت الأدب، فأنا سلم الرابح لا سلم الخاسر. وقيل في تلقيبه بهذا غير ما ذكر. وكان سلم تلميذاً لبشار بن بردٍ وصديقاً لأبي العتاهية، فلما قال بشار قصيدته التي يقول فيها:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبيات الفاتك اللهج

قال سلم أبياتاً أدخل فيها معنى هذا البيت:

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشاراً فغضب وقال: سار والله بيت سلمٍ وخمل بيتنا، وكان الأمر كذلك. لهج الناس ببيت سلمٍ ولم ينشد بيت بشارٍ أحد فكان لذلك سبباً للنفور بينهما، فكان سلم بعد ذلك يقدم أبا العتاهية ويقول: هو أشعر الجن والإنس إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً:

تعالى الله يا سلم بن عمروٍ أذل الحرص أعناق الرجال

هب الدنيا تصير إليك عفواً أليس مصير ذلك للزوال؟

فلما بلغ ذلك سلماً غضب على أبي العتاهية وقال: ويلي على الجرار ابن الفاعلة الزنديق، زعم أني حريص وقد كتر البدر وهو لا يزال يطلب وأنا في ثوبي هذين لا أملك غيرهما ثم كتب إليه:

ما أقبح التزهيد من واعظٍ يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجد

ورفض الدنيا ولم يلقها ولم يكن يسعى ويسترفد

فخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد

الرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود

كل يوفي رزقه كاملاً من كف عن جهدٍ ومن يجهد

وذكر من اقتدار سلمٍ الخاسر على الشعر أنه اخترع شعراً على حرفٍ واحدٍ ولم يسبق إلى مثل ذلك، لأن أقل شعر العرب على حرفين نحو قول دريد بن الصمة:

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأقع

فقال سلم الخاسر لأمير المؤمنين موسى الهادي شعراً على ضربٍ واحدٍ منه:

موسى المطر غيث بكر ثم انهمر لما اغتفر

ثم غفر لما قدر ثم اقتصر عدل السير

باقي الأثر خير البشر قرع مضر بدر بدر

لمن نظر هو الوزر لمن حضر والمفتخر

ولما بويع الهادي بالخلافة وهو بجرحان دخل عليه سلم الخاسر وأنشده:

لما أتت خير بني هاشمٍ خلافة الله بجرجان

شمر للحزم سرابيله برأي لا غمرٍ ولا وان

لم يدخل الشورى على رأيه والحزم لا يمضيه رأيان

وقال لهارون الرشيد حين ولي الخلافة:

ياهارون قر الملك في مستقره وأشرقت الدنيا وأينع نورها

وليس لأيام المكارم غاية تتم بها إلا وأنت أميرها

وقال في يحيى بن خالد بن برمك:

وفتىً خلا من ماله ومن المروءة غير خال

وإذا وأى لك موعداً كان الفعال مع المقال

لله درك من فتىً كافيك من كرم الخلال

أعطاك قبل سؤاله فكفاك مكروه السؤال

سلمة بن عاصمٍ

أبو محمدٍ النحوي، أخذ عن أبي زكريا يحيى الفراء وروى عنه كتبه، وأخذ عن خلفٍ الأحمر وسمع منه كتاب العدد، وأخذ عن سلمة أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وكان يقول: كان سلمة حافظاً لتأدية ما في الكتب والطوال حاذقاً بالعربية، وابن قادمٍ حسن النظر في العلل. ولسلمة من التصانيف: كتاب معاني القرآن، وكتاب المسلوك في العربية، وكتاب غريب الحديث وغير ذلك.

سليمان بن أيوب بن محمدٍ

أبو أيوب المديني. من أهل المدينة المنورة، كان أديباً أخبارياً فاضلاً ذكره ابن النديم وقال: له من المصنفات. أخبار عزة الميلاء، طبقات المغنين، كتاب النغم والإيقاع، كتاب المنادمين، كتاب الاتفاق، كتاب قيان الحجاز، كتاب قيان مكة، أخبار ظرفاء المدينة، أخبار بن عائشة، أخبار حنينٍ الحيرى.

سليمان بن بنين

ابن خلف بن عوضٍ، تقي الدين الدقيقي المصري النحوي الأديب الفرضي العروضي العلامة، اجتمعت به في عدة مجالس بحضرة القاضي الأكرم وأجازني برواية مصنفاته، وهي: الأحكام الشوافي في أحكام القوافي، أخلاق الكرام وأخلاق اللئام، أعذب العمل في شرح أبيات الجمل، الأفلاك السوائر في انفكاك الدوائر، الأقوال العربية في الأمثال النبوية، آلات الجهاد وأدوات الصافنات الجياد، تحبير الأفكار في تحرير

الأشعار، الإعجاز والإيجاز في المعاني والألغاز، البسط في أحكام الخط، بذل الاستطاعة في الكرم والشجاعة، أنوار الأزهار في معاني الأشعار، استنجاز المحامد في إنجاز المواعد، اتفاق المباني وافتراق المعاني، التنبيه على الفرق والتشبيه، الحل الكافي في خلل القوافي، الدرة الأدبية في نصرة العربية، الديم الوابلية في الشيم العادلية، الدرر الفردية في الغرر الطردية، دلائل الأفكار في فضائل الأشعار، الروض الأريض في أوزان القريض، سلوان الجلد عند فقدان الولد، الشامل في فضائل الكامل، فرائد الآداب وقواعد الإعراب، فضائل البذل مع العشر ورذائل البخل مع اليسر، عنوان السلوان، كمال المزية في احتمال الرزية، الكواكب الدرية في المناقب الصدرية، لباب الألباب في شرح الكتاب "كتاب سيبويه"، منتهى الأدب في منتهى كلام العرب، محض النصائح وفحص القرائح، معادن التبر في محاسن الشعر، مكارم الأخلاق وطيب الأعراق، الوافي في علم القوافي، الوضاح في شرح أبيات الإيضاح.
توفي تقي الدين الدقيقي بالقاهرة سنة ثلاث عشرة وستمائة:

سليمان بن خلف

ابن سعد بن أيوب بن وارث القاضي، أبو الوليد الباجي الفقيه المتكلم المحدث المفسر الأدب الشاعر، أصل آبائه من بطليوس انتقلوا إلى باجة الأندلس. وثم باجة أخرى بإفريقية وأرى بأصبهان، ولد أبو الوليد سنة ثلاثٍ وأربعمائةٍ، وأخذ بالأندلس عن أبي الأصبغ ومحمد بن إسماعيل وأبي محمدٍ مكي بن حموش وأبي شاكرٍ وغيرهم. ورحل سنة ستٍ وعشرين وأربعمائة إلى المشرق فأقام في الحجاز مجاوراً ثلاثة أعوامٍ ملازماً للحافظ أبي ذرٍ المحدث يخدمه ويسمع منه، وحج أربع حججٍ، وسمع هناك من ابن سحنويه وابن محرزٍ والمطوعي، ورحل إلى بغداد فأخذ فيها عن أبي الطب الطبري وأبي إسحاق الشيرازي والدامغاني وابن عمروسٍ، وأخذ عن الخطيب البغدادي، وأخذ الخطيب عنه، ورحل إلى الشام فأخذ فيها عن السمسار ودخل الموصل فأخذ بها علم الكلام عن السمناني ثم رجع إلى الأندلس فحاز الرياسة فيها وسمع منه خلق كثير منهم الحافظان الصدفي والجياني والمعافري والسبتي والمرسي وغيرهم، وولي القضاء بمواضع من الأندلس، وله مصنفات منها: الاستيفاء شرح الموطإ، والمنتقي مختصر الاستيفاء، والإيماء مختصر المنتقى، والسراج في ترتيب الحجاج، والتعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح، وإحكام الفصول في أحكام الأصول، والتسديد إلى معرفة التوحيد، والمعاني في شرح الموطإ عشرون مجلداً، وكتاب اختلاف الموطآتِ، وتفسير القرآن، والمقتبس في علم مالك بن أنسٍ، والمهذب في اختصار المدونة، وكتاب مسائل الخلاف، والحدود في الأصول، والإشارة في الأصول، وكتاب فرق الفقهاء، وكتاب الناسخ والمنسوخ،

وكتاب السنن في الدقائق والزهد، وكتاب النصيحة لولده وغير ذلك. مات بالمرية سنة أربعٍ وتسعين وأربعمائة. ومن شعره:

ما طال عهدي بالديار وإنما أنسى معاهدها أسىً وتبلد

لو كنت أنبأت الديار صبابتي رق الصفا بفنائها والجلمد

وله في المعتضد بالله عبادٍ:

عباد استعبد البرايا بأنعم فاقت النعائم

مديحه ضمن كل قلب حتى تغنت به الحمائم

وقال:

إذا كنت أعلم علم اليقين بأن جميع حياتي كساعة

فلم لا أكن ضنيناً بها فأجعلها في صلاحٍ وطاعة؟

وقال:

ليس عندي شخص النوى لا بعظيم فيه غم وفيه كشف غموم

إن فيه اعتناقةً لوداعٍ وانتظار اعتناقهٍ لقدوم

وقال رثى ولديه وقد ماتا مقبرين:

رعى الله قبرين استكانا ببلدةٍ هما أسكناها في السواد من القلب

لئن غيبا عن ناظري وتبوءا فؤادي لقد زاد التباعد في القرب

يقر بعيني أن أزور ثراهما وألصق مكنون الترائب بالترب

وأبكي وأبكي ساكنيها لعلني سأنجد من صحبٍ وأسعد من سحب

ولا استعذبت عيناي بعدهما كرى ولا ظمئت نفسي إلى البارد العذب

أحن ويثني اليأس نفسي عن الأسى كما اضطر محمول على المركب الصعب

سليمان بن عبد الله

أبو عبيد الله بن الفتى، النحوي اللغوي الأديب، نشأ بالري، وحصل ونبغ في المدرسة النظامية ببغداد حين دخلها سنة ثلاثٍ وأربعمائةٍ، فأخذ بها العلوم الأدبية والعربية عن الثمانيني وغيره، ثم رحل إلى أصبهان فاستوطن بها إلى أن مات سنة خمسٍ وسبعين وأربعمائة: ومن شعره:

تذلل لمن إن تذلل له رأى ذاك للفضل لا للبله

وجانب صداقة من لم يزل على الأصدقاء يرى الفضل له

وقال:

لم أقل للشباب في دعة الل ه ولا حفظه غداة استقلا

زائر زارنا أقام قليلاً سود الصحف بالذنوب وولى

سليمان بن محمد بن أحمد

أبو موسى المعروف بالحامض البغدادي أحد أئمة النحاة الكوفيين، أخذ عن أبي العباس ثعلبٍ وخلفه في مقامه وتصدر بعده، وروى عنه أبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلبٍ، وأبو جعفرٍ الأصبهاني برزويه، وقرأ عليه أبو عليٍ النقار كتاب الإدغام للفراء، فقال له أبو عليٍ: أراك يا أبا موسى تلخص البيان تلخيصاً لا أجده في الكتب، فقال: هذا ثمرة صحبة أبي العباس ثعلبٍ أربعين سنةً. وقال أبو الحسن بن هارون: أبو موسى أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر وكان جامعاً بين المذهبين: الكوفي والبصري، وكان يتعصب للكوفيين، وكان شرس الأخلاق ولذا قيل له الحامض، مات في خلافة المقتدر لسبعٍ وقيل لستٍ بقين من ذي الحجة سنة خمسٍ وثلاثمائةٍ، وله من التصانيف: كتاب خلق الإنسان، كتاب السبق والنضال، كتاب المختصر في النحو، كتاب النبات، كتاب الوحوش وغير ذلك.

سليمان بن مسلم بن الوليد

الشاعر الضرير، وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني الشاعر المشهور، كان كأبيه شاعراً مجيداً وكان ملازماً لبشار بن بردٍ يأخذ عنه، ولذا كان متهماً دينه: مات سنة تسعٍ وسبعين ومائةٍ، ومن شعره:

إن في ذا الجسم معتبراً لمريد العلم ملتمسه

هيكل للروح ينطقه عرقه والصوت من نفسه

رب مغروسٍ يعاش به عدمته كف مغترسه

وكذاك الدهر مأتمه أقرب الأشياء من عرسه

وقال:

جلدي عميرة فيه العار والحوب والعجز مطرح والفحش مسبوب

وبالعراق نساء كالمها خطف بأرخص السوم جذلات مناجيب

وما عميرة من ثدياء حالبةٍ؟ كالعاج صفرها الأكتان والطيب

وله:

تبارك الله ما أسخى بنو مطرٍ هم كما قيل في بعض الأقاويل
بيض المطابخ لا تشكو ولائدهم غسل القدور ولا غسل المنادل

وله شعر غير هذا اكتفينا بهذا المقدار منه.

سليمان بن معبدٍ

أبو داود السنجي المروى المحدث الحافظ النحوي، دخل بغداد فأخذ عن الأصمعي والنضر بن شميلٍ وغيرهما، ورحل إلى مصر والحجاز واليمن. وخرج له مسلم بن الحجاج في صحيحه، وكان ثقة ثبتاً، له معرفة تامة بالعربية واللغة مات في ذي الحجة سنة سبع وخمسين ومائتين: وقيل ثمانٍ وخمسين ومائتين.

سليمان بن موسى

برهان الدين أبو الفضل بن شرف الدين المعروف بالشريف الكحال، المصري، كان أديباً فاضلاً بارعاً في العربية وفنون الأدب، عارفاً بصناعة الكحل، خدم بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، وتقدم عنده وحظي لديه ونال عنده مترلةً عاليةً وقبولاً تاماً. وكان بينه وبين القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني وبين شرف الدين محمد بن نصرٍ المعروف بابن عنين الشاعر المشهور صحبة ومودة ومزاح ومداعبة، فأهدى الشريف الكحال إلى ابن عنين خروفاً وكان مهزولاً، فكتب إليه ابن عنين يداعبه:

أبو الفضل وابن الفضل أنت وأهله فغير عجيب أن يكون لك الفضل
آتتني أياديك التي لا أعدها لكثرتها لا كفر نعمى ولا جهل
ولكنني أنبيك عنها بطرفةٍ تروقك ما وافى لها قبلها مثل
أتاني خروف ما شككت بأنه حليف هوىً قد شفه الهجر والعذل
إذا قام في شمس الظهيرة خلته خيالاً سرى في ظلمةٍ ما له ظل
فناشدته ما تشتهى؟ قال فتة وقاسمته ما شفه؟ قال لي الأكل
فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى مسلمةً ما حص أوراقها الفتل
فظل يراعيها بعينٍ ضعيفةٍ وينشدها والدمع في العين منهل
أنت وحياض الموت بيني وبينها وجادت بوصلٍ حين لا ينفع الوصل

وكتب إليه القاضي الفاضل يداعبه وكان قد كحله:

رجل توكل بي وكحلنى ... فدهيت في عيني وفي عيني

وخشيت تنقل نقط كحلته ... عيني من عينٍ إلى غين

ومن شعر الشريف الكحال:

ومذ رمدت أجفانه لا منى العدا ... على حبه يا ليت عيني لها رقداً

فقلت لهم كفوا فإن لحاظه ... سيوف وشرط السيف أن يحمل الصدا

وقال:

كأن لحظ حبيبي في تناعسه ... وقد رماني بسقمٍ في الهوى وكمد

من المجوس تراه كلما قدحت ... نيران وجنته أومي لها وسجد

توفي الشريف الكحال سنة تسعين وخمسمائة.

سنان بن ثابت بن قرة

أبو سعيدٍ، كان أديباً فاضلاً مؤرخاً عارفاً بعلم الهيئة ماهراً بصناعة الطب، كان في خدمة المقتدر ثم القاهر والراضي. قال ابن النديم: إن القاهر بالله أراد سنان ابن ثابت بن قرة على الإسلام فهرب ثم أسلم وخاف القاهر فمضى إلى خراسان ثم عاد، وتوفي ببغداد مسلماً صبيحة يوم الجمعة مستهل ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وله من التصانيف: التاجي في أخبار آل بويه ومفاخر الديلم وأنسابهم ألفه لعضد الدولة بن بويه، رسالة في أخبار آبائه وأجداده وسلفه، إصلاح كتاب إقليدس في الأصول الهندسية. وكتاب تاريخ ملوك الريان، الرسائل السلطانيات والإخوانيات، رسالة في شرح مذهب الصابئة، رسالة في الأشكال ذوات الخطوط المستقيمة التي تقع في الدائرة صنفها لعضد الدولة، إصلاح كتب أبي سهل القوهي، رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر، رسالة في الاستواء، رسالة في النجوم رسالة في سهيلٍ، رسالة في قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة ألفها لأبي إسحاق الصابي وغير ذلك.

سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم

أبو حاتم السجستاني البصري، كان إماماً في غريب القرآن واللغة والشعر، أخذ عن أبي زيدٍ الأنصاري الأصمعي وأبي عبيدة وعمر بن كركرة وروح بن عبادة، وقرأ كتاب سيبويه مرتين على الأخفش أبي الحسن سعيد بن مسعدة، وأخذ عنه المبرد وابن دريدٍ وغيرهما. وتوفي على ما حققه ابن دريدٍ سنة خمسٍ وخمسين ومائتين. وله من المصنفات: إعراب القرآن، وكتاب الإدغام، وكتاب القراءات، وكتاب ما

تلحن فيه العامة، وكتاب الفصاحة، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الطير، وكتاب الوحوش، وكتاب الهجاء، وكتاب النخلة، وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك.

سهل بن هارون بن راهبون

أبو محمد الفارسي الأصل الدستميساني، دخل البصرة واتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة. وكان أديباً كاتباً شاعراً حكيماً شعوبياً، يتعصب للعجم على العرب شديداً في ذلك، وكان مشهوراً بالبخل، وله في ذلك أخبار كثيرة، وله رسالة في مدح البخل أرسلها إلى بني عمه من آل راهبون، وأرسل نسخةً منها إلى الوزير الحسن بن سهلٍ فوقع عليها الوزير: لقد مدحت ما لام الله وحسنت ما قبح، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك، وقد جعلنا ثواب عملك سماع قولك، فما نعطيك شيئاً. وقد أورد هذه الرسالة الجاحظ في كتاب البخلاء، وقد تجنبنا الإطالة بذكرها.

توفي سهل بن هارون سنة خمس عشرة ومائتين، وله من التصانيف: كتاب ثعلة وعفراء، كتاب الهبلية والمخزومي، كتاب النمر والثعلب، كتاب الوامق والعذار، كتاب ندودٍ وودودٍ ولدود، كتاب الضربين، كتاب أسباسيوس في اتحاد الإخوان، كتاب الغزالين، كتاب أدب أسل بن أسلٍ وغير ذلك.

سهم بن إبراهيم الوراق

من شعراء القرن الثاني ومن أدباء القيروان، قال في حصار أبي يزيد مخلدٍ الخارجي لسوسة:

إن الخوارج صدها عن سوسةٍ ... منا طعان السمر والإقدام

وجلاد أسيافٍ تطاير دونها ... في النقع دون المحصنات الهام

باب الشين

شبيب بن شبة

الأخباري الأديب الشاعر صاحب خالد بن صفوان الذي تقدمت ترجمته في حرف الخاء، ولهما أخبار ومواقف مشهورة عند الخلفاء والأمراء، وكان بين شبيبٍ وأبي نخيلة الراجز الشاعر صحبة ومودة. حدث الأصمعي قال: رأى أبو نخيلة على شبيبٍ حلةً فأعجبته فسأله إياها فوعده فقال فيه:

يا قوم لا تسودوا شبيباً ألخائن ابن الخائن الكذوبا

هل تلد الذئبة إلا ذيبا؟

فلما بلغ ذلك شبيباً بعث إليه بالحلة وكتب إليه:

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

مات شبيب بعد المائتين.

شبيب بن يزيد

ابن جمرة بن عوف بن أبي حارثة المعروف بابن البرصاء المرى، والبرصاء أمه واسمها قرصافة بنت الحارث وهو ابن خالة عقيل بن علفة الآتية ترجمته في حرف العين، وهو شاعر مجيد من شعراء الدولة الأموية، وكان بينه وبين أبن خالته عقيلٍ منافرة ومهاجاة، وكان من سادات قومه وأشرافهم، وله أخبار وأشعار كثيرة ذكرها أبو الفرج في كتابه منها:

وإني لسهل الوجه يعرف مجلسي إذا أحزن القاذورة المتعيس

يضيء سناجودي لمن يبتغي القرى وقد حال دون النار ظلماء حندس

ألين لذي القربي مراراً وتلتوي بأعناق أعدائي حبال فتمرس

شداد بن إبراهيم بن حسنٍ

أبو النحيب الملقب بالطاهر الجزري، شاعر من شعراء عضد الدولة بن بويه، ومدح الوزير المهلبي. كان دقيق الشعر لطيف الأسلوب، مات سنة إحدى وأربعمائة ومن شعره:

إذا المرء لم يرض ما أمكنه ولم يأت من أمره أحسنه

فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوماً ويبكي سنة

ومنه:

أيا جيل التصوف شر جيل   لقد جئتم بأمرٍ مستحيل
أفي القرآن قال لكم إلهي   كلوا مثل البهائم وارقصوا لي

وقال:

قلت للقلب ما دهاك أبن لي   قال لي بائع الفراني فراني
ناظراه فيما جنت ناظراه   أودعاني أمت بما أودعاني

وقال:

بلاد الله واسعة فضاها   ورزق الله في الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوانٍ   إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

وقال:

أفسدتم نظري علي فما أرى   مذ غبتم حسناً إلى أن تقدموا
فدعوا غرامي ليس يمكن أن ترى   عين الرضا والسخط أحسن منك

شفهفيروز بن شعيب بن عبد السيد

أبو الهيجاء الأصبهاني، كان أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً في النظم والنثر، له مقامات أنشأها سنة تسعين وأربعمائةٍ، وأخذ عن أبي جعفرٍ محمد بن أحمد بن مسلمة وغيره، مات سنة ثلاثين وخمسمائة. ومن شعره:

لا أستلذ العيش لم أدأب له   طلباً وسعياً في الهواجر والغلس
وأرى حراماً أن يواتيني الغنى   حتى يحاول بالعناء ويلتمس
فاحبس نوالك عن أخيك موفراً   فالليث ليس يسيغ إلا ما افترس

وقال:

وسارق بت أشرب من يديه   مشعشعة بلونٍ كالنجيع
فحمرتها وحمرة وجنتيه   ونور الكأس في نور الشموع
ضياء حارت الأبصار فيه   بديع في بديعٍ في بديع

شمر بن حدويه

أبو عمرٍ الهروي، كان عالماً فاضلاً ثقة نحوياً لغوياً راويةً للأخبار والأشعار، رحل في شبيبته إلى العراق وأخذ عن ابن الأعرابي والأصمعي وسلمة بن عاصم والفراء وأبي حات السجستاني وأبي زيدٍ الأنصاري وأبي عبيدة والرياشي وغيرهم، ثم رجع إلى خراسان وأخذ عن أصحاب النضر بن شميلٍ والليث، وصنف كتاباً كبيراً رتبه على العجم ابتدأ فيه بحرف الجيم لم يسبق إلى مثله، أودعه تفسير القرآن وغريب الحديث، وكان ضنيناً به فلم ينسخه أحد وخزنه بعد وفاته بعض أقاربه فلم ينتفع به. وقيل: اتصل أبو عمروٍ بيعقوب ابن الليث الأمير فخرج معه إلى نواحي فارس وحمل معه كتاب الجيم فطغى الماء من النهروان على معسكر يعقوب فما غرق من المتاع، ولأبي عمروٍ من التصانيف غير كتاب الجيم: كتاب غريب الحديث كبير جداً، وكتاب السلاح وكتاب الجبال والأودية وغير ذلك. مات سنة خمسٍ وخمسين ومائتين:

شبيان بن عبد الرحمن

أبو معاوية التيميي مولى بني تميمٍ، كان من أكابر القراء والمحدثين والنحاة، كان مقيماً بالكوفة فانتقل عنها إلى بغداد، وأخذ عن الحسن البصري وحدث عنه وعن ابن أبي كثير وحدث عن شبيان الحافظ الثقة عبد الرحمن بن مهديٍ وغيره. سئل ابن عين عن شبيان فوثقه وقال ثقة في كل شيءٍ، وسئل عنه أحمد بن حنبلٍ وعن الدستوائي وحرب بن شداد فقال: شيبان أرفع عندي شيبان صاحب كتاب صحيح، وقال ابن عمارٍ: أبو معاوية شيبان النحوي ثقة ثبت. توفي شيبان ببغداد سنة أربعٍ وستين ومائةٍ، وقيل سنة سبعين ومائة، ودفن في مقابر قريشٍ بباب التنين قاله ابن سعدٍ كاتب الواقدي في طبقاته.

شيث بن إبراهيم بن محمد

ابن حيدرة ضياء الدين المعروف بابن الحاج القناوي القفطي النحوي اللغوي العروضي أبو الحسن، أحد أكابر الأدباء المعاصرين، برع في العربية واللغة وفنون الأدب وتقدم فيها وسمع من الحافظ أبي طاهر السلفي وغيره، وحدث ودرس وكان ذا هيبةٍ ووقارٍ، وله مقامات معروفة ومواقف بين يدي السلاطين والأمراء، وكانوا يحترمونه ويوقرونه، ومن تصانيفه: كتاب الإشارة في تسهيل العبارة، والمعتصر من المختصر، وتهذيب ذهن الواعي في إصلاح الرعية والراعي صنفه للملك الناصر صلاح الدين يوسف، وحز الغلاصم وإفحام المخاصيم، وتعاليق في الفقه على مذهب الإمام مالكٍ، واللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة وهي قصيدة في الأسماء المذكرة، أبياتها سبعون بيتاً منها:

وصغت الشعر من يفهم ... يخبرني بما يعلم

يخبرني بألفاظ من الإعراب ما الدهثم
وما الإقليد والتقلي د والتهنيد والأهثم
وما النهاد والأهدا م والأسمال والعيهم
وما الألغاد والإخرا د والأقراد والأكدم
وما الدقراس والمردا س والفداس والأعلم
وما الأوخاص والأدرا ص والقراص والأثرم
وما اليعضيد واليعق يد والتدمين والأرقم
وما الأنكار والأنكا ث والأعلا والقضم
وما الأوغال والأوغا د والأوغاب والأقضم

ومضى على هذا النمط إلى أن قال:

ألا فاسمع لألفاظ جرت علماً لمن يعلم
فقد أنبأت في شعري بألفاظي لمن يفحم
وعارضت السجس تاني في قولي ولم أعلم
فضعفت قوافيه على المثل الذي نظم
فهذا الشعر لا يدر يه إلا عالم همهم

توفي أبو الحسن بن الحاج سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائةٍ وقيل سنة تسع وتسعين وخمسمائةٍ، ومن شعره:

إجهد لنفسك إن الحرص متعبة للقلب والجسم والإيمان يمنعه
فإن رزقك مقسوم سترزقه وكل خلقٍ تراه ليس يدفعه
فإن شككت بأن الله يقسمه فإن ذلك باب الكفر تقرعه

باب الصاد

صاعد بن الحسن بن عيسى

الربعي، الموصلي الأصل البغدادي اللغوي الأديب أبو العلاء، أخذ عن السيرافي وأبي علي الفارسي والخطابي وغيرهم، وكان عارفاً باللغة وفنون الأدب والأخبار، سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة ممتع المجالسة، دخل الأندلس واتصل بالمنصور بن أبي عامر فأكرمه وأفرط في الإحسان إليه والإقبال عليه، ثم استوزره وألف للمنصور كتباً منها: كتاب سماه الفصوص على نحو كتاب النوادر لأبي عليٍ القالي.

واتفق لهذا الكتاب حادثة غريبة وهي: أن أبا العلاء لما أتمه دفعه لغلامٍ له يحمله بين يديه وعبر نهر قرطبة فزلت قدم الغلام فسقط في النهر هو والكتاب، فقال في ذلك ابن العريف وكان بينه وبين أبي العلاء شحناء ومناظراتك:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيلٍ يغوص

فضحك المنصور والحاضرون فلم يرع ذلك صاعداً وقال على البديهة مجيباً لابن العريف:

عاد إلى معدنه إنما ... توجد في قعر البحار الفصوص

وصنف له أيضاً كتاب الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء، وهو كتاب لطيف ممتع جداً، انخرم في الفتن التي كانت بالأندلس فسقطت منه أوراق لم توجد بعد، وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب حتى رتب له من يقرؤه بحضرته كل ليلةٍ، وصنف له أيضاً كتاب الهجفجف بن غيدفان بن يثربيٍ مع الخنوت بنت محرمة بن أنيفٍ وهو على طراز كتاب أبي السري سهل ابن أبي غالب الخزرجى، و لم يحضر صاعد بعد موت المنصور مجلس أحدٍ ممن ولي الأمر بعده، وإلى ذلك يشير في قصيدته التي قالها للمظفر بن المنصور الذي ولي بعد أبيه وأولها:

إليك حدت ناجية الركاب ... محملةً أماني كالهضاب

وبعث ملوك أهل الشرق طرا ... بواحدها وسيدها اللباب

ومنها يشير إلى مرض لحق بساقه فمنعه من حضور جالسه، وهو وجع ادعاه فقال:

إلى الله الشكية من شكاةٍ ... رمت ساقي فجل بها مصابي

وأقصتني عن الملك المرجى ... وكنت أرم حالي باقترابي

ومنها:

حسبت المنعمين على البرايا ... فألفيت اسمه صدر الحساب

وما قدمته إلا كأني   أقدم تالياً أم الكتاب

وأنشد هذه القصيدة بين يدي المظفر في عيد الفطر سنة ستٍ وتسعين وثلاثمائة، ولصاعدٍ مع المنصور أخبار ولطائف يطول ذكرها، توفي بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائةٍ.

الجزء الثاني عشر

صالح بن إسحاق

أبو عمر الجرمي، فهو مولى لجرم بن زبان، وجرم من قبائل اليمن وقيل هو مولىً لبجيلة بن أنمارٍ، كان عالماً بالعربية واللغة، فقيهاً ورعاً وهو بصري قدم بغداد فأخذ عن يونس بن حبيب العربية، وعن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، وقرأ عليه كتاب سيبويه وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي ومن في طبقتهم، وكان رقيقاً لأبي عثمان المازني، وأخذ منه المبرد والمازني وغيرهما، وناظر الفراء، وانتهى إليه علم العربية في وقته، وصنف كتباً كثيرةً منها: مختصره في النحو، كان كما صنف منه باباً صلى ركعتين بالمقام ودعا بأن ينتفع به. وله كتاب التنبيه، وكتاب السير، وكتاب الأبنية، وكتاب العروض وغير ذلك: توفي سنة خمسٍ وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم.

صالح بن عبد القدوس

ابن عبد الله، كان حكيماً أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ويقص عليهم، وله أخبار يطول ذكرها، اتهم بالزندقة فقتله المهدي بيده، ضربه بالسيف فشطره شطرين، وعلق بضعة أيام للناس ثم دفن، وأشهر شعره قصيدته البائية التي مطلعها:

صرمت حبالك بعد وصلك زينب   والدهر فيه تصرم وتقلب

وكذاك ذكر الغانيات فإنه   آل ببلقعةٍ وبرق خلب

فدع الصبا فلقد عداك زمانه   واجهد فعمرك مر منه الأطيب

ومنها:

واحذر معاشرة الدنى فإنها   تعدي كما يعدي الصحيح الأجرب

يلقاك يحلف إنه بك واثق   وإذا توارى عنك فهو العقرب

ومن شعره أيضاً:

ليس من مات فاستراح بميتٍ   إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيباً　　　كاسفاً باله قليل الرجاء

وقال:

إذا قلت قدر أن قولك عرضة　　　لبادرةٍ أو حجة لمخاصم

وإن امرء لم يخش قبل كلامه ال　　　جواب فينهي نفسه غير حازم

وقال:

لا أخون الخليل في السر حتى　　　ينقل البحر في الغرابيل نقلا

أو تمور الجبال مور سحابٍ　　　متقلاتٍ وعت من الماء حملا

صفوان بن إدريس

ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى النجيبي أبو بحرٍ، كان أديباً كاتباً شاعراً سريع الخاطر، أخذ عن أبيه والقاضي ابن إدريس وابن غليون وأبي الوليد، وهو أحد أفاضل الأدباء المعاصرين بالأندلس. وله سنة ستين وخمسمائةٍ، وتوفي بمرسية سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائةٍ و لم يبلغ الأربعين وله تصانيف منها: كتاب زاد المسافر وراحلته، وكتاب العجالة مجلدان يتضمنان طرفاً من نثره ونظمه، وديوان شعرٍ، ومن شعره:

قد كان لي قلباً فلما فارقوا　　　سوى جناحاً للغرام وطارا

وجرت سحاب للدموع فأوقدت　　　بين الجوانح لوعةً وأوارا

ومن العجائب أن فيض مدامعي　　　ماء يمر وفي ضلوعي نارا

وقال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

تحية الله وطيب السلام　　　على رسول الله خير الأنام

على الذي فتح باب الهدى　　　وقال للناس ادخلوها بسلام

بدر الهدى سحب الندى والجدا　　　وما عسى أن يتنامى الكلام

تحية تهزأ أنفاسها　　　بالمسك لا أرضى بمسك الختام

تخصه منى ولا تنثني　　　عن آله الصيد السراة الكرام

وقدرهم أرفع لكنني　　　لم ألف أعلى لفظةً من كرام

وقال:

أحمي الهوى قلبه وأوقد　　　فهو على أن يموت أوقد

وقال عنه العذول سالٍ قلده الله ما تقلد
وباللوى شادن عليه جيد غزال ووجه فرقد
أسكره ريقه بخمرٍ حتى انثني قده وعربد
لا تعجبوا لانهزام صبري فجيش أجفانه مؤيد
أنا له كالذي تمنى عبد نعم عبده وأزيد
له على امتثال أمرٍ ولي عليه الجفاء والصد
إن سلمت عينه لقتلي صلى فؤادي على محمد

وقال:

يا قمراً مطلعه أضلعي له سواد القلب فيها غسق
وربما استوقد نار الهوى فناب فيها لونها عن شفق
ملكتني بدولةٍ من صباً وصدتني بشركٍ من حدق
عندي من حبك ما لو سرت في البحر منه شعلة لاحترق

وقال:

يقولون لي لما ركبت بطالتي ركوب فتى جم الغواية معتدي
أعندك ما ترجو الخلاص به غداً فقلت نعم عندي شفاعة أحمد؟

باب الضاد

الضحاك بن سليمان

ابن سالم بن دهاية أبو الأزهر المرئي الأوسي منسوب إلى امرئ القيس بن مالكٍ، نزل بغداد وله معرفة بالنحو واللغة، وله شعر جيد. مات سنة سبعٍ وأربعين وخمسمائةٍ. ومن شعره.

ما أنعم الله على عبده ... بنعمةٍ أوفى من العافيه

وكل من عوفي في جسمه ... فإنه في عيشةٍ راضيه

والمال حلو حسن جيد ... على الفتى لكنه عاريه

وأسعد العالم بالمال من ... أعطاه للآخرة الباقية

ما أحسن الدنيا ولكنها ... مع حسنها غدارة فانيه

الضحاك بن مخلد

ابن مسلم أبو عاصمٍ النبيل لشيباني البصري الحافظ الثبت النحوي اللغوي، كان إماماً في الحديث، سمع من جعفرٍ الصادق وابن جريجٍ والأوزاعي وابن أبي عروبةً. وأخرج له البخاري في صحيحه وأجمعوا على توثيقه. قيل له يحيى بن سعيد يتكلم فيك، فقال: لست بحيٍ ولا ميتٍ إذا لم أذكر، مات أبو عاصم سنة اثنتي عشرة ومائتين.

الضحاك بن مزاحمٍ

أبو القاسم البلخي المفسر المحدث النحوي. كان يؤدب الأطفال فيقال: كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبيٍ وكان يطوف عليهم على حمارٍ. لقي الضحاك ابن عباس وأبا هريرة، وأخذ عن سعيد بن جبيرٍ التفسير، وكان عبد الملك بن ميسرة يقول: لم يلق الضحاك ابن عباس وإنما لقي سعيد بن جبيرٍ بالري فأخذ عنه التفسير. وقال شعبة: قلت لمشاشٍ هل سمع الضحاك من ابن عباس؟ قال: ما رآه قط. ووثقه أحمد بن حنبلٍ وابن معينٍ وأبو زرعة، وضعفه يحيى بن سعيدٍ، مات الضحاك سنة خمسٍ ومائةٍ وقيل ستٍ ومائةٍ.

باب الطاء

طالب بن عثمان بن محمد

ابو أحمد بن أبي غالب الأزدي النحوي البصري. أخذ عن أبي بكر بن الأنباري، وكان بارعاً في العربية عارفاً باللغة وكف بصره في آخر عمره، ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائةٍ. توفي في خلافة القادر بالله سنة ستٍ وتسعين وثلاثمائةٍ.

طالب بن محمد بن قشيط

أبو أحمد المعروف بابن السراج النحوي. كان عارفاً بالعربية قيماً بها، أخذ عن أبي بكر بن الأنباري. وله مختصر في النحو وكتاب عيون الأخبار وفنون الأشعار. مات سنة إحدى وأربعمائةٍ.

طاهر بن أحمد

ابن بابشاذ بن داود بن سليمان بن إبراهيم أبو الحسن المصري المعروف بابن بابشاذ النحوي اللغوي. ولى متاملاً في ديوان الانشاء بالقاهرة، يتأمل ما يصدر منه من السجلات والرسائل فيصلح ما فيها من خطأ. تزهد في آخر عمره ولزم منارة الجامع بمصر، فخرج في بعض الليالي والنوم في عينيه فسقط من المنارة إلى سطح الجامع فمات، وذلك صبيحة اليوم الرابع من رجبٍ، سنة تسعٍ وستين وأربعمائةٍ، وله من التصانيف، شرح الجمل للزجاجي، وشح النخبة، والتعليق في النحو خمسة عشر مجلداً سماه تلامذته من بعده تعلق الغرفة، والمحتسب في النحو وغير ذلك.

طراد بن علي بن عبد العزيز

أبو فراس السلمي الدمشقي المعروف بالبديع. كان نحوياً كاتباً أديباً بارعاً في النظم والنثر. ومن شعره:

قيل لي لم جلست في آخر القو ... م وأنت البديع رب القوافي؟

قلت آثرته لأن المنادي ... ل يرى طرزها على الأطراف

وقال:

يا صاح آنسني دهري وأوحشني ... منهم وأضحكني دهري وأبكاني

قد قلت: أرض بأرضٍ بعد فرقتهم ... فلا تقل لي: جبران بجبرانٍ

وقال:

يا نسيماً هب مسكاً عبقاً ... هذه أنفاس ريا جلقا

كف عني والهوى ما زادني ... برد أنفاسك إلا حرفا
ليت شعري نقضوا أحبابنا ... يا حبيب النفس ذاك الموثقا
يا رياح الشوق سوقي نحوهم ... عارضاً من سحب دمعي غدقا
وانثري عقد دموع طالما ... كان منظوماً بأيام اللقا

وقال:

هكذا في حبكم أستوجب؟ ... كبداً حرى وقلباً يجب
وجزا من سهرت أجفانه ... حجة تمضي وأخرى تعقب؟
زفرات في الحشا محرقة ... وجفون دمعها ينسكب
قاتل الله عذولي مادرى ... أن في الأعين أسداً تثب
لا أرى لي عن حبيبي سلوةً ... فدعوني وغرامي واذهبوا

وقال:

لئن كنت عني في العيان مغيباً ... فما أنت عن سمعي وقلبي بغائب
إذا اشتاقت العينان منك بنظرةٍ ... تمثلت لي في القلب من كل جانب

مات البديع الدمشقي سنة أربع وعشرين وخمسمائةٍ.

طريح بن إسماعيل

ابن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزي النقفي، وأمه خزاعية بنت عبد الله بن سباعٍ أبو الصلت الشاعر المشهور، نشأ في دولة بني أمية واستنفذ شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهدي سنة خمسٍ وستين ومائةٍ، ومن مختار شعره قوله:

ألم تر المرء نصباً للحوادث ما ... تنفك فيه سهام الدهر تنتضل
إن يعجل الموت يحمله على وضحٍ ... لجبٍ موارده مسلوكة ذلل
وإن تمادت به الأيام في عمرٍ ... يخلق كما رث بعد الجدة الحلل
ويستمر إلى أن يستقل به ... ريب المنون ولو طالت به الطيل
والدهر ليس بناجٍ من داوئره ... حي جبان ولا مستاسد بطل
ولا دفين غيابا تٍ له نفق ... تحت التراب ولا حوت ولا وعل
بل كل شئٍ سيبلي الدهر جدته ... حتى يبيد ويبقى الله والعمل

وقال:

وترى المشيب بدا وأقبل زائراً بعد الشباب فنازل ومودع
والشيب للحكماء من سفه الصبا بدل تنال به الفضيلة مقنع
والشيب زين بني المروءة والحجا فيه لهم شرف ومجد يرفع
والبر تصحبه المروءة والتقى تبدو بأشيب جسمه متضعضع
أشهى إلي من الشباب مع المنى والغي يتبعه القوي المهرع
إن الشباب عمىً لأكثر أهله وتعرض لمهالكٍ تتوقع

وقال:

حل المشيب ففرق الرأس مشتعل وبان بالكره منا اللهو والغزل
فحل هذا مقيماً لا يريد لنا تركاً وهذا الذي نهواه مرتحل
هذا له عندنا نور ورائحة كنشر روضٍ سقاه عارض هطل
وجدة وقبول لا يزال له من كل خلقٍ هوى أو خلةٍ نفل

والشيب يطوي الفتى حتى معارفه نكر ومن كان يهواه به ملل
يبلي بلي البرد فيه بعد قوته وهن وبعد تناهى خطوه رمل

طلحة بن محمدٍ

وقل أحمد بن طلحة أبو محمد النعماني، كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب والشعر، ورد بغداد وخراسان وكاتبه الحرير يصاحب المقامات، وكان كثير الحفظ جيد الشعر سريع البديهة. مات سنة عشرين وخمسمائةٍ، ومن شعره:

إذا نالك الدهر بالحادثات فكن رابط الجأش صعب الشكيمه
ولا تهن النفس عند الخطوب إذا كان عندك للنفس قيمه
فوالله ما لقى الشامتون بأحسن من صبر نفسٍ كريمه

باب الظاء

ظافر بن القاسم

ابن منصور بن عبد الله بن خلفٍ الجذامي الإسكندري المعروف بالحداد الشاعر الأديب، روى عنه الحافظ السلفي وطائفة من الأعيان، وتوفي بمصر في المحرم سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة ومن شعره:

حكم العيون على القلوب يجوز ... ودواؤها من دائهن عزيز
كم نظرةٍ نالت بطرفٍ ذابلٍ ... ما لا ينال الذابل المهزوز
فحذار من تلك اللواحظ غيرةً ... فالسحر بين جفونها مكنوز

وكتب إلى أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي بعد أن توجه من مصر إلى المهدية يتشوق إليه:

ألا هل لدائي من فراقك إفراق ... هم السم لكن لي لقاؤك درياق
فيا شمس فضلٍ غربت ولضوئها ... على كل قطرٍ بالمشارق إشراق
سقى العهد منك عمر عهده ... بقلبي عهداً لا يضيع وميثاق
يجدده ذكر يطيب كما شدت ... وريقاء كنتها من الأيك أوراق
لك الخلق الجذل الرفيع طرازه ... وأكثر أخلاق الخليقة أخلاق
لقد ضاءلتني يا أبا الصلت مذ نأت ... ديارك عن داري هموم وأشواق
إذا عزني إطفاؤها بمدامعي ... جرت ولها ما بين جفني إحراق
سحائب يحدوها زفير جره ... خلال التراقي والترائب تشهاق
وقد كان لي كنز من الصبر واسع ... ولي منه في صعب النوائب إنفاق
وسيف إذا جردت بعض غراره ... لجيش خطوبٍ صدها منه إرهاق
إلى أن أبان البين أن غراره ... غرور وأن الكنز فقر وإملاق
أخي سيدي مولاي دعوة من صفا ... وليس له من رق ودك إعتاق
لئن بعدت ما بيننا شقة النوى ... ومطرد طامي الغوارب خفاق
وبيد إذا كلفتها العيس قصرت ... طلائح أنضاها زميل وإعناق
فعندي لك الود الملازم مثل ما ... يلازم أعناق الحمائم أطواق

وهي طويلة نحو ثلاثين بيتاً، ومن لطائفه وغرر قصائده أيضاً قوله:

لو كان بالصبر الجميل ملاذه ... ماسح وابل دمعه ورذاذه

ما زال جيش الحب يغزو قلبه		حتى وهى وتقطعت أفلاذه
لم يبق فيه مع الغرام بقية		إلا رسيس يحتويه جذاذه
من كان يرغب في السلامة فليكن		أبداً من الحدق المراض عياذه
لا تخدعنك بالفتور فإنه		نظر يضر بقلبك استلذاذه
يأيها الرشأ الذي من طرفه		سهم إلى حب القلوب نفاذه
در يلوح بفيك من نظامه		خمر به قد جال، من نباذه؟؟
وقناة ذاك القد، كيف تقومت		وسنان ذاك اللحظ، ما فولاذه؟
هاروت يعجز عن مواقع سحره		وهو الإمام فمن ترى أستاذه؟
تالله ما علقت محاسنك امرأ		إلا وعز على الورى استنقاذه
أغريت حبك بالقلوب فأذعنت		طوعاً وقد أودى به استحواذه

وهي نحو عشرين بيتاً كلها غرر، ومن مقطعاته قوله في الأقحوان:

أنظر فقد أبدى الأقاحي مبسماً		يفتر ضحكاً فوق قدٍ أملد
كفصوص درٍ لطفت أجرامه		وتنظمت من حول شمسة عسجد

وقال في كرسي النسخ و يكتب عليه.

أنظر بعينك في بديع صنائعي		وعجيب تراكيبي وحكمة صانعي
فكأني كفا محبٍ شبكت		يوم الفراق أصابعاً بأصابعي

ظالم بن عمرو

ابن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثةً ابن عدي بن الدئل بن بكر بن كنانة الدؤلي أبو الأسود، وفي اسمه ونسبه خلاف، أحد سادات التابعين والمحدثين والفقهاء والشعراء والفرسان والأمراء والأشراف والدهاة والحاضري الجواب والصلع الأشراف والبخر الأشراف، ومن مشاهير البخلاء. والأكثر على أنه أول من وضع العربية ونقط المصحف، روى عن عر وعليٍ وأبي ذرٍ وابن عباس وغيرهم. وعنه أمية ويحيى بن يعمر، وصحبه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وشهد معه صفين، ومات بالطاعون الجارف سنة سبعٍ وستين على الأصح. روى عاصم قال: جاء أبو الأسود الدؤلي إلى زياد بن أبيه وكان يعلم أولاده وقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما

يعرفون به كلامهم؟ فقال له زياد: لا تفعل. قال: فجاء رجل إلى زيادٍ فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون! ادعوا لي أبا الأسود، فلما جاءه قال له: ضع للعناس ما كنت نهيتك عنه ففعل. وروى في وضع العربية غير ذلك، ولأبي الأسود أخبار كثيرة مع الخلفاء والأمراء، ولطائف في البخل والإمساك، وقد استقصى أخباره أبو الفرج في كتابه، ومن شعره يعاتب ابنه أبا حربٍ وقد انقطع عن العمل وطلب الرزق:

وما طلب المعيشة بالتمني	ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجئك بملئها يوماً يوماً	تجئ بحمأةٍ وقليل ماء
ولا تقعد على كسل التمني	تحيل على المقادر والقضاء
فإن مقادر الرحمن تجري	بأرزاق الرجال من السماء
مقدرةً بقبضٍ أو ببسطٍ	وعجز المرء أسباب البلاء

وقال:

ألعلم زين وتشريف لصاحبه	فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
كم سيدٍ بطلٍ آباؤه نجب	كانوا رؤوساً فأضحى بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذي أدبٍ	نال المعالي بالآداب والرتبا
ألعل ذخر وكنز لا نفاد له	نعم القرين ونعم الخدن إن صحبا
قد يجمع المال شخص ثم يحرمه	عما قليلٍ فيلقى الذل والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبداً	فلا يحاذر فيه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه	لا تعدلن به دراً ولا ذهبا

وقال:

فلا تشعرن النفس يأساً فإنما	يعيش بجدٍ حازم وبليد
ولا تطمعن في مال جارٍ لقربه	فكل قريبٍ لا ينال بعيد

وقال:

تعودت مس الضر حتى ألفته	وأسلمني طول البلاء إلى الصبر
ووسع صدري للأذى كثرة الأذى	وكان قديماً قد يضيق به صدري
إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما	ألاقيه منه طال عتبي على الدهر

وقال:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمرٍ منكر
وبقيت في خلفٍ يزكى بعضهم بعضاً ليدفع معور عن معود
فطنٍ لكل مصيبةٍ في ماله وإذا أصيب بعرضه لم يشعر